وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجزائر 02 أبو القاسم سعد الله بوزريعة
كلية العلوم الإنسانية
قسم التاريخ

منطقة وادي ميزاب

خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين1700م-1111هـ/1899م-1317هـ(اقتصاديًا، اجتماعيًا، ثقافيًا)

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر

إعداد الطالبة: إشراف الأستاذ الدكتور:

إيعيش جميلة بن يوسف تلمساني

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الجامعة	الصفة
أ. د/ عبد القادر كرليل	جامعة الجزائر2	رئيسًا
أ. د / تلمساني بن يوسف	جامعة البليدة 2	مشرفًا
أ. د / لزهر بديدة	جامعة الجزائر2	عضوًا
أ. د / كمال حمزي	جامعة الجزائر2	عضوًا
أ. د / محمد حوتية	جامعة أدرار	عضواً
أ. د أحمد مريوش	المدرسة العليا للأساتذة	عضوًا

السنة الجامعية:1439هـ-1440هـ/ 2018-2019م


بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــــــداء

أهـدي ثمـرة عملـي إلـى روح مـن سـاندتني فـي صـلاتها ودعائهـا...إلى مـن منحتنـي القـوة والعزيمـة لمواصـلة الـدرب...إلى مـن علمتنـي الصـبر والاجتهـاد...إلى أروع امـرأة والـدتي الغاليـة التـي رافتنـي دعواتهـا بالنجـاح والتوفيـق طـوَّال فتـرة تحضـيري للأطروحـة فـاللهم ارحمهـا برحمتهـا التـي وسـعت كـل شـيء...إلى والـدي الكـريم حفظـه الله، إلـى مـن كرَّمهمـا الـرّحمن بقولـه العظـيم بعـد بسـم الله الـرّحمن الـرحيم:﴿رَّبِّ ارْحَمْهُمَـا كَمَـا رَبَّيَـانِي صَغِيرًا ﴾

إلى نعم السند زوجي العزيز الذي رافقني بالصبر والنصح خلال رحلة عملي مع البحث احسانا وإكراما.

إلى قرة عيني محمد الأمين، إلى جميع إخوتي وأخواتي تقديراً أهدي ثمرة عملي لكل من يبخلوا في بذل الكثير لأجلي من قريب وبعيد.

شكـــــــــر وتقدير

أتقـدم بأسـمى وأجـل عبـارات الشـكر والتقـدير والامتنـان لكـل مـن وقـف بجـانبي وساندني عند إنجاز هذا البحث، ولو بدعوة خفاء وأخص بالذكر:

سـيادة الأسـتاذ الـدكتور تلمسـاني بـن يوسـف علـى تفضـله قبـول الإشـراف علـى موضـوع البحـث، وعلـى توجيهاتـه القيمـة التـي أسـدها لـي لإخـراج العمـل فـي شـكله النهـائي، وتبقـى الكلمـات بحقكـم والأحـرف التـي تصـف عطـائكم قليلـة، ولكنّنـا نحسـبها عند الله كثيرة.

وفضـيلة الأسـتاذة الـدكتور عبـد القـادر كرليـل رئيسـاً، والشـكر موصـول إلـى الأسـاتذة الـدكاترة الأفاضـل الـذين تكرمـوا بقبـول مناقشـة الموضـوع، لتصـحيحة وتعديلـه ووضـعة في صورته الحسنة، لكم منا كل الثناء والتقدير.

ولا أنسـى أن أشـكر كـل مـن قـدم النصـيحة والمسـاعدة والكلمـة مـن بعيـد أو قريـب للوصول إلى مادة الموضوع أينما كانت، جزاكم الله خيراً كثيراً.

قائمـــــة المختصرات والرُّموز

ج. : الجزء.

د. م. ج. : ديوان المطبوعات الجامعية.

ش. و. ن. ت. : الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

ط. : الطبعة.

م. و. ك. : المؤسسة الوطنية للكتاب.

ت. : توفي.

و. : ولد.

تح. : تحقيق.

تر. : ترجمة.

تق. : تقديم..

د. وتح : دراسة وتحقيق.

مج. : مجلد.

مخ. : مخطوط.

د. ت. : دون تاريخ النشر.

-المختصرات والرموز بالفرنسية

A.N.T. : Archives Nationales de Tunis.

C.c.d.s : Centre Culturel et de Documentation Saharienne.

C.D.H.W.G. : Centre Documents de L'histoire de la wilaya de Ghardaia.

Cie. :Compagnie.

ED. : édition.

Imp. : Imprimerie.

O.P.V.M. : Office de Protection de la vallée du M'zab.

M.D. : Mémoire et Documents.

R.A. : Revue Africaine.

P. : Page.

T. : Tome.

V. : Volume.

S.P. : Sans Page .

مقدمة

مقدمـــــة:

تعتبـر الصـحراء الجزائريـة مـن أوسـع الفضـاءات الجغرافيـة التـي تحتـوي علـى العديـد مـن الموضـوعات، وتشـكل فيهـا منطقـة وادي ميـزاب حيـزًا جغرافيـاً واطـارًا حضـاريًا جـدير بالبحـث والكتابـة خـلال القـرنين الثـامن والتاسـع عشـر الميلاديـين، وبحكـم بعـده فانـه ظـل طيلـة فتـرة الحكـم العثمـاني منعـزلاً، ولـم يمنـع بعـد المكـان علـى أن يتبـوأ مكانتـه وأهميتـه لـدى السـلطة العثمانيـة؛ رغـم أن تبعيتـه لهـا كانـت اسـمية فقـط؛ مـع وجـود أمـين يمـثلهم لـدى الـديوان وهـو يشـكل همـزة الوصـل بينهمـا، ولكـن الإيالـة لـم تفكـر فـي اسـتثمار هـذه العلاقـة وتوظيفهـا فـي المجـالات العديـدة المختلفـة؛ وهـو عكـس مـا فكـرت بـه فرنسـا إذ بعـد مـرور أكثـر مـن عشـرين سـنة علـى احـتلال مدينـة الجزائـر صـوبت اهتمامهـا نحـو المنطقة وعلى مراحل، فبدأت العلاقة باتفاقية لتتبعها بضم عسكري لها.

لقـد شـهدت منطقـة وادي ميـزاب خـلال القـرنين الثـامن عشـر والتاسـع عشـر الميلاديـين أحـداثًا ذات أبعـاد سياسـية واجتماعيـة واقتصـادية وثقافيـة، علـى المسـتويين المحلـي والـوطني ومـع ذلـك ظلـت منعزلـة عـن القضـايا الوطنيـة، ولـولا بعـض الكتـب والوثـائق التـي حفظـت لنـا جـزءًا مـن هـذه الأحـداث خـلال القـرنيين المـذكورين؛ لفقـدنا حلقـة تاريخية محلية مهمة ضمن التاريخ العام للجزائر في الفترة الحديثة والمعاصرة.

رغـم بعـد المنطقـة – فـي البدايـة – عـن محـور الاهتمـام، إلا أنهـا تحولـت مـع مـرور الوقـت إلـى ملتقـى "جنـوبي شـمالي" مهـم، فهـذا الموقـع أكسـبها عـدة تجـارب وخبـرات تنـوع معهـا نمطهـا العمرانـي وفكـر الإنسـان فيهـا؛ لكـن المنطقـة وجـدت نفسـها أمـام وضـع جديـد عنـد منتصـف القـرن التاسـع عشـر المـيلادي، وذلـك بعـد أن سـقطت الأغـواط بيـد فرنسـا فـأُجبِر الميزابيـون علـى عقـد اتفـاق مـع العـدو لحفـظ اسـتقلاليتهم وصـيانة تقاليـدهم وأعـرافهم مقابـل دفـع جزيـة سـنوية لهـم، رغـم رفـض بعـض الأهـالي لهـا، ومـع تواصـل لهيـب المقاومـات الشـعبية سـخرت فرنسـا إمكانياتهـا العسـكرية والاسـتخباراتية لمنـع ذلـك

فوظفت مكتب استخبارات وقياد لتتبع أخبار الساكنة وأحوالهم؛ إذ أنها ضيقت الخناق عليهم ودفعتهم كرهًا إلى التكيف مع هذا الوضع الجديد على مختلف الأصعدة، ومع ذلك حافظ وادي ميزاب على خصوصيته وعلاقته التجارية مع بعض واحات الصحراء عمق الجنوب، ومناطق الهضاب العليا والسهوب(المناطق الداخلية) ومدن الشمال وبعد الحماية الفرنسية للوادي عمد أهل المنطقة إلى الخروج بشكل واضح من عزلتهم وامتدت آفاقهم نحو عواصم ومدنٍ خارج الوطن كمصر، والحجاز وتونس، وهذا الانفتاح كان أحد عوامل ظهور الحركة الإصلاحية الإجتماعية والتعليمية لتقويم السلوك العام ونشر الوعي والمساهمة في تنوير العقول والقلوب .

ومن هذا كانت الدراسة في جوهرها تقوم على تسليط الجوانب المهمة التي ظلت خفيَّة طيلة القرن الثامن عشر والتاسع عشر؛ وقد حملت الدراسة العنوان التالي: "منطقة وادي ميزاب خلال القرنين الثامن والتاسع عشر 1700م-1111هـ-1899م-1317هـ (اقتصادياً واجتماعيا وثقافياً).

-دوافع اختيار الموضوع: يمكن اجمالها في النقاط التالية:

-تعتبر المنطقة من المجالات الصحراوية الحيوية؛ فهي تمثل نموذجًا لمجتمع صحراوي متحضر بمعارفه المتنوعة وأطيافه المختلفة، فشمل أكبر عدد من البشر والذين استأنسوا ببعضهم البعض في هذه الرقعة الجغرافية، فشكلوا تجانسًا قلما نجد له مثيل في أي مكان من مالكيين، واباضيين، ويهود، وزنوج، وأجانب، هذا التميز لا تكاد تذكره الكثير من الكتب التاريخية ولم تتناوله أقلام الباحثين؛ فالدراسات السابقة لم تخص كل الساكنة دون استثناء، بل كتبت على البعض وأهملت الأخر.

-يحوز الوادي على مكانة إستراتيجية انعكست على النظام السياسي والاقتصادي لساكنيه وحتى على حياتهم الإجتماعية وتفكيرهم مما جعلته محطة التقاءٍ، وتفاعل مع المجاورين له في الحدود كالأغواط، وورقلة، وبلاد توات، ما نتج عنه سلوكيات جديدة

على مختلف الأصعدة؛ وهو ما دفعنا إلى محاولة التعرف على إحدى حلقات تاريخ العام للجزائر وتاريخ ميزاب تحديدًا من جوانبه الاقتصادية والإجتماعية والثقافية.

-يعد وادي ميزاب مركزاً لتلاقي خطوط التجارة أفقياً وعمودياً، بمختلف جوانب الحياة المتعددة، الممتدة من مدن الساحل إلى بلاد السودان، ومن تونس إلى المغرب؛ وهذا ما أنتج عنه نشاطاً تجارياً كبيراً فتح أبواب التواصل الحضاري مع ساكنة وادي ميزاب في جوانب عديدة.

-محاولة كشف غوامض ومجاهيل أحوال الوادي خلال هذه الفترة التي تشح فيها المادة التاريخية إلا ما ندر في بعض المخطوطات والوثائق الارشيفية.

-إهمال الكتابات التاريخية سواءاً المحلية أو الوطنية لأحوال هذه الفترة الزمنية التي اخترتها كحيز زمني للدراسة، ممّا جعل التاريخ الجزائري يفقد معطيات وأحداث محلية لها وثيق الصلة بالتاريخ العام للجزائر.

-يُشاع أن المنطقة مِرجلٌ للفتن والصراعات بين السَّاكنة منذ قرون، ولكنَّهم في الحقيقة شكلوا استثناءً في التعايش السلمي والاخاء الإسلامي، الذي بلغوه في مختلف المجالات ومع جميع الاعراش والقبائل؛ سواء المستقرة أو الوافدة من مناطق مجاورة وحتى القادمة من بلاد السودان، وهكذا بقيت معالم هذا التعايش واضحة إلى الآن فالمعاملة الحسنة للزنوج واليهود والوقوف على سِرّ استمرار العيش معًا للجميع ولقرون طويلة، يغري الباحث لمحاولة معرفة نمط التفكير وأساليب المعايشة وأعراف التعامل بين المقيم والوافد وبين المقيم والمقيم المُختلف في المذهب أو الديانة أو في العرف.

-الهدف من هذه الدراسة أيضاً هو التعرف على ما جرى بالمنطقة من أحداث محلية مجهولة لدى الكثيرين في الفترة المختارة، والاستفادة من الأحداث الماضية بادراك أسبابها وتقدير نتائجها؛ سواء كانت ايجابية أو سلبية.

-دراسة التطورات التي حصلت بالوادي عقب معاهدة الحماية ثم الاستقرار العسكري الفرنسي والتي مثلت مرحلة جديدة تختلف عن سابقتها، رغم محاولة المجتمع خصوصاً الإباضي والمالكي الانعزال ووضع حاجز أمام المستدمر الفرنسي، إلا أن ذلك لم يدم طويلاً إذ بدأت تلوح في الأفق بوادر التقارب بينهما بصورة محتشمة وظهرت نتائج هذا التحول على نواحي الحياة؛ وكيف واجه الجهل والضلال بالإصلاح والمستعمر بالقلم والمجابهة.

-ندرة الكتابات التاريخية التي تدرس مجتمع وادي ميزاب دراسةً مفصلة لكل أطيافه وانتماءاته الدينية ومصادره الاقتصادية، ما جعلنا نفتقد إلى تصور واضحٍ ودقيق للتاريخ المحلي، لقطعة مهمة من الصحراء ضمن دائرة تاريخ الجزائر العام.

-جمع أكبر قدر من الوثائق المتعلقة بالمجتمع خلال القرنين محل الدراسة والمتواجدة في الزوايا ورفوف المكتبات الخاصة والعامة ومراكز البحث، وعند بعض المهتمين بتاريخ المنطقة، لتشكيل رصيد متنوع حول التاريخ المحلي؛ سواء كانت هذه المصادر مخطوطات أو وثائق أو عقود أو شهادات حيَّة.

-ينتاب تاريخ المنطقة المحلي فترات انقطاع وتقطُّع خصوصاً في الفترة الحديثة لذلك لم تتبين الصورة الحقيقية لها وشباها بعض الغموض والضبابية، رغم الكتابات المتفرقة هنا وهناك، ولكنها لم تشملها بعين العناية والتوسع، فبقيت بذلك أخبار وتفصيلاتٌ مهمة عن الحياة الاقتصادية والإجتماعية والثقافية في خانة النسيان.

-رغبتي الشخصية لدراسة التاريخ المحلي، بعدما كانت لي تجربة في دراستي لما بعد التدرج، حيث وقفت في رسالة الماجستير على حجم الزخم الكبير الذي تحويه مخطوطات ووثائق المنطقة، وهو ما فتح شهيتي للأخذ منها قدر المستطاع وإعداد مواضيع ثرية ومتنوعة عن الأوضاع في المنطقة.

-عدم وجود كتابات تتحدث عن الساكنة جملة واحدة، ودون إقصاء طرف أو إهمال أخر بحجة الأسبقية في المكان والتعمير أو الانتماء المذهبي، ولأن الإنسان عدو لما جهل، فما كتب كان لجماعة دون أخرى، مما جعلني أفكر في التطرق إلى أحوال وأوضاع الأهالي دون استثناء؛ من ميزابيين وعرب ويهود وزنوج وحتى أجانب؛ كيف عاشوا وتعايشوا؟ وكيف تحدَّوا الظروف القاسية والأزمات المحيّرة؟ وكيف شكلوا خليطا بشريًا؛ تعاملوا وتفاعلوا وتأثروا ببعضهم البعض، وكيف فكروا وأداروا اقتصادهم وحافظوا على عاداتهم ومعتقداتهم؟ وكيف شيدوا واستصلحوا وابتهجوا؟ وبحكم انتمائي الجغرافي للمنطقة، وانعدام دراسات شاملة علي مختلف الأصعدة مما جعل البعض من غير المختصين يخوضون في بحر الكتابة دون إدراك لما يمكن أن يُخَلِّفه الحرف من وباء فكري وفتن طائفية، تلقي بظلالها لسنوات عديدة على المنطقة؛ علاوة على ذلك محاولة ملئ الفراغ التاريخي، الذي لم ينل حظَّهُ من الكتابة والاهتمام من طرف أهل الاختصاص في الكتابة التاريخية للمناطق الصحراوية.

-إن أغلب الكتابات التي تناولت المنطقة ركزت على القرن العشرين، وتجاهلت أحداث وحياة السكان المحلية خلال القرون التي سبقت القرن المذكور في مختلف مجالات العيش.

-محاولة توضيح التصور السلبي القاصر والمجحف وتعبيره في الأذهان، وهو أن المكان والأرض لجماعة ما دون سواها، بل إن الإنسان في هذا الفضاء صَنَعَ الاستثناء في تفكيره وحياته؛ عندما فتح حضنه للغير وشمل أناس حتى من بلاد السودان، واستوعب المكان حتى اليهود، وكيف تجاوز هذا المجتمع الصحراوي في وادي ميزاب مختلف الصِّعاب والمحن؟ ومحاولة الوقوف على سرِّ هذه السيرورة الحياتية التي ينذر وجودها في مكان آخر.

-أهمية وأهداف الدراسة:

إن الهدف الأساس من الدراسة، هو استعراض حياة سكان منطقة وادي ميزاب والتي تشمل خمسة مدن في حيز الوادي وعلى ضفافه القريبة، إضافةً إلى مدينتين بعيدتين نسبياً عنه؛ وهما بريان والقرارة وذلك خلال قرنين من الزمن، من أجل التعرف على أهم مظاهر الحياة خلال هذه الفترة الزمنية؛ وكيف حدث التغيير بعد المعاهدة ثم كيف حدث هذا الارتباط العسكري بفرنسا؟ وما هي أثار ذلك على حياة السكان وكيف ساندوا زعماء المقاومات الشعبية؟

-تكتسي الدراسة أهميتها من حيث البحث في التاريخ المحلي من جهة وفي ملئ الفراغات التاريخية لجوانبَ عديدةٍ من الأحداث التي وقعت في الصحراء الجزائرية وتحديداً وادي ميزاب.

-إثراء المكتبة التاريخية الجزائرية بمواضيع متخصصة حول التاريخ المحلي لقرى الجنوب.

-المحافظة على تاريخ وادي ميزاب خلال القرنين الثامن والتاسع عشر ميلادي بالتدوين والمُدَارسة، والتعرف كذلك على خصائص ومميزات المجتمع الحضري والبدوي، وعلى تفاعل السكان فيما بينهم؛ وعلى نشاطاتهم الاقتصادية وحياتهم الإجتماعية والمستوى الثقافي والعلمي الذي وصلوا إليه.

-تأخذ الدراسة أهميتها في كونها تناولت مرحلة تاريخية شبه مجهولة تخص القرن الثامن عشر والنصف الأول من القرن التاسع عشر الميلاديين، من حيث تناولها بشكل دقيق ومفصل من طرف الباحثين والتي انعدمت عنها مصادرها الأولية لأسباب عدة، ماعدا البعض القليل منها.

-الاطـــار الزمـــاني والمكـــاني للدراســـة: يفصـح مـن عنـوان الدراسـة عـن الاطـار الزمـاني الـذي حـدد بفتـرة زمنيـة تقـدر بقـرنيين مـن الـزمن، تبـدأ مـن سـنة 1700م-1111هـ إلـى سـنة 1899م-1317هـ، لقـد قَلَّـت إن لـم نقـل شَـحَت المصـادر والمراجـع التـي تتحـدث عـن جوانـب الحيـاة المختلفـة خـلال القـرن الثـامن عشـر؛ وغابـت معهـا بشـكل كبيـر معـالم الحيـاة فـي وادي ميـزاب، وتبعـه امتـداد زمنـي للقـرن التاسـع عشـر، الـذي تنوعـت فيـه المصـادر والكتابـات فتوضـحت المعـالم فـي مختلـف الاصـعدة، ولكـن بـالرغم مـن غيـاب الكتابـات التـي تناولـت الأوضـاع فـي القـرن الثـامن عشـر بالمنطقـة؛ إلا أنهـا فـي مجملهـا تتشـابه مـع الأوضـاع خـلال القـرن التاسـع عشـر ماعـدا فـي ملامـح الحيـاة والتـي تغيـرت بحلـول المسـتدمر الفرنسـي بالمنطقـة، والتـي كانـت ميـزة النصـف الثـاني مـن القرن التاسع عشر.

لاشـك أن الفتـرة الممتـدة مـن 1700م-1111هـ إلـى سـنة 1899 م-1317هـ شـملت نـوعين مـن الحكـم فخـلال قـرن ونصـف عاشـت فيـه المنطقـة تحـت ظـل الحكـم العثمـاني، ولـو بصـفة شـبه رسـمية، والثانيـة شـملت سـبعين سـنة مـن عهـد الإدارة الاسـتدمارية التـي عملـت منـذ أن وطـأت قـدميها مينـاء سـيدي فـرج، علـى التغلغـل إلـى أقصـى نقـاط الـوطن بكـل الوسـائل وخصوصـاً الجنوبيـة منهـا، ومـن أهـم هـذه الوسـائل المعاهـدات؛ والتـي كـان مـن بينهـا معاهـدة الحمايـة علـى وادي ميـزاب فـي 29 أفريـل 1853م-1269هـ وبعـدها الضـم العسـكري فـي 30 نـوفمبر1882 م-19محـرم1300هـ، فالتحديـد لهـذه الفتـرة الزمنيـة يعـود لمعرفـة الأحـوال العامـة التـي سـادت الحيـاة فـي هـذا النطـاق الجغرافـي، والتحـولات التـي عرفتهـا المنطقـة خصوصًـا بعـد الضـم وتسـخير فرنسـا للمـوارد الماديـة والبشـرية للـتحكم فـي زمـام الأمـور لبسـط مشـاريعها الإسـتعمارية فـي إفريقيـا، مـن بعـدما جعلـت مـن المنطقـة جسـر للمـرور إلـى داخـل العمـق الإفريقي.

-**إشـــكالية الدراســـة:** إن دراســة منطقــة وادي ميــزاب علــى إمتــداد فتــرتين مــن الحكــم العثمــاني والفرنســي، يعــدُّ علــى جانــب كبيــر مــن الأهميــة والالمــام بمختلــف جوانــب الدراسة، لذلك طرحنا اشكالية البحث الأساسية على المنوال التالي:

-كيــف كانــت حيــاة الإنســان فــي منطقــة وادي ميــزاب اقتصــادياً واجتماعيــاً وثقافيــاً فــي القــرنين الثــامن عشــر والتاســع عشــر المــيلادين، وقــد تفرعــت عــن هــذه الإشــكالية الرئيســة إشكاليات ثانوية وفرعية تتحدد من خلالها أبواب وفصول الدراسة.

-كيــف تعــايش الأهــالي مــن ميــزابين، وعــرب، ويهــود، وزنــوج فــي هــذه الرقعــة؟ وكيــف أثــروا وتأثروا في أوساطه ومجريات الأحداث بمفاهيم تتماشى مع كل الحقب التي عاشوها؟

-كيــف ســاهمت الــنظم الإجتماعيــة والاقتصــاديةُ والثقافيــةُ فــي اســتقرار الإنســان بــالوادي لقرون عديدة وصمودها رغم المحن والظروف؟

-مــا هــي مــواردهم ومصــادرهم الماليــة؟ وكيــف طــوَّروا أنفســهم فــي هــذا الفضــاء شــبه المنعدم لمصادر العيش ومتطلباته؟

-هــل تــأثر المجتمــع الميزابــي لوحــده بمعاهــدة الحمايــة، أم تعــدى ذلــك إلــى كــل أطيــاف المجتمــع ؟ وكيــف كــان حالــه؟ هــل انعكســت السياســة الإســتعمارية علــى ملامــح المجتمــع؟ وهل استطاع هذا الأخير الصمود أمام المشاريع الإستعمارية المتلاحقة والمتنوعة؟

-كيــف اســتطاعت فرنســا تســخير وســائلها واســتغلال الفــتن، والانشــقاقات الحاصــلة بــين الصفين(الصــف الشــرقي يضــم مجموعــة مــن أعــراش وقبائــل المنطقــة، والصــف الغربــي هــو الآخــر يضــم عــدد منهــا، وكثيــراً مــا اســتعانوا ببعضــهم الــبعص فــي حالــة الفــتن والنــزاع) لخدمــــة مصــــالحها؟ ومــــا هــــي الأســــاليب التــــي اتبعتهــــا الإدارة الإســــتعمارية فــــي ميــــزاب لتحقيــق مشــاريعها؟ ولتوضــيح هــذه الإشــكالية أكثــر يمكننــا طــرح بعــض الأســئلة -هــل كــان للتنــوع الجغرافــي والســكاني بــالوادي دور فــي الاهتمــام الفرنســي بالمنطقــة؟ ومــا مــدى

انعكاسات السياسة الإستعمارية على السكان؟ وهل خططت فرنسا في ضم باقي المدن الجنوبية إليها بعد ميزاب؟

-ما هو الدور الذي لعبته الحركة الإصلاحية الاجتماعية والتعليمية في تنوير المجتمع لمجابهة فرنسا؟

-مناهج الدراسة: اعتمدت في منهجية دراسة موضوع الأوضاع الاقتصاديةُ والإجتماعية والثقافيةُ بمنطقة وادي ميزاب خلال القرن الثامن عشر والتاسع عشر على مجموعة من المناهج التي تقتضيها طبيعة الموضوع في تتبع خطواته، وهي كالاتي:

-المنهج التاريخي الوصفي: اعتمدته في وصف الأحداث المختلفة من حيث الزمان والمكان، واستعراض الوقائع حسب تسلسلها الزمني في أغلب الأحيان.

-المنهج التاريخي التحليلي: هو المنهج الذي اعتمدت عليه بشكل أساسي، لربط الوقائع واستنتاج مختلف الانعكاسات للسياسة الفرنسية على الأهالي.

-المنهج المقارن: واعتمدت عليه في عدة جوانب من الدراسة خاصة فيما يتعلق بتداخل الأحداث التاريخية كالمسميات، واختلاف النظم الإجتماعية والقيم الثقافية واختلاف الأرقام والإحصائيات والروايات الشفوية.

-خطة الدراسة: تتألف هذه الدراسة من مقدمة ومدخل تمهيدي، وثلاثة أبواب كل باب احتوى على ما بين أربعة وستة فصول، ثم انتهت الدراسة بخاتمة.

وقد قدمت أمام الأبواب الثلاثة من الدراسة مدخلاً تمهيدياً يشتمل على عدة جوانب متعددة ومختلفة، رَغبنا في توضيحها وعرضها عرضا سريعاً، حتى يُلِمَّ القارئ بمضمون الدراسة؛ وذلك بالتعرف على جغرافيا الإقليم، من حيث الموقع والمساحة

وطبيعته الجغرافية، وتقديم التعريفات المختلفة للوادي ونشأة المدن وعلاقته بالسلطة العثمانية المركزية بالجزائر، ووضعه أثناء الإحتلال الفرنسي.

تناول الباب الأول دراسة الأوضاع والنشاطات الاقتصادية، واشتمل على خمسة فصول؛ في الأول منها تحدثنا عن النشاط الفلاحي، ودوره كمصدر عيش للأهالي رغم محدوديته في تطوير المنطقة بدءًا بزراعة النخيل، والزراعات المعاشية البسيطة بالإضافة إلى النشاط الرعوي وأهمية الآبار، ودور الأعراف والقوانين في تنظيمه وحل مشاكله.

أما الفصل الثاني فخصصناه للجانب الصناعي التقليدي، ودوره في تحقيق الاكتفاء الذاتي، ومنها المنسوجات والصناعة الحرفية كالحلي التي تحقق مداخيل للأهالي، ثم في الفصل الثالث؛ والذي خصصناه للحديث عن التجارة وعناصرها والتعرف على الأماكن الحيوية التجارية بالوادي، وأهم ما كان يتم تصديره واستيراده من سلع ومنتوجات؛ وأهم خطوط التجارة الداخلية والخارجية. كما يعالج الفصل الرابع أهمية ودور النقل والمواصلات في إنعاش المنطقة، وربطها بالمناطق الداخلية والخارجية المجاورة، وأفردنا الحديث في الفصل الخامس عن المعاملات المالية وأنواعها ومصادر الموارد المحلية المالية.

وقد اشتمل الباب الثاني على أوضاع المجتمع ومظاهر حياة السكان، خصصنا الفصل الأول منه للتركيبة السكانية من قبائل وأعراش، وفئات المجتمع وطبيعة العلاقة بين الساكنة. وفي الفصل الثاني تناولنا فيه المستوى المعيشي والوضع الصحي والأمراض المنتشرة، وكيف عالجوا أنفسهم منها، ودور الطّب الفرنسي الحديث في علاجها، والتعرف على نوع غذاءهم ولباسهم وتدخل الإدارة الفرنسية في مساعدة الأهالي.

كما تحدثنا في الفصل الثالث عن الأسرة ومميزتها وشوؤنها، وأهمية الزواج في استمرار الحياة، ودور المرأة اقتصادياً واجتماعياً.

وفي الفصل الرابع تناولنا أهم العادات والتقاليد التي ميزت المجتمع وبعض مناسباته وأعياده، ونظام التضامن التعاون والتآزر، ودور الأعراف والقوانين في حفظها، وأهم ما كان يروَّحُ ويتسلى به السّاكن عن نفسه من السلوكيات الشعبية والثقافية والتي شابتها في بعض الأحيان حياة الخرافة، وكانت أحد الأسباب المؤدية إلى ظهور الحركة الإصلاحية الإجتماعية والتربوية بالوادي، والتي قادها مجموعة من العلماء الأجلاء، وفي الفصل الخامس تحدثنا عن الجانب العمراني والقوانين المنظمة له وأهم المنشاءات الفرنسية. تعرفنا في الفصل السادس عن الأسباب التي أدت بالسكان إلى الهجرة نحو المناطق الداخلية والخاجية، وانعكاسات ذلك على حياتهم.

وخصصت الباب الثالث والأخير لدراسة الحياة الثقافية، بحيث أفردت الفصل الأول منه للتعليم العربي الإسلامي بالمنطقة، مبينةً أطواره ومراحله ودور العلماء في نشر العلم والمحافظة على هذا النوع من التعليم؛ وكيف كان نشاط التأليف، وماهي المواضيع التي خاضوا الكتابة فيها، وأهم الخزائن والمكتبات، وعن المراكز الثقافية التي استقُطبت إليها الطلبة من داخل وخارج الوادي. أما الفصل الثاني فأبرزنا فيه التعليم الفرنسي الإستعماري، وأهم مدارسه النظامية، وإنشاء مدارس أخرى للأباء البيض والوسائل التي اتَّبعوها لاقناع الأهالي للدراسة بها؛ وإبراز أهم المعارف التي تلقوها في مدارس التكوين المهني. وأفردت الفصل الثالث والأخير من هذا الباب للتعرف على العلاقات الثقافية التي ربطت الوادي بالمدن الداخلية والخارجية من الوطن ونتائج ذلك.

-**صعوبات الدراسة:** لقد مرت قاطرة الدراسة بكثير من العوائق التي اعترضتني عند معالجتي للموضوع من أبرزها:

-طبيعة الدراسة التي تحتاج إلى الاطلاع الكامل على الوثائق الأرشيفية، وغربلتها وتفحصها بعمق وحذر، وهو ما تطلب وقتاً طويلاً لاستخراجها مادةً علمية دون حرج تحتاج إلى الاستنباط والتأكد والتحليل، ما أخذ مني الكثير من الجهد خاصة وأن المادة متفرقة بين مكتبات الوادي سواء الخاصة أو العامة، وفتحها يكون في فترات محددة إضافة إلى التزامات عملية أخرى، التي تتزامن مع فتح هذه المكتبات والخزائن الشيء الذي كان مانعاً في تسريع العملية وانجاز البحث في وقته.

-صعوبة الوصول إلى بعض المخطوطات المهمة والنادرة التي إذ كنت أتلقى وعودًا من أصحابها للاطلاع عليها في إطار البحث، ثم لأسباب غير معروفة يعتذرون ويتحججون بأسباب واهية وبعدم قدرتهم على تقديمها لنا، لمجرد الاطلاع عليها بسبب الخوف أو عدم الثقة عند أصحابها أو الأنانية وقلة الوعي.

-ندرة بعض الوثائق المهمة في البحث، وغياب المعلومات التي أصبحت تتداولها الألسن فقط، وهذا ما حتم علينا الاستفادة منها بحذر شديد ومقارنتها بما جاء في الوثائق.

-رداءة خط بعض الوثائق وعدم وضوحه، وهو ما صعَّبَ علينا قراءتها بشكل سليم.

-السفر إلى تونس عدة مرات وللأرشيف الوطني الجزائري بالعاصمة وإلى أدرار للحصول على بعض الوثائق الأرشيفية الخاصة بأحوال الجماعة هناك، ولكننا لم نتحصل على كم هائل يفي بالموضوع من كل جوانبه، عدا بعض الوثائق المتعلقة بالجماعة الميزابية في تونس على وجه التحديد.

-كون منطقة ميزاب كانت تعيش في استقلال شبه تام أثناء الحكم العثماني للإيالة في تسيير شؤونها، لذلك لم يحفظ أرشيفها في مؤسسات رسمية، عكس المدن التي

خضعت مباشرة للحكم العثماني، حيث حفظت في العقود والمحاكم الشرعية، وهو ما جعلنا نفقد فترة زمنية مهمة عن تاريخ الوادي.

-صعوبة الدراسة والحصول على الأرقام والإحصائيات، خاصة ما تعلق بالجانب الاقتصادي والاجتماعي، كون المعطيات العددية مهمة جدًا لتسهيل قراءة وتحليل هذين الجانبين؛ وانعدامها تقريباً في القرن الثامن عشر والنصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي.

-ندرة الكتابات في تاريخ المنطقة في مكوناته السكانية، وفي جوانبها الاقتصادية والإجتماعية والثقافية من وجهة نظر أكاديمية، وإن كانت تقصر في جهة وتبرز أخرى؛ ومع صعوبة الاستفادة أحيانا من الوثائق الموجودة لدى بعض الأشخاص غير معروفة من حيث مصدرها؛ وكذا صعوبة التنقل داخل المدن التي بها خزائن المخطوطات بسبب أحداث الفتنة التي شهدتها المنطقة، ما جعلني أنقل وثائقي ومصادري من مكان إلى آخر خوفا من تعرضها للسرقة أو التلف، وأثناء رحلتي للبحث عن المكان الآمن ضاع جزء منها.

وعلى الرغم من هذه الصعوبات، إلا أن ذلك لم يثبط من عزيمتنا في الدراسة فبفضل الله تعالى استطعنا اجتيازها، ولم نقصر في ذلك جهدًا رغم ازدواجية المهمة والعمل في مجال آخر بمتطلبات التفرغ للأطروحة استطعنا أن نجمع مادة علمية متنوعة من داخل الوطن وخارجه.

-**المصادر والمراجع المعتمدة في الدراسة:** لقد اعتمدنا في هذه الدراسة على مصادر ومراجع متنوعة، أبرزها الوثائق الأرشيفية التي جمعناها من عدة مكتبات وخزائن ومراكز أرشيفية، وكتب لرحالة أوروبيين وخصوصًا الفرنسيين منهم، وبعض تقارير المكتب العربي بالأغواط وغرداية، وبعض المخطوطات المحققة وغير المحققة وبعض المجلات المتخصصة. ويمكننا تقسيم هذه المادة إلى ما يلي:

أ- الوثائق:

1-مركز الوثائق التاريخية لما قبل الاستقلال لولاية غرداية (C.D.H.W.G) : يحتوي هذا الأرشيف على رصيد مهم يعود إلى فترة ما قبل الضم العسكري للمنطقة سنة 1882م؛ وهو غير مصنف في معظمه ومحفوظ في سجلات مرقمة، منها ما يخص السنوات الثمانية عشر الأخيرة من القرن التاسع عشر، والأغلبية منها في القرن العشرين، وهي عبارة عن تقارير ومراسلات عمالة الواحات ورقلة والأغواط وغرداية والبعض منها ما تركه المكتب العربي بغرداية، وتخص الأوضاع العامة والأحوال الخاصة بالسكان، ونظرا لرداءة وتأكل بعض هذه الوثائق تصعب قراءتها، ولحد الآن لم تصنف بعد، وتحتاج إلى جهد كبير للعناية بها وتصنيفها ثم استنطاقها، وقد استفدنا منها في الأحوال الإجتماعية وخاصة الوثائق المحفوظة في سجلات رقم 10-19-23-49-56 وهي نشريات وعروض وتقارير خاصة لم يتم نشرها ولا تصنيفها.

2-أرشيف المركز الثقافي للوثائق الصحراوية للآباء البيض (C.C.S.D): يوجد بمدينة غرداية، ويحتوي على أرشيف مهم حول تاريخ الصحراء عمومًا ومنطقة ميزاب خصوصًا، وتحديدا الحافظة الأرشيف المتعلقة بمدرسة الأباء البيض منذ 1884-1976 م والمرقمة تحت 0137000003 وسجل رقم 91، وكذا بعض الوثائق والكتب النادرة منها ما هو غير مصنف.

3-أرشيف المحكمة الشرعية الإباضية: وتشمل كماً هائلاً من الوثائق الأهلية كالرسائل والرسوم العدلية والأحوال الشخصية، سواءاً الإباضية أو المالكية، وحتى عقود اليهود بوادي ميزاب.

4-مكتبات وادي ميزاب: لقد تم العثور على هذه المادة الوثائقية في مكتبات المنطقة من بينها مكتبات مؤسسة الشيخ عمي السعيد؛ التي تحتوي على كثير منها وتضم مذكرات، ووثائق رسمية عن وادي ميزاب من الناحية الدينية والسياسية والاجتماعية

من 1853 إلى 1951 م، وكذا كتاب تاريخ ميزاب، وكتاب "ازهاق الباطل بعلم الهاطل" و"مناقب وادي ميزاب"، ومخطوطات الخزائن العشرة وهو ما أغناني عن البحث في باقي المكتبات الخاصة، كمكتبة الشيخ صالح لعلى ببني يزقن، وعدة كتب للشيخ اطفيش وتفصيل جواب عن تقاسيم مياه السيول. وقد استفدنا مما يوجد في مكتبة جمعية أبي اسحاق اطفيش للتراث بغرداية، وبها نفائس الكتب ونوادر المخطوطات، ووثائق مهمة حول تاريخ المنطقة؛ من بينها حقائق تاريخية جرت بواد ميزاب؛ ومخطوط أخر بعنوان "الرسالة الشافية" للشيخ اطفيش.

وفي مكتبة الاستقامة ببني يزقن توجد عدة مخطوطات، وجوابات ومراسلات يخص جزء منها الشيخ عبد العزيز الثميني، وعلى رأسها كتاب " النيل وشفاء العليل" وكذا مكتبة الشيخ اطفيش بذات المدينة الغنية بالوثائق والمخطوطات، التي جمعها الشيخ والتي ألفها هو في حياته، والتي من بينها مجموعة 23 وهي التي تضم كتاب النيل. وكتاب "القسمة وأصول الأرضين" الذي يعتبر وثيقة حية، احتوت فصوله على بنود دقيقة فيها مراعاة العادة والعرف وعلى أسئلة يطرحها الطلبة وأجوبة عنها، وقد تضمن أقدم قانون للمياه فهو وثيقة تدل على مدى دقة التشريعات الخاصة بالمياه والمنظومة المائية وتخطيط العمران والغرس ومد السواقي وحفر الآبار، مع مراعاة حقوق الناس وواجباتهم من وجهة الشريعة الإسلامية.

5-الأرشيف الوطني التونسي (A.N.T): توجد به أرصدة هامة وزعت على مجموعة من سلاسل الأرشيفية تشمل المراسلات الإدارية، وبعض الشكاوى التي تخص تسوية وضعية الميزابيين بتونس، وتولي المشيخة بها، حيث تمكنا من الاطلاع على الوثائق المحفوظة في السلسلة B حافظة 172 ملف 12.

6-ديوان حماية واد ميزاب وترقيته (O.P.V.M): وتوجد به مراجع مهمة حول تاريخ المنطقة ولقد استفدنا من بعض الخرائط المهمة للوادي.

7-الكتابات المحلية: هي كثيرة وتحدثت عن أوضاع المنطقة، وخاصة المخطوطات التي هي رهينة حبس الصناديق والخزائن الخاصة، التي لم يُفرَج عنها، وإن كان كذلك فهي في حالة سيئة؛ هذه المصادر المحلية التي وضحت صورة المجتمع وأوضاعه العامة من بينها "الرسالة الشافية في بعض تواريخ أهل وادي ميزاب" الذي ألفه الشيخ اطفيش بطلب من ماسكوراي سنة 1876م ومخطوط "تاريخ مزاب" لمؤلفه مطياز إبراهيم بن بنوح، ومخطوط ""رسالة مغنية" لصاحبه قاسم بن أيوب العطفاوي ومخطوط "تاريخنا على بدع القرارة " لمؤلفه محمد بن سليمان بن شتيوي الذي ألفه خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر. كما اعتمدنا على المخطوطات المحققة، ومنها مخطوط القسمة وأصول الأرضين للشيخ أبي العباس أحمد بن محمد بن بكر الفرسطائي النفوسي، ومخطوط "تقييد وبيان من عمر في واد ميزاب" لصاحبه أحمد بن محمد بن أحمد الخيذر الملياني الذي ألفه سنة 1808 م.

ب-المصادر والمراجع العامة في الفترة الحديثة: تخص بعض كُتَّاب المنطقة والمستقرين في مدن الشمال، خصوصًا العاصمة، فقد اعتمدنا على رحلة محمد الكبير داي وهران لجنوب الأغواط، وكتاب "إعطاء الضوء على الصحراء" ورحلة "ابن الدين الأغواطي"؛ وبعض أمهَات الكتب المحلية مثل: كتاب "نبذة من حياة الميزابيين من 1505 إلى 1962م " لحمو محمد عيسى النوري، وكتاب "رسالة في بعض أعراف وعادات واد ميزاب" للشيخ القرادي؛ وهو كتاب في الأعراف والقوانين الميزابية وغيرها كثير، كما استفدنا كذلك من بعض الرسائل الجامعية ودعمناه ببعض المجلات الجامعية.

ج-الكتابات الفرنسية: استقينا جزء مهم من المادة التاريخية من كتابات الفرنسية منها بينها؛ الرحلات كرحلة هنري دوفيري Henri Duveyreir بعد زيارته لوادي ميزاب حيث قدم وصفًا دقيقًا لبعض جوانب الحياة. ورحلة الجنرال دوماس

Daumas بعنوان Le Sahara Algerien الذي أمدنا عند نهاية النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي، بمعلومات جغرافية وعمرانية وتجارية عن المنطقة. والدراسة الجيولوجية والمائية لفيل Ville في كتابه Exploration Géologique Du l'afrique : بعنوان Paul Solleillet ورحلة بول سوليه Beni-Mzab, Du Sahara، Accidental, Algerie, M'zab, Tildikelt وفيه قدم وصفًا عمرانيًا تحدث عن المظاهر الاقتصادية. ونجد رحلة ترومبلي Trumelet بعنوان Les Français Dans le Désert. ومن الفرنسيين الذين كتبوا عن المنطقة نجد تشارل أمات Charles Amat في كتابه Le m'zab et Les m'zabit تحدث فيه عن تفاصيل مهمة عن الوادي من حيث المناخ، التضاريس، السياسة، الاقتصاد والمجتمع وقد افادنا كثيرا في جوانب مهمة. وكتاب آخر لأوكابتين هنري Aucaptaine Henry بعنوان Les Beni M'zab، زيادة على ذلك نجد كتب لكل من كيون Coyne بعنوان Le mzab وآخر لوربين Robin في كتابه Le M"zab et Son Annexion ؛كما اعتمدنا على كتاب: Notes Historiques sur mzab. Guerara Depuis Sa Fondation لمؤلفه موتيلنسكي Motylinski ، نقل معلوماته المهمة من مخطوط محمد بن سليمان شتيوي حول تاريخ تأسيس القرارة وأعراشها وعادتها. ومع أهمية هذه الكتابات الفرنسية إلا أننا تعاملنا معها بحذر شديد، لأنها تحمل وجهات نظر استدمارية لحياة السكان الإجتماعية والاقتصادية، وبالتالي فهي غير بعيدة عن التشويه والتحريف والبعد عن الحقيقة.

د-الروايات الشفوية: وقد خدمت الموضوع عند الحديث عن تفسير الظواهر والمظاهر الإجتماعية واعتمدت عليها في بعض النقاط؛ لأن بعض تاريخ المنطقة يغلب عليه الطابع الشفوي، لذلك استعنت بها لسد باب من المعلومات التي لم نجدها في الوثائق المكتوبة.

ولا أدعي بأن هذه الدراسة قد أحاطت بالموضوع من كل جوانبه الدقيقة وكذا لا أشك أنه عمل يعتريه الخطأ والنقصان، رغم المجهود المبذول في ذلك، لكن عسى أن يكون إضافة علمية جديدة نحو الاهتمام بتاريخ المنطقة خلال الفترة الحديثة والمعاصرة، وباكورة لأعمال أخرى تتعمق أكثر في أوضاع المنطقة ورغم ما يمكن أن تتضمنّه الدراسة من نقص وتقصير، يمكن للباحثين تداركه مستقبلاً ودافعاً لتطوير البحث العلمي. ومع ذلك حاولت أن أتخطاها بثبات بفضل الله ومنه. في الأخير نرجو أننا وفَّقنا لحدٍ ما في هذه الدراسة من خلال إبراز أهم ملامح أوضاع المنطقة خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلادين، وأعتذر عن كل خطأ أو خلل أو نقصان، راجين من المولى العلي القدير أن يسدد خطانا ويلهمنا الرشد والصلاح في القول والفعل، والحمد لله الذي أمدنا عمرًا لإكماله فله الشكر والثناء والمِنَّة وهو نعم المولى ونعم المعين.

المدخل

الخصائص الجغرافية والبعد الحضاري والتاريخي لمنطقة وادي ميزاب

أ-الموقع والخصائص الجغرافية.

ب-البعد الحضاري وتأسيس المدن.

ج-البعد التاريخي

الخصائص الجغرافية والبعد الحضاري والتاريخي لمنطقة وادي ميزاب

لقد تميز المجتمع في وادي ميزاب بأسلوب حياة فريد، وتحدى كل الصّعاب بعيداً عن مشاكل الحياة ليستقر به المطاف بعد رحلة من العناء إلى وادي ميزاب حتى لا يستطيع أن يصلها أحد سواهم، ولكن لم يحصل ما تمناه ووصلت إليه رياح السياسة، وتأثر وأثر في المحيطين به في هذه الفترة الزمنية المدروسة، ولمعرفة أوضاع هذا المجتمع من مختلف الجوانب لابد من معرفة موقعه ومساحته وخصائصه ومميزاته الجغرافية، ولماإذا سمي بهذا الاسم؟ وإلقاء نظرة على مدنه وقراه، ووضعه إبان الحكم العثماني، وكيف تمت المعاهدة ثم الضم العسكري؛ وهي نقاط ضرورية تسهل عملية البحث وتزيح الغبار عنه، قبل التطرق إلى صلب الموضوع.

أ-الموقع والخصائص الجغرافية.

1-الموقع والحدود: تقع منطقة وادي ميزاب في واحة شمالي صحراء الجزائر وتدخل ضمن منطقة مجموعة من الهضاب الصخرية، التي تغذي التّلال الرملية لمنطقه العرق تنحدر من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي، يتفاوت علوها ما بين 300 إلى 800 متر عن مستوى سطح البحر؛ وتمتد على أكثر من 100 كيلومتر من الشمال إلى الجنوب [1] يقع على بعد 600 كلم جنوب مدينة الجزائر؛ يتربع على مساحة تقدر ب8000كلم^2 وتنحصر بين خطي عرض32°و33.20°شمالاً وبين خطى طول 3°و4° شرقاً، وتمتد من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي، وتغطي بذلك رقعة طولها طولها 100كلم، وترتفع عن مستوى البحر من الناحية الشمالية الغربية بحوالي 780م في رأس الريحة جنوب حاسي الرمل، ويقل تدريجيا اتجاه الجنوب الشرقي ليصل حوالي300م[2].

1-Charles Amat, le Mzab et les mozabites,Challamel Et Cie,Paris,1888,PP 44-53.

2 - Coyne(André), le Mzab, Adolphe Jourdan, Alger,1879.P 3.

2-**التضاريس:** المنطقة عبارة عن وادي جاف تتخلله سلسلتان من الجبال، تحيط بها مجموعة من الهضاب المعدمة. عرفت منذ القديم باسم الشبكة [1]، وتعتريها أحيانا تموجات وذلك بالمشي شرقًا نحو ورقلة[2]، أمَّا من جهة الغرب فتنحدر تدريجيا نحو العرق الكبير، فالسطح هو عبارة عن مكونات حجرية هيكله في ميزاب أفقي ومستوي تقريبًا[3] تعرضت الشبكة إلى عملية حث نتيجة عوامل مناخية.

أما المنخفضات الأكثر عمقا فإنها محاطة بجبال منحدرة إليها انحدارًا فجائيًا قليلا ما يتجاوز 100 م بالنسبة للهضبة[4]، والتربة الموجودة على حواف الوادي فقيرة وتتكون من بقايا كلسية وطينية[5]؛ فسطح الشبكة ذات مسام منفتحة حفرت بفعل عامل الرياح القوية لا يوجد بها حوض لتجميع المياه، ولا نجد بها تربة رسوبية نتيجة مرور سيلان الأودية .

لمنطقة ميزاب "الشبكة أهمية كبرى فهي بمثابة العمود الفقري للصحراء بتوجيه مياه الأمطار نحو الشرق والغرب بعيدة عن استغلالها من طرف سكان المنطقة بحيث أنّ بعض الأودية المعروفة بها وما جاورها وذات الخصائص الصحراوية بأبعادها مثل:" وادي ميزاب "و" وادي متليلي" و" وادي النساء" إلى نواحي بعيدة [6]. توجد بالمنطقة مجموعة من الأودية تسمى بالأودية الكاذبة، وذلك بسبب عدم

1-قيل هي الأرض الكثيرة الآبار. ينظر: أبو الفضل جمال الدين بن مكرم ابن منظور، لسان العرب المحيط. مج الثاني عشر، دار الجيل، بيروت ،1988، ص332.

2-إبراهيم بن بنوح مطياز، تاريخ مزاب، مخطوط، د. ت،نسخة بحوزتي، ص 2.

3-صالح بن عمر سماوي، العزابة ودورهم في المجتمع الميزابي، نشر جمعية التراث، المطبعة العربية، ط .1 ج 2 ، غرداية، الجزائر، 2005م ، ص 592.

4-Documents algériens, Série Monographies, Le mzab, N^{0}16-30, Centre Culturel et de Documentaion Saharienne(C.C.D.S),Ghardaïa ,1955 ,P1.

5-Cherifi (Brahim), études D'anthropologie Historique et Culturelle sur le m'zab, Thèse doctorat d'anthropologie Université de Paris VIII Vincennes Saint-Denis, 2003.P P17-18.

6-صالح بن عمر سماوي، المرجع السابق، ص 592.

استقرارها في سير المياه وقلتها، وقد لعبت دوراً مهمًا في الحفاظ على مخزونات المياه السطحية، ونذكر من بينها:

1-وادي زقرير: يوجد على الحدود الشرقية للشبكة[1] ، يتدفق على امتداد يتراوح ما بين 270 كلم و300كلم، إذا كان في حاله فيضان تتكاثر في حوضه الضايات ينبع من وادي اجرما من ناحية الشمال الغربي على ارتفاع 850 م، يمر بشمال مدينة بريان ليصل إلى القرارة ثم يتوجه نحو الجنوب الشرقي ليستقر عند وادي زقاق [2] يسقي واد زقرير واحات القرارة[3]، تتصل به بعض الأودية كوادي الكبش، ووادي مليز ووادي سينوك، ووادي بوعيشه[4] .

2-واد نساء: مساحة حوضه تقدر 7800 كلم^2 يقع جنوب وادي زقرير، ينبع من تلغيمت يمر شمال شرق مدينه بريان[5] نحو الجنوب، به رافدان هامان هما وادي السودان، ووادي بالوح والتي أنشئت عند ملتقيهما[6] مدينة بريان واللّذان يمران عبر غاباتها، ويوصل جريانه نحو الجنوب الشرقي ليصل سبخه سفيون بشمال ورقلة[7]

1-Cherifi (B) ,Op.Cit, P 52

2-Ibid.P 18.

3-يوسف بن بكير الحاج سعيد، تاريخ بني ميزاب، دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، ط.2 ، المطبعة العربية غرداية 2005 ص 2.

4-Amat Op.Cit, P 52

5-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.2، ص 2.

6-Cherifi (B) ,Op.Cit.P 18.

7-ورقللة: ورجلان، واركلان، وراكلا، وارقلا، ورقلان، هي واحة من واحات الجنوب الشرقي، يحاذيها من الجهة الجنوبية بلاد تقرت، ومن الجهة الشمالية بلاد مزاب، وهي مدينة كبيرة يحيط بها سور في غاية الضخامة،محيط بها خندق مملوء ماء من كل جهاتها، ولها ثمانية أبواب، بها عيون معدة لسقي الأهالي، ويحيط بالأجنة الكثيرة ذات النخيل المتنوعة، وفي وسط المدينة سوق بهيج.ينظر: أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي، ج 1، تح وتق سعيد الفاضلي و د. سليمان القرشي، ط.1، دار السويدي للنشر والتوزيع،الامارات العربية المتحدة، 2006 ص115.وكذا: غصن البان في تاريخ ورجلان، ابراهيم بن صالح بابا حمو أعزام، د. وتح، إبراهيم بن بكير بحاز وسليمان بن محمد بومعقل، ط.1، دار العالمية، غرداية، الجزائر، 2013، ص95-97. وكذا: عبد القادر موهوبي السائحي الإدريسي الحسني، ومضات تاريخية واجتماعية لمدن وادي ميزاب وورقلة والطيبات والعلية والحجيرة، دار البصائر للنشر والتوزيع،2011، ص 196.

توجد به الكثير من الضايات وجزء من الوادي يجاور بريان، ويعتبر من أهم الأودية جريانًا[1] .

3-وادي ميزاب: تتراوح مساحة حوض وادي ميزاب 5000 كلم^2 ، يجري على مسافة 320 كلم يتجه ناحية الشمال الغربي نحو الجنوب الشرقي يصل ارتفاعه 500م، يمتد حوضه على مسافة 18 كلم طولاً وكيلومترين عرضًا[2]، يصل في حالة الفيضان إلى سبخة سفيون شمال ورقلة له رافدان مهمان؛ وهما وادي الأبيض ووادي توزوز ويضم أيضًا وادي انتيسه، الذي يقطع غابات بني يزقن ويسقيها ويتدفق على ميزاب من ضفته اليمنى[3]، ومن جهة الشرق تنسكب مياه وادي أزويل الذي يقطع غابات بنورة ويسقيها، تتكون هذه الأودية من رمال طينية ينتهي الوادي في سبخة الهيشة على بعد 16 كلم من انقوسة شمال ورقلة[4]، يطلق على هذا الوادي "وادي ميزاب" الذي خصص جزءًا منه كطريق مواصلات وكذا الأمر بالنسبة لرافديه أنتيسة وأزويل، وهو أحد الأسباب التي أدت بالإنسان إلى إنشاء غاباته وأجنته وتأسيس القرى كغرداية ومليكة، وبني يزقن، بنورة والعطف، فهذه الأخيرة تقع على بعد مسافة 9 كلم، وهي آخر المدن في الوادي[5] .

4-وادي الأبيض: ينحدر من الضايات العليا عند حدود الشبكة، ويصب في وادي ميزاب سمي بذلك لكثره زبده إذ تبتدأ جداوله الأولى إلى ما بعد ضاية لوصيف القريبة من مدينة السوقر؛ يحده شرقا وادي العديرة وحاسي الرمل، وغربًا سبسب بمتليلي[6].

1-Huguet, Les Conditions générales de la Vie au Mzab.la médecine et les Pratiques Médicales indigènes In : Bulletins et Mémoires de la Société D'Anthropologie de Paris, V° série, T. 4. 1903. P 221.

2-صالح بن عمر سماوي، المرجع السابق، ج2، ص 593.

3-Cherifi (B) ,Op.Cit.P 19.

4-Amat ,Op.Cit.P51-52.

5-Cherifi (B) ,Op.Cit.P19.

6-سليمان بومريقة ، تفاصيل الجواب عن تقاسيم مياه السيول بواد ميزاب، ص 14.

5-**وادي مسك:** يقع جنوب الشبكة[1] قرب متليلي، وتنتظم به أودية كثيرة مثل وادي سبسب، وله روافد عديدة منها واد محيقن كما تتفرع عنه أودية كالمنصورة، والجرجير وواد القاع، به آبار كثيرة[2] .

6-وادي متليلي: مساحة حوض متليلي 400 كلم^2، تحده واحات المدينة، يمر جنوب وادي ميزاب، يمتد على طول 214 كلم[3]، ينحدر من الضايات العليا للشبكة ويسقي واحة المدينة ويصب في سبخة ورقلة، ويتوجه شمال غرب وجنوب شرق ناحية منخفض القمسه (Ghemsa).

وكل هذه الأودية السالفة الذكر في أغلبها من شمال السهل تزود المنطقة بمياه الشرب أو السقي، حيث يتسرب جزء كبير منها في حالة الفيضان داخل تكوينات المكان وبذلك تتحول إلى مياه باطنية تظهر في شكل آبار ارتوازية[4] وتتوفر المنطقة على المياه الجوفية ولكنها بعيده نوعًا ما عن السطح؛ فعمق الآبار بالنسبة لسطح الأرض يتراوح ما بين 20 م و55م، ويبلغ سمك الطبقة السائلة ما بين 0 و17 م تتراوح درجة حرارة الماء ما بين°20 و °24؛ فهي لا تتأثر بالحرارة الخارجية [5]. يؤدي تساقط الأمطار في السنة إلى تغذية منسوب المياه بالمنطقة؛ لذلك بنوا السدود وحواجز المياه وحفروا الآبار التي يصل عددها حوالي ثلاثة آلاف (3000) بئر ويتراوح عمقها ما بين 25م و35م[6] .

2-الخصائص المناخية : يتميز مناخ وادي ميزاب كونه مناخ صحراوي، وذلك بتأثير موقعه الفلكي (العروض الدنيا) فضلاً عن شكل السطح وقاريته، وكذا عامل الارتفاع

1-Pomel (A), Races indigènes de l'Algérie, Typographie et Lithographie, Veuve dagorn,Oran,1871p 41.

2-Cherifi (B),Op.Cit.P 19.

3- Mercier (Ernest), la France dans le Sahara et au soudan, Ernest Leroux, Paris, 1889, P 21.

4- Amat,Op.Cit.P ,P 66.

5-صالح بن عمر سماوي، المرجع السابق، ج2، ص 593. وكذا:

Coyne,Op.Cit.P 5.

عن مستوى سطح البحر[1] فهو قاري جاف، ذو مدى حراري كبير فصليًا ويوميًا ففي فصل الشتاء يتميز بالبرودة القاسية وخصوصا في اللّيل حيث تتراوح ما بين 4° إلى غاية 0°، وتقارب في النّهار درجة حرارة ما بين 15° إلى 20°، أمَّا في فصل الصَّيف تتراوح الحرارة ما بين38° إلى50° درجة وليلاً فهو حار؛ إذ تسجل به حرارة 20° [2] وترتفع بشكل كبير خلال 20 يومًا[3] من شهر جويلية مع مدى حراري بين الليل والنهار يصل17.6°[4]. .

أ-التساقط: تساقط الأمطار بالمنطقة قليل جدًا، إذ يمتد الجفاف لعدة سنوات وتنضب الآبار جراء ذلك حتى لا يكاد الإنسان يجد الماء للشرب، وعادة ما يبدأ موسم التساقط من شهر أكتوبر إلى نهاية شهر فيفري، وتحدث العواصف الرعدية في فصل الخريف[5]، والأمطار التي تسقط شتاءً لا تمكن الوادي من السيلان[6]، وعادة ما يكون التساقط بشكل ملحوظ مرة في كل أربع سنوات في المتوسط ما بين شهر أفريل وسبتمبر، وكمية الأمطار المتساقطة لا تكاد تذكر، فعادة ما تتراوح هذه الكمية ما بين 4 و14 مم، وهي متذبذبة من النوع الإعصاري وخصوصًا في فصل الخريف والرّبيع حيث يبلغ معدل التّساقط 67 مم فقط، ومعدل ما يسقط من الأمطار خلال السنة يتراوح ما بين 50 و60 مم، ومع مرور سنوات الجفاف قد لا يسجل مستوى التّساقط إلا بنسبة ضعيفة تتراوح ما بين 20 و25 مم، ويمكن حصر الأيام الممطرة خلال السنة الكاملة بعشرة أيام[7]، فخلال عامي 1857م-1958م شهدت المنطقة تساقط

1-يتراوح ما بين (300 و800م) كما ذكره Amat و يحدده basset ما بين (500 إلى 560م).

2-Amat,Op.Cit.P 110-111.

3- Ibid. P 110.

4-يحيى بوراس، العمارة الدفاعية في منطقة وادي مزاب(نموذج قصر بني يزقن)، من القرن10هـ/16م إلى القرن13ه/19، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر،2001-2002، ص4.

5- Coyne,Op.Cit.P 5.

6-Amat,Op.Cit.P 117.

7- يحيى بوراس، المرجع السابق، ص 4.

الثلوج[1]، تأتي السحب في بعض الأحيان شمالية ناحية بريان، وأخرى جنوبية اتجاه متليلي[2] .

ب-الرياح: تتميز الرياح التي تهب على المنطقة كونها جافة ومتربة، عادة تأتي جنوبية شرقية فخلال، فصل الصّيف تهبّ الرياح جنوبية جنوبية شرقية، وتكون شهر أفريل جنوبية شرقية وشمالية غربية في شهر ماي وفي جوان شرقية، وفي جويلية جنوبية جنوبية شرقية، وجنوبية جنوبية شرقية في أوت وشرقية في سبتمبر، أمَّا الأيام دون رياح فهي كثيرة خلال شهري ماي وجوان، وفي الشّتاء تهب الرّياح من الشمال والشمال الغربي وعادة ما تكون الرياح الشمالية محملة بالرطوبة، وفي الصيف تهب الرياح جنوبية جنوبية غربية حارة تعرف باسم السيروكو (Siroco) لفترة طويلة[3] والرياح الجنوبية عمومًا حارة، ويسميها العرب بالسموم. وتخلف هذه الرياح عادة خسائر على السكان وعلى مزروعاتهم أثناء هبوبها؛ فهي رياح حارة لأن مصدر نشأتها داخل الأقاليم الإفريقية الحارة. أما الأكثر هبوبًا فهي شرقية شرقية شمالية شرقية، وأحيانًا يستمر هبوبها لأيام طويلة خلال شهر أوت، وتكون عنيفة مع ارتفاع في درجة الحرارة، فالرياح الشمالية والشرقية تضعف تخصيب النخيل، والرياح الجنوبية التي تهب في شهر أوت تلحق أضرارًا بالنخيل والتّمور في بعض الأحيان[4]؛ أما الأكثر هبوبًا على المنطقة فهي الرياح الشرقية الشمالية الشرقية[5]، وتهب أحيانا رياح شمالية وشمالية غربية باردة في فصل الشتاء، فإذا ما تغطت مرتفعات الأطلس

1-Henry Duveyrier, Coup D'œil Sur le Pays Des beni-m"zab et Sur Celui des Chaanba occidentaux, In: Revue Algérienne et colonial, T. 2, librairie de L. Hachette et cie 1860 ,Paris, P P127-128.

2-Huguet (J), Les Conditions Générales de la vie au Mzab, P 222.

3-Lasserre(M) Aperçu Météorologique, In : Expose de la Situation Générale des Territoires du sud de l'Algerie,1905, p164.

4-Coyne ,Op.Cit.P 5.

5-Amat ,Op.Cit.P 117-118.

بالثلوج ومرت عليها الرياح الشمالية فإنها تصل الشبكة جد قارسة[1]، أمَّا في فصل الربيع فتهب الرياح جنوبية غربية، وتكون محملة بالرمال وتهب بمعدل 20 يوما[2] .

ج-**الرطوبة:** يقدر معدل الرطوبة العام حوالي 24,4، ويختلف ارتفاعها وانخفاضها خلال أشهر السنة، فإذا أخذنا شهر أفريل فإنها تبلغ 28,1 % وترتفع في شهر ماي 37,5 % ، وتكون عند نسبة32,2 % في جوان، لتتدرج في الانخفاض خلال الأشهر الموالية، ففي جويلية تصل 11% ، وفي شهر أوت تصل إلى 14% وتصل إلى 22% في شهر سبتمبر[3] .

د-**حالة السماء:** غالبًا ما تكون السماء صافية، وما يلاحظ هو خلوها من السحب معظم الأوقات عدا بعض الأيام من أشهر السنة نهاية أوت وسبتمبر، مع هبوب العواصف الرملية التي تحل محل الأمطار[4] .

4-**الغطاء النباتي والحيوانات:** بما أن المنطقة شبه قاحلة فإنها تتميز بقلة غطائها النباتي، لذلك تنمو بها نباتات تلائم مناخها الصحراوي ومن أهمها:

-شجر البطم (Pistacia Atlantica): شجر صلب، وليس شوكي تنمو في الضايات بالصحراء الشمالية وضواحي الأغواط وشمال بريان، يزهر في شهر ماي وجوان تسمى ثماره بالقطم[5].

-الدرينEl-Drine: Aristida pungens نبات أوراقه طويلة ورقيقة، ويستعمل كنبات ينمو في المناطق الرملية بالصحراء، ويتواجد بكثرة شهر أفريل وماي، ويعتبر غذاءً مهم للإبل [6].

1-صالح بن عمر سماوي، المرجع السابق، ح2، ص 596.

2-يحيى بوراس، المرجع السابق، ص 4. وكذا:

-Wahl Maurice, L'Algérie, 4.E. Félix Alcan, Paris,1903, P P 19-20.

3-Amat,Op.Cit.PP 113-114.

4-Ibid , P P 115-116.

5-Coyne Andre , Une Ghazzia Dans Le Grand Sahara,Adolphe Jourdan,Alger,1881,P41.

6-Ibid.P16.

-العجرم: Anabasis Articulata :El Adjram[1]

-الرقيق Hélianthème :El-Reggige نبات له أوراق خضراء، ينمو غالباً حول الأودية ومنخفضاتها في التربة الرملية؛ يزهر في شهري ديسمبر وجانفي، وتتغذى عليه الإبل والأغنام [2].

-القضيم Espece De Gueule De Loup : El Guedem ينمو في التربة المحجرة وحول الأودية يزهر في شهر ماي وأفريل.

-الرمث Salsalea Ligneuse :El Remet ينمو بالحمادة والتربة المحجرة، يزهر في شهري نوفمبر وديسمبر.

-الشيح Armoise: El chih نبات معمر وطبي، يرتفع عن سطح الأرض بـ 25 سنتيمتر أوراقه بيضاء، ينمو في الأودية يزهر في أفريل وماي.

-العرفج Adpressum: El-Arfedj Ranthérium ينمو في المنخفضات وحول الأودية يزهر في أفريل وماي.

-العقه El-Agga: نبات معمر يرتفع حوالي 50 سنتيمتر، وينمو في التربة المالحة بالشبكة؛ يزهر في مارس وأفريل.

-الحرمل Le-Harmel : ينمو كثيرا في السهل، وحول الأودية يزهر في شهر ماي ومارس له زهور جميلة بيضاء؛ يستعمل كدواء لطرد بعض الحشرات الضارة[3].

-الحداق Hadak (Aizoon Canarieuce): ينمو في الصحراء الوسطى، والشمالية بعد حدوث الفيضانات، وهو نبات طبي.

-أم دريقه Ammodaucus leucotricas : نبات سنوي يرتفع على سطح الأرض 15 سنتيمتر، ينمو في التربة المخلوطة بالرمل قرب الأودية؛ يزهر في شهر أفريل.

1-Coyne,Le Mzab,P4.
2-Amat,Op.Cit,P78.
3-Ibid,P80.

-القزاح Guezah (Pituramthos Chloranthas): نبات معمر ينمو في الحمادة وحول الأودية، يزهر في شهر أفريل وماي.

-الطفس Buboniumgraveolestafs: ارتفاعه ما بين 30 و40 سنتيمتر له أزهار صفراء، ينمو في محيط الأودية وعلى عمق الأرض الصخرية والطينية والرملية.

-الكيدانKidan (Catananche Arenaria) : نبات بري سنوي، ينمو بعد سقوط الأمطار في المحيط الرملي وحول الأودية، يزهر خلال فترة الربيع تحديداً شهري مارس وأفريل.

-القرطوفة (Gartoufa) نبات سنوي له ذوق خاص ينمو في المنخفضات الرملية وعلى محيط الأودية، يزهر في مارس وماي[1].

-العلنده Alenda (Ephedra alata): نبات قوي وصلب، يرتفع إلى ثلاثة أو أربعة أمتار، ينمو في التربة الرملية وعلى محيط الأودية؛ يزهر في شهر فيفري ومارس[2] إضافة إلى مئات النباتات الصحراوية، وتنمو ببساتين المنطقة عدة نباتات عطرية وطبية.

-**التنوع الحيواني:** توجد بالمنطقة عدة حيوانات صحراوية من بينها:

الحيوانات المفترسة الفهد خصوصًا بجنوب الشبكة والمناطق المجاورة، الضّبع الذّئب، الثعلب، الفنك، القط البري، الكلاب، الأرنب البري، الجربوع، الجرد، ونجد أيضًا الجمل، المعز، الخروف، الحصان بأعداد قليلة، الحمار والبغل وبعض الطيور الجارحة والزواحف منها الضارة والغير ضارة، كالضب، وسمك الرمل(يطلق عليه سكان المنطقة اسم الزلقاق، الشرشمان) بالإضافة إلى عدد مهم من الحشرات ومنها الضارة وعلى رأسها نجد الأفاعي، والعقارب، والخنافيس وغيرها.

1-Chahma(Ahdelmadjid),Catalogue des Plantes Spontanées du Sahara Septentrional Algérien,Universite Kasdi Merbah ,Ouargla ,2006 PP 8-38.

2-Amat, Op.C-it .P P 76-90. Et: Coyne, le Mzab,P 4.

ب- البعد الحضاري وتأسيس المدن:

1-أصل التسمية: لقد أطلق المؤرخون على وادي ميزاب عدّة تسميات، يقول قُطب الأئمة الشيخ الحاج محمد بن يوسف اطفيش في رسالته: "...بني ميزاب أصحاب الميزاب فهو اسم تأهل له كل اباضي وهبي من أهل الدعوة ولو من عمان وذلك أنهم كلهم يقفون في الطواف اتجاه ميزاب الكعبة للدعاء ولا يقف في ذلك سواهم من أهل المذاهب أو لأن أبو بلال مرداس ابن جدير[1] دخل الحجر الحطيم في ليلة مقمرة صاحية يدعو أن يظهر الله دينه فقطرت عليه قطرة من ميزاب علامة لإجابة الدعاء ولا سحاب وذلك أنه كان تحت الميزاب يدعو الله راغبا لهفانا جاهرا أن يظهر الله ديانتنا فسمعه أهل الطواف فأمنوا على دعائه، ووجد أن الدعاء في تجاه الميزاب اعظم شهرة..."[2]. لفظ ميزاب هو اسم آلة وزوب الماء أي انحداره وانصبابه كالميزاب بمعني آلة الوزن، ويقال لها كذلك موزاب، بكسر الميم والسكون والكلمة مأخوذة من "وزب الماء يزب كوعد يعد أي سال وانحدر" [3] . والتسمية الحالية هي تحريف لكلمة مصعب أو مصاب، فميزاب ما هو إلا تسمية حديثة جدا أطلقت على الذين قدموا إلى هذه المنطقة من بني مصعب، وربما ميزاب نسبة إلى جبال زاب (الهضبة بالبربرية)[4] فأهل هذه القرى يسمون بني مصعب، لأن بعضهم من ولد مصعب

1-أبو بلال مرداس ابن حُدَير يعرف بمرداس بن أُدية تابعي، لازم الأمام جابر بن زيد وأخد عنه معارفه الأولى اشتهر بالعلم والورع، شارك في صفين فأتكر التحكيم، وكان من أهل النهروان، توّفي بأرض فارس. ينظر: مجموعة مؤلفين، معجم أعلام الإباضية من القرن 1 إلى14ه(قسم المغرب العربي) ج.4،المطبعة العربية، ط.1 غرداية،1999م،ص ص 860-862.

2-محمد بن يوسف اطفيش، الرسالة الشافية، مخطوط د. ت، ص ص 55- 56. نسخة بحوزتي، وكذا:
Lelong(M.H), Le Sahara aux Cent visages, édition Alsatia,Paris,1945,P28.

3-محمد بن يوسف اطفيش، المصدر السابق، ص 56.

4- بكير بن سعيد أوعوشت، وادي ميزاب في ظل الحضارة الإسلامية، المطبعة العربية، غرداية،1991، ص 65.

ويسمون أهل اغلان كأنه من وغلانة قرية من اعمال تونس ولعل بعضا جاء منها[1].

يصفها حسن الوزان قائلاً:" مزاب منطقة مأهولة في قفار نوميديا على بُعد نحو ثلاثمائة ميل شرق تيكوران تشتمل على ستة قصور وعدة قرى، سكانها أغنياء..."[2]

يضم وادي ميزاب خمسة مدن هي: غرداية، مليكة، بني يزقن، العطف، بونورة إضافة إلى مدينتين خارج نطاقه، وهما القرارة وبريان[3].

2-تأسيس المدن: لا يختلف اثنان على كثرة البقايا الأثرية المتنوعة الموجودة في منطقة بني ميزاب، فترى بعضها مندثرة والأخرى قائمة، ومما نجده من بقايا السكان الذين استقروا بالوادي مقابرهم، كما نشاهد بعض بقايا الأسوار لقرى قديمة والأبراج المقامة في أماكن معينة؛ في المرتفعات وقمم التلال وفي منحدراتها وداخل البساتين[4] ولعل أهم هذه الآثار المندثرة هي:

أ-القرى المندثرة: توجد بمنطقه وادي ميزاب خمسة قرى عامرة، إضافة إلى قريتين بعيدتين نسبيًا على المنطقة، وهما بريان والقرارة، محاطة ببعض القرى والمداشر [5] التي لم تبق منها إلا شواهد قليلة، كالأسوار، المقامات، والأضرحة وكانت عامرة وحية قبل تأسيس القرى الحالية. أنشئت هذه القرى على تلال منخفضة أو في سفوح الجبال؛ فقد كان بعض سكانها يبنون الخيام مثلما يذهب إليه الشيخ إبراهيم مطياز: "...فمنهم من يسكن الخيام وهم رحل ومنهم من يضرب القياطين ومنهم من يسكن الغيران بالجبال وبسفوحها..."[6]، وبالرغم من اندثار هذه القرى إلا أن بعض أسماء معالمها مازالت محفوظة في ذاكرة سكان المنطقة نذكر منها:

1-محمد بن يوسف اطفيش، المصدر السابق، ص56

2-الحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف افريقيا، تر. محمد حجي ومحمد الاخضر، ط.2، دار الغرب الإسلامي بيروت، 1983، ص ص 134-135.

3 - Hull (E.M) ,Camping in the Sahara ,Dodd, Mead And company, New York,1927P55.

4-يحي بوراس، المرجع السابق، ص ص 109-110.

5-محمد بن يوسف اطفيش، المصدر السابق، ص ص18-19.

6-إبراهيم مطياز، المصدر السابق، ص ص 6-7.

-**قصر تلزضيت:** ويعني قصر الصوفة، أول قصور ميزاب يقع بالقرب من سد العطف تأسس سنة 95 هـ/ 710 م، عاصر هذا القصر" قصر أوخيرة"[1] .

-**اغرام نولاوال:** يقع فوق ربوة مرتفعة اتجاه الواحات"أولاوال"غربا و"احباس نتلولات"شرقًا و"الشعبت" شمالاً [2]، وهو أقرب إلى العطف من تلزضيت.

-**قصر أوخيرة :** أو ما يعرف باسم لالة خيرة يقع شرق العطف، وكان عامراً بالسكان ويبعد عن السابق بكيلومترين، بني على أعلى جبلها.

-**قصر الاحنش:** يقع قرب بونورة من الجنوب الشرقي لها، على يسار الذاهب للعطف[3] وخرب في نفس الفترة التي خرب فيها القصران السابقان.

-**قصر اغرام اوداي:** يقع في سفح جبل مليكة "ات مليشت"، على الغرب من وادي ميزاب في الناحية الشمالية الشرقية، يسمى "بالقصر السفلي".

-**قصر تافيلالت:** بني في منتصف الجبل تقريبا، وبعد أن عمرت القرية وتوسعت شبه بعمران تافيلالت المغرب التي أسموها قبل ذلك سجلماسة[4]، وكلمة افلال في لهجة قبيلة برابر المغرب الأقصى مذكر" تافيلالت" ومعناه قطعه من الجلد الأحمر[5].

-بوكياو: بني على جبل يشرف على أجنة بين يزڤن على يمين الذاهب إليها، وقد سكنها المعتزلة، وبعد مدة إنتقلوا منها [6] .

1-أيوب بن ابراهيم القرادي، رسالة في بعض اعراف وعادات وادي ميزاب، تق. تح. الحاج امحمد يحي، الطبعة الأولى، جمعية النهضة، العطف، الجزائر، 2009، ص22 .

2-صالح بن عمر سماوي، المرجع السابق، ص604.

3-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ص 12 .

4-محمد بن يوسف اطفيش، المصدر السابق، ص 19 .

5-Auguste (Mouliéras) , Les Beni-isguen (Mzab), Essai sur leur Dialecte et leurs Traditions populaires, Imprimerie fouque et le petit Fanal,Oran, 1895, P 42.

6-محمد بن يوسف اطفيش، المصدر السابق، ص 19.

-**قصر بابا السعد:** تأسس قصر بابا السعد على رأس الجبيل الغربي المطل على غردايـة وبني على القمة تفاديا للفيضانات المفاجئة، ولمراقبه الطرق البرية خصوصًا من جهة الجنوب[1] .

-**قصر المبرتخ:** ويعتبر من بين أقدم قصور وادي ميزاب، لم يبق من أثاره إلا القليل بني قبل 42 سنة من تأسيس مدينة القرارة[2] .

ب-القرى الحديثة: لقد تميزت منطقه وادي ميزاب بقسوة أرضها، وقساوة جوها وجفافها وارتفاع درجة حرارتها إلى ما فوق 50 درجة صيفاً وانخفاضها شتاءً إلى ما دون الصفر، وقلة التساقط بها الذي لا تحفظه صفحتها الرملية وتمتصه، فراحت تنمو المدن في وادي ميزاب وتتطور تدريجيا ما بين سنة 1012 م إلى 1689م على أنقاض قرى ومداشر، سبقتها إلى الوجود بزمن لا نعرف على وجه التحديد والدقة مداها، ونذكر من أهمها:

-**العطف:** أو تجنينت وهي أقدم قصور وادي ميزاب[3]، يذكر الشيخ اطفيش في شأن اسمها وتاريخها: "...واما اهل العطف فقرية سميت لانعطافها جانب الوادي لا يراها من يسير في الوادي إلى جهة القبلة من بعيد حتى يصل موضعا مخصوصا مائلا فيراها وسميت باسم هو مصدر في الاصل العطفاء كالحمراء ثم تُونُسِيَ هذا الاسم وهو وصف إلا انهم يقولون في النسب عطفاوي وهو إلى العطفاء وأما لفظ العطف قياس النسب اليه عطفي..." ويقول أيضًا: "... واهل العقل كانوا في قرية تسمى اغرام انتلزضيت ومعناه قرية الصوفة وقرية اهل العطف هي بلد سليمان بن عبد الجبار المعتزلي..."[4].

1-Amat,Op.Cit. P 45.

2-Huguet(J), Les Villes mortes Du Mzab, In : Bulletins et Mémoires de la Société D'anthropologie de Paris, V° série, T. 4.1903 P .584.

3-Emil (Masqueray), Formation Des Cités Chez les Populations Sédentaires De l'Algérie (kabyles, du Djudjura, chaouia de l'aouras, Beni Mezab) Ernest Leroux, Paris, 1886, P 209 .

4-محمد بن يوسف اطفيش، المصدر السابق، ص 23.

أمَّا اللفظ القريب لكلمة تجنينت والموزون معها هو"تقنينت"، وتعني إناء متفاوت الحجم مصنوع من ألياف عرجون النخيل ولفها بسعفه[1]. وهناك من يذهب إلى أنها تعني المكان المنخفض[2] ، وتاجنينت هي إسم للجنينة أي الحديقة الصغيرة [3]، تتفق أغلب المصادر والمراجع أن تاريخ تأسيسها كان سنة 1012م، وتقع بين خطي عرض °32 - °28 - °28 شمال خط الاستواء °65 - °36 - °1 شرق خط الزوال[4] تتميز بأجنتها الواسعة وآبارها[5] .

-**بنورة** :"ات بنور" سميت باسم نورة وهي المغرة في عرف البعض أو هي الجير ويحتمل وجهًا آخرًا وهو أن أهلها كالمغرة [6]، فيما يذهب الشيخ أيوب بن قاسم العطفاوي إلى القول:" انه سمي على امرأة التي تبيع النورة "[7]، ويقال أنها تعني نور تقع في خط عرض(32° - 28° - 32°) شمال خط الاستواء (28 - 35° -1°) شرق خط الزوال توجد على ارتفاع1800 م شمال بني يزڤن على الضفة اليسرى للوادي تأسست حوالي 436 هـ/ 1046م، بها ثلاثة أبواب هي: باب الصور، وباب بني يزڤن، وباب مليكة[8].

-**مليكة:** "ات مليشت" قرية على جبيل، وكانوا سكانها عند أسفل المسجد الذي يقع على الواد فوق البنيان المعد لمعمل الفخار، ثم انتقلوا حيث هم الان، سميت باسم إمرأة تسمى مليكة[9]، تقع في خط عرض(°30-°28-32°) شمال خط الاستواء، وخط

1-صالح بن عمر سماوي، المرجع السابق، ص 612.

2-بكير بن سعيد أوعوشت، المرجع السابق، ص 46.

3-أيوب بن إبراهيم القرادي، المرجع السابق، ص 28.

4- Amat, Op.Cit. P 48.

5- Coyne, Le Mzab.P 16.

6-محمد بن يوسف اطفيش، المصدر السابق، ص 22.

7-قاسم بن ايوب العطفاوي، رسالة مغنية، نقلت من خط بايوب بن قاسم، نسخة مصورة بحوزتي، ص 7.

8-Daumas(Eugéne),Le Sahara Algérien ,études géographiques, Statistiques et Historiques Sur la Région Au Sud, langois et leclercq ,Paris ,1845 P 63.

9-محمد بن يوسف اطفيش، المصدر السابق، ص 21.

طـول (°52-°34-°1) شـرقًا[1] ، بنيـت علـى قمـه مرتفـع جبلـي شـرق مدينـة غردايـة، يمـر وادي ميـزاب غربهـا. ويقـال إن إسـمها الأصـلي هـو اتمليشـت نسـبة إلـى ملـيكش أحـد زعمـاء بنـي زناتـة الأمازيغيـة [2]، يعـود تـاريخ تأسيسـها إلـي سـنة 750هـ/1349م[3]؛ بهـا ثلاثـة أبـواب وهـي: بـاب العرقـوب Bab el-A'rgoub وبـاب الأطـرش Bab el-atrach وباب الحميدو Bab el- hamidou[4] .

-**غردايـــة:** أو تغردايـت وهـي قاعـدة هـذه القصـور، اختلفـت الروايـات حـول تسـميتها سـميت باسـم الغـار وهـو كهـف فـي الجبـل واسـم امـرأة نزلـت بـه، وهـو معـروف إلـى الآن فـي أعلـى الجبيـل الـذي بنيـت عليـه هـذه القريـة، ويقـال دايـة اسـم الغـراب ويقـال ابـن دايـة ولعـل غرابـا ينـزل فيـه؛ ويتكـون الاسـم مـن كلمتـين غـار (Rare) ودايـة (Daia) [5]، تعـددت الكتابـات التاريخيـة حـول جدليـة مـن سـكن المدينـة فـي الأول، ومنهـا مـا يـذكره الشـيخ اطفـيش :"وأول مـن سـكنها الشـيخ بابـا والجمـه ومعـه راعيـه ثـم الشـيخ عيسـى بـن علـوان مـن الغـرب ثـم جـد أولاد يـونس مـن نفوسـة وتـزوج ابنـة الشـيخ بابـا والجمـه وهـؤلاء الاربعـة هـم مـن أول مـن سـكنها"[6]، وبحسـب الـدكتور شـريفي إبـراهيم، معنـى غردايـة مشـتق مـن الكلمـة البربريـة ترداييـت tayordayt وكلمـة إيـرد Iyerd بالبربريـة؛ وتعنـي الكتـف وتقـع علـى تـل صـخري مـن الجانـب الأيمـن للـوادي[7]، وهـي أهـم المـدن المزابيـة[8] يقـدر ارتفـاع

1-Amat, Op.Cit.P 46-47.

2-بكير بن سعيد أعوشت، ميزاب يتكلم تاريخيا وعقائديا واجتماعيا، المطبعة العربية، غرداية،1993، ص47.

3-وثيقة عقد الصلح بين الإباضية والمالكية في 2 صفر 1185هـ، نسخة بحوزتي. ينظر: الملحق رقم04، ص498.

4-Daumas, Op.Cit. P 63.

5-Aucapitaine (Baron.Henri), les Beni Mzab,In : Annales des voyages,Paris,1867,T.II ,P 188 .

6-محمد بن يوسف اطفيش، المصدر السابق، ص 40.

7-Cherifi, Op.Cit. P 127.

8-الحاج بن الدين الأغواطي، رحلة الأغواطي، تر. وتح. أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ط. خ، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص 254. وكذا:

Jean (Hess), L'extrême Sud Algérien et le Touat In : Analyse de Géographie T.6 N° 26 1897, P 157.

هذه الربوة بـ(519 م و560 م)[1] وتقع في خط عرض(°36-°28 -°32) شمال شرق خط الزوال(°54-°33-°1)[2] ؛ يعود تاريخ تأسيسها إلى سنة 1048م، حسب أغلب المخطوطات المحلية. توجد بها عشرة أبواب: باب البراشية، وباب سالم وعيسى وباب الريحي، وباب الجديد، وباب ولاد نايل، وباب المراره، وباب الخرجة، وباب الحوشة[3]؛ وبها ثلاثة أحياء: حي خاص بالأهالي من الإباضين وهو وسط المدينة وحي يقع جنوب شرق المدينة يسكنه المذابيح، وحي آخر للشرق يسكنه اليهود؛ وهو معزول عن باقي الأحياء بسوره.

-**بني يزڤن:** تقع أعلى مرتفع على يمين الذاهب إلى وادي ميزاب، الذي يمر على شمالها الشرقي[4] ومبدأ هذه القرية بعد الانتقال إليها من تلك المواضع شيئا فشيئا وهي امتداد لقرية قديمة تعتبر نواتها، وهي" تافيلالت" تقع خط عرض (12°.28°.32°) شمال خط الاستواء و(48°.4°.1°) شرق خط الزوال، بنيت على بعد 2 كلم جنوب شرق مليكة[5]، و تبعد عن غرداية بمسافة تقدر بـ 2000 م إلى الشمال الغربي[6]، تقع جنوب بنورة على بعد600 م؛ وهي أقل مساحة من غرداية، بها ثلاثة أبواب وهي: باب انتيسا، باب الغربي، باب القبلي[7].

1-Amat,Op.Cit.P 45.
2-Ibid, P 45.
3-Daumas,Op.Cit.P 59.
4-Ibid , P 63.
5-Amat ,Op.Cit.P 47.
6-يحيى بوراس، المرجع السابق، ص 10.
7-Daumas,Op.Cit.P 64.

تختلف الروايات في تاريخ تأسيسها، فنجد لها تاريخ سنة 1321م والذي كان على يد الشيخ بامحمد[1]، ونجد سنة 748هـ/1347م [2] والمتفق عليه هو 750هـ/1349م[3] .

-**القرارة:** تقع شرق منطقة وادي ميزاب جوف هضبة ممتدة السفح وتسمى كدية العقارب[4]، وهي على بعد 90 كلم شمال شرق غرداية[5]، على واد زقرير وشمال شرق العطف[6]، تقع في خط عرض (26°. 4°. 32°) شمالاً وشرق خط الطول(52°. 10°. 2°). تأسست المدينة عام 1040هـ / 1631م من طرف أولاد باخة الذين استقروا في أول الأمر عند المكان المسمى" كدية العقارب"، الذي كان النواة الأولى لمدينة القرارة[7]، وبها خمسة أبواب؛ منها ثلاثة رئيسية وهي: الباب الشرقي، الباب الغربي باب موادور، باب الرحى، وباب خرجة السوق، باب خرجة الظهراوية[8].

-**بريان:** سمي بريان لأنه بر ريان؛ أي بير غير عطشان بمعنى كثير الماء ، ويقال أصله بير ريان لأن فيه بيرا معروفة لرجل حفرها يسمى ريان[9]، وفيما يخص مدلول لفظها يقول البعض أنه اسم لكبير قبيلة أولاد يعقوب وهو أول من إستوطنها[10] ويقال

1-David (Louis), Mechaikh du m'zab, Centre Culturel et de Documentaion Saharienne(C.C.D.S),Ghardaïa,S.D, PP 1-2.

كتب القس بيار لويس دافيد مع ثلاثينيات وأربعينيات القرن العشرين الميلادي الكثير من المواضيع عن المنطقة من بينها ' شيوخ ميزاب ' وهي عبارة عن محاضرة مرقونة حول أخبار وادي ميزاب باليوم والسنة، نسخة بحوزتي.

2-Huguet (J), Le Pays De m'zab,In :Bulletins et Mémoires de la Société D'anthropologie de Paris, P 181.

3-Aucapitaine (H),Op.Cit.P 149.

4-إبراهيم مطياز، المصدر السابق، ص 17.

5-Huguet (J) les Premières Origines de Guerara, In : Comptes rendus des Séances de l'Académie des inscriptions et belles -lettres, 42 eme année, N4, 1898. P527.

6-Coyne,Op.Cit.P 7.

7-Amat, Op.Cit.P 49.

8-Ibid , P50.

9-محمد بن يوسف اطفيش، المصدر السابق، ص 32.

10-يوسف بن بكير أوعوشت، وادي ميزاب في ظل الحضارة الإسلامية، ص 70.

أنها منسوبة لكلمة أت إبرقان(لفظة بربرية معناها خيمة)[1]، بنيت على جبيل منقطع يخترق وادي السودان مع وادي بالوح[2]Oued-Bellouh، ووادي الزرقي Oued-Zergui، ووادي المداغOued-Madagh، يعود تاريخ تأسيسها إلى سنة 1060هـ /1650م[3]، بينما يؤخر Amat تاريخ تأسيسها إلى عام1101هـ/ 1679م[4]، تقع شمال شرق غرداية على بعد 45 كلم[5] ، وهي أول قصور و الواحات التي يجدها القادم من الشمال إلى غرداية[6] وشمال الذاهب إلى الأغواط[7]، تمتاز عن سائر قرى مزاب بأمرين هما؛ نسيجها الممتاز ذو اللون الأبيض وفلاحتها، وقد ساعدها موقعها الطبيعي الخصب في إنتاجها الفلاحي نظرًا لوجود أودية كثيرة بها كوادي بالوح والسودان، والزرقي، والمداغ[8]. وترتبط المدينة بطريق مباشر إلى القرارة من ناحية الشرق، ما ساعدها على إزدهار تجارتها وخصوصاً في حركة رؤوس المواشي؛ نتيجة قربها بين غرداية والأطلس الصحراوي[9] ، توجد بها أربعة شوارع رئيسة هي: الشارع التحتاني، الشارع الوسطاني، والشارع الفوقاني.

-**ضاية بن ضحوة** : تبعد حوالي 10 كلم شمال غرب غرداية، تأسس قصر ضاية بن ضحوة سنة 995 هـ- 1587م[10]، وتمتاز بأجنتها الجميلة ومياهها العذبة، سكنها

1-عبد الرحمان البكري ، فتاوى، ج 1، ط1، المطبعة العربية، غرداية، 2003، ص 158.

2- Amat, Op.Cit , P P 48- 53.

3-Mounia (Chekhab) Patrimoine Archéologique Dans le Sud Algérienne exemple de L'architecture Domestique dans la valle de m'zab, Master 1, Université de Paris I, 2005-2006, P 20 .

4-Amat , Op.Cit.P 49.

5-Cherifi (B), Op.Cit.P 137.

6- Amat, Op.Cit.P 38

7-Huguet (J) Les Conditions générales de la Vie au Mzab.P221.

8-يوسف بن بكير الحاج سعيد المرجع السابق، ط.2 ، ص -ص 78 79 . وكذا :Amat, Op.Cit.P P 48- 53

9-صالح بن عمر سماوي، المرجع السابق، ص 618.

10-Amat , Op.Cit.P 46.

أغلب المذابيح[1] بعد أن أجبرتهم فرنسا سنة1868م على مغادرة غرداية، والسكن شمالها وترك أملاكهم بها بعد عام 1868م[2].

ما يميز قصور وادي ميزاب هو أنها بنيت بالتدرج على ربوة صخرية جعلت الحياة صالحة فوقها رغم قساوة المناخ، وهذا ما ينطبق على القرى المندثرة التي شكل عمرانها وهندستها الفن المعماري الإسلامي بالوادي، موضوعاً يحتاج إلى بحث وتحليل المختصين للوقوف على الأسرار الحقيقية لهذا التحدي البشري لظروف المكان، وعلى الدوافع التنظيمية والاجتماعية المرتبطة بهما لأجل البقاء والاستمرار فأغلب القصور شيدت على على تلال متوسطة لأغراض دفاعية وزراعية وتجارية.

ج-البعد التاريخي:

1-**وادي ميزاب خلال الفترة العثمانية:** تشير المصادر التاريخية إلى الدور الذي قدمه الميزابيون بمساعدة العثمانيين منذ حلولهم بمدن شمال إفريقيا خصوصًا، وعند حكامها فيما بعد[3]، وبحكم تجارة بني ميزاب المستمرة إلى مدن التل فقد اعترفت قصورهم – مدنهم السبع– منذ انتصاب الأتراك بالجزائر بالتبعية الإسمية للديوان[4]، مقابل دفع ضريبة سنوية تتمثل في اثني عشرة عبداً واثني عشرة أمة نقدًا[5]، وكانوا يجددون الولاء للإيالة العثمانية، فحين قدم محمد الكبير باي وهران إلى الأغواط سنة 1785 م

1-إبراهيم مطياز، المصدر السابق، ص 17 .

2-Daniel Moulias,L'organisation Hydraulique Des Oasis Saharienne,Imp. Ancienne Maison Bastide-jourdans,Alger,1927,P210.

3-Auguste Mouliéras, Op.Cit.P .PP71-72.

4-حمو محمد عيسى النوري، نبدة من حياة الميزاليين الدينية والسياسية والعلمية من سنة 1505إلى1962م دار الكراون، باريس،1984، ص 226.

5-يوسف بن بكير الحاج سعيد، تاريخ بني مزاب، دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، ط 4، المطبعة العربية غرداية، 2016، ص 77.

قدم وفدهم إليه وجددوا له الولاء[1]، وفي حكم صالح باي سنة 1792م[2] فالعلاقة بين الميزابين والولاية العثمانية المركزية بالجزائر لم يعتريها التوتر والقلق عدا بعض الخلافات التي كانت تحدث بينهم وبين جباة الضرائب أو عمالها على الأقاليم المجاورة للوادي[3]، ولكنها سرعان ما تُسَوّى ويُوثق التبادل بالإخاء، هذه العلاقة لا نكاد نجد ذكراً لها مفصلاً لها خلال الثلاثين سنة قبل الاحتلال الفرنسي، كيف كانت؟ وهل كانت أحسن من ذي قبل؟ وما هو المميز فيها؟ المتفق عليه من طرف الكتابات التاريخية هو بقاء العلاقة المخلصة بينهما. وأثناء الإحتلال الفرنسي استماتوا في الدفاع عن المحروسة، وجندوا حوالي أربعة آلاف محارب، رغم أننا نراه عدداً مبالغاً فيه وغير مفصل فيه، وماهو عدد المدافعين من كل مدينة؟ وهل ضم عدد المدافعين المقيمن في العاصمة والمدن الشمالية؟ كما أن عدد سكان المنطقة إلى بداية الاحتلال لم يكن محدداً، ولما تم احتلال العاصمة عادوا إلى ما كانوا عليه من العزلة إلى أن تم احتلال الأغواط ولَوَحَتْ باحتلال المنطقة، ما وضعهم أمام وضعٍ واقعي جديد وكان أحد الأسباب التي دفعتهم لعقد الاتفاقية.

1-أحمد بن هطال التلمساني، رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري، تح وتق: محمد بن عبد الكريم، عالم الكتب، القاهرة، 1969، ص ص 36-37.

2-صالح باي: ولد صالح باي في مدينة ازمير بتركيا عام 1793م، التحق بفرقة الانكشارية والتحق بمدينة قسنطينة وأظهر قدراته العسكرية شارك في عدة حملات عسكرية أثار إعجاب أحمد القلي الذي زوجه ابنته تولى عدة مناصب إلى أن أصبح بايا على بايلك قسنطينة من 1771 إلى 1792م، أنجز عدة أعمال في المجالات العسكرية والاجتماعية والعمرانية والثقافية ، عزله الداي حسن باشا شهر اوت 1792 وعوض بإبراهيم باي بوصبع لكن صالح باي قتله ما أجبر الباشا على بعث الباي حسين حسن الذي قتله بعد مدة قصيرة ينظر: محمد الصالح بن العنتري فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانهم أو تاريخ قسنطينة ،مراجعة وتق. و تع. يحي بوعزيز ط.2، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع،2007، الجزائر، ص ص 75-79.

3 -أوجين فايست، تاريخ بايات قسنطينة في العهد التركي 1792-1873، تر. صالح نور، تق. عبد الرحمان شيبان، ط.1 دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر2010، ص ص 43-46.

2-**منطقة وادي ميزاب خلال الفترة الإستعمارية:** لقد تأثر الجنوب الجزائري خلال الأربعينيات من ق.19م بالأحداث التي جرت في الشمال[1]، ومع نهاية هذا العقد بدأت تسقط بعض المدن الجنوبية؛ صاحبها اضطراب للأوضاع العامة في البعض الآخر، وبقي الاتصال بوادي ميزاب خارج الاهتمام الفرنسي التي لم يحن وقته، أين ظلت السلطة فيه للعزابة وكانت تفضل الحياد، ولكنها في كثير من الأحيان كانت تمقت أخبار التوسع الفرنسي نحوها[2]، إلى أن ربطتها فرنسا بما يعرف بـ :

أ-معاهدة الحماية بين فرنسا و وادي ميزاب: بعد احتلال الأغواط في 4 ديسمبر 1852-21 صفر 1269هـ أصدر الوالي العام راندون[3] Randon في 22 جويلية 1853م، قراراً ينص على تأسيس دائرة الأغواط بصفة دائمة ، وتعيين

1-أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية (1900-1830) ج1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط. 1 1992، ص354.

2-نفسه ص 358.

3-هو الكونت جون لويس سيزار الكسندر راندون Jean louis césar Alexander Randon. comte هو الحاكم العام للجزائر منذ 11ديسمبر 1851إلى1858م، جاء بأوامر لمهاجمة الثورة في جرجرة ؛ باعتبار أن إحتلال الجزائر لا يتم إلا باحتلال جرجرة ثم الصحراء. ينظر: عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، دار الغرب الإسلامي، ط.1 بيروت،1997، ص574.

دوبـاراي[1] Barail Du قائـداً أعلـى لـدائرة الأغـواط[2]، ويمكننـا هنـا تبيـان بعـض الظروف والعوامل التي أُحِيطت بالمعاهدة وكانت أسباباً لإبرامها:

بعـد احـتلال الأغـواط[3] تخـوف الأهـالي بميـزاب أن يحصـل لهـم مثلمـا حصـل لسـكان الأغـواط، والحـال أن بعـض العـائلات الميزابيـة شـاركت فـي المقاومـة بالشـمال وسـاندت بعـض المقاومـات الشـعبية؛ كمقاومـة الناصـر بـن شـهرة والشـريف محمـد بـن عبـد الله وخاصـة الشـعانبة والمـذابيح[4]، يقـول عـن ذلـك الشـيخ حمـو عيسـى النـوري :" ... لمـا احتلـت القـوات الفرنسـية مدينـة الأغـواط شـعر الميزابيـون بقلـق شـديد وسـاورتهم الحيـرة وتـوقعوا سـورة الانتقـام مـن فرنـسا وقـد كـانوا يقاومونهـا بالشـمال أينمـا حلـت..."[5]، هـذه

1-دو بـاراي فرنسـوا شـارل: جنـرال فرنسـي ولـد فـي فرسـاي عـام 1820 م فـي سـن التاسـع عشـر التحـق بجـيش المشـاة بـوهران خـاض عـدة معـارك فـي الغـرب الجزائـري، تقلـد عـدة رتـب العسـكرية تمـت ترقيتـه إلـى قائـد فرقـة سـنة 1853م تـولى القيـادة العليـا لـدائرة الأغـواط، وفـي عـام 1873م أصـبح وزيـر للحـرب عـين الرائـد دي بـاراي كـأول قائـد علـى رأس القطـاع العسـكري بـالأغواط فـي مـارس1855م المكـون مـن ملحـق للمكتـب العربـي التـابع للمديـة، حـاكم الأغـواط مـابين سـنتي 1852و1855 م، شـمل القطـاع قصـور الأغـواط، وعـين ماضـي وتـاجموت، وقصـر الحيـران، وبعـض القبائـل المحيطة كالمخاليف والارباع وأولاد نايل ووادي ميزاب.ينظر:

Odette petit, Laghouat essai d'histoire sociale,ed,Collège de France,Paris, 1976,PP20-21. Et

Faucon Narcisse, Livre D'or De l'Algérie T.1, Challamen, Paris, 1889,PP 33-34.

2-رضـوان شـافو، الجنـوب الشـرقي خـلال العهـد الإسـتعماري ورقلـة نموذجـا، 1844-1962، رسـالة دكتـوراه، جامعـة الجزائر 2 2011، ص 27.

3-الأغـواط: واحـة بالصـحراء، وهـي بلـدة كبيـرة محاطـة بسـور وحولهـا تحصـينات، ولهـا أربعـة أبـواب وأربعـة مسـاجد ولغـة سـكانها هـي العربيـة، وتنـتج الفواكـه بكثـرة، ويقسـم وادي امـزي الأغـواط إلـى شـطرين وهـو يجـري وسـطها، ويعتبـر مـن الأوديـة الحيويـة، باللإضـافة إلـى واد مسـاعد وواد جـدي وواد الحمـار...الخ، وقـد بنيـت بلـدة الأغـواط مـن الطـين غيـر أن بعـض المنـازل مبنيـة بـالحجر والمـلاط، والتجـارة فيهـا رائجـة. وتعـد أولـى واحـات الصـحراء الجزائريـة. ينظـر: الحاج بن الدين الأغواطي، المصدر السابق، ص ص87-88. وكذا:

Lehuraux (Léon) Le Sahara Ses Oasis, édition Baconnier, Alger ,1934,P93.

Et.Mangin(E),Notes sur L'histoire de Laghouat , In:R.F,37 année,Adolphe Jourdan,Alger,1893.PP358-360-361.

4-De Sonis Louis Gaston (lieutenant colonele) (Subdivision de Médéa- Cercle de Laghouat, Affaires Arabes, N° 254, 5 février 1866, P 1.

5-حمو محمد عيسى النوري، المرجع السابق، ص 271.

المساندة أكدها أوغيستان برنر Augustin-Bernard ولاكروا N.Lacroix وفق ما صرح به المارشال راندون قائلا: "بعد أيام من احتلال الأغواط النهائي في 4 ديسمبر 1852 م خاف سكان ميزاب من انتقامنا بسبب استضافتهم لسلطان ورقلة الشريف محمد بن عبد الله قرروا الدخول في مفاوضات معنا..."[1]، فيما يصف شارل أمات المعاهدة بالاستسلام الذي ضلت تنعت به[2].

إختلفت آراء المؤرخين في تحديد الأسباب الحقيقية التي أدت إلى عقد الاتفاقية ففريق يرى أن سكان وادي ميزاب هم من بادر بذلك، لأنهم كانوا يدفعون قبل المعاهدة ضريبة لقبائل الأرباع وأولاد نايل، وسعيد عتبة، وغيرهم مقابل حماية قوافلهم الذاهبة والقادمة من المناطق التلية[3]، وبعد خمسة عشر سنة من السيطرة على مدن الشمال أصبح الجنوب مسرحاً للكثير من المقاومات، كان لابد على فرنسا أن تقوم بغلق أجزاء استراتيجية منه لمنع الثوار من اتخادها مراكز لنشاطاتهم وللتزود، ولتهدئة باقي المدن الأخرى، فكان لازماً ضمان وادي ميزاب إلى جانبها دون حرب وابرام اتفاقية معه وفي خضم ذلك تخوف الميزابيون من انتقام فرنسا نظير مساعدتهم للمقاوم الشيخ محمد بن عبد الله؛ الذي أوى إلى القرارة صيف 1852[4] وأمدته بالرجال والمؤنة وقبل ذلك شاركوا في بعض المقاومات بمناطق الشمال؛ في العاصمة وسطاوالي وبوفاريك والبليدة والتيطري، وهران، وقسنطينة[5]؛ وقد أدركت فرنسا مدى مقاومة الميزابيين لجنرالاتها عند أسوار قسنطينة وضراوة قتالهم، فعزموا على الدخول معها في مفاوضات[6]، لتجنب عواقب غير معروفة.

1-Augustin Bernard et N.lacroix la Pénétration Saharienne (1830-1900), Imp .Algérienne, 1900, P 20.
2-Amat, Op.Cit.P 20.

3 -Robin,Op.Cit,P34.

4-محمد بن سليمان شتيوي، تاريخنا على بدع القرارة، مخطوط بحوزتي، د.ت، ص 321.

5-حمو محمد عيسى النوري، المرجع السابق، ص 271.

6- Robin,Op.Cit. P 20.

تعد منطقة ميزاب مستودعًا كبيرًا لتجارة الحبوب ومركزًا هامًا للتجارة بين إفريقيا السوداء وموانئ البحر الأبيض المتوسط بواسطة القوافل، التي كانت تحميها القبائل العربية وبعد إحتلال الأغواط طلب بنو ميزاب الأمان من الفرنسيين، فانتهزوا الفرصة بفرض نظام خاص عليهم دون صعوبة[1]، وذلك بعد الرسالة التي وجهها أهل بريان إلى الجنرال بيليسيه Pellissier [2] لهذا الغرض، فيما يذهب جون ميليا Joan melia إلى أن الشقاق الحاصل بالمنطقة فيما يعرف الصفين[3] (الشرقي والغربي)، إذ طلب الصف الشرقي الذي كان يرى نفسه ضعيفًا مساعدة ومساندة فرنسا لتمكينه من السيطرة على غرداية وباقي القرى، وهو الطلب الذي لا يمكن أن تُفَوِتَه فرنسا لخدمة لمصالحها في الصحراء[4] وتحديداً بالمنطقة وليسهل توجهها بعدها إلى بلاد السودان.

لقد أدرك الميزابيون أن فرنسا لن تقف عند الأغواط، فهي مصممة على الإحتلال الكلي للجنوب، وأن ميزاب سيصبح بين أنيابها لأهميته، يذهب الدكتور محمد هقاري إلى القول بأن:"...بني ميزاب كانوا منشغلين ومستعدين للذهاب من أجل الحفاظ على مصالحهم التجارية... لكن الذي كان يجب أن يدركه بنو ميزاب ويتفطنوا له ويضعون له ألف حساب أن تاريخ العهود والمواثيق مع المسيحين وخصوصاً

1-فتيحة يطو، معاهدة الحماية بين وادي ميزاب وفرنسا، حقيقتها وعلاقتها بنظام الضم، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والإجتماعية، ع 1، رقم 1، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2009، ص 65.

2-بيليسيه دي رينو: ضابط عسكري شارك في أهم الحملات العسكرية على الجنوب و كان عضوا في لجنة الاكتشاف العلمي بالجزائر شغل رئيس المكتب العربي العاصمة من(1835-1833)، اهتم بالتاريخ الحديث والنظم والعادات، كتب عدة مؤلفات عن الجزائر، تونس إفريقيا، توفي في 16 ماي 1858م بباريس. ينظر:

Faucon Narcisse, Op.Cit, PP 446- 447.

2-الصف (ج.صفوف): حزب، خصم، أساسه النعرات القبلية أو العرقية أو السياسية أو الدينية سياسة الصف هي استعمال الفرنسيين صفاً من الجزائريين ضد آخر والهدف من ذلك الدفاع والهجوم المشترك على المدن والقبائل ومناطق الرعي. ينظر: سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي،ج.9 ص 10. وكذا:

Villot, Op.Cit,P304.

4-فتيحة يطو، المرجع السابق، ص 66.

الفرنسين لا يتم الالتزام به[1]. ولصعوبة الظرف الحرج الذي بدأ يقترب من بلاد الشبكة، وقع تضارب في الآراء بين الأعيان، بين محبذ للإسراع في إبرام معاهدة الحماية مع فرنسا لحفظ عوائدهم وتقاليدهم وتسليم أمورهم الداخلية بأيديهم، أحسن من أن يحدث لهم كما وقع لبعض مدن الجنوب وهذا هو رأي الأكثرية، وبين معارض وعلى رأسهم الشيخ امحمد اطفيش، الذي أعلن البراءة ممن يرضى بذلك[2]؛ رغم المعارضة اجتمع الأعيان في مسجد "عمي سعيد" بغرداية، واتفقوا على إيفاد سبعة من شيوخهم إلى الأغواط، ومع تسارع الاحداث إقترح الوالي العام راندون في 24 جانفي1853م-11ربيع الثاني1269هـ على الميزابيين عقد معاهدة سياسية، يضمن لهم فيها تجارتهم مقابل دفع خراج سنوي على أن يمهلهم مدة شهرين، وبعد اجتماع المجلس اتفقوا على إيفاد جماعة من الأعيان[3] إلى الأغواط يوم 22 أفريل عام 1853[4]، لإبرام المعاهدة في 29 من نفس الشهر مع الكوماندان دوباراي، باسم الوالي العام للجزائر راندون؛ وقد جاء في رسالته الموجهة لأهالي وادي ميزاب ما يلي دون تصويب للأخطاء اللغوية والاملائية:"... كونو خداما طايعين و نحن نكون لكم حفظا وأمانا في جملة رعيتنا في السفر... ولا يكون قمرق على سلعكم و بأن لا يدخل بلادكم وأسواقكم العرب المنافقين... ونحن لا ندخلوا في أموركم الداخلة عندكم في بعضكم البعض ..."[5]. وبموجب هذه الاتفاقية أصبح الميزابيون يدفعون خمسة

1-محمد هقاري، التوسع الاستعماري الفرنسي في الجنوب الجزائري وردود فعل السكان ما بين 1850-1916،أطروحة دكتوراه، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة،2015-2016، ص94.

2-حمو محمد عيسى النوري ، المرجع السابق، ص 271.

3-ضم الوفد المكون من عشرة أشخاص من أعيان المدن السبع وهم: السيد بابهون من بريان، و باعيسى بن زرقون وداود بن باحمد من غرداية وبانوح بن الحاج أحمد من غرداية، ومن بنورة بكير بن علي و من بني يزقن زرقون محمد بن الحاج وعمر بن داوود، ومن العطف باكير بن سليمان و بكير بن الكاسي وعيسى ولد الزيت من القرارة ينظر: حمو عيسى النوري، المرجع السابق، ص 271.

4-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق ، ط. 4، ص 144.

5-حمو عيسى النوري، المرجع السابق، ص 273.

وأربعين ألف فرنك مقابل الاعتراف بالشخصية الميزابية واستقلالهم في جميع مدنهم السبع، لإدارة شؤونهم الداخلية، وأنهم باقون أبدا مثلما كانوا عليه في الماضي[1]. ومهما تعددت الأسباب والآراء حول المعاهدة، فالراجح أن الميزابين قد تحاشوا الصدام العسكري مع الفرنسين خصوصاً بعد الدمار الذي خلفه احتلال الأغواط وسقوط المدن واحدة تلو الأخرى مع اختلال لميزان القوة، لذلك أدركوا أن منطقتهم ستكون المحطة المقبلة لامحالة؛ ولاتقاء شر الفرنسين وحماية مدنهم وتجارتهم وحفاظاً على أمن وادي ميزاب، وضمان عدم التدخل في شؤونهم الداخلية وحفظ أحوالهم وشخصيتهم، فضلوا ابرام الاتفاقية مع المستدمر الفرنسي، والتي سينقضها هذا الأخير بعد ثلاثين سنة لأسباب عدة.

ب-**الضم العسكري لوادي ميزاب:** بعد معاهدة الحماية الفرنسية ظن الميزابيون على فكرة أن بلادهم عبارة عن منطقة حماية فرنسية، وليست ملكية فرنسية وبالتالي أي إجراء خاص بالأهالي الجزائريين لا يعنيهم، ورغم ظن فرنسا أن معاهدة الحماية ستوفر لها الأمان في المنطقة والصحراء، وتضمن جزءًا موالياً لها دون حرب وخسائر، فقد لعب الجنرال مارغريت[2] دورًا مهمًا في محاولة إقناع الولاية العامة لأكثر من عشرة سنوات بضرورة احتلال ميزاب احتلالاً مباشراً، نظراً للأحداث التي أزعجت فرنسا منها؛ عدم إستقبال الأهالي له عام 1853م، ومقتل الأغا يتيح اليهودي بعد أن عينته فرنسا أغا على ميزاب سنة 1860م وهي نفس السنة التي تغيب فيها ممثلي الميزابيين عن استقبال نابليون الثالث عند زيارته للجزائر، وفوق كل ذلك لم يلتزم الأهالي ببنود معاهدة 1853م، حيث واصلوا دعمهم لزعماء المقاومات بطرق

1-عمر بن عيسى ين براهيم الحاج محمد، مذكرات ووثائق رسمية عن وادي ميزاب من الناحية الدينية والسياسية والإجتماعية من سنة 1853 إلى سنة 1951 مطبعة النهضة، تونس، 1951، ص 7.

2-خلف الجنرال مارغريت دوباراي على رأس القطاع العسكري بالأغواط منذ أفريل 1855م، استطاع خلال ذلك أن يفرض الأمن لعدة سنوات.

عدة في مختلف جهات الوطن، كمقاومة محمد المقراني عام 1871م ومقاومة أولاد سيدي الشيخ 1864-1881م ومساعدتهم لأصدقاء الثائر أحمد بن أحمد في الغرب بعد هروبه من الجلفة، وبعد تهديد بوشوشة لفرنسا في بعض مدن الجنوب الشرقي وللميزابيين[1] فإنهم إستمروا في إمداد ومساعدة الثائرين بفتح أسواقهم أمامهم لشراء الأسلحة القادمة من المغرب وليبيا، عن طريق السوق الحرة والمصنوعة محليًا[2] وخصوصًا مقاومة أولاد سيدي الشيخ، ومقاومة بوعمامة؛ يقول المؤرخ يحيى بوعزيز:"... وبعد أحداث بوعمامة... ألحقت السلطات الفرنسية منطقة ميزاب بسلطتها المباشرة وألغت الحكم الشبه الذاتي الذي كان يتمتع به الميزابيون وذلك عقابا لهم على التأييد الذي أبدوه لبوعمامة ورفاقه والعون المادي الذي قدموه لهم ولمن قبلهم من زعماء المقاومة الشعبية خلال عقد الستينيات والسبعينيات..."[3]، فهذه الاتفاقية كانت بمثابة حجر عثر أمام توسعهم العسكري نحو باقي الواحات الجنوبية، ومنها التمدد نحو الصحراء الكبرى وافريقيا، فكان لابد من إزالة هذا العائق وذلك بضم وادي ميزاب إليها.

يضاف إلى هذه الأسباب الفتن والنزاعات المشتعلة بالوادي من فترة إلى أخرى بفعل الدسائس الفرنسية التي كانت تهدف إلى تبرير احتلالهم[4]، لإحلال الأمان في الصحراء، وبعد هزيمة فرنسا أمام الألمان سنة 1870م تأهبت لإعادة بناء اقتصادها فزاد اهتمامها بكل الوسائل المساعدة على ذلك، إلا أنها لم تستطع أن تحقق أغراضها طوال الفترة التي سبقت نظام الضم؛ وكانت تأمل في إنشاء خط سكة الحديد عبر

1- يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط 4، ص 145.

2-محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، الوكالة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص166

3-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط 4، ص 168

4-مفدي زكرياء، المرجع السابق، ص،152.

الصحراء للقضاء على تجارة القوافل، وربط مصادر السلع مباشرة من السودان[1] إلى البحر المتوسط للتحكم في رؤوس الأموال والحصول على المواد الأولية، وإيجاد مراكز تجارية لتصريف منتوجاته، وبذلك بات هدف فرنسا من إلحاق الصحراء هو استغلال ثرواتها، والبحث عن المواد الأولية مع وصول الثورة الصناعية ذروتها[2]؛ لتحقيق ذلك لابد من فرض الأمان في البلاد الصحراوية الموصلة إلى دواخل إفريقيا عن طريق إحتلالها، فكان ضم ميزاب وإلحاقه بفرنسا خطوة ضرورية مهمة، ففي 26 أكتوبر1882م –13ذي الحجة1299هـ،تلقى الجنرال دولاتور[3] برقية من الوالي العام لويس تيرمان يأمره بتجهيز محلة نحو ميزاب لإعلان ضمه، شملت 1175 ضابط وجندي و500 فارس و1851 م بعير مع مؤونة شهر غادرت الأغواط يوم 10 نوفمبر ووصلت غرداية في يوم17 من نفس الشهر[4]، وكان على رأسها الكابتن هارت مييرLe Capitaine-Hartmayer؛ وأعلن إلحاق ميزاب في 30 نوفمبر رغم رفضهم له[5]، وتُلِيَ البيان الذي بعثه الحاكم العام لويس تيرمان[6] لمعرفة أسباب ذلك تحت السلام ورفع العلم الفرنسي[7]، وفي يوم 21 ديسمبر رفع وزير الداخلية الفرنسي

1–بلاد السودان: Bled-el-Soudan، Le Pays Des Noirs هي بلاد مالي والنيجر وتشاد وشمال نيجيريا وأطلق عليها الأوربيين اسم نيقريتيى Nigritie.

2–فتيحة يطو، الصراع الدولي على الطرق التجارية في الصحراء الجزائرية، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية، عدد 1 ،2015م، ص 306.

3–الجنرال الأمير إيدوارد ديل لاتور دو فيرنيه لورانجي .

4–يوسف بن بكير الحاج سعيد ، المرجع السابق، ط4، ص 168.

5-Hull (E.M), Op.Cit.P 55

6–ولد في 29 جويلية عام 1837م بفرنسا، دكتور في القانون، تم تعيينه مستشار للولاية العامة في الجزائر عام 1863م، عين حاكما عام للجزائر في 26 نوفمبر عام 1881م إلى غاية أفريل 1891م، وقد عيين خلف للحاكم ڤريفي ألبير على رأس الإدارة الإستعمارية في الجزائر، من أهم أعماله إصدار قرار يقضي بسن قانون الحالة المدنية في الجزائر وإعطاء للجزائريين ألقابًا لا علاقة لهم بها، كما تميز حكمه بحرمان الجزائريين من التعليم توفي عام 1899م. ينظر:

- Faucon, Op.Cit. PP537-540.

7–مفدي زكرياء، المرجع السابق، ص، ص 155– 158.

ووزير الحربية إلى رئيس الجمهورية جول فيري تقريرًا يقضي بإنشاء دائرة عسكرية بغرداية تشمل قرى ميزاب السبع، وأقاليم ورقلة، وشعانبة متليلي والمنيعة، وعلى رأس الدائرة قائداً أعلى تحت أوامره المكتب العربي، وقد تسلم مهامه السيد ماسونتيMassontié.M [1] ، والذي يرتبط سلميًا بالقائد الأعلى لدائرة الأغواط العسكرية [2].

إذًا فمنذ أن أبرمت فرنسا مع الميزابين معاهدة 29أفريل 1853م، كانت تتحين الفرصة المناسبة لضم وادي ميزاب إليها عسكرياً، وقد ساعدت بعض الأسباب والظروف والعوامل المحلية والوطنية في ذلك، وخصوصاً مع امتداد لهيب المقاومات الشعبية إلى المنطقة، وفتحها لأسواقها أمام الثوار كقواعد للتزود والمؤونة، وهي الظروف التي اعتبرتها فرنسا من وجهة نظرها مخالفة لما جاء في بنود المعاهدة، ولا تسمح بفرض الأمن في الصحراء، فكانت الفرصة التي لا يمكن لفرنسا تَضْيِعَها لضم وادي ميزاب إليها والإنطلاق منه بعيداً والتوغل إلى المناطق الداخلية لغرب افريقيا[3] وتحقيق مخططاتها الاستعمارية؛ المبنية على استغلال موارد وثروات هذه المناطق

1-Amat,Op.Cit.P 96.

2-بعد احتلال الأغواط، قامت فرنسا بإعادة هيكلتها الإدارية، حيث أصدرت في 26 جانفي1853م قرارا وزارياً يقضي بإنشاء القطاع العسكري بالأغواط بصفة موقتة يضم ملحق للمكتب العربي التابع إلى المدية وفي22 جويلية 1853م تّمَ إصدار القرار النهائي لإنشاء القطاع العسكري بالأغواط. ينظر:

Odette Petit, Op.Cit.P20.

3-اتحاد افريقيا الغربية الفرنسية: (A.O.F) مستعمرة فرنسية أنشأتها بعدما استولت على أكبر مساحة من القارة الإفريقية سنة 1895م، وضمت كل من السينغال وغينيا والسودان الفرنسي وداهومي وساحل العاج وأراضي النيجر ثم ضمت موريتانيا.ينظر:الهام محمد ذهني، التوسع الفرنسي في افريقيا الاستوائية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، المجلة التاريخية،الجمعية المصرية للدراسات التاريخية،مج 34، القاهرة،1987م، ص184.

التي حددها في مؤتمر برلين[1] 1884-1885م، وخصوصاً الذهب في اطار التكالب الاستعماري على ماتبقى من بلاد في القارة السمراء.

1-مؤتمر برلين:15نوفمبر1884-26فيفري1885م، مؤتمر استعماري حضرته 14 دولة أوروبية لاقرار الوضع القائم في القارة السمراء ولتنيظم ما تم احتلاله مما تبقى من أراضي القارة، ولمنع اصطدام الدول الأوروبية الاستعمارية ببعضها البعض عند الاحتلال.

البـــــاب الأول

الأوضاع الاقتصادية بمنطقة وادي ميزاب خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين

الفصل الأول: النشاط الفلاحي بمنطقة وادي ميزاب

الفصل الثاني: الصناعة بمنطقة وادي ميزاب وأهميتها

الفصل الثالث: التجارة وعناصرها بمنطقة وادي ميزاب

الفصل الرابع: المواصلات والنقل بمنطقة وادي ميزاب

الفصل الخامس: المعاملات المالية بمنطقة وادي ميزاب

الأوضاع الاقتصادية لوادي ميزاب خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين

لقد شكل العمل الزراعي–على قلته– محوراً اقتصادياً، ولعب دوراً مهماً في حياة السكان بوادي ميزاب من حيث الاستهلاك المحلي، وفي عملية التبادل التجاري بالإضافة إلى الاعتماد على جزء من غدائه على ما ينتج من تربيته للمواشي التي ضبطها بأعراف توضح حدود العمل فيه؛ سواءًا في الوادي أو المناطق الرعوية القريبة منه، وقد أولى عناية كبرى بزراعة النخيل الذي يعتبر من أهم النشاطات الفلاحية على الإطلاق. في المقابل لم تعرف المنطقة صناعة حقيقية بأتم معنى الكلمة، وذلك بسبب نقص مواردها في هذا الجانب وما نتج عنها في المنطقة كان عبارة عن صناعات تقليدية من نسيجية وحرفية؛ لها فئتها المعتبرة التي تشتغل فيها، فكانت الأسواق مكان عرضها للقبائل المجاورة والبعيدة التي تقصد الوادي للحصول على سلع المنطقة، والأخرى القادمة من بلاد السودان وتونس والمغرب، ما جعل التجارة تنشط على مختلف المحاور الداخلية والخارجية هذا الأمر أدى إلى تداول عملات عديدة بالوادي شكلت رافدًا مالياً معتبراً بالإضافة للأوقاف بمختلف أوجهها .

وقد عرفت المنطقة أنواع عدة من الضرائب زادتها وطأةً تلك التي فرضتها فرنسا على السكان بعد المعاهدة والضم وعلى الثائرين عليها، تميزت المنطقة بوجد عدة مسالك فكت عزلتها وربطتها بالمناطق المجاورة، وأهم وسيلة أنداك هي النقل بالجمال وقد أدركت فرنسا أهمية وحيوية القطاع فشقت مسالك جديدة للتحكم في المدن الجنوبية، تمهيدًا لاحتلال ما تبقى من أخرى وللتوغل إلى إفريقيا.

الفصل الأول

النشاط الفلاحي بمنطقة وادي ميزاب

1- زراعة النخيـــل والاهتمام به

2- الزراعـــــات المعاشية

3- الثروة الحيوانية وأهمية الرعي

4- الآبار واهميتها

1- **زراعة النخيل والاهتمام به:** تعتبر أشجار النخيل مصدر عيش مهم ورمز للبيئة الصحراوية فهي من الاشجار تكيفًا مع هذا المناخ، نظرًا لتحملها للجو السائد الذي ترتفع فيه الحرارة، وتقل فيه الرطوبة وتخلو منه الأمطار[1]، وفوق كل ذلك فهي الشجرة المباركة التي تعطي الثمار والغذاء الكامل والظل الوافر، ويطلق عليها بالميزابية اسم "تيزدايت Tazdayet"، وبالانجليزية Datepalm من عائلة Palmacieae[2] من جنس Phoenix ومن نوع Dactylifera ، وتعد من أقدم المزروعات التي عرفها الإنسان[3].

شاع غرس النخيل ببلاد المغرب على اعتبار ملائمة المناخ[4]، وقد إرتبطت غراسته قديمًا بحركة التجارة والقوافل الصحراوية التي كانت تربط المشرق بالمغرب وهناك من يرى بأن ظهور زراعة النخيل تعود إلى فترة الفتح الإسلامي له[5]، وتعتبر الصحراء مكان نموها المفضل، وأهلها أكرموها واعتنوا بها أشد الاهتمام وتنافسوا في زراعتها منذ فترات طويلة، فقد كان زاد التجار خلال رحلاتهم الطويلة أو عند مرورهم بالمنطقة، باعتبارها ملتقى تجاري مهم للقوافل سواءً المارة أو القادمة من مختلف الجهات التمر فيأكلونه ويرمون بالنوى، ومع مرور الزمن نمت واحات متفرقة هنا وهناك.

لذلك اعتنى سكان وادي ميزاب بغراستها منذ فترات طويلة، على حواف الأودية ليضفوا جوًا أخضراً على بلاد الشبكة الموحشة، ولكي تكون ذخرًا لهم في أسفارهم

1-سعيد عبد الله عبد الرزاق، الاعجاز الطبي في القرآن والأحاديث النبوية، الرطب والنخلة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1986، ص 191.

2-الطيب العماري، النخلة في البيئة الصحراوية قيمة اقتصادية ورمزية سوسيو ثقافية، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع 15، المركز الجامعي غرداية ،2011 ، ص 238.

3-عبد الحميد قيس، النخيل والتّمور، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي هيئة المعاهد الفنية، دار الحكمة للطباعة والنشر بغداد، 1990، ص 191.

4-عبد الجبار البكر، نخلة التمر ماضيها وحاضرها، مطبعة العاتي، بغداد، 1972، ص 120.

5-جعفر الخليلي، التّمور قديما وحديث، مطبعة المعارف، بغداد، 1956، ص 38.

الطويلة؛ ولعنايتهم الشديدة بها فقد سمي بعض أعلام المنطقة بألقاب فلاحية، كالشيخ أبي أيوب أميمون الملقب بـ"أفلاح أوغلان" أي صاحب فلاحة وحرفة الزجر[1] وتسمية عدد من الأجنة بأسماء علماء المنطقة، نظرًا للاهتمام الذي أعطوه لهذه الشجرة كالشيخ باحمد أو أيوب الذي سميت باسمه عشرة أجنة في أماكن مختلفة في العطف وهو نفس الاهتمام الميداني، الذي قام به الشيخ حمو والحاج الغرداوي (و. حوالي1635م–ت.1716) عندما نَظَّم سقي نخيل بوشمجان بواحة غرداية من مياه الوادي ببنائه ساقية بوشمجان[2].

وقد ارتبط هذا الاهتمام بالجانب التجاري، حيث يقول ليرو LEHURAUX:"...يربحون الكثير من المال من أجل العناية ببساتينهم ونخيلهم وتخصيص جزء منه إلى الصندوق الجماعي للعشيرة..."[3]، ومع بداية تأسيس القرى اتجه السكان الأوائل إلى الاهتمام بغراسته، كما جاء في وثيقة الصلح المؤرخة في 2 صفر 1185هـ–16ماي1771م:"... وأما العطف فأهله من المعتزلة إلى أن رجعوا إباضية فذهبوا المعتزلة وبقوا الإباضية معمرين تلك البر بغرس النخيل وحفر الآبار واطمأنوا بأنفسهم..."[4].. وقد وصف الرحالة الشيخ دريس بن عمر التنيلاني نخيل المنطقة بداية القرن 19م عند مروره بها متوجهاً إلى الحج قائلاً:"...سكان المنطقة أهل نخيل وأشجار ونخيلهم ما رأيت مثل صلاحه في توات ولا تافيلالت ولا في

1–مجهول، مناقب وادي ميزاب، مخطوط، مكتبة عمي سعيد،خ، غرداية، ص 2. نسخة بحوزتي.ينظر: ملحق رقم15 ، ص519

2–يوسف بن بكير الحاج سعيد، مرجع سابق، ص 103.

3 -Lehuraux, (Léon), Op.Cit P 119.

4–وثيقة عقد الصلح الذي وقع بين الإباضية والمالكية في 2 صفر1185 هـ بجامع غرداية، نسخة بحوزتي.أنضر ملحق رقم4، ص498.

الفايجة..."[1] ففي واد ميزاب أشجار النخيل[2]، وتحدث الشيخ إبراهيم مطياز عن اهتمام الأوائل بغراسته حين يقول:"...لا يوجد النخيل بميزاب أيام المعتزلة ولا أيام دخول بني يدين ووجوده بعد نزوح سكان أريغ ومن نزح من سدراتة من أولاد أبي إسماعيل وأولاد ورو وابي محمد الشيخ بن يحيى فهم الذين غرسوا أول النخيل بميزاب"[3]. الملاحظ أن نظام العزابة[4]، ومن خلال الأوقاف اهتموا كثيرًا بعنصر الماء والنخلة باعتبارهما مصدر عيش رئيسي للسكان، فمسجد غرداية كان يستقبل يومياً ما بين80 إلى100 قربة من الماء خلال شهر رمضان كوقف "حابوس امرشيدو"[5]، وسنوا في شأن تنظيمه قوانين معتبرة لا يدرك أهميتها إلا الذي عاش في

1-دريس عمر بن عبد القادر التنلاني، رحلة السيد ادريس بن عمر بن عبد القادر، مخطوط، خزانة الشيخ سيدي عبد الله البلبالي بكوسام بأدرار، نسخة بحوزتي، ص 3.

2-الحاج ابن الدين الأغواطي، المرجع السابق، ص 90 .

3-إبراهيم مطياز، المصدر السابق، ص 100.

4-العزابة : على وزن فعالة من أمثلة المبالغة فقال أصل العزابة العزلة والغربة والتصوف والتهجد على رؤوس الجبال فذلك العزلة ، وحاصل ذلك يرجع على سير الحلقة وما يجب عليهم من سير بعضهم على بعض، ولا يدخل أحد الحلقة حتى تكون فيه أربعة خصال هي : الأولى أن يكون أديب كيس ، والثانية أن يكون مشمرا في طلب العلم الثالثة لا يكثر دخوله الأسواق الرابعة أن يغسل جسده بماء ويغسل قلبه بماء . مقرّهم هو المسجد وكان عليهم الاهتمام بخدمة الدين والأبتعاد عن أمور الدنيا. فهذه الجماعة لا تعمل إلا على غرس الأخلاق القرآنية. وأول مؤسسه هو أبو عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي (345- 440هـ/ 956- 1048 م). وكان في الأول على شكل حلقة ثم تحول إلى نظام اجتماعي، وكانت وصية بابا ثامر: "إن وجدت من تقدم في الأمور فاتبعه وإن وجدت من تتعاون معه فتعاونوا على البر والتقوى وإن وجدت من يقتدي بك فكن إماما، وإلا فالزم الطريق وحدك ".ينظر: محمد بن يوسف اطفيش إن لم تعرف الإباضية ياعقبي، مخطوط رقم7549، مكتبة عمي سعيد، المطبعة العلمية الحجرية تونس،1321هـ ص ص91-92. ينظر: علي يحي معمر، الإباضية بين الفرق الإسلامية تحقيق بكير محمد الشيخ بلحاج، طبعة جمعية التراث، القرارة، 2003 ص 95. ينظر: حمو فخار إبراهيم إبراهيم بن بابا بوعروة (الشيخ بابا ثامر)، حياته وآثاره، إعداد وتق . مصطفي الحاج باجو، نشر جمعية التراث غرداية، 2003، ص ص109-114.ينظر:

Masqueray(Emile),Formation des Cité Chez Les Population Sédentaires de l'Algérie (kabil, chaouia, beni mezab), Ernest Leroux, Paris , 1886,P217.

5-Daniel Moulias, Op.Cit. PP199-200.

تلك الفترة فحرصوا على أمر النخيل أشد الحرص[1]، وهو الاهتمام الذي لم يكن وليد اللحظة بل هو امتداد لتشريعات سابقة سُنَت من طرف الهيئة العرفية.

أ- **تنظيم زراعة النخيل وطرق العناية به:** لقد شكل الاهتمام بالنخيل والعناية به موضوعًا جادًا لدى سكان المنطقة على مدار السنة، للحصول على غلتهم المتنوعة من التّمورفي اشهر معلومة والتي تفوق الثلاثين نوعًا، ونجاحها يعني نجاح التجارة والصناعة التقليدية باعتبارها المادة الأولى في تعاملات السكان داخل وخارج المنطقة ومادةً أوليةً في قضاء حاجياتهم، ومهمة في الاستهلاك والعمران وعدة جوانب من الحياة، فعند استقرار القبائل والعروش الوافدة على وادي ميزاب، انصب تفكيرهم الأول على البحث عن المياه بشتى الوسائل الممكنة، فهي لم تكن تجري على وجه الأرض عكس ما كان موجودًا في بعض ضايات الصحراء، التي استقرت حولها التجمعات البشرية الرئيسة؛ وبالرغم من العوامل الطبيعية القاسية، التي فرضت صعوبة على الفلاح المستصلح لأرضه كانت في نفس الوقت باعثًا وحافزًا على رفع التحدي لمواجهة هذه الصعاب وتليين ما يمكن تليينه فالإنسان عند بداية استقراره كان ريفيًا، ركز اهتمامه على مشاكل تأمين حياته وعلى آباره ونخيله[2] رغم قلتهم.

1-**طرق الغرس والعناية:** بعدما يتم تهيئة البستان واختيار الوقت المناسب، يقوم الفلاح بحفر حوض كبير من خلال رفع كميات من الرمل أو التربة، للاقتراب أكثر من طبقة الماء بحوالي 1,5 إلى 2 متر أو أكثر في بعض الأحيان، هناك طرق عدة لغرس النخيل ومنها:

أ-طريقة الفسائل أو ما يعرف بالحشان: حيث يتم تحضير الفسائل لغراستها، وهي من الطرق المتبعة في المنطقة، لأنها تنتج تمرًا جيدًا ويثمر في وقت قصير، لذلك يتبع

1-صالح بن عمر سماوي، المرجع السابق، ح2، ص 741.

2- كلود بافار، أضواء على ميزاب، مطبعة دلرواس، فرنسا ،1947م. ملاحظة: الكتاب غير مرقم والمعلومة وردت في ص14 بعد ترقيمنا له .

الفلاح هذه الطريقة، فهي تكاد تكون الوسيلة الوحيدة في الغرس وزيادة عدد النخيل بسرعة[1]، فالحشان يجب أن يعد بطريقة جيدة إذ يتم تحضير الحفرة المُعَدة للغرس ويكون عمقها في الغالب ما بين1 و1,5 متر عن مستوى طبقة الماء[2]، وكثيرا ما كان يتم جلب الفسائل من واحات ورقلة، ووادي ريغ، ومنطقة الزاب وعادة ما تكون غراسته من الخريف إلى نهاية الربيع.

ب–طريقة غرس النوى: يمكن الغرس باستخدام ما يعرف بالركاب أو نواة التمر وهي طريقة غير مستحسنة وغير شائعة في المنطقة، لأن النخيل الناتج عن إنبات البذرة عادة ما يكون غير جيد وتحتاج إلى وقت طويل لتعطي التمر، إذ تتراوح ما بين 12 إلى 15 سنة[3]؛ فغراسة النوى ليس له فصل معين يكفي أن يغرس في تربة خفيفة وعلى عمق متوسط[4] ، وثمارها تأتي بعد جهد وسنوات طويلة[5]. يذكر شارلي بأن كل شجرة كان مصدرها من البذر تنتج أنواع مختلفة من التّمور[6]، والتّمور الناتجة عن غرس النوى تنطوي تحت اسم الدقلة؛ وتمتاز برائحة ضعيفة عسلها قليل ونواها كبير وحفظ تمورها سيئ، كما توجد فيها نوعية جيدة.

لقد لعب الخماس دورًا مهمًا في الاعتناء بالنخيل، فكثيراً ما كان التجار والعمال يسافرون إلى مدن الشمال أو الخارج ويتركون نخيلهم عند الخماس، ونتيجة لذلك يتحصل على 3/2 غلة المنتوج في كل من غردايـة والضاية، وفي بني يزقن يتحصل على 4/5 المنتوج [7]، فالحصول على الخماس وممارسة التجارة في الشمال ثنائية

1-Gouvernement Général de L'Algérie Exposer de la Situation Générale de la Territoire du Sud . Pendant les années 1914-1915, Présenter Par: M. charles.lutaud ,Alger,Typographie Adolphe Jourdan,1916, P 72.

2–عبد الله عبد الرزاق سعيد، المرجع السابق، ص ص 331–332.

3–نفسه، ص 331.

4- G .G. A .Op.Cit.P.52
5- G .G. A .Op.Cit, P54
6-Charlet ,Op.Cit.P 82.
7-.Ibid, PP 77- 76.

هامة حتمت على الميزابين خصوصًا حسن اختيار الخماس الماهر، الذي وصف عمله شارلي بقولة:"... فبعض الخماسين يهتمون بـ 50 نخلة مقابل 400 فرنك في السنة مع كمية من الخضر وفي بعض الأحيان نجد الملاكين يأخذون كامل مصاريفه فيكون راتبه ما بين 15 و20 فرنك في الشهر وجزء من محصول التّمور..."[1].

تصرف مبالغ زهيدة من أجل صيانة النخيل ففي بني يزقن يصرف ما قيمته 1,80 فرنك مدة سنة لصيانة غابة بها 50 نخلة، ويحقق على إثرها مداخيل ما قيمته 970 فرنك هذا الوضع المالي يخص أغنياء بني يزقن، ويختلف من قرية إلى أخرى ومن سنة إلى أخرى، ويؤكد شارلي في دراسته لنخيل المنطقة، أنه إذا ما أخذنا من بين100 نخلة نجد 90 نخلة تعطينا الغلة في السنة الأولى، أما في السنة التالية فنجد من بين 100 نخلة تعطينا 50 نخلة منتوجها، وفي السنة الثالثة نجد أنه من بين 100 نخلة تعطينا 25 منها فقط الغلة، ومن بين 600 نخلة نجد حوالي 253 نخلة من تعطينا الغلة[2]، ويسجل كيون في كتابه "مزاب" أنه من بين 180.000 نخلة نجد حوالي 130.000 نخلة تعطي المنتوج، و50 الباقية لاتعطينا المنتوج لأسباب بشرية وأخرى متعلقة بالعوامل الناخية والطبيعية، كما أن الدخل المتوسط للتمور في المنطقة نهاية ق. 19 تحديدًا عام 1879 م قدر بـ819,000 فرنك. لقد كان للنخيل دور كبير في الحياة العامة باعتباره مصدر مهم للتموين بالغداء والأموال للأغنياء والفقراء على حد السواء، ومصدر للأخشاب والصناعات التقليدية اليدوية ذات الاستعمال اليومي.

لقد اهتمت فرنسا بزيادة عدد النخيل بعد الضم العسكري، عن طريق جلبه وغراسته وتوفير الماء له وحفر الآبار وزيادة عددها، وإحصائه واعداد دراسات تخصه، إن المساحة الكلية لوحات النخيل بالمنطقة لا تتعدى 1000 هكتار، ومن بين الطرق التي اتبعها السكان للعناية بالنخيل نجد:

1- Charlet ,Op.Cit. P76
2- Ibid, PP77-78

2-التزريب(التحويط) ورفع الرملة: يعد التزريب عملية هامة في زراعة النخيل لحمايته من زحف الرمال، وذلك بتثبيت حواجز من الجريد[1] حول الغابة أو بناء حواجز من الحجارة والجبس؛ بحيث يتم وضع الجريد باستشارة العارفين بذلك واحترام تقاليد وأعراف الفلاحة، ويتطلب إنجازه معرفة باتجاه الرياح وحركة الرمال أما رفع الرملة فيعد من الأعمال التي يقوم به الفلاح وخاصة الخماس أو العبيد في فصل الربيع؛ أين تكثر فيه الزوابع الرملية، ويتم نقلها إما بالقفاف أوالزنابيل (الغناتة)[2] باستخدام الدواب[3] خاصة البغال أو الحمير؛ إلا أنَّ وجود الرمال بكثرة يقل في محيط غابات ميزاب باعتبار أن المنطقة تقع ضمن سلسلة الأطلس الصحراوي، وهي منطقة صخرية ضمن نطاق الأرض الرملية الحصوية، وهي أكثر صلابة وتشبه الحمادة في بعض ملامحها.

3-**التسميد:** تعتبر عملية التسميد مهمة للنخيل وتتم بعناية فائقة، وتسمد باستخدام روث الجمل أو ما يعرف بالجلة(لغبار)[4] فهو غني وجاف[5]، ويخلط أحياناً بروث الحمير أو بعر الماعز، ويكون التسميد الأولي كثيراً بحيث توضع بعض القفاف من الروث في حفرة دائرية تبعد عن النخلة الفتية بـ 0,5 متر؛ ويتم سقي الحشان أو الفسيلة لمدة 40 يومًا ثم تنقص المدة إلى أن تصل ما بين 8 إلى 4 أيام[6] ، وتكرر عملية التسميد في الجهة المقابلة بعد سنتين أو أربعة في حفرة دائرية أكبر بقليل، وفي

1-يستعمل في ذلك أغصان الجريد اليابسة وخصوصا التي تنزع بعد جني محصول التّمور.

2-الغناتة: على شكل قفة مصنوعة من الليف تخصص للفلاحة والبناء يستعمل لنقل التربة أو الرمل من المكان المعد لجعله بستان، وتحمل على ظهور البغال أو الحمير، أنظر45 Couvet,Op.cit.P، وكذا: لقاء مع السيد: قزريط محمد رئيس جمعية نخلة غرداية، بغرداية يوم: 10 فيفري 2017.

3-أيوب بن ابراهيم القرادي، المرجع السابق، ص 48.

4-لغبار: هو سماد طبيعي حيواني وغني يضاف إليه في بعض الأحيان روث الماعز أو الحمير وبعر الإبل لقاء مع السيد: قزريط محمد رئيس جمعية نخلة غرداية.

5 -Charlet ,Op.Cit. P 41.

6-لقاء مع السيد: قزريط محمد رئيس جمعية نخلة غرداية.

العام الثالث تعاد العملية بحيث تكون جذور النخلة الفتية محاطة بالسماد، وتُعَادُ العملية فيما بعد كل عشرة أو خمسة عشر سنة [1] .

4-**تذكير النخيل:** وتسمى عملية التذكير أو التلقيح بالميزابية "أمرصد"، من المعروف أن التلقيح يكون طبيعيًا، وذلك من خلال الرياح والحشرات، أما التلقيح اليدوي فيتم في شهري مارس وأفريل، توجد أربعة أنواع من الذكار بالمنطقة: ذكار تزرزايت؛ هو ذكار كبير الحجم وقوي الرائحة وممتلئ بغبار الطلع، وذكار دقلة نور: لونه أصفر أو أحمر والذكار العادي، وذكار مستخرج ناتج عن نخيل النواة[2]، وبقدر ما إنَّ هذه العملية سهلة فهي هامة وتتطلب معرفة بكل أنواع النخيل الإناث، وكثيراً ما كان الفلاح يقوم بنفسه بعملية التلقيح، إذ يقوم بتلقيح ما يزيد عن 30 نخلة في المتوسط؛ إذا كانت قصيرة الطول و15 نخلة إذا كانت طويلة في اليوم[3] ، وبعد خمسة عشرة يومًا من التلقيح (التذكير) يصعد للنخلة لنزع السعف أو الرباط من على زهور الإناث[4] بواسطة الليف لحمايتها من العوامل المناخية [5]، وأثناء قيامه بذلك يقوم بترديد بعض الأناشيد بصوت عالي والتي يبدأها عادة بذكر الله والصلاة على الرسول[6]، ومن بين هذه الأذكار هي:"...الله...صلى الله على سيدنا نبينا محمد...الله... والله سلم على نبينا... نخلة... نخلة الله...والشيطان لعنة الله... [7]؛ وهي الأصوات التي تسمع عادة في المنطقة خلال فترة التذكير، ممَّا يضفي سحرًا على هذه الواحات خلال العملية.

5-سقي النخيل: اعتمد السكان في سقي نخيلهم على مياه الأودية التي تغذي مياه الطبقة الجوفية، فبإرادة وعبقرية الأوائل الذين أنشأوا نظامًا لحجز أكبر كمية من مياه

1-Charlet ,Op.Cit,P 40.

2-لقاء مع السيد: قزريط محمد رئيس جمعية نخلة غرداية.

3-لقاء مع السيد: قزريط محمد رئيس جمعية نخلة غرداية.

4-Charlet ,Op.Cit,,PP 49-50.

5-لقاء مع السيد: قزريط محمد رئيس جمعية نخلة غرداية.

6-Charlet,Op.Cit.P 23-24.

7-Ibid, P68.

السيول الصحراوية المفاجئة لسقي مزروعاتهم، كان لازماً عليهم حفر الآبار لاستمرار الحياة في الوادي، لقد كانت أول محاولة لاستخراج المياه الباطنية عام 1875 م من طرف أحد ساكني بني يزقن الذي حفر بئراً على عمق 108 متر[1]، ويتم استخراج مياه الآبار بوسائل بسيطة وتقليدية، كالناعورة أو الخطارة، الحبال، الدلو والحمير أو الجمال[2].

لقد نقل الرحالة ادريس بن عمر وصفاً لعملية استخراج الماء:"...الا ان الماء عندهم لا يجر وحده بل يجرونه بالبغال والحمير والإبل..."[3]، ويُفَضَلُ في ذلك الحمير البغال أو الجمال القوية منها، والتي تذهب وتجيء في طريق معين يساوي سيره عمق البئر؛ ويسمى طريق الذهاب والمجيء "زقاق الجمل" أو "طريق الجمل" ويقوده في ذلك شاب في مقتبل العمر، يتقن اقتياد الحيوان واستخراج المياه على نحو مناسب وعند إفراغ الدلو في الحوض تعود الدابة في اتجاه البئر لتكرر العملية، يرافق الفلاح الحيوان ذهابًا وإيابًا تتراوح هذه الحمولة بين 20 و30 لتر، ومعدل النزح مرتان في الدقيقة ولا يأنس الفلاح إلاَّ الموسيقى الصادرة عن البكرتين وترديده لآيات من القرآن ومدائح[4]، وعادة ما يقوم بهذا الأمر صاحب البستان بمساعده أولاده، ونجد في بعض الأحيان العمال المستأجرين أو الخماسة[5]، ويعتبر هذا العمل من بين الأعمال الشاقة التي يكلف بها في أحيان كثيرة الأُجَرَاءُ السود لعدة ساعات في اليوم. فقد قضى نصف سكان المنطقة وخصوصًا الرجال والأطفال والعبيد نصف حياتهم في

1-Coyne, Op.Cit .P 21

2-Charlet, Op.Cit .P 33.

3-ادريس بن عومر بن عبد الفادر التنلاني، المصدر السابق، ص3.

4-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.2، ص 41.

5-الخماسة: مأخوذة من الخمس(5/1) للمحصول الذي يأخذه الخماس جراء عمله في البذر في فصل الشتاء وحصاد وجمع المحصول الزراعي في فصل الصيف، فيما يأخذ صاحب الأرض باقي المنتوج وهو 5/4 في السنة ينظر: نصر الدين سعيدوني، دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية، دار الغرب الإسلامي،2001 ص ص 300-301 .

استخراج المياه بهذا الشكل[1] ويقوم به في العادة شخصان، واحد يقود الحيوان ذهابًا وإيابًا والثاني يوزع الماء عليه أو على ما يحيط به من زراعة معاشية [2] تحدي الصعاب وتلين واستصلاح ما يمكن استصلاحه من الأرض هي القاعدة الجادة التي سار عليها الفلاح لتلبية طلباته واحتياجاته، وتوفير ما يمكن توفيره من الأموال.

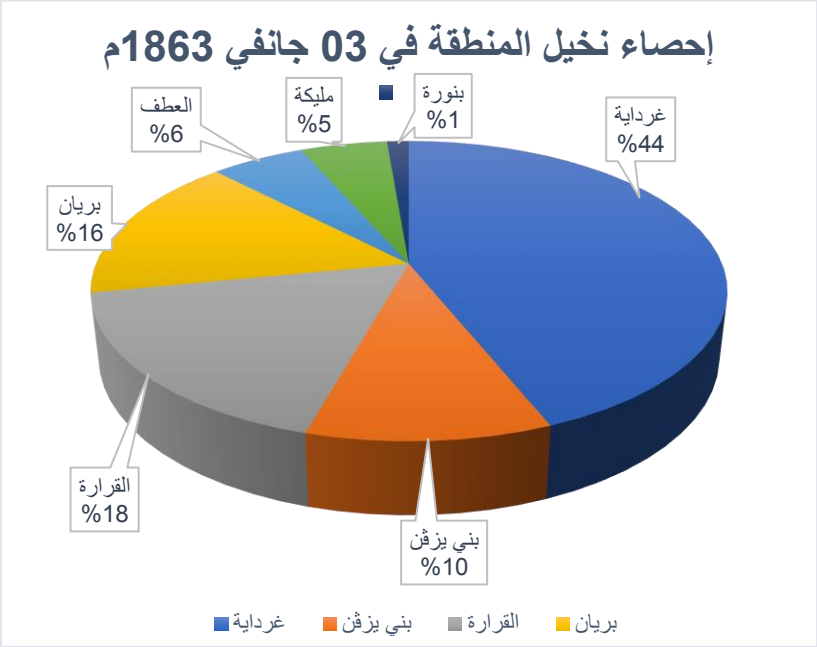
فالمنطقة لم تكن بها مصادر ثابتة لموارد المياه ولا آبار باطنية، لذلك كان السقي تقليديًا يتم بواسطة آبار لا يتراوح عمقها ما بين 20 إلى 40 متر، حفرت في مجرى الوادي وعلى حوافه، هذه الطبيعة استمرت إلى غاية الضم؛ أين تم إدخال وسائل حديثة لسقيها. وقد وَثّقَ كتاب مختصر "عمارة الأرض" للشيخ اطفيش قوانين وأعراف واضحة بينت للسكان حدود وطرق السقي والحفر والغرس وكل ما يتعلق بذلك، وفق نظرة تراعي المصلحة العامة والأعراف[3] .

فغابات بني يزقن تُسْقى من مياه واد انتيسه، وجزء كبير من غابات بنورة يوجد في وادي زويل فتسقى منه ومن وادي ميزاب، ويُسْقى بعض من غابات العطف من وادي الاولاوان ومن مياه وادي ميزاب، وتُسْقى غابات بريان من وادي بالوح والسودان ووادي بير، وغابات القرارة تُسْقى من مياه وادي زقرير[4]. تحتاج النخلة إلى ما متوسطه 150 إلى 200 لتر من الماء في اليوم، ويمكن لبئر واحد أن يسقي ما بين 40 إلى 50 نخلة[5].

2-**إحصاء النخيل:** تعود المحاولات الأولى لإحصاء النخيل إلى 1861م عندما قدر فيل Villeعدد نخيل مدينة بريان بـ21،000، ونخيل بني يزقن12،000 وبونورة

1-.Coyne,Op.Cit.P 21.
2-.Charlet,Op.Cit.P 52 .
3-محمد بن يوسف اطفيش، مختصر عمارة الأرض، مخطوط، د.ت، نسخة بحوزتي، ص ص 37، 60،66.
4- Charlet,Op.Cit, P P 39-40.
5-Ibid, P 52.

بـ6000، وقـدر عـدد نخيـل العطـف بـ13،000 ونخيـل القـرارة بـ2000[1]، فعنـدما أعـادت فرنسـا النظـر فـي تقسـيم الخـراج السـنوي علـى المـدن السـبعة بحسـب امتلاكهـا النخيـل، وهـي العمليـة التـي مَكنـت فرنسـا مـن إحصـاء النخيـل بهـا بدايـة مـن جـانفي 1863م-16رجب1279هـ وفق ما ذهب إليه يوسف الحاج سعيد فكان كما يلي[2]:



يتـبن لنـا مـن خـلال النسـب المئويـة، أنّ مدينـة غردايـة تحـوز علـى العـدد الأكبـر مـن نخيـل الـوادي بنسـبة 44٪ وذلـك راجـع لعـدة عوامـل؛ منهـا شسـاعة المدينـة والكثافـة السـكانية وموقهـا الجغرافـي؛ كونهـا تقـع بمنبـع الـوادي وكـذا ومكانتهاالاقتصـادية المميـزة إضـافة إلـى أنهـا تحـوز علـى عـدة منشـآت للـري؛ كالسـدود والسـواقي والآبـار، التـي تعـد الشـريان الرئيسـي لنظـام السـقي مقارنـة بالمـدن الأخـرى ويُسْـقَى نخيلهـا عـن طريـق ثلاثـة مـن أهـم الأوديـة وهـم وادي ميـزاب، وادي التـوزوز oued-Touzouze ، ووادي اودجرنـت oudjerinet[3]-oued، فبعـد أن يُسْـقى نخيلهـا مـنهم يتجهـون بعـدها إلـى

1-Ville(M) Exploration Géologique Du Beni Mzab,Du Sahara,Imp.National ,Paris,1867,P77.

2-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.4، ص 146.

3-Félin(E) Etude sur La Législation des Eaux dans le Chebka du Mzab,Imp, A Mauguin, Blida,1909,P38.

الغابات الموالية في مليكة وبونورة وبني يزقن والعطف، ثم نجد القرارة بنسبة نخيل تصل إلى 18٪ والتي لا يُسقى جزء كبير من نخيلها من مياه الآبار بل يعتمد في ذلك على مياه السيول وجريان الأودية خصوصاً وادي زقرير، ويقع بعضها بأراضي البور[1] لتليها بريان التي تستفيد غاباتها وبساتينها من سيلان الأودية النشطة كوادي السودان والزرقي وبالوح وتشكل بونورة نسبة واحد بالمئة، وهي المدينة الأقل نخيلاً من بين كل مدن الوادي. إنّ الإحصاء السابق للمؤلف يوسف بن بكير الحاج سعيد لم يطلعنا في كتابه تاريخ بني ميزاب، دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية بجزءيه على المصدر الذي استقى منه الإحصاء السابق.

أما ما يخص إحصاء نخيل بني ميزاب في واحة متليلي سنة 1867 فكان كما يلي[2] :

البلدة	عدد النخيل في متليلي
مليكة	3618
غرداية	346
بني يزقن	56
العطف	–
بنورة	–
المجموع	4020

من خلال القيم السالفة، يتبين لنا أن حصة مليكة من النخيل في مدينة متليلي مرتفع بكثير عن باقي المدن، وهذا راجع لتواجد عائلات إباضية من مليكة في مدينة متليلي، منذ التبادل العائلي الذي حصل بينهما عام 1371م، وهي المدينة الأكثر امتلاكا للنخيل بمتليلي مقارنة بالمدن الأخرى، نتيجة لهذا الاتفاق التاريخي وتعود أسباب الاتفاق إلى عدة عوامل؛ منها قلة الأراضي الصالحة للفلاحة بمليكة وقلة امتلاكها لهياكل نظام السقي، عكس واحة غرداية التي تكلك الحصة الكبيرة من المياه

1-Ville, Op.Cit.P52.

2-يوسف بن بكير الحاج، سعيد المرجع السابق، ط.4، ص147. وكذا Robin , Op.Cit. P16-

ونظـام السـقي، فـلا تسـتفيد واحـات مليكـة مـن حصـتها الكبيـرة والكافيـة مـن الميـاه لسـقي غاباتهـا لهـذه الأسـباب وغيرهـا، اهتـدى سـكان مليكـة إلـى حـل يسـاعدهم فـي زيـادة نشـاطهم الفلاحـي وحتـى التجـاري خـارج القصـر، فاتصـلوا بجماعـة متليلـي وعرضـوا علـيهم كـراء بعـض الأراضـي الفلاحيـة والـدخول معهـم فـي شـراكة بالميـدان التجـاري، وبعـد اهتمـام الشـعانبة بـالفكرة ودراسـة آثارهـا وتأثيراتهـا مـن مختلـف الجوانـب، عقـدوا اتفاقيـة تاريخيـة سـنة 790هـ/ 1388م[1]؛ وهـو التـاريخ الـذي اختلفـت فيـه بعـض المراجـع فكونـاي يقدمـه عنـد سـنة 1317م، والـراجح أنـه تـم عنـد النصـف الثـاني مـن ق114م ومـن بـين بنودهـا تبـادل عـدد مـن العـائلات بـين مدينـة متليلـي ومليكـة ويـتم مـن خـلال هـذه الأخيـرة الحـق فـي ممارسـة نشـاطاتها الفلاحيـة والتجاريـة، وقـد اسـتقروا بحـي "الدلبونـة"Delbouna وسـط مدينـة متليلـي، وفـي الجهـة المقابلـة أعطيـت مسـاحة ضـواحي مليكـة لاسـتقرار بعـض العـائلات القادمـة مـن متليلـي[2] بحـي "بـن طـراش" BenTrach[3] يحصيها روبين بـ 40 عائلة[4].

مـن خـلال الإحصـائيات السـابقة والمتعلقـة بعـدد النخيـل بمليكـة نجـد أن عـددها قليـل مقارنـة بالقصـور الأخـرى، وقـد عوضـت هـذا الـنقص بامتلاكهـا لأعـداد لا بـأس بهـا فـي متليلـي. وتعـد هـذه الوثيقـة التعاهديـة التـي أبرمهـا الشـعانبة مـع جماعـة قصـر مليكـة مفيـدة وذات أبعـاد اسـتراتيجية بيـنهم، وبمثابـة أولـى أشـكال الانـدماج والتعـايش الانسـاني الحضـاري بـين جماعـة المالكيـة والإباضـية بـالجنوب فـي جوانـب الحيـاة، مـع حريـة بقـائهم أو تحـولهم علـى مـذهبهم، وقـد أشـار إلـى هـذا التعـايش الحضـاري والسـلمي الشـيخ إبـراهيم

1-Yvesr Regnier, Les Chaanba Sous Le Régime Français leur Transformation, Edition domat-montchrectien, 1938.P9.
2-Coyne ,Op.Cit.P17
3-Caunielle, Op.Cit.PP31-32
4-Robin , Op.Cit. P35.

مطياز في مخطوط" تاريخ مزاب"، أما فيما يخص إحصاء النخيل بعد الضم فكان كالآتي[1]:

البلدة	عدد النخيل
غرداية	64074
ضاية بن ضحوة	3754
مليكة	1582
بني يزڤن	25875
بونورة	11385
العطف	16483
بريان	27872
القرارة	28480
المجموع	17886

أ-**أصناف النخيل:** يوجد بميزاب عدة أصناف من النخيل منها 17 تغطي حوالي 90% من واحات المنطقة[2]، ويوجد أكثر من أربعين نوعاً من التّمور أهمها[3]:

نوع التمر	لونه	وقت الغرس	صلابته	جودته	وقت الجني	شكله
دقلة نور	أصفر	أفريل	نصف رطبة	جيدة جدا	أكتوبر	متطاول
تيم جوهرت	أسود	أفريل	رطبة	جيدة	أكتوبر	متطاول
تادالة	أسمر	أفريل	رطبة	متوسطة	أكتوبر	متطاول
بنت قبالة	أسمر	أفريل	رطبة	جيدة	أكتوبر	متطاول
ليتيما	أسمر	أفريل	نصف رطبة	متوسطة	أكتوبر	متطاول

1-Amat,Op.Cit.P229.

1-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.2، ص،171.

2-Coyne ,Op.Cit.PP20-21.

زرزة	أسمر	أفريل	نصف رطبة	جيدة	نوفمبر	متطاول
تيمبوبكور	–	أفريل	–	–	أكتوبر	–
أوشاتا	–	أفريل	–	–	أكتوبر	–
تيازوت	–	أفريل	–	–	أكتوبر	–
توادجات	أحمر	أفريل	نصف رطبة	متوسطة	سبتمبر	متطاول
تادماما	–	مارس	–	–	أوت	–
تيمزوارت	أسمر	مارس	نصف رطبة	متوسطة	أوت	متطاول
راس	–	مارس	–	–	سبتمبر	–
كاسي وموسى	–	أفريل	–	–	أكتوبر	–
دقلة أمامور	–	مارس	–	–	أوت	–
تيريوين	–	أفريل	رطبة	جيدة	أكتوبر	–
تازوقاراشمرا	–	أفريل	–	–	أكتوبر	–
تمزاروت نتلات	أسمر	أفريل	نصف رطبة	متوسطة	أكتوبر	متطاول
دقلة أي	–	أفريل	–	–	أكتوبر	–
دقلة أولاح	–	أفريل	–	–	أكتوبر	–
كربوشة	أسمر	أفريل	نصف رطبة	متوسطة	أكتوبر	مستدير
كيبيا	–	أفريل	–	–	أكتوبر	–
أوروس	أحمر	أفريل	يابسة	جيدة	أكتوبر	متطاول

من خلال الجدول نرى أن وقت الغرس لمعظم النخيل في الغالب يكون شهر أفريل، ووقت جني التموريكون مابين أوت وأكتوبر. ومن بين أشهر أنواع التّمور المتواجدة بميزاب:

1-الغرس: يكثر انتشارها في المنطقة، مذاقها جيد ويحتفظ به لمدة طويلة، وتعد زادا مهما في التنقلات البعيدة وفي الغذاء اليومي، كما تشكل موردًا اقتصاديًا هامًا في التجارة الداخلية والخارجية [1].

2-تدالة: يكون نضجها ما بين نهاية أوت الى نهاية سبتمبر مذاقها رائع، وتعتبر من التّمور التي تدخل بكثرة في عذاء السكان[2] .

3-بنت قبالة: Bentqbala هي أيضا من بين أشهر أنواع التّمور التي تستهلك بالمنطقة ذات لون أسمر متوسطة الحجم، حلوة المذاق ورطبة، شكلها متطاول وتجنى في شهر أكتوبر [3].

4-تيم جوهرت: Timjuhartذات لون أحمر وأسود ورطبة وطيبة المذاق، طولها حوالي 4 سم يتم جني ثمارها ما بين شهري سبتمبر وأكتوبر، هي الأخرى تخزن للاستهلاك لوقت الحاجة[4]، وتدخل ضمن المبادلات التجارية الحاصلة بأسواق المنطقة.

5-زرزة: Azerza لونها أسمر ونصف رطبة ومتطاولة الشكل، وتتميز بمذاق جيد، يتم جنيها ما بين شهري أكتوبر ونوفمبر، وتحفظ في أكياس وبطانات[5].

6-تكربوشت: Tekerbuchet لونها أسمر نصف رطبة مستديرة الشكل، متوسطة الجودة يتم جني ثمارها ما بين شهري أكتوبر ونوفمبر، وتعتبر من التّمور المفضلة لدى سكان المنطقة وتخزن في بطانات أو في أكياس معدة لذلك[6]، تذكر بعض

1- Hannachi (S),et Khitri(D) Benkhalifa(A),Brac de la Perrière (R.A),Inventaire Variétal de la Palmeraie ,Algérienne, Anep ,Algérie ,1998 ,P52.
2- Hannachi (S),et Khitri(D) Benkhalifa(A), ،P 78.
3-Ibid , p36.
4-Ibid ,P 104.
5-Ibid ,P 122.
6-Ibid ,P 90.

الروايات أن والدة الولي الصالح الحاج مسعود كانت تتصدق عليه كل يوم بتمر تكربوشت خلال سنوات ضياعه واختفائه[1].

7-الدقلة: تعد الأفضل في الصحراء الجزائرية وخصوصا في الجنوب الشرقي[2] وتعتبر من بين صادرات المنطقة نحو التل، ومطلوبة بكثرة لدى المستوطنين الأوروبيين، نظرا لمذاقها الطيب[3] وجودتها، فدقلة نور هي النوع الوحيد الذي تخطى حدود الجزائر وبات المفضل في عملية التصدير للسلطات الفرنسية[4]، نحو مختلف الدول وخصوصا الأوروبية منها[5]، وتنتشر بمنطقة وادي ميزاب عدة أنواع من الدقلة منها الدقلة البيضاء[6] بالإضافة إلى أنواع أخرى ذات مذاق لذيذ منها: ليتيم، أوشيتي طولها 4 سم، وبوعروس Bouarouse لها نفس الطول مع أوشيتي، ودقلة ماقس تمرها أسود طوله 5 سم[7].

3 -جني التّمور والإنتاج:

أ-**جني التّمور**: يبدأ جني التّمور في المنطقة عادة في آخر فصل الصيف وبداية فصل الخريف، حيث يبدأ تشكل الثمار في منتصف ماي، أما النُّضج فيبدأ من منتصف شهر جويلية إلى منتصف شهر سبتمبر[8] ، ففي فصل الصيف يتم انتقاء التّمور النقية (البلح)، أمَّا التّمور التي تنضج مبكرة فتسمى(بسر)، ومنها تمور

1-مؤلف مجهول ، المصدر السابق، ص 11.

2-Institue Nationale de la Recherche agronomique d'Algérie de Ressource génétique de Palmier Dattier caractéristique du Cultiver de Dattier dans les Palmiers de sud Algérienne, Dossier N°1/2002 P 246.

3-Langronier,Le Palmier-Dattier à Laghouat et au m'zab(rapport)Semaine du Dattier, Imp. Imbert, Alger ,1932,P 385.

4-Couvet (capitaine), La culture de la Palmier au Souf ,In : R. A , 1er trimestre,1914, P85

5-Gouvernemet général de l'Algérie, Les Territoires du sud de l'Algérie, ancienne maison bastide Jourdan, Alger ,1922, PP 195-196.

6-Hannachi (S), Op.Cit.P44.

7-Langronier, Op.Cit.P386.

8-عثمان زقب، الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في وادي سوف1918-1947 وتأثيرها على العلاقات مع تونس وليبيا رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة،2005-2006 ، ص 60.

الحمـاري وتادمامـا وتـامزوارت؛ وهـي التـي تأكـل طازجـة قبـل نهايـة سـبتمبر[1]، أمـا بالنسـبة لدقلـة نـور فتبقـى بـالعراجين إلـى غايـة نهايـة الجنـي، والتّمـور الرخـوة فتكـون قـد قطفـت واسـتهلكت جميعهـا تقريبـا فـي شـهر أكتـوبر، ليبـدأ جنـي عـراجين التّمـور الجافـة ويسـتخدم فـي ذلـك المنجـل[2] بعـد أن تقطـع العـراجين بـه بعنايـة، وتنـزل إلـى الأرض بواسـطة الحبـال خاصـة إذا مـا كانـت التّمـور طريـة جـدًا، لـذلك تفـرش الأرض بقمـاش أسـود أو أبـيض يسـمى بالمنـديل، ويقـوم بعمليـة الجنـي الخمـاس ويسـاعده شـخص آخـر أسفل النخلة [3].

تشـكل عمليـة قطـف التّمـور مناسـبة خاصـة، أيـن تـدعو العـائلات بعضـها الـبعض لتنـاول بعـض منهـا طازجـة، كمـا يرسـلون أحيانـاً عرجونـاً أو اثنـان إلـى المُسِـنِين، أو إلـى طلبـة مـدارس القرآن(الطلبـة) للـدعاء لهـم فـي صـلاتهم أن تعـم البركـة هـذا الجنـي[4]. وتنقـل التّمـور مـن الغابـة إلـى المدينـة بواسـطة مناديـل أو قفـاف كبيـرة؛ تسـمى "بالْعْـدَلْ" علـى ظهـور الحميـر والبغـال أيـن يـتم حمـل 70 كلـغ علـى ظهـر الحمـار الواحـد، أمـا البغـل الواحـد فيمكنـه حمـل مـا بـين 100 إلـى 120 كلـغ. والتّمـور التـي تقطـف مـن النخّيـل الصَّـغيرة العمـر أو مـن الـذي ينمـو مـن النـوى لا يمكـن تخزينهـا، بـل تبـاع أو تأكـل طازجـة قبـل حلـول الشـتاء والتّمـور الناتجـة عـن هـذا النخيـل قليلـة علـى العكـس مـن ذلـك يمكـن حفـظ التّمـور المجنيـة مـن النخـل القـديم لمـدة أربـع أو خمـس سـنوات، دون أن تفسـد ليصـبح لهـا ذوق خـاص وتسـتخدم كعلـف لحيوانـات السـقي والـري. يـؤثر سـقوط الأمطـار علـى الثمـار التـي لـم تقطـف بعـد، فتصـعب عمليـة تخزينهـا فـلا يمكـن جنيهـا إلاّ بعـد هبـوب ريـاح قويـة لتجفيفهـا لـيحفظ فيمـا بعـد فـي"بـاجو"Bajou [5]؛ المبنـي بأغلـب منـازل

1-Charlet,Op.Cit.P 69.
2-Couvet ,Op.Cit.P P 62-64.
3-Charlet,Op.Cit.P 79.
4-Ibid , PP 79-80.
5-هو بناء طوله 1,50متر وارتفاعه ما بين 3 و4 أمتار يبنى في زاوية البيت المعد للمؤونة، وتوجد في الطابق العلوي وله فتحة وجدرانه مطلية من الجبس ولها مخرج خاص لتجميع معجون التمر والمسمى بالرب، ينظر: Charlet,Op.Cit , P 81 .

المنطقة، تساعد الرياح الجنوبية الغربية المعروفة تحت إسم"الغربي" أو(الشهيلي) والتي تهب مع شهر جويلية في عملية الإسراع في نضج التّمور، ويتداولون في ذلك المثل الشعبي:" الغربي للنخلة والشرقي للرخلة " [1] .

توجد بعض الأصناف التي لا يكتمل نضجها، مثل توادجت Tauadjet إلاّ بعد وضعها في أكياس وتعريضها للشمس لمدة 8 أو 15 يومًا، والبعض يترك في العراجين وتعلق في المنازل، كما يتم تخزينها في جلود الخراف أو الماعز [2] المعدة لذلك، يتم استهلاك تقريبا كل التمر المجني. ما يميز أصحاب الأجنة هو تفانيهم في زراعتها وأفضل أنواع التّمور التي تحفظ فهي: الغرس، تازيزاوت Tazizaout ، وتيم جوهرت وتدالة، وأزرزا، وبنت قبالة، وتيزوين[3]؛ والراجح أنّ البعض إن لم نقل أغلب هذه الأنواع نمت بالصدفة عن طريق البذر في وقت مضى، من طرف العابرين على المنطقة وأصحاب القوافل التجارية المترددين عليها شمالاً وجنوبًا، والذين يكون غدائهم في الأساس مُكوَّن من التمر.

هناك بعض الأصناف التي لا توجد بالمنطقة، وتعرف في الواحات المجاورة مثل تيلمسون Tilemson أو ما يعرف بـ" تين ناصر" Tin-Naceour، والشيخ "Cheikh" وهو التمر الذي ينضج باكرًا في توات وتيدكلت، وتوجد بهما تيغازا Tiggazza وبه نوايتين وتزرزا Tazerza وهي تختلف عن أزرزة Azerza الموجودة في المنطقة والأنواع المذكورة سابقًا فهي غير معروفة في غرداية [4] .

ب-إنتاج التّمور: لا يكفي إنتاج التّمور بالمنطقة عن سد احتياجات كل السكان وتباع منه كمية للبدو الرحل وسكان الهضاب العليا، فسكان ورقلة يُحضِرُون كل سنة كميات كبيرة من التّمور لبيعها في ميزاب، ويبيعون المتبقي للقوافل التي تقضي فصل

1- Charlet,Op.Cit ,PP 81-82.

2-يسمى هذا الجلد الذي يخزن فيه التمر بالبطانة Betana مجموع البطن ويخزن فيها بعض أنواع التّمور.

3- Charlet,Op.Cit , P 82.

4-Ibid , P 84.

الخريف في المنطقة، ويدخل منتوج التّمور في حركة المبادلات التجارية مع مختلف المناطق فيُبَدل أويُقَايَض ببعض السلع الأخرى مع البدو الرحل، الذين يجلبون معهم الصوف والسمن والأجبان والأغنام. قدر المتوسط السنوي لإنتاج التّمور بالمنطقة مع نهاية القرن 19بـ 819.000 فرنك[1]، ويمون انتاج 200.000 نخلة إلى حد ما حاجيات الاستهلاك لـ 30.000 ساكن، أمَّا الاستهلاك السنوي فيقدره كل من أمات وكيون بحوالي25.000 قنطار[2]، فالنخيل عند الأغنياء والميسورين هو أحد الأهداف والمصادر الهامة لضمان التجارة في الشمال، أمَّا بالنسبة للفقراء فالنخلة هي مصدر رزقهم الحقيقي إن لم نقل الوحيد، حيث تباع النخلة الواحدة بـ 500 فرنك[3].

4-مشاكل النخيل: من أهم المشاكل التي عاقت زيادة النخيل وإنتاج التّمور هي:

1-شح مصادر المياه أهم عنصر أعاق زيادة النخيل، فأماكن المياه لم تكن كلها مستغلة، ويتم جلبها من الآبار التقليدية بصورة شاقة من الطبقة الجوفية، لسقي النخيل إضافة إلى أن التساقط المؤدي إلى الفيضانات هو الآخر قليل الحدوث، بمعدل فيضان في كل 13 سنة، عكس مدينة القرارة التي تشهد سيل الأمطار كل سنتين أو ثلاثة سنوات[4]، كما أن سيلان وادي زقرير يكون في أغلب الأحيان مرة كل ثمانية سنوات[5].

2-لقد أدت الفتن الحاصلة بين الساكنة إلى تناقص أعداد النخيل الذي يتطلب عناية خاصة وسنوات طويلة لإعطاء المنتوج، وكثيرًا ما كانت تُصَادَرُ النخيل للطرف الغالب؛ مثلما حدث سنة 1805 م حين أشعل المذابيح النار في واحة غرداية وأتلفوا عدداً معتبرًا منها، فمع تواصل هذه الفتن والصراعات على مَّرِ السنوات تم القضاء

1-Coyne,Op.Cit.P 23.
2-Ibid,Op.Cit,P 23..Et.Amat, Op.Cit.P236.
3-Charlet,,Op.Cit.P 83 85.
4-Amat,Op.Cit.P 219.

5-Ville(M), Op.Cit, P15.

على جزء كبير منها، يذكر محمد بن شتيوي هذا الخراب للنخيل عند قدوم الثائر محمد بن عبد الله للقرارة في ما يلي:" ...وفي سنة1269 من الهجرة وفي سنة 1852 في الصيف فقطع تقريب الفين نخيل وذهب الى الأغواط تلاقى بعسكر افرانسا..."[1] وذلك بسبب مساندة وتعاون بعض سكانها مع الفرنسين[2] مثلما يذهب إليه فيل ville ، وعندما وقعت الفتنة عام 1823 م حين إلتجأ المشارقة إلى بريان وهدم المغاربة نصف حيهم وبقي النصف الآخر فأعطوهم للعطاطشة وسكنوه، كما أعطوهم نخيلهم في الواحة[3] .

3-تلف النخيل وانتشار العديد من الأمراض التي تصيبها في فترات مختلفة، إما لأسباب مناخية وبيولوجية أو لأخطاء بشرية، ناتجة عن المزارعين ومن بينها:

أ-**الخمج:** سببه سوء السماد، يَصْفَرُ لون الجريد، لذلك تعاد عملية التسميد سريعاً[4].

ب-**البوفروة:** تنمو في الصيف فطريات على الثمار، ما يؤدي إلى خسائر في المنتوج وتتم معالجتها بجير الكلس والكبريت[5] .

ج-**السوسة:** تتسبب فيها يرقات صغيرة تهاجم قلب النخلة، وتسمى النخلة المصابة بـ "المْسَوْسَة"، ويسبب المرض في الغالب تمور فاسدة عالقة في قلب النخلة لا تنزع[6] ولعلاجها يتم غسل الجزء المتضرر بماء مالح جدًا، يرمى به في قلب النخلة.

لم تهتم فرنسا منذ معاهدة الحماية وبعدها بسنوات بتطوير وزيادة عدد النخيل فهي لم تتدخل لتنظيمه والعناية به، واستمر اعتناء السكان به لوحدهم وبطرقهم التقليدية ولكنها منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر بدأت في بعث رجالها

1-محمد بن سليمان شتيوي، المصدر السابق، ص 321.

2- Ville(M), Op.Cit,P19

3-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.2، ص ص 97-98.

4-Couvet,Op.Cit.P 57.

5-عثمان زقب، المرجع السابق، ص 212.

6- Couvet,Op.Cit. P P 54-56.

المـدنيين والعسـكريين المستكشـفين للمنطقـة[1]، فكتبـوا تقـارير دقيقـة ومعلومـات مفصـلة حـول المنطقـة فـي مختلـف مجـالات الحيـاة، ومنهـا المجـال الزراعـي وخاصـة النخيـل فبـدأوا بتـدوين معلومـات عنـه وعـن أنواعـه وأعـداده؛ بـدءًا مـن النصـف الثـاني مـن القـرن 19 وقتهـا بـدأت مرحلـة جديـدة لتنظـيم للنخيـل والاعتنـاء بـه بطـرق حديثـة، وفـق التطـورات الحاصـلة حينهـا فـي هـذا المجـال، يتحـدث شـارلي Charlet فـي كتابـه "النخيـل بميـزاب" عـن هـذا الأمـر فيقـول: "...ظـروف الحيـاة تغيـرت وثقافـة الاعتنـاء بالنخيـل، كمـا تضـاعف عـدد السـكان عشـرة مـرات علـى مـا كـان عليـه فـي الماضـي وتزايـد عـدد النخيـل..."[2]، فـالإدارة الفرنسـية بعـد الضـم العسـكري ركـزت اهتماماتهـا علـى تطـور النخيـل، وإنتـاج التّمـور نظـراً لقيمتـه الاقتصـادية ومداخليـه الماليـة، فجلبـت أعـداداً كبيـرة مـن فسـائله مـن المنـاطق المجـاورة، التـي عرفـت تطـورًا فـي هـذا المجـال كبسـكرة، ووادي سوف، وتقرت.

5-مصـادر الـدخل المختلفـة مـن النخيـل: النخلـة شـجرة مباركـة منحـت السـكان الغـذاء الأساسـي وأمـدتهم بخيراتهـا، ولعبـت دورًا هامًـا فـي اسـتقرارهم بالمكـان منـذ القـدم وعوضـتهم عـن نقـص المـوارد الأخـرى، فقـد كانـت مـورد رزق وسـلعة تجاريـة ومـادة خـام اسـتخدمت لأغـراض مختلفـة فـي البيـوت أو فـي الصـناعات أو الأنشـطة الزراعيـة فالنخيـل رأسـمال مهـم للأهـالي وامتلاكهـا هـو امـتلاك للمـال؛ يتـراوح سـعر فسـيلة بنـت قبالـة مـا بـين بـين50 و60 فرنـك، وبعـض النخيـل ينـتج مـا يقـارب150 كلـغ مـن التمـر والغلـة التـي تعطيهـا النخلـة تتـراوح مـا بـين40 إلـى80 كلـغ، ويبـاع بحـوالي30 فرنـك للقنطـار، فـي الظـروف الحسـنة، وقـد بلـغ سـعر النخلـة مـع نهايـة ق.19 وبدايـة ق.20

1- كتب ودون الكثير من الأوروبين(رحالة، مستكشفين، عسكرين، مبشرين) تقاريرهم عن وادي ميزاب نذكر من بينهم:
Daumas, le Sahara algérien, Ville, Exploration Géologique Du Beni Mzab Henry Duveyrier, Coup D'œil Sur le Pays Des beni-m''zab–Coyne ,Le mzab- Zeys,voyage d'Alger au M'Zab. - Paul solleillet, les voyage et découvertes- Charles Amat, le Mzab et les mozabites. - Charlet (L), les Palmiers de M'Zab.

2-Charlet, les Palmiers du m'Zab, In :Bulletin de la société de géographie d'Alger et de l'Afrique du Nord,1905 ,P 85.

بـ500 فرنك[1]، تحكمت عدة عوامل في أسعارها منها ما يعود إلى اختلاف الظروف التي تتعرض لها النخلة طبيعيًا أو للظروف العامة التي تتحكم في سعرها كنوعها وجودتها وأماكن جلبها، وأسعارها في الأسوق المجاورة والوضع المعيشي للسكان.

أ-**التّمور**: تعد مصدر استهلاك محلي ومهم للسكان، ومادة مقايضة للتزود بمحاصيل وسلع أخرى، من قمح وحبوب وزيت وسكر. ومنتوجات مصنوعة بالشمال وأوروبا[2].

ب-**الجذع:** هو ساق النخلة، ويستخدم في البناء بعد تكسيره ووضعه تحت أشعة الشمس عدة أيام ليجف، كما يعد مادة فعالة لحرق الجبس وتصنع منه الأبواب والخطارة[3]، يستعمل في تسقيف المنازل مما يجعلها تقاوم العوامل البيئة الطبيعية والمناخ لقرون عدة[4] .

ج-**الكرناف**[5] : يستخدم كحطب للتدفئة، كما يستخدم كمشط لترطيب نسيج الصوف "المحكاك" .

د-**الجريد:** انتفع به الأهالي في البناء وتسوير وتحويط[6] البساتين، ويستعمل عندما يجف للطهي، كما يصنع منه القفاف والأطباق والصحون والكسكاس والقنينة للماء أو اللبن أو للحصير، وتصنع منه أيضًا غرائر لحمل التمر من مكان لآخر والزنابيل[7] (غناتة)، والقفف والسلال والأكياس بأحجام مختلفة ذات الاستعمالات العديدة.

2-Charlet, Op.Cit .PP 79-85.

2-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.2، ص 53.

3-Couvet,Op.Cit.P 69.

4-Charlet , Op.Cit. P 27.

5-وهو الجزء الأعلى من الجريد يستخدم لإشعال النار وكوقود للطهو والتدفئة أو لحرق الجبس.

6-Couvet,Op.Cit.P 69.

7-أيوب بن ابراهيم القرادي، المرجع السابق، ص 48.

هـ-الليف[1]: يصنع منه الغنانيت (جمع غناتة) أوما يعرف بـ"الخرج" والحبال لسحب الماء من الآبار[2] .

و-نواة التمر: تستعمل لأغراض عديدة، وتعد غداء للجمال والماشية والدواجن[3] . وحتى شوك الجريد يستعمل كدبابيس وإبر للخياطة والتعليق.

2- الزراعات المعاشية: تعتبر الزراعات المعاشية في المنطقة مهمة جدًا، عندما يكون موسم محصول التمر سيئ -رغم قلة إنتاجها- في غذاء السكان خاصة عند الحضر، رغم كونه لا يمثل قيمة مادية عالية بالنسبة للمداخيل في المنطقة وفي استهلاكهم، لم نتعرف أكثر وبصورة أدق على واقع ومكانة المزروعات المعاشية خلال ق.18 والنصف الأول من ق.19م، وما يمكن الإشارة إليه هو أن هذه الزراعات لم تكن منوعة، واقتصرت على زراعة الفول وبعض الحبوب فاتفاقات العزابة المعقودة قبل وخلال القرنين محل دراستنا في المنطقة، أصدرت مجموعة من القرارات تتعلق بتنظيم أمور الواحات وحمايتها، والمُسْتَفاد من ذلك أن هذه الاتفاقيات شملت الاعتناء بالزراعات المعاشية مع قلة إنتاجها وعدم تنوعها. لم تشر أغلب المخطوطات والوثائق لهذا النوع من الزراعات، وما تم ذكره هو النخيل والحبوب، دون التفصيل في أنواعها وأسمائها، وبحكم الهجرة وتجارة الميزابين المستمرة إلى المناطق الشمالية، فمن المحتمل أنهم نقلوا بذور بعض النباتات الزراعية الشمالية المنوعة إلى الوادي.

فالزراعات المعاشية مقارنة بالتّمور تعد أقل أهمية ولم تكن معتادة لديهم، فيمكننا القول بأنها حتى وإن كانت قليلة في القرن 19م، فهي أقل عند القرن السابق له وتزرع بمحيط النخيل[4]، لكي لا تكون عرضة للإتلاف نتيجة الظروف المناخية

1-هو عبارة عن نسيج يلتصق بقلب النخلة.

2-أيوب بن ابراهيم القرادي، المرجع السابق، ص 48.

3-نفسه ص 47.

4- Charmetant (Père),Des Presses A.vapeur de « La Minerve »,Montréal ,1875,P 29.

التي تعرفها المنطقة بالإضافة إلى إهمال أغلب السكان من العرب؛ وخصوصًا الرحل منهم لبساتينهم، فيتركون أغلب أراضيهم بورًا ولا يزرعون فيها هذا النوع، عدا بعضاً من النخيل الذي سلموا أمره لبعض الموكلين بها أو الخماسين، بعد ترحالهم في أطراف الصحراء. وقد عاقت النزاعات والفتن الحاصلة بين الساكنة الاهتمام بها، ما جعلهم لا يشعرون بالأمان فيحتمون بالقصور ولا ينزلون إلى أجنتهم وغاباتهم لأيام طويلة، وإن كانت فيها بعض الزراعات المعاشية الموسمية فقد تموت، ويتميز هذا النوع من الزراعات بأنه يحتاج إلى العناية المتواصلة حتى يعطي منتوجه، عكس التّمور حتى وان لم يعتن بها لمدة معينة فهي لا تتأثر بذلك؛ خاصة إذا كان النخيل قد تجاوز خمس سنوات، كما تشهد المنطقة من وقت لآخر تساقط الأمطار الطوفانية خصوصًا وقت الصيف والخريف؛ مما يؤدي في الغالب إلى إتلاف المحاصيل المعاشية.

هذه الظروف التي ميزت الفترة جعلت سكان المنطقة لا يهتمون كثيرا بها ولا ينوعون فيها، وإنما اقتصرت على القمح والشعير، والبصل، والفول، والبطيخ بأنواعه ومع النصف الثاني من القرن الموالي أصبحت هذه الزراعات تقدم منتوجًا متنوعًا بحيث نجد بعض الأشجار المثمرة مثل الرمان، والتفاح، والخوخ، والإجاص، والتين والمشمش والعنب[1]، أما زراعة الخضروات التي يتم تسويقها محليا ويعتمد في سقييها على مياه الآبار الجوفية [2] فشملت البصل، والثوم والفول، واللفت، والجزر والبطيخ بنوعيه والقرع والفلفل، والكرم[3]، فأصبحت تلقى إهتمامًا وإقبالاً أكبر نتيجة الاستقرار الواضح للسكان والوافدين على المنطقة، وتزامن ذلك مع إهتمام السلطات الفرنسية بهذه الزراعات من خلال حفر العديد من الآبار في مدن المنطقة، ما مَّكن الأهالي من العناية بهذا النوع الزراعي. لقد حاول رؤساء المكاتب العربية وملحقاتها

1-Coyne,Op.Cit.P 21.
2-Daumas,Op.Cit.P 64.
3-Coyne,Op.Cit.P 21.

تشجيع الزراعة الصناعية الجديدة، وتوسيعها وتشجيع الأهالي على زراعتها كزراعة البطاطا، التين والزيتون وادخال بعض الأدوات الزراعية الأوربية [1]، وسعت إلى إحداث مشاتل لتزويدهم بالشتلات وفسائل الأشجار المختلفة والمثمرة؛ إذ أقِيمت بغرداية مشتلة على مساحة 3.8هكتار تحت اهتمام القائد ديديه وبها سبعة آبار تخصص لإنتاج شتلات شجيرات الفواكه وبعض النباتات التزينية [2]، كان الهدف منها تلطيف الأجواء الحارة وقت الصيف واستفادة الفرنسيين من ذلك.

3-الثروة الحيوانية وأهمية الرعي: قال الله تعالى ﴿ وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾[3]، بالفعل لها منافع عديدة للسكان فليس من الغريب أن نشاهد في ميزاب تربية معتبرة منها، وتعد مصدراً مهمًا في حياتهم وخاصة الرحل، لأن غذائهم يتكون من تمر وحليب ناهيك عن دورها خاصة الجمال في دعم وسيلة تجارة القوافل منذ القرون الماضية، بالإضافة لما توفره من مداخيل لها قيمتها في الصحراء من مواد خام(صوف، شعر، وأوبار) في الصناعة اليدوية، في بعض الأحيان يعمد صاحب أرض به بئر إلى استغلالها بواسطة أجير؛ وفق ما جاء في عدة اتفاقيات المجلس الأعلى بوادي ميزاب[4] ، ومهمة حرث الأرض عادة ما يكلف بها الخماسين الذين يهتمون برعاية قطعان الماشية [5] .

1-شارل روبير آجيرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، تر.عيسى عصفور، ط.1، منشورات عويدات، بيروت-باريس 1982م،ص54.

2-Robin (commandant), le Mzab et Son Annexion à la France, Adolphe Jourdan, Alger,1884, P 46.

3-سورة النحل: الآية 5 .

4-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.2،ص 42.

5-عثمان حساني، البيئة الإجتماعية والاقتصادية للصحراء الجزائرية من خلال تقارير الأجانب في القرنين 18 و19، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر، 2006. 2007، ص 77.

يعد الرعي مصدر رزق وعيش للسكان على مر العصور، ولكننا نفتقد إلى احصائيات تخص الثروة الحيوانية وجوانب دقيقة عن طريقة الرعي في المنطقة، ولا يمكننا نكران أن عددها معتبر، بدليل أن المنطقة كانت تجارية على درجة كبيرة تعتمد في وسائل نقلها ومبادلاتها على الجمال، وفي بعض الأحيان يقومون بكراء الجمال للقبائل المجاورة لتحمل سلعهم، وهي مصدر المواد الأولية في الصناعات النسيجية التي عرفتها المنطقة. وتتم عملية الرعي في النواحي المحيطة للوادي، التي يكثر فيها الكلأ والماء، فقد كان من بين ردود فعل الأهالي على الضم العسكري فرار أهم مُلاّك هذه الثروة إلى نواحي بعيدة، خوفًا من ملاحقة فرنسا لهم نتيجة تبنيهم ودعمهم لزعماء المقاومات وخصوصًا قبائل الشعانبة؛ الذين كانوا يمارسون هذه المهنة داخل وخارج بلاد الشبكة مع بعض القبائل العربية الأخرى، الذين كانوا يمتلكون أعدادًا كبيرة من الإبل والغنم[1] .

وما وقع تحت أيدينا من الإحصائيات متفرقة لا تكفي ولا تفي بالغرض فلا ثروة العرب والميزابيين تمكننا من إحصائها، نتيجة تكتم الساكنة عنها، وبسبب تنقلاتهم المستمرة وتعرض بعضها للغارات وغزو القبائل المجاورة، وهلاكها ومصادارتها من طرف السلطات الفرنسية التي اعتقدت بأنه الحل المناسب للتضييق على السكان لدفعهم عن التخلي في دعم المقاومات الشعبية المجاورة للمنطقة، ومن بين أنواع الماشية نجد:

1-الجمل: ويسمى بسفينة الصحراء ينتشر بشكل كبير في الصحراء، ويمثل مورداً اقتصادياً مهماً للسكان، ويستعمل لنقل الأمتعة الثقيلة والخيام ومختلف البضائع مع تحمله للتعب والعطش، وعادة ما يستطيع الجمل حمل بضاعة تقدر بـ 240 كلغ وتقطع ما بين 15 و20 كلم في اليوم، وهي ليست من النوع الرفيع وأقل سرعة من

1-Yvesr Regnier, Op.Cit, P 53.

جمال الطوارق؛ ولكنها أقوى منها على تحمل العطش والتعب[1]، وهناك جمال السباق وجمال خاصة بالاستهلاك، يقدر عدد الجمال التي يملكها فخذ البرازقة مثلاً على وجه التقريب نحو 5500 جمل، وعدد رؤوس الأغنام بـ 8000 رأس، كما يملك أولاد علوش معظم قطعان الغنم ويربون الماعز، فهذا Chatlier يشير في حديثه عن حركة المدقنات إلى وجود أعداد كبيرة للجمال والمهارى من بداية مقالته إلى آخرها[2]. وتتفق الكتب والمراجع الغربية على أن عدد رؤوس الجمال كبير فبحسب إيجان دوماس[3] إن الغنى الأكبر لقبيلة الشعانبة يتمثل في القطعان الكبيرة للجمال والغنم[4]، فهم يقومون بجولات للبحث عن أماكن الرعي، ويعودون إلى مواطنهم مرة في العام بانتظام والبرازقة يتركون قطعانهم مع الرعيان، ويعودون إلى الوادي في موسم جني التّمور نهاية الصيف وبداية الخريف، ومع حلول فصل الشتاء يخرجون للانتجاع؛ إذ يخرج الأثرياء ذوو القطعان الكبيرة أولا، ويمضون في الانتجاع طوال الشتاء والربيع حتى شهر يونيو، حين يضربون مخيمات ثابتة يتركون فيها الأطفال والنساء وبعض الرجال، بينما يستمر الباقي على حياة الانتجاع والتجوال، وفي شهر أوت وسبتمبر ترفع المخيمات ليعودوا مرة أخرى ويختتموا الدورة السنوية[5].

1-إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها، م. و . ك ، الجزائر، ص 175.

2 -Le Chatelier, les Medagnat, R.A, 30 Année, N° 175.1886, PP 48-55

3-إوجبن دوماس: Joseph Melchior Daumas مستكشف ورجل عسكري فرنسي تقلد عدة مناصب ولد في 4 سبتمبر 1803م في ديلمور بسويسرا جند في الجزائر سنة 1835 تحت أمر الماريشال كلوزيل، بمنطقة معسكر، عين كقنصل في دولة الأمير عبد القادر ثم تلمسان، تدرج في الرتب إلى أن وصل إلى رتبة جنرال، شجعه الجنرال بيجو على إكتشاف الأراضي الجزائرية وهو ما مكنه من تأليف عدة كتب؛ منها كتاب الصحراء الجزائرية ومؤلفات أخرى عن والعادات والتقاليد والمجتمع وفيما بين 1843 و1845 قاد عدة بعثات من مدينة الجزائر باتجاه مناطق عديدة من الجنوب الجزائري. توفي في 29 أفريل 1871م بكمبلان جيروند ينظر:

Narcisse ,Op.Cit.P P 178-179.

4-Daumas, Mœurs et Coutume de l'Algérie, tel-Kabili-Sahara 2eme Edition librairie de l'Hachette et C.Paris, 1855, P 312.

5-إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص ص 165-166.

-**جمـــال الســـباق (لمهـــارى):** تعتبـــر مـــن الحيوانـــات النبيلـــة وتخصـــص للســـباق وللغـزو[1]ولهـا مكانـة فـي المجتمـع الصـحراوي، لـذلك يتـراوح ثمنهـا مـا بـين 200 إلـى 300 بوجـو يقـدرCharles le Goffic سـعر المهـارى وخصوصـاً البيضـاء فـي سـوق غردايـة بثلاثـة آلاف فرنـك[2]. ورغـم عـدم وجـود إحصـاء لـرؤوس الجمـال مـن هـذا النـوع، إلا أن عـددها كـان معتبـرًا حسـب الكتابـات الفرنسـية التـي وصـفتهم وذكـرتهم فـي أغلـب كتاباتهـا وتقاريرهـا، ولأنـه يتميـز بسـرعته فقـد اعتمـد عليـه فـي عمليـات الغـزو الـذي عرفتـه المنطقـة ومـا جاورهـا؛ ولسـرعتها اسـتعانت فرنسـا بـبعض الـذين يجيـدون ركـوب المهارى(المهاريسـت)[3] مـن المنطقـة، لِلّحـاق بالثـائرين والخـارجين عنهـا، ولإيصـال البريـد مـن المنطقـة إلـى الجهـات المجـاورة، وقـد بلـغ عـددهم سـنة 1896م حسـب الإحصـائيات الفرنسية بـ:675[4]

2-الأغنـــام: تتـوفر بـلاد الشـبكة علـى عـدد لا بـأس بـه مـن الأغنـام، نتيجـة الاحتكـاك التجـاري الحاصـل بـين المنطقـة ومـدن الجـوار، فأثنـاء اسـتقرار أو تـردد بعـض القبائـل العربيـة علـى الـوادي كانـت تجلـب معهـا رؤوس معتبـرة منهـا، كعـروش أولاد نايـل، الأربـاع وقبائل الأغواط، وتقرت[5] ووادي سوف وغيرهم[6].

1-Daumas, (E),Op.Cit.P 363.

2- charles le Goffic,La Rose Des Sable, L'édition D'art H.Piazza,Paris,1932,P125.

3-المهـارى(Méhariste) فـرق عسـكرية تـم تشـكيلها مـن طـرف الفرنسـيين نهايـة القـرن التاسـع عشـر مـيلادي، تتكـون مـن أبنـاء بعـض المـدن الجنوبيـة؛ كورقلـة ومتليلـي والـوادي وتقـرت وبسـكرة وغيرهـا، مهمتهـا تسـهيل عمليـة التوسـع الفرنسـي نحـو الصـحراء ومعاقبـة وملاحقـة الخـارجين عنهـا، ومعاقبـة المهـربين وقطـاع الطـرق، وقـد ضـمت فرقـة المهاريست عدد كبير من أبناء الشعانبة ممن لهم خبرة ومعرفة واحتكاك بالمسالك الصحراوية ودروبها.

4- سعيد بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.2، ص173.

5-مدينة قديمة، وهي مسورة بسور من الطوب والطين، وتقع عبى بعد نحو خمسمائة ميل جنوب البحر المتوسط، وهي عامرة بالصناع والنبلاء والأغنياء الذين يملكون حدائق النخيل، وتوجد حولها عدة قصور وقرى مأهولة. ينظر: الحسن بن محمد الوزان الفاسي، المصدر السابق،ج2، ص135.

6-le Sahara algérien, P P 67-68.

3-المـاعز: إن الاهتمـام بتربيـة قطعـان المـاعز هـي مـا يركـز عليـه أغلـب المُـرَّبِين فمـا هـو متفـق عليـه أن مـدن ميـزاب تملـك أعـداداً تكفـي حاجاتهـا مـن اللـبن واللحـم، وتقـوم عليـه قاعـدتهم أكثـر مـن الجمـال التـي تخـص بعـض القبائـل، فكـانوا يربـون منهـا مـا تسـعه منـازلهم، وبمـا أن سِـمَة أهـل الباديـة هـي الرعـي وتربيـة المـاعز؛ فحيـاتهم قائمـة علـى وجـود هـذه الثـروة [1]، تمتلـك كـل دار تقريبـا فـي المنطقـة رأسـا أو إثنـين وهي(تسـرح) أي ترعـى كـل يـوم مـن طـرف راعـي ينطلـق بهـا صـباحا يعـود بهـا مسـاءا لأصـحابها، رغـم عـدم وجـود مراعـي واضـحة ومخصصـة لهـذا الأمـر [2]؛ تسـلم مهمـة رعـي القطيـع لشـخص يكـون محـل ثقـة الجميـع، وقـد نقـل ذلـك موتيلينسـكي[3] فـي كتابـه "تأسـيس مدينـة القـرارة" نصًـا لعقـد مكتـوب بـين سـكان مدينـة العطـف وأحـد سـكان البـدو، المسـمى محمـد بـن سـنية الـذي تعهـد بحمايـة قطيـع العطـف لمـدة 10 سـنوات[4]. تتميـز لحومهـا برداءتهـا حسـب الطبيـب الفرنسـي هـوجي إذ يقـول:" مـا كـان يـؤثر سـلبا علـى صـحة السـكان"[5]، رغـم عـدم وضـوح أرقـام المعـز بالمنطقـة إلا أن الإحصـائيات الفرنسـية قـدرتها سـنة 1896بـ 2840 رأس[6].

1-Paul solleillet, l'Afrique Occidentelle l'Algérie, Mzab, Tildikelt, imprimerie de f.Seguine aime, 1877,p 86.

2-Robin,Op.Cit.P 16 .

3-ادولـف كلاسـنتي موتيلنسـكي Motylinski Calassanti Adolpheبولـوني الأصـل ولـد بمعسـكر سـنة 1854م بـدأ حياتـه مترجمـا عسـكرياً فـي غردايـة، اهـتم بدراسـة المـذهب الإباضـي والمؤلفـات التـي كتبـت حولـه، نشـر أبحاثـاً حـول جزيـرة جربـة وجبـل نفوسـة ووادي ميـزاب؛ ومـن ذلـك ببليوغرافيـة عنـه وترجمـة بعـض المخطوطـات، تـولى منصـب مـدير مدرسـة قسـنطينة العربيـة –الفرنسـية سـنة 1887م، ثـم أصـبح أسـتاذ كرسـي اللغـة العربيـة، خـلال رحلتـه العلميـة الخاصـة بـالمجتمع الجزائـري اسـتطاع أن يـربط علاقـات وطيـدة مـع علمائهـا فـي الشـرق والجنـوب الشـرقي، تـوفي سـنة 1907م.ينظر:أبـــو القاســـم ســـعد الله، أبحـــاث وأراء فـــي تـــاريخ الجزائـــر،ج.4،دار البصـــائر للنشـــر والتوزيع،الجزائر،2007 ص41.كذا:

Massé(Henri) Les Etudes Arabes en Algérie(1830-1930),In R.A,N74,Année 1933,A.Jourdan,Libraire-Editeur,Alger,1933,P218.

4-Motylinski (Calassanti Adolphe), Notes Historiques Sur le Mzab. Guerara Depuis Sa Fondation, Adolphe Jourdan, Alger ,1885, P 43.

5-Huguet (J) Les Conditions Générales de La vie au Mzab, P 228.

6-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ص 173.

4-الخيـــل: قـــال الله تعالى:﴿وَالْخَيْـلَ وَالْبِغَـالَ وَالْحَمِيـرَ لَتَرْكَبُوهَـا وَزِينَـةً وَيَخْلُـقُ مَـا لَا تَعْلَمُـونَ﴾[1] لقـد حملـت الآيـة الكريمـة دلالـةً واضـحةً علـى حاجـة الإنسـان لهـذه الأنـواع المـذكورة، فالخيـل تمتلكـه العـائلات الغنيـة وخصوصـاً البـدويين مـنهم والقيـاد، ويجلـب مـن مـدن الأطلـس الصـحراوي، وأحيانـاً يقـوم الشـعانبة بجلبـه مـن المـوانئ المطلـة علـى المحـيط الأطلسـي مـن جهـة المغـرب ويبيعونهـا لـبعض القبائـل الصـحراوية كـأولاد منيـع وبعـض القبائـل والتـوارق[2]؛ وقـد جـاء فـي أحـد بنـود نـص معاهـدة 1853 م مـا يلي:"وتحملـوا مـا اشـترطه علـيكم سـيدنا المرشـال والـي عمالـة الجزايـر وتـراهم دفعـوا لنـا الخيـل متـاع القـادة"[3]، ولكننـا لا نـدري كـم كـان العـدد المـدفوع ؟ لا تسـاعد الظـروف المناخيـة القاسـية أحيانـاً علـى امتلاكـه، فهـو أقـل تحمـلاً للمسـافات الطويلـة والمشـاق، عـلاوة علـى أنـه يحتـاج إلـى حصـة معتبـرة مـن الشـعير؛ فهـذا السـيد دوران رئـيس المكتـب العربـي بـالأغواط يوصـي سـنة 1872م بنـي ميـزاب بـأن يعطـوا قبائـل الأربـاع التـي اسـتقرت بالمنطقـة مـن أصـحاب الخيـول وعـددها 45 مـن أربعـة كيلـو مـن الشـعير فـي كـل يـوم سـابع مـن الشـهر[4]، ولأنَّ انتـاج المنطقـة مـن الشـعير لا يلبـي حاجيـات السـكان بشـكل كـافٍ، لـذلك لا نعتقـد بأنـه توجـد كميـات وفيـرة منـه حتـى تُعطـى للخيـول، وقـد تخلـت إدارة المكتـب العربـي بـالأغواط عـن الاسـتعانة بـه لإيصـال البريـد والأخبـار بينهـا وبـين وادي ميـزاب لهـذه الأسـباب يَقِـل وجـوده بالمنطقـة وفـي الصـحراء عمومًـا[5]، ولـم يكـن امتلاكـه متـاح للعامة،وقد بلغ عدده حسب الإحصائيات الفرنسية سنة 1896م 25 حصان[6] .

1-سورة النحل: الآية7-8.

2-Paul solleillet,Op.Cit.P 86.

3-حمو محمد عيسى النوري، المرجع السابق، ص 273.

4- إبراهيم بن أيوب بليدي، إعطاء الضوء للصحراء، المطبعة الجديدة يزور يقيس، سكيكدة، قسنطينة، 1903، ص40.

5-Daumas (E), Mœurs et Coutume de l'Algérie,P 362 .

6-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.2، ص 173.

5-البغـــال: تتميـز بتحملهـا للمشـاق وتسـتخدم للركـوب وفـي حمـل الأثقـال والسـلع، وفـي أعمـال البسـاتين والبنـاء واسـتخراج الميـاه، وقـد كانـت تُـدَار طـواحين الرحـى فـي الجزائـر بواسطتهم؛ فامتلاكها مهم لأصحاب هذه الطراحين لمزاولة نشاطهم.

6-الأحمـــرة: لا يمكـن الاسـتغناء عنهـا فـي إدارة الأشـغال اليوميـة، كنقـل البضـائع بـين مـدن الـوادي، كونهـا أحـد أهـم وسـائل النقـل حينهـا وتسـتعمل أيضـاً للخدمـة داخـل الحقـول لا نملـك إحصـائيات دقيقـة عـن عـدد البغـال والحميـر؛ لكـن يبـدو أن عـددها معتبـر، علـى رأي بـول سـوليبه:"...لديهم عـدد كبيـر مـن الحميـر..."[1]؛ فـلا يمكـن الاسـتغناء عنهـا فـي أشـغال الفلاحـة والبنـاء والتجـارة الداخليـة، ويجلـب عـدد كبيـر منهـا مـن الصـحراء، ففـي شـهر جـانفي سـنة 1883م جلبـت قافلـة قادمـة مـن تمنراسـت حـوالي 100 حمـار[2]، كمـا يربـي أهـل الباديـة المـاعز وعـدد صـغير مـن الحميـر ويوجـد بالخيمـة العاديـة حمـارين أو ثلاثـة[3] .لـم تـوفر لنـا الظـروف المناسـبة للوصـول إلـى جـرد وإحصـاء الثـروة الحيوانيـة خـلال هـذه الفتـرة، ولكـن يمكننـا طـرح بعـض الاسـتنتاجات المؤديـة إلـى خلاصـة القـول حول هذه الضبابية في إحصاء الثروة الحيوانية المختلفة وحصرها في هذه الأسباب:

1-لـم تصـلنا معلومـات واضـحة وكافيـة حـول امـتلاك أهـل البـدو والحضـر لهـذه الثـروة خـلال القـرن الثـامن عشـر، عـدا بعـض الإشـارات الخفيفـة والمتفرقـة فـي بعـض الكتـب والمقالات.

2-لقـد كـان القـرن الثـامن عشـر أقـل اضـطرابًا فـي المنطقـة مقارنـة بـالقرن التاسـع عشـر بمعنـى أنـه ربّمـا يكـون هنـاك اسـتقرار فـي الثـروة الحيوانيـة، كـون الإسـتعمار لـم يحـل بالبلاد والمنطقة بعد.

1- Daumas (E), Mœurs et Coutume de l'Algérie , P 86.
2 - Robin,Op.Cit.P 20.
3- إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص ص 165-166.

3-عدم استقرار البدو بحيواناتهم وتحركم المستمر بهم، طلباً لمعيشتهم ما جعلهم لا يستقرون في مكان واحد لأكثر من 4 أشهر.

4-لم يترك لنا سكان البدو والحضر أرقامًا دقيقة تخص ثروتهم الحيوانية، ولا إشارات واضحة عنها لِتُخَلِدَ قيمة هذا المصدر، ورغم امتهان أهل البدو للرعي وامتلاكهم لثروة كبيرة، إلاّ أنَّ القراءة والكتابة قلت بينهم، ما جعلهم لا يقيدون عددها معتمدين في احصائها على المشافهة والذاكرة المتوارثة ومعرفتهم بأماكن تواجدها فقط.

5-خوفهم من وصول معلومات عنها إلى بعض القبائل والعشائر الأخرى، ومنها إلى اللصوص وقطاع الطرق، لكيلا تتم الإغارة والسطو عليها.

6-استمرار تأثير الفتن والنزاعات التي كانت حاصلة بين أعراش المنطقة من وقت إلى آخر ما يتسبب في تناقص وهلاك رؤوسها، والتي لا يكاد ينطفئ لهيبها حتى تشتعل في مدينة أخرى، وامتد لهيبها إلى الحدود الشرقية والغربية الجنوبية للجزائر مثلما حدث عام1877 م عندما أغارت بعض القبائل المغربية على قطعان الماشية والجمال الخاصة بقبيلة الشعانبة، عند مناطق الأطلس الصحراوي[1]. فبعد النصف الثاني من ق.19 م كان وصول المد الإستعماري وإبرام الاتفاقية في 29 أفريل[2] واستمرار مشاركة أهل المنطقة في المقاومات ومساعدة زعمائها التي اندلعت قبل وبعد احتلال مدينة الأغواط في 04 ديسمبر 1852 م، وكرد فعل على ذلك عاقبتهم السلطات الفرنسية بالقضاء على قطعانهم، وكثيرًا ما عرفت المنطقة خصوصًا متليلي سنوات الخلية أي الإخلاء والقطع في سنوات 1860 – 1864 – 1883 [3] وهو الأمر الذي نتج عنه هروب أعداد هائلة من العائلات الكبيرة في المدن والبدو ذات

1-Amat,Op.Cit.P 36-37.

2-حمو محمد عيسى النوري، المرجع السابق، ص 272.

3-عبد الحميد بيشي، تطور الثورة الجزائرية في ناحية غرداية، دار زمورة للنشر التوزيع، ط.خ، الجزائر، 2013 ص ص58-60.

الـرؤوس الكثيـرة إلـى منـاطق بعيـدة سـواء فـي العـرق الغربـي أو منـاطق قـورارة وتـوات نتيجـة الضـرائب الباهظـة علـى السـكان، وملاحقـة الإدارة الإسـتعمارية للقبائـل التـي رفضته وقاومته[1] .

7-انتقـال القطيـع مـن مكـان إلـى آخـر عبـر الصـحراء الشاسـعة الممتـدة مـن ورقلـة ووادي سـوف إلـى عـين صـالح وتمنراسـت والمنيعـة[2]، وتعرضـها للسـرقة أو المـوت وخضـوع المراعي لظروف مناخية متغيرة باستمرار بسبب للظروف القاسية من الجفاف .

8-تنـاقص وتراجـع أعـدادها بسـبب الظـروف الطبيعيـة، وانتشـار الأوبئـة التـي تفتـك بعـدد منهـا مـن فتـرة إلـى أخـرى، فضـلاً عمـا تخلفـه الفيضـانات التـي تعرفهـا المنطقـة وجرفهـا للكثير منها.

9-لقـد كانـت قبائـل الشـعانبة مـن بـين القبائـل المتحكمـة فـي تجـارة القوافـل منـذ قـرون معتمـدة فـي الأسـاس علـى إبلهـا الكثيـرة سـواء فـي الحضـر أو فـي البـدو، فهـي الوسـيلة الوحيدة للتنقل في الصحراء؛ إلاَّ أنّها لم تحفظ عددها في وثائق أو ما شابه ذلك.

10-رغـم وصـول بعـض الأخبـار المتفرقـة بدايـة النصـف الثـاني مـن القـرن19م، عـن أنـواع وأصـناف وأعـداد هـذه الثـروة، ولكنهـا لا تفـي بـالغرض لتسـليط الضـوء بشـكل وافـي عليهـا. إن غـذاء قطعـان المواشـي يتكـون مـن أنـواع كثيـرة مـن الأعشـاب والنباتـات؛ نـذكر منها: الدرين، العلندة والرتم والدمران[3] وغيرها من النباتات الصحراوية.

1-عبد الحميد بيشي، المرجع السابق، ص 61.

2-المنيعـة: القليعـة تصـغير قلعـة، وهـي قريـة حصـينة علـى حجـر صـلد فـي سـفح جبـل منقطـع عنـه، وبهـا آبـار كثيـرة طيبـة المـاء ونخيـل لـيس بكثيـر، وهـي مـن طاعـة سـلطان واركـلا، وبهـا عاملـه، تقـع علـى بعـد 270كلـم جنـوب ولايـة غرداية. ينظر: أبو سالم عبد الله بن محمد ، المصدر السابق، ص111.

3-Yves Regnier, les chaanba sous le régime français leur transformation, Edition domat-montchrectien, 1938. P 32.

-**أهميـة الرعـي:** اعتـاد أفـراد المجتمـع منـذ القـديم علـى تربيـة المـاعز، فقـد مـارس الفـرد فـي ميـزاب الرعـي فـي بواديـه المجـاورة رغـم أن Amat يـرى أن قطعـان الماشـية ليسـت بـالكثيرة مـا أدى إلـى عـدم وجـود مهنـة الراعـي[1] فـي الحضـر، يطلـق مصـطلح راع فـي المنطقـة بـ "راعـي البـيض والسـود"؛ ويقصـد بهمـا الصـوف الأبـيض للكبـاش والنعـاج والشـعر الأسـود للمـاعز، حيـث يقـوم بسـرحها ورعييهـا يوميًـا، ولكـل مدينـة مـن مـدن ميـزاب راع ويكـون فـي بعـض الأحيـان مـن أهـل الباديـة، يأخـذها عنـد الصـباح البـاكر؛ لتشـكل (حـراق) أو قطيـع البلـدة [2]،أيـن يـتم أخـذها إلـى أمـاكن الكـلأ المعروفـة، ثـم يعـود بهـا مسـاء إلى المدينة ويوزع كل قطيع على أصحابه.

وتمـتهن الرعـي القبائـل البدويـة، إذ يجوبـون بقطعـانهم مختلـف أرجـاء الـبلاد المجـاورة وخصوصـا نحـو الأطلـس الصـحراوي، بحثـا عـن الكـلأ والمـاء فـي تنقـل مسـتمر [3] لاسـتغلال الحـد الأقصـى مـن منـاطق الرعـي، كَـوْن المنطقـة تتميـز بطابعهـا الجغرافـي الخـالي كثيـراً مـن العشـب؛ ويـتم فـي المدينـة رعـي الأغنـام سـواء فـي الأجنـة أو فـي الشـعاب القريبـة مـن ضـفاف الـوادي أو فـي وسـطه، لـذلك اعتمـدوا علـى توسـيع البقـع الفلاحيـة لتمكـين مواشـيهم مـن الرعـي، واجتهـدوا فـي حفـر الآبـار وتكبـد الصـعاب مـن أجـل سـقي أراضـيهم الفلاحيـة؛ وبالتـالي تمكـين أغنـامهم مـن الرعـي فيهـا[4]، يقـول دارمنـاك D'armagnac : "...إن الشـعانبة الرحـل حفـروا العديـد مـن الآبـار فـي منـاطق الرعـي" [5]. فهـم يقومـون مـع بعـض العـرب السـاكنين بالمنطقـة بجـوالاتهم للبحـث عـن منـاطق الرعـي فـي حلقـة منتظمـة فيمضـون الخريـف فـي المدينـة والشـتاء والربيـع والصـيف

1-Amat,Op.Cit.P 220.

2-ناصر بلحاج، النظم والقوانين العرفية بواد ميزاب في الفترة الحديثة، رسالة دكتوراه، جامعة قسنطينة 2، 2013-2014 ص 215.

3 -Choisy Auguste, Le Sahara Souvenirs D'un Mission à Goléah , E.plon et cie ,Imprimeurs Paris , 1881,p283.

4-إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 166.

5 -D'armagnac, Mzab et Les Pays Chaanba, Edition Baconnier, Alger, 1933, P 128.

في البادية، والمناطق التي ينتجعون فيها واسعة؛ تمتد من الحدود الليبية شرقًا حتى الحدود المغربية عند العرق الغربي، ومن وادي ميزاب إلى عين صالح جنوبًا .

إنّ ضيق وقلة أراضي الرعي كانت أحد الأسباب المؤدية إلى حدوث الفتن والاضطرابات بين القبائل هناك أو بجوار المنطقة، فعادة ما تحدث مناوشات بين أصحاب الثروة الحيوانية على مناطق الرعي، مثلما حدث بين الشعانية والمذابيح على أراضي الرعي، فجعلوا واد أنتيسه فاصلاً بينهم لا يتجاوز المذابيح إلى الغرب ولا يتجاوز الشعانبة إلى الشرق[1]، فقد جاء في وثيقة الصلح الذي وقع بين الإباضية والمالكية في 2 صفر 1185هـ/17 ماي 1771م بجامع غرداية، دون تصويب أو تصحيح للأخطاء الإملائية واللغوية مايلي: "...وللمذابيح ما وراء ذلك من غرب بالوح والواد الأبيض إلى غرب زرقون ومحيقن ويدخلون في ذلك القسم الشعانبة ولهم ما يسعهم من الحدود المغربية وأما أولاد عطاش فلهم زقرير وفروعه والأحواض الكاينة حوله شرقا وغربا والصحراء حوله إلى انتهاييه بناحي تقرت ومن قبلته واد النساء حيث مساحته لزقرير ويدخلون في قسمة ذلك أولاد سيدي محمد السايح والدرايسة وهذا القسم وقع بين الأعراش لما وقعت بينهم الفتنة من أجل المرعى والتعدية بالنهب والقتل والسرقة..."[2]، فنرى من خلال هذا النص شساعة أماكن الرعي التي شملت مناطق من البيض إلى الحدود الجنوبية الغربية إلى نواحي تقرت؛ فمهمة الرعي كانت تقوم بها أعراش الصحراء، فقد وصفت الوثيقة السابقة ذلك:"...وأما الصحراء...كانوا فيها أعراش مختلطة يعيشون بالكلأ واتباع المواشي والتقاط ما يجدونه من القوت محتمين بعضهم البعض ماسكين زمام الصحراء..."إلى أن تذكر الوثيقة: "الصحراء للعرب حيث هم أهل البادية يرعون فيها المواشي..." [3] .

1- يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.2، ص 75.

2-وثيقة الصلح بين الإباضية والمالكية، 2 صفر 1185هـ. نسخة بحوزتي .

3- وثيقة الصلح بين الإباضية والمالكية، 2 صفر 1185هـ. نسخة بحوزتي.

-شكلت المراعي النقطة الأهم في إشعال نار الفتنة، بين الأعراش الساكنة في المنطقة مثلما تبرزه إحدى الوثائق الموقعة بين الأرباع والزناخرة، من جهة وأهل بريان من جهة أخرى حول احقية إمتلاك واد النساء، أخر رمضان من عام 1194 هـ جاء فيها: "...ولما طال بينهما الكلام والقال فقالوا أولاد سي يحيى وأهل بريان واد النسا لبريان فاعند ذلك قالوا لهم الأرباع لأهل بريان أصل واد النسا لزناخرة مسمى بينسايهم الزايرين وحين طردناهم من الصحره وتنقلوا لتل صار لنا واليوم هاهم أتوا بكتاب يحيى آغا وكتاب السلطان"[1].

-إن الترحال بالصحراء والبحث عن الكلأ والماء له ضوابطه وشروطه، إذ يتطلب من المشرف على العملية أن تكون له ذاكرة قوية، في معرفة المسالك والدروب وحفظ كل تفاصيل الصحراء؛ أي أن يكون خبيراً بتضاريسها، كما يجب أن يُمَيِز النباتات من بعضها البعض وخصائصها ومعرفة الأمراض التي تصيب الحيوانات في الصحراء[2] ومعرفة طرق علاجها.

-لا يمكن للقبائل أن تخيم في مكان واحد ولشتاءين متتاليين، فلكل قبيلة أماكن خاصة بتخييمها ومرعاها، ولا يمكن للأخرى أن تتقاسم معها المرعى، وحركة القبيلة ليست مرهونة بالظروف المناخية فقط بل تتحكم فيها معطيات أخرى؛ منها إمكانيات القبيلة فالقبائل الغنية التي تملك قطعان كبيرة من المواشي والإبل، يكون مجال رعييها كبير عكس القبائل الفقيرة التي يكون مجال رعييها محدود.

-مع بداية الإحتلال للصحراء وللمنطقة ومع انتشار الحملات الاستكشافية لها تمكنوا من تحديد منابع المياه والآبار وإعادة تنظيفها، بحجة مساعدة القبائل المترحلة ولكن

1-وثيقة بين الأرباع والزناخرة من جهة وأهل بريان من جهة أخرى حول ملكية واد النساء آخر رمضان 1194هـ.نسخة بحوزتي، ينظر: الملحق رقم 05، ص500.

2-عثمان زقب، المرجع السابق، ص ص73-74.

في الحقيقة قصدوا أغراض عدة أخرى[1]، كما تدخلت في تحديد نقاط الرعي والمياه للقبائل الصحراوية أو للبدويين الذين يدفعون الضرائب، فتسمح لهم بالاحتفاظ بقدر كبير من اماكن الرعي والمياه، عكس البدويين المعارضين لها[2].

-**الأعراف المنظمة للرعي ومشاكله:** نَّظَم العرف في المنطقة حركة الرعي والرحل في الصحراء، كما نظم الاستفادة من مناطق الرعي والآبار المنتشرة بجوارها، والتي شكلت أحد أسباب الصراع بين الأعراش بالمنطقة؛ ولذلك سنوا في شأن الرعي قوانين معتبرة لا يدرك أهميتها إلاَّ الذي عاش في تلك الفترات، لهذا كان الاهتمام بتنظيمها من نصيب القبائل المترحلة.

حفظت النظم والأعراف حقوق الراعي ضمن مجموعة من القوانين الصادرة من العزابة أو كبار القوم أو الجماعة[3]، فقد أوضح لنا الشيخ أبي العباس الفرسطائي مسائل تتعلق بالرعي والثروة الحيوانية، كالأعراف التي يجب الاعتماد عليها[4]، ونقل لنا موتيلينسكي نص اتفاق مكتوب بين سكان مدينة العطف وأحد سكان البدو المستقرين بالقرب من المدينة، والمدعو محمد بن سنية الذي تعهد بحماية(حراق) العطف لمدة 10 سنوات مع تحمله لمسؤولية الحراق[5]، من حمايته وسلامته وإبعاد الخطر عليه مقابل تلقي الراعي لما يلي:"...عرقوبا من كل أضحية بملك صاحبها معزة في القطيع ويسمى "كراع الراعي" وكمية تقدر بنصف حثية من الطعام كل عرس وفي كل مأتم وفي كل مقبرة من مقابر الشتاء ومد من شعير عندما يحمل

1-لخضر عواريب، بدو ورقلة وطوارق الاهقار كرونولوجيات وبداوة من خلال دراسات فرنسية مجلة الواحات للدراسات، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع 15، المركز الجامعي بغرداية، 2011، ص ص 480-481.

2- Rinn(louis), Nos Frontières Saharienne, Adolph Jourdan, Librairie, Alger, PP69-70.

3-Ruffie Jackues , étude Hémotypologie des Populations de la Région de m'zab, In: Bulletin et Mémoire de la Société D'impropologie de Paris T. 3 1962, P 359

4-أبي العباس أحمد الفرسطائي أحمد بن محمد النفوسي، القسمة وأصول الأرضين، تحقيق بكير بن محمد والشيخ بالحاج ود.محمد صالح ناصر، ط.2، جمعية التراث، القرارة، الجزائر، 1997، ص ص 98-101.

5-الحراق: يطلق على قطيع الماعز.

الجدي المولود الجديد إليه ويحلب من كل معزة نصف حليبها في الصيف إذا كان يسقي القطيع ويجيء بجلد المعزة إن ماتت في حوزته أو أي إمارة تدل على صدقه...وإذا وقعت أي تعدية على القطيع على البلدة أن تنجد الراعي..." [1] . ويضيف الأب لويس دافيد نصاً أخر يتعلق بما يتلقاه راعي الغنم بعدما اشترط الشيخ عمي موسى على المذابيح بعض الشروط سنة 903 هـ نذكر منها ما يلي:"...يسرحون لهم مواشيهم اعني جميع بلاد غارداية بسلعة تمر لكل رأس في الشهر وحين تولد المواشي يعطون للراعي على كل رأس كفة صغيرة تمر وكذلك في موسم عيد الضحى كل من عنده ماشية يعطي للراعي لحما من شاة التي ذبحها في العيد وكذلك يحلب الراعي في أيام الهواجر في الصيف هم أربعون يوما بزول لكل شاة وكذلك في المواسم مقابر يعطون للراعي اهل الحلقة هم العزابة معونا مملوء بالطعام في فصل الشتاء وفي فصل الصيف..."[2]، كما يرعى في غالب الأحيان العبيد والموالي إبل أسيادهم مقابل حقوقهم[3].

4-الآبار وأهميتها: تعد الآبار أو الحواسي في المنطقة مكسباً حضارياً خلفه الأوائل نتيجة نظام جهود المجتمع جيلاً بعد جيل، لقد حفروا الكثير من الآبار في المدن وفي مناطق الرعي وخصوصا القبائل العربية[4]، وهي الحرفة التي مارسوها منذ القدم وتسمى على من قام بحفرها. والقبائل التي كانت تملك أكبر عدد من رؤوس الماشية هي المعنية في الغالب بحفرها في مناطق الرعي لأنها تحتاجها في ترحالها

1-Motylinski,Op.Cit.P p 43.

2-Louis David (Pere Blancs) Les Médabih, Centre Culturel et de Documentaion Saharienne,Ghardaïa,S.D.

ملاحظة: كراس الأب لويس دافيد كتب بعض الصفحات منه بالعربية والفرنسية، وصفحات أخرى مكتوبة بالآلة الراقنة بالفرنسية يبدو أنه كان ينوى كتابته كاملاً بالآلة الراقنة، الكراس ليس مرقماً. وبعد ترقيمه يكون رقم الصفحة التي أخذنا منه المعلومة 8.

3-D'armagnac (L),Op.Cit.P 128.

4-إبراهيم العيد بشي، طاسيلي ناجر الحياة الفكرية والإجتماعية والاقتصادية في المجتمع الطارقي قديما وحديثا، ط1، ج 4 منشورات الحبر، الجزائر، 2009، ص 131.

ورعييهـــا لمواشـــيها وهـــو العمـــل الوحيـــد الـــذي أحبـــوه حســـب المـــلازم دارمانـــاك: D'armagnac: "إن الشـعانبة الرحـل قـد حفـروا العديـد مـن الآبـار فـي منـاطق الرعـي وهـو العمل اليدوي الذي أحبوه" [1]، مع أنه لم يحدد أماكن حفرهم للآبار وعددها.

وكثيـرًا مـا كانـت تتنـازع القبائـل فيمـا بينهـا بسـببها وأحقيـة إمتلاكهـا، مثلمـا جـاء فـي وثيقـة الصـلح بـين القبائـل المتنازعة:"...والحواسـي نتـاوع مكـب الفواسـيل إذا فسـدو يصـلحوهم أولاد علـي والحواسـي نتـاوع سـعيد بـن علـي إذا فسـدو يصـلحوهم أولاد رزق بـن عمـران هومـا وأولاد عطـاالله بـن الشـيخ والحاسـي نتـاع مكـب الكلـب إذا فسـد يصـلحوه أولاد حمـد بـن حمـد والحاسـي نتـاع لبهـيم إذا فسـد يصـلحوه أولاد عبـد الله بـن سـالم والحاسـي نتـع مكـب الجـذع إذا فسـد يصـلحوه أولاد عبـد الله بـن سـالم وبـن الحجـاج والحاسـي نتـاع مكـب الـزال إذا فسـد يصـلحوه أولاد بـراهيم بـن عبـدالله..." [2]، فشـكلت حيازتـه عـاملاً مـؤثرًا فـي علاقـات السـاكنة مـن كـلا الجـانبين، وهـو مـا جعلهـم يقييـدون الأعـراف والـنظم المنظمـة لـه تجنبـاً للخـلاف، كمؤلـف القسـمة وأصـول الأراضـين لمحمـد بن بكر الفرسطائي النفوسي[3].

1-D'armagnac, Op.Cit .P126

2-وثيقـة الصـلح الـذي تـم بـين القبائـل المتنازعـة حـول مشـكل الآبـار سـنة 800هـ، نسـخة بحـوزتي،ينظر: الملحـق رقم2، ص495.

3-محمـد بـن بكـر الفرسـطائي النفوسـي، هـو محمـد بـن بكـر بـن أبـي بكـر بـن يوسـف الفرسـطائي النفوسـي (أبـو عبـد الله) ولـد عـام 956م بمدينـة فرسـطاء بجبـل نفوسـة شـرقي مدينـة كبـاو، أحـد أقطـاب الإباضـية تعلـم بمسـقط رأسـه ثـم انتقـل لعـدة مـدن لطلـب العلـم كـالقيروان وجربـة والحامـة، لـم يشـغله العمـل العلمـي عـن السـعي لكسـب رزقـه فكـان راعيـا تجـول بغنمـه بجبـل نفوسـة ووادي سـوف ووادي أريـغ ووادي ميـزاب. أسـس نظـام حلقـة العزابـة ونشـره خـلال سـفره مـع طلبتـه فـي المغـرب الإسـلامي مـن نفوسـة شـرقاً إلـى وادي ميـزاب غربـاً مـع طلبتـه معلمًـا وواعظـاً ومربيـاً، بسـبب ترحالـه وتجوالـه المسـتمر أطلـق عليـه العـرب اسـم محمـد السـايح، حـط الرحـال بقصـر نتلزضـيت بـالعطف وجـد وقتهـا شـخص سـليمان بـن عبـد الجبـار، ولايـزال النظـام الـذي لأسسـه قائمـاً إلـى الأن. ينظـر: معجـم أعـلام الإباضـية،ج.4،ص ص 772-775.وكذا:

David, (louis) Les Mechaikha Du M'zab ,P 11.

لضمان عيش سكان البدو والحضر لابد من وجود بئر أو أكثر، فعند استقرار الأوائل في الشبكة واختيارهم التلال كان همهم أن يبحثوا عن المياه أو أن يجلبوها بشتى الوسائل الممكنة، فهي لا تجري على سطح الأرض وإنما يتطلب إيجادها حفر الصخور وعلى عمق قد يتجاوز 90 متر بوسائل تقليدية [1] ؛ فدون الماء لا يمكن للحياة أن تستمر ولا للقصور أن تبنى، لم تذكر المصادر التاريخية القديمة والتي أشارت إلى الأوائل الذين عمروا المنطقة في القرن 10 الميلادي من الأشراف المعتزلة في مدينة العطف، من خلال شخص سليمان بن عبد الجبار وابن عمه خليفة بن أبغور [2] ، ثم تأسيس قصر بابا السعد على رأس الجبيل الغربي المطل على غرداية سنة 442هـ،[3] الآبار وعددها في هاذين القصرين الأولين؛ وقد حفظت لنا المصادر التاريخية أسماء بعض الآبار التي حفرت مع بداية بناء المدن كبئر "ياغي" بالعطف ويتضح ذلك في مخطوط محمد بن أحمد الخيذر المليانى الذي يقول:"...فأغاروا منهم أولاد عبد الله ووقعت العداوة بينهم فتوجه وفد أهل غرداية وكانوا في عداد وافر وارادو يمتحنوا أهل العطف فبعثوا رجل قبل الهجوم أتى إلى البير المسمى ياعي وزعف زعفات كبيرة سمعوه أهل العطف فتسلحوا وخرجو له..." [4]. وبحسب ما تذكره الروايات التاريخية بعد استقرار الشيخ محمد بن يحيى بن عيسى المعروف باسم بوجمعة المذبوحي بغرداية، قام بحفر بئر بالقرب من الجبل الذي به قصر غرداية

1-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.2، ص 114.

2-أغلب هذه المصادر التاريخية تتفق على أن الإشراف المعتزلة هم أول من سكنوا المنطقة وشيدوا قصورا صغيرة بما وجدوه من مواد بناء في المنطقة وفقا لما جاء قي رسالة مغنية للشيخ بايوب العطفاوي الذي كتبها في صفر عام 880 هـ، ومخطوط تقييد وبيان من عمر في واد ميزاب لمحمد بن الخيدر بن يوسف المليانى سنة1808 م، والرسالة الشافية لمحمد بن يوسف اطفيش.

3-محمد بن الخيذر المليانى، نفس المصدر، ص4

4- نفسه ص7.

ولما جاء الشيخين عيسى بن علوان وسليمان بن يحيى قادمين من ناحية المغرب فدلهما الشيخ المذبوحي على غرس النخيل وحفر الآبار[1] .

ومع بدايات تأسيس المدن ازداد عدد الآبار، وأهم النقاط التي طرحها الميزابيون على الإدارة الفرنسية هي توفير المياه في المنطقة، وينقل Amat ذلك قائلا:"...أعطونا الماء ونحن ننتج كل ما تريدونه..." [2]، فمشكلة الماء كانت من بين أهم عراقيل تطور ونمو المنطقة اقتصاديًا، وتقدر درجة حرارة المياه ما بين20°-24°؛ وتوجد بها مياه ذات ذوق عذبٍ وأخرى رديئة، فهي على رأي روبين سيئة على العموم، ومياه آبار بريان كلها حلوة وخفيفة[3]؛ ويتراوح عمقها ما بين55 -93 متر وأحيانا ما بين 20-40 متر[4] ومتوسط عمق مياه الآبار ببنورة هو30 متر، ومياهها ذات نوعية حسنة[5]، إن الحرص على التصرف الحسن والدقيق للمياه في وادي ميزاب، جعل الأجانب كما يذكر ذلك روبينRobin مجبرين على شراء المياه لحيواناتهم وخصوصاً الإبل التي يفوق عددها الإثنين مقابل 5 سنتات وتدفع عينية[6] وقد قدم السيد فيل في كتابه Exploration Géologique Du Beni Mzab دراسة علمية شملت دراسة الطبيعة الجيولوجية والأودية والسدود؛ وقدم صفاً دقيقاً وشاملاً للآبار بكل مدينة من مدن الوادي بجداول تُوَضِح ذلك ونوعية ومذاق مياهها وأماكن تواجدها وعمقها ودرجة حرارة المياه ومكوناتها، تتبع فيها على الترتيب كل من القرارة والعطف بونورة، بني يزقن، مليكة، غرداية، متليلي وبريان وخلص إلى أن سبب الاختلاف في ذلك يعود إلى تركيبة ومكونات التربة والطبقة الجيولوجية والجوفية وموقعها وتاريخها. توجد بالمنطقة بعض الآبار التي لا تنضب وتتغذى من الأودية

1-محمد بن الخيذر الملياني، نفس المصدر، ص 5.

2-Amat,Op.Cit.P 61.

3-بايوب بن قاسم العطفاوي، المصدر السابق، ص 68.

4-Robin,Op.Cit.P 11.

5-Ville(M) Op.Cit,Pp42-43.

6- Robin,Op.Cit.P13.

ويطلق عليها الأهالي اسم "وروارة" [1]، والعدد الصالح منها للاستعمال قليل في المدن، وذلك حسب ما جاء في التقارير الفرنسية، فقد وجد ببنورة بئران لسد حاجيات السكان، وفي بني يزقن ثلاثة آبار وفي مليكة بئران[2] عقب الضم.

من بين أشهر الآبار الموجودة ببريان هي: بئر مطلق الحلقة، وبئر مطلق المهراس وبئر بواد بالوح[3] وبئر في مطلق الحلقة التحتانية بوادي البير Oued-el-Bir، وبئر في مطلق الحشانة بنفس الوادي وأربعة آبار في الحنية السوق المعمورة وبئر في مطلق البيض وادي المداغ الغربي، وأربعة آبار بوادي بالوح، وبئرين في ملاقت الطاهر بن سيدهم في الشليحة وبئر في مطلق الفرشة، وبئر في واد لروي في امكب أودي الطين، وأخرى في مطلق الخدشية[4].

-**إحصاء الآبار**: يعتبر وجود الآبار بالمنطقة بمثابة التشبث بالحياة، واستمرار للعيش في هذا الوسط الصحراوي القاحل، لذلك نعتقد بأن عددها كان معتبراً مع أن المصادر المحلية من الوثائق والمخطوطات لم تقيد عددها على وجه الدقة؛ تعود أولى محاولات الإحصاء إلى الكومندون روبين Robin سنة 1884م والتي كانت كالآتي[5] :

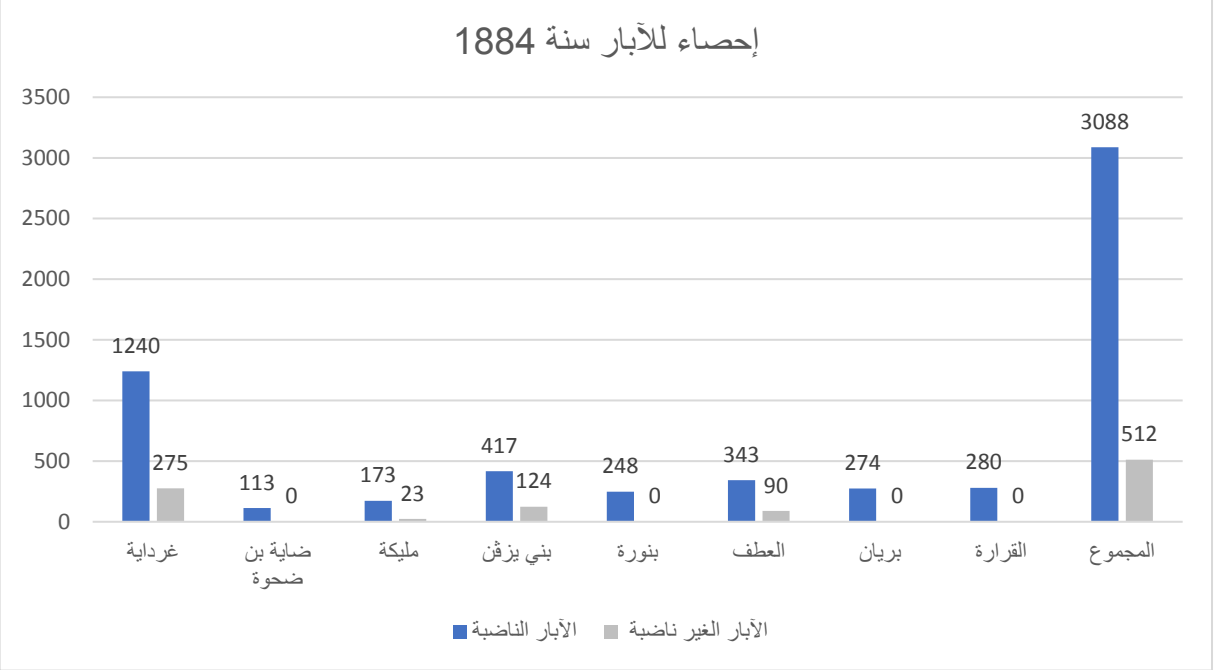
1-Charlet,Op.Cit.P 48.

2 -Amat,Op.Cit.P 216.

3-بايوب بن قاسم العطفاوي ، المصدر السابق، ص69.

4-عمار بن الحاج سعد مطلق ، مدخل إلى تاريخ أولاد سيدي يحيى للصحراء الجزائرية، المطبعة العربية ، ط.1 الجزائر، 2011، ص ص 40-41.

5 -Robin,Op.Cit.P 16.



وفيما يلي جدول يوضح توزيع الآبار في وادي ميزاب حسب الأنواع الأربعة:[1]

الصنف	غرداية	مليكة	بنورة	العطف	بني يزقن
الآبار الميتة والتي تتغذى بسير الوادي لمدة 6 أشهر.	302	39	142	217	24
الآبار القابلة للنضوب أو النفاذ بعد 18 شهر من الجفاف.	900	112	75	64	173
-أبار لا تتضب في حالة الجفاف ولكن في مدة غير منتظمة.	490	131	80	201	160

1-Charlet,Op.Cit.P 48.

-آبـــار وروارة تحـــافظ علـــى مياهها طويلاً	19	2	1	2	5
المجموع	1711	284	298	484	362

نلاحظ أن الآبار التي بها مياه في كل الأوقات قليلة وتوجد أغلبها بمدينة غرداية، ويختلف عمقها، فالبئر أو أودجيرينت aoudgerint عمقها 20 متراً؛ يعني أن مياهها قريبة من سطح الأرض، وتوجد بالقرب من مجاري الأودية والشعاب، أما عدد الآبار والمسماة "وروارة" فهي بنفس المدينة وبعمق ما بين 30-32 متر.

لقد قدر أمات Amat عدد الآبار في كامل المنطقة بـ3600 بئر [1]، بينما أحصى يوسف بن بكير الحاج سعيد عدد الآبار بأنواعها الأربعة بداية ق.20 بـ 4129 بئر، ويذكر دنيال مولياس أن عدد الآبار بضاية بن ضحوة وصل إلى 148 بئر من الفترة الممتدة من غرداية سنة 1868-(سنة خروجهم من غرداية)-إلى غاية 1902م [2] .

تضرب المنطقة فترات جفاف طويلة تدوم ما بين 5 و13 سنة، ومعظم مياه الآبار ينخفض بسبب عدم سقوط الأمطار وسريان الأودية، التي تغذي الطبقات الجوفية لها، وبالتالي تغذية مخزون، ولا يمكنها تلبية حاجيات السكان من الماء بنفس الكميات بسبب عدم تجانس التركيبة الجيولوجية لطبقات الأرض حسب شارلي فإن أفضل المياه هي الآتية من آبار "تمازوت" Tamezout بن غنم بواحة غرداية؛ وبئر حمو عيسى بوشمجاني Bouchemdjen، وبئر واد جيرنت Oueddjerint من الناحية

1-Amat, Op.Cit.P 234.
2- Daniel Moulias , Op.Cit.P211.

الشمالية الغربية لواحة غرداية، وبئر زويل Zouil من الناحية الشمالية الغربية لواحة بنورة [1] .

تشكل الآبار الغزيرة أو ما يعرف "بالوروارة" مصدر ثراء لمن يملكها لأن سعرها كبير لمن يبيعها إذ تقدر بـ 4000 فرنك ويمكنها أن تسقي مساحة كبيرة[2]، وكانوا يقسمون البئر إلى 24 خروبة فمن ملك 6 خروبات فله ربع البئر ومن ملك 12 خروبة فله نصف البئر، وتقسم الخروبة "la-Kharrouba" إلى 24 ميزونة Mouzouna أو (ميزورة)[3] ؛ وهذا النوع من السقي ليس متاح للجميع إلا للأثرياء الذين بإمكانهم أخذ نصيب من هذه الآبار، ففي مدينة بني يزقن سعر الإستئجار السنوي لبئر الخروبة يتراوح ما بين 300-400 فرنك [4] أمَّا أصحاب الثروة المتوسطة فإنهم يشترون الماء بالوقت، ومنهم من يشتري أو يستأجر حوض لسقي نخيله، ويباع المتر مكعب الواحد من الماء بـ5-10 فرنك في أوقات الجفاف[5]؛ فمن كان يملك نصف البئر قد يتفق مع الشريك على أن يكون البئر يومًا بيوم وقد لا تكون له دابتان لاستخراج الماء من البئر فيكون اتفاقهم أن يشغل أحد الجوانب دائمًا وشركاؤه يشغلون الجانب الآخر، وقد يبيع صاحب البئر الغزيرة عدد من بالقسمات فيها فيقسمون الاستسقاء منها بالساعات أو يتبعون في التوقيت أوقات الصلاة.

وقد يستأجرون أمينًا ليضبط لكل شريكه وقته ويمكن أن يتفق الشركاء أو المستأجرين حول الوقت أن تكون أغلب أدوات السقي مشتركة إلا الدّواب والدلو، ربحًا

1-Charlet, Op.Cit.P 49.
2-Daniel Moulias , Op.Cit.P197.
3-الموزونة تنقسم إلى 30 درهم الحصص الليلية تسمى بالسوداء وحصص النهار تسمى بالبيضاء، وتختلف الخروبة من مدينة إلى أخرى ففي مدين غرداية يقسم اليوم إلى 16 خروبة. ينظر: أيوب بن ابراهيم القرادي المرجع السابق، ص43.وكذا:
Moulias,Op.Cit Op.Cit,P195 .
4-Charlet, Op.Cit.P 34.
5-Ibid , P 50.

للوقت بدلا من تبديلها أكثر من مرة في اليوم[1]، ولحاجة المنطقة الماسة للماء فقد حاول أيوب بليدي من بني يزقن نزح الماء من الطبقة الألبيه؛ أي الطبقة القارية فقام بحفر بئر في "إنغيد" بالطريقة التقليدية بلغ عمقها 180 متر وذلك عام 1875م[2]. كل بئر بإمكانه أن يسقي في المتوسط ما بين 45 إلى 100 نخلة، وبعد الضم العسكري حفرت السلطات الفرنسية العديد منها لتزويد السكان بالماء ولإتمام مشاريعها التي بدأت فيها بعد الضم فكانت حاجتها ماسة لحفر عدد أكبر منها أثناء قيامها بشق الطرق بين غرداية والأغواط، وبين العطف والقرارة وبناء منشأتها

ملخص الفصل رغم محدودية المكان من حيث النشاط الفلاحي، إلا أن الفرد سعى بكل جهده لتحويل ما يمكن تحويله إلى مساحات خضراء وأجنة اعتمد عليها في معيشته بشكل كبير، وقد استعمل في أول الأمر وسائل بسيطة لسقي مزروعاته وخاصة النخيل والاهتمام ببعض الخضراوات دون أن يغفل عن تربية بعض رؤوس الماشية وخصوصًا الماعز والجمال، محققاَ اكتفائه الذاتي، وللحفاظ على ذلك وضع مجموعة من القوانين والأعراف لتنظيم هذا الجانب بما فيه الرعي والآبار؛ ولأغراض عديدة وفرت فرنسا الوسائل من أجل الاعتناء بهذا الجانب وخدمة مصالحها.

1-أيوب بن ابراهيم القرادي، المرجع السابق، ص 44.

2-Robin,Op.Cit.P 21.

الفصـــــــل الثانـي

الصناعة بمنطقة وادي ميزاب وأهميتها

1-الصناعة النسيجية

2-صناعة الحلي المتنوعة

3-صناعة مواد البناء

4-الصناعة الحرفية الاخرى

الصناعة بمنطقة وادي ميزاب وأهميتها

يتميز النشاط الصناعي بوادي ميزاب كونه نشاطاً تقليدياً يمارسه السكان، إلى جانب النشاط الزراعي بهدف تلبية حاجيات المنطقة، وقد مارسته العائلة لتلبية حاجياتها وللحصول على الأموال وتزويد الاسوق بمنتجاته الصناعية الحرفية مستعملة في ذلك وسائل بسيطة؛ سرعان ما تطورت مع النصف الثاني من ق.19م عندما فتحت فرنسا مدارساً للتكوين والتعليم المهني.

لقد سعى المجتمع من ممارسته النشاط الصناعي –رغم بدائيته– إلى تحقيق الاكتفاء الذاتي، بما تقدمه من موارد مالية واستقرار للسكان وخدمات لهم، معتمدين على ما يوجد في المنطقة من مواد محلية، وجلب ما يحتاجونه في هذا النشاط من المناطق المجاورة؛ من النخلة إلى الماشية (صوف، شعر، وبر، جلود، إلخ...) إضافة إلى مواد البناء من الجبس والحجارة والطين، وأهم هذه الصناعات هي:

1-الصناعة النسيجية: تتم الصناعة اليدوية والمهنية عادة داخل البيوت أو في أماكن مخصصة لها، وتتصدر الصناعة النسيجية بقية الصناعات التقليدية الأخرى كالحلي والفخار والنجارة والجلود والعطريات...الخ، وتعود الصناعة النسيجية بالمنطقة إلى قرون ماضية، وما استطعنا تحديده يعود إلى بداية تأسيس القرى بها فمعنى "قصر تلزضيت" أي "قصر الصوفة"، وهو دلالة على أن السكان المعمرين الأوائل للقصر كانوا أصحاب رعي وامتهنوا حرفة الصوف وزجه، وتحويله إلى صناعة نسيجية لسد احتياجاتهم منها؛ واعتمدوا في صناعتها على المواد المحلية. وتشتغل بها النساء والرجال وتتم بطريقة تقليدية، ولكنها مع النصف الثاني من ق. 19 م شهدت تطورًا في وسائل العمل، وتخطت شهرتها الآفاق لتصل خارج حدود المنطقة كونها

تمثل مصدرًا مهمًا في توفير الأموال؛ فتواجدت في أسواق الشمال وتونس[1]، فيباع في سوق غرداية الصوف والزربية والبرنوس، والحايك والمنسوجات الأخرى كالقندورة القشابية، الحنبل والبرنوس واحولي. فلا يخلو كل منزل أو خيمة من النسيج الذي يوفر احتياجات السكان من كل أنواع المنسوجات، وطريقة صنعها ومكوناتها تشمل الوبر والصوف وشعر الماعز، ويتم حفظ جلد الماعز أو جلد الجمل في قطعة قماش لمدة تتراوح ما بين ثلاث إلى خمسة أيام حتى تسهل عملية نسل الشعر من الجلد؛ ثم ينسل الصوف بعد تكرير العملية، ثم يغطس في الماء ثم يجفف لعدة أيام حسب درجة الحرارة، أما الصوف فيخضع لعملية الفرك أي فصله عن بعضه البعض لتنظيف الشوائب اللاصقة به، ثم تنظيفه عن طريق عود خشبي(سدرة أو الصفصاف) باستعمال اليدين والركبة[2]، وأشهر الصناعات النسيجية هي:

أ-صناعة الزربية: من بين أهم المنسوجات التي مارسها الأهالي نظراً لدورها الفعال في ضخ الأموال، طارت شهرتها إلى جميع أنحاء شمال إفريقيا والصحراء [3]، وقد اكتست أهمية خاصة واختلفت أشكالها وألوانها[4]، تتميز برموزها الزخرفية البديعة ذات القيمة الرمزية والتعبيرية؛ وهي مستوحاة من حياة المجتمع. ومن بين العناصر والرموز المستعملة في الزربية نجد على سبيل المثال المشط والمنجل، والصحن ومنقار الطير وغيرها من الرموز والمؤكد أنها لم تكن بالشكل الحالي، وإنما مرت بفترات حتى وصلت إلى ما عليه الآن من شهرة، فقد أنشئ نهاية ق. 19 الأباء البيض المشغل

1- Paul solleillet, Op.Cit .P 81

2-حيث يضع العود على الركبة يعلق الصوف في أعلى العود الخشبي ويمسك باليد اليسرى، ويتم تحريك العود بشكل دائري باليد اليمنى، وذلك لتحويل كومة الصوف إلى خيوط تساعد على عملية النسيج.

3-Paul solleillet,Les Voyages et Découvertes de Paul Solleillet Dans le Sahara et dans le Soudan ,Maurice Dreyfous,Editeur,Paris,1874,p51

4-ناصر الدين سعيدوني، الأوضاع الاقتصادية والإجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثمانية (الجزائر-تونس-طرابلس الغرب) من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري(من القرن السادس عشر حتى القرن التاسع عشر الميلادي)،حوليات الآداب والعلوم الإجتماعية، الحولية الحادية والثلاثين، جامعة الكويت،2010م، ص 34.

الأهلي لغرداية من طرف الأخوات البيض، أين تم جمع حوالي أربعين فتاة لتعليمهن النسيج[1]، كما كانت تشتغل في هذه الصناعة نهاية ق. 19 حوالي 7000 امرأة من المنطقة؛ إذ يمكن لكل واحدة صنع عشرة أنواع من الأنسجة المختلفة[2]، خلال سنة كما تنتج المنطقة ما يقارب 70 ألف قطعة نسيج سنويا بسعر 20 فرنك للقطعة الواحدة [3]، ولأهمية وحيوية الصناعة النسيجية في الحياة والمبادلات التجارية يتم سنويا توفير 30.0000 طن من الصوف للمنطقة لتلبية حاجيات السكان[4].

1-**الحنبل:** يطلق عليه أيضاً اسم "تجربيت" وعادة ما يكون له لون واحد، حسب لون الصوف طوله ما بين سبعة إلى ثمانية أذرع وفي بعض الأحيان توجد به أشرطة مختلفة الألوان[5]، ويستعمل كفراش للأرضيات وغطاء في نفس الوقت سواء في البيوت أو الخيام.

2-البرنوس: يعتبر من أهم الصناعات النسيجية، وينسج تقريبا بنفس الطريقة السابقة وهو من أشهر ألبسة الأهالي في البدو أو الحضر، وينسج من خيوط الصوف تستغرق عملية نسجه من ستة إلى سبعة أيام، ويباع بـ 5 دورو[6]، وله عدة أنواع منها الرفيع والمتوسط والرديء، وعادة ما يكون لونه أبيض وتنسجه غالباً النساء للمساهمة في سد الحاجيات العائلية[7].

1-يوسف بن بكير حاج سعيد، المرجع السابق،ط.2 ،ص156.

2-Amat, Op.Cit .P 231.
3-Coyne, Op.Cit .P 24.
4- Ibid ,P24.
5-Allain(Madeline) Delheur(J)Le travail de la laine a Ghardaia,In Revue l'occident et la Méditerranee,N^{0}27,1979, P10 .
6-Duveyrier(H),Voyage Dans le Pays Des beni Mezab (Algérie),In : Le Tour du Monde, 1859,P187.
7-Paul-François (Passager),Metlili Des Chaamba, etude Historique Géographie et médicale, In Archive de l'institut pasteur D'algeri,T.xxxV.I,N^0 4,1958,P547.

3-العباءة: تسمى بالميزابية "تيشيرت" وهي عباءة تصنع عادة من الصوف[1] يلبسها الرجال والصغار، وتكون في الغالب بيضاء اللون.

4-القندورة: تعتبر اللباس الأساسي للرجال[2]وتكون من الصوف، إنتاجها يكون كثيرًا يتم نسجه من طرف النساء في البيوت أو في الخيام عند البدو.

5-الحايك: ويصنع من الصوف وعادة ما يكون لونه أبيض، وتلتحف به المرأة في الحضر عند خروجها.

6-القشابية: تشبه على حد كبير القندورة ويضاف إليها الأكمام والطربوشة، وتصنع في الغالب من الصوف، ويضاف إليها في بعض الأحيان شعر الماعز والوبر وهي لباس خاص بالرجال.

7-الأفلجة: الفليج: عبارة عن قطعة طويلة مصنوعة من الصوف وشعر الماعز المخلوط بوبر الإبل، ومن مجموع قطع الفلائج تتكون الخيمة إما أن تكون قليلة أو كثيرة بحسب عدد ساكنيها، وتكون طويلة الشكل[3]، بحيث يتراوح طولها مابين 10إلى 15 م[4]، وتنسجها النساء والفتيات في تعاون جماعي.

8-الطرايق: وتصنع هي الأخرى من نفس المواد السابقة، وتصبغ بألوان مختلفة وتستعمل في سط الخيمة في محل رفع العمود، بالإضافة إلى منتوجات صوفية أخرى كالغرارة[5] .

1-بكير بن يوسف حاج سعيد، المرجع السابق، ط.2، ص165.

2 -Mac Carthy (Oscar) Géographique, économique et Politique de l'Algérie .Imprimeurs libraires éditeurs,1858,P454.

3- بكير بن يوسف حاج سعيد، المرجع السابق، ط.4 ، ص28.

4-Villot(le Lieutenant-Colonel) Mœurs Coutumes Et Institutions des Indigènes de l'algérie,Troisieme edition,Librairie Adolphe Jourdan,Alger,1888,P368.

5-وهي كيس مصنوع من وبر الجمل وشعر الماعز يستخدم لنقل السلع والبضائع وخاصة التّمور والحبوب والملح، للمسافات طويلة تحمل على ظهور الإبل وللمسافات القصيرة تحمل على ظهر الحمير.

9-العفـــان: وهـو حـذاء يصـنع مـن جلـد المـاعز وجلـد الجمـال[1]، ويحمـي مرتديـه مـن الرمال الباردة شتاء ومن حرارتها صيفًا.

سـاهمت الصـناعة النسـيجية فـي تحقيـق الاكتفـاء الـذاتي وشـكلت مصـدرًا مهمًـا للـدخل الأسـري، لأنهـا تمـدهم بكـل مـا يحتاجونـه فـي بيـوتهم وحيـاتهم الخاصـة، فتعمـل علـى تزويـدهم بـالأواني المختلفـة، ومعـدات الحفـظ والتخـزين وتـوفير وسـائل العمـل المشـتقة مـن مختلـف المـواد المحليـة الخـام كالنخلـة ومشـتقاتها وتـوفير المـال؛ مـن خـلال دخولهـا فـي مجـال المبـادلات التجاريـة، ويمـارس جـزء مـن هـذه الصـناعات التقليديـة داخـل دكاكين وسط المدينة وفي الأسواق.

2-صـناعة الحلـي المتنوعـة: مـن المهـن التـي إشـتهر بهـا اليهـود بعـد مجيئهم إلـى وادي ميـزاب مـع الشـيخ عمـي سـعيد الجربـي فـي القـرن 9 الهجـري 15 مـيلادي مـن جزيـرة جربـة[2] التونسـية، خصوصًـا صـناعة الـذهب والفضـة والنحـاس، بحيـث وضـعوا لهـا أسـس وورثهـا عـنهم السـكان، فبعـد طـرد اليهـود الـذين كـان أغلـبهم يمتهنـون حرفـة الحلـي مـن منطقـة تـوات، وتحديـدا مـن قصـور تمنطـيط عـام 1492م علـى يـد السـيخ ابـن عبـد الكـريم المغيلـي[3]، فتفرقـوا بمنـاطق الجنـوب حـاملين معهـم حـرفهم، واسـتقر بعضـهم بـوادي

1-Jacques Ruffié, Étude Hémotypologique Des Populations de la Région du m'zab,In :Bulletin et Mémoires de la Société D'anthropologie de Paris xI0 Serie,T. 3,fascicule 4,1962, P 361.

2-جربـة: جزيـرة مجـاورة لليابسـة وهـي كلهـا منبسـطة رمليـة، تنـتج مختلـف الفواكـه كـالزيتون و العنـب و الإجـاص والرمـان و التـين و اللـوز، يعـيش سـكانها فـي مداشـر متفرقـة المنـازل، وبهـا سـوق واسـع جـدا ومـنظم كثيـرًا، وتربـة الجزيـرة غيـر خصـبة يجـب خـدمتها جيـدًا و سـقيها بمـاء يسـتخرج مـن آبـار عميقـة لـيمكن أن يـزرع فيهـا الحبـوب و نسـاء جربـة يخـرجن محجبـات وسـكان جربـة مـن شـعوب مختلفـة، فالناحيـة الغربيـة التـي يوجـد مرسـاها قبالـة قـابس، يسـكنها أنـاس يسـمون أجـيم لغـتهم البربريـة وهـم يقـرأون القـرآن، ومـذهبهم يشـبه مـذهب الوهـابيين ومـذهب بنـي ميـزاب ولجربـة أربعـة أبـواب، أجـيم فـي الغـرب، جـيس فـي الشـرق، مرسـى السـوق فـي الشـمال، ومرسـى القنطـرة فـي الجنـوب. ينظـر: حسـن الـوزان، المصـدر السـابق، ص 39. وكـذا: رحلـة الحـاج ابـن الـدين الأغـواطي، المصـدر السـابق، ص ص260-265.

3-Jacob Oliel ,Les Juifs Au Sahara Le Touat au Moyen Age, Cnrs Editions,Paris,1994,PP 116-117.

ميـزاب، إذ يقـول أوكـابتينAucapitaine : "...وفـي القـرن 16 لمـا قـرر السـلطان بنـي جـلاب دخـول يهـود تقـرت الإسـلام هـاجر مـن لـم يرغـب بالـدخول واسـتقر بعضـهم فـي بنـي ميـزاب..."[1]، هـذا التوافـد للعـائلات اليهوديـة بحـرفهم شـكل تخصصًـا جديـداً فـي الصـناعة اليدويـة كصـياغة الحلـي وصـناعة الأوانـي المعدنيـة[2] فـزودوا السـكان بمـا يحتاجونـه مـن مصوغ ذهبًا وفضةً [3] ، ومن أهم المصوغات الذهبية المعروفة بالمنطقة:

-تيسـغنس: ويسـتعمل لمسـك أطـراف الملحفـة علـى الكتفـين، الخـاتم، العقـد، الأقـراط تمشـرفين البـزيم لتـزيين الشـعر، والشـاركة توضـع علـى الجبـين، أمـا المصـوغات الفضـية فتشـمل: الخلخـال أزلان، الأسـاور: تسـغادرين، الخـاتم[4] وصـناعة الحلـي بمختلـف أنواعـه فأنعشوا تجارة المنطقة في هذه التخصص.

3-**صـناعة مـواد البنـاء:** وتتمثـل فـي صـناعة مـواد البنـاء كـالجير والجـبس حيـث كانـت تصـنع لهـا أفـران مبنيـة مـن الحجـارة والطـين الأحمـر، وقـد اقتلـع السـكان الحجـارة لبنـاء المسـاكن مـن طبقـة الصـخور الكلسـية البيضـاء واسـتخراج الجـبس المسـمى تيمشـيمت والرمـل الغيـر صلصـالي مـن حجـارة الأوديـة[5]، وهـي المـواد التـي اسـتعملوها بكثـرة فـي البنـاء وهنـاك حجـارة الجـبس التـي يحرقونهـا فـي طاحونـات صـغيرة لاسـتعمالها أيضـا فـي البناء المحلي وفي الخدمات التي تصلح لحصر المياه [6] .

1-Aucapitaine,Op.Cit.P 191.

2-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.2، ص ص 73-74.

3-مفدي زكرياء، المرجع السابق، ص 224.

4-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.2، ص ص 51-52.

5-مفدي زكرياء، المرجع السابق، ص ص118-119.

6-نفسه، ص 221.

4-**الصناعة الحرفية الأخرى:** إنّ التطور العمراني الذي عرفته المنطقة خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، قد خلق حاجات استهلاكية جديدة وأدى إلى تطور الحرف وتنوع المهن، وأصبحت الحرف ميداناً أساسيا للعمل ومصدراً لجمع المال لمحتلف فئات المجتمع، ومن أهم هذه الأنشطة الحرفية نذكر:

1-**الصناعات المشتقة من النخلة:** لقد استغل السكان كل ما يوجد في محيطهم استغلالا نفعياً؛ كالنخلة التي جعلوا لكل جزء منها صنعة، منها هذه المصنوعات:

أ-صناعة السعف: يقوم صاحب الحرفة بجمع السعف فيجففه تحت الشمس، وبعدما ييبس يدخله إلى الظل، ثم يغمسه في الماء حتى يصير ليناً سهلاً للعمل[1]، فيصنع منه الأواني المنزلية للطهو والشرب والقفف، والسلال والزنبيل، ويصف دوماس بعض من هذه الصناعات اليدوية عند البدو عندما يقول: "...إن لقبيلة الشعانبة تحت الخيام صناعاتها الخاصة... تحت الخيام تصنع من الحلفاء أو من سعف النخيل كالحصائر والمظلات الكبيرة للرأس أو الحبال لجلب الماء من الآبار وربط الإبل والأحصنة وأكياس من أجل استعمالها فوق حيوانات تنقل البضائع..." [2]؛ ويصنع منه الدلاء والمراوح، ويتخذ أهل الحضر من جذوع النخيل عوارض للتسقيف، وأخشاب لصنع الأبواب، ومكاييل للتجارة، ومهاريس لطحن الحبوب[3]، وقوائم الخطارة.

2-**الصناعة الجلدية:** وتعتمد على المادة الأولية المتوفرة في المنطقة، وخاصة جلود الجمال والماعز والضأن، وتعالج هذه الجلود بدباغتها ببعض النباتات كنبات "الإتل" وقشور الرمان وعشبة "التايدة" والملح[4]، ثم يتم تقطيع الجلود من أجل صناعات

1- لقاء مع السيد: قزريط محمد رئيس جمعية نخلة غرداية، بغرداية يوم: 10 فيفري 2017.

2-Daumas, Mœurs et Coutume de l'Algérie, P 313.

3-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.2، ص 47.

4-لقاء مع الحاجة فاطنة الهامل المولودة بتاريخ 1936 بالمنيعة، على الساعة 13 زالوا يوم 07 جانفي2016.

متنوعة كالأكياس والقِرْبَة، والشكوة (المخاضة) والسيور والسروج، وحقائب لحمل متاع المسافر، والدلاء وصناعة الأحذية[1]، ويصنع بالمنطقة نوع خاص من الجلد يسمى بالفيلالي[2] .

3-صناعة الفخار: اشتهرت المنطقة كذلك بصناعة الفخار، وهي صناعة محلية نشطت مع وجود المواد الأولية المتكونة من الطين، لأنها ارتبطت باستمرار الحياة وضمان وتزويد السكان بالأواني المنزلية كالأكواب والآباريق والقلل، والخابيات والقدور وغيرها، فقد دلت الحفريات الأثرية على وجود عدة أفران لصنع الفخار في كل من مليكة والقرارة وقد أشار القُطب اطفيش إلى: "...ان اهل مليكة كانوا اسفل عند المسجد الذي على الوادي فوق البنيان المعد لمعمل الفخار..."[3] .

4-الحدادة: تعد من الحرف التي لها أهمية بارزة في المجتمع، لقد كانت المواد الأولية المستخدمة في الحدادة بسيطة، وارتبطت بعائلات معينة، ويساعد الحداد معاون؛ وأهم ما يصنع منها الفؤوس، الموس، السكاكين، المنجل، القيدوم والخلالة[4] وغيرها[5].

5-صناعة البارود: من الصناعات التي كانت رائجة في ميزاب مثل باقي المناطق الصحراوية، فقد كانت منطقة ميزاب من بين الأسواق الرائجة في بيعها، فهو يحضر من تراب الأرض أو من الملاط في القرى المهدمة، وهذا التراب الذي كان في الأصل من مادة مالحة يوضع في ماعون ويصب عليها الماء بنفس الطريقة التي يعالج بها الرماد عند صناعة الصابون، ثم يغلى الماء إلى أن يصبح خاثرًا، ثم يؤخذ رطل منه

1- Daumas , Op.cit. P 313.

2-مفدي زكرياء، المرجع السابق، ص 223.

3-محمد بن يوسف اطفيش، المصدر السابق، ص21.

4-الخلالة: ألة مصنوعة من الحديد، تستعمل لرص الصوف المغزول بين الخيوط عند النسيج.

5-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.2، ص 51.

ويخلط مع أربعة أرطال من الكبريت وأربعة أرطال من الفحم المستخرج من شجرة الدفلة وهذه العناصر المختلفة تخلط جميعًا في غضون أربع ساعات فتصير بارودًا وفي الصحراء منجم عظيم من الرصاص، والعرب يأتون منه بكميات لبيعها، ولا يقع هذا المنجم تحت سلطة أي قبيلة وهو يقع شرقي أولاد نايل[1]. ولخطورة مادة البارود وما تشكله من مصدر دعم للثوار، فقد قررت سلطات الإحتلال الفرنسي حسب ما جاء في تقرير وزير الداخلية ووزير الحرب إلى رئيس الجمهورية الفرنسية نهاية 1882م، أن المنطقة خالفت المعاهدة معها بفتحها لأسواقها أمام العرب والثائرين عليها للتزود من هذه المادة[2].

6-الخياطة: من بين الحرف القديمة التي مارسها الإنسان، ووجودها مرتبط بوجود المنسوجات المختلفة.

7-الملاخ: وهو الذي يقوم بتصليح الأحذية وصنعها، وعادة ما تكون له محلات خاصة وسط السوق.

ولم تقتصر ممارسة هذه المهن الحرفية على الميزابيين والعرب، بل شاركهم في صناعتها اليهود الذين تخصصوا في بعض الصناعات، كصناعة الأحذية، وبيع الأسلحة وتصليحها، والدباغة، وغزل الصوف[3]، هذا التنوع الصناعي الحرفي رغم عدم فعاليته الكبيرة اقتصادياً؛ إلا أنه شغل عدداً معتبرا من أفراد المجتمع وخلق حيوية في المبادلات التجارية داخلياً وخارجيًا، بحيث نقلت هذه المصنوعات إلى أقصى نقاط التبادل شمالاً وجنوباً، سرعان ما طورتها فرنسا بعد حلولها بالمنطقة، وأنشئت لذلك مراكز للتكوين المهني لتطويرها.

1-الحاج ابن الدين الأغواطي، المصدر السابق، ص ص 254-255.

2-ناصر بالحاج ، النظم و القوانين العرفية بوادي مزاب في الفترة الحديثة، أطروحة دكتوره، جامعة قسنطينة 2، 2013-2014، ص 219.

3-Coyne,Le mzab.P 18.

وخلاصة هذا الفصل لم تعرف المنطقة نشاطاً صناعياً بأتم معنى الكلمة، وما وجد كان عبارة عن أنشطة بسيطة وعلى رأسها الصناعات التقليدية من نسيج، وحلي ومواد بناء وحدادة مُشَكلَةً أهم السلع المعروضة في أسواق المنطقة، ودخولها حركة التبادل التجاري مع مناطق عديدة من الوطن وخارجه وبجانب التّمور، بالإضافة الى الأنشطة الحرفية الأخرى.

الفصـــل الثالث

التجارة وعناصرها بمنطقة وادي ميزاب

1-الأسواق بمنطقة وادي ميزاب

2-المكاييل والموازين

3-السلع المتبادلة في الأسواق

4-التجارة الداخلية

5-التجارة الخارجية

التجارة وعناصرها بمنطقة وادي ميزاب

تعاطى أهل ميزاب منذ القديم بالتجارة في أبسط أشكالها، سواء كان ذلك في الشمال أو في المناطق الصحراوية الأخرى أو في البلدان المجاورة كتونس، وطرابلس وبلاد السودان[1] وكانوا أكثر حيوية فيها، وقد فرضت الظروف المناخية على الفرد أن يكون تاجرا بسبب شح الموارد الأخرى، ورغم ذلك فميزاب وبدون منازع هو الوسط التجاري الأكثر أهمية من كل الأوساط الصحراوية الأخرى، فهو ملتقى التجار قبل عبورهم أطراف ووسط الصحراء الكبرى القاحلة؛ وقد وصفهم حسن بن محمد الوزان حين قال :"... وهي أيضا رأس خط تجاري يلتقي فيه تجار الجزائر وبجاية بتجار أرض السودان..."[2]. ومن الأمور التي تدعو إلى الغرابة هي أن المنطقة تجارية رغم قلة وشح مواردها في مختلف السلع، إلا أن الميزابي استطاع أن يحول المنطقة من مجرد أرض جرداء إلى سوق تجاري، يتحكم فيه وذلك باستعماله للعديد من الوسائل من بينها استجلاب أغلب مستلزماته من الشمال، وبتنمية رؤوس أمواله في التجارة المحلية بالمنطقة وما جاورها بالتعاون بين الساكنين؛ دون استثناء فخلقوا جوًا من الارتباط المتماسك قاعدته الإخلاص، وقد تميزوا بالمشاركة بين النشاط العلمي والنشاط التجاري في دائرة كبرى من عمان إلى زنجبار، إلى مصر وإلى المغرب الأقصى[3]، وأغلب رؤوس الأموال التي تغذي الأسواق هي روافد من المساهمة المتوارثة والمتعاقبة بين الجماعتين منذ القديم؛ وحتى بريان والقرارة قاسمتهما الحظ[4] فنجد لكل مدينة نشاط تجاري، فأهل العطف كانت تجارتهم في اللحوم والبقول، وأهل

1-السودان الغربي: يعني كل بلاد السود عند الصحراء الكبرى الممتدة من قلب القارة من الغرب إلى الشرق ليقتصر فيما بعد على بلدان غرب افريقيا التي انتشر فيها الإسلام، وضل السودان الغربي يشمل كل من : مالي سوكوتو، برنو، كانم، براجرمى، وواداي.

2-الحسن بن محمد الوزان ، المصدر السابق، ص135.

3-عثمان الكعاك، البربر، أعده للنشر تامغناست، د.ط، د.ت، ص64.

4-مفدي زكرياء، المرجع السابق، ص ص 226-227.

غرداية في الأقمشة والملابس، وأهل بنورة في الفحم والخشب والزيت، وأهل مليكة في الحبوب والتمر والحمامات، وأهل بريان والقرارة فكانت تجارتهما متنوعة[1] .

إن غربتهم نحو المدن التلية كانت بغرض كسب المال، وتنشيط جوانب حيوية في المنطقة كالزراعة والصناعة الحرفية، فتوجهوا للعمل هناك في الجزارة الحمامات والعطريات...إلخ، ويعودون بأرباحهم مرة أخرى لتعمير مدنهم بالنخيل، ولتزويد الصندوق الجماعي للقبيلة[2]، ويفضل البعض منهم البقاء بالمدن الشمالية[3] وساعدهم في ذلك موقعهم الجغرافي كهمزة وصل بين الشمال والجنوب وبين الشرق والغرب وجعلها محطة للأسواق التجارية بين التل والسودان، وقورارة، وتوات غربًا، ومنطقة ورقلة شرقًا ما ولد احتكاك وتنمية لرؤوس الأموال.

لقد برع الإباضيون في التجارة، وأبدوا تحكمًا فيها، وشكلوا قوة اقتصادية لها نظامها الخاص، وقد ساهم إصدار العزابة لمجموعة من القوانين العرفية من التحكم وتنظيم الحياة الاقتصادية والإشراف على حسن سير التجارة، والبيع والشراء في الأسواق العامة والدكاكين[4] ؛ واستمر هذا الإشراف إلى غاية الفترة الفرنسية وتصرفه المطلق في هذا الجانب، ولكن بعد المعاهدة والضم حاولت اخضاع التجارة وفق مصالحها رغم ما نصت عليه معاهدة سنة 1853م[5] التي جاء في أحد بنودها ما يلي"...ولا يخفى أيضا أن تجار بني ميزاب هم عمدة التجارة ومفتاحها باقليم الجزائر

1-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.2، ص 54.

2- Leharaux (Léon),Le Sahara Ses Oasis,éditon Baconnier ,Alger, P 119.

3-Trumelet (corneille), les français dans le désert, Garnier frères édition, Paris, 1863, P 315.

4-صالح بن عمر سماوي، المرجع السابق، ح.2، ص 728.

5-نفسه، ص 228.

كما هو معلوم عند الخاص والعام..."[1]، وأصبح أمر الاهتمام بمهنهم من اختصاص المكتب السياسي الذي يسيره الكولونيل دوريو Durrieu [2].

لقد شكل انفتاح بلاد السودان على المحيط الأطلسي وإلغاء النخاسة(تجارة الرقيق) وانعدام الأمن خصوصاً بالطرق الصحراوية، نتيجة التنافس بين أهل البدو من جهة واهتمام فرنسا بالمنطقة، ومحاولة احتلالها[3] لمد مشاريعها إلى باقي البلاد الإفريقية بالإضافة إلى اعتماد التجارة على وسائل بدائية في نقل السلع والبضائع نحو مختلف الجهات حتى نهاية القرن التاسع عشر.

1-**الأسواق بمنطقة وادي ميزاب**: يعتبر السوق في ميزاب، للبيع والمساومة والمقايضة والتفاوض؛ فهو من أهم الأماكن الاقتصادية والتجارية، ويشكل ملتقى لبيع سلع الشمال وجنوب الصحراء[4] وفرصة لتبادل المنتجات بين أهل المدينة وبين قوافل البدو، التي تقصد التجمعات السكانية للتجارة، لذلك كان أمر وجوده ضروري في المدن؛ فهو الفضاء العمومي الوحيد بعد المسجد الذي يمكن لأهل البلدة أن يجتمعوا فيه ويتبادلوا الأخبار ويتفقدوا أحوالهم يوميا ويستريحوا من تعب العمل[5]، وقد روعي في هندسة قرى المنطقة إنشاء ساحة عامة في أسفل كل قرية[6] .

يعد سوق غرداية من أهم الأسواق، ومركز الثقل لتوسطه قلب وادي ميزاب، إذ يحظى بأكبر قسم من المبادلات التجارية، وهو من بين الأسواق الأكثر شهرة في المنطقة ومدن الجنوب، وملتقى لمختلف القوافل التجارية؛ يقع في مكان واسع تحيط

1-إبراهيم بن أيوب بليدي، المصدر السابق، ص 79.

2- Trumelet , Op.Cit .P 315.

3-عثمان حساني، المرجع السابق، ص ص86-87 .

4-Le Roux (Hugues),Au Sahara,Illistre D'après Des Photographies de L'auteur, Librairie marpon Paris,1891.P 200.

5-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.2، ص 114.

6-صالح بن عمر سماوي ، المرجع السابق، ح.2، ص 227.

بـه محـلات[1]، ويـرتبط السـوق ببـاب المدينـة الرئيسـي. نجـد بـه محـلات تجاريـة وحجـرات عشـائر، وتخـزن بـبعض محلاتـه المؤونـة السـنوية مـن السـلع الرئيسـية لعامـة النـاس وهـي الحبـوب والتمـور بوجـه خـاص، لاسـتعمالها عنـد الظـروف الطارئـة والأزمـات وسـنوات الجفـاف وغيرهـا، كمـا نجـد قـرب السـوق حجـرات مسـقفة بقبـة مربعـة دون أن يفـتح لهـا بـاب إلـى السـطح وهـي تسـتعمل لضـمان حاجـاتهم [2]. وتوجـد فـي وسـط سـاحته مجموعـة مـن الأحجـار ترمـز للأعـراش والقبائـل المعمـرين لغردايـة حسـب مـا جـاء فـي وثيقـة الحـاكم العـام للمكتـب العربـي عـام 1897م: "... أن أحجـار سـوق غردايـة الـ 25 هـم رمـز يمثلـون أهـل البلـد الأصـليين وهـم أصـحاب الحـق والأمـر والنهـي والفضـل علـى غيـرهم مـن سـكان واد مـزاب..."[3]. إذ تعـد هـذه الأحجـار بمتابـة مركـز تجمـع اقتصـادي لمراقبـة النشـاط التجـاري للتجـار القـادمين مـن مختلـف الجهـات، وحتـى السـلع القادمـة مـن القصـور، وتوجـد بـه محـلات لبيـع الفحـم والبقالـة وأمـاكن لتصـليح الأحذيـة[4]. ولأهميتـه الاقتصـادية حاولـت فرنسـا مراقبتـه باسـتمرار ومرقبـة المتـرددين عليـه ومنـع الثـائرين مـن دخولـه والتـزود منـه[5] إلـى جانـب سـوق بنـي يـزقن مـن حيـث الأهميـة؛ بحيـث اخـتص بتـرويج الصـناعة المحليـة بالإضـافة إلـى سـوق العطـف والقـرارة وبريـان[6] فهمـا ثـانويين بسـبب موقعهمـا المنـزوي[7]، وتوجـد بمدينـة بريـان بعـض الأسـواق الصـغيرة مـن بينهـا سـوق المعمـورة علـى ضـفة وادي الزرقـي، وسـوق آخـر بـين المـداغ وواد وريغنـو وسوق آخر على طرف القصر القديم وسوق بمنطقة الوافي (واد الكبش).

1- Le Roux , Op.Cit . P 204.

2-صالح بن عمر سماوي، المرجع السابق،ح.2، ص 227.

3-وثيقة الحاكم العام (المكتب العربي) بوادي ميزاب بتاريخ 7أوت1898 م، نسخة بحوزتي.ينظر: الملحق رقم 01، ص494.

4- Le Roux , Op.Cit. P 119.

5-إبراهيم بن أيوب بليدي، المصدر السابق، ص ص 40-52.

6-صالح بن عمر سماوي، المرجع السابق، ح.2،ص 227.

7-مفدي زكرياء، المرجع السابق، ص 208.

نجد في بعض القصور سوقين متجاورين، كما هو الحال في العطف والقرارة ويصل بينهما ممر مسقف، وتنفتح إليهما دكاكين القرية، والملاحظ أن هذه الأسواق كانت بعيدة عن مكان إقامتهم تفاديا للإغارة على التجمعات السكانية؛ ولا تكون منفذ للسطو على ممتلكاتهم، وقد ظل كذلك لزمن طويل لأسباب متعلقة بالأمن والدين على حد سواء[1] ، بالإضافة إلى أنه كان نقطة إلتقاء بين كل الاعراش المستقرة هناك كالأرباع، أولاد نوح، أولاد نايل، وأولاد يعقوب...الخ. وقد ووجدت بالمنطقة دكاكين متنوعة لبيع عدد من المنتجات، وقد بلغ عددها بعد إحصاء السلطات الفرنسية لها في3 جانفي 1863 م-12رجب1279هـ بـ 152 دكاناً[2].

-**أهمية السوق:** تشكل الأسواق نقطة اتصال واحتكاك اقتصادي وتعارف اجتماعي بين أهل المنطقة والتجار القادمين من مختلف مناطق البلاد، وتعول عليه الكثير من العائلات لتصريف منتجاتها الصوفية، وإعالة العائلات الفقيرة؛ وفي نفس الوقت يعتبر متنفسًا للبدو الرحل لتصريف منتجاتهم وإبراز مختلف صور التبادل التجاري الحاصل به[3]، فموقع مدينة القرارة على طريق القوافل جعل الارباع وأولاد نايل وأعراب تقرت وبسكرة [4] يترددون عليه، ويوجد في السوق مكان مخصص لنزول أصحاب القوافل التجارية القادمة من بعيد للاستراحة لعدة ليالي، وتقام فيه أحيانا حفلات الفلكلور [5] .

وقد روعيت فيه البساطة فسوق بني يزڤن غير منتظم الشكل تحيط به مقاعد مبنية، أما سوق غرداية فهو مستطيل يحيط به 98 قوسًا متفاوتة الأبعاد، ويبلغ

1-كلود، المرجع السابق، ص 19 بعد ترقيمها.

2-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.4 ص 146.

3-صالح بن عمر سماوي ، المرجع السابق،ح.2، ص 732.

4-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق،ط.2، ص 78.

5-Zeys(Ernest),voyage D'Alger au M'zab , Le Tour du Monde,1887,P 312.

محيطه 75 متر طولاً و44 متر عرضاً[1]، يفتتح السوق في أغلب مدن ميزاب مرتين في الأسبوع تتوزع على أيام الأسبوع، وعادة ما كان يفتتح بعد صلاة العصر، من طرف العزابة على ذكر الله، لينطلق بعد ذلك الدلالون في عرض سلعهم ومنتوجاتهم على الحاضرين، ولم تكن السوق تعرف حيوية الحركة التجارية بأتم معنى الكلمة إلّا خلال ساعات معدودة في الصباح وبعد صلاة العصر[2].

ومن خصوصيات التعاملات التجارية في أسواق ميزاب أنها تتم بالدفع نقدًا أو بالمقايضة، ويتحكم في السوق ثلاثة شخصيات هي:"العزابة" و"الدلال"[3] و"أمين السوق"، فالعزابة تشرف وتنظم عمل السوق لكيلا يحدث أي تعطيل للمصالح، أما الدلال فيقوم بعرض سلعه ويطوف بكل من في السوق ويستقر عند من انتهى عنده السعر، أي يعرض السلع عن طريق المزايدة، أما أمين السوق فيكون عارفًا بأحواله وأعرافه؛ ويعمل على مراقبته ومراقبة الدلالين وحل أي نزاع ينشب بين المتخاصمين بالإضافة إلى مراقبة الأسعار[4].

2-المكاييل والموازين: عرفت المنطقة قبل الإحتلال طباعة الموازين والمكاييل بحيث كان يتم هذا الأمر في المسجد على يد أحد الأمناء، ومن بين أهم المكاييل المستعملة في الأسواق خلال عملية البيع والشراء نجد:

1-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.2، ص 114.

2-صالح بن عمر سماوي ، المرجع السابق، ح.2، ص 229.

3-الدلال هو الذي يتوسط بين البائع والمشتري، ويحاول التوفيق بينهما؛ وهو الذي يدلل على البضاعة أي يقدم الأدلة على أنها جيدة وثمينة ليرغب فيها المشتري وله نسبة متفق عليها عند البيع. ينظر: مصطفى أحمد بن حموش، فقه العمران الإسلامي من خلال الأرشيف العثماني الجزائري956هـ/1549م-1246هـ/1830م، دار البحوث للدراسات الإسلامية واحياء التراث، ط.1 ،2000، ص ص 270-271.

4-صالح بن عمر سماوي، المرجع السابق، ح.2، ص ص 730-731.

-المد القديم والحثية، ويسمى المد بالمزابية بـ "آعيار"، والحثية تساوي 12 مدًا وتسمى بـ"تجلي"[1] والصاع [2]، وبالنسبة لمكيال السوائل فكان مصنوع من فخار يسمى بـ "النقاصة"(تاجدوايت)، بمقبض أو مقبضين لكيل السمن والزيت سعتها لتر واحد تحمل معلمًا يبين الكيل وتضبط علامته من طرف حلقة العزابة بالمسجد[3]، واستعملوا في ميدان قياس الطول الشبر والذراع[4] والقدم وآلة الرمانة[5]...الخ. وبعد الضم عملت سلطات الإحتلال على تغيير المكاييل والأوزان واستبدالها بالمكاييل والاوزان الفرنسة بحجة اختلاف الاحجام والأوزان من منطقة إلى أخرى، وأسندت مهمة مراقبة المكاييل والمقايس الجديدة إلى القياد والمعنيين من طرفها.

3-السلع المتبادلة في أسواق ميزاب: من بين السلع المتبادلة في أسواق ميزاب ما يلي:

أ-المنتوجات الزراعية:

1-**التّمور**: تمثل التّمور أهم المبادلات التجارية، حيث يتبادل أهل المدينة مع قوافل البدو منتوجاتهم وبيعهم الفائض من محصول التّمور[6] بعد جنييه فصل الخريف حيث تقبل القوافل من الشمال ومن الصحراء المجاورة لشرائه[7]، وتختلف أسعاره حسب الظروف المناخية والطبيعية من كل سنة، ويشحن من طرف عمال ويوضع

1-أيوب بن ابراهيم القرادي، المرجع السابق، ص 158.

2-الصاع : مكيال الحبوب أو الملح ويساوي عادة في مدينة الجزائر 60 لترا و85 للملح سنة 1830 ، وهو يختلف في وزنه حسب المواد والجهات. ينظر: عبد الله محمد بن الحاج يوسف الشويهد ، قانون أسواق مدينة الجزائر. تح. نصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، ط. 2 ، 2006، ص 67.

3-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.2، ص 48.

4-الذراع: ذراع اليد وهو مقياس الطول الشائع في سوق الأقمشة. ينظر: عبد الله محمد بن الحاج يوسف الشويهد المصدر السابق، ص 42.

5-الرمانة: هي الة الوزن المعروفة بالقبان وعادة ما تستعمل لكيل بعض المواد كالصوف والحطب.

6- يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.2، ص 52.

7-Le Roux, Op.Cit.P 200.

على ظهر الجمال في أكياس تسمى الغرارة، وتباع أنواع عدة من التّمور منها ما يوجه للأقاليم الصحراوية والإفريقية، ومنها ما هو مخصص للمناطق الشمالية[1] وذلك حسب الظروف المناخية المساعدة على بقاء التّمور في حالة جيدة، فقد اختص أهل مليكة بالمتاجرة بها نحو الشمال، ومن أهم التّمور التي كانت تباع بالأسواق للتجار الوافدين أو للاستهلاك المحلي نجد: الغرس، ودقلة نور، وتيم جوهرت، وزرزة والفائض من التّمور يقايض بالصوف والسمن وغير ذلك من خيرات البادية[2]؛ ولكننا لا نعرف مقدار الكميات التي تباع بأسواق وادي ميزاب حتى إلى الفترة الأخيرة من ق. 19 م لانعدام إحصائيات دقيقة ووثائق حول هذا الموضوع.

2-**الحبوب والغلال:** يعد القمح والشعير من السلع الأساسية في المجتمع، يباع في الأسواق بكميات كبيرة باعتباره من مواد الغذاء الأساسية للسكان ويتم استيراد الحبوب وبالأخص القمح والشعير من مدن الشمال، عن طريق جماعاتهم المستقرة هناك بحيث تتم عملية نقل الكمية بواسطة استأجر جمال القبائل العربية من الأرباع وأولاد نائل[3]؛ يتفق شارل امات Amat و كيونCoyne على أن استهلاك المنطقة سنوياً من القمح والشعير بلغ ما قيمته 20.000 قنطار سنوياً منهما عند ثمانينات القرن التاسع عشر الميلادي[4]، فالميزابيون يستوردون حاجاتتهم منه لما يكفيهم مدة ثلاثة أو أربعة سنوات[5]. وتباع كميات منه إلى تجار المدن المجاورة فيما تبقى الكمية الأخرى للاستهلاك المحلي، وحتى وإن وجدت كميات قليلة مما يزرع في بساتين المنطقة يأتي بها الفلاحون للأسواق؛ إلا أنها تبقى قليلة لا يمكن أن تكون كافية فيما يباع بأسواق الوادي.

1-Charlet, Op.Cit.P 80.

2-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.2، ص 52.

3-Robin, Op.Cit.P 18.
4-Coyne, Op.Cit.P23.
5-Robin, Op.Cit.P 18.

ب-المنسوجات وما يتعلق بها: وتمثل المادة الثانية من حيث التبادل التجاري الحاصل في الأسواق كالزربية والحايك والبرنوس والقندورة، والأقمشة التي اختصت ببيعها أغلب الأسواق وأشهرها على الإطلاق سوقي غرداية وبني يزقن، ويتم تصديرها خارج حدود منطقة وادي ميزاب[1]، فقد قدر الإنتاج السنوي من الملابس الصوفية بأكثر من 70.000 قطعة من السنوات الأخيرة من ق.19م؛ والواضح أن عدد كبير منها يباع في هذه الأسواق، سواء للوافدين إليها أو بيعها نحو جهات أخرى داخل وخارج الوطن، ويقتني هذه المنتوجات البدو الرحل لسد احتياجاتهم منها والتجار الذين يصدرونها نحو الأسواق المجاورة والتل[2] .

ج-الحيوانات ومنتجاتها: لها حضور قوي في أسواق ميزاب، ومنها الجمل الذي يختلف ثمنه حسب عمره وسلامته وخلوه من الأمراض، ويباع كذلك الضأن والماعز وحتى الأحمرة والبغال.

د-الصوف وأشعار الماشية: كما هو معروف يستخلص من الأغنام التي تربى في المنطقة أو بجوارها، ولكنه لا يحقق الاكتفاء الذاتي فنجد أسواق المدن تستورد كميات كبيرة منه على شكل جزات من بعض المناطق الرعوية، إذ يدخل إلى ميزاب سنويا ثلاثون ألف جزة صوف[3] .

هـ-الماشية: رغم أن المنطقة لا تحوي على رؤوس كثيرة منها، إلا أننا نجدها حاضرة فيكاد وجودها يقتصر على الاستهلاك المحلي للاستفادة من حليبها وصوفها وأشعارها ولحومها وجلودها، مع إهتمام أهل المنطقة بالجمال كونها الوسيلة الوحيدة في المعاملات التجارية، ويتم جلبها من المناطق الرعوية والشمالية، فسكان البادية يملكون أعداد معتبرة منها لكنهم لا يدخلون بها أحيانا إلى الأسواق، وذلك لانعدام الأمن داخل

1- يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.2 ص 54.

2-Le Roux (H),Op.Cit.P 113.

3-Coyne,Op.Cit.P 24.

الأسواق وبمحيطها، إذ تتعرض في بعض الأحيان إلى السطو والسلب والسرقة، من طرف قطاع الطرق ومعاقبة السلطات الفرنسية لبعضهم وخصوصاً الثائرين، بمنعهم من ارتياد هذه الفضاءات. لهذه الأسباب لا نجد تصديرًا أو بيعًا للماشية بقوة في أسواق المنطقة.

و-منتوجات أخرى: هناك مواد متفرقة تدخل بنسب مختلفة في مبيعات الأسواق بوادي ميزاب مثل الخضر، والفواكه الموسمية، والعقاقير، والجلود والحطب باعتباره الوسيلة الوحيدة للتدفئة وتحضير الأكل، والممارسون لتجارة الحطب هم أهل البدو الذين يعرفون جيدًا أماكن تواجده وخصوصاً الرتم Le retem، فيباع بـ10 فرنك للقنطار [1] كما يتم جمع جذور النباتات وبعض الشجيرات الصحراوية[2]. ويباع أيضا ضمن المنتوجات المتنوعة القطران والأواني المنزلية[3] ، يضاف إلى جملة ما يباع به هو بعض النباتات كالكمأة (الترفاس)،الأعشاب الصحراوية مثل الحميض، والحيوانات البرية كالغزال والأرانب البرية والقنافذ[4]، و تنقسم التجارة إلى:

4-التجارة الداخلية: يمتلك وادي ميزاب تجارة عملية نشطة من خلال أسواقه المتواجدة داخل مدنه وخارجها، وقد سعت كل مدينة إلى إيجاد سبل العيش بشتى الوسائل فالقوافل الوافدة إلى المنطقة سواء من ناحية الشمال أو الجنوب، شكلت محور خلاف بين بلدتي بني يزقن وغرداية وسعتا إلى توفير كل ظروف الراحة والعناية للتجار خلال مدة إقامتهم المقدرة بـ ثلاثة أيام[5]، وتشمل منتجات تجارة المناطق المجاورة ما جعله يحتفظ بحيويته التجارية منذ القدم، لذلك فهو أحد أهم

1- Coyne,Op.Cit,P17.
2-Cauneille, Op.Cit .P 200.
3-Le roux (H), Op.Cit .P 203.
4-Cauneille (A) , Op.Cit . P 214 .
5-Robin, Op.Cit .P 21.

مفترق الطرق التجارية بين الشمال والجنوب والشرق والغرب، وتفرعت منها حركة تجارية متعددة الاتجاهات للمبادلات من أهمها:

أ-المبادلات التجارية مع مناطق الجنوب: اتسمت العلاقات التجارية مع مناطق الجنوب بالحيوية منذ أزمنة ماضية، باعتبار أن سكان البدو يعتمدون في التزود من حاجياتهم اليومية على أسواق المنطقة، فالكثير من القبائل تتعامل معها كتيارت والبيض وبسكرة وبوسعادة، والأغواط، والجلفة[1]؛ فهي ملتقى البيع والشراء في الجنوب[2]، وأهم عناصر التجارة بوادي ميزاب هي المبادلة مع البدويين القاطنين بمحيط الوادي أو القادمين من أقصى واحات الجنوب، ومع الممارسة الزمنية لهذه المهنة اكتسب الميزابيين رؤوس أموال كبيرة جعلتهم كبنوك مصرفية يقول عنها هوجي: "...الميزابيين عبارة عن بنوك مصرفية لكل أهل الصحراء..."[3]. وهي عريقة في هذا المحيط الصحراوي ورغم ذلك اعتمدت المنطقة على الاستيراد بنسبة كبيرة لضمان استقرارهم، فنجدهم يستوردون مواد الصباغة كنبات الفوه من تقرت والتبغ من واد سوف، والبرنوس والحايك القادم من مدينة الجريد بتونس[4]، أما مع ورقلة فقد حددتها فرنسا بعد اتفاقية الحماية لكون ورقلة مركز مقاومة شعبية، وأحد بنود الاتفاقية ينص على عدم تمويل أعداء فرنسا[5]؛ ورغم ذلك فقد كانت تستورد منها التّمور وتصدر لها الحبوب والمنسوجات الصوفية ومواد البقالة، أما التجارة في منطقة الجنوب الغربي، فهي أكثر حيوية من باقي مدن الجنوب خاصة توات وتيديكلت فإنها تتم عن طريق الشعانبة الذين يحملون إليهم سلع متنوعة تشمل الأدوات اليدوية المصنوعة من الحديد كالمعول والفأس والأواني المصنوعة من الفولاذ، والمواد العطرية

1-Coyne,Op.Cit.P 32.

2-Daumas, le Sahara algérien, P 66

3-Le roux (H),Op.Cit.P 200.

4-Coyne, Op.Cit, P 32.

5-أحمد ذكار، حاضرة ورجلان وعلاقاتها التجارية بالسودان الغربي من 1591-1883، مذكرة ماجستير، الجامعة الإفريقية احمد دراية، أدرار، 2009-2010، ص 148.

والصناعات النسيجية، والحبوب والمنتوجات القطنية، ومواد البقالة والأواني المنزلية المعدنية[1] فكانت تستورد منها التّمور، وتبادل القوافل التجارية الميزابية سلعًا بالتّمور التواتية في أسواق منطقة قورارة، وهي أقرب المناطق للراحل إلى الإقليم عن طريق تبلكوزة، وأثناء مرورها داخل هذه المنطقة تتبادل سلعها من قهوة وسكر وجزات صوف والتّمور والحناء التواتية، وغالباً ما ينتهي مسارها بسوق تيممون[2]. ويستورد التجار منها العبيد (السود ذكور وإناث) الذين تختلف أسعارهم حسب قوة العبد الجسمانية وعمره وجنسه، فنجد الرجل أو الطفل منهم يباع في المنطقة بـ 600 فرنك، والفتاة ما بين 700 و800 فرنك، وفي بعض الأحيان يتعدى سعرها 1000 فرنك[3]. وارتفاع أسعارهم خاصة خلال النصف الثاني من ق. 19 م، يعود إلى القوانين الدولية التي وضعت مع بدايته لمنع ومحاربة الرق والمتاجرة بهم، بالإضافة إلى تحكم الفرنسيين في مسالك القوافل التجارية التي تجلب معها العبيد وفرض ضرائب عليها. فأسعارهم خلال العشرين سنة الأخيرة من ق.19م كانت في إقليم وتوات قورارة وتيديكلت منخفضة مقارنة بأسعارهم في المنطقة، فالعبد الشاب في توات يساوي300-400 فرنك وسعر الفتاة بـ 500-600 فرنك، والطفل ب 200-300 فرنك، وذلك احتساباً للمتاعب التي يتكبدها التاجر ومشاق وتكاليف الطريق من توات إلى ميزاب[4]؛ ففي السداسي الثاني من سنة 1883 م حلت قافلة تجارية من عين صالح إلى بني يزقن تحمل 80 قنطارا من الحنة، بيع الواحد منها بـ 70 فرنك و25 قنطار من ملح البارود ويباع الواحد منها مابين 150 – 200 فرنك، و8 قناطير من ريش النعام بـ 275

1- Coyne, Op.Cit. P 32.

2-فرج محمود فرج،إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر،1998م، ص83.

3- Motylinski, Op.Cit .P 404.

4 -Bissuel(H.C) Le Sahara Français, Adolphe Jourdan,Alger,1891P P 54.

فرنك للقنطار الواحد، و3 قرون الفيل 12 فرنك للكيلوغرام، و8 قطع جلود نمر بيعت بـ 40–70 فرنك للواحد، و10 قطع من جلد الفهد بيعت بـ 12 فرنك و18 غرام من مسحوق الذهب بيعت بـ 2,90 فرنك للغرام الواحد؛ وفي شهر جويلية من نفس السنة قدمت قافلة أخرى تحمل معها 26 قنطار من ريش النعام و2000 كلغ من الحناء[1].

كما يستوردون من هذه المناطق بيض النعام، ومسحوق الذهب، والجلود والحناء التي تباع بسعر 75 سنت للنصف الكيلو، والملح الذي يتراوح سعره ما بين 50 سنت إلى فرنك واحد، والكحل الذي يباع بسعر 28 سنت والورود المجففة والتي يتراوح سعرها 80سنت إلى فرنك واحد، والرصاص بسعر 80 سنت، وقرون الفيلة، والجلود منها المعروفة باسم الفيلالي[2]، وفيما يلي أسعار بعض السلع التي تباع بأسواق المنطقة في هذه الفترة[3] :

السلعة	سعـــــرها
الحناء	75 سنت للنصف الكيلو غرام
الملح	50 سنت إلى فرنك واحد
الكحل	28 سنت
الورودالمجففة	80 سنت إلى فرنك واحد
الرصاص	80 سنت

تتعامل الأغواط مع المنطقة تجاريًا حيث يتم جلب الحبوب والعبيد من الأخيرة إلى وادي ميزاب، فيما يعرضون بأسواقها البارود والعبيد، والشعانبة يجلبون إليها العبيد التي تباع أو تبدل بسلع أخرى من الشمال كالحبوب[4]، وقد تغير نظام تجارة القوافل عند الشعانبة خصوصاً بعد

1-Robin,Op.Cit.P 20.
2- Daumas,Op.Cit.P 61.
3-Duveyrier(Henri) Coup D'œil Sur le Pays des Beni-m'zab et Sur Celui du Chaanbe Occidentaux, In : Revue Algérienne et Colonial, T. II, librairie Hachette, Paris, 1860, P P 136-137.
4- Daumas,Op.Cit.P 20.

منتصف ق. 19م إذ تحول اهتمامهم إلى عملية فتح المتاجر والدكاكين بتأثير فرنسا[1]،عقب الضم لتسهل مراقبتهم وثنيهم عن الالتحاق بزعماء المقاومات الشعبية.

ب-المبادلات التجارية مع المناطق التلية: تذكر بعض المصادر تواجد الميزابين منذ قرون بالمناطق التلية[2]، والمدن الواقعة شمال الأغواط، تيارت، الجلفة، المدية،البليدة والجزائر؛ وتعد هذه الأخيرة هي الوسط الاقتصادي المهم، فأقاموا بها المحلات التجارية ومنها نقلوا سلعهم إلى قسنطينة ووهران وباقي مدن الشمال، وتتم هذه المعاملات بالأساس مع تجار الجزائر عنابة البليدة وغيرها من المناطق الشمالية من خلال القوافل التي تأتي إلى سوق ميزاب أو العكس. ففي الخريف تتوجه قوافل التّمور إلى الشمال وترجع محملة بالحبوب والخرفان والخيل، والأحمرة والزيوت والمصنوعات الزجاجية السكر، السمن، الزرع[3]، وبعد إدخال المزروعات الصناعية مع النصف الثاني من ق. 19م ومنها البطاطا إلى قائمة السلع التجارية، نجدها حاضرة بأسواق ميزاب سنة 1864م بعد أن تم تصريفها إليها من منطقة الغيشة[4] بجبال العمور. ويصدر تجار المنطقة إلى هذه المناطق الشمالية بالإضافة إلى التّمور، العبيدEsclaves Les وريش النعامPlume D'autruche، والمنسوجات الصوفية (البرنوس، والزربية، والحايك)[5] .

وتتعامل مع أسواق ميزاب الكثير من القبائل والأعراش العربية منها:الكيرش أولاد الكرد، أولاد شريف العلوية الفليتة، الأحرار،العجالات العمور، أولاد سيدي الشيخ

1-Charles (kleinknecht), Administrateur civil au Sahara 1942-1962,L'Harmattan, Paris.2000.P239.

2-من بين أهم الغربين الذين تطرقوا إلى التواجد الميزابي بالمدن الشمالية نجد: تال شوفال TalCheval والدكتور شاو Chaw ولوجي دو تاسي DeTassi Legi، والدكتور سيمون بفايفور Bavaivr Semon ووليم شالير وغيرهم.

3-عبد الرحمان بن عمر التنلاتي، المصدر السابق، ص 2.

4-فاطمة حباش، المكاتب العربية ودورها في المد الإستعماري بالغرب الجزائري (1870-1844) تيارت ، سعيدة، جيرفيل، البيض نماذجا، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران،2013 -2014، ص 182.

5- Daumas,Op.Cit.P 68.

الأغـواط كسـال، أولاد زيـد، أولاد نايـل، أهـل بوسـعادة التـي تعـد مـن أهـم المسـتودعات الحيويـة التـي تمـون المنطقـة بالسـلع فـي الشـرق[1]، أولاد سـيدي زيـان، أولاد ساسـي، أولاد حركـات، أولاد ميـرة مباركـة، الحرازليـة،الأرباع، أولاد يعقـوب، سـعيد المخادمـة، شـعانبة بوربـة، المـذابيح، المخـاليف، أولاد يحيـى، سـعيد أولاد عـامر، أولاد مـولات سـلمية، أولاد سـيدي بلقاسـم، الربيعيـة،أهل ورقلـة،أهل سـوف، أهـل تقـرت، أهـل تاماسـين، أهـل قـورارة أهـل القليعـة، تـوارق، عـين ماضـي، الأغـواط، تـاجموت، قصـر الحيـران، أولاد مختـار بـن عـودة، رحمـان، المفـاتح، دوايـر، بحيـث تجلـب القبائـل المـذكورة لميـزاب الصـوف والقمـح والشـعير والسـمن والأغنـام والخيـول، والأحمـرة وبعـض الأبقـار، والزيـت والجلـود المصـبوغة، والعبيـد والحنـاء وأنيـاب الفيـل، ومسـحوق الـذهبLa Poudre D'or أو مـا يعـرف بـ"التبر"[2]؛ الـذي يجلـب مـن منـاطق التعـدين فـي السـودان وكـان أغلبـه بشـكل غبـار ثـم ينقـى ويحـول إلـى سـبائك فـي المراكـز التجاريـة المهمـة الواقعـة فـي الشـمال أو الجنـوب مـن حـدود الصـحراء الكبـرى فـي سجلماسـة Sijilmasa، أو أودوغاسـتAudoghast، أو فـي وارغـلا Wargla، أو تمبوكتـو[3] Timbaktu ،ولمعرفـة المقـدار الفعلـي مـن الـذهب أو مسـحوقه الـذي يـدخل فـي المعـاملات التجاريـة والـذي يتـوزع مـن المنطقـة إلـى مـدن أخـرى، وكيـف كـان تزويـد أصـحاب الحـرف منـه وخصوصـاً اليهـود، يتوجـب القيـام بمزيـد مـن البحـث فـي السـجلات التجاريـة الخاصـة بـدول جنـوب الصـحراء والبحـر الأبـيض المتوسـط، كمـا تجلـب القبائـل المـذكورة إلـى الـوادي ريـش النعـام والبقوليـات، والشاشـية والأحزمـة، والأحذيـة، والأقمشـة الهنديـة، والقطنيـة والحريريـة

1- Mac Carthy (Oscar), Op.Cit P231.

2-مسحوق الذهب: يعرف بالتبر يوضع في أكياس من الجلد تسمى ب" الصرة " تقدر الواحدة منها بحوالي25 مثقال (125 غرام) وكان يبدل بالملح وفق ما يتفق عليه التجار. ينظر:

Elie de la primaudaie(F),Le Commerce et La Navigation de l'Algérie avant la Conquête française In: Revue algérienne et colonaile,T.3,Librairie de L.hachette et Cie, Paris, 1860,P 831.

3-بوفيـل، تجـارة الـذهب وسـكان المغـرب العربـي، تـر، د.عبـد الهـادي أبـو لقمـة، د. محمـد عزيـز، ط.2، منشـورات جامعة قاريونسرا، ليبيا،1988م ، ص 189.

والتوابل، والسلاح والزئبق، ومصنوعات زجاجية، والسكاكين والسكر، وبعض النباتات الطبيعية، والتمر والفولاذ والحديد والزرابي، وبعض الحيوانات البرية كالغزال، والنعام والأرنب البري[1]. كما يستورد تجار وادي ميزاب من الأبيض سيدي الشيخ، السمن الجبن والقمح والشعير، والصوف، ويصدرون لها البنادق والمسدسات، والبرنوس وحايك النساء، والأحذية، والفولاذ والحديد والمنسوجات الصوفية[2] الأخرى المصنوعة في المنطقة.

5-**التجارة الخارجية:** هي ملتقى القوافل القادمة أو الذاهبة إلى تونس وفزان والجزائر وبلاد السودان، وتمبكتو[3] لنقل أو جلب السلع من هناك، وأهم هذه المبادلات كانت تتم مع[4]:

أ-**المبادلات التجارية مع تونس:** كانت المبادلات التجارية في معظمها مع العاصمة وجربة ونفطة، فسكان الوادي خصوصًا أهل غرداية والقرارة وبني يزقن إعتادوا الغربة إلى تونس، فقد شكلت مسافة 1000كلم ما بين متليلي وتونس خط مهمًا لتبادل السلع بعد أن يمر بتقرت فسوف ثم واحات الجريد التونسية، وكان تجار المنطقة يجلبون منها بعض المنسوجات كالحايك التونسي الرفيع من منطقة الجريد، والمحازم الحمراء والطرابيش، والعمامات، والمناديل الحريرية والمصنوعات القطنية[5]، ومستلزمات

1- Elie, Op.Cit. P 68.

2- Elie, Op.Cit. P P 230-231.

3- تمبكتو: مدينة أزلية، من أهم المدن الإسلامية في غرب افريقيا، تكتب باسم "تنبكت" و"تمبكت" و"تومبكتو" و"تمبكتو"، وتقع شمال بماكو عاصمة مالي اختلفت المصادر والروايات في معنى اسمها، بناها الملك منسا سليمان عام610هـ، على بعد نحو اثنى عشرا ميلا من أحد فروع النيجر، وتوجد بها آبار عذبة قليلة الملح، وفي تمبكتو عدد كثير من القضاة والفقهاء والائمة والأدباء، ظلت تمبكتو مدينة تبر الذهب ولذلك كانت محط أطماع الفرنسيين فاستولوا عليها سنة 1893م. ينظر: حسن الوزان، المصدر السابق، ص 165.وكذا: ينظر: الهام محمد ذهني، المرجع السابق، ص148.

4-Naphegyi (G), Ghardaïa Minety Days Among the b'ni mozab,G.P. Putnam Sons Publichers new york, 1871, P 338.

5-Coyne,Op.Cit.PP 32.

الحمامات؛ باعتبار أن الميزابيين هناك كانوا تقريبًا يشتغلون في قطاع الحمامات والفحم، مثلما يذكر ذلك الدكتور عبد الكريم الماجري:"...فإن الأغلبية منهم تشتغل بقطاع التجارة كتجارة الأقمشة وتجارة الفحم أو تشتغل بقطاع الحمامات..."[1]. إذ نجد في الدفاتر الجبائية والإدارية بالأرشيف الوطني التونسي اسم "باكير حمامجي" المكلف بالإشراف على حمامات علي باشا في سنوات 1742 م و1743م [2]، كان الشيخ الحاج عمر بن حمو بكلي يستورد من جنوب تونس وتحديدا قابس[3] السلاح والذخيرة؛ كما كانت حاجة الشعانبة ماسة إلى السلاح والذخائر بعد اندلاع ثورة بوعمامة ولتزويد جماعة المدقانة بعين صالح والواحات الجنوبية به لمواجهة فرنسا[4] بالإضافة إلى ذلك كانوا يجلبون المواد العطرية والتجميلية والقطن الأوروبي والكبريت ويصدرون إليها المنسوجات الصوفية والتّمور[5].

ب-المبادلات مع الأقاليم الطرابلسية: بحكم التواجد الإباضي ببعض مناطق ليبيا كجبل نفوسة والجبل الأخضر، فقد تم ربط علاقات تجارية معها منذ القديم والتعامل مع أسواقها الكبرى كمراكز غدامس وغات. فكان تجار ورقلة وسوف يأخذون منتجاتها من المنطقة في قوافل منظمة إلى أسواقها، ويعودون بالسلع التي تباع هناك كالعبيد

1-عبد الكريم الماجري، هجرة الجزائريين والطرابلسية والمغاربة الجاونة إلى تونس (1937-1831)، تونس، 2010، ص 552.

2-عبد الكريم الماجري، المرجع السابق، ص 528.

3-مدينة أزلية تبعد بست مراحل إلى جهة القيروان، قريبة من الصحراء، ذات مياه جارية وأشجار وفواكه وبها من البربر الكثير وعليها سور يحيط به خندق كبير يجرون الماء فيه إذا خافوا من نزول عدو إليهم فيكون أمنع شيء ولها واد يسقي بساتينها وأراضيها ومزارعها ولها أسواق وبها جلود تدبغ بالقرط وحريرها أطيب الحرير وبها صدقات وزكوات وضرائب وجوال على اليهود. ينظر: أبي القاسم بن حوقل النصيبي، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت،1992، ص ص17-27.

4-أحمد بن جابو، المهاجرون الجزائريون ونشاطهم في تونس (1830-1954) رسالة دكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد -تلمسان،2010-2011،242.

5-Mac Carthy (oscar),Op.Cit.P 231.

والمجوهرات والتبر، وأنياب الفيل والنعام وجلد الفهود، والأنسجة السودانية والبخور والعسل والحرير، كما يجلبون منها الكبريت[1].

ج-المبادلات مع بلاد السودان: رغم بعد المسافة بين بلاد ميزاب والسودان إلا أن هناك قوافل تغامر بقطع هذه المسافات الطويلة، من أجل الأبقاء على روابط التبادل التجاري معها. وكان ماك كارتيMac Carthy قد أشار إلى العلاقة التجارية القديمة بين المكانيين حين قال"... مع بداية القرن السادس عشر الميلادي خلال العهد العثماني بالجزائر التجارة مع هذه البلدان كانت تتم بشكل نشط مع المدن الحيوية بالجنوب كورقلة ... متليلي غرداية..."[2]. وقد اشتهر بذلك الشعانبة الذين سيطروا عليها لقرون عديدة حتى أصبحوا أسيادها بلا منازع، فقد كانت المناطق الواقعة إلى الشمال والممتدة من عين صالح غربًا وغدامس شرقًا مسرح نشاطهم وتحركاتهم، وهو ما جعل لزامًا على كل من يريد أن يُسَيِر قوافله التجارية عبر مناطق نفوذه أن يدفع إتاوات مقابل حمايتهم له[3]، وكانوا يقومون بقيادة القوافل من مكان لآخر وحمايتها من الضياع ومن قطاع الطرق، فأصبح أمر تسييرها من اختصاصها فتمت المبادلات تصديرًا واستيرادًا إلى بلاد السودان عن طريقهم في مجال نشاطهم؛ فيحملون المنتجات الصحراوية وخصوصا التّمور، والصناعات النسيجية وما يتم جلبه من سلع الشمال ولضمان سلامة الرحلات الاستكشافية الأوروبية نحو التوارق وبلاد السودان، كان لابد من الاستعانة بمعارفهم وخبراتهم للاستدلال عن مسالك الصحراء الكبرى.

1-Coyne, Op.Cit.P 32.

2-Mac Carthy (oscar),Op.Cit.P235.

3-عبد الحميد مسعود بن ولهة، الجانب العسكري للثورة التحريرية بناحية غرداية إداريا وتنظيميا، ج1، دار صبحي للطباعة والنشر متليلي، الجزائر،2013، ص 38.

فالقافلة يسيرها على الأقل دليلان، وهو أمر ضروري لقافلة متوسطة، فالشعانبة يقومون بجلب السلع من جنوب تونس وطرابلس[1]، وحتى مقادور وتوات وقوراراة ويجلبون سلع السودان إلى الشمال[2] .

د-المبادلات مع المغرب: تتم المعاملات التجارية مع المغرب وواحات ميزاب عن طريق أولاد سيدي الشيخ، فيتعاملون مع مدن مقادورMogador، فاسFés، مكناس Meknès، طنجةTanger، طيطوانTétouan، ويستوردون منها الجلود المسمى الفيلالي والنعال المصنوعة من الجلد والحايك، والخمارات والأسلحة، والحديد والأقمشة الحريرية والقطنية وبعض المواد العطرية والتجميلية والقلنسوة والأحصنة؛ ويصدرون إليه الحرير القادم من تونس وبعض المنسوجات الصوفية[3]، وقد ضمنت لهم فرنسا حماية قوافلهم التجارية (تجارة بلاد مولاي عبد الرحمان في المغرب) فالقوافل الآتية من المغرب يتجه بعضها إلى الأبيض، وجزء منها يتجه إلى غرداية وأخرى إلى تماسين.

ومجمل القول لقد شكلت التجارة أحد أهم موارد العيش لسكان المنطقة، بحيث سعى الساكن بها وخصوصًا الإباضيون إلى التفكير الواقعي والعمل الدؤوب والجاد لتحويل المكان القاحل إلى ملتقى للتجار والتجارة في الجنوب الجزائري، ففتحت أسواق المنطقة لكل التجار المتجهين إلى الشمال والقاصدين مدن الجنوب وبلاد السودان ونتيجة ذلك نشطت أسواق المنطقة وتم جلب سلع مختلفة من المناطق الداخلية للوطن وقد تم تبادل السلع بالمقايضة أحيانا وبالمال أحياناً أخرى، هذه الحيوية جعلت تجار المنطقة يوجهون اهتمامهم إلى أسواق المدن الخارجية إما بأنفسهم أو عن طريق

1-لقاء مع عبد القادر بن العربي، رئيس اتحاد مربي الإبل بولاية غرداية، المزداد عام 1938 ، اللقاء تم بتاريخ 12-10-2016م

2- Amat ,Op.Cit. P 34.

3- Mac Carthy,Op.Cit.P 232.

وكـلاء، وسـمة التجـارة أنهـا تمـت بالتعـاون الـدائم لسـاكنيها قاعدتـه الإخـلاص، ولأهميـة التجـارة فـي المنطقـة فقـد لعبـت فرنسـا علـى هـذا الـوتر الحسـاس، لإضـعاف الثـائرين والضغط على الأهالي، ودفعهم لإمضاء معاهدة الحماية ثم الضم العسكري.

الفصـــل الرابـــع

المواصلات والنقل بمنطقة وادي ميزاب

1- وسائل النقل

2- المسالك الداخلية

3- المسالك الخارجية

4- وسائل النقل الحديثة

5- الاتصالات

المواصلات والنقل بمنطقة وادي ميزاب

لعب النقل دورًا بارزًا في الحياة الاقتصادية والإجتماعية، فموقعها الجغرافي جعلها تتصل مع جميع طرق الصحراء[1]، فقد كانت القوافل في بادئ الأمر تطوف الشبكة ولا تستطيع المرور منها نظرًا لوعورة المكان وصعوبة تضاريسه، وكان يضمن استيراده وتصديره للسلع بواسطة الجمال حتى نهاية القرن التاسع عشر ميلادي وبداية القرن العشرين.

1-**وسائل النقل**: أهم وسائل النقل هي:

أ-**النقل بالقوافل**: بقي الجمل مطية الصحراء، ووسيلة النقل الوحيدة إلى بدايات القرن العشرين الميلادي، نظرًا لتحمله الجوع والعطش، فضمنت لفترة طويلة النقل لتلبية حاجيات السكان وسط محيط من التلال الصخرية(بلاد الشبكة) فالجمل جعل من هذه الصحراء طرقًا يسيرة أمام تنقلات التجار وقاصدي المكان، وربطهم بمراكز تجارية أخرى سواء جنوبية أو شمالية. وقد استعملت الجمال على نطاق واسع للنقل التجاري فكل القبائل تستعملها لنقل البضائع والسلع وهذا حسب المسافات التي تحدد الأسعار فالحمولة المتوسطة للجمل تقدر بـ 250 كلغ، فهو يحمل ضعف حمولة البغل وتصل قدرته إلى حوالي 500 كلغ، ويسير مسافة 5 كلم في الساعة وبانتظام، بمعدل ثلاثة أو ستة أيام، بدون أن يشرب الماء ويصل تحمل بعضهم إلى عشرين يوماً؛ ولبعضها القدرة على قطع مسافة تصل حدود 400 كلم دون أن تتزود بالماء، لذلك يصدق وصفها بـ(سفائن الصحراء)[2]، ويصل الكراء بها من بوغار إلى الأغواط بـ 30 فرنك لتبعلى مسافة 45 كلم تصل إلى 2,50 فرنك[3] .

1- Coyne,Op.Cit.P 37.

2-رضا جواد الهاشمي، تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن 19، مؤسسة الفليج للطباعة والنشر، بغداد، 1984 ص 11.

3-Paul solleillet, Avenir de la France de l'Afrique, Challamelaine, Paris, 1876, P 21.

لم تكن القوافل حكرًا على البدو فقط بل يمارسها أهل الحضر وخصوصًا الأعراش العربية الساكنة بالمنطقة، ومنهم بدو الشعانبة الذين يتعاملون مع تجار ميزاب[1]، لنقل منتوجاتهم إلى الشمال أو جنوب الصحراء؛ خصوصاً إلى بلاد السودان وغدامس وغيرها. فالقافلة عادة ما تتكون من 100 إلى 200 جمل يقودها 50 من العرب مسلحين ببنادق طويلة لحمايتها من قطاع الطرق[2]، ويكون في الغالب أصحابها مزودين بالأسلحة للدفاع بها عن أنفسهم في حال تعرضهم لعصابات قطاع الطرق وهناك من يكتري جماله وهناك من يحميها، يذكر Jean Lethielleux أنه عند مرور القوافل ببعض الأماكن تدفع ضريبة أهل الدم لضمان مرورها[3]، فقد كان يقع على الأرباع وأولاد نايل، وسعيد عتبة والمخاليف وبعض القبائل العربية حماية القوافل التجارية الميزابية نحو الشمال؛ مقابل دفع غرامة متمثلة في منسوجات وتحمل مصاريف المرافقين المدافعين عن القافلة[4]، وذلك قبل النصف الثاني من ق. 19م ويدفعون 10 فرسان لهذه القبائل مقابل حماية تجارتهم من قطاع الطرق[5].

استهوى النشاط التجاري الواسع بالصحراء الفرنسيين بعد احتلالهم للجزائر لبسط نفوذهم إلى أقصى نقطة ممكنة، في إطار المنافسة والهيمنة على كل المجالات: اقتصادياً، وسياسياً، واجتماعياً، وثقافياً، فجعلوا نصب أعينهم الاهتمام بمشكل المواصلات لتسهيل عمليات التغلغل العسكري وربط مستعمراتهم ببعضها البعض وفتح أسواق القارة أمام بضائعهم[6]، وتسهيل عملية تنقل القوافل العسكرية للقضاء

1-مفدي زكرياء، المرجع السابق، ص 224.

2-Charmetant(père),Des presses A.vapeur de « la minerve »,Montréal ,1875,p21.

3-Jean (Lethielleux), Ouargla cité Saharienne, Librairie Orientaliste Paul Geuthner, Paris,2éme Edition,1984, p117.

4-Coyne, Op.Cit, P 35.

5-Ibid , P 35.

6-يحيى بوعزيز، طرق القوافل المحروسة التجارية بالصحراء الكبرى كما وجدها الأوربيون خلال القرن التاسع عشر، دار هومة للطباعة للنشر والتوزيع، الجزائر،2004، ص 127.

علـى أمـاكن المقاومـة الجزائريـة، هـذه الأهـداف قللـت مـن أهميـة النقـل بالقوافـل فـي السـنوات الأخيـرة مـن ق.19م؛ حيـث تـم بنـاء بعـض الأبـراج لمراقبـة مسـالك القوافـل وتطويرهـا[1]، مـن أجـل اسـتراحة التجـار والمسـافرين كمـا دعمـت هـذه المسـالك بآبـار وتجديـد وتنظيـف القـديم منهـا، تـذكر تقـارير السـلطات الفرنسـية أن الطريـق قبـل الضـم لـم يكـن مؤمنًـا، وبعـده أصـبحت القوافـل الداخليـة والخارجيـة تـدفع 10 فرنـك مقابـل الحمايـة، وأخـرى إذا تجـاوزت الرحلـة مـا بـين سـتة أيـام إلـى ثمانيـة أيـام[2] مسـتخدمةً فـي ذلـك أعوانهـا مـن القيـاد وجنـود فـرق المهـارى، فيشـاركون فـي مهمـة تنظـيم القوافـل وتوزيـع بعـض الأسـلحة علـيهم، أو وضـع قـوة عسـكرية تـرافقهم للتصـدي لكـل محاولـة نهـب وسـرقة الجمـال والسـلع، كمـا وظفـت مـع هـذه القوافـل مجموعـة مـن الأدلاء العـارفين بهـذا الفضـاء الفسـيح والقاسـي لضـمان سـلامة الرحلـة[3]، ويقسـمون طريـق الرحلـة إلـى مراحـل فهـم يحملـون سـلعهم وأثقـالهم فـي السـحر الأخيـر مـن الليـل، ويسـيرون إلـى طلـوع الشـمس وعنـد اشـتداد الحـر قبـل الـزوال يحطـون أثقـالهم عـن ظهـور إبلهـم ويقيـدونها إلـى العصـر ثـم إلـى وقـت المغـرب، فيتوقفـون ثانيـة ويضـعون مـرة آخـرى أحمـالهم ويقيـدون إبلهـم حتـى لا تهـرب قـرب اسـتراحتهم إلـى فجـر اليـوم المـوالي[4]، وعـن طبيعـة الصـحاري وصـعوباتها يقـول ابـن الحوقـل عنهـا:"وبين المغـرب وبلـد السـودان مفـاوز منقطعـة قليلـة الميـاه متعـذرة المراعـي لا تسـلك إلا فـي الشـتاء وسـالكها فـي حينـه متصـل السـفر..."[5]، وهـو مـا يشـير إلـى مـا تعانيـه القوافـل التجاريـة فـي هـذا المجـال الصـعب، رغـم أن رحلـة القوافـل التجاريـة

1-Edouard Charton,,Le Tour du Monde ,Nouveau journal des Voyages,N9, Librairie Hachette et cie Paris,1899,P106.

2-Amat,Op.Cit.P 235.

3-فاطمة حباش، المرجع السابق، ص214.

4-لقـاء مـع السـيد الشـيخ بـن الشـيخ ، أحـد الأدلاء مـن أهـل البادية ، اللقـاء كـان بالمنيعـة يـوم 12 -11-2015 م علـى السـاعة 10صـباحاً. وكـذا: لقـاء مـع الحاجـة فاطنـة الهامـل المولـودة بتـاريخ 1936 بالمنيعـة، علـى السـاعة 13 زاولا يوم 07 جانفي2016.

5-أبـي القاسـم بـن حوقـل النصـيبي ابـن حوقـل، صـورة الأرض، دار مكتبـة الحيـاة للطباعـة والنشـر، لبنـان،1996 م ص100

تمثل حياة متكملة تحمل تفاصيل يومية حافلة بالصعاب والمشاق للتجار، إلا أن الكتابات التاريخية في هذا الجانب شحيحة، لاتكفي لبناء فهم مفصل عنها، وهم يعرفون أماكن استراحتهم في رحلة قد تدوم أيام أو أشهر على حسب الوجهة والمسافات؛ لم تكن مسالك القوافل التجارية آمنة فكثيراً ما تواجه صعوبات الطبيعة وتقلباتها المعروفة بالمحيط الصحراوي، كالرياح والعواصف الرملية وقلة آبار المياه ونفاذ الماء وضياعها عن الطريق وموت الجمال.

ولأهمية المياه لاستمرار نشاط القوافل التجارية كان لابد من وجود مصادرها ومنها الآبار أو ما يعرف بـ"الحواسي"، والعيون فقبل هذا العهد قامت القبائل البدوية بحفر الحواسي في الصحراء في أماكن عدة في طريق المسالك التجارية المتجهة إلى الجنوب الغربي وحتى بلاد السودان، يذكر الأستاذ محمد ذكار أنّ هذه الآبار تختلف في عمقها من مكان إلى آخر نتيجة اختلاف التضاريس[1]؛ كالبئر الذي حفره الشعانبة الموجود بين المسلك التجاري متليلي وأوقروت[2]، وآبار أخرى كحاسي الفحل(حاسي امحمد بورقة)، حاسي شبابة جنوب المنيعة على طريق عين صالح حاسي لعمار على طريق قورارة، حاسي زيرارا، اينقل، حاسي ياكنا ، حاسي الأحمر وما بين المنيعة وتمنطيط توجد مجموعة منها نذكر أهمها؛ حاسي والن حاسي سبتي حاسي يكة، حاسي ساكة، وحاسي التويرقي، حاسي السبع[3]، حاسي مشقردان وغيرها كثير غير معلوم منها .

1-الآبار المحفورة في الوديان يكون عمقها بسيط، بينما التي تحفر على الهضاب يكون عمقها كبيرا يصل إلى مئة متر، وعندما يبنى البئر يبنى عليه سور خارجي دائري صغير على فوهته على شكل قبة، لا يزيد عن المتر ويشيد على أقرب هضبة منه معلم بالحجارة والجبس ارتفاعه يزيد عن المترين يسمى"الجدر" ويطلى بالجير الأبيض ويرى من بعيد للقوافل. ينظر: أحمد ذكار، المرجع السابق، ص77. وكذا:

Moulias, Op.Cit.PP 115-116

2-Duveyrier (H),Op.Cit.P 33.

3- أحمد ذكار، المرجع السابق، ص ص 77-76. وكذا: Moulias, Op.Cit.P 115

لقد هدفت فرنسا من وراء ذلك- الاهتمام بالآبار- إلى تحديث حركة النقل والتجارة؛ ولكنها في الأساس كانت تهدف إلى تسهيل عملية توغلها والتحكم في تجارة بلاد السودان والمنطقة، وتطويق لهيب المقاومات الشعبية، ولتسهيل عمل المستكشفين المغامرين والجواسيس؛ ومن بين هذه الرحلات الاستكشافية رحلة هنري دو فيري[1] Henri-Duveyrier (1859-1861)، ورحلة فيل لودوفيك 1861م Ville-Ludovic[2] ، ورحلة شوازي اوقست Choisy(1881-1879م) ورحلة فلاترس[3] Flatters (1881-1880م)، يضاف إليها البعثات التبشرية وعمل الآباء البيض الذين وصلوا إلى المنطقة منذ سبعينيات ق. 19م [4]، فبدأوا في توضيح مسالك الطرق مع نهاية القرن، وزودت هذه المسالك بحاميات وأبراج عسكرية لتكون جاهزة لردع أي مقاومة كالبرج العسكري الذي تم إقامته على جبل بوزيزة المشرف على مدينة غرداية والذي شرع في بنائه يوم 26 ديسمبر 1882م[5]-15صفر 1300هـ.

1-رحالة وجغرافي فرنسي ولد بباريس في 28 فيفري 1840م، زار والده الجزائر وعمره 26 سنة، استطاع أن يكتشف الصحراء في مدة سنتين توغل إلى بلاد السودان، كرمته الجمعية الجغرافية بميدالية ذهبية نتيجة ما قدمه حول الصحراء. وفي عام 1867 أصبح سكرتير في هذه الجمعية، كتب العديد من المؤلفات حول الصحراء، توفي في باريس عام 1892م. ينظر:

Narcisse,Op.Cit.PP 222-223.

2-تعتبر من الدراسات العلمية الأولى لجيولوجيا المنطقة، قام بها المهندس لودوفيك فيل في شهر ماي سنة 1861م، تتبع فيها كل من القرارة العطف بونورة بين يزقن مليكة غرداية متليلي بريان، درس جيولوجيا المكان والأودية والآبار والمياه واختلافات أماكن تواجدها، وذوقها بالتفصيل وعدد السدود والاختلافات الجيولوجية التي أدت إلى اختلاف تواجد وعمق المياه .

3-فلاتيرز : ولد في باريس في 16 سبتمبر 1832 م، تقلد عدة مناصب عسكرية عند مجيئه إلى الجزائر كلف بالشؤون العربية سنة 1856 م والمكتب العربي بقسنطينة ثم قائد المكتب العربي بتبسة سنة 1860 ثم بسعيدة سنة 1863 ثم قائد أعلى للأغواط سنة 1876 م. إرتقى إلى رتبة عقيد، توغل إلى بلاد الصحراء ضمن البعثات الاستكشافية العسكرية واستطاع أن يقدم أخبارا ومعطيات هامة، ويرفع تقاريرا لصناع القرار الأوروبي حول الصحراء وثرواتها هائلة، توفي في بلاد التوارق عام 1881. ينظر:

Narcisse,Op.Cit.PP 247-254.

4-Un Vieux Pére du désert: El Golea Sicut palma Florebir,Revue Grand Lacs,Revue Mensuelle des Missionnaires d'afrique,edition 1,53eme année,N5-6?1ERmars,Paris,1937,P331.

5-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.4، ص 171.

وبنـاء بـرج آخـر بعـد الضـم العسـكري علـى تلـة صـخرية مقابـل طريـق الأغـواط لإسـكان150 رجـل و40 جمـل[1]، وهنـاك بـرج آخـر جنـوب المنطقـة[2]، وتكليـف بعـض القيـاد بطـرد بعـض الأعـراش الرافضـة لفرنسـا فـي المنطقـة، والتجسـس عليهـا فـي حـال تواجـدها بالمكـان مـن أجـل التمـوين[3]، ومـن أجـل التضـييق علـى حركـة القوافـل ومراقبـة المنطقـة بكـل سـهولة للمـرور إلـى بـاقي البلـدان الإفريقيـة، فقـد تَـم تعبيـد طريـق السـيارات مـن سـطافة إلـى غردايـة علـى مسـافة82 كلـم، انطلقـت أشـغاله فـي1 ديسـمبر1882م وتـم اسـتعماله يـوم20 مـارس1883 م-11جمـادى الاولـى1300هـ. يـربط غردايـة بـالأغواط (طريـق وادي ميـزاب) وفـي 23 أفريـل 1883م-15جمـادى الثانيـة1300هـ. انطلقـت أشـغال إنجـاز طريـق غردايـة ورقلـة، وانتهـت الأعمـال منـه فـي نـوفمبر مـن نفـس العـام[4] ، كمـا تـم قطـع صـخور الوديـان والـتلال علـى مسـافة 30 كلـم علـى هضـبة النـوميرات بـين متليلـي وورقلـة، فأصـبح السـفر ممكنـاً وبـدون مشـاكل بـين الأغـواط وميـزاب أو ورقلـة[5]؛ وزودت بعضـها بـالقلاع والأبـراج وفـرق مـن الجـيش، المكونـة مـن أدلاء سـابقين للقوافـل التجاريـة جنـدتهم فرنسـا فـي فـرق لمهـارى المسـلحة لملاحقـة فلـول الزعمات الشعبية وأنصارها وحركة المدقنات[6] والقوافل التجارية.

1-Jean (Hess), Op.Cit. P157.

2-Jules labbe, Un moi Dans le Sahara, Imprimerie et lithographie,lille,1865, P 268.

3-ابراهيم بن أيوب بليدي، المصدر السابق، ص ص 40،30،26.

4-Amat, Op.Cit. P 232.

5-Rinn(l) Op.Cit.PP 68-69 .

6-المـدقنات: المدقنـة نسـبة إلـى رجـل ترقـي، وأول مـن أطلـق هـذه التسـمية أحـد كبـار شـعانبة ورقلـة وهـو معطـي الله بـوطير الـذي كـان فـي ضـيافة شـعانبة المواضـي، فقدم لهـم زعـيمهم بـوبكر بـن عبـد الحـاكم اثنـاء مجاعـة 1867 عنـزة مشـوية ولكـن دون سـمن ولا ملـح فقـال لـه بـوطير مازحـاً:"الطوارق مـدقنات" أي صـعاليك وأطلقـت التسـمية علـى الجماعة التي كانت أغلب أعمالها السطو في الصحراء، وقد تكونت سنة 1868م.ينظر:

Le Chatelier, les Medaganant , In : R.A. N^0 30 ,1886, PP39-40

فقد شرعت فرنسا منذ سنة 1893 في تشييد الحصون المَنِيعَة، والمراكز العسكرية بقلب الصحراء منها حصن مريبال Fort Miribel[1] بحاسي شبابة على بعد 135 كلم جنوب المنيعة، على طريق المباشر لعين صالح، وحصن ماكماهون[2] Fort Mac-Mahon في حاسي لعمار على بعد 165 كلم جنوب غرب المنيعة على طريق قورارة[3]؛ ويعرف عند سكان المنيعة بإسم حاسي الحُمر Hassi el- Homeur[4] وبرج Hassi Infel[5] على بعد 150 كلم جنوب شرق نفس المدينة؛ ويعرف باسم حاسي عبد الحاكم (Hassi Abedlhakem) باتجاه عين صالح[6]، وتعد هذه الحصون من المرتكزات الاساسية للتوسع الاستعماري بالتدرج نحو الجنوب، وقد أنفقت السلطات الفرنسية الأموال الطائلة لدعم عيونها ومخابراتها في المنطقة وما قابلها وحراستها من القبائل البدوية والثائرة التي لم تخضع بعد لنفوذها وسلطتها[7].

1-يقع حصن مريبال جنوب المنيعة، من أهم الحصون العسكرية بالجنوب وهو بمثابة عين مراقبة على المدن الجنوبية المجاورة، وكان تحت قيادة ضابط للشؤون الأهلية، ويضم مجموعة من القناصين والصبايحية، وبه ممرض ينظر:

Alfred.G.Martin,L'action Francaise Dans Le Sahara,In:R.F,37 année,Adolphe Jourdan,Alger,1893,P341. Et. Edouard charton, Op.Cit,P110

2-هو ماري ادم باتريس موريس دو ماكماهون دوق Marie Edme patrice Maurice de mac mahon ,duc de magenta عين كوالي عام للجزائر ما بين 1864-1870. ينظر: عمار بوحوش، المرجع السابق، ص574.

3- يقع حصن ماكمهون بالقرب من حاسي الحمر، بُنِي على سهل واسع، يحده من الغربإ لى الجنوب والشمال سلسة من الكثبان الرملية، وهو حصن متين البناء، يضم فرقة من القناصين الجزائريين،،وضابطان، وطبيب وضابط للشؤون الأهلية، ويعتبر من المقرات المركزية الصحراوية لفرقة الصبايحية الصحراوية. ينظر:

Edouard charton, Op.Cit,P108. Et. Baquey (lieutenant) la Pénétration saharienne (1899-1905) charles -lavouzelle, Paris, 1906, P 115.

4-Coyne,Une Ghazzia,P13

5-برج انفل Fort de Hassi Inifel :برج صغير مقارنة بالسابقين، يضم مجموعة من القناصين والصبايحية، به ضابط وممرض وبعض الإداريين وخدمة البريد. ينظر:

Edouard charton, Op.Cit,P11

6-Edouard charton, Op.Cit,P106.

7-إبراهيم مياسي، توسع الإستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري (1881-1912)، منشورات المبحث الوطني للمجاهد 1996، ص ص 107- 108.

2-المسالك الداخلية : يمتلك وادي ميزاب العديد من المسالك والطرق التجارية في معظم الاتجاهات أهمها :

أ-المسالك بين وادي ميزاب والمناطق الجزائرية: من ضمن القوافل التجارية من الشمال إلى الجنوب، أي من الموانئ البحرية شمالاً إلى أقصى مدن الصحراء الكبرى جنوبًا، نجد قافلة سكيكدة إلى قسنطينة، وبسكرة، وتقرت، وورقلة، والأغواط إلى تمبوكتو، وقافلة وادي ميزاب إلى الأغواط وبوسعادة، وقسنطينة، والكاف بتونس والعكس خلال العودة[1].

ب-مسلك غرداية- توات: يمر على مدينة المنيعة، وتيميمون، والقرارة وهي أقرب المناطق بالداخل إلى الإقليم عن طريق تبلكوزة [2]، والمسلك المار على المنطقة والقادم من توات وهو الطريق الشمالي الشرقي، وتسلكه القوافل المتجهة إلى المنيعة وغرداية والشرق الجزائري، كذلك إلى غات وغدامس وطرابلس وجنوب تونس وبالعكس[3].

ج-مسلك توات المنيعة متليلي والعكس: وهو من المسالك المعروفة منذ القديم ويصل حتى عين صالح بتيديكلت، وأوقروت بمنطقة القورارة.

د-مسلك ميزاب- ورقلة : تعتبر من بين أهم المسالك التجارية بينهما[4]، فبسبب إبرام الاتفاقية بين ميزاب وفرنسا مُنِعَت قوافل ميزاب من دخول ورقلة، باعتبار هذه الأخيرة

1-عثمان حساني، المرجع السابق، ص 91.

2-محمد الطيب بن الحاج ابراهيم المشهور(بابن بادة حيدة)، المرجع السابق، 83.

3-نفسه ص 90.

4-Coyne, Le Mzab. P 32.

مركز مقاومة شعبية ما أدى إلى شل الحركة التجارية بين المسلكين[1]، وتنقسم إلى قسمين قسم يؤدي إلى ورقلة، والآخر إلى القرارة [2].

هـ-مسلك وادي ميزاب- الجزائر: يعتبر من أشهر وأهم المسالك نحو الشمال، ويمر عبر الأغواط والجلفة والمدية وقصر البخاري ثم البليدة فالجزائر، ويعتبر الأسهل من بين كل المسالك التجارية بالبلاد، من حيث وجود نقاط الماء والأمن، ورغم ذلك إلا أن بعض القوافل العابرة لهذا المسلك تتعرض للاعتداءات؛ ومن ذلك الهجوم على قافلة بني ميزاب المتوجهة إلى التل شهر جويلية عام 1850م قرب تاجموت[3] .

و-مسلك وادي ميزاب- قسنطينة: بحكم تنقل الميزابين إلى العمل في المدن الشمالية وخصوصًا مناطق الشرق الجزائري، ومن بينها قسنطينة عنابة، قالمة، سوق أهراس خنشلة وباتنة[4] .

3-المسالك الخارجية: من أهمها:

أ-مسلك وادي ميزاب- تمبكتو: يمر على المنيعة وعين صالح وأكابلي، وبئر تيريشومين، حيث يلتقي بطريق توات إلى تمبكتو وقد سلكه الضابط بالا[5]، ولهذا الطريق فرع آخر من عين صالح إلى بئر عسيو وتنتيلوست، حيث يتفرع إلى فرعين فرع إلى أقادم وماو شرق بحيرة التشاد إلى أقادم وكوكا جنوبها، وفرع إلى الجنوب الغربي نحو أقاديس حيث يتفرع هو الآخر إلى فرعين: فرع إلى سوكوتو، وفرع إلى كاتشناKatchna[6]؛ وهو من أصعب الطرق التجارية، فنجد حفراً عديدة محاطة بجلود

1-أحمد ذكار، المرجع السابق، ص 148.

2-مفدي زكرياء، المرجع السابق، ص 225.

3-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.2، ص 56.

4-نفسه ص 53.

5-Bissuel (H.C). Op.Cit .P 63.

6- كاتشنا: مملكة مجاورة لكانو، وأراضيها وعرة ولكنها جيدة للشعير وسكانها شديدو سواد البشرة .ينظر: حسن الوزان، المصدر السابق، ص 173، وكذا: ينظر: يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص ص128-129.

الجمال أو عظامها[1] متناثرة هنا وهناك، وقلما تجتازه القوافل صيفاً للمخاطر المحفوفة به من رياح ساخنة، وحفر الرمال وقلة الآبار وغيرها.

ب-مسلك الجزائر- تمبوكتو عبر وادي ميزاب: يعتبر من أشهر المسالك التجارية المتجه من جنوب الصحراء إلى الجزائر، على طول يتجاوز 3500 كلم ويخرج من الجزائر باتجاه مالي، مروراً بمدن البليدة المدية، الجلفة، الأغواط، ميزاب المنيعة، وبه الكثير من السلاسل الرملية [2] ثم عين صالح وتمنراست فتمبكتو، بعد رحلة فيها من هول المخاطر الكثير إلا على المتمرسين والمترددين عليه.

ج-مسلك ميزاب- تونس: يمر عن طريق تقرت وسوف، حتى يصل إلى واحات الجريد التونسية عبر مسافة 1000 كلم[3]، ويدفع المارون من هذا المسلك غرامة لفرنسا مقابل حماية سلعهم[4].

كانت تخرج من منطقة وادي ميزاب عدة قوافل تمر عبر مدن ونقاط داخلية وخارجية اتجاه الجنوب الغربي ودول إفريقيا؛ كطريق غرداية الهقار، أدرار غاو Gao[5] تمبكتو Timbektou كيدال Kedal،غوندام نيامي، أغاديس، وتهاوا؛ وطريق غرداية المنيعة عين صالح، الهقار أغاديس، زندر، وطريق غرداية ورقلة، جانيت، القار أغاديس وزندار وغات Gat، وطريق غرداية تيميمون،أدرار، غاو، تمبكتو ونيامي[6] .

1-بوفيل، المرجع السابق، ص287

2-Amat,Op.Cit.P 297.

3-Mac carthy,Op.Cit.P 231.

4-Coyne,Op.Cit.P 37.

5-غاو: مدينة عظيمة تبعد عن مدينة تمبكتو بنحو أربعمائة ميل، تشتهر بزراعة البطيخ والخيار والقرع الجيد والأرز، وبها قصور الملك وحاشيته سكانها أثرياء وأغلبهم من التجار ويأتيه الكثير من الزنوج يحملون معهم كميات كبيرة من الذهب وذلك لشراء المواد التي تأتي من أوروبا وهي أكثر تحضر من باقي مدن السودان بها ساحة كبيرة لبيع الرقيق مواردها عظيمة لكن مصارفها أعظم، تتكون من عدة قرى ومداشر، يعيش فيا الفلاحون والرعاة ظهرت أهميتها التجارية الاستراتيجية عندما دب الضعف في أركان تادمكت، واتخذت بدلها محطة لوقوف القوافل التجارية التي تربط بين شمال القارة الإفريقية وغربها، مرورا بالصحراء الإفريقية .أنظر : الحسن بن محمد الوزان، المصدر السابق، ص ص169-170.

6-Cauneille,Op.Cit.P 199.

والملاحظ أن أغلب الخطوط البرية المتجهة نحو توات ومناطق الصحراء الكبرى تنطلق من غرداية أو ورقلة أو توات، كونها تمثل أهم المراكز التجارية بالجنوب.

4-وسائل النقل الحديثة: شهدت المنطقة بعد الضم العسكري نشاطًا ملحوظاً في هذا المجال فيما يخص الوسائل والهياكل، فقد كان قدوم أول سيارة إلى غرداية عام1898 وهي لسائح بلجيكي ثري يدعى البارون بْيير دُو كْراوههيز [1] ، وقد نصب له تمثال تذكاري في سفح جبل بوهراوة، تنفيذا لوصيته مكتوب عليه بالذهب الوهاج اسم السائح وتاريخ دخوله الوطن، وهو أول من دخل واحات وادي ميزاب بسيارة وجاء بهذا التذكار شقيق صاحبه ووزيران بلجيكيان، وثلاثة سفراء وثلاثة من موظفي الحكومة الفرنسية وقياد البلاد[2]؛ ومع هذا الحدث أصبحت معالم الطرق الشبه معبدة تتضح وزاد اهتمام فرنسا بصيانتها وحمايتها من الرمال، وأهم الطرق التي ظهرت ملامحها منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر هي:

أ-الطريق بين وادي ميزاب والأغواط: وهي طريق صحراوية تنطلق شمال المنطقة توجد على طريقها الآبار كبئر وادي السودان، ووادي بالوح، ووادي نيمل، وهي الطريق التي تستقبل المحمول على الأحصنة والجمال بين غرداية والأغواط [3]، كما تعتبر الممر الرئيسي التجاري بين ميزاب ومدن التل، وتمتد على مسافة 200 كلم فقد كان تعبيده بالنسبة للفرنسيين ضروري ولأهميته لذلك عملت فرنسا منذ الوهلة الأولى عقب الضم العسكري، بتعبيده ووضع إشارات لتعليمه، إذا انطلقت به أشغال تعبيد طريق السيارات من سطافة إلى غرداية؛ وكان من قبل الطريق المؤدي من غرداية للأغواط يتبع وادي ميزاب، وقد شارك في العمل حوالي 100 شخص، وبدأت

1-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.4، ص 232.

2-حمو محمد عيسى النوري ، المرجع السابق، ص 132.

3-Amat,Op.Cit.P 232.

بعرض 5 أمتار ومعالمها واضحة جدًا[1] ، وقد مرَّ به العديد من المستكشفين الأوروبيين المارين إلى باقي الواحات الصحراوية ودواخل إفريقيا.

ب-الطريق بين ميزاب ومتليلي: تقطع مسافته على الجمال وعلى مسافة 40 كلم في حدود الساعة والنصف.

ج-الطريق بين وادي ميزاب وورقلة: كانت تستعمل لإيصال البريد الصادر والوارد من وإلى المنطقة، ويجتاز بني يزقن والعطف، بعدما يترك وادي ميزاب على اليسار وأثناء الطريق توجد بئر بمنطقة النوميرات، وبهذا الطريق 13 معلماً[2].

د-طريق القرارة العلية: ويمر عن طريق ضريح الولي سيدي الحاج أحمد، وآخر من شمالها عن طريق الولي سيدي محمود، ويؤدي إلى وادي النساء وغرداية [3] .

هـ-طريق القرارة سيدي خالد: يمر عن طريق وادي عشاشا إلى وادي النساء بشبكة وادي ميزاب، ويمر عن طريق وادي بالوح فغرداية [4] .

و-وسائل النقل الحديثة: لقد بقي الجمل الوسيلة الوحيدة للنقل والتنقل، ومكلفًا للكثير من العناء والوقت والمال، ومع احتلال فرنسا الأغواط وإبرام الاتفاقية مع بني ميزاب انتبهت فرنسا إلى أن ربط المدن الجنوبية ببعضها البعض مهم، حتى يمكن الوصول بسرعة وفي كل المواسم لهذه النقاط من عين الصفراء إلى ميزاب[5]؛ ومن الجزائر الى تمبكتو، لذلك فكرت في إنشاء خط سكة حديد لتسهل التنقل والتحكم في باقي المدن والسيطرة على التجارة الصحراوية، والمساهمة في تطور الحركة التجارية بين الشمال والجنوب، ولتحقيق هدفها بعثت يمجموعة من الرحالة والمستكشفين مثل دوماس وفيل

1-Robin,Op.Cit.P 44.
2-Daumas,Op.Cit.P 71.
3-Ibid , P 176.
4-Ibid , PP 181-182.
5-Rinn,(L),Nos frontieres,P69.

وبول سوليه، ودي بونشال، وفلاترز، وشوازي وغيرهم لدراسة التضاريس والمناخ والطبقات الأرضية، فقد كتب دي بونشال Duponchel[1] تقريرًا يتعلق بإنشاء خط سكة حديد من الجزائر إلى تمبكتو بعد مهمته الرسمية لدراسة ذلك سنة 1878م وهي فكرة مأخوذة من الخط العابر لسيبيريا ما بين 1891–1898 م[2] والخط العابر لأمريكا بأكثر من 5000 كلم، فيما المسافة الرابطة بين الجزائر وتمبوكتو أقل من 4000 كلم[3]، اقترح دي بونشال أن تبدأ سكة حديد من تقرت إلى تمبوكتو، ورأى أن فريق واحدًا يمكنه أن ينشأ سكة حديد إبتداءًا من بوغار إلى الأغواط، ثم وادي ميزاب إلى المنيعة، فعين صالح ثم تمبوكتو وصولا إلى السنيغال وقدر تكلفة الكيلومتر بـ 300.000 فرنك بما فيها إنشاء المحطات ومصاريف التزود بالمياه[4]، وقد أصدر كتابًا تضمن تقارير حول خط التواصل بين الجزائر وبلاد السودان. لتتوالى بعد ذلك البعثات الحكومية لإنجاز المشروع، منها رحلة جوزيف دوماس Joseph Melchior Daumas مابين 1843–1845م[5]، ضلت فرنسا تحاول جاهدةً مد نفوذها إلى صحراء الجزائر ومن ثمة التوغل إلى القارة السمراء، وفق مخططات ومهمات مدروسة مرافقة للوحدات العسكرية أو تسبقها من أجل معرفة نقاط القوة والضعف في المنطقة المراد احتلالها، على مختلف الأصعدة ودراسة أوضاع الأسواق التجارية؛ ومن بين هذه الدراسات رحلة هنري دوفيرييه Henri Duverier إلى المنيعة سنة 1859م ومنها

1–هو أودلف دوبونشال ولد سنة 1821 مهندس في بناء الجسور والطرقات نشر الكثير من الأعمال عنها ومن بينها كتابه حول مشروع سكة الحديد، وأول من خطرت له فكرة السكة الحديدية العابرة للصحراء منذ 1875م. ينظر: عثمان حساني، المرجع السابق، ص80.

2–نفسه ص ص 79–80.

3- Paul Solleillet, Op.Cit.P 50.

4- Duponchel ,Op.Cit.P294-297.

5–اكتشف دوماس عدة مناطق من الجنوب الشرقي والغربي كورقلة، الأغواط، وادي ميزاب، بسكرة، تقرت، عين الصفراء وتيوت، ومناطق بلاد توات وعين صالح وغيرها من المدن الجنوبية الأخرى؛ فعرفها وذكر قبائلها وتركيبتها الإجتماعية، ووضح الطرق التي تربطها ببعضها البعض، وتطرق للحياة الاقتصادية بها وطرق القوافل التجارية الهامة ودون ذلك في كتابه "الصحراء الجزائرية" دراسة جغرافية واحصائية وتاريخية .

إلى بلاد الطوارق، وقد نشرها سنة1869م بعنوان" توارق الشمال" (Les Touareg du Nord) قدم خلال رحلتيه وصفًا دقيقًا للصحراء التي مر بها[1]، لتتوالى بعده الدراسات في هذا الشأن، وكان من نتائج الضم هو تمركز تجارة الذهب[2] في أيدي الجنوب لكن سرعان ما انقرضت المراكز الصحراوية الخاصة بتجارة الذهب والملح، أين قامت شركات الشحن الأوروبية بالسيطرة عليها وبالتالي المساهمة في تلبية حاجيات سوق الإستعمار[3].

إضافة إلى خلق نوع من عدم الاستقرار لدى القبائل البدوية بعد أن تم تجريدها من أموالها وملاحقتها من طرف القوات الفرنسية، لمشاركتهم ودعمهم للثورات الشعبية فقدم من قدم من البادية إلى المدينة بعدما تخلوا عن تجارتهم وتحولوا إلى عمال في مختلف المجالات أو فلاحين، وتوافدت الكثير من القبائل العربية المجاورة للوادي للاستقرار به[4]. نتيجة اشتداد التنافس الإستعماري بين فرنسا وإنجلترا خاصة في قارة إفريقيا واهتداء إنجلترا لإقامة مشروع لسكة حديدية لربط مستعمراتها بها؛ وهو المشروع الذي جعل فرنسا تفكر في شكل جدي في إقامته، يقول دي بونشال Duponchel في دراسته le Chemin de Fer Transsaharien :" من الطبيعي أن ما يحصل يجعلنا

1- لقد استطاع هنري دوفيري من خلال رحلته الاولى والثانية (1859-1860) إلى كل من : بسكرة الأغواط القرارة ووادي ميزاب، متليلي المنيعة، تقرت، وادي سوف، بلاد التوارق ومسالك عدة؛ قدم خلالها ملاحظاته ومذكراته بدقة متناهية في وصف جغرافيا الأماكن والمسالك التي مر بها وعن السكان، مهيئاً الأرضية للاحتلال وربط المدن ببعضها البعض.

2-تجارة الذهب : تعتبر من بين أهم أنواع التجارة التي كانت تتم بين التجار في كل من بلاد السودان الغربي وبلاد الشمال الافريقي منذ قرون طويلة، وعرف مسلكه بـ"طريق الذهب" من أشهر طرقه الطريق الذي ينطلق جنوب المغرب من مدينة سجلماسة لينتهي عند مدينة تمبكتو، وكان تجار شمال افريقيا يتبادلون مع تجار السودان الغربي سلع بلدانهم والسلع الأوروبية، مع الذهب، وكانت هذه التجارة أحد أهم أسباب الاحتلال الأوروبي لافريقيا والسودان الغربي تحديداً.

3-فتيحة يطو، الصراع الدولي على الطرق التجارية في الصحراء الجزائرية المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية عدد1، رقم 1، جامعة جيلالي ليابس سيدي بلعباس، 2015، ص 362.

4-إبراهيم بن ايوب بليدي، المصدر السابق، ص 40.

نستنتج أنه من أجل أن لا نبقى بعيدين عن منافستنا إنجلترا ومن أجل اقتصادنا وصناعتنا الراهنة والتي هي في وضع مضطرب فإنه من الضروري العزم على ربط الجزائر بسكة حديد"[1]. ومن بين الأسباب التي جعلت فرنسا تهتم للموضوع هو أن بقاؤها وتوسعها في مناطقها المحتلة مرتبط به لذلك أسس وزير الأشغال العمومية للحكومة الفرنيسية فرسينات Fryecinet لجنة السكة الحديدية الصحراوية ومنح مليون فرنك ذهبي لثلاثة بعثات دراسية؛ منها مهمة يشرف عليها شوازي Choisy ورأت هذه البعثة إختيار الرابط بين بسكرة وورقلة والمنيعة لفائدة النقل التجاري، ومهمة أخرى يشرف عليها الكولونيل فلايترز؛ تشمل ما وراء الحدود التي أدركها الإحتلال الفرنسي وللسيطرة على المناطق التجارية الجنوبية كوادي ميزاب ومنطقة توات وتجارة السودان وتمبوكتو[2]، فسخرت كل جهودها من أجل السيطرة على هذا الطريق. إن الاهتمام بمشاريع بالخطوط الحديدية يدخل في مجال التنافس الفرنسي والأوروبي وخدمة أغراض التجارة الفرنسية في كل أسواق القارة الإفريقية[3]، خصوصًا بعدما أقره مؤتمر برلين(1884-1878) من تقسيم ووضع البلاد الإفريقية تحت سيطرتها فكان قرار إلحاق ميزاب سنة 1882م دليلاً على ذلك رغم معاهدة الحماية، وجاء دمجه نتيجة تقسيم الذي أقرته المعاهدة الفرنسية البريطانية الذي حرم على الهيمنة الفرنسية كل السعي للتوسع نحو الشرق واحتلال السودان[4].

لقد كان للسكك الحديدية دور استراتيجي استعماري حاولت من خلاله فرنسا ربط مستعمراتها الثلاث في إفريقيا الشمالية الجزائر تونس المغرب بشبكة من السكك الحديدية، فقد بدأ هذا المشروع عام 1880 م ووجدت تأييدًا كبيرًا لأنه يعود على

1- Duponchel,Op.Cit.P 56.

2-فتيحة يطو، المرجع السابق، ص ص 364- 365.

3-يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، دار البصائر للنشر والتوزيع، ط خ، 2009، ص 136.

4- فتيحة يطو، المرجع السابق، ص 366.

الإمبراطورية الفرنسية بمزايا واضحة خاصة من الناحية الاقتصادية والاستراتيجية وذلك لقمع المقاومات الشعبية مثل مقاومة المقراني وبوعمامة؛ فقد مدت سكة حديدية في الجنوب الوهراني على مسافة 215 كلم ووصلت إلى عين الصفراء، للقضاء على مقاومة بوعمامة[1]، ففرنسا كانت ترى بأنه لا تقدم ولا توسع ولا أمن داخلي أو خارجي بدون الإحتلال السلمي لكامل الصحراء الجزائرية واستغلال موادها الأولية؛ وتمكين فرنسا من استعادة قوتها[2]، ولتحقيق ذلك بات هدفها الرئيسي لها هو انشاء سكك حديدية.

5-الاتصالات: يعد الاتصال في منطقة وادي ميزاب ضرورة تفرض الاهتمام بتطوير هذا الميدان ليس فقط للسكان، وإنما لخدمة أهداف فرنسا الاستعمارية إلا أن تطورها في هذا المجال لم يبرز بشكل واضح إلاّ مع القرن العشرين وكانت تشمل:

أ-التليغراف: تمتلك ميزاب خطًا تلغرافيًا مع الأغواط منذ 17 نوفمبر 1882م ، وبدأت باستغلاله في 5 مارس 1883[3]، وفي سنة 1886م تم ربط غرداية بالجزائر بخط تليغرافي كهربائي[4] .

ب-البريد: لقد كانت الجمال والخيول والبغال الوسيلة الوحيدة لإيصال أخبار المنطقة إلى باقي مناطق الوطن، وتتم عن طريق الرسائل المبعوثة بواسطة القوافل، كانت الإدارة الفرنسية تفضل بعث الأخبار إلى الوادي عن طريق المهري، فالقبطان دوران رئيس المكتب العربي بالأغواط، كان يفضل إيصال الأخبار عن طريقها؛ كما جاء في قوله:"وإذا مقصودك تبعثوا لنا الاخبار فابعثوها لنا صحبة مهري في الحين فان الفارس

1-عبد الحكيم رواحنة، المرجع السابق، ص ص 78-79.

2-Rinn, Op.Cit.P P92.

3-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.2، ص 151.

4- Rinn, Op.Cit, P69.

لايقدر ..."[1]. وتم افتتاح أول قابضة بريدية في وادي ميزاب عندما استقرت الحامية الفرنسية العسكرية منذ1884م[2]، فكانت مراسلتها تتم من خلال المكتب العربي بالأغواط وملحقته بغرداية، وقياد المنطقة والحاكم العام بالجزائر من جهة أخرى وكانت تجري بشكل حثيث عن طريق البريد العسكري الذي دأب على متابعة كل الأحداث وبعث أخبارها في حينها؛ فكانت تقارير المنطقة تصل بصورة شبه مستمرة إلى الأغواط وورقلة؛ فرجال البريد يخصص لهم حصان خاص، وكثيراً ما كانت تدفع الأموال لبعض الأشخاص لايصال الرسائل لمختلف الجهات مثلما يقول صاحب كتاب تاليف لاعطاء الضوء للصحراء :"...في غالب الأوقات يكري الناس بالاجرة ليبلغوا تلك الأجوبة..."[3] ويقطعون الطريق بين المنطقة والأغواط بسرعة، وقد تجمعهم مسيرة الطريق مع القوافل، وكانت مهام المكاتب البريدية متعددة النشاطات وتتمثل في إرسال واستقبال الرسائل والطرود وغيرها من الخدمات خصوصًا رسائل البيع والشراء، التي كانت تتم عن طريق البريد كالرسالة القادمة من قسنطينة باسم السيد أحمد بن عطية لتسديد مبلغ مالي بتاريخ 27 جوان 1898م [4] .

وخلاصة الفصل هو أنه من أجل فك العزلة على المنطقة كان لابد من تعبيد الطرق إلى مختلف الجهات، وربطها بالمدن المجاورة أو البعيدة وكانت الجمال أهم وسيلة أنداك، فشق الإنسان في هذا المكان الصعب مجموعة من المسالك المؤدية إلى مختلف جهات الوطن، وقد أدركت فرنسا أهمية ففكرت في استحداث شبكة من الطرق المؤدية من وإلى المنطقة للتحكم فيها؛ وفك العزلة وتسهيل السفر إلى باقي الواحات وربطها ببعضها

1-براهيم بن أيوب بليدي، المصدر السابق، ص41.

2-Robin,Op.Cit.P 44.

3-إبراهيم بن أيوب بليدي، المصدر السابق، ص 62.

4-وثيقة بيع السيد أحمد بن عطية 27 جوان 1898، نسخة بحوزتي.

البعض، ومد مشاريعها الإستعمارية إلى البلاد الإفريقية ومعرفة أحوالها والاستحواذ على ثرواتها المعدنية وموادها الأولية وعلى رأسها الذهب، من أجل ذلك كان الاهتمام بوسائل1938 النقل والاتصال من بريد وتليغراف وغيرها ضروري لتسهيل عملها وتوغلها.

الفصـــــــــل الخامس

المعاملات المالية بمنطقة وادي ميزاب

1- العملة المتداولة

2- الأوقاف

3- الضرائب وأنواعها

4- الموارد المالية المحلية

المعاملات المالية بمنطقة وادي ميزاب

إن النظام الاجتماعي الذي أسسه سكان الوادي وخصوصاً الإباضيون، جعلهم في أصعب أوقاتهم ينظمون حياتهم على مختلف الأصعدة نتيجة النظام الاجتماعي (النظام العشائري)، الذي توجد به خزينة الجماعة والمتكونة من ضرائب قارة وأخرى استثنائية وضحتها قوانين وأعراف العزابة، وتقررها الجماعة في حالة طارئ أو نفقات إضافية؛ كأعمال العمران وإصلاح شؤون الري،وحفر الآبار وتشييد سد جديد وتكون الضريبة في بعض الأحيان[1]؛ لقد مر صاحب مخطوط رحلة السيد ادريس بن عمر بن عبد القادر المنطقة وسجل بعض الملاحظات عن التاجر بميزاب فيقول: "...والتاجر الغريب يذهب ويجيئ بماله من غير خوف عليه ولا على ماله ولو أن للرجل ألف قنطار ذهب وتركه خارج البلد وفي أحد أزقتها ما خاف عليه ولا اهتم به... وعندهم من صنوف الأموال ما لا يوجد عند غيرهم من أهل الصحراء..." [2] مبدياً إعجابه مما رآه من اطمئنان على التجار بما فيهم الذين يأتون من مناطق عدة وعلى الأموال وكثرتها وتنوعها على باقي مدن الصحراء،فهي مستودع للأموال بمختلف أنواعها.

1-**العملة المتداولة:** تعتبر العملة أهم أوجه المعاملات الاقتصادية في أي مكان، ولم يكن حال منطقة وادي ميزاب مختلفًا كثيرا عن باقي مناطق الجزائر، لا سيما الصحراوية منها، فقد كانت سوقًا مفتوحا لجميع المعاملات المالية والقوافل التجارية وبالتالي فقد تم تداول عدة عملات، وكانت تتم المداولات النقدية بالعملات المعتمدة في مختلف جهات الإيالة؛ لا تشير المصادر التاريخية إلى وجود دار لضرب النقود وقتها، ولم يكن استعمال العملة ضرورياً؛ إذ أن التبادل كان أكثر رواجاً في

1-زكرياء مفدي، المرجع السابق، ص 203.

2-عبد الرحمان بن دريس عمر التنلاني، المصدر السابق، ص 2.

المعاملات البسيطة، فقد كان الفرد من الحضر يبادل البدوي"ربعي"[1] من قشر الرمان لصباغة الأصواف والجلود مقابل كبش، أو برنوس مقابل خمس جزات صوف [2].

ومع مرور الوقت تم تداول العملة في المعاملات التجارية، وقد تمثلت العملة المستعملة في وادي ميزاب خلال هذين القرنيين من الميلاديين في العديد من العملات المحلية والجزائرية مثل "السلطاني"[3] والدرهم[4]، وهناك نصف وثلث الدرهم وسدسه وهو الخروبة والدينار الذهبي كان له أنصاف وأرباع وأثمان، وظهرت مع بداية القرن الثامن عشر عملة قرش الجزائر. يتضح من خلال اجتماعات عزابة الوادي حرصها على اعتماد ما تسكه الإيالة من نقود؛ إذ جاء في اتفاق خمسة قصور أول شعبان 1242هـ/ 1827م مايلي: "...اجتمع فيه عزابة خمسة قصور واتفقوا على أن يجوزوا فيما بينهم في أمورهم وتصرفاتهم في أمور السكة الحادثة في الجزائر المنسوبة إلى ثلاثة أرباع القديمة لأول شعبان إلا ما كان قديما..." [5]. يذكر بن هطال أن العملة المتداولة في الأغواط هي الريال بوجو[6]، وبقي مستعملا إلى بداية

1-ربعي: هو عبارة عن علبة من الحديد صغيرة الحجم يوضع فيها المال، ويقال بأن الربعي من الربعية وهي جزء من أربعة أجزاء ويطلق عرفا على مكيال يسع أربعة أقداح. ينظر: عبد الله محمد بن الحاج يوسف الشويهد المصدر السابق، ص62.

2-كلود بافار، المرجع السابق، ص 19 بعد ترقيمها .

3-السلطاني: قطعة نقدية ذهبية تعرف عادة بالسلطاني الجزائر أو سكة الجزائر، وهي من الذهب الجيد تحمل معلومات عن السلطان ومكان الضرب وتاريخه وزنها في المتوسط 3،25 غ وقيمتها 108 موزونا أو 4،50 ريال بوجو، أعيد ضربها أواخر العهد العثماني فأصبحت تعرف بالسكة الجديدة لها أجزاء نصف سلطاني وربع سلطاني. ينظر: عبد الله محمد بن الحاج يوسف الشويهد، المصدر السابق، ص 42 .

4-درهم أوريال درهم قطعة نقدية من الفضة تعرف عادة بالبوجو أو الريال بوجو، ضربت بالجزائر وكانت شائعة في الاستعمال اليومي حتى اعتبرت النقدية الأساسية وزنها 10غ ، قيمتها كانت تقدر عند الإحتلال الفرنسي 1830ب:24 موزونة أو 1،83فرنك فرنسي ، وعند تغيير وزن العملة وإعادة ضربها أواخر العهد العثماني أصبح لها أجزاء: ربع بوجو(0،47) ،ثمن بوجو(0،23) تعرف بالدراهم الصغار لدى العامة. ينظر: عبد الله محمد بن الحاج يوسف الشويهد، المصدر السابق، ص 39.

5-عيسى بعمارة ، اتفاقيات المجالس العامة لميزاب 1405-1928، دار الشهاب، باتنة، 1982-1983، ص 25.

6-أحمد بن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص 64.

القرن التاسع عشر، أين ظهر ريال الجزائر وريال دورو، وظهرت عملة الفرنك الفرنسي بشكل محدود، وقد بلغت قيمته نهاية القرن التاسع عشر الميلادي مقارنة بالريال، فغرامة مائة ريال تساوي مائة وخمسة وعشرون فرنك[1]؛ بالإضافة إلى الريال البوجو الجزائري التابع لبايلك الشرق[2] ريال محبوب نصف بوجو والربع والثمن والدورو، والصائمة والخروبة والمثقال[3] والفلس والكوره السوداني والدينار[4] والفرنك، والويزة الفرنسية والدورو والصوردي الفرنسي وبعضها أجنبي، هذا يعني أن الجزائر كانت سوقًا مفتوحًا على العالم نظرا لاتساع دائرة النشاط الاقتصادي؛ المتمثلة في حركة القوافل الأفقية والعمودية والأهمية الاستراتيجية للصحراء[5]. نعتقد أن أغلب هذه النقود تم تداولها بشكل واسع في التبادلات التجارية في حالة عدم المقايضة.

وبحكم الحركة التجارية للتجار وخصوصاً الميزابين في المدن الشمالية فقد حملوا معهم بعض من هذه العملات إلى المنطقة والمناطق المجاورة، كما تَمَ تداول عمولات جنوب الصحراء القادمة مع القوافل التجارية، حيث وَرَد في اتفاق مجلس الشيخ أبي عبد الرحمان الكرثي أوائل شعبان سنة 1242 هـ الموافق لـ28 فيفري 1827م؛ إذ اتفق عزابة خمسة قصور على: أنه يجوز استعمال السكة الجديدة (الدراهم الجديدة) التي ضربت بالجزائر المنسوبة إلى ثلاثة أرباع الدراهم القديمة[6]

1-Motylinski,Op.Cit.P 35.

2-Daumas, Op.Cit .p21.

3-المثقال: الوزن الشرعي له يقدر ب4،72غ أو 4 قراط أو 72 حبة شعير أو 96 حبة قمح أما مثقال درهم فيقدر بأربع أوقيات ، يخصص عادة لوزن الذهب. ينظر: عبد الله محمد بن الحاج يوسف الشويهد، المصدر السابق، ص 41.

4-الدينار : عملة نقدية من الفضة متميزة بارتفاع قيمتها واقبال الناس على اقتنائها، كانت تضرب على عهد الموحدين من الذهب ثم صبحت من الفضة عندما تعاملت المدن الإيطالية بها ، فعرفت عند الناس بالدوبله ثم تحورت الى الدبلون أو الضبلون ، وضلت مستعملة لجودتها ، وقد قدرت قيمتها ب 5،40ف (1830).ينظر: عبد الله محمد بن الحاج يوسف الشويهد، المصدر السابق، ص 39.

5-عثمان حساني، المرجع السابق، ص ص87-88.

6-عيسى بعمارة، المرجع السابق، ص 25.

وفي اتفاق آخر نجد ذكر ريال في اتفاق روضة أبي مهدي عيسى ابن إسماعيل شهر شوال عام 1052 هـ الموافق لـ 1643م حيث اجتمعت عزابة خمسة قصور واتفقوا على: "...النزاع غرامته خمسة وعشرين ريال.." [1]، وهناك اتفاف آخر وقع شهر محرم سنة 811 هـ الموافق لـ 1409م لمجلس الشيخ أبي عبد الرحمان الكرثي حيث اتفق خمسة قصور بوادي ميزاب من علماء وطلبة وعوام:" منتهك حرمة أخيه مسلم... ويبعدونه بالنفي عامين من البلد بمئتين ريال..." [2]، إضافة إلى الغرامة المالية الإجتماعية(السب الشتم، القتل، السرقة) المطبقة على الأهالي والتي تتراوح ما بين فرنك إلى 2400 فرنك[3]. وبعد تحكم الإحتلال الفرنسي في المنطقة انتشرت العملة الفرنسية المتمثلة في الدورو والفرنك والصوردي الفرنسي، وهي العملات التي دخلت إلى المنطقة بعد الإحتلال الفرنسي للجزائر بسبب وجود التجار هناك .

2-الأوقاف: لقد شكلت الأوقاف أحد أهم الموارد المالية في المنطقة، إذ استطاعت أن تحقق التضامن الاجتماعي؛ الذي يحفظ للإنسان الفقير قدراً محترمًا من العيش وخدمة الصالح العام، يقول المؤرخ أبو القاسم سعد الله في شأن الأوقاف بوادي ميزاب:" وكان لميزاب مساجدها وأوقافها الغزيرة، وكان التحكم فيه في يد العزابة وكبار الشيوخ، وكان ريعها يتوزع على الفقراء في نظام محكم وذلك في مواسم معينة مثل رمضان والحج أو في الحياة اليومية بالنسبة للعجزة والأيتام. وكان التمر يوزع ثلاث مرات في اليوم ..."[4].

1-عيسى بعمارة، المرجع السابق، ص 37.

2-نفسه ص 20.

3-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.4 ، ص 140.

4-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، ص176.

تنقسم الأوقاف[1] في ميزاب إلى نوعان، النوع الأول يحبسه أصحابه لوجه الله تعالى لأصل من الأصول مثل أرض أو منزل أو جابية أو بئر، حيث لا يجوز بيعه أوهيبته أو إرثه؛ مثل الأواني والموازين والكتب[2] أو بستان أو نخلة، فهذا محمد بن عمر بن عيسى اشترى كتاب النيل من ناسخ يقول في بداية المخطوط:"...هذا الكتاب ملك لمحمد بن عمر بن عيسى بالشراء من ناسخة وقد حبسته حبسا ابدا ووقفا...مادام الدهر لايباع ولايشترى ولايوهب...تريخ أواخر محرم من عام1287"[3]، وقد عثرنا على نسخ من نفس المخطوط حبسها أصحابها من أجل العلم والنسخ منها، فيذهب منفذ الوصية إلى المسجد لنقل الوصية، وهناك من يُؤَبر النخلة ويهتم بها إلى غاية وجود الغلة ثم تأتي جماعة المسجد لقطعها، وهناك من الوكلاء من يثق بمن يملك البستان أن يقوم بكل شيء ويوصل التمر إلى المسجد، ونادرًا ما نجد بستان نخيل ملكًا للمسجد إلا في القرارة، وهناك وصايا منها "جبة الأمام"؛ الذي تصنع كل ثلاث سنوات من طرف أحد المحسنين، وهناك ما يقدم من مأكل في المقابر في الصيف والشتاء وهناك من يحبس دارًا ليبيت فيها ضيف المسجد، وهناك من يوصي بحلي وألبسة للعروس الفقيرة وأواني الطبخ[4]؛ والنوع الثاني يسمى "تنوبا"[5] لا يمنع التصرف

1-الوقف: لغة من أصل فعل وقف يقف وقوفاً، والموقف موضع الوقوف، فلما نقول وقفت الدار وقفا للمساكين بمعنى حبستها في سبيل الله فالوقف والتحبيس والتسبيل له معنى واحد، وقد اشتهر إطلاق كلمة الوقف على إسم المفعول وهو الموقوف من باب إطلاق المصدر وإدارة المفعول، ويعبر عن الوقف بالحبس. ينظر: ابن منظور المصدر السابق، ج السادس، ص 4898-4899.

2-يوسف بن بكير الحاج سعيد ، المرجع السابق، ط.2 ، ص 165

3- عبد العزيز بن الحاج الثميني، كتاب النيل، مخطوط بحوزتي بخط الناسخ بهون بن الحاج سعيد ابن باب بن ايوب بن موسى بن يحي، مكتبة الشيخ اطفيش ببني يزقن، نسخة بحوزتي، ينظر: ملحق رقم12، ص514.

4-أيوب بن ابراهيم القرادي، المرجع السابق ، ص 150 .

5-تنوبا: تِنُوبَاوِين جمع اتنوبة، هي أوقاف غالبها الطعام ومقدار معين من اللحم وما يُؤْتَدم مقدار بكميات محددة في مناسبات معينة في السنة، أو مواسم خاصة في شكل صدقات في المساجد أو ولائم أو مقابر، أو زيت الزيتون لإنارة المساجد أنظر. صالح بن عمر سماوي، المرجع السابق، ص ص665-666.

في الأصل بيع أو هبة أو إرث[1]، ومثل المدن الأخرى، فقد كان للضيوف والغرباء بيت وطعام لهم من مداخيل الأوقاف[2]، فشملت كل ما يمكن استعماله في الحياة.

ومع دخول المستعمر الفرنسي إلى الجزائر وتحديدًا بعد صدور قرار القائد الأعلى للجيش في إفريقيا كلوزيل يوم1830/12/07م والمؤيد لقرارين صدرا يوم 23 مارس 1843م-21صفر1259هـ، و03 أكتوبر 1848م، والمادة الرابعة لقانون 16 جوان 1851م-16شعبان1267هـ، ضبطت كافة الأوقاف الإسلامية في الجزائر وأُدْخِلت ضمن أملاك الدولة الفرنسية ووضعت تحت خدمة السلطات المحتلة، فضمت الواحدة تلو الأخرى في مختلف جهات الوطن ولم تبقى أوقاف إسلامية إلا بمنطقة ميزاب، إلى أن ادعى لويس ماسينيون أن الإدارة الفرنسية احترمت الأوقاف في الجنوب عموما سيما في ميزاب[3]. حتى جاءها الدور بعد أن أمر الحاكم العسكري بالأغواط أعيان المنطقة بجرد أوقافهم، وهو الأمر الذي أزعج بني ميزاب فانتدبوا من مدينة بني يزقن السيد الحاج إبراهيم بليدي فذهب إلى رئيس الملحقة بغرداية قائلاً له: "إذا كنتم تقصدون ما يطلق عليه اسم الأوقاف من عمارات، وحمامات وضيعات ومئات الهكتارات من الأراضي المنتجة فذلك ما لا وجود له عندنا وكل ما نملكه ونطلق عليه اسم الوقف هو ماء عذب وعرجون تمر في نخلة وطعام وقمح يصنع كسكسًا بالسمن"، فقال له رئيس الملحقة: "أكتب بهذا إلى الكومونـدون إلى الأغواط ليقتنع"[4]. ورغم هذا الوصف الذي قدم المنطقة على أنها فقيرة ولا توجد بها أملاك

1-فافة بسخواط ، ليلى حمود، دراسة حول نظام تنوبا نظاما ووقفا، شهادة اثبات الكفاءة المنهجية المعهد الجابري للبنات، بني يزقن، 2004،ص 25 .

2-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، ص177.

3-أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص177.

4-يوسف بن بكير الحاج سعيد،المرجع السابق، ط.2، ص168

مـدرة وأربـاح كثيـرة إلا أن الكومونـدون لـم يصـدق ذلـك وأصـر إلا أن يحصـي الأحبـاس بالمساجد لمجرد الفضول الاطلاع فكان الجدول الآتي[1] :

إسم البلدة	عدد النخيل	عدد العراجين	كمية البر بالحثية	كمية السمن بالكيلو غرام	كمية اللحم بالشاة
بريان	500	2000	500	250	120
غرداية	4000	8000	1352	1404	307
مليكة	2000	4000	930	465	221
بني يزقن	800	1500	3200	1830	1120
بنورة	200	1500	60	25	10
العطف	800	1500	960	450	327
القرارة	2000	6000	1100	500	200
المجموع	10300	24500	8102	4924	2305

مـن خـلال القـيم السـابقة نـرى بـأن أكثـر شـيء يوقـف للمسـاجد هـو النخيـل وبأعـداد متوسـطة، وعلـى حسـب أعـدادها فـي كـل قصـر؛ فمـثلا مليكـة التـي تحـوز علـى عـدد أقـل مـن النخيـل مقارنـة بالمـدن الأخـرى، إلاّ أن مـا تَـمَ وقفـه للمسـاجد كبيـر مثلمـا توضـحه القـيم السـايقة، ففـي سـنة 1863م كانـت تملـك حسـب الجـدول 6000 نخلـة وقـدمت 2000 نخلـة كوقـف للمسـاجد، وهومـا يـدل علـى الاهتمـام الكبيـر للوقـف وعلـى أهميتـه فـي حيـاة المجتمـع. وقـد كـان طلـب الكومونـدون إحصـاء عـدد عـراجين النخيـل صـيفاً أوخريفـا؛ً لأن العـراجين تبـدو واضـحة للعيـان وشـبه ناضـجة فـي هـذا الوقـت ليسهل احصائها وعدها.

كمـا شـكلت الأوقـاف المالكيـة مصـدرًا كبيـراً للأمـوال بالمنطقـة مـن خـلال حـبس ووهـب مـا يمكـن وقفـه مـن عقـارات للعامـة أو الخاصة(مسـاجد، أضـرحة، زوايـا)

1-نفسه ص168 .

وبساتين (حويطة، النخيل، الأشجار المثمرة، الآبار، العيون والسواقي) وحتى مهور زواج ومصوغ وحلي. وقد كان للنساء دور مهم في وقف أملاكهن؛ مثلما جاء في العديد من الوثائق الأرشيفية بالمحكمة الإباضية التي اطلعنا على بعضها، والتي تؤكد على الدور الفاعل والهام الذي قامت به المرأة في عملية الوقف، وهو دور اقتصادي يضاف إلى أدوارها الأخرى في مساعدة ومساندة الأولاد وتحبيس بعض ما تملك إلى ذوي القربى حباً لأعمال الخير والوقف؛ فلم تتخلف عن الوقف والتحبيس ولم يمنعها في الأمر أي مانع؛ كما تُبين لنا ذلك وثائق المحاكم الشرعية، إذ جاء في العقد المؤرخ في 2 جانفي سنة 1887م-6ربيع الاخر1304هـ، أن سيدةً قدمت هبة صداق " مهر" لزوجها[1]، من أجل الانتفاع به ومساعدته على تدبر أمور حياته وتأسيسه لرأسماله كونه زوجها ووجب عليها الوقوف معه، كما شمل التحبيس بعض الأمهات والجدات على مساعدة أبناء وبنات أبنائهن وبناتهن وأحفادهن ممن هم في حاجة ماسة إلى ذلك؛ لتخفيف أعباء الحياة عنهم وتحسباً لعواقب الدهر، كوهب فافة بنت سعيد لإبن ابنتها عيسى بن يحي نصف دار بغرداية سنة 1899م؛ ووصية احدى الجدات التي قدمت وصية الثلث لحفيدها في 6 جويلية 1889م[2]-8ذو القعدة1306هـ، لتمكينه من تدبر شؤون حياته، كما أرادت احدى السيدات من قبيلة المذابيح ترك متروكاتها لابنتها، وقد جاء في وصيتها مايلي:" ...حضرت الولية...المذبوحية أصلا الغرداوية سكنا واشهدت على نفسها وهي باتم حال ...ان قدر الله عليه لابد منه... فيكن لابنتها غنية بيتا من الشعر مع خلخال ومقاوس زوجان وخلات وعلاق وثلاث بزايم ذهبا فيهم واحدة تخرج بعد وفاتها...وان توفت

1-وثيقة مسجلة بالمحكمة الشرعية المالكية، سجل رقم 02، عقد هبة صداق بتاريخ 2 جانفي 1887م، نسخة بحوزتي.أنظر: الملحق 24، ص532.

2-وثيقة مسجلة بالمحكمة الشرعية المالكية، سجل رقم 02، وصية الثلث بتاريخ 6 جويلية 1887م، نسخة بحوزتي.أنظر: الملحق 26، ص534.

ابنتها قبلها فلا شي لها مما ذكر... وكما أوقفت يخرج من متروكها صدقة عليها بعد وفاتها وذلك اثنان غنما وحثيتان قمحا وحثيتان شعيرا ونقاصة سمنا وعشا لطلبة ايضا حثية قمح ونصف نقاصة سمنا وطابق لحم وتمر يكن صدقة عليها حين قطع التمر في كل سنة يقسم تمرها على الفقراء والمساكين وخمسة حثيات قمحا ..."[1].

لعبت الأوقاف دورًا هامًا في تنظيم العلاقات الأسرية والاجتماعية وتلبية حاجيات الأفراد من مختلف شرائح المجتمع، فكانت أكثر نفعاً للمحتاجين والفقراء سواء من الوقف الخيري أو الذري؛ فوفرت أملاك وعقارات وبساتين وأغراض عدة، وضمنت لبعضهم مصدر رزق وساعدت البعض على تكوين رؤوس أموالهم، وعلى مواصلة المؤسسات الخيرية عملها الإنساني والإجتماعي الذي يوؤل لمستحقيه في كل الظروف.

للأسف الشديد لم نتمكن من معرفة واقع الأوقاف خلال القرن الثامن عشر الميلادي والنصف الأول من ق.19م، لأننا لا نملك الوثائق الكافية بهذا الأمر في هذه الفترة الزمنية للإجابة عن واقعه، وعن الدوافع التي أدت بالأهالي إلى حبس أملاكهم، وهل تأثر الوقف بالظروف العامة التي عرفتها المنطقة خلال ق.18 والنصف الأول من ق.19م؟ نعتقد أن التوقيف خلال المدة الزمنية المذكور كان يتم في الغالب بطريقة شفوية بين الشهود والأفراد الذين أوقفوا أملاكهم المتنوعة سواءً الخيرية أو للذرية والمقربون يعني عن طريق (الْجْمَاعة)، إن هذا الإنعدام للوثائق الأرشيفية المتعلقة بالوقف جعلنا لا نقف بصورة دقيقة على الموضوع لدراسته ومعرفة الشرائح الاجتماعية التي أوقفت أملاكها خلال قرن ونصف من الزمن، ولكن من

1-وثيقة مسجلة بالمحكمة الشرعية المالكية، سجل رقم 02، وصية تركة أم لإبنتها بعد وفاتها بتاريخ جانفي 1898م، نسخة بحوزتي.أنظر: الملحق 25، ص533.

حسن الحظ أن بعض العقود مقيدة بالمحكمة الشرعية الإباضية أو المالكية وخصوصاً السنوات الأخيرة من ق.19م ، وإن هذا الإنقطاع في وثائق الأوقاف لمدة طويلة من الزمن جعل معلومات مهمة تغيب عنا، وأغلب تقييدات وثائق الوقف تعود إلى ما بعد الضم العسكري للمنطقة، وحتى الكتاب الأوربيون الذين كتبوا عن المنطقة في رحلاتهم وكتاباتهم لم يتطرقوا إلى ذلك، ولم يزيحوا الغبار عن تفاصيل الموضوع بشكل كافي وواضح.

3-الضرائب وأنواعها: رغم ضعف المداخيل بالمنطقة وتدني الأوضاع الاقتصادية والإجتماعية والحياة الصعبة للسكان، ومع طبيعة مناخهم القاسي وتضاريسهم الصعبة إلا أنهم كانوا يدفعون ما عليهم من الضرائب المعروفة أو المستحدثة إلى السلطة المركزية وإن لم تكن بشكل مستمر ومحدد، وبعد الإحتلال الفرنسي انتهجت إدارته أساليب عدة أضافتها إلى وسائلها الحربية؛ لإخضاع الفرد الجزائري في كل جهات البلاد، بحيث لجأت إلى فرض ضرائب وغرامات متنوعة، أرهقت الفرد في المنطقة وكانت وسيلة فعالة في إذلاله واخضاعه وافقاره ولو بالقوة؛ ماأدى إلى حدوث اختلالات في الجانب الاقتصادي والاجتماعي، فلم تكن تعفيهم إدارتها من دفع الضرائب بل وأضافت إليها أخرى، وأهم أنواع الضرائب التي عرفتها المنطقة في هذه الحقبة الزمنية:

أ-الزكاة: ذمة وضريبة تفرض على الحيوانات والمواشي المخصصة للتجارة، وما هو مؤكد أن الزكاة المستخرجة من أموال الثروة الحيوانية والنخيل تشكل موردًا هامًا لمؤسسة العزابة، التي يؤذيها الميزابيون، وما يستخرج من أموال العرب لتصرف في أوجهها المعلومة، تقدم من طرف السكان البالغين النصاب من العشيرة أو القبيلة التي تتولى صرفها لذويها من المحتاجين من الفقراء والمساكين وتلاميذ الفقراء والبعض يقسمه بنفسه لمن يراه يستحقها، وقسم يقدم لوكلاء المساجد لبنائها أو ترميمها. ففي

كامل القطر الجزائري حددت الزكاة نهاية ق. 19 بـ 3 فرنك للرأس الواحد من الجمال و2 فرنك للبقر و25 سنت للماعز و20 سنت للخروف، وما بين 25 و50سنت للنخيل[1] تخضع هذه الضريبة للزيادة والنقصان حسب الظروف الطبيعية والمناخية كالجفاف وإصابة قطعان المواشي بالأمراض، ففي مثل هذه الحالة فإنها تخفف ولكنها تبقى تشكل عبئاً ثقيلاً على الأهالي والأسر المعوزة.

ب-اللزمة: تسمى اللازمة هو مال لازم تدفعها عروش القبائل وسكان الصحراء وتختلف على حسب ثراء هذه الأخيرة، تشمل النخيل ومنتجاته[2]، وتحدد حسب أصنافها ومدى جودتها وتعددها، ضريبة جديدة أحدثتها الإدارة الفرنسية بقرار من الحاكم العام بتاريخ 18جوان1858م-6ذي القعدة1274هـ،ولا توجد لها أسس تابثة فهي تختلف من قبيلة إلى أخرى[3]. لم توضح المصادر التاريخية الحملات التي كانت باتجاه منطقة وادي ميزاب وما قاربها من المناطق من أجل دفع اللزمة وما عليهما، من ضرائب للإيالة في الجزائر، والمتفق عليه هو وضوح حملة باي الغرب محمد الكبير[4] إلى الجنوب وتحديدًا إلى مدينة الأغواط أين توجه بنو ميزاب إلى الباي محمد بالكبير في عين ماضي الذي يسرد وقائعها بن هطال فيقول: "...فهم كذلك وإذا بخيل بني ميزاب قد لحقوا إلى المحلة وتركوا معسكرهم نازلا على بني

1- Maurice Wahl,_Op.Cit, P281

2-محمود جلمام، النظام الضريبي الجزائري وأثاره على التنمية الاقتصادية-دراسة حالة الجزائر-أطروحة دكتوراه، جامعة محمود منتوري، قسنطينة، 2009-2010، ص 102. وكذا:

Trumelet(C),Op.Cit.P 313

3-عبد الحميد زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1900، د. م .ج، الجزائر،2010 ص125.

4-هو محمد بن عثمان يسميه العرب في الناحية الغربية "محمد الاكحل، باي وهران حكم ما بين 1778-1796م فتح وهران واسترجعها من يد الاسبان في فيفري 1792م، لقب بالكبير لأنه كان متقدما في السن عندما فتح مدينة وهران، قام بعدة إنجازات على مختلف النواحي، توفي عام 1796م.ينظر: أحمد توفيق المدني، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، دار البصائر،الجزائر،2009، ص169. وكذا: أحمد بن هطال التلمساني، المصدر السابق ص15.

الأغـواط..."[1]، مـع أنـه لـم يـذكر نـوع وشـكل اللزمـة وبكـم قـدرت؟ ومـن كُلِـفَ بـدفعها؟ ولكننـا نعتقـد بأنهـا مهمـة وقبـل بهـا البـاي ومـا تـذكره المراجـع فـي هـذا الشـأن هـو أن ميـزاب كان يدفع سنوياً اثني عشر عبدًا واثنتي عشرة أمة للسلطة المركزية.

وقـد جـاء فـي أحـد بنـود اتفاقيـة 1853م بـأن اللزمـة تـدفع للبايلـك كـل سـنة بعـدما يجمعهـا الميزابيـون دون أن يـأتيهم المخزنـي، بشـرط أن تـدفع فـي اليـوم الـذي تـأمرهم بـه فرنسـا مـن الأغـواط[2]، بحيـث يـدفعون مـا قـدره 126.813 فرنـك كضـريبة اللزمـة أي علـى كـل نخلـة مـا قـدره 0,20 فرنـك[3]، يـرى شـارل كلينشـكات أن الأهـالي كـانوا يـدفعون ضريبة على النخيل والسكنات للادارة الفرنسية[4] .

ج-الغرامـــات: لقـد شـكلت غرامـات الخطايـا المنبثقـة مـن المجـالس الثالثـة (مجلـس الكرثـي- أبـي مهـدي عيسـى- عمـي سـعيد) مـوردا آخـر لخزينـة المنطقـة؛ مثلمـا جـاء فـي اتفـاق وقـع شـهر محـرم سـنة 811 هـ الموافـق لـ 1409م لمجلـس الشـيخ أبـي عبـد الرحمـان الكرثـي حيـث اتفـق خمسـة قصـور بـوادي ميـزاب مـن علمـاء وطلبـة وعـوام:" منهتـك حرمـة أخيـه مسـلم...ويبعدونه بـالنفي عـامين مـن البلـد بمئتـين ريـال.."[5]، وهنـاك اتفـاق أخـر لمجلـس ضـريح أبـي مهـدي عيسـى ابـن إسـماعيل أواسـط شـعبان 1199 هـ الموافـق لجـوان 1585م وجـاء فـي بعـض بنـوده مـا يلـي:"...من رفـع الحديـد (السـلاح الأبـيض فغرامتـه خمسـون ريـال، وإن ضـرب فغرامتـه مئـة ريـال ومـن بعثـوا لـه مرسـالا أو وصـيف العـرش وحـبس عـن المرسـول أو ضـربه أو عصـاه فغرامتـه سـبعة ريـالات، فـإن خدعـه وهـرب فغرامتـه مائـة وخمسـون ريـال..."[6]؛ إضـافة إلـى الغرامـة الماليـة

1-أحمد بن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص ص 36-37.

2-حمو محمد عيس النوري، المرجع السابق، ص 274.

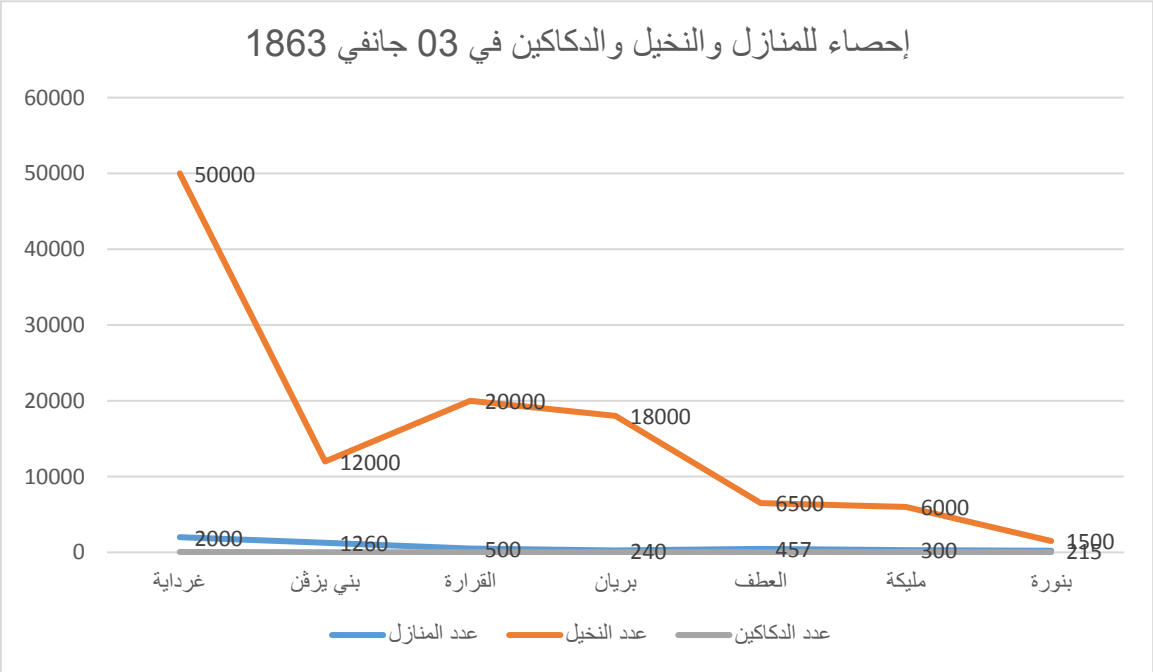
3-Charlet,Op.Cit.P 47.

4-Charles (kleinknecht), Op.Cit.P247.

5-عيسى بعمارة، المرجع السابق، ص 20.

6-نفسه ص ص 41-42.

الإجتماعية (السب، الشتم، القتل السرقة) المطبقة على الأهالي والتي تتراوح ما بين فرنك إلى 2400 فرنك[1].وبعد ابرام الاتفاقية فرضت فرنسا خراجاً سنوياً قدر بـ45 الف فرنك على ميزاب لتأمين تجارتهم مع تونس والمغرب[2] يدفع للإدارة الفرنسية بالأغواط. ولتعديل تقسيم الخراج الثانوي على المدن السبعة، وقعت اجتماعات عديدة انتهت باحصاء المنازل التي بلغ عددها بـ4972، والنخيل بـ114000 والدكاكين التجارية بـ 152 وذلك يوم 3 جانفي 1863 م .



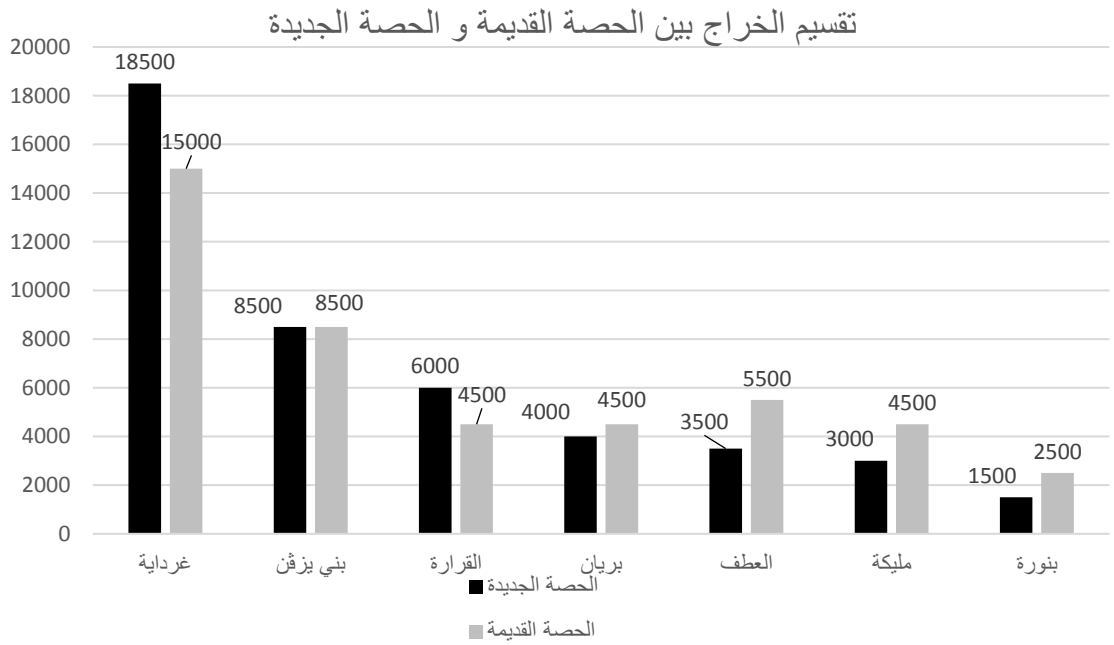
وبناءًا على هذا الإحصاء فقد فرض على كل منزل خمسة (5) فرنكات، وعلى كل نخلة 0,15 فرنك وعلى كل محل عشرون (20) فرنك فأصبح تقسيم الخراج كالآتي [3]:

1-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.2 ، ص 140.

2-حمو محمد عيسى النوري، المرجع السابق، ص 274 .

3-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط .4 ، ص146.

وبقي



المجموع: 45.000 فرنك. ثم بزيادة الضريبة الإضافية النسبية ارتفع إلى: 49.837,66 فرنك[1]، نصيب اليهود منها2400 فرنك يدفع كل يهودي على منزله ما قيمته 2.12 فرنك عن الشخص الواحد[2]، ويلاحظ من خلال المجموع بأن الزيادة على الحصة الجديدة لكل بلدة لم تكن تشمل الزيادة وإنما انخفضت؛ مثلما كان في بلدة العطف ومليكة وبنورة. زد على ذلك أن فرنسا أضافت ضرائب أخرى ظرفية وعقابية كتلك التي فرضت عقب قتل الأغا يتح اليهودي بالمنطقة بعد أن عينته آغا عليها في21 جويلية 1860م[3] –2محرم1277هـ، فأمرت بأن يدفع سكان المدن السبع دية مقابل ذلك الفعل[4] تدفع على حسب سكان كل منطقة الذين تكتموا ولم يساعدوا فرنسا في فضح القاتل، وقدرت بـ 10.000 فرنك لأهل اليهودي وغرامة

1–يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.4 ص 146.

2–Marignac(le chef de Bataillon) Requêt des Israélistes du Mzab1906,N.P.

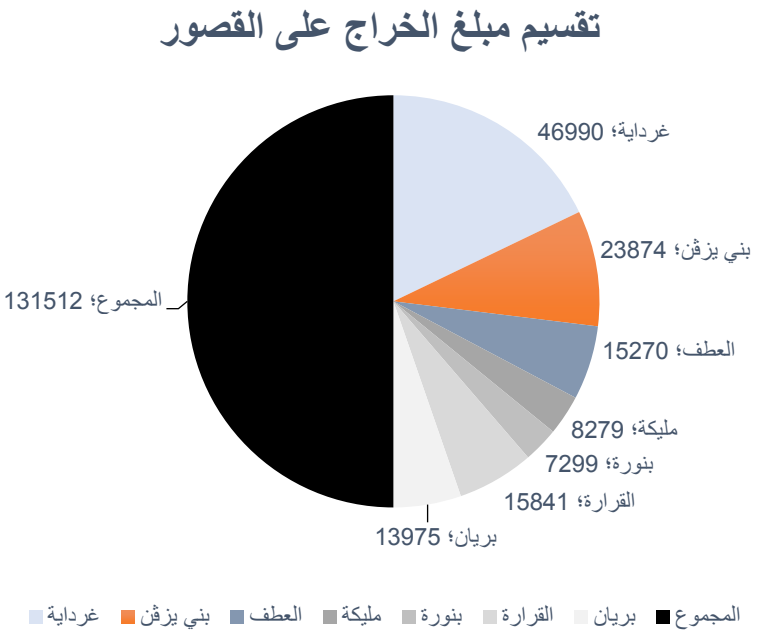
3–بعد رفض الميزابين بعد المعاهدة وظيفة القايد، عينت فرنسا اليهودي يتح لهذا المنصب لجمع الضريبة المتفق عليها، إلا أنه قتل في وادي مليكة. ينظر:الحاج أيوب إبراهيم بن يحي، الشيخ القرادي، آثاره الفكرية،ط.2،العالمية للطباعة والخدمات،غرداية، الجزائر،2009م، ص199.

4- Charlet, Op.Cit.P46

قدرها 30.000 لعدم التصريح به، ولما زار الامبراطور نابليون الثالث عاصمة الجزائر عام 1860م رفضت جماعات كل من بني يزقن، ومليكة، وبنورة، والعطف وبريان إفادة ممثليهم لحضور احتفالات الاستقبال ما جعل الجنرال يوسف بالأغواط يغرم بني يزقن بـ 30.000 فرنك ومليكة بـ 6000 فرنك، وبنورة 3000 فرنك و6000 للعطف و5000 لبريان[1]، ارتفعت الضريبة بعد سنة 1883م أي بعد الضم إلى ثلاثة أضعاف مما كانت عليه قبل ذلك، إذ قدرت بـ 131.512 فرنك؛ مع الأخذ بالحسبان مايلي: المساهمة الثابتة قدرت بـ 107،869،98. فرنك، مصاريف الاستشفاء قدرت بـ 19،344،45 فرنك، مصاريف إضافية لتشكيل الملكية قدرت بـ4،298،82 فرنك، وبناءً على ذلك فإنّ الزيادة كانت نتيجة زيادة مصاريف الاهتمام بالصحة واستشفاء الأهالي، والعناية بهم وتشكيل الممتلكات[2]. لاندري فعلاً إذا ما استفاد كل الأهالي دون استثناء من خدمة الاستشفاء التي تحدث عنها أمات لدفعهم كل تلك الزيادة، مع امتناع أغلبهم عن زيارة الطبيب (الرومي) أم أن ذلك اقتصر على البعض؟ والسؤال الذي يُطرح هل كانت الخدمة العلاجية للأهالي في المستوى المطلوب والمتطور مقارنة بمستوى الاستشفاء في المناطق المدنية بالشمال؟ وبما كانوا يدفعونه من ظرائب. فكان التقسيم كالآتي:

1- يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.2 ، ص ص 132-133.

2- Amat,Op.Cit.P 237.



من خلال القيم السابقة الموزعة على مدن المنطقة دون احتساب سكان ضاية بن ضحوة المستحدثة بعد خروجهم من غرداية سنة 1866م، مع أن الإدارة الفرنسية لم تقدم سبب عدم احتساب ذلك ولا حتى الكتب التي تطرقت إلى دراسة أحوال المنطقة، بما فيهم أمات لم تقدم أسباباً لذلك، فهي تساوي قيمة الضريبة الجديدة المفروضة على الوادي تساوي 131،512،93 فرنك، وقد بررت الإدارة الفرنسية ذلك على حد قول Amat إلى المستوى المعيشي الحسن للسكان مقارنة بالمدن المجاورة كالأغواط وورقلة، إضافة إلى أن إنشاء المشاريع صعب بالنظراً لطبيعة التضاريس القاسية وهو ما يكلف حسب رأيه الإدارة مصاريف كثيرة[1].

وقد فرضت فرنسا بعد الضم على كل شخص غرامة قدرت بـ 4،4 فرنك بعدما كانت تقدر بـ 1,5 فرنك قبل ذلك، وهي أقل مقارنة بالنسبة لسكان ورقلة مع الأخذ في الحسبان بأنهم أكثر فقراً من ميزاب، وبناءً على ماذكره أمات فإنها قدرت بـ 22.5 فرنك للفرد الواحد؛ في حين أن سكان دائرة الأغواط بلغت قيمة ضرائبهم سنة 1881م

1- Amat,Op.Cit,PP 237-238

بـ 320.000 فرنك[1]. وقد قيد لنا عيسى المرزوقي تقييدات كتبها عنه لويس دافيد Louis David مئات الأمثال والاحكام الشعبية، تطرق فيها إلى الظروف التي كانت تجمع بها الغرامة، وكان يطلق عليها إسم "البزرة" واصفاً ذلك بقوله:"...من الناس يكتب المعنيين بها رسالات إلى القياد يقولون لهم فيها نحب أن تدفعوا الغرامة في الشهر الفلاني ولما تصل الرسالة إلى القائد يقرأها ويفهم ما جاء فيها يجمع الكبار والأعيان ويقرأها عليهم ويقول لهم "السلطان أعلمني بالبزرة بأن أقبضها وأدفعها في الشهر الفلاني فلابد أن تحرصوا على جمعها وتدفعونها في يوم محدد وأنا بدوري أدفعها للسلطان" فتقوم الجماعة بجمع المال من رعيتهم والذي دفع البزرة تعطى له "ضامة" وهي عبارة عن ورقة يسمونها بـ"الجريو" مكتوب عليها فلان دفع، وبعد ذلك يأمر القائد الوصيف أن ينادي بأعلى صوت في الأحياء "الذي لم يدفع البزرة تكون خطيته 50 فرنك خطية و15 يوم حبس ويعطيها رغم عنه[2]؛ وتشمل الأملاك والنخيل ويحسبون كم لهم من الرؤوس وكل واحد يخرج على داره 16 فرنك، وبعضهم يعطي على داره 14 فرنك ويرتفع سعرها وينخفض على حسب الظروف، ويتم حساب النخيل الكبير الذي يعطي الغلة فقط، وبالنسبة للفقراء فيتم تسديدها بأي شكل ولو عن طريق الرهن[3]؛ فهذا أحد سكان غرداية يرهن بندقيته عند أحد الأغنياء بسعر محدد ولكن الغني يطلب مبلغًا أكبر من الذي أدانه إياه ويتفقان على ذلك[4]. تضاف الى

1-Ibid,P238.

2-الأرشيف الغير مصنف بمكتبة البحث بالمركز الثقافي للوثائق الصحراوية يحتوي كراس مكتوب باليد للأب لويس دافيد يحتوي على المئات من الأمثال الشعبية التي قيدها عن أحد شيوخ جماعة بني مرزوق، وهو كفيف من 1902-1913، مرقم تحت عنوان: David (L), 1902-1913 ، وصل هذا الأخير إلى غرداية عام 1900م وبعدها بسنوات قليلة بدأ في جمع وكتابة التراث المحلي سواءاً الشفوي أو المقيد.

3-الرهن : تسبيقة تعطى لإثبات عملية البيع ،يعرف عادة بالعربون ، وهو إيداع شيء مقابل أخذ شيء أخر يماثله في القيمة. ينظر: عبد الله محمد بن الحاج يوسف الشويهد، المصدر السابق، ص 100.

4-الأرشيف الغير مصنف بمكتبة البحث بالمركز الثقافي للوثائق الصحراوية يحتوي كراس مكتوب باليد للأب لويس دافيد يحتوي على المئات من الأمثال الشعبية التي قيدها عن أحد أعيان بني مرزوق، وهو كفيف من 1902-1913، مرقم تحت عنوان: David (L), 1902-1913.

كل ذلك ضريبة الأوسة التي كانت تدفعها المنطقة مع باقي القبائل الصحراوية وألغيت سنة 1858م[1] ، ولكن المصادر لا تتحدث عنها ولم تفصل في شأنها.

لقد انتهجت فرنسا أسلوب التغريم، لملىء خزانتها بفرض غرامات باهضه على كل من يخالف ويعارض تواجدها بالمنطقة، مثلما جاء في بعض تقارير المكتب العرب بالأغواط مع السيد القبطان دوران يوم1 نوفمبر1872 م- 29شعبان1289هـ:"...بعدما جعل البايلك خطية على أحمد بن حمد ماية دورو خطية عليه يدفعها هو وإخوانه زوج وأما الناس الآخرين غيره فان البايلك جعل عليهم ميتين دورو خطية..."[2]، في نفس الوقت فرضت غرامات جماعية على بعض من قبائل المنطقة كقبيلة الشعانبة؛ فقد ورد ذلك في مراسلات وتقارير نفس المكتب سنة 1862م ما يلي"..فنقول أنه في سنة1862 فرت أناس لسكان الشعانبة إلى وادي تغير[3] وترتبت بذمتهم وقت هروبهم مدة تسعة أعوام للدولة امتنعوا من دفعها للبايلك..."[4]، وقد امتنع المذابيح في كثير الأحيان عن دفعها للإدراة الفرنسية لأسباب عديدة[5]، يضاف إلى ذلك الغرامات المفروضة على المغلوب من أحد الصفين فالغالب يفرض على المغلوب شروطه والتي تكون من بينها مبالغ مالية معتبرة أو ما يعادلها من حيوان، ونخيل، وعقار وآبار وأملاك.

4-الموارد المالية المحلية: تتمثل الموارد المالية في مجتمع وادي ميزاب فيما يلي:

1-عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص125.

2-ابراهيم بن أيوب بليدي، المصدر السابق، ص 21.

3-وادي تغير هو واد يقع جنوب المنطقة باتجاه المنيعة بين حاسي الفحل والمنصورة، يقال بأن اسم الواد جاء نسبة إلى أنه كان عبارة عن مكان إغارة مهم على القوافل التجارية المتجهة من وإلى بلاد السودان أو المتجهة نحو بعض مدن الجنوب على هذا المسلك.

4-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.2 ، ص 62.

5-Charles (kleinknecht), Op.Cit.P247.

أ-مـــوارد المزروعـــات: وأهمهـا النخيـل ومـا تـدره غاباتـه مـن أمـوال نتيجـة المعـاملات التجاريـة فـي هـذا المنتـوج، مـا جعـل بعـض المـال يـدور لـدى الفلاحـين والفقـراء والملاكـين علـى حـد سـواء، وخصوصًـا فصـل الخريـف مـا يـؤدي إلـى حـدوث نـوع مـن الانتعـاش فـي الاقتصاد المحلي.

ب-مـــوارد المواشـــي: تتـوفر المنطقـة علـى مـوارد ماليـة معتبـرة عنـد أهـل البـدو أو عنـد بعـض الفلاحـين، الـذين يزاولـون تربيـة المواشـي عـن طريـق اسـتئجار الرعـاة، حيـث تتـوفر لهـم مبـالغ ماليـة كلمـا كـان موسـم الأمطـار جيـداً، وشـبه منـتظم فـي المنـاطق التـي يرعـون بهـا أغنـامهم ويـتم حسـاب الجمـال التـي ترعـى فـي منـاطق واسـعة خـلال الصـيف عنـد مجيئهـا للآبـار القريبـة مـن تجمعـات البـدو، ويـتم إخـراج الزكـاة عليهـا سـواء أغنامًـا أو ماعزاً أو مالاً أو ما يقابلها.

ج-الضـريبة الدينيـة: يـدفع الشـعانبة مبـالغ ماليـة أو مـا يعـرف "بالزيـارة" أو"الغفـارة"[1] فـي كـل مناسـبة دينيـة لأولاد سـيدي الشـيخ، تختلـف حسـب قـدرة المـوردين والمتـرددين عليهـا[2] وخصوصًـا لأصـحاب الطريقـة البوشـيخية[3]، فهـم يـدفعون لسـيدي الحـاج الـدين بـن حمـزة وسـي قـدور بـن حمـزة مئـة خـروف، وثلاثـين جمـلاً لأولاد سـيدي الحـاج بحـوص، ولأولاد سـيدي الحـاج الـدين بـن حمـزة وسـي قـدور بـن حمـزة أيضًـا مئـة خـروف، وثلاثـين جمـلاً لأولاد سـي الحـاج بحـوص، ولأولاد سـي الحـاج الـدين مئـة خـروف، ويجمـع دحمـان بـن الشيخ 12 برنوساً من الشعانبة[4] .

1-الغفارة: هي عبارة عن مادة محجوزة من حيوان أو مؤونة غذائية أو هدايا يدفعه الاتباع لأولاد سيدي الشيخ.ينظر:
Le Chatelier,Op.Cit.P 45.
2-Paul solleillet, Exploration De Sahara Central Voyage De paul solleillet D'Alger à l'oasis d'in-salah,Rapport,typographie et lithographie. A Jourdan, Alger,1875, P 87
3-Rinn (Louis), Marabouts et Khouans, étude Sur L'islam en Algérie, Adolph Jourdan, Alger, 1884, P 367.
4-Lamy, Centre culturel et de Documentation Saharienne, Ghardaia S.D, P 30
ملاحظة: الأوراق دون تاريخ، مكتوبة بالألة الراقنة، نعتقد بأنها كتبت سنوات الأربعينيات من القرن العشرين.

وبما أن اليهود كان لهم ممثلين في مجلس العشائر[1] الذي كان يعقد اجتماعه في ساحة سوق غرداية للتنسيق والتحاور حول المسائل الحياتية، لذلك فرض عليهم دفع ضريبة سنوية إلى مجلس العزابة، وضريبة أخرى تضمن لهم الحماية بما أنهم ليسوا ملزمين بالمشاركة في الدفاع عن القصر وحراسته، مع الحرية التامة في ممارسة معتقداتهم وعبادتهم[2] ، مع دفعهم لأكياس من نوى التمر إلى المسجد لغرض سد الثغرات التي تحدث في سد سالم وعيسى.

وملخص الفصل لقد تداولت بمنطقة وادي ميزاب عدة عملات داخلية وخارجية فهي من المناطق الجنوبية الحيوية في البلاد، لقد ظلت عائدات الأوقاف في مجملها تنتقل إلى المؤسسات الدينية والخيرية للتكفل بالمحتاجين والمساكين وتصرف لذويها من كبار السن وفقراء وضعفاء الحال من مختلف شرائح المجتمع، كما أتبثت المرأة وجودها في عمليات التحبيس والتوقيف، وشكلت بذلك الأوقاف رافداً مهماً للأموال بمختلف أوجهها، وقد عرفت المنطقة عدة ضرائب منها التي سنتها الأعراف والتقاليد أو التي كانت تدفعها كلزمة للإيالة العثمانية، أو كغرامات وقد استمدت المنطقة مواردها المالية من مستخلصات التجارة والنشاط الفلاحي، والحرفي استفادت منها فرنسا فيما بعد لمد مشاريعها وفرضتها بشكل جائر ودون وجه حق ضد الثائرين عليها.

1-مجلس العشائر: مجلس مكون من عدد من العشائر يضم ممثلي عن العشائر الإباضية والمالكية.

2- Charles (kleinknecht), Op.Cit.P249.

إن خلاصة الباب الأول حول الأوضاع الاقتصادية بمنطقة وادي ميزاب خلال القرنيين الثامن عشر والتاسع عشر، شملت نشاطات زاولها الفرد بكل صبر وتفاني في ظل شح مصادرها، فكان لزامًا عليه أن يتقنها بكل جد، فكانت أحد الأسباب في در موارد مالية معتبرة، استطاع الفرد أن يطورها ويوجهها ويُنَوِع قطاعات أخرى كالتجارة وتأتي زراعة النخيل على رأس هذه الأنشطة؛ وهي المهنة التي أوْلَوْهَا أهمية كبرى ورعايته من خلال زراعته، وتلقيحه ومعالجته من الأمراض، لأن غذائه يعتمد عليه بشكل كبير. وقد نوعوا من أشجار النخيل وبالتالي وجدت أصناف من التّمور أشهرها: الغرس وتادالا، وبنت قبالة، والدقلة، وكلها تجنى مع بداية الخريف، ويخزن البعض منها ويدخل الآخر في المبادلات التجارية الداخلية؛ نحو الجهات الشمالية للوطن والخارجية باتجاه تونس والمغرب وبلاد السودان، ويتم مقايضته بسلع أخرى؛ كالملح ومسحوق الذهب وريش النعام والعبيد؛ وتجاوز استهلاك المنطقة من التّمور نهاية القرن التاسع عشر أكثر من 25.000 قنطار، ولأهمية هذا النشاط وحيويته عملت فرنسا بعد معاهدة 1853م على إحصاء النخيل، قصد تطويره وزراعته والتعرف على إمكانية ذلك، فبعد الضم قامت بحفر الآبار وجلب النخيل من المناطق المجاورة. لا توجد بالمنطقة زراعة أخرى عدا المذكورة سالفاً وقليل من القمح والشعير والبصل القرع، والفول، سرعان ما قامت فرنسا بتطويرها بداية بجلب بذور الخضراوات وأشجار الفواكه؛ كالتفاح والخوخ والرمان والتين واستحداث مشاتل، إلى جانب زراعة النخيل مارس السكان نشاطا اخر وهو الرعي الذي كان سمة البدوين، الذين أمدوا سكان الحضر بكل ما يحتاجونه من حليب ولحم وصوف ...الخ، وهي المنتجات التي تدخل في جملة ما يتم بيعه بأسواق المنطقة وتصديرها نحو جهات أخرى، لم تكن لتتم مثل هذه الأنشطة لولا وجود الآبار المنتشرة داخل وفي أطراف الوادي، كل هذه النشاطات كانت تحت إشراف "الجماعة" بحيث سنوا قوانين وأعراف لضبطها وتنظمها؛ مع وجود صناعة غلب عليها الطابع التقليدي، استطاعت أن توفر مناصب شغل للسكان

شكلت مع مرور الوقت أحد المصادر المالية المحلية المهمة وعلى رأسها الصناعات النسيجية التي أتقنتها المرأة في البدو والحضر، واستخلصت منها رافدًا مالياً. كما ساهمت هجرة اليهود إلى المنطقة في إضافة حرف أخرى، أبرزها صناعة الحلي والصياغة بمختلف أنواعها خصوصًا مع توفر المادة الأولية؛ كمسحوق الذهب المجلوب من بلاد السودان في إطار حركة المبادلات التجارية، فاشتغلت بها فئة معتبرة من المجتمع كالتجار الميزابين واليهود، وظهرت مهن حرفية أخرى كالحدادة والدباغة، تصليح الأحدية ...الخ، امتهنها من لم تساعدهم الظروف في امتلاك النخيل وامتهان التجارة، وقد أدى هذا التنوع الفلاحي والحرفي إلى ازدياد عدد السكان وتوسع المدن، ما أدى إلى وجود نشاط حرفي آخر وهو صناعة مواد البناء، مِمَا وُجِد من مواد طبيعية؛ من تراب وطين ومشتقات النخيل فكان له عماله الذين حافظوا على بساطته وشكله العمراني الصحراوي، وفق ما جاء في عرف وقوانين البناء فلم تستطع التقنيات الحديثة التي جلبتها الادارة الفرنسية من تغير نمطها بل استلهمت منها في بناء منشأتها العمرانية الجديدة. كل هذه الأنشطة المذكورة ساهمت في تنشيط الحركة التجارية، بحيث قَدِمَت القوافل من جهات عدة، وخرجت أخرى من المنطقة باتجاه مناطق معينة داخلية وخارجية، حملت معها سلع منوعة شملت حتى الإنسان الأسود القادم من بلاد السودان، وكانت تقايض أو تباع حسب السلعة والجهة، وكثيراً ما كان يدفع الميزابيون مالاً لحماية قوافلهم المتجهة إلى الشمال. ولأهمية التجارة عند الميزابين فقد ركزت فرنسا في أحد بنود اتفاقية 1853م وتعهدت بحماية تجارتهم في مختلف الاتجاهات، هذه الحيوية كانت في نفس الوقت أحد أسباب الضم العسكري سنة 1882م ما جعل فرنسا تشق طرق ومسالك جديدة للتحكم أكثر في التجارة ومنع الثائرين من الاستفادة منها لتجفيف منابع تمويلهم لذلك قامت بإنشاء الأبراج والحصون وجددت الآبار الموجود على مسالك الطرق التجارية التي تمر منها القوافل، سرعان ما حاولت استبداله بأسلوب جديد، وهو سكة الحديد للتغلغل والوصول

بأسرع وقت إلى النقاط المهمة في الجنوب كما طورت من خدماتها في البريد والتلغراف للحصول على الأخبار في وقت قصير. وكان من نتائج هذه الحركة النشطة تداول عدة عملات منها البوجو، وريال، والدرهم والدينار استقرت بعد الضم العسكري عند الفرنك الفرنسي كعملة موحدة لجميع أعمال البيع والشراء. تنوعت مصادر المال بالمنطقة الناتجة عن النشاط الزراعي والصناعي الحرفي كما كانت الضرائب والغرامات رافداُ لها؛ هذه الأخيرة فرضتها فرنسا بالقوة فأثقلت كاهل السكان فوجد البعض من الاستدانة والهروب والترحال المستمر حلاً لذلك، وتحججت الإدارة الفرنسية في ذلك لحاجتها الماسة لتطوير المنطقة، من الجوانب الفلاحية والصناعية وشق الطرقات والمسالك وتطوير قطاعات أخرى، نقلت المجتمع من حالة الانعزال إلى التفتح تدريجياً على أنماط وأساليب حياتية جديدة، لم يسبق له أن عهدها.

البـــــاب الثانـــــي

أوضاع المجتمع بمنطقة وادي ميزاب ومظاهر حياة السكان خلال القرنيين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين

الفصل الأول: التركيبة السكانية (عناصر السكان)

الفصل الثاني: المستوى المعيشي والوضع الصحي

الفصل الثالث: الأسرة وتنظيم شؤونها

الفصل الرابع: العادات والتقاليد بمنطقة وادي ميزاب

الفصل الخامس: المساكن وثقافة العمران بمنطقة وادي ميزاب.

الفصـــل الســـادس: الهجـــرة وأثرهـــا علـــى حيـــاة الســـكان بمنطقـــة وادي ميزاب

أوضاع المجتمع في وادي ميزاب ومظاهر حياة السكان

سكنت المنطقة قبائل عربية وبربرية وحتى من بلاد السودان، أثرت في بعضها البعض منذ قرون طويلة وهو ما أدى إلى تطور في العلاقات الإجتماعية في مجتمع وادي ميزاب خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، وتحول في الحياة العامة، فقد كانت العناصر السكانية مهيكلة في نظام اجتماعي يسمى بـ" النظام القبلي" الذي عرف نموًا سكانيًا في المدن بعد توسع الحركة العمرانية؛ خصوصاً بعد الضم العسكري وهو ما شجع بعض الأعراش والقبائل المترحلة على الاستقرار بالمنطقة، تشكلت معه مرحلة وظروف جديدة انعكست على المستوى الاجتماعي الاقتصادي والثقافي في مجتمع عزلته ظروف المناخ والمكان.

كما تميزت الحياة المعيشية والصحية بالبساطة والقناعة، فسكان هذا المكان المنعزل ينصب تفكيرهم على توفير القدر الكافي من غذائهم المعتمد على التمر والحليب وشيء قليل من الحبوب واللحم، ولبس ما ينسجونه بأيديهم، ومداوات أنفسهم بأسلوب تقليدي حتى بعد الضم الفرنسي للمنطقة، ولم يترددوا على مصحاتها لأنهم محافظون وتمنعهم عاداتهم وتقاليدهم من التعامل وابداء الثقة في العنصر الأجنبي وإمكانية أن يشفيهم من أمراضهم، ويرون أن مراجعة الأطباء الأجانب سواء التابعين للعسكر أو للمبشرين نوع من الإهانة خاصة إذا تعلق الأمر بالمرأة. كلها ظروف جعلت العائلة تكتفي بتدبر أمورها الداخلية اقتصادياً واجتماعياً وحتى ماليًا وصحياً فكانوا حذرين في معاملاتهم وتعاملاتهم ولمواجهة تحديات الحياة الصحراوية القاسية والتي دفعتهم إلى تطبيق الزواج ومشاركة المرأة في الإنتاج الاقتصادي والحفاظ علم النظام الاجتماعي، وقد سعى المجتمع إلى استدراك النقائص التي تعجز عنها العائلات بسن أنظمة التعاون في أسمى معانيها، فأصبحت رقمًا مهمًا في سلم الأعراف الإجتماعية انعكست على حياتهم في المواسم والفصول والمناسبات، وتجلت

فيها مظاهر الإبداع الشعبية وتتقاطع معها مظاهر ثابتة اتخذت من الترفيه والتسلية عناصر ضرورية للتخفيف من حدة القلق والعزلة في هذا الفضاء الصحراوي القاحل ما نتج عنه حالات من السذاجة التي دفعت بعضهم على الاعتقاد بالخرافة، خصوصًا خلال القرن الثامن عشر الذي كان أحد أسباب ظهور النهضة الإصلاحية بوادي ميزاب [1].

1- بالحاج قاسم بن أحمد الشيخ، معالم النهضة الإصلاحية عند الإباضية، 1157هـ - 1744م إلى 1832هـ - 1962م، جمعية التراث القرارة المطبعة العربية، الجزائر، 2011، ص82 .

الفصـــــل الأول

التركيبة السكانية (عناصر السكان)

1-القبائل وأعراش المنطقة

2-البدو والحضر ونمط الحياة

3-فئات المجتمع

4-احصاء السكان

5-العلاقة بين الحضر والبدو

التركيبة السكانية (عناصر السكان)

تتشكل العناصر السكانية لمجتمع وادي ميزاب من مجموعة من القبائل البربرية والعربية والعناصر التي قدمت إليه في أوقات متلاحقة سرعان ما أخذوا مع مرور الوقت في الاستقرار بمضاربهم داخل وخارج أسوار المدن، ولم يتوقف نزوح الكثير من الأهالي والقبائل إلى المنطقة حتى نهاية القرن التاسع عشر ميلادي، ومذ أن استقروا بها ومشكلة الزعامة على الوادي كانت من بين أهم المشاكل التي أرقت حياة الساكنة ونتج عن هذا الصراع المرير والمستمر بينهم أن انقسموا إلى فريقين شرقي وغربي واستعان كل فريق بجيرانه من القبائل الضاربة في الصحراء، فشكلوا روافد بشرية جديدة أثرت وتأثرت فيما بينها، جمعها دافع النصرة وليس بتقارب النسب وهو الأمر الذي أوجد صعوبة في التواصل والتفاهم في أحيان كثيرة بين هذه العناصر العربية والبربرية؛ فالمنطقة شكلت خليطًا حضاريًا وبشريًا، نتج عنه ما يسمى بالتكامل والتأثير وروح التعاون بين مختلف أفراده وفئاته الإجتماعية المتجاورة[1]، وبمرور الزمن شكلوا فسيفساء اجتماعية في البدو والحضر موجهين بعد ذلك اهتمامهم بالجانب العمراني، ومحافظين على خصوصيات المنطقة وعناصرها الثقافية وشروطها التقليدية وأضافت الهجرة من داخل المنطقة وخارجها لمسة على حياة السكان في النواحي الاقتصادية والإجتماعية والثقافية والعلمية، ولعل من أهم الاعراش والقبائل التي سكنت وتوافدت على الوادي نذكر:

1-القبائل وأعراش المنطقة : سكنت بالوادي عدة قبائل شكلت مجموع السكان الأوائل ومن بينهم نذكر:

1-**قبائل بني ميزاب (الإباضين):** لم تتوصل الدراسات والأبحاث الى أصل الأوائل الذين عمروا المنطقة قبل القرن 10 م، أين كانت الجبال والكهوف سكناهم، ولم يترك

1-صالح بن عمر سماوي، المرجع السابق،ح2، ص 628.

لنا الزمن منها سوى أطلال قليلة متناثرة في أماكن عدة، وعنها يقول المؤرخ إبراهيم مطياز:"...وكانوا يسكنون الخيام والمداشر والغيران ثم أسسوا القرى..." [1]، لا تشير المصادر إلى وقت استقرار المعتزلة الواصلية بالمنطقة وأسباب ذلك على وجه الدقة والتحديد، فقد أسس المعتزلة الواصلية قرى ميزاب السابقة؛ فمنهم من يسكن الخيام وهم رحل ومنهم من يضرب القياطين ومنهم من يسكن الغيران، ثم أسسوا القرى على قمم الجبال[2] فتغلبت عليهم حياة الاعتزال وبعد حروب وخلافات بين المعتزلة والإباضية من جهة والمهاجرين إلى المنطقة [3] من جهة ثانية استقرت الأوضاع وعادت الطمأنينة للمكان وضعفت المعتزلة مع أواخر القرن 5 هـ؛ واندمج ما تبقى من فلولهم أواخر القرن السابع هجري وتم بذلك اعتناق معتزلة ميزاب المذهب الإباضي؛ ومع استمرار بناء القرى وفدت على المنطقة عدة فلول من جهات مختلفة من داخل الوطن وخارجه فتشكل ما يعرف بسكان بمنطقة ميزاب، فقصور مصاب كانت ملجأ لإخوانهم الزناتيين وفرع أخرى من بني مصاب خاصة بعد الزحف الهلالي، فاحتموا بأبعد المناطق من بينها وادي ميزاب. وقد اختلفت الكتابات التاريخية حول تحديد تاريخ استقرارهم بالمنطقة فهناك من يذهب إلى القرن السابع هجري[4]، وثمة فريق آخر يرى أن تواجدهم يرجع إلى القرن الثامن هجري، ويتركب عرش الميزابيين من قبائل قدمت من جهة الشرق ومن فلول بني رستم والمهاجرين إلى أريغ وورقلة وجبل نفوسة والجربيين[5]، وطوائف أخرى من جبل العمور[6]، ومن أولاد سرغين وأولاد باخة، وبني

1-إبراهيم مطياز، المصدر السابق، ص 6.

2-نفسه ص 7.

3-مفدي زكرياء، المرجع السابق، ص 102.

4-إبراهيم مطياز، المصدر السابق، ص 43.

5-Duvyreir, Op.Cit .p186.

6- Masqueray (E), Op.Cit .P 212.

مغراوة، وغيرهم من بلاد الشمال ومن المغرب[1] من فقيق ومن بلاد بني مطهر[2] ومن الأغواط، وقصر البخاري، والمدية، ووادي غيم قرب الأبيض سيدي الشيخ وهؤلاء منهم من اعتنق المذهب الإباضي بالمنطقة، فالتركيبة البشرية gبني ميزاب هي نتاج الاختلاط والتمازج والمصاهرة بين مختلف القبائل من العرب ومن فرع زناتة البربرية ومن الزنوج وغيرهم[3]؛ ويطلق على من يسكن المكان بني ميزاب [4].

2-**قبائل الشعانبة:** يعود أصلهم إلى قبيلة بني سليم القيسية العدنانية التي دخلت المغرب العربي في التغريبة الهلالية السليمية الأولى سنة1051م، يرى كيونCoyne أن أصلهم من خليج عدن حيث استقرت بطون بني سليم في شمال ليبيا وجنوب تونس فبنو هيب في برقة وبنو ذياب بطرابلس بينما استقر بنو عوف وبنو زغب بتونس، أما بطون بني هلال فكان استقرارهم غرب تونس وشرق الجزائر كمرحلة أولى قبل أن ينتشروا في جنوب الجزائر وحتى المغرب الأقصى؛ إن أصل الشعانبة يعود إلى مكان نزولهم بإفريقيا على محل يقال له "شعنابرية" وينتسبون إلى الحسون عرب اليمن، فهم بنو عمرة بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوت بن حيران بن فطن بن عريب بن زهير بن غوث بن اليمن بن الهميسع بن حمير بن عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن عابر[5]، وحسب دوماس فان كلمة شعانبة تركيب لكلمة من لفضتين: "أش وعنبة" ومعناها إذهبي عنبة وسبب تسمية

1-نفسه ص 43.

2- Masqueray (E), Op.Cit .P 212.

3-عبد القادر موهوبي،المرجع السابق، ص 119.

4-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.2، ص 23. وكذا:

Daumas , Le Sahara Algérien , P54.

5-إبراهيم بن محمد الساسي العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، ش. و. ن. ت، تونس1977 ، ص 373.

الشعانبة فقد كانوا قوم كرم وسخاء، ويواظبون على إيقاد كل ليلة نار كبيرة فوق ربوة عالية عند مضاربهم بالبادية، كدليل لعابر السبيل ليرى ناراً من بعيد ليفرح ويردد الشعاع نبأ أي الشعاع بان وظهر؛ ومع مرور الوقت حمل الشعانبة ذلك الاسم وهو قوم الشعاع نبأ وتحول واختصر مع الوقت إلى لفظة الشعانبة. ويقال أيضا أنهم كانوا يملكون رؤوسا كبيرة من الماشية منها الكباش المشعنبة، وهي التي تتميز بقرونها المستوية التي تلتوي على رؤوسها قبل الأذن[1]، فيما يرى باساجي Passager أن جدهم الأول كان يسمى بورزق وهو أخ يلتقي مع حميان في الجد، ومن ثم جاء اسمهم شعانبة متليلي أو شعانبة بورزقة ومع مرور الوقت ضمت القبيلة في صفوفها العديد من العائلات الوافدة إليها من مختلف الأصول. وتعني الكلمة أيضا كلبة سلوقية كانت ترافق ثلاثة إخوة: فتاة وأخوين وهؤلاء الثلاثة ضلوا تائهين مدة من الوقت، ولم يكن لهم أكل سوى ما تصطاده كلبتهم " عنبة " وكانت أختهم تنادي هذه الكلبة "أش عنبة " [2] وهؤلاء الثلاثة استقروا في المكان الذي شُيِّدَ عليه قصر متليلي[3]. وكان استقرارهم بوادي متليلي. الكلمة كانت تطلق وتكتب في الأصل مثليلي أي بحرف الثاء بدلا من التاء، وهذا ما أكدته البعثة العلمية الجغرافية الفرنسية سنة 1859 م، عند التقائها ببعض المتعلمين من أبناء الشعانبة بمتليلي[4]، وهو ما يعني بأنها ربط لكلمتين هما "مثل" و"ليلى"؛ وتذكر بعض الروايات أن بعض الشعانبة القادمين من ناحية فزان بليبيا تسمى "ليلي"، الذين توجهوا إلى منطقة متليلي ورأوا أنها تشبه منطقتهم التي عاشوا بها فقيل مثل "ليلي" ومن ثم أصبح اسم مدينتهم بمرور الوقت تسمى "متليلي".

1-عبد الحميد مسعود بن ولهة ، المرجع السابق، ص30.

2-Daumas, le Sahara Algérien, P P 309-310.

3-D'armagnac, Op.Cit.P 125.

4- Paul-François (Passager), Op.Cit.P 510.

3-**بنـــي مـــرزوق:** تنتسـب فرقـة المرازيـق إلـى قبيلـة بنـي سـليم ونسـبهم كمـا ذكـرهم ابـن خلـدون كـالآتي: مـرزوق بـن معلـى بـن معرانـي بـن قليتـة بـن قـاص بـن سـالم بـن هيـب بـن رافـع بـن ديـاب بـن ربيعـة بـن زغـب بـن جـور بـن مالـك بـن خفـاف بـن امـرئ القـيس ابـن بهتـة بـن سـليم بـن منصـور[1]، وهـي قبائـل تنتشـر بمصـر وليبيـا وجنـوب تـونس بمنطقـة دوز، حيـث كـان اسـتقرارها بتـونس قبـل دخولهـا الجزائـر ثـم اسـتقرت بـالعطف وغردايـة وبعـد ذلـك فـي مدينـة متليلـي، مـا بـين القـرنين 13 م-14 م بقيـادة جـدهم الحـاج موسـى بـن احمـد دفـين مدينـة متليلـي، امتهنـوا حرفـة المنسـوجات الصـوفية والتجـارة ورعـي الأغنـام[2]؛ ولهـم مسـجد خـاص يسـمى المسـجد العتيـق المـالكي الأول بغردايـة[3]. وهـم مـن بـين القبائـل الأولـى التـي اسـتقرت بالمنطقـة، فقـد اعتـرف لهـم الحـاكم العـام وأهـل البلـد الأصـلين بـذلك فـي7 أوت سـنة1898م[4]-19ربيـع الاول1316هـ، بـامتلاكهم لخمسـة أحجار قبلية وهي لأولاد سيدي موسى بن مرزوق بسوق غرداية[5].

كـان اسـتقرارهم الأول بـالعطف منـذ أزمنـة بعيـدة[6] وفـي شـأنهم يقـول أحمـد بـن الخيـذر المليـاني: "...وبنـى فيـه هـو سـليمان بـن عبـد الجبـار... نزلـوا وأسسـوا دشـرت العطف عام 402هـ ونزلوا عليهم أولاد نصير وأولاد بني زلطة وبني مرزوق..."[7] .

1-عبد الرحمان ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ط1، دار ابن حزم ، لبنان، مج.3، 2011، ص 2387.

2-D'armagnac,Op.Cit.P 96.

3-عبد الحميد بيشي، المرجع السابق، ص 38.

4-وثيقـة الحـاكم العـام حـول تقسـيم الأحجـار الخمسـة والعشـرين علـى أهـل الـبلاد الأصـليين فـي 7 أوت 1898م. نسخة بحوزتي.ينظر: الملحق رقم 1، ص 494.

5-توجـد فـي وسـط سـوق غردايـة أحجـار عديـدة للجلـوس لانـدري فـي أي سـنة بنيـت، ومـن بناهـا، يجتمـع بهـا أعيـان وقبائل المنطقة لحل الخلافات والتشاور حول القضايا والأحداث.

6-مصطفى رمضان، خواطر حول الوضعية الإجتماعية والعلاقات الإنسانية في غرداية، د.ط ،1987، ص 12.

7-محمد بن الخيذر بن يوسف الملياني، المصدر السابق، ص 2

4-المـــذابيح: ويطلـق علـيهم المـذبوحين يشـكلون مجموعـة مـن إتبـاع الـولي الصـالح سيدي أحمد بـن يوسـف الملياني، أطلـق علـيهم هـذا الاسـم. تـذكر الروايـة أن سـيدي احمـد بـن يوسـف أراد ذات يـوم اختبـار مـدى تفـاني إتباعـه، فجمـع هـؤلاء حـول منزلـه قصـد الامتحـان وكانـت مناسـبة عيـد الأضـحى، وصـرّح لهـم أنـه نـزل عليـه وحـي يـأمره بـذبح واحـد مـن خيـرة المـوردين وعنـد سـماع هـذا النبـأ تراجـع القـوم إلـى الـوراء؛ لكـن مـا لبـث أن خـرج مـن بـين الجمـع رجـل وقـدّم عنقـه إلـى الشـيخ احمـد بـن يوسـف إنـه سـيدي سـليمان بـن سماحة، الذي أقيم لـه بعد وفاته ضريحا ببني ونّيف، في المنطقة الشرقية من الفقيق.

وفـي وصـف الواقعـة، دخـل سـيدي سـليمان المنـزل ومـا إن أغلـق البـاب حتـى سـمع صـراخاً وجـرت دمـاء غزيـرة تسـرّبت إلـى خـارج البيـت، وتكـرّرت نفـس العمليـة مـع رجـل ثـاني، هـو محمـد بـن عبـد الجبـار الفقيقـي المسـعودي التلمسـاني، مؤسـس زاويـة حـدّوش جنـوب سـبخة وهـران، وحـذا حـذو هـذين الشخصـين آخـرون نذكـر علـى التـوالي: الحـاج بـن عـامر مـن البـيّض، ومـولاي قنـدوز، ويعقـوب وموسـى الباريشـي، وموسـى الجربـي عبـد الرحمـان. وكـان وراء تلـك الحيلـة فـي الاختبـار مفاجـأة سـارة، حيـث ذبحـت مكـانهم كبـاش أضـحية العيـد، ومـن ذلـك الوقـت عـرف هـؤلاء بالمـذابيح، وكـانوا مـن خيـرة أتبـاع سـيدي أحمـد بـن يوسـف[1]. وهنـاك مـن يـرى أنهـم ينسـبون إلـى سـيدي الشـيخ بـن سـيدي عيسـى بـن عمـران بـن سـيدي عبـد العزيـز بـن المـولى علـي بـن المـولى الشـريف بـن محمـد بـن حمـد بـن سـيدي يعيـد صـاحب قصـة تسـمية المـذابح، ولـد عـام 696هـ بمنطقـة فقيـق تلقـى علومـه الأولـى بمسـقط رأسـه ثـم تحـول لطلـب العلـم، دأب علـى تعلـيم النـاس أمـورهم

1-Bloch (André), Sidi Ahmed benyoussef, Saint tutélaire De Miliana, Maisonneuve et Larose, Paris, 2004, PP 80 -152.

الدينيــة والــوعظ والإرشــاد؛ توفـــــي ســنة 788هـ بمســقط رأســه، عــاش أحفــاده فـــي فقيق ومدن الغــرب والجنوب الجزائري تحديد غرداية وضاية بن ضحوة[1].

أصــلهم مــن صــحراء الأحقــاف بــاليمن، يــذكر الأب لــويس دفيــد أنهــم انتقلــوا مــن موضــع إلــى أخــر ليســتقرا بعضــهم بللمايــة، إذ يقــول فــي كراســته التــي قيّــد بهــا بعــض الأحــداث والتــواريخ المحليــة خــلال منتصــف الأربعينيــات مــن القــرن العشــرين مــايلي:"... وشــيء مــنهم ســاروا إلــى ناحيــة بــلاد الألمايــة فــي نــواحي الأبــيض اســتقروا فيهــا وأخــذوا وطنــا فــي عــام 420 هجــري وحــرفتهم الســعاية بــالغنم والابل...ســاحوا بــالبراري ســايرين بمواشــيهم فقــد وصــلوا فــي قُــرب عــين الصــفراء وغربــي وهــران وفــي يــوم مــن الأيــام وقــع بيــنهم قتــال عــن ســبب المرعــى فهُزِمــت طائفــة مــنهم فهــاجرت الــبلاد قاصــدة الــى ناحيــة القبلــة...الى ان وصــلوا تــراب وادي ميــزاب وصــلوا بــلاد غارديــة... فــي عصــر شــيخ عمــي موســى عــام 903 هجــري"[2]، هــم عــرب ينتمــون إلــى المــذهب المــالكي، وتعــرف مقبــرتهم باســم مقبــرة ســيدي ســليمان، وهــم مــن الأوائــل الــذين عمّــروا مدينــة غرداية[3]. وســميت ضــاية بــن ضــحوة بهــذا الاســم علــى رأي لــويس دفيــد "...لأن الرعــاة كــانوا يــذودان بــذلك المكان الغنم وقت الضحى لأجل حلبها من الحليب لذلك سميت ضحوة..."[4] .

5-قبائــل ســعيد: مــن أصــول هلاليــة ينحــدرون مــن قبيلــة ســعيد عتبــة التــي اســتوطنت أحــواز ورقلــة وذلــك خــلال القــرن 13م، وهــم ذوو عــدة وعــدد[5]. ويتفرعــون إلــى أولاد مولــود المســتوطنون بنــواحي تقــرت وســعيد عتبــة الــذين يســتقرون بنــواحي نقوســة، والفــرع

1-محمد بن عبد الرحمان غريقة، السيرة الذهبية لأجداد عرش المذابح الإشراف دار الصبحي للطباعة والنشر، ط.1. 2016 ص ص 41-43.

2-Louis David (Peres Blancs) Les Médabih,

ملاحظة: كراس الأب لويس دافيد ليس مرقم ومكتوب باليد وبعض صفحاته بالآلة الراقنة.، الصفحة بعد ترقيمها9.

3-Despois (J), Ghardaïa, Encyclopédie de l'islam, 2 éditions, PP 1033 -1034P .

4- Louis David,Op.Cit.

5-عبد القادر موهوبي، المرجع السابق، ص- ص 173-175.

الثاني يضم سعيد عمر المستقرين بتماسين والحجيرة والمخادمة بين ورقلة والرويسات يكثر ترددهم على المنطقة مع بداية كل ربيع، فسعيد عتبة والمخادمة كانوا أصحاب ترحال ففي فصل الشتاء يصادفهم بجهات ورقلة ونقوسة وفصل الربيع بوادي ميزاب وفصل الخريف بورقلة، وذلك بحثا عن المراعي[1] ولتصريف منتجاتهم وشراء حاجياتهم، وكان جزء كبير منهم منتظم مع قبائل المخزن التركية وشاركوا في التحالفات العشائرية[2].

6-**أولاد يحي:** أولاد يحيى بن سليمان من ذرية الحسن، ولهم انتماء لأولاد سرغين وجدّهم سالم بن إبراهيم بن عبد الله الحليم بن عبد الكريم بن عيسى بن موسى بن عبد السلام بن محمد بن جابر بن جعفر بن عبد الجبار بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن ادريس بن عبد الله بن محمد بن الحسن بن فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم[3]. فيما يذهب العشماوي إلى القول: بأن جدهم هو سيدي يحي المكنى بأبي تابوت بن يوسف بن عبد الرحمن بن زيد بن محمد بن أبي العطار بن زيان بن عبد المالك بن عيسى بن موسى بن عبد الله بن جعفر الصادق بن محمد بن علي بن زين العابدين بن عبد الله بن حمزة بن ادريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم[4]، ويعتبرون من الأوائل الذين سكنوا مدينة بريان ومن أكبر أعراشها سكن فريق منهم قبل ذلك مدينة العطف[5] وتواجدوا في كل من مليكة وغرداية والقرارة وتحديدا بالقصر الأحمر.

1-حمو محمد بن عيسى النوري، المرجع السابق، ص 127.

2-عبد الحليم بيشي، المرجع السابق، ص 32.

3-محمد بن يوسف اطفيش، المصدر السابق، ص 80.

4-أحمد بن محمد العشماوي، السلسلة الوافية والياقوتة الصافية في أنساب أهل البيت المطهر أهله، المطبعة التلمسانية الخلدونية الجزائر، 1961، ص 267.

5-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.2، ص 78.

7-**الزنـــاخرة:** شـكّل نعـج الزنـاخرة الرّعيـة أثنـاء الفتـرة العثمانيـة، وهـم مـن عـرب الصـحراء الجزائريـة[1] قـرّر بعـض الزخـانرة المقيمـين فـي قصـر البخـاري (15شخصًـا) الالتحـاق بـأولاد فخـار ومـرافقتهم إلـى وادي مـزاب عـام 395هـ /1005م، وكـان علـى رأسـهم بـاي أحمـد بـن سـلمان بـن نـوح[2]؛ ينقسـم الزنـاخرة إلـى سـبعة فـرق: العواسـي، أولاد قـالم الحراكتـه، الخماقنـة النصـرات، أولاد عمـر الاخـرص[3] توجـد لهـم مقبـرتين خاصـة بهـم تقـع إحـداهما قبلـة مقبـرة الشـعانبة بمليكـة العليـا، يتواجـدون فـي: قصـر البخـاري، بـوقزول عين وسارة، الجلفة، مسعد وفدوا إلى المنطقة من المدية وتيارت.

8-**أولاد عطّـــاش:** هـم أبنـاء الـولي الصـالح الشـيخ عيسـى بـن عطّـاش، المعروفـون بالعطاطشـة ويتكونـون مـن خمـس فـرق أو عـائلات هـم: أولاد سـي عيسـى، أولاد سـي أمحمـد، أولاد أمبـارك، أولاد القنـدوز، أولاد منـداس[4]، وتعتبـر منطقـة واد زقريـر المـوطن الأصـلي لعـرش العطاطشـة. ويعـود نسـب عيسـى بـن عطـاش إلـى محمـد بـن عبـد الشـريف الحسـني مـن أبنـاء عبـد الله ابـن إدريـس الأصـغر، جـاء اسـم العطاطشـة مـن العطـاطيش جمـع عطـاطيش، وهـو محمـل مغطـى بالقمـاش يوضـع علـى ظهـر الجمـل لتركـب عليـه النسـوة ويسـمى بـالهوذج أو العطـاش، وتعتبـر منطقـة واد زقريـر المـوطن الأول لهـم ويعتبـرون مـن المؤسسـين الأوائـل لقصـر المبـرتخ رفقـة بعـض القبائـل الأخـرى[5]، وحسـب الإحصـائيات التـي قـدمها موتيلينسـكي فقـد قـدر عـدد عـائلات العطاطشـة بـالقرارة بـ 136 عائلة[6] لذلك نتسأل هل هذا الرقم خاص بالعطاطشة في البدو الرحل أم بالحضر.

1-محمد شريف الزهار، مذكرات نقيب الإشراف، تح. توفيق المدني، ط.2، الجزائر، 1980، ص 49.

2-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ص 33. وكذا: Louis David, Op.Cit ..P 1

3-سعيد بن زرقة، قصر البوخاري مدينة الشمس، مطبعة السلام، ط.1، الجزائر، 2001، ص 97.

4- Motylinski, Op.Cit .P 42.

5-Trumelet , Op.Cit. P 19.

6-Motylinski, Op.Cit.P 418.

9-**أولاد نايـل:** هـم النوائـل الـذين تـمّ ذكـرهم مـن طـرف عبـد الرحمـان بـن خلـدون، إنهـم ينتسـبون إلـى العـرب الهلاليـين، الـذين زحفـوا صـوب إفريقيـا فـي منتصـف القـرن الخـامس مـن الهجـرة، وكتـب لهـؤلاء الاسـتقرار بإيالـة طـرابلس الغـرب، ويجـدر بالـذكر إن التـاريخ الـذي قدمـه ابـن خلـدون، يسـبق شخصـية سـيدي نايـل بمـا يفـوق مائـة سـنة كاملـة حيـث أن وفـاة ابـن خـلدون سـنة 808هـ توافـق 1406م، وهـو الشـيء الـذي يبعـدنا كـل البعـد عنـد التحقـيق بدقـة عـن شخصـية سـيدي نائـل(محمـد بـن عبـد الله الشـريف الإدريسـي الحسـني العلـوي الفـاطمي المحمـد المغربـي الأصـل) وذكـرنا هـذا لكـي لا يقـع أي التبـاس بـين النسـبتين، أي نسبـة سيـدي نائـل الـذي يعتـبر سـابع المذابيـح التـابعين لسيـدي أحمـد بـن يوسـف الملياني، ويـذكر ابـن خلـدون أن النوائـل بنـو نائـل بـن عـامر بـن جـابر وإخـوتهم أولاد سـنان بـن عـامر[1]. وهنـاك مـن يـرى أنهـم يتسـبون إلـى سـيدي نايـل محمـد بـن عبـد الله بـن يوسـف بـن عيسـى بـن موسـى بـن عمـران بـن يحيـى بـن عبـد الله بـن أحمـد بـن إدريـس بـن إدريـس بـن عبـد الله بـن الحسـن المثنـى بـن الحسـن السـبط بـن فاطمـة بنـت رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم[2] العلـوي المغربـي الأصـل[3]؛ يتواجـدون مـا بـين بسـكرة وبوسـعادة وجبـل سـنجاس، وجبـل سـبعة رؤوس وجبـل أكيـت نـواحي جنـوب القطـاع الـوهراني حتـى جبـل سـردوم، وجبـال العمـور بـالأغواط وواد الجـدي بتقـرت. تجمعهـم الكبيـر بالجلفـة[4] نائـل هـو ابـن عبـد الله ابـن نواليـت بـن عبـد الكـريم ابـن بوعـامر ابـن محمـد ابـن علـي بـن عبـد السـلام ابـن بـوبكر بـن جـروس ابـن عيسـى ابـن سـالم بـن مـروان

1-ابن خلدون، المصدر السابق، ص، مج3، 2382.

2-أحمد بن محمد العشماوي، المصدر السابق، ص 245.

3-عامر بن المبروك محفوظي، تحفة السائل ببلقة من تاريخ سيدي نايل، دار أسامة للطباعة للنشر والتوزيع، ط.1، الجزائر 2002، ص 14.

4-Arnard, Histoire du Oulad Nail, Faisant suit a celle des Sahari, In : R.A ,N°16, 1872, A. Jordan, Librairie Eiditeur, P P 327-328.

بن حيدر ابن عبد الله ابن مولاي ادريس الثاني ابن مولاي ادريس الأول ابن عبد الله ابن محمد ابن الحسين بن على ابن فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم[1].

10-**الزوى:** ينحدر الزوى من سلالة الصحابي الجليل أبو بكر الصديق رضي الله عنه وهم من أصل عربي وهم ورثاء الطريقة الصوفية لسيدي عبد القادر بن محمد المعروف بسيدي الشيخ صاحب كرامات مشهورة ومؤسس الطريقة الشيخية، وينقسمون إلى ثلاثة فروع: الزوى الشراقة، الزوى الغرابة وزوى سيدي التاج، انتشروا في مناطق واسعة تمتد إلى المغرب إلى الجنوب الغربي في كل من توات وتيديكلت وعين الصفراء، وإلى جنوب بريزينة[2].

11-**الأرباع :** هم أبناء الربيع بن زياد بن الربيع بن قنان بن سلمة بن المعقل بن كعب بن ربيعة بن الحارث بن كعب بن حرب بن علة بن خالد بن مالك بن اداد وهو مدجح بن زيد بن يشجب بن غريب بن زيد بن كهلان بن سبا بن مالك بن ادد بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن عابر[3]. يقال بأن أصل الأرباع يعود إلى الهلاليين الذين استقروا في الخط الشمالي من الصحراء بناحية الزاب، كانت على صراع مع

1- Arnard , Op.Cit P 329.

2-بريزينة: واحة جميلة تقع واحة بريزينا على المنحدر الجنوبي لأطلس الصحراء عند درجة 33 درجة و 5-30 شمالاً و15 غرباً، وتقع على حافة وادي سَقُر، وتعني البر الزين، وتقع على الجهة الجنوبية لجبال عمور جنوب البيض، على بعد90كلم تحاط واحة بريزينة بالجبال المحفوفة بالنخيل.ينظر: منى دحمون، قصر بوسمغون بولاية البيض(دراسة أثارية تحليلية) رسالة ماجستير، جامعة الجزائر 2004-2005، ص14. وكذا:
Leon Lehuraux, Le Sahara Ses Oasis, édition Baconnier, Alger ,1934,PP 156,157,158.
Et : Charles (kleinknecht), Op.Cit.P190.

3-ابراهيم العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، تونس 1799، ص،303.

أولاد جلال لذلك انحدرت نحو الأغواط أين انضمت إليها قبائل جديدة في إلى عروشها[1] .

يتشكلون من عدة عروش منهم: أولاد سيدي سليمان، أولاد بن شاعة(أو الحرازلية) الحجاج، الزكازكة، العمامرة، المخاليف، العبابدة، صفران،أولاد صالح أولاد زيان،أولاد سيدي عطا الله، في فصل الخريف يحطون رحالهم جوار الأغواط وتاجموت وقصر الحيران والحويطة، وعين ماضي، والعسافية، ويكون فصل الشتاء هناك وفي الربيع يتجولون بقطعانهم في أرجاء الصحراء، ومع نهاية فصل الصيف يقومون بشراء القمح من الشمال. ولقد استقروا بالمنطقة مع بداية تأسيس القرى الأولى بها، ففي مواسم الترحال التي تطول لشهور ينتقل هؤلاء كعشابة بماشيتهم باحثين عن العشب وفي الهضاب، وفي بعض مناطق الشمال وبحكم تنقلهم واحتكاكهم التجاري بأسواق ميزاب وانتقال بعضهم للعيش هناك؛ يقول أحمد بن يوسف المليلياني"...أمير أفلح بن عبد الوهاب أمير بني رستم...الذين خرجوا عام 306هـ وفروا يرحلون وينزلون إلى أن وصلوا إلى صحرة الأغواط فمنهم من أقاموا فيه ومنهم الذين ذهبوا مع الأمير إلى ورقلة..."[2] ما يعني أن التواصل بين أعراش الأرباع وبني ميزاب كان قديما ولأسباب عديدة استقر بعضهم بالمنطقة، فهذا المكتب العربي بالأغواط يوصي عليهم أهل غرداية وفق ما جاء في رسالته:"...فهذه الرسالة المؤرخة يوم 6 جوان 1872م القادمة من المكتب العربي بالأغواط تخبرك أن قوم الأرباع عددها خمسة واربعون وتبدو تعطوهم الشعير يوم سبعة في الشهر... وتخلفوهم في دار عندكم..."[3]، ما يعني أن حركة تنقل واستقرار هذه الأعراش لا زالت متواصلة إلى نهاية ق. 19 م

1-جيلالي كوبيبي معاشو، الصحراء كفضاء للترحال، مقاربة سيوسيوانثروبولوجية للبدو الرحل، مجلة الواحات للبحوث والدراسات المركز الجامعي غرداية،2011، ص 183.

2-محمد بن يوسف بن الخيدر المليلياني، المصدر السابق، ص11

3-إبراهيم بليدي، المصدر السابق، ص40

بالإضافة إلى الشرفة والمرابطين والحرازلية والمخاليف، والدبادبة، والسوايح، والمخادمة وغيرهم. أما الاجناس التي سكنت المنطقة من غير المسلمين والذين اعتنقوا الإسلام نجد:

12-**اليهود**:توالت الهجرات اليهودية على الجزائر بعد تعرضهم للاضطهاد في بعض الدول الأوروبية، فوجدوا فيها ملاذاً آمناً فتوزعوا على أراضيها عبر مراحل يقول الدكتور كمال بن صحراوي:"..بينما لجأ آخرون إلى الصحراء، فتفرقوا على واحاتها المتناثرة، حيث استقطبت واحات تقرت وتوات ووادي ميزاب أعداداً هامّة منهم.."[1] فهم يعيشون أيضاً بواحات الأغواط[2]، لم تشر المصادر التاريخية إلى وجود اليهود بالمنطقة مع بداية إنشاء القرى الأولى بها فقد اتفق المؤرخون على أن تاريخ 1450م هو بداية قدوم أول أفواج اليهود إلى وادي ميزاب من جربة التونسية، رفقة الشيخ عمي سعيد بن علي بن أحمد بن عبد الرزاق بن سعيد الخيري الجربي[3]؛ حيث اصطحب معه بعض العائلات من اليهود، فتكاثروا وتوزعوا على قرى وادي ميزاب[4].

وانحصر ذكرهم في الروايات الشفوية التي قدمها موتيلينسكي(Motylinski) وبعض الأخبار التي ذكرها الدكتور هيجي (Huguet) فحسبه يرى بأن ق.7 هـ/13م

1-كمال بن صحراوي، الدور الدبلوماسي ليهود الجزائر في أواخر عهد الدايات، بيت الحكمة للنشر والتوزيع ط.1، 2009، ص46.

2- Kamal Kateb,Européens,«Indgènes» Et Juifs en Algérie(1830-1962)Cahier N^{0}145,éditions de l'institut National D'études Démographiques,Paris, 2001,P190.

3-سعيد الخيري الجربي: هو عمي سعيد بن علي بن أحمد بن عبد الرزاق بن سعيد الخيري الجربي، الشهير" بعمي سعيد" لم تحدد المصادر والمراجع تاريخ ميلاده، ولد بقرية أجيم بجزيرة جربة تعلم على مجموعة من علماء عصره لما تفشى الجهل والظلام بوادي ميزاب بعث أهله إلى الشيخ على بن حميدة وكان له ثمانية أولاد إختار منهم سعيد وتوجه رفقة عالمين اخرين؛ هما الشيخ الحاج محمد ابن سعيد والشيخ دحمان، من أهم إنجازاته انشاء مجلس الفتوى ودار التلاميذ بالإضافة إلى عدة إصلاحات اجتماعية وعلمية ودينية، وبذلك أحي الوادي، توفي بغرداية سنة 1492م ودفن بمقبرتها المعروفة باسمه . ينظر: مؤلف مجهول، مناقب وادي ميزاب، المصدر السابق، ص1. وكذا معجم أعلام الإباضية، ج3، ص ص376-378.

4-حمو محمد عيسى النوري، المرجع السابق، ص 133.

كان بداية التواجد اليهودي بالمنطقة بعد أن قدم 15 يهوديا من ورقلة، واستقروا بها مع بعض العائلات الإباضية التي وفدت إلى المكان بنفس الفترة الزمنية، أما أمات Amat فيرى أن الهجرة اليهودية تعود إلى القرن 5هـ/11م، وثمة رواية أخرى تذهب إلى القول، بأن تواجدهم بالمنطقة جاء بعد طرد الشيخ عبد الكريم المغيلي لهم من منطقة توات سنة 898هـ/1492م نهاية ق.15م[1] ولجوئهم إلى وادي ميزاب ومناطق أخرى من البلاد حاملين معهم حرفهم وصنعائهم، خصوصًا الصياغة وندف الصوف والحدادة ...الخ[2]، كعادتهم تميزوا بتجمعم في حي خاص لهم إذ كانوا يسكنون حيًا يسمى بـ "زْقَاق اليهود"[3]، يقع ناحية الشرق من مدينة غرداية ويملكون به بئرين للاستعمال [4]، وقد اشتهر حيهم بقذارته[5] وممراته ضيقة، مثلما وصفته جل الكتابات الاستشراقية التي تحدثت عن أحوالهم بالمنطقة.

لم يكن هناك تمركز لليهود قبل القرن 13هـ /19م إلا في قصر غرداية، وذلك برأي الدكتور هيجي بأنه يتواجد بقصر القرارة خمسة أو ستة عائلات يهودية تحمل اسم الباز، ولكنهم ليسوا من نفس أصول اليهود القاطنين بقصر غرداية، حيث قدموا

1-Le Prieur(Capitaine)Les relations caravanieres a Travers Sahariennes de l'antiquite Au Seuil du xx^{e} siècle,In:Revue d'action touristique, culturelle,economique,N^{0}393^{e} trimestere ,Paris,1965,P28.

2- Huguet , Les Juifs de Mzab,In:Bulletins de la Société D'anthropologie de Paris v^{0} Série T. 3,1903,P 6.

3-Daumas, le Sahara algérien, P 61.

4-Coyne,Op.Cit.P19

5-يوسف بن بكير الحاج يوسف، المرجع السابق، ط.2، ص 74. وأيضا:

Naphegyi (G) , P 336.

مـن وادي ريـغ[1] منـذ حـوالي 50 سـنة أي مـع بدايـة النصـف الأول منـق. 19م[2] وبعـد الضـم العسـكري لـوادي ميـزاب نجـدهم يتواجـدون فـي مختلـف القصـور الأخـرى كقصـر بنـورة ولهـم بالناحيـة الجنوبيـة الشـرقية للقصـر مقبـرة خاصـة بهـم مسـاحتها 0,4 هكتـار وقـد فـرض علـيهم مشـائخ المنطقـة عـدة شـروط للعـيش بجنـبهم، ويخضـعون لقـوانيين وأعـراف المجتمـع؛ مثلمـا ورد فـي اتفـاق مجلـس وادي ميـزاب المنعقـد فـي 1249هـ/1834م أن المجتمعـين:".. قـد اتفقـوا علـى اليهـود أن لا يشـتروا الملـك فـي كافـة قصـور مـزاب لا يشـترون فـي الغابـة ولا فـي القصـر ومـن بـاع لهـم مـن أهـل الـبلاد فتلزمـه العقوبـة لكـن فـي غردايـة فـلا يشـترون سـوى فـي حـومتهم ... وأمـا فـي الغابـة فـلا يزيـدون عـن ثلاثـة جنـاين..." بالإضـافة إلـى كـل ذلـك لا يسـمح لهـم بـامتلاك الأراضـي الفلاحيـة خـارج حـيهم[3] وكـان محظـوراً علـيهم أن يركبـوا حصـاناً أو يحملـوا سـلاحًا[4] واسـتعمال الآبـار العموميـة، وعنـد ركـوبهم الدابـة يجبـرون علـى جمـع السـاقين إلـى جهـة واحـدة ويفـرض علـيهم لـبس الأسـود، وتثنيـة جـزء مـن شاشـيتهم وتـرك قصـة مـن شـعر الرأس عن اليمين وعن الشمال قصد تمييزهم عن الأهالي[5].

وبعـد معاهـدة الحمايـة حـاول اليهـود الـتملص عـن هـذه الأعـراف والقـوانين، ففـي عـام 1860م ابتـاع اليهـود بئـرًا، مـع العلـم أنـه كـان مسـموحا لهـم ببئـر واحـد فقـط، لكـن مجلـس العزابـة لـم يقبـل بـذلك، فمنعـوا مـن اسـتعماله وأرسـلوا إلـى السـلطات الفرنسـية بـذلك

1-وادي ريـغ: يضـم وادي ريـغ منـاطق الزيبـان، ووادي سـوف ومـنخفض ورقلـة، وهـو إقلـيم مسـتطيل الشـكل، ويبـدأ شـمالاً مـن عـين الصـفراء قـرب بلـدة أم الطيـور، وينتهـي جنوبـاً بقريـة القـوق قـرب بلـدة عمـر جنـوب تقـرت، ويحـد الإقلـيم مـن الشـمال شـط ملغيـغ، ومـن الجنـوب ورقلـة، ومـن الشـرق العـرق الشـرقي الكبيـر، ومـن الغـرب منحـدر حصـوي وهضبة وادي ميزاب.ينظر: رضوان شافو، المرجع السابق، ص71.

2-Huguet, Op.Cit.P 6.

3-Zeys, Op.Cit.,P314.

4-ردريك وايسجربر، على عتبة المغرب الحديث، تر. عبد الرحيم حُزل، مطبعة الأمنية، ط.2 ،الرباط،2011، ص 30.

5-يوسف بن بكير حاج سعيد، المرجع السابق، ط.2، ص 74.

ولسحب القرار لتجنب غضب سكان الوادي وقد جاءت تعليمة حكومية في أول مارس عام 1882م-10ربيع الاخر 1299هـ، تنذر رئيس الجماعة اليهودية بأنه من فائدتهم عدم خلق مشاكل من طرف هيئتهم مع الإباضيين لأنهم ليسوا بعد مواطنين فرنسيين[1]، الأملاك وعرفوا نوعاً من الانتشار بعد الضم العسكري، فتمكنوا من امتلاك أكثر من 500 نخلة وبئر واحدة في المدينة، وسبعة آبار في الواحات[2] وخصوصًا بعد مرسوم كريميو 24 أكتوبر 1870م[3]-28رجب1287هـ، حيث طُرح سؤال إن كان هذا التنظيم الجديد ينطبق على يهود مناطق الجنوب أم لا؟ فالإدارة الفرنسية اعتبرت بعض الإسرائيليين في عين الصفراء وتقرت كمواطنين فرنسيين باستثناء يهود ميزاب، الذين لم يستفيدوا من هذا المرسوم بسبب أن الإقليم لم يلحق إداريا بفرنسا إلا في سنة 1882م.

إن أول ما قامت به فرنسا عقب ضمها للمنطقة هو الاتصال بالطائفة اليهودية والاستفسار عن حالتهم ومعاملتهم، فكان عليهم الرجوع إلى الحاكم العام للجزائر والذي وجههم إلى مسؤولي وزارة الداخلية فكان الرأي الأخير كالآتي:" يجب أن نجعل منهم مواطنين فرنسيين ولابد أن يشملهم المرسوم"[4]، لكن وزير العدل الفرنسي أودولوف كريميو[5] Adolphe-Cremeux وقع على تعليمة نصها كالتالي: "لقد تم إصدار

1-Marignac, Op.Cit.S.P

2-Huguet, Op.Cit.P6.

3-Garrot(Henri),Les Juifs Algériens : leurs Origines, Librairie louis Relin ,Alger,1898,PP69-70

4-Andre Chouraqui,La Condition des Juifs du Mzab,Le Cahiers de l'alliance Israélite,juin, Juillet,1955,P15.

5-اودولف كريميو Adolphe-Cremeux : هو إسحاق موسى (1880-1796م)، محامي ورجل سياسي فرنسي من أنشط يهود فرنسا كان نائبا لمدينة شنون سنة 1842م بعدها ساند نابليون الثالث لرئاسة الجمهورية كان يسارياً تولى وزارة العدل سنة 1848م ، ثم استقال وتفرغ لمهنة المحاماة كان من المدافعين عن مصالح اليهود في العالم تولى نيابة باريس سنة 1869م، ثم وزيراً للعدل في حكومة الدفاع الوطني.ينظر:طارق بوزالماط حركة معاداة اليهود في الجزائر1870-1902، رسالة ماجستير، الجزائر،2005-2006، ص46.

المرسوم لصالح يهود عملات الجزائر وبما أن ميزاب تقع في إقليم الجنوب فيهود ميزاب ليسوا معنيين بهذا المرسوم"[1]. وعليه فإن يهود منطقة وادي ميزاب لم يحصلوا على الجنسية الفرنسية، ولكن ماهي الأسباب وراء استثنائهم من تعليمة كريميو بعد أكثر من عشر سنوات على إصدارها؟ وفي الفاتح نوفمبر1882م-19ذي الحجة1299هـ بعث الحاكم العام تيرمان تعليمة لتنظيم الإدارة المحلية للمنطقة، تقضي بأنه بدلاً من أن يكونوا تحت حكم المسلمين يصبحون تحت حكم القائد العام بالأغواط والأعوان الفرنسيين[2]، وكان من نتائج هذا هو إسقاط قوانين الجماعة "العزابة" التي كانت تنظم حياة اليهود؛ ومن بينها القانون الخاص باللباس حيث أصبحوا يرتدون نفس لباس الأهالي[3]، إلا أن ذلك لم يمنعهم من دفع اللزمة والتي تحّول دفعها إلى السلطات الفرنسية بعد 1882م؛ وقد وجد عام 1896م 19 يهوديًا من منطقة وادي ميزاب يحمل الجنسية الفرنسية[4]، حتى وإن منح يهود ميزاب الجنسية الفرنسية فانهم لم يكونوا يعاملون كمواطنين فرنسيين.

احترفوا مهنة الصياغة في الذهب والفضة، وصنع أدوات النسيج والاشتغال بالحدادة وتعاطوا الأعمال السيئة كبيع الخمور، والتعامل بالرِبَى ونشر السحر والشعوذة وقد منعهم مشايخ المنطقة من ممارسة التجارة في ميزاب قبل الإحتلال، لكن بعده صاروا يستطيعون ذلك، وأصبحت لهم محلات كبرى للبيع بالجملة للأقمشة والكحول ومصدرين للتمور[5]، فقد امتهن موشى الباز بوحسيرة تجارة الخمور والقماش بغرداية[6].

1-Amat,Op.Cit.P146.Et: Kamal Kateb, Op.Cit,P191

2-Charles (Ckhleinknecht), Administrateur Civil au Sahara, édition l'harmattan,Paris,2000.P31.

3-Huguet, les juifs de Mzab , P561

4- Charles (Ckhleinknecht) Op.Cit, P559.

5-Duveyrier,Voyage dans le pays,P 187.

6-وثيقة بيع سلع القماش والخمور للسيد موشى الباز بوحسيرة، وثيقة بحوزتي.ينظر: الملحق رقم 20، ص 528.

ونجد من بين الوافدين أيضا على المنطقة والذين أعتقهم أسيادهم واعتنقوا الإسلام:

13-**العبيد أو الوصفان** : ينحدرون من العبيد السودانيين ويتم جلبهم من بلاد السودان وتتم مبادلتهم بمختلف السلع كالملح، والقمح، والتّمور، ليست لدينا معلومات كافية حول تاريخ وظروف استقدامهم للمنطقة، ولكن المؤكد أنهم تواجدوا بها منذ قرون، يطلق عليهم الأهالي اسم" الوصفان"[1] أو الخادم أو العبد، وتندرج هذه التسميات ضمن الأصناف اللسانية التي تتناول مكانة الأسود تاريخياً وبالمعنى الشامل والعام[2]. ويتم جلبهم من النيجر وتمبكتو، والهوصة، وبورنو[3]، وبامبار، وسوكوتو وحتى من الفولان وتعد مهنة بيع العبيد من أقدم التخصصات التي كانت تدخل ضمن تجارة السودان الغربي، وكانت لها أسواق خاصة في مختلف المدن السودانية؛ وأكبر سوق لها كان في غانا وبسبب الحاجة والفقر كان أولياؤهم يبيعونهم، وفي بعض الأحيان يباعون بكمية من الملح لا تتجاوز واحد كيلوغرام[4]. فقد كان تجار المنطقة يقومون برحلة طويلة وخطرة عبر الصحراء، لشرائهم ويباعون في أسواق ميزاب ويزداد الطلب عليهم في أسواق الشمال وأوروبا.

لم نتعرف بالتدقيق إلى السعر الحقيقي للعبيد بالمنطقة خلال ق. 18 م لانعدام أرشيف ووثائق تتحدث عنهم وعن أحوالهم وأعدادهم؛ لذلك يتوجب القيام بمزيد من البحث الدقيق في الوثائق التجارية المتعلقة بالدول التي مارست هذه التجارة سواء

1-Pommerol jean, Une Femme Chez les Sahariennes (entre Laghouat et In-Salah), Ernest Flammarion, éditeur, Paris ,1900 P197.

2-سليم خياط، ازدواجية مكانة الرجل الأسود عبر تقديرات الأصناف السوسيولسانية، المركز الوطني للبحوث في عصور ماقبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ ، مطابع عمار قرفي، باتنة، 2001م، ص39.

3-بورنو: إقليم كبير يتاخم وانكرة غرباً، يبعد عن منبع النيجر بنحو مائة وخمسين ميلاً، به أقاليم متنوعة بعضها جبلية وسهول، يسكنها قوم متحضرون وتجار أجانب من السود والبيض.ينظر: حسن الوزان، المصدر السابق، ص ص176.

4-أحمد ذكار، المرجع السابق، ص ص 100-102.

القريبة من هذه البلاد أو شمال القارة الإفريقية، يصف دوماس طريقة جلبهم: "...هناك قافلة متجهة إلى متليلي ومتكونة من 64 جمل و16 شخص جلبت 400 عبداً من بينهم 300 زنجية..."، ويضيف بأنه التقى بشخص من الشعانبة يدعى"...سيد الحاج محمد وله من العمر أربعين سنة امتهن تجارة العبيد ببلاد الهوسة ويجلب معه في بعض الأحيان حوالي 5000 عبداً يتوفى عدد معتبر منهم أثناء رجوع القافلة إلى مدينة متليلي..."[1] رغم أننا نشك في هذا العدد الكبير الذي جلبه هذا التاجر، ومع بداية الضم الفرنسي للمنطقة بدأت أحوالهم تتضح، وقد عاملهم سكان الوادي معاملة حسنة، وكانوا لا يبيعون إلا من توفرت فيهم الشروط الصحية والعقلية الجيدة [2] امتزجوا اجتماعياً مع السكان المحليين، بعدما أعتقوا واعتنقوا المذهب المالكي أو الإباضي يقول اطفيش:"...ووجد بخط الشيخ عمي دحمان أنه وقع الاتفاق على يده في أهل بنورة مع أولاد عبد الله، وأولاد أبي إسماعيل ورجال من العبيد عبد الله بن أحمد..."[3]؛ يتضح من خلال ذلك مدى اندماج بعض من العبيد سواء كانوا مالكية أو إباضية في المجتمع وحضورهم لبعض الاجتماعات والجلسات، وإذا لم يستطع السيد إطعامه والتكفل بحاجياته يبيعه، وقد ارتبطوا بالعائلات ومارسوا نشاطهم بولاء وإخلاص وصاروا يعتبرون أنفسهم جزءً من الأوساط التي يعيشون فيها، فكانت ألقابهم مرتبطة بتلك العائلات حافظوا على علاقاتهم بعائلاتهم القديمة برابطة الولاء التي مكنتهم من حمل أسمائهم وألقابهم.

1- Daumas (Eugène), Le Grand Désert, ou Itinéraire d'une Caravane du Sahara au Pays des Négres, imprimerie et libraires centrale de napoleon, Paris1848, PP 260- 264.

2-عبد العزيز بن الحاج الثميني، كتاب النيل، مخطوط بحوزتي بخط الناسخ بهون بن الحاج سعيد ابن باب بن ايوب بن موسى بن يحي، ص ص 143-144، مكتبة الشيخ اطفيش ببني يزقن .

3-محمد بن يوسف اطفيش، المصدر السابق، ص32.

فهو كما يقول مطياز:"...يداويه ويزوجه ويمونه ويقوم بجميع ضروريات حياته وهناك من يوصي له بدار يسكنها ومحل يستغله ما دام على قيد الحياة... "[1] اندمجوا مع الأهالي في ميزاب عن طريق الزواج [2]، وقد تم منح البعض منهم القاب العائلات التي اشترتهم وأُعتقوا ومارسوا أعمال الزراعة كتسوية التربة، أو حفر الآبار؛ أما النساء فيقمن بصناعة النسيج والأعمال المنزلية.

لم تتفق الكتابات التاريخية والمصادر على رقم واحد وواضح لعدد العبيد الذين كانوا في ميزاب، مع أن تعدادهم كان في تناقص منذ أن التفت المجتمع الدولي إلى ظاهرة الرق مع مطلع القرن التاسع عشر، ومحاربة فرنسا لها منذ صدور قرار 27 أفريل 1848م[3]–23جمادى الاولى1264هـ. وكان العبيد يعاملون معاملة حسنة فيعتنقون الإسلام ويعتقهم أسيادهم بكل سهولة، وكثيرًا من الزنجيات تصبح زوجة لسيدها فيُعامل أبنائها معاملة لأبناء زوجاته الأخريات[4]؛ ما يوحي بأن معاملتهم كانت حسنة لأغلبهم في ميزاب ويفضلون البقاء والعيش مع أو بجوار من اشتروهم على أن يغادروهم في حالة عتقهم إلا في حالات نادرة[5]. حافظوا على عوائدهم وتقاليدهم فهم يلتقون في تجمعات لإحياء احتفالاتهم ورقصهم بالمزمار، والطبل والصنج أو ما يعرف بالدندون[6]، إن الوصفان في ميزاب لا يشكلون مجتمعاً منتظماً

1–ابراهيم مطياز، المصدر السابق، ص61.

2-Duveyrier, Op.Cit .P187.

3–قرار 27 أفريل 1848م القاضي بتحرير العبيد، وعند صدوره لم يكن في أرض الجزائر عدد كبير من الزنوج يشملهم القرار فهؤلاء الزنوج أصبحوا من أحسن الناس اسلاماً. ينظر: أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص148.وكذا:
Bissuel (H.C), Op.Cit.P56.

4–أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المطبعة العربية،1350هـ، ص 146.

5-Bissuel (H), Op.Cit.P57.

6-Amat, Op.Cit.P536.

ولـم تطلعنـا الوثـائق والمصـادر عـن أسـماء الأسـواق خاصـة ببـيعهم بميـزاب، ويبـرز الجدول التالي عددهم بعد الضم[1]:

المدينة	عدد العبيد
غرداية	862
مليكة	90
بني يزڤن	411
بنورة	66
العطف	80
بريان	254
القرارة	130

فعنـدما قـام هيجـي إحصـاء للمرضـى المتـرددين علـى المكتـب للمعاينـة الصـحية مـن سـنة 1897-1898م، ذكـر بعـض الأرقـام الخاصـة بالعبيـد، وأحصـى 42 ممـن عـاينهم بقصـر غردايـة وبمليكـة وواحـد بـالعطف[2]، وقـد ذكـر كيـون Coyne أن مـا يـدخل ميـزاب سـنوياً مـن العبيـد يقـارب 400 عبـداً [3]، وهـم حسـب روبـين Robin متواجـدون فـي كـل قصـور المنطقـة فيحصـي عـددهم بـ 320 عبـداً و961 معتوقـاً[4]، فعلـى سـبيل المثـال مدينـة بريـان مـع ثمانينـات القـرن 19 م نجـد بهـا 250 عبـد مـنهم المعتـوقين[5]، فارتفـاع أعدد المعتوقين يدل دلالة واضحة عن الظروف الحسنة التي وجدوها في ميزاب.

14-**الأجانـب** : ارتـبط تواجـد الفرنسـيين والأجانـب فـي ميـزاب أساسـا بـالإحتلال الفرنسـي للجزائـر والضـم العسـكري للمنطقـة سـنة 1882م؛ كـان وجـودهم مـع الطلائـع الأولـى للبعثـات الاستكشـافية والعسـكرية للجنـوب وبالمنطقـة وضـواحيها تحديـدًا، ورغـم محدوديـة

1- Ibid. P226
2-Huguet, Les Conditions Générales de la Vie au Mzab, p227.
3-Coyne, Op. Cit. P33
4-Robin, Op. Cit.P35.
5-Zeys, Op. Cit.P 300.

أعدادهم عرفوا زيادة طفيفة لكون الوضع في الصحراء مختلف تماما عن المناطق الشمالية فمنطقة ميزاب هي جغرافيا صحراوية قاحلة وقاسية مع محدودية مواردها. لذلك لم تشكل عامل جذب للمستوطنين الفرنسيين، ولكن لضمان الضم تواجدوا في الجيش والإدارة والصحة، والبريد، والتعليم، والتبشير. رغم عدم استفادة يهود ميزاب من تطبيق مرسوم كريميو 1870م، ما منع من زيادة عدد الفرنسيين بالمنطقة ولو حدث العكس لكان عددهم كبير، يحصي الدكتور هوجو عدد الفرنسيين الذين توافدوا على المكتب العربي طلبا للمعاينة الصحية بـ 10 أجانب وفرنسي واحد من سنة1897م إلى1898م [1] دون أن يوضح جنسية10 أجانب، ومهما كان أصل هؤلاء السكان فانهم مرتبطون ومتمسكون بأرضهم ومتكيفون مع الظروف المناخية الصحراوية، كما يتصفون بسمات متشابهة؛ كالتواضع والأخلاق والتمسك بالدين والبساطة وطيبة النفس والكرم.

2-البدو والحضر ونمط الحياة:

أ-البدو: كلمة بدوي "راحل" أو" نوماد" "Nomad" وتعني أرعى "faire paitre"[2]، فهم حسب ابن خلدون أهل البدو مقتصرون على الضروري من الأقوات واللباس والمساكن وسائر الأحوال، ويتخذون البيوت من الشعر أو الوبر أو الشجر أو من الطين أو الحجارة ويأوون إلى الغيران والكهوف[3]. البداوة نمط حياة السكان الغير حضريين ويتميز بالتنقل الدوري أو الموسمي من أجل كسب العيش والرزق.

يمارس جزء كبير من المالكية حياة الترحال في العرق الشرقي، لتتبع مناطق العشب والرعي وحياتهم مرتبطة به مع ممارسة تجارة القوافل، منذ زمن بعيد ولم

1-Huguet, Op.Cit .p122.

2-احسن دوسن، حسن دوسن، صورة المجتمع الصحراوي الجزائري في القرن التاسع عشر من خلال كتابات الرحالة الفرنسيين مقارنة سوسيو ثقافية، مذكرة ماجستير جامعة منتوري قسنطينة، 2007-2008ص 38.

3-عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة، تح، تق، تع. عبد السلام الشداي، ج1، وزارة الثقافة،2006، ص 191.

يتوقفوا عنها بشكل كبير إلا مع نهاية ق. 19 م، وينتقلون بين الأودية والسهول والمراعي، إذ تشمل مراعي قبيلة الشعانبة مثلاً المناطق الواسعة بين العرقين الشرقي والغربي[1]، بل وتمتد حتى حدود مدينة فزان الليبية شرقًا بئر الصوف وغدامس تماسين، وعين صالح والواد الغربي وحتى وادي الساورة[2]، وواحات بشار غربًا وشمالا إلى سفوح الأطلس الجنوبي "جبال القصور، جبال العمور، أولاد نايل..."، وجنوبا إلى سفوح الهقار والطاسيلي؛ إلا أن أهم المراعي هي صحراء البيض ونواحيها كوادي زرقون، ووادي محيقن، ووادي ميه والحمادة الجنوبية[3].

وقد تشترك في المراعي القبائل المالكية الاخرى القاطنة بالوادي، تتسم حياتهم الإجتماعية بالبساطة، ليس لأفرادها تخصصات مهنية وأعمال محددة[4] بل اعتادوا الترحال واللاستقرار في صحراء معلومة واسعة؛ يتعاملون مع أهالي الحضر في القضايا التجارية والتموين[5] وبعض العلاقات الاجتماعية، وأغلب البدو يتشكلون من الشعانبة وبعض المذابيح والعطاطشة، والدرايسة، وأولاد نايل[6] وغيرهم من القبائل العربية. يتكون غذاؤهم من التمر وحليب حيواناتهم ولحومها، يتميزون بالقوة الجسدية التي تمكنهم من تحمل العطش والجوع والتعب، وقساوة المناخ ومشقة السفر، ونتيجة احتكاكهم المستمر بالصحراء اكتسبوا خبرات تتعلق بجغرافيا الصحراء مكنتهم من تعبيد طرق سيرهم. تسبق عملية خروجهم إلى أماكن الرعي المعلومة احتفالات

1-D’ armagnac(lieutenant),Mzab et Les Pays Chaamba (Sahara),édition Baconier, Alger,1934,P125

2-Amat, Op.Cit.P34

3- Paul-François (Passager), Op.Cit.P527.

4-D’armagnac, Op.Cit.P132.

5- Paul-François (Passager), Op.Cit.P527

6-حماني أحمد التيجاني، ومضات من تاريخ القرارة الثقافي والسياسي الثوري، دار صبحي للطباعة والنشر، ط.1، 2013 ص25.

وتجمعات، تضم كبير القوم أو القبيلة وأفرادها، لدراسة هذه الرحلة اجتماعيًا واقتصادياً. وتتصف حياة البداوة في المجتمع بعدة مميزات منها:

1-لم يكن كل العرب القاطنين بالوادي وبالجوار بدوًا رحلاً، فالبعض منهم يعيشون جزءا من السنة في الصحراء لرعي مواشيهم، وبعضهم يملك الأجنة والغابات[1]، ما يجعلهم ينتظرون جني محصولهم من سبتمبر إلى نوفمبر.

2-يفضل الشبه الرحل الاستقرار بالمدن أو بجوارها في حالة الجفاف فيضطرون للعمل في البساتين أو في بعض الأعمال الأخرى، وتختلف مدة بقائهم من سنة إلى أكثر وعند تحسن الأحوال يعودون إلى ممارسة الترحال، وبعضهم يستلذون حياة المدينة فيفضلون البقاء فيها وامتلكوا المنازل والغابات وهناك بدو مقيمين في البادية ولا يعودون إلى المدينة إلا نادرًا، رغم امتلاكهم للنخيل الذي يوكلون أمره إلى الخماس[2] ويتميزون بالكرم والسخاء، وحب الضيافة وبالشجاعة [3].

3-تشتمل التركيبة الإجتماعية للبدو في القبيلة التي يتصلون بها اتصالاً قويًا بحيث تمثل الأسرة لبنتها الأولى، وأينما حل هؤلاء البدو فإنهم يحملون معهم أعرافهم وعاداتهم السابقة التي تركوها في قبائلهم الأصلية فسلوكياتهم الإجتماعية مرتبطة بالأعراف المتوارثة وليس بالقوانين، لأن القبائل البدوية ترفض الخضوع إليها، فذلك يخالف حريتهم المقرونة بالحركة والتنقل. رغم محاولة فرنسا فرض قيود على تحركاتهم باعتبار أنهم يمثلون القواعد الأمامية التي تزود زعماء المقاومات الشعبية مادياً ومعنوياً منذ النصف الثاني من ق. 19م. يقول القبطان دوران حاكم بيرو عرب

1-Robin, Op.cit.P34

2-Cauneille(A), Les Chaamba (leur nomadisme), Édition de centre National de la recherche Scientifique, Paris1948.p139.

3-Charmetant,Op.Cit.PP 27-28

بالأغواط في رسالته يوم2 جوان عام1872م-25ربيع الاول1289هـ التي بعثها إلى أحد قياد المنطقة يستخبر عن أحوال البدو المتنقلين من طرابلس شرقًا إلى الساورة وبشار غربًا:"...وأما قولك في بريتك الأولى عن الشعانبة في ماية بيت قدمو نفزاوة لم نعرفم منافقين وإلا فلا.."[1] وفي رسالة أخرى مؤرخة في6 جوان1876 لنفس القايد:"..ولتعلم أيضا وأن السيد كمندان قد عطىء الاذن للقوم على ناس المنافقين فإن لا يدخلوا مزاب سواء قدموا يتسوقون أو ببيوتهم أو برقابهم..."[2]. مقاليد الأمور بيد شيخ القبيلة فهو كبير الجماعة [3] المتابع لشؤون الأعراف كالزواج والطلاق والعقوبات والإشراف على الآبار وإصلاحها والاشتراك في تجارة القوافل وعمليات الغزو ضد القبائل المعادية فيما يعرف بالصف[4]، ويُخْتَار الشيخ لذكائه وقوته وعمره وكلمته مسموعة لدى أهالي الحضر والبدو من المالكية[5].

وبسبب العديد من التحولات أهمها تأثر أهل البدو بحياة الحضر أثناء استقرارهم بها لبضعة شهور، بدأ يظهر ما يسمى بالبدو "الشبه الرحل" حيث بدأوا في شراء البساتين، ويتركون الخماس لرعايتها، في حين يستمرون نحو حياة الترحال لعدة شهور من السنة؛ بالإضافة إلى تراجع وانكماش تجارة القوافل خاصة مع بلاد السودان وتطور وسائل النقل الحديثة وتناقص عدد الجمال بسبب ظاهرة الغزو[6]، وانضمام أصحابها إلى فرق المهارى العسكرية الفرنسية وهلاك بعض الجمال نتيجة الجفاف والأوبئة، كلها عوامل أثرت على حياة البدو فتحول بعضهم إلى بدو شبه متمدنين.

1-إبراهيم بليدي، المصدر السابق، ص28.

2-نفسه ص40.

3- Paul-François (Passager) Op.Cit.PP527.

4-Amat, Op.Cit.P 196.

5-Trumelet, Op.Cit.P 308.

6-الغزو: هو عملية سطو على القوافل التجارية والثروة الحيوانية لبعض القبائل، وهي مكونة من مجموعة من الأفراد تحترف هذا العمل، وهو شبيه بجيش مصغر مسلح، ظاهرة انتشرت في الصحراء.ينظر:

-Rinn, Marabouts et khouans,p358

والأمر الآخر الذي شجع على هذا التحول هو تجنيد العديد من البدو في فرق "المهارى"، مما سمح لهم بالحصول على رواتب ثابتة مكنتهم من تغيير حياتهم من البداوة إلى المدينة وامتلاك عقارات هناك، وعمل بعضم في المكاتب الفرنسية سواءًا للحراسة أو لإيصال البريد بين المنطقة والأغواط وورقلة وجهات عدة، يقول القبطان دوران في رسالة بعثها إلى أحد أعيان بني يزقن في فيفري 1882-13ربيع الأول1299هـ: "...وصلتني برية من عند محمد بن القرادي الصبايحي الذي بعثناه ويوصل اليكم البراوات..."[1].

مع ذلك يجب أن نميز بين البدو العشابة[2] وبدو يعيشون في الصحراء خارج الواحات مع ماشيتهم ويرجعون إليها مع بداية جني غلة التّمور، ونوع آخر من البداوة تنقلها محدود يسمى بشبه الرحل[3]؛ حيث ينتقل بعض أفراد القبيلة بصحبة قطعانهم يمضون الشتاء والربيع في الصحراء ويعودون إلى المدينة مع الصيف والخريف، ومع حلول الجفاف يعودون إلى المدينة ما جعلهم مع مرور الوقت يتحولون إلى أهل الحضر، حيث عمدت فرنسا بعد الضم ضم مدينة متليلي بغرداية من أجل استفادة الأهالي من المشاريع الاقتصادية والتجارية لفتح محلات تجارية تُغنِي البدو الرحل التنقلات المستمرة وابقائهم مستقرين حتى تسهل عملية مراقبتهم[4] وهو أحد الأسباب التي أدت إلى تناقص القاطنيين بالبادية مع نهاية ق. 19م.

1-ابراهيم بليدي، المصدر السابق، ص 32.

2-البدو العشابة : هم بدو المناطق السهلية القريبة من الشمال (الارباع، الأغواط، سعيد عتبة ،اولاد السايح العرب الغرابة بتقرت) يتجولن شتاءً جنوب الاطلس الصحراوي وربيعاً بالمناطق القريبة من الشمال، لذلك تعرف هذه العملية بالعشابة.ينظر:

.

Ferry (lt.colonel) La Zone nord -est de L' O.C.R.S , Bibliothèque centre de Documentation Saharienne,Ghardaia,1957,P 6.

3-Ibid.P7.

4-Charles (Kheinknecht) Op.Cit ,P60.

ونتيجة الأسباب السالفة الذكر لم نجد أرقاماً وإحصائيات دقيقة عنهم، إلا أنهم يمثلون نسبة معتبرة من تعداد سكان المنطقة، الذي لم تتطرق له الكتابات الغربية. فقبيلة الشعانبة هي من أهم القبائل البدوية؛ ويشتهر أفرادها بالشجاعة وشدة التحمل وممارسة الغزو، فهم يعرفون الصحراء جيدًا ويصل بهم الأمر إلى التقاتل مع التوارق أثناء سفرهم وتنقلاتهم، وفئات البدو حسب أنماط معيشتهم نجدهم حسب الترتيب الاتي:

1-الشيوخ أو الرؤساء : على رأس قبائل البدو نجد كبير الجماعة [1] وهو المشرف على الأمور العامة للقبيلة في مختلف جوانبها.

2-الرعاة: يتحركون مع القافلة ويمارسون رعي القطعان ويسهرون عليها خلال إقامتهم بالبادية مقابل أجرة متفق عليها، وعند العودة إلى المدينة يرعون قطعان الحضر[2].

3-المهارى:"المهاريست" هم الأشخاص الذين يجيدون ركوب المهارى للدفاع عن القوافل التجارية والقبائل المترحلة[3] مقابل مبالغ مالية، وقد تم توظيفهم فيما بعد لخدمة السلطات الفرنسية كمستطلعين ومساعدين لها، عند توغلها لأقصى الجنوب[4].

4-الصيادون: هناك نسبة من البدو يمارسون صيد بعض الحيوانات البرية كالغزال والأرانب، والجربوع والضباع، والأفناك، والنعام؛ ويستعملون في ذلك الكلاب السلوقية وأحياناً الفهد[5]، قصد استهلاكها أو بيعها في الأسواق، تراوح سعر ثمن ذَكَر النعام مابين 10 و15 فرنك سنة 1860م، ويقوم أهل البدو بتزيين خيامهم وهوادجهم بريش

1-الجماعة: مجلس القرية أو الدوار، يضم أعيان أو كبار القوم، هيئة لإدارة شؤون أهل القرية. ينظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،ج.9 ،ص9.

2-Motylinski, Op.Cit.P43.

3-مفدي زكرياء، المرجع السابق، ص208.

4-Edouard charton, Op.Cit.P114.

5-Amat , Op.Cit .P 92

النعام، كما يبيعونه في أسواق غرداية وتقرت بالمقايضة حيث يبدلون وعاء من شحم النعام بـ 3 أوعية من الزبدة [1]. تمت الاستعانة بهم كقناصين من طرف فرنسا[2] .

ب-الحضر: تطلق كلمة الحاضرة على المدن والقرى والريف وهي على خلاف البادية ولذلك فان الحضر هو الإقامة والاستقرار في موضع، ويقال أهل المدر لأهل الحضر[3] أهم ما يميز حياتهم هو الاستقرار والتمدن ويجتمعون في قراهم المنتشرة على حواف الوادي، فهم يعيشون داخل قصورهم التي تمثل الخلية الاساسية للتنظيم الاجتماعي والسياسي، ويهاجرون إلى العمل خارج الوادي **و**خصوصًا الميزابيون الذين لا نجد في تنظيمهم التقسيم الطبقي كالشرفة والمرابطين والأسر الصوفية [4]، ففي ميزاب ليس للناس دراويش ولا مرابطون وليس لهم طرق صوفية [5].

امتازت حياتهم بتحكم الأنظمة التقليدية فيهم لتنظيم شؤونهم الاجتماعية تضم كل قبيلة عددًا من العشائر وتعين كل عشيرة رئيسا لها يسمى "الضامن" أو "المقدم"[6] ومن مجموعهم يتكون المجلس البلدي، الذي يتولى مهمة الدفاع الحربي في حالة إذا ما وقع هجوم على البلدة أو السهر على أمن قطعانهم ومواشيهم، واستضافة رؤساء القبائل المجاورة؛ ويحدد العلاقات بين البلدة وبين كل القبائل المجاورة وحتى البعيدة التي تمر بالوادي وكذا العلاقات بين القرى أو بين مجموعة من القرى[7]، ولا يحق لأي عشيرة أن تتدخل في أمور عشيرة أخرى، كما ينص اتفاق حلقة عزابة بني

1-Yves Regnier, Op.Cit .P110.
2- Edouard (ch) , Op.Cit .P 92.

1-مصطفى أحمد بن حموش، المرجع السابق، ص63.

4-Amat ,Op.Cit.p150.

5-أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ج4 ، 41. وكذا:

Rinn, Marabouts et Khouans,P P 138-156.
6-Paul solleillet, Exploration au Sahara central, P87.

7-إبراهيم بن يحي الحاج أيوب، الشيخ القرادي، تح. يحي بن بهون حاج امحمد، ط.1،الطباعة العالمية،2010، ص72.

يـزفن فـي رجـب مـن عـام 1198هـ/1784م للمجلـس ميزانيـة يجمعهـا مـن مختلـف العشـائر ويصـرفها فـي أشـغال بنـاء المنشـآت العموميـة وصـيانتها وتقاسـيم الميـاه والسـدود[1]؛ أمـا مـا يتعلـق بالقضـايا الدينيـة المتمثلـة فـي الإشـراف علـى المسـاجد والتعلـيم القرآنـي والـديني والإشـراف علـى المناسـبات الدينيـة والإجتماعيـة، وقـد توسـعت مهامـه فيمـا بعـد لتشـمل الإشـراف علـى حمايـة العـروش وتنظـيم العلاقـات العامـة للسـكان فـي مختلـف الجوانـب [2] المتكونـة مـن الفقهـاء والمعلمـين وقـرارات العزابـة نافـذة علـى الجميـع، ويسـاعد حلقـة العزابـة رؤسـاء العشـائر فـي تنفيـذ قرارتهـا علـى مسـتوى كـل عشـيرة. تضـاءل دورهـا خـلال فتـرة الحكـم الفرنسـي للمنطقـة فاقتصـر علـى الجبايـة التـي تـدفع كـل سـنة عـن طريـق القائد والذي يدفعها بدوره للحاكم سواء بغرداية أو بالأغواط [3].

يعتبـر النظـام العشـائري وحلقـة العزابـة أهـم ركيـزتين يبنـى عليهمـا النظـام الاجتمـاعي عنـد الإباضـين[4]، فكلاهمـا يضـمنان اسـتمرار الحيـاة فـي ظـل التكافـل والتـآزر، اختصـرت فرنسـا اختصاصـات الجماعـة بعـد الضـم؛ وانتزعـت منهـا مهامهـا التـي رأتهـا أنهـا تشـكل خطـرًا علـى تواجـدها بالمنطقـة، حيـث تركـت لهـا مهمـة السـهر علـى شـؤون الأمـن داخـل أسـوار المدينـة وخارجهـا ونظافتهـا، فأسسـت لجنـة المدينـة المتكونـة مـن 3 إلـى 5 أشـخاص مـن المـدن، وأجبـرت معظـم الجماعـات الميزابيـة علـى تغييـر رؤسـائها بـ"القواد" الـذين راوغ بعضـهم فرنسـا، وشـاركوا فـي امـداد المقاومـات الشـعبية التـي عرفهـا الجنـوب الجزائـري، واسـتبدالهم بـآخرين كـانوا فـي خـدمتها؛ فهـؤلاء القـواد الجـدد ظلـوا يجمعـون بـين رئاسـة الجماعـات باعتبـارهم أعضـاء منهـا وبـين التعيـين الحكـومي يتقاضـون مرتبـاتهم مـن الإدارة، فـي حـين لهـم الحـق فـي رئاسـة مجـالس الجماعـات حـين

1-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.2،ص57

2-حمو محمد عيسى النوري، المرجع السابق، ص161.

3-يوسف بن بكير حاج سعيد، المرجع السابق، ط.2، ص31.

4-Masqueray(Emile), Chronique D'Abou Zakaria, Imprimerie de l'association ouvrière V.aillaud et C^{ie}, Alger, 1879, PP252-257

يحضـــرونها، وكـــذلك أصـــبح رئـــيس الجماعـــة الملقـــب "بالخليفـــة" الـــذي تعينـــه الإدارة الفرنسية عند عجز أو وفاة قائد؛ ومن بين قواد المدن السبعة بعد الضم: باحمد بن عومر بالولو قائدًا على غردايـة الحـاج يوسـف بـن محمـد البـرار قائـدا علـى بـين يـزقن وبـوبكر بـن كاسـي ويحـي بـن كروايـة قائـدين علـى القـرارة[1]، ويحيـى بـن عفـاري قائـدا علـى بريـان وإبـراهيم بـن عيسـى قائـدا علـى بنـورة، ويوسـف بـن حـاجو قائـدا علـى العطـف وصـالح بـن الحـاج عبـد الرحمـان قائـدا علـى مليكـة. لـم يكـن القائـد حـرا فـي تصـرفاته بـل يشرف المنتخبين في الأمور العامة واحترام عرف البلدة[2].

كانـت للعـرب فـي الحضـر تنظيمـات اجتماعيـة تتمثـل فـي مجـالس للأعيـان الـذين يقومـون بالسـهر علـى شـؤون الأهـالي، فـي مختلـف جوانـب الحيـاة (كالمـذابيح، وبنـي مـرزوق والشـعانبة، وأولاد سـيدي يحيـى، والعطاطشـة وغيـرهم)؛ فكـان لهـم مجلـس يسـمى "بمجلـس العشـرة" ويضـم ممثلـين عـن أغلـب القبائـل العربيـة السـاكنة بـالوادي، ويكـون منـه وكيـل مكلـف بحفـظ أمـوال البـدو؛ وكـذا ضـامن الأمـن لتجـار القوافـل العـابرة. يقـدم قراراتـه للبـدو عنـدما تحـط الرحـال فـي فصـل الخريـف بـالوادي لجنـي الغلـة، وتبـادل المنتوجـات وإقامـة المناسـبات، وتجديـد التحالفـات والمشـاركة مـع زعمـاء المقاومـات، والنظـر فـي المشـاكل الإجتماعيـة والاقتصـادية. لكـن حالـه تغيـر بعـد 1882 م، بعـد أن وضـعت السلطات الفرنسية عينها على عمل المجلس مما اضطره إلى العمل في سرية تامة[3].

تعتبـر الفـرق العائليـة هـي الوحـدة الأساسـية فـي البنـاء العشـائري للقبائـل العربيـة وتتكـون مـن عـدة عـائلات، بحيـث تحمـل الفرقـة اسـم الجـد الأكبـر للعائلـة أو المكـان الـذي

1-محمد بن سليمان شتيوي، المصدر السابق، ص321.

2-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق،ط.2 ، ص 152.

3-عبد الحليم بيشي، المرجع السابق، ص 42.

قدمت منه، أما العرش[1] فهو مجموعة من الفرق العائلية اجتمعت مع بعضها البعض نتيجة أسباب سياسية واقتصادية واجتماعية[2].

فقبيلة الشعانبة مثلا تمتلك نظامًا يعتمد في تقسيماته بالعروش والفرق، فهو ينقسم إلى صفين متنافسين هما :الصف الشرقي والذي يمثل الجناح الانفتاحي والصف الغربي والذي يمثل الجناح المحافظ، نجد على رأس الفرقة العائلية شخص يسمى "الضامن" أو "كوراط"، يُعين من طرف جماعة الكبار أو الأعيان وبنفس الطريقة يختار قائد العرش من طرف المجلس العشائري للكبار ولا يكون هذا المنصب وراثيا وإنما المناسب هو الأجدر به، كما يقوم قائد العرش بمهمة القضاء والتفاوض مع القبائل المجاورة، أما في حالة حدوث غزو أو هجوم فإن جماعة العشيرة تختار من هو أهل لأمور الحرب؛ لأن نظام القبيلة الديمقراطي لا يسمح بالجمع بين المسؤوليات السياسية والعسكرية[3]، ويحكم المجتمع المالكي قانون تقوم بوضعه جماعة الكبار يشرف على شؤونه في مختلف نواحي الحياة والكل عليه احترام رأي الكبار[4]، يتميز المجتمع المالكي بولائه لسلطة شيوخ العرش أو الجماعة وكبار الحي أو العائلة لما يتمتع به هؤلاء من احترام وهيبة نفوذ رأي وفعالية[5].

إن التمييز بين البدو والحضر في ميزاب، يكمن في أن الميزابيين كانوا كلهم يسكنون الحضر، أما البدو فكانت صفة القبائل العربية، هذه الأخيرة التي يصعب التمييز بين أهلها البدويين والحضريين؛ لكون الكثير من البدو الرحل يملكون حقول

1-العرش: العشيرة ، تعشيرت تجمع سكاني قبلي يضم عددًا من القبائل والأفخاذ ويخضع لكبير يسمى شيخ العرش. ينظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،ج.9 ص10.

2-عبد الحميد مسعود بن ولهة، الحركة الوطنية والثورة التحريرية بناحية غارداية ادارياً وتنظيمياً، ج.1دار صبحي للطباعة والنشر،2013، ص37.

3-إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص165.

4-عبد الحميد مسعود بن ولهة، المرجع السابق، ص83.

5-حمادة أحمد التجاني، المرجع السابق، ص 26."

نخيل ويعيشون فيها لبعض الوقت من السنة، والكثير من سكان الحضر يملكون قطعانا في الصحراء، ويضطرون في بعض الأوقات لمراقبتها عن كثب والتعرف على أحوالها وخصوصًا في فصل الربيع؛ ويتكون المجتمع الحضري في وادي ميزاب من عدة فئات اجتماعية يمكن تصنيفها وترتيبها حسب أعمالها وتأثيرها ومكانتها في المجتمع .

3-فئات المجتمع: من أهم فئات المجتمع نجد:

أ-رجال السلطة: هي السلطة الأهلية المتعاونة مع الإدارة الفرنسية "القياد والشيوخ" الممثلين لقبائلهم، فبعد إبرام المعاهدة بين فرنسا وأعيان الميزابيين في29 أفريل1853 20رجب1269هـ بدأت بتقديم المجموعات الأولى لقيادها، فالمدن الميزابية قد حافظت على أنظمتها القديمة فنجد في كل مدينة القائد الذي يتولى السلطة على جانب المجلس البلدي بالسلطة الواسعة عن المدينة وتشمل البوليس واستخلاص الضرائب وتوزيع المياه... إلخ[1]. فالوالي العام يتدخل في تسمية القياد بعد أن يختار واحد من ثلاثة يستخرجهم المجلس البلدي ويجتمع قياد المدن الميزابية شهريًا، ويمكن أن يتكرر الاجتماع وفق الظروف الطارئة، ويحضر القياد تلك الاجتماعات كممثلين في المجالس البلدية ويتخذون مقرراتهم بأغلبية الأصوات فيما يتعلق بالشؤون العامة الإدارية، الاقتصادية والدينية، أما ممثل السلطة الفرنسية فهو رئيس المكتب العربي(بيرو عرب)، وهو يتدخل في أمور مجلس القياد لعرض مقترحاته التي لا تكون نافذة إلا بعد مصادقة المجلس عليها[2] وأول من عينته على لهذا المنصب هو اليهودي الآغا يتيح عام 1860م ولكن الجماعة الميزابية اعتبرت ذلك إهانة وتدخلاً في شؤونهم الداخلية ومناقضًا لمضمون معاهدة الحماية؛ فقتلوه وانجر عن ذلك غرامة

1-عمر بن عيسى بن براهيم الحاج محمد، مذكرات ووثائق رسمية عن وادي ميزاب من ناحيته الدينية والسياسية والإجتماعية من سنة 1853 إلى سنة 1951، مطبعة النهضة، تونس، 1951م ، ص 74.

2- عمر بن عيسى بن براهيم الحاج محمد، المرجع السابق، ص 75.

مالية قدرت بـ 40000 فرنك[1]. وبعدما أن احتل النقيب دو باراي Du Barai القرارة تدخل في تعيين كل من يحيى بن كراوية قائدًا لصف الشرقي وبوبابكر بن كاسي قائدًا للصف الغربي[2]، ثم تعيينها للسيد كاسي ابن إسماعيل الملقب بالزرويل قائدًا على نفس المدينة عام 1858م[3]، وتواصل بعد ذلك تعيين قواد الأعراش والقبائل في المنطقة لخدمة مشاريعها ومنع وصول لهيب المقاومات للمنطقة، لأنها اقتنعت بأن ميزاب بمستواه الاقتصادي والفكري مقارنة بمناطق الجنوب الأخرى، لذا خسارته تعني خسارة باقي مناطق الجنوب[4].بالإضافة إلى قضاة المحاكم الشرعية[5] ومساعديهم الذين عادة ما يكون المسجد مكانًا لإصدار قراراتهم، وكثيرًا ما حاولت السلطات الفرنسية التقرب منهم وكسب ودهم وضمان عدم معارضتهم لمصالحها وأفكارها التوسعية .

ب-فئة رجال الدين: وتتمثل في مشايخ حلقة العزابة والأئمة، الذين يمثلون خيرة أهل البلد علمًا وصلاحًا، وتشرف على شؤون المجتمع الإباضي الدينية والتعليمية والإجتماعية والسياسية الاقتصادية [6]. فالانتماء للهيئة يكون وفق شروط معروفة محددة للمنظم إليها حتى تكون قراراته سليمة، كما يدخل ضمن هذه الفئة علماء المالكية والمرابطون وشيوخ الطرق الصوفية والمساعدين لهم من المقاديم أو خدام الطرق وخصوصًا أتباع الطريقة البوشيخية والعلماء، ولهم تأثير فعال على الأهالي كعبد العزيز الثميني والشيخ أبو يعقوب، والشيخ يوسف بن محمد، والشيخ أبو يعقوب

1-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.2، ص132.

2-Amat,Op.Cit.P21.

3-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق،ط.2، ص137.

4-مفدي زكرياء، المرجع السابق، ص 153.

6-تختص المحاكم الشّرعية المالكية بالنظر في القضايا والشكاوي المرفوعة إليها، وتتم ومعالجتها وفق مذهب الإمام مالك، أما فيما يخص المحاكم الشّرعية الإباضية فإنها تنظر في معالجة القضايا وفق المذهب الإباضي.

6-حمو محمد عيسى النوري، المرجع السابق، ص155.

يوسف بن حمو بن عدون، والشيخ اطفيش ومنصور بن الطيب الزناخري، وسيدي التومي بوحميدة والحرمة بن أحمد وقدور بن لخضر.

ج-فئة القضاة: كان القضاء من اختصاص أعضاء هيئة العزابة التي تتولى فصل الخلافات بين المتخاضمين، ويعتمدون في حلها على ما جاء في كتاب "الايضاح[1] والديوان" اللذين هما عمدة المذهب الإباضي في الزمن القديم أو من كتاب "النيل" في الفترة الحديثة، ولإصلاح ذات البين تسجل العقود من طرف كاتب تعينه الهيئة ذو خط جميل تجيز كتابته، وهو بمثابة باش عدل يقوم بعمله مقابل أجرة معلومة[2].أدخلت فرنسا تغييرات على نظام القضاء، فكان القاضي يختاره فضلاء البلد من بين هيئة العزابة ويلقبونه " بشيخ العزابة"، ثم أخذت فرنسا تتدخل شيئًا فشيئًا في هذا الأمر وتتحرى في اختياره، كما غيرت إسم شيخ العزابة بـ" القاضي". ففي عام 1882م أحدثت سبع محاكم إباضية بميزاب، وتم إنشاء مجلس للاستئناف بغرداية في 1 جانفي 1883م-21صفر1300هـ. وفي نفس السنة صدر مرسوم إنشاء محكمة صلح في نفس المدينة يتولى القائد العسكري بصفة مؤقتة مهمة قاضي الصلح فيها، ويتم الاستئناف لأحكامها أمام محكمة البليدة [3] وأجرة القاضي تكون من دخل المحكمة، وكل نزاع يقع في وادي مزاب بين ميزابين وعرب لا يكون فصله على حسب ما اقتضته القوانين الإباضية وأنّ الأحكام التي أبرمها رؤساء المحاكم الإباضية والمجلس الإباضي في بلد مزاب لا تتعقب ما عدا أمام محكمة فرنسية [4] .

1-كتاب الايضاح: كان مرجع الفتوى في جبل نفوسة للإباضية، يقع في أربعة أجزاء في الفقه المقارن بين أقوال العلماء يوضح الآراء ومستنداتها ويرجح ما يراه صوابا بالحجة والدليل، أشهر كتب عامر بن علي بن عامر الشماخي(ت.1389). ينظر: معجم أعلام الإباضية، ج3، ص502.

2-أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص ص 116-117.

3-يوسف بن بكير حاج سعيد،المرجع السابق،ط.4،ص ص 179-184.

4-إبراهيم بليدي، المصدر السابق، ص ص77-78.

د–فئة التجار: وتشمل التجار الأغنياء الذين يملكون دكانًا أو أكثر في ميزاب عبر مدنها السبعة مع بساتين النخيل، كما يملك بعضهم دكاكين أخرى في مدن الشمال وخارجها ومنهم من يملك قوافل تجارية داخل وخارج المنطقة وللبعض ثروة كبيرة من رؤوس الماشية.

هـ–فئة الفلاحين: هم الفلاحين الذين يمارسون نشاطهم في بساتينهم أو بساتين الغير وهناك من يكلف بها الخماس مقابل خمس المنتوج. فنظام الخماسة هو النظام المتبع في العقود الزراعية منذ القديم عند أهل المنطقة، ويصفه الملازم درمنياك D’armagnag : "البعض من أبناء الشعانبة الرحل يمتلكون بساتين ولكن يتركون أمر الاهتمام بها إلى الخماس"[1]، ويشتغل في بساتين الميزابيين أبناء العرب، وقد وضعوا لذلك أعراف وتقاليد.

و–فئة العمال: ويمثلون غالبية السكان، وتتشكل من الطبقة الفقيرة من المجتمع خصوصاً عند بعض البدو الذين فضلوا الاستقرار في المدن، أو حتى من بعض فقراء المدن الأخرى في االحضر أو من خارجه، دفعتم الحاجة والظروف إلى الاستقرار عبر فترات متلاحقة وممارسة أعمال منوعة؛ ومنها الحدادة، النجارة، الفخار، صناع الأحذية، والأسلحة، وعمال البناء وهؤلاء الأخرين يتلقون راتبًا معتبرًا؛ يتراوح مابين 10 إلى 12 فرنك في اليوم، كما يتلقى حفارو الآبار ميلغ يومي يقدر مابين 5 إلى 7 فرنك في اليوم[2]، ومع تطور الحركة العمرانية عند نهاية ق.19م زادت الحاجة إليهم لذلك وفد إلى المنطقة عديد المشتغلين في هذه الأعمال، وما يتصل به من مهن من جهات عدة؛ سواءً في أعمال النقل أو في الأشغال العامة والتي قامت بها الإدارة الفرنسية بعد الضم.

1-D’armagnac, Op.Cit.PP126.
2-Robin , Op.Cit.P17.

ت–فئة الحرفيين: وتشمل الحرفيين الذين يزاولون الدباغة والحدادة والصياغة وصناعة الأسلحة وتصليح الأحذية، وخصوصًا الحرفيين من النساء اللواتي يزاولن حرفة الصناعة النسيجية في البيوت، فلا يكاد يخلو بيت من بيوت ميزاب أو تحت خيمات البدو من وجود منسج للمنتوجات الصوفية، كما أن الفئة الممتهنة لصناعة الحلي كانت تخص اليهود، وفئة أخرى تمتهن صناعة الجلد وخصوصًا المصنوعات من الجلد المسمى الفيلالي؛ كالأحذية والبلاغي وصناعة الدلاء والقرب[1].

يشتغل أغلب سكان منطقة واد ميزاب وخصوصا الميزابيين في مجال التجارة كونها الوسط التجاري الأكثر أهمية في كل الأوساط الصحراوية الأخرى ؛ سواء كانت تجارة داخلية أو خارجية ويرجع اهتمامهم بهذا النشاط الى مجموعة من العوامل أهمها تزايد عدد السكان وتطور الحركة العمرانية وضعف المردود الفلاحي، ما أجبرهم على التفكير في موارد أخرى للعيش يضمون بها إعالة أنفسهم وأهاليهم[2]، لذلك فضلوا الغربة من أجل جمع الأموال والاهتمام بالبساتين [3]، لا توجد لدينا أرقام دقيقة حول الفئات المهنية خلال ق. 18 م و19 م ، كما أن السلطات الفرنسية لم تقدم إحصائيات عن عددهم ووضعهم بالتفصيل ولاحتى الذين اهتموا بتاريخ المنطقة، ما جعلنا نفقد معطيات مهمة عن هذا الجانب، ثم يأتي النشاط الفلاحي الذي تشتغل به فئة معتبرة ؛ سواء كانوا ملاكين أو فلاحين عاملين في البساتين من البدو الشبه مستقرين أو من الزنوج أو حتى من أهل الحضر، فيقومون بتكليف الرعاة بالاهتمام بماشيتهم في الصحراء من طرف الأعراش المالكية.

1–مفدي زكرياء، المرجع السابق ، ص223.

2–يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.2، ص 53.

3-Lehuraux, Op.Cit .P 119.

ثم نجد القطاع الصناعي التقليدي الذي يستقُطب فئة كبيرة من العمال في مجال صناعة الحلي والمعادن والفخار والجلود والصناعات النسيجية سواء في الحضر أو في البدو[1]، إضافة إلى نشاطات أخرى عرفت انتشارًا مع النصف الثاني من ق.19م كأعمال البناء، وشق الطرقات وتعبيدها وتشييد المؤسسات الفرنسية، ونجد أيضا موظفي الإدارة الفرنسية والعسكريين في الفرق الصحراوية المكلفة بخدمة فرنسا[2].

4- **إحصاء السكان:** لم يكن من السهل إحصاء سكان وادي ميزاب بالنظر لعدة معطيات أبرزها:

-عدم استقرار نسبة مهمة من السكان تمارس حياة الترحال في صحراء العرق الشرقي. زيادة إلى أن أعداد من الحضر يعتبرون شبه رحل لشهور من السنة يضاف إلى ذلك أن سكان المنطقة من الإباضين امتهنوا التجارة في الشمال أو كانوا عاملين هناك بصفة مؤقتة، كما أننا لم نعثر على وثائق إحصائية تخص السكان وهو الأمر الذي جعلنا لا نتعرف على عددهم خلال القرن الثامن عشر وحتى النصف الأول من القرن التاسع عشرالميلادي؛ فالحالة المدنية لم تؤسس إلّا مع العشر السنوات الأخيرة من ق. 19م حيث بقيت سجلات الحالة المدنية فارغة ولم يسجل بها الأهالي عقود زواجهم والولادة[3] أو حالات الوفاة منذ 1887م[4]. وقد حاول وليم شالير التعرف على عددهم عند عشرينيات القرن التاسع عشر، عندما يقول " أبلغني طالب ينتمي إلى وادي ميزاب ويقيم في الجزائر...أن عدد سكان المنطقة يبلغ في اعتقاده25.000 نسمة وهو تقدير يبدو لي مبالغاً فيه"[5]، ونعتقد أن وليام شيلر محق في ذلك لعدة

1-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.2، ص ص 222-224.

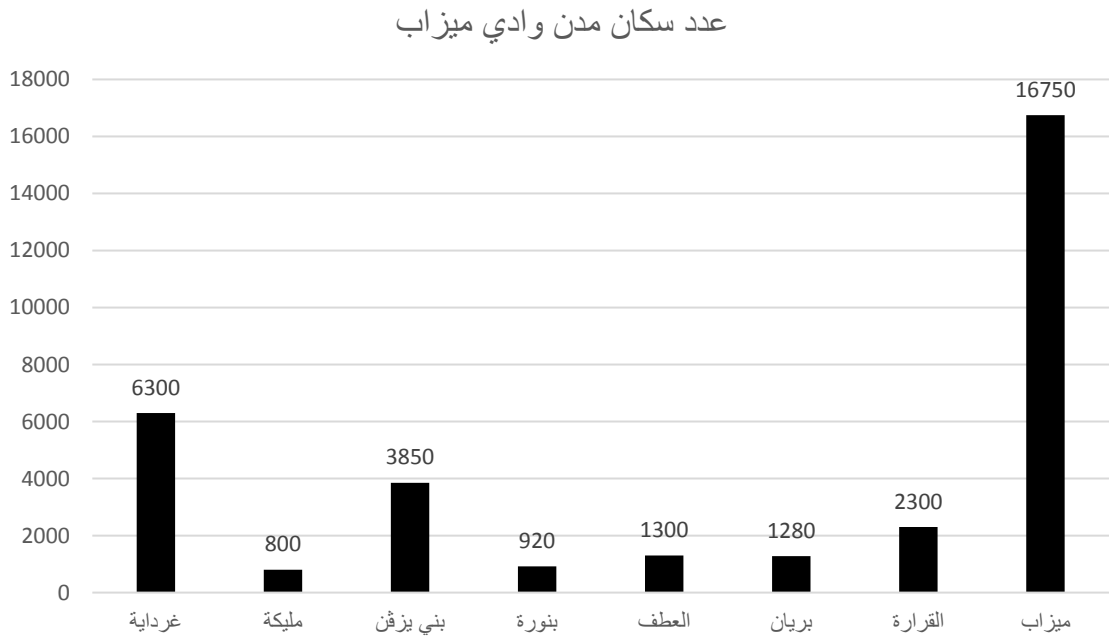
2-Écloud ,Op.Cit. P 114.

3-الأرشيف التاريخي الولائي الخاص بالفترة الاستعمارية، البلدية الأهلية بغرداية، سجل الوفيات رقم 19 ،سنة 1892م.وسجل رقم 23 سنة 1897م.سجلت بها حالات وفاة الأجانب من الأوربيين فقط.

4-الأرشيف التاريخي الولائي الخاص بالفترة الاستعمارية، البلدية الأهلية بغرداية، سجل عقود الزواج، رقم 10 ، سنة 1893م.

5- William Shaler,Esquisse de l'état d'Alger, éditions Bouchene,Paris,2001,P79.

أسباب منها عدم وجود إحصاء دقيق عنهم في تلك الفترة، وماهي مصادر هذا الطالب الذي استقى من عنده المعلومة. وقد تم إحصاء السكان في سبتمبر من عام 1861-26صفر 1278هـ فكانت الأعداد كما يلي[1]:



يبدو من خلال الرسم أن العدد المذكور (حتى في بعض المراجع الغربية) ليس دقيقًا، كما أنها اتسمت بالتضارب والتناقض، ففيل Ville على سبيل المثال يقدر عدد سكان غرداية سنة 1861م بـ11،400نسمة، فيما قَدَر عدد سكان مليكة بـ 3200 شخص، وعدد سكان بريان بـ1300 نسمة، وقد ورد في كتاب فيل Exploration: ville Géologique Du Beni Mzab أن مجموع عدد السكان في منطقة وادي ميزاب بما فيها بريان والقرارة بلغ عند ستينيات القرن التاسع عشر الميلادي 27،200 ساكن، وهي الأرقام التي تباينت في الإحصاءات الغربية الأخرى منذ أن بدأت تهتم بالمنطقة وبدراسة السكان. من خلال الجدول لا نجد تفصيلاً في عدد الأهالي

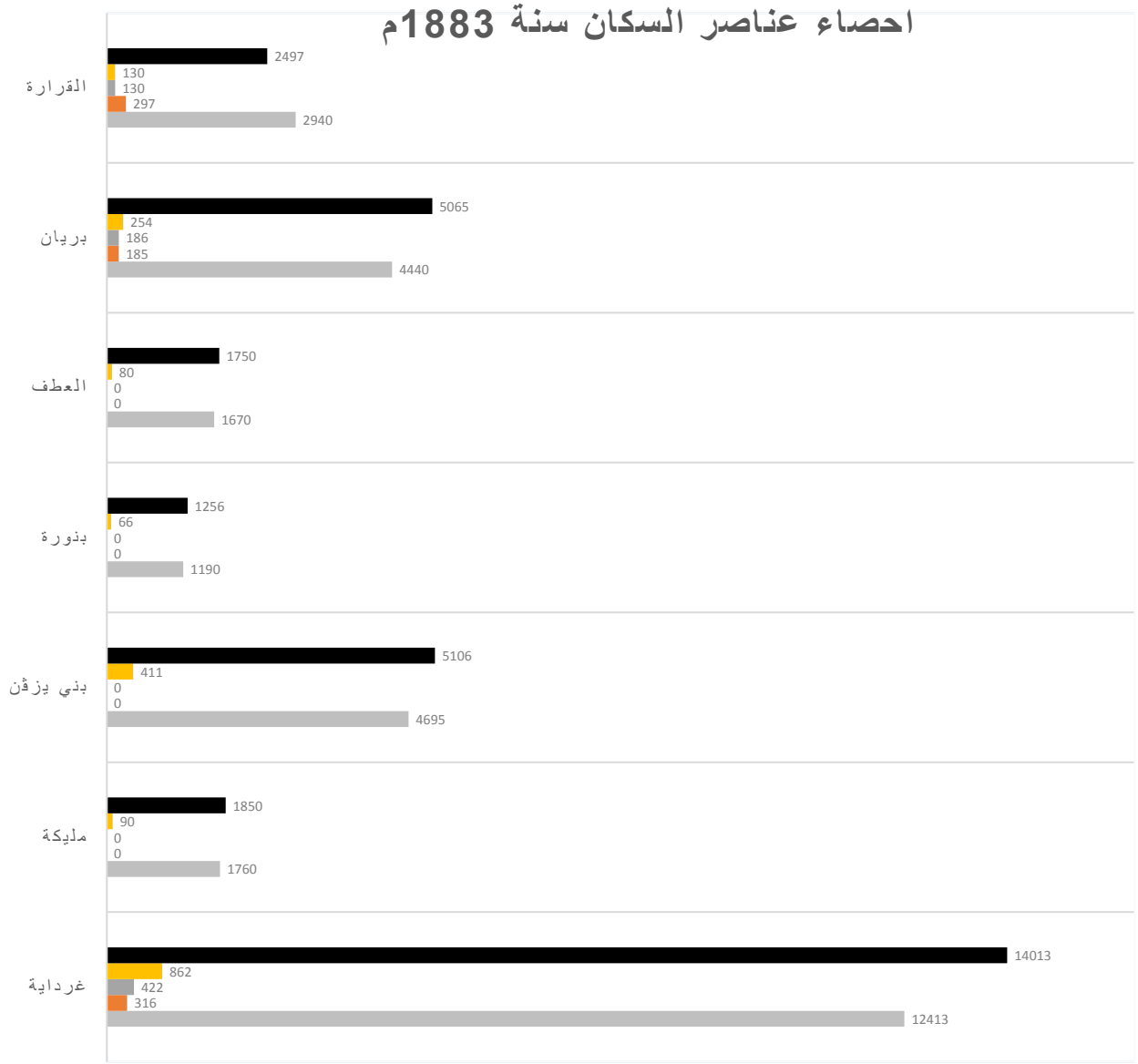
1-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.4 ، ص 145.

جميعهم، من إباضية ومالكية ويهود ووصفان، لذلك نطرح النقاط التالية: هل الإحصاء خاصٌ بالإباضين فقط؟ أم هو عددهم جميعا؟

وبعد أكثر من عشرين سنة أحصى امات Amat سكان وادي ميزاب سنة 1883 فكانت الأرقام في الجدول الآتي [1]:

المدينة	إباضي	مالكي	يهودي	العبيد	المجموع
غرداية	12413	316	422	862	14013
مليكة	1760			90	1850
بني يزقن	4695			411	5106
بنورة	1190			66	1256
العطف	1670			80	1750
بريان	4440	185	186	254	5065
القرارة	2940	297	130	130	2497
ميزاب	29108	798	738	1893	32537

1-Amat,Op.Cit .P226.



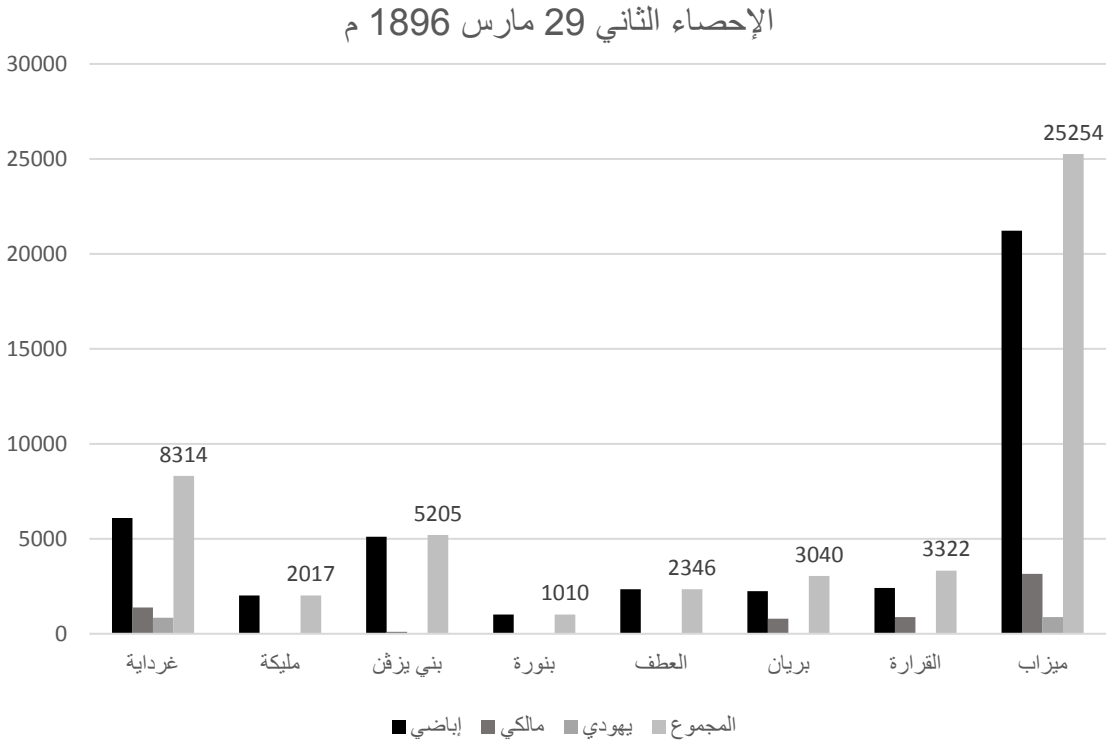
فترومیلـــي Trumelet يقـــدم رقمًـــا غيـــر مفصـــلاً عـــن إحصـــاء الســـكان الـــذي قـــدره بحـــوالي30.000 نســـمة مـــوزع علـــى مدينـــة غردايـــة بـــ 11.000نســـمة، وبنـــي يـــزقن ب5500نســـمة[1]، دون أن يقـــدم توضـــيحات عـــن أســـباب تقديمـــه لهـــذه الأعـــداد، والأســـس التي تم بها ذلك.

1 -Trumelet (corneille), Les Français Dans le Désert, Challamel ainé, Paris, 1885,P398

أما الإحصاء الموالي فجاء في 29 مارس 1896 م[1]–14شوال1313هـ:

المدينة	إباضي	مالكي	يهودي	المجموع
غرداية	6093	1380	841	8314
مليكة	2017			2017
بني يزڤن	5105	100		5205
بنورةئ	1010			1010
العطف	2346			2346
بريان	2243	795		3040
القرارة	2408	880	34	3322
ميزاب	21224	3155	875	25254

من خلال الجدولين نرى انخفاضًا في عدد السكان ما بين 1883 و1896 م



1–يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط .4 ، ص199.

بين مدينة وأخرى؛ فمثلاً بمدينة غرداية نجد السكان الإباضيين يقدر بـ 12413 نسمة سنة 1883م لينخفض إلى النصف بعد أكثر من ثلاث عشر سنة إلى 6093، بينما ارتفع عدد السكان في بني يزقن ارتفاعًا طفيفًا من 4695 إلى5105، في حين ارتفع عدد السكان العرب بمدينة غرداية من 316 بعد الضم إلى 1380 خلال الإحصاء الثاني، وبلغ عدد سكان القرارة من الإباضيين في الإحصاء الأول بـ2940 لينخفض إلى2408، ووصل عدد العبيد في الإحصاء الأول في المدن السبعة الى 1893 عبداً، مع زيادة معتبرة لليهود بعدما كان عددهم سنة 1883 يقدر بـ 422 يهودياً إحداهما ليصل إلى 841 في نفس المدينة، لكن رسالة الحاكم العام بالأغواط عام 1872م، قدرت عددهم بحوالي 150 عائلة يهودية ولكنه يبقى رقمًا تقديريًا لأن فرنسا لم تكن ضمت المنطقة بعد[1]، يشير هوجي إلى وجود 133 منزلاً يضم 110 عائلة بتعداد 841 شخص في المنطقة من مجموع سكان يبلغ عددهم25254 شخصاً لذلك يكون تعداد الجالية اليهودية قد بلغ سنة 1896م 900 يهودياً منهم 845 في غرداية و34 في القرارة[2]. وذكر بول سوليبه نهاية سبعينيات ق. 19 م عدد سكان كل مدينة من مدن المنطقة في الأرقام الآتية:

غرداية: 14000 إلى 16000 ساكن.

بريان: 10000 إلى 12000 ساكن.

بنورة: حوالي 2000 ساكن.

مليكة: 4000 إلى 5000 ساكن.

العطف: 6000 ساكن.

1- Marcel Mercier, Les Juifs Du Mzab et Israél,In Travaux de L'Institut de Recherches Sahariennes,T.xIx (1er et 2me semestres1960),Universite D'alger,P122.

2-Huguet, les juifs de mzab,P5

القرارة: 7000 ساكن[1].

أما بالنسبة لعدد المنازل فنجد في القرارة 600 منزل تشمل 2281 عائلة، منها 614 إباضية و214 عربية، أما في غرداية فنجد3000 منزل و100 عائلة يهودية و35 عائلة من أولاد باخة، أما في بريان فهناك 300 منزل، وفي بني يزقن 800 منزل و500 منزل بالعطف، و250 بمليكة و80 ببنورة[2].

لا تخلو الأرقام الفرنسية السابقة من المبالغة والتضارب ومن النقص والزيادة في العدد الإجمالي لسكان المنطقة، إلا أنها تعطينا معلومة مهمة تتمحور حول العدد التقريبي للسكان، ورغم أنها قُدِمَت في وقت مبكر من النصف الثاني من القرن 19م إلاّ أنها تختلف اختلافاً واضحاً في تحديد العدد الحقيقي للسكان، ودون أن توضح لنا الأسباب المؤدية إلى ذلك؛ ونقدم فيما يلي بعض العينات الإحصائية عن عدد السكان، فخلال سنة 1861م أحصى فيل سكان مدينة غرداية بـ 11.400 نسمة، في حين قدر عددهم أمات بعد أكثر من عشرين سنة بـ 12413 نسمة دون أن يقدم أسباب الفرق والانخفاض في ذلك، لينخفض بعد ذلك سنة1896م إلى8314 في نفس المدينة، والراجح أن الإحصاء كان التركيز فيه على سكان المدن دون أهل البادية والنواحي المحيطة من المنطقة، وتراوح بحسب الغربين عدد السكان اجمالاً ما بين 25،000 و32،000نسمة، وقد قدر بول سوليه Paul solleillet من جهته عدد السكان عند منتصف السبعينات من القرن 19م بحوالي 43،000 و47،000 نسمة ونلاحظ أن بول سوليه خالف الأرقام السابقة التي قدمها سابقوه، وعلى العموم اختلفت الآراء بشأن عدد سكان وادي ميزاب.

ونرجح أن تعود أسباب هذا الارتفاع والانخفاض في السكان إلى:

1-Paul solleillet, l'Afrique occidentale, Algérie,Mzab,Tildikelt, Imprimerie de E.Seguine Aine,1877,PP69-70.
2-Amat,Op.Cit.P227.

-هجرة البعض إلى الشمال واستقرارهم هناك وممارسة التجارة وعدم عودتهم إلى المدينة الأم، أو بسبب القوانين العرفية التي تحد من ذلك وتفرض عقوبات النفي للمخالفين، فيفضل الكثير منهم البقاء في المدن التي هاجروا إليها وهو ما يؤدي إلى نقص وتذبذب العدد الحقيقي للسكان، بالإضافة إلى الفتن والانقسامات الحاصلة بين أغلب الأعراش وقبائل المنطقة والمنقسمة إلى صفين شرقي وغربي؛ بسبب العصبية المذهبية والقبلية وضيق النظر لأسباب تافهة، هذه الفتن انتقلت إلى بعض العائلات المنتمية إلى هذا الصف أو ذاك ما جعلها تنتقل للعيش جوار صفها المنتمية إليه؛ مثلما حصل لأولاد باخة الذين انتقلوا رفقة أربعين عائلة إلى الأغواط واستقروا بها والتي أنهكت قوى الأهالي وعاقت نموها وتقدمها، وقد أدت مرارًا إلى نفي عشائر بل إلى تدمير أحياء كاملة وتقسيم البعض الآخر وعدم استقرارها في مكان معين على مدى قرون.

-التنقل المستمر لبعض أسر الحضر إلى البادية لشهور معينة في السنة، وربما صادفت عملية الإحصاء رحيلها وعدم وجودها بالمنطقة مؤقتا، كما لا ننسى بأن قبول الأجنبي وخصوصًا الفرنسي لم يكن مرحبًا به من طرف الأهالي، لذلك لم يتعاملوا مع الإدارة الفرنسية بشكل كبير، ولم يقدموا لها المساعدة للوصول إلى الرقم الحقيقي للسكان، وخلال اطلاعنا على أرشيف المكتب العربي بغرداية لم نجد تسجيل حالات الوفاة أو حالات زواج الأهالي والولادة بمصلحة الحالة المدنية للبلدية الأهلية بغرداية عدا بعض حالات الوفاة والزواج للأجانب بها، وما كان يهم الإدارة الفرنسية هو انجاز عمل الإحصاء بأي شكل من الأشكال، ليشاع بأنها قدمت إضافة مميزة في الحياة الإجتماعية للمنطقة. فهذا كولونيل الأغواطDe-Sonis [1] يطلب المساعدة من جنرالـه سنة 1868 م، لقمع المتمردين على فرنسا بالمنطقة وما جاورها بعد تقديمهم الدعم

1-شارك دي سونيس في اخماد أحداث وادي ميزاب 1867و1870م.

للمقاومات الشعبية؛ وخاصة جماعة المذابيح[1] سنوات 1867-1870م الذين يبدوا أن عددهم كبير؛ لدرجة أنهم شكلوا ازعاجاً سياسياً واجتماعياُ للعدو ما جعله يطلب المساعدة العسكرية، لذلك تم تحويلهم إلى مكان يبعد حوالي 5 كلم شمال غرداية[2].

-ساعدت الأوبئة والظروف المناخية في كثير من الأحيان في تناقص عدد السكان كالكوليرا والتيفويد والطاعون[3]، الذي كان يحل بمدن الشمال خصوصًا ويؤدي إلى وفاة عدد معتبر من المغتربين هناك؛ كالذي حدث عام1787م بمدينة الجزائر وأودى إلى وفاة جل بني ميزاب المستخدمين في الحمامات العمومية[4] والمجاعات؛ التي ضربت الجزائر سنوات 1867-1869م، حيث نقصت التّمور وارتفعت أسعارها ولم يجد سكان البدو ما يأكلونه، فهلكت حيواناتهم بسبب الجفاف، ما اضطرهم إلى أكل الجرابيع والقنافد وبعض الزواحف، وبعض النباتات الصحراوية كالدانون[5] والتي أدت بحياة العشرات. إن الإحصاء الذي قدمه كل من بول سوليبه وامات لمسنا فيه زيادة عدد السكان وربما يعود ذلك:

-مشاركة الأهالي في واجب الدفاع عن الوطن عبر مقاومة الإحتلال الفرنسي، حيث شارك ألف رجل ميزابي في الدفاع عن الجزائر، ولا ندري كم توفي منهم وكم بقي في الجزائر، وكم عاد إلى المنطقة؟ ولكنه مهم بالنسبة لعدد السكان في المنطقة، وكان من نتائج مشاركة أبناء المنطقة مع الزعامات الشعبية منذ1852 إلى 1900م استشهاد الكثير منهم، كما أُرغِمَت بعض القبائل إلى الانسحاب والفرار لعدة جهات

1-De Sonis, Op.Cit.P 1.

1-Moulias, Op.Cit.P210.

3-عرفت المنطقة ظهور انتشار بعض الأوبئة سنوات 1780-1813-1814-1817-1899م، والمجاعات أعوام 1806-1836-1883م.ينظر: يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.2،ص، ص 120-194-195.

4-لوسات فلنري، المغرب العربي قبل الإحتلال (1790-1830) تر.حمادي الساحلي، دار سيراس للنشر، تونس 1994، ص125.

5-Le Chatelier,Op.Cit.p42.

بعيدة لم يشملها، بسبب السياسة والقوانين الفرنسية المجحفة. ومع كل ذلك انعدام المصادر المحلية (مخطوطات ووثائق) من الاهتمام بإحصاء سكان المنطقة خلال هذه الفترة، ما يجعلنا نتساءل عن الطريقة التي توصلوا بها إلى جمع المعلومات الخاصة بهذا الأمر، فهل كان هذا الإحصاء دقيقًا ومن قام به؟ وعلى أية أسس تم ذلك؟ وماهي المدة التي استغرقها عملية الإحصاء؟ وهل تم إحصاء أهل البدو الساكنين بمحيط الوادي؟ ومن هم الذين قاموا به؟ وماهي الظروف العامة المصاحبة للإحصاء وهل شمل المغترين في مدن الشمال الذين يأتون في أوقات معينة؟ وهل صادفهم الاحصاء؟ كلها أسئلة تحتاج إلى التعمق أكثر لمعرفة عدد سكان المنطقة الدقيق والحقيقي، كما أنهم لم يفصحوا عم مصادر هذا الإحصاء. لذلك نعتقد بأن الأعداد المُقَدَمة هي تقريبية ومهما كانت هذه الأعداد، فإننا لا نملك الإحصاءات الدقيقة للعد الحقيقي للسكان خصوصاً في القرنين المذكورين.

5-**العلاقة بين الحضر والبدو** : تميزت العلاقة بين الأهالي بالتوتر أحيانا والاستقرار أحيانا كثيرة وقد نقلت لنا المصادر والمخطوطات عديد الوقائع والاضطرابات التي كانت تحصل بين الميزابيين والقبائل العربية بالوادي منذ قرون عديدة، والتي اشتدت حدتها مع عصر الجهل والفساد، تقع من حين إلى آخر فتن؛ إما لصراع مذهبي وإما لمصالح يومية دنيوية أو بسبب المنافسة والانانية، لأن تركيبة المجتمع عشائرية وقبائلية، رغم عقد بعض الاتفاقيات بينهما من حين لأخر، والتي ما تلبث أن تحل فيحدث الاقتتال والتوتر من جديد[1]؛ وهو الأمر الذي ولد جوًا مضطرباً بين الساكنة يشبه حركة المد والجزر.

وعلى العموم كان هناك توافق بين الساكنة، ولولاه لما استطاعوا الوصول إلى ما هم عليه الآن ولغادرت إحداهما المكان، ويستحيل العيش دون الأخرى في أي حال

1-عبد القادر موهوبي، المرجع السابق، ص 129.

من الأحوال وتحت أي ظرف من الظروف، فعلاقتهم مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالمصالح ولا يمكن أن يعيش كل منهما دون الآخر، ولما انتبهت فرنسا إلى هذا الاضطراب الواقع بين الأعراش الساكنة، حاولت استغلاله ضمن سياسة فرق تسد؛ لخدمة مصالحها ويذهب بعض المستشرقين في كتاباتهم إلى تأكيد وجود صف شرقي وغربي في المدينة الواحدة؛ كدلالة على وجود الخلافات وعدم التوافق بينهم، ورغم ذلك لم تستطع أن تبث أفكارها الدنيئة بكتاباتها وأفعالها؛ لأن نشئتهم الدينية والوطنية الساكنة أكبر من أن تمرر عليها مثل هذه الأفكار الهدامة. فالعلاقة بين الأهالي واليهود كانت حسنة في مجملها، إذ عاشوا في سلام مع بعضهم حتى أنهم كانوا في بعض الأحيان يتراضعون ويتزاورون ويتعلمون اللغة العربية في الكتاتيب[1]. فقبيلة بني مرزوق وهبت لهم قطعة أرض، تقع بجانب حيهم عندما تضاعف عددهم به عام 1870م؛ ومع ذلك كان اليهود أذكياء في التعامل مع الأهالي ويدركون كونهم أقلية، لذلك اختلطوا بالسكان المحليين في علاقاتهم الإجتماعية والاقتصادية، ولم تغفل كتب الأولين عن توضيح ما يُشْكَلُ في تجارتهم مع المسلمين(البيع والشراء)، ولا بالاهتمام بأحوالهم مع غيرهم، إذ جاء في كتاب تفقيه الغامر بترتيب لغط ابن عامر في الباب الرابع والأربعين مايلي:"...ومن اشترى عبدا من يهودي ثم خرج بذلك العبد عيب فانه لايرده لليهودي...وانه لايقال ليهودي أبو كذا...وانه لاباس بترك اليهودي يدخل أولاده عند معلم اهل القبلة ليتعلمو الخط"[2]، كما كان لليهود دور تجاري هام بمدينة غرداية التي كادوا ينفردون بها في صناعة الحلي المختلف، فجمعت هذه القبائل علاقات اقتصادية تجارية ومالية واجتماعية قابلة للتأثير والتأثر كتبادل المنتجات والسلع بين سكان البدو والحضر، مع شيء من التبادل والتواصل الثقافي بينهما، وقد امتد هذا التعايش بين الساكنة إلى رفع النزاعات والدعاوى والنظر فيها بمجلس الاستئناف بمسجد عمي

1- محمد بن يوسف اطفيش، تفقيه الغامر بترتيب لغط ابن عامر(1319هـ/1901م)، ص119. نسخة بحوزتي

2 -نفسه، ص،ص 119-220.

سعيد، وشمل غير الإباضيين من العرب وحتى اليهود، وقد ذكر الدكتور بابا إسماعيل "وهذا أمر طبيعي راجع إلى التعايش القائم بينهما في شتّى المجالات الاجتماعية والاقتصادية؛ كالجوار وتبادل المنافع والتجارة والفلاحة والحرف المختلفة"[1]. كان من نتائج معاملاتهم في البيع والشراء والاستدانة أن تَطرح هذه الأنشطة الاقتصادية والتجارية المتنوعة نزعات وخلافات بينهم وبين المسلمين لأنهم يشكلون الأغلبية في التعاملات معهم، فمن الطبيعي أن تكون هذه الخلافات يومية بحكم الاحتكاك الاقتصادي والتجاري بينهما وتصل في أحيان كثيرة إلى المحاكم، وقد تضمنت المحكمة الشرعية الإباضية عدد معتبر من تلك الشكاوى والتعاملات مثلما جاء في الوثيقة المؤرخة في 17 ديسمبر 1899م-12شعبان1317هـ. وهي اعتراف بالدين بين لثلاث يهود من عائلة بالوكة الثرية بغرداية؛ الذين لم يكونوا بعد قد تحصلوا على الجنسية الفرنسية مع السيد بغباغة الحاج عمر، وقد رهنوا لأجل ذلك عقار ورثوه عن أبيهم لحين انتظار قضاء الدين[2]. وأغلب وثائق التعاملات والشكاوي قُيِدَت مع الربع الأخير من ق.19م، وما قبل ذلك لم نتعرف عليه أو أن التقييد وحل الخلافات كان يتم على الطريقة الشفوية بينهم، وحتى الكتاب الأوربيون الذين كتبوا عن اليهود وكتبوا عن المنطقة في رحلاتهم وكتاباتهم لم يتطرقوا إلى ذلك ولم يزيحوا الستار ويعالجوا هذا الموضوع، رغم تأكديهم بأن اليهود يعتبرون من كبار التجار في وادي ميزاب، وقاعدة تعاملاتهم الكبيرة كانت تتم مع المسلمين سواء من المنطقة أو تجار المدن المجاورة.

1-يوسف باباواسماعيل، القضاء في مجلس عمي سعيد نظامه-إجراءاته-مصادره (1300-1342/1883-1925 م)، أطروحة دكتوراه في العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر -1- بن يوسف بن خدة،2017-2018م، ص 170.

2-وثيقة اعتراف بالدين لثلاث يهود من غرداية والحاج عمر بغباغة، المحكمة الشرعية الإاضية، رقم392، وثيقة بحوزتي. ينظر: الملحق رقم19، ص524.

ومجمل الفصل لقد سكنت الوادي عدة قبائل وأعراش عربية وبربرية، قدمت من داخل الوادي وخارجه امتزجت مع بعضها، وكان من نتائج ذلك أن ازدادت الروابط الثقافية الفكرية قوة انبثقت عنها تركيبة اجتماعية جديدة ومنظمة، ومُشَّكِلة فسيفساء بشرية شملت أيضاً السود وحتى غير المسلمين من اليهود والأجانب. وما يميز الوادي هو وجود نمطين من الساكنة أهل الحضر وأهل البادية، لا نجد بالمجتمع طبقية واضحة كما هو موجود في المجتمعات الأخرى؛ وإنما يمكن تصنيف الناس حسب أعمالهم المنوعة والمنوطة بهم، ولم نتمكن من معرفة عدد السكان خلال ق.18م والنصف الأول من ق.19م لعدة أسباب، وقد حاولت الإدارة الفرنسية إحصاء السكان لأول مرة بعد المعاهدة ثم بعد الضم، وما ميز العلاقة بين الساكنة هو روح التعايش بسلام، مع بعضٍ من فترات المد والجزر في الخلاف والتنازع، بسبب العصبية القبلية والإنتماء للعروش والجهل، والتي تستمر نتائجها لسنوات ولكنها سرعان ما تنسى.

الفصل الثاني

المستوى المعيشي والوضع الصحي

1-الغذاء وأدواته في المنطقة

2-اللباس في المنطقة

3-أزمات المعيشة والمساعدات الفرنسية

4-الوضع الصحي في المنطقة

5- الأمراض والأوبئة المنتشرة في المنطقة

6-الطب الشعبي وطرق علاج المرضى

7-الطب الفرنسي الحديث

المستوى المعيشي والوضع الصحي

لقد تميز غذاء السكان في المنطقة بالبساطة والتقشف، فكان أغلبه مما هو موجود في بيئتهم، شأنهم في ذلك شأن كل القبائل الصحراوية، وفي مداواتهم لأنفسهم اعتمدوا على ما يوجد من نباتات صحراوية وطبية في محيطهم الجغرافي، أضافوا إليه بعضًا من الخرافة والسحر وبالتالي ارتبط مستوى المعيشة بمستوى الصحة، لذلك فحياتهم كانت في منتهى البساطة والتقشف والزهد.

1-الغذاء وأدواته في المنطقة:

أ-**الغذاء في المنطقة:** ليس من السهل العيش في وسط جغرافي صحراوي شبه قاحل وسط انعدام مصادر متنوعة للغذاء، فأغلب طعامهم كان تمرًا أو حليبًا أو شعيرًا يتحصل عليه الفرد بعد تكبد مشاقٍ كبيرة، زادتها سوء سنوات الجفاف المتوالية ما بين سنوات 1780م-1806م-1817م-1836م- 1840م[1]، بالإضافة إلى الأوبئة والأمراض مع استمرار تأثير الفتن والاضطرابات، ما يميز مجتمع وادي ميزاب مستواه المعيشي البسيط وألبسته الخفيفة على عادة أهل الصحراء، وكان من نتائج ذلك أن أثرت على صحة السكان الذين اعتمدوا فيها على التداوي من الأمراض بما توارثوه من معرفة في الطب الطبيعي والشعبي، فالمستوى المعيشي يختلف نظرًا لاختلاف فئات المجتمع والظروف والأنشطة التي تمارس من طرف أهل البدو والحضر فطبيعة الغذاء رغم تشابهه واحد، ويختلف في بعض جزئياته.

والمتفق عليه أن الغذاء الأساسي للفرد هي التّمور بمختلف أنواعها، فقد ورد في الحديث الشريف: "بَيتٌ لا تَمْرَ فِيهِ جِيَاعٌ أهلُهُ"[2]، لذلك حرص الأهالي أن لاتخلو

1-يوسف بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.2 ، ص ص 120-195.

2-حديث رواه أحمد وأبو داوود والترمذي وابن ماجة عن عائشة رضي الله عنها.

بيوتهم منه، فهو الغذاء الأول لهم خاصة الغرس الذي يتميز بخاصية بقائه لعدة سنوات دون أن يتلف ويحفظ في أكياس من القماش أو من جلد الحيوانات، ويضغط عليه جيدا حتى يصبح صلبًا، ويحفظ بعد ذلك في أماكن جافة تسمى "باجو" لمدة طويلة[1]، أما العولة فهي أنواع أخرى من التّمور تحفظ وتخزن، فأغلب السكان يعيشون على التمر، مثلما يقول الملازم شارلي: "...عدد كبير من الميزابيين يعيشون إلا على منتوج النخيل والخضر..."[2] ما جعلهم يكدسون ويخزنون كميات كبيرة لوقت الجفاف وسنوات المجاعة التي تضرب الوادي؛ و يعرف باسم تمر"القبوري"[3] لذلك نجدهم يجلبون التّمور في بعض الأحيان من ورقلة، ولأهمية التمر كغذاء مهمة كانت الحيطة واجبة لما قد يصيب محصول النخيل من الأمراض[4]، ولهذا السبب يتأمل الأهالي ما تحمله القوافل منه والقادمة من توات وورقلة.

والجدير بالذكر أن المنطقة عرفت خلال القرنين 18 و19 م العديد من الكوارث الطبيعية ما أدى إلى حدوث خسائر كبيرة خاصة في أشجار النخيل، ولشدة الوقعة عليهم كانوا يطلقون على هذه السنة اسم الكارثة الطبيعية كـ "عام الجراد" ففي عام 1866م عبرت أفواج من الجراد جبال الأطلس من الجنوب إلى الشمال والتهمت كل ما وجدته أمامها من خضار وثمار[5]، ولايستثنى من ذلك منتوج النخيل وعادة ما يكون قدومه للصحراء خلال شهر فيفري وقتها يضع بيضه ويبدأ مع ذلك الخطر على النباتات القليلة والنخيل الذي يأكله ويفتته ويحوله إلى عصي مجردة؛ أما التّمور

1-هي مخازن مبنية لتخزين التمر، عادة ما توجد في الطابق الأول من المنزل، يسمى الواحد منها بالميزابية بـ باجو، ويسمى أيضا بالخابية، سعتها خمسين لتر يخزن فيها التمر أو الماء، ينظر: يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.2، ص 117.

2-Charlet, Op.Cit.P 77.

3-تمر القبوري: التمر الذي مرت عليه أكثر من سنة من التخزين ويكون في الغالب مبطناً.

4-Charlet, Op.Cit .PP72-73

5-عبد الحكيم رواحنة، السياسة الاقتصادية الفرنسية في الجزائر (1870-1930)، مذكرة ماجستير، جامعة الحاج لخضر باتنة 2013-2014، ص ص 150-151.

فتكون قد قطعت وعام الفيضان وعام الخلية بالإضافة إلى وصول أثار المجاعة التي كانت تعرفها المناطق المجاورة إلى وادي ميزاب وتكون بذلك مهددة بالجوع؛ فتقل المؤونة القادمة من الشمال من قمح وشعير وحبوب، ويطلق السكان على هذا العام بـ "عام الشر"؛ وفي هذه الأحوال والأوضاع يأكلون مرة في اليوم، ويمكننا أن نفرق بين نوعين من الغذاء فهو يختلف قليلاً بين سكان البدو والحضر فكان على النحو الآتي:

أ-**الغذاء عند البدو**: كان أغلب طعامهم من التمر وخصوصا من نوع الغرس وحليب النوق في فصل الصيف وحليب الماعز في باق بالفصول بالإضافة إلى الكسكس المصنوع من القمح والشعير وبعض النباتات الصحراوية كنبتة الدانون والحميض يضاف إليها أحياناً بعض الخضراوات الموسمية إن وُجِدت، وفي حالة انعدامها فتعوض بما وُجِدَ من الحبوب الجافة، ويعتمدون في استهلاك اللحوم على قطعانهم من الماشية أو الجمال، ويأكلون خبز الملة[1]، كما يتناولون ما يعرف بالرفيس[2] ويعتمدون عليه عادة لقطع الجوع أثناء تنقلاتهم الطويلة ويُعِدُون لنفس الغرض "الروينة"[3]، كما يتناولون مسحوق حبوب بعض النباتات الصحراوية.

إن اختيار البدو للمكان المراد الاستقرار به لم يأتي من عدم فهم على معرفة تامة بما يوجد فيه من مصادر للغذاء سواء كانت نباتية أو حيوانية، ويتناولون في

1-خبز الملة: هو عجين الدقيق الذي يدفن في الرماد الساخن حتى ينضج.

2-الرفيس: يصنع من الخبز بعد طهيه وتقطيعه قطعا صغيرة وخلطه بالتمر والسمن، وهناك "الرفيس" المصنوع بمسحوق الكليلة(الحليب المجبن) والتمر وسمن الأغنام وتخلط المكونات جيدًا للحصول على عجينة متماسكة وعادة ما يقدم في مناسبات دينية أو احتفالية وحضوره مهم في المناسبات، ويعتمد عليه أصحاب القوافل كغذاء حين يقطعون مسافاتٍ طويلة. لقاء مع الحاجة عائشة بنت قدور حروز المولودة بغرداية خلال عام 1916، بتاريخ 12 جانفي 2017م على الساعة 11 صباحا. وكذا:

Cauneille, Op.Cit .P 277.

3-الروينة: هي مطحون القمح أو الشعير، يضاف إليها الماء أو الحليب أو السمن، وتعد من بين الأطعمة المهمة لدى سكان البدو خصوصاً وقبل تناولها يضاف إليها الماء أو الحليب أو السمن. لقاء مع الحاجة فاطنة الهامل المولودة بتاريخ 1936 بالمنيعة، على الساعة 13 زاولا يوم 07 جانفي2016

المواسم الجيدة الكمأ(الترفاس)[1] بعد أن يغلى في الماء والملح، ويتناولون لحوم بعض الحيوانات البرية كالغزال والأرنب، والأفناك، والجربوع، والقنفذ وسمك الصحراء[2] ويقومون في بعض الأحيان بتجفيف لحومها وتخزينها واستعمالها عند الحاجة ويأكلون بعض النباتات الطبيعية الصحراوية وتحضيرها مع الطعام أو شربها؛ كنبتة الدانون وبعض أوراق النباتات كالحميض[3]. وتماشياً مع تم ذكره يتناول أهل البدو على الأغلب ثلاث وجبات؛ واحدة عند في الصباح الشاي والحليب والتمر، والثانية عند منتصف النهار (الكسكس، الدشيشة بالقمح أو الشعير) والثالثة عند الليل الشاي مع الكسكس[4].

ب-الغذاء عند الحضر: لا يختلف غذاؤهم كثيرًا عن غذاء البدو وأغلب اعتمادهم على التمر سواء كان بسرًا أو مخبأ[5]، ففي المساء يتناولون الكسكس والتمر والماء

وفي بعض الأحيان الحليب، وتحضر النساء الكسكس[6](العيش) وهو الغذاء الأساسي في المنطقة ويأكلونه أغلب الأحيان ليلاً، ولكنه بحلول الصيف يكون مميز مع لحم الخروف، بالإضافة إلى المزروعات الموسمية المعاشية البسيطة وحليب الماعز ويأكلون طبق الدشيشة[7] .

-**الحساء:** وهو طبق يحضر خصوصًا في شهر رمضان، ويتكون من طحين القمح أو الشعير فيطبخونه مع الماء ومسحوق بعض النباتات الصحراوية.

1-Trumelet , Op.Cit .P 277.
2-Yves Regnier,Op.Cit.P 114.
3- Yves Regnier,Op.Cit P 113.
4-Ibid, P P 115-116.
5-Zeys, Op.Cit .P 312.
6- Amat, Op.Cit .P P 137-138.
7-الدشيشة: وهي قمح أو شعير يطحن بالرحى حتى تفتت إلى أجزاء متوسطة ثم تطبخ مع الماء والسمن أو الزيت مع إضافة بعض الحبوب الجافة، وتطهى حتى تصير جارية أو متماسكة.

-**المغلوقة:** وهي من ألذ الأطباق التي تعد في المنطقة، يضاف خليط البصل والشحم والتوابل إلى العجينة بعد طهييها وتدخل بين طبقاتها.

كما يتناولون بعض الفواكه الموسمية والقليلة؛ كالرمان والتفاح والمشمش والفقوس والدلاع والبطيخ[1]، أما اللحم فلا يكثرون من تناوله، ويحضر عادة للضيوف أو "ضيف الله"، ويقدمونه في ظروف مميزة عند زيارة بعض الشخصيات الهامة وخصوصا من طرف الحكام الفرنسيين وفي الأعراس[2]. أما الأهالي من الفقراء فإنهم لا يعرفونه إلا في المناسبات الدينية، حيث يعمل الأهالي على تجفيفه وتخزينه، ما يعرف بالقديد واستعماله عند الحاجة.

ويشربون الماء المحفوظ في القلل التي تحمل 3 لترات أو القربة المصنوعة من جلود الحيوانات[3]؛ وتتراوح سعتها ما بين 20 إلى 25 لتر من الماء، وتحمل على ظهور الحمير والجمال، وعصير بعض الأعشاب الطبيعية كالتكروايت،والدفي ومشروبات بعض النباتات الصحراوية والشاي والقهوة [4] .

-**أدوات الطعام** : يستعمل أهل المنطقة وسائل بسيطة وتقليدية، اعتمدوا في صنعها على ما هو موجود من موارد حيوانية ونباتية ومن أبرز هذه الأدوات :

-**الطبق:** الذي يصنع من سعف النخيل أو الحلفاء الغير جيدة، ويلف بشكل دائري وتستمر العملية حتى يتم الحصول على الطبق الذي يشبه الصينية، ويستعمل لحفظ الكليلة ويشكل فيه عجين الخبز وتوضع فيه الكؤوس والصحون[5] .

-**الكسكاس:** يستعمل لطهي الكسكس، ويصنع بنفس المادة التي صنع منها الطبق.

1-Coyne, Op.Cit ..P 21.
2-Amat, Op.Cit.P 137.
3-Le chatelier, Op.Cit .p43.
4-Zeys, Op.Cit .P 312.
5- Hurabielle jean (abbé), Au Pays de Biskra et les oasis entérinement augu Stin challamel, éditeur, Paris, 1899, P 180.

-**القنينـــا:** وتشـبه الأقـدح ويسـتعمل لحلـب الماشـية، ويشـرب فيـه المـاء[1] وتطلـى فـي بعض الأحيان بمادة القطران في حالة استعمالها لشرب الماء [2].

-**القدور**: وعادة ما تكون مصنوعة من الفولاذ أو الفخار.

-**الجفنـــة**[3]: تعـرف باسـم تغـدارت أو القصـعة والصـحن تغلوسـت والمثـرد[4] وهـو صـحن ذو قاعـدة عاليـة إرتفاعـه حـوالي 15 سـم[5]، الملاعـق وتكـون مصـنوعة مـن الخشـب[6] الرحـى أو المطحنـة لطحـن الحبـوب وتصـنع مـن الحجـر الصـلب وتحـدث صـوتا عنـد طحن الحبوب[7].

2-اللبـاس فـي المنطقـة: يتميـز اللبـاس ببسـاطته ويصـنع ممـا وجـد مـن مـواد أوليـة محليـة مـن الصـوف والقطـن والكتـان، وبمـا أن المنطقـة تشـتهر بالصـناعة النسـيجية، فقـد كانـت النسـوة يمـتهن صـناعة النسـيج وكـل مـا يتعلـق باللبـاس مـن قنـدورة (عبـاءة) وبرنـوس[8] وحايـك، معتمـدين علـى المـواد المحليـة والمجلوبـة مـن المنـاطق المجـاورة؛ كالصـوف والـوبر وفـي بعـض الأحيـان تكـون ملابسـهم باليـة وقديمـة وذلـك لفقـرهم، ويـرتبط ذلـك بالمستوى المعيشي للسكان ومن أهم هذه الألبسة :

أ-اللبـاس الخـاص بالرجـال: يرتديـه أغلـب الأهـالي الجزائـرين، لا توجـد أيـه خصوصـية أو تميـز عـن بـاقي اللبـاس الصـحراوي، فهـم يختـارون فـي الغالـب اللبـاس ذو اللـون الأبـيض ليسـهل عليـه عكـس أشـعة الشـمس وحمايـة حـرارة الجسـم، كونـه مصـنوع فـي الغالـب مـن الصـوف أو الكتـان[9]. ويتكـون لبـاس الرجـل مـن القنـدورة أو العبـاءة وتكـون ضـيقة عنـد

1- Amat, Op.Cit .P 133.
2- Daumas, le Sahara algérien, P 313.
3- Amat, Op.Cit. P 137.
4- يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.2، ص 48.
5- Amat, Op.Cit P136.
6- Ibid. P 138.
7- Ibid, P 137.
8- Paul-François (Passager) Op.Cit.P 532.
9- Coyne, Op.Cit.P 40.

البدو وواسعة عند الحضر، وتصنع من الصوف عند استعمالها شتاء وتصنع من القطن صيفًا وتكون بدون أكمام وتصل حتى الكعب[1]، ويلبسها الكبار والصغار وتنسج من طرف نسائهم، كما يرتدي الرجل البرنوس الذي يصنع في البيوت[2] فوق العباءة أو القندورة ويخص الكبار فقط، وهو ذو ألوان بيضاء وحمراء وبنية، ويفضل ارتدائه القياد والباشاغاوات وقاضي العدل وعادة ما يكون لونه أبيض، بالإضافة إلى السروال والقميص الذي يكون مصنوع من الصوف وهو خشن بألوان حمراء وخضراء وصفراء وبيضاء[3]، ويرتدي أيضا الرجل القشابية المصنوعة من الصوف والوبر وتخص الرجال والصغار. كما يضعون العمائم أو الشاش فوق رؤوسهم[4] حيث تكون في الأغلب بيضاء للتخفيف من حرارة الشمس، ويضعون قلنسوة بيضاء أحيانا تحت العمائم وفي بعض الأحيان يكتفون بالقلنسوة[5]، ويكون لباس العزابة أبيضًا مكونًا من القندورة وشاش وقلنسوة، أما القياد فيلبسون برنوسًا أبيضًا أو أحمر. أما أحذيتهم فهي العفان المصنوع من شعر الماعز ووبر الجمل، ويتكون في أسفله من جلد الحيوانات ونعلا يسمى بالبلغة الفيلالية(نسبة إلى تافلالت بالمغرب الأقصى). أما الرجل اليهودي فقد فرضت عليه قوانين العزابة لبس الثياب القاتم أو الأسود، ويتألف من عباءة(قندورة) وبرنوس أسودين وسروال وبلغة سوداء وعمامة مثل يهود المغرب[6] مع ترك ضفائر متدلية على جانبي الوجه أو ما يعرف بـ"السوالف"، ويضيفون البرنوس على العباءة في فصل الشتاء[7].

1- Amat, Op.Cit.P 179.
2- Yves regnier, Op.Cit.P 55.
3-Coudray (A), Ghardaïa, In :Bulletin de la société de géographie d'Alger, imprimerie Charles zamith, Alger , 1897, PP 405-412.
4- Paul-François (Passager) Op.Cit.P 533.
5-Jacques ruffie, Op.Cit.P 361.
6-فردريك وايسجرير، المرجع السابق ، ص 29.
7- Huguet, Op.Cit.P 562.

ب-اللبـاس النسـائي: يتكـون مـن عـدة قطـع ويتميـز بكونـه واسـع وبسـيط ويسـتر كامـل الجسـم، ويتكـون مـن سـروال وفسـتان مـن القطـن أو الكتـان أو الحريـر ذو اللـون الأزرق والأحمـر والأصـفر، والملحفـة وهـي قطعـة كبيـرة مـن القمـاش وتشـبه الفسـتان تصـل فـي الغالـب إلـى الكعبـين ذات ألـوان عديـدة، وتشـد علـى الجسـم بحـزام مـن الصـوف وعلـى الـرأس توضـع قطعتـين ملـونتين مـن القمـاش؛ واحـدة تشـد الـرأس والأخـرى توضـع مـن فوقهـا لا تغطـي المـرأة البدويـة المرتحلـة وجههـا فـي المخـيم بينمـا تلتـف فـي قطعـة مـن القمـاش تغطـي جميـع جسـمها عنـد عودتهـا إلـى الواحـة تسـمى الحايـك[1]، وعـادة مـا تمشـي النسـاء حافيـات[2] وترتـدي النسـاء ذات البشـرة السـوداء نفـس اللبـاس ولكـنهن لا تعـاتبن بشـكل كبيـر فـي حالـة مـا إذا نسـين ارتـداء هـذا اللبـاس المسـتور[3] أو مـا يعـرف بـ"أحولي Ahuli". كمـا ترتـدي اليهوديـات نفـس لبـاس نسـاء المنطقـة كالملحفـة والفسـاتين الطويلـة ويضـفن إلـى ذلـك الأقـراط الثقيلـة وأسـاور مـن الفضـة أو الـذهب والخلخـال والعقد[4]، وهن لا يلتحفن أمام الأجانب[5].

ج-لبـاس الأطفـال: أول مـا يلـف بـه جسـد المولـود عنـد مجيئـه للحيـاة هـو اللفـاف المخصـص لِلَفِـهَ(القماط)، فمشـكلة اللبـاس ليسـت مطروحـة لـه، وبعـدما يكبـر يكـون الأمـر مختلـف فعنـد عمـر ثـلاث أو أربعـة أشـهر يُبَـدَل لِفَـاف المولـود نهائيًـا، ويعـوض بعبـاءة أو قمـيص دون أذرع تصـل إلـى العقـب؛ فهـي أول قطعـة لبـاس إسـلامي يلبسـها عنـد بلوغـه الحـولين مـع برنـوس يعطيـه هيبـة الكبـار[6]. أمـا البنـات فـإنهن يلبسـن مثـل أمهـاتهن

1-وهـو عبـارة عـن قطعـة كبيـرة مـن الصـوف وعـادة مـا يكـون لونـه أبـيض تلتحـف بـه المـرأة ولا يظهـر شـيء مـن جسـدها سـوى عـين واحـدة. ولا نـدري هـل الحايـك بشـكله الحـالي كـان هـو نفسـه خـلال القـرنيين الثـامن عشـر والتاسـع عشـر أم لا؟ مـع أن هنـري دوفيـري خـلال رحلتـه التـي قادتـه للمنطقـة نهايـة خمسـينيات القـرن التاسـع عشـر أشـار إلـى أن نساء المنطقة وخصوصاً الميزابيات يلتحفن بقطعة كبيرة من الصوف الأبيض عند خروجهن.

2- Huguet, Op.Cit . P 361.

3-Cherifi, Op.Cit .P351.

4- Huguet, Op.Cit .P 561.

5- Zeys, voyage d'Alger au m'zab,P 315.

6-Amat, Op.Cit .P 179.

قميص بأذرع أو فستان يكون خفيفًا صيفًا ومن الصوف شتاء تصنعه النساء في البيوت[1].

وتصحب ألبسة النساء الحلي المنوعة منها عقد من العقيق أو من الويز الذهبي الذي تضعه المرأة حول رقبتها[2]، والمشبك أو ما يسمى بالرعيشة[3] وأخرى توضع أسفل الساق تسمى الخلخال، ومن بين هذه الحلي العقد والأقراط والخواتم لتسغنس[4] والصارمية[5] والبزايم[6] والشاركا[7]؛ فكثيرا ما تتزين بها المرأة في المناسبات وخاصة عند الزواج والمناسبات الدينية. ويتم غسل الثياب عادة في فضاء المنزل أو البستان.

3-أزمات المعيشة والمساعدات الفرنسية: إن ارتفاع أو انخفاض مستوى المعيشة جعل بعض الأهالي من الفئات الفقيرة يلجؤون إلى بيع ما لديهم من مخزون التمر أو السمن أو بيض الدجاج أو بعض أثاث البيت والخردوات، والبعض الآخر يغير سكناه في حالة عدم قدرته على دفع الضرائب أو لطلب مصدر للغذاء بين مدن الوادي، ففي عام1862م قامت جماعة من الشعانبة بالهروب إلى واد تغير[8]؛ بسبب عدم استطاعتهم على دفع غرامة مدة تسعة سنوات لفرنسا. فكانوا يتقشفون كثيرًا في توزيع العولة على مر أيام السنة؛ وإنّ الضرائب المتكررة التي فرضتها فرنسا أثقلت كاهل

1-Goichon (Amélie-Marie), La Vie Féminine au m'zab, T. 2, Librairie orientaliste paul genthmer, 1931, Paris, P 36.
2- Paul-François (Passager) Op.Cit .P 534.
3-Ibid , P 362.

4-تسغنس: جمع تسغنت وتستعمل لمسك أطراف الملحفة على الكتفين.

5-الصارمية: قلادة تمسك كل طرف من طرفي تسغنست وتسمى الرعايشة

6-البزايم: وتستعمل لتزيين الشعر.

7-الشاركا: توضع على الجبين، حول هذه الحلي. أنظر يوسف يوسف بن بكير الحاج سعيد المرجع السابق، ط.2، ص ص 51-52.

8-وادي تغير: هو واد يقع جنوب غرداية بين مدينة المنصورة وحاسي الفحل. يقال بأنه سمي بهذا الاسم لأن بعض القبائل كانت تختاره مكانا لانطلاق إغارتها على القوافل التجارية المارة عليه والمتجهة من وإلى بلاد السودان أو حتى التي تربط المدن الجنوبية ببعضها البعض والمارة على المكان.

سكان المنطقة منذ 1853م إلى نهاية القرن؛ سواء كانوا فقراء أو أغنياءوالتي تحججت في زيادتها بأنها تصرفها في الإهتام بالأهالي وتحسين مستوى معيشتهم، وفي علاجهم وفي تطوير مدنهم[1]، إضافة إلى الاضطرابات والاختلالات الإجتماعية ذات الأشكال العديدة والتي لم يسبف أن عرفتها المنطقة، ما خلف نوعًا من عدم الاستقرار، وهكذا لبث الوضع في ميزاب أبعد نوعاً ما عن الاستقرار، زادتها سوءً الآثار السلبية لأزمة المجاعة الكبرى التي عرفتها الجزائر سنوات1867م- 1869م، وانعكاساتها المباشرة والغير مباشرة على معيشة الأهالي، بالرغم من أن الميزابيين يخزنون القمح بكميات كبيرة لمدة ثلاثة أو أربعة سنوات[2].

لقد تبينت فرنسا الى الوضع الاقتصادي المتدني بعد احتلالها للأغواط وأغلب المدن التي كانت لها علاقات تجارية مع ميزاب، لذلك أضحى أمر حرية التجارة في أيديهم لإخضاعهم، ومن وراء ذلك سهولة السيطرة على القبائل البدوية التي يصعب التحكم في أمورها[3] وبالتالي ضمان عدم التشويش عليها أثناء قيامها بمشاريعها التوسعية لباقي مناطق الجنوب، لذلك وضع راندون نصب عينيه تحقيق عدة أهداف من وراء توسعه نحو الجنوب بعد احتلاله الأغواط منها:

1-ضمان الأمن في الصحراء [4].

2-توفير الوسائل اللازمة من أجل ملاحقة المتمردين واتمام السيطرة على كامل البلاد.

1-Villot, Op.Cit,P413
2-Robin, Op.Cit.PP 18.
3-Numa (Broc), Les Français Face à L'inconnue Saharienne : Géographes, Explorateurs, (1830-1881)In :Annales de géographie. 1987,T.96,N^{0}535,1987,P 307.
4-عميراوي احميده واخرون، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية(1844-1916) دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع،2009م،ص45.

3-بناء علاقات مع اقصى جنوب الجزائر [1].

4-وضع مراكز فرنسية لمراقبة التجارة الصحراوية والسودانية.

5-تحديد علامات لمستقبل الطرق الصحراوية والسودانية من أجل توحيد المغرب والنيجر.

ولأجل ذلك اعتمدوا على سياسة التوغل المسالم بالاستكشاف والبعثات العلمية والتجارية، فسخرت الكثير من مبعوثيها في صور التمسيح والتعرف على الصحراء والتجارة[2] وتحسن الخدمات، وجعل الأغواط كممر لباقي مناطق الجنوب وبلاد السودان، ومن هذا المنطلق فإنه يسمح لهم بالتحكم بتجارة المنطقة والبلاد المجاورة وبلاد السودان[3]؛ وجدير بالذكر إنّ وثائق المراسلات الحاصلة بين المكتب العربي بالأغواط وغرداية، تبين لنا مدى استعمال واستغلال فرنسا لأساليب التحكم في الجانب المعيشي للسكان، ومحاولة التعرف على ما يدخل المنطقة من سلع جنوبية وشمالية من خلال الأخبار والمعلومات الدقيقة التي حملها موظفي الإدارة الفرنسية للحاكم بالمكتب العربي بالأغواط، ورفعها تراتبياً إلى غاية الهيئات العليا في الإدارة الاهلية من 1856 م إلى غاية 1882م، فهذا جواب السيد القبطان دوران بالأغواط يوم 6 جوان 1872-23ربيع الأول1289هـ يقول فيه:"... فلابده تعطوهم شعير من عندكم فتعطو لكل عود في الليلة أربعة كيلو... وتفرقو هذ الشعير على قصور واد مزاب...هاذا الذي تفرقوه هو سلف في ذمتنا فنحن نردوه لكم من عندنا"[4].

وقد انتهج المكتب العربي بالأغواط أسلوب الضغط والمراقبة على القبائل المتمردة في كل مكان والتعرف على نواياهم الحقيقية، والتحكم في مصادر تغذيتهم

1-Odette petit, Op.Cit,P20.
2-Nume, Op.Cit .P 308.
3-Paul Solleillet, Voyage de paul Solleillet (D'Alger à l'oasis d'in-Saleh Alger), Topographie et lithographie, A. Jourdan, Alger, 1875, P 11.
4-إبراهيم بليدي، المصدر السابق، ص 40.

خصوصًا القمح؛ لأن مصادر البادية لم تتحكم فيها فرنسا بعد ولم تتعرف عليها، أما الحبوب فأمره يكاد يكون بيده، فجواب السيد دوران من نفس التاريخ يذكر فيه:"...إذا قدمو بيوت هذ الناس المرابيط عندكم كبيت بن إعيش وعبد الرحمان بن الحاج يوسف وبيوت المواضي فلا يخلفو أحد يقدم لمزاب ..." و"تخبرك أن قوم الأرباع عددها خمسة وأربعون وتبدو تعطوهم الشعير يوم سبعة في الشهر أربعة كيلو لكل فارس وهوما خمسة وأربعين فإنكم تعطوهم في كل يوم ماية وثمانون كيلو...فمرادي تعينوهم بشي من الأكل من عندكم..." [1] .

بعد إبرام اتفاقية أفريل 1853م مع الجماعة الإباضية، ضعفت مهام هيئة العزابة في الإشراف على حركة التجارة بالمنطقة، ومراقبة ما يدخلها من قوافل تجارية من مختلف الانحاء[2]؛ وأصبح أمرها مسندًا على القياد وبعض موظفي الإدارة الفرنسية فأضحى أمر معيشتهم تحت إشرافهم بشكل كبير، كما أشارت إليه سابقًا تقارير المكتب العربي بالأغواط، الذي تدخل حتى في تحديد كمية الشعير التي تمنح للوافدين على المنطقة، ومن هي القبائل المسموح لها بالتسوق في أسواق ميزاب خاصة وأن الحياة المادية أصبحت باهضة الثمن، بحيث تراوح سعر القمح والشعير عند منتصف الثمانينات ما بين 30 و17 فرنك، بينما سعر لحم الأغنام وصل إلى 2،50 للكلغ الواحد[3].

لذلك تلخصت خطوطها العريضة وخطتها في برنامج مساعدات مع الظرف الاستثنائي الذي عرفته المنطقة، مثلما حدث في سنوات1883-1886-1892م[4]. ومازدا في الأمر سوءًا للوضع المعيشي هو وضع السلطات الفرنسية برنامج

1-إبراهيم بليدي، المصدر السابق، ص 40.

2-حمو محمد عيسى النوري، المرجع السابق، ص 169.

3-Robin,Op.Cit,P17.

4-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق،ط.4، ص231.

المساعدات لتحسين مستوى المعيشة ومنعه على الثائرين عليها، وتدخلهم في الإشراف على الأسواق وتنظيمها، فكانت توفر لهم شروط الأمن والاستقرار والطاعة والهدوء وتأمين الطرقات، حيث تم إصدار قرار ينص على إلغاء الأسواق القديمة الموجودة وإحداث أسواق جديدة سنة 1847م، يشرف عليه حكام المناطق المختلفة ما أدى إلى تنوع في الأسواق بين الأسبوعية واليومية[1] وإنشاء المراكز التجارية، ومراقبة البضائع الداخلة والخارجة منها ومعرفة البضائع المحلية والقادمة من جهات عدة.

-لقد منعت فرنسا المتجارة ببعض المنتجات كالسلاح ولوازمه والعبيد وغيرت المكاييل والموازين[2]، وإلغت العملات وغيرتها بأخرى، وتجلى ذلك من خلال جواب السيد الكولونيل سيريس حاكم دائرة الأغواط:"...مؤرخ بيوم الحادي عشر أوت سنة 1870 ... وفهمت ما فيها عن قفول الشعانبة القادمين للكيل باش تسرحهم ..." [3]. كما أصدرت الإدارة الفرنسية بالأغواط سنة 1872م قائمة بأسماء بعض القبائل لمنعها من دخول أسواق ميزاب وهي القبائل المشوشة على استقرار فرنسا في المنطقة[4]، فالغذاء أصبح يخضع لإجراءات المراقبة والجمارك.

-فرضت فرنسا غرامات مالية على الصحراويين الذين ينقلون المواد الغذائية عبر مخازن الأغواط باعتبارها مركز عبور.

-مساعدة أكبر قدر ممكن من الأهالي ومحاولة منعهم من الانضمام إلى المقاومات الشعبية ومناصرتها، وذلك باغرائهم بتقديم التسهيلات الغذائية والتجارية لهم.

-فرض المراقبة على أسواق ميزاب والسلع الداخلة والخارجة وجعلها تحت أعين أعوان المكتب العربي، ومعرفة كل العناصر القادمة إليها من القبائل المجاورة، والتعرف على

1-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،ج7 ص 71.

2-نفسه، ص 71.

3-إبراهيم بليدي، المصدر السابق ، ص 49.

4-نفسه، ص 49.

طبيعة العلاقة بينهما وإذا ما كان هناك تدبير سري للانتفاضة؛ وذلك بمراقبة التحركات والاحاديث السارية والسرية بينهم، ففرنسا كانت ترى بأن الأسواق هي متنفس الغالبية للتذمر والشكوى من قسوة السياسة الإستعمارية وربما مركزاً لمناقشة أمور السياسة؛ لهذا أصبح التحكم في كميات الغذاء سهلاً نوعًا ما من خلال معاونيها وموظفيها وإيقاف كل من يشكون به، ومنع من يأخذ السلع الغذائية فوق حاجته وحاجة قبيلته، وبما أن الثوار كانوا يعتبرون المنطقة قاعدة خلفية للتزود والتحرك بحرية، فالتحكم بالغذاء ومنع الأهالي من المساعدة والتعاون معهم [1] عوامل تساعد فرنسا على فرض سيطرتها على المنطقة وضمان الأمن بها.

4-الوضع الصحي في المنطقة: لم نعثر على ما يشير إلى وضع المنطقة الصحي خلال القرن 18م خصوصاً، والتي غابت ملامحه بشكل كبير في ظل عدم وجود المصادر والكتابات التي تحدثت عن هذا الجانب، عدا بعض الشدرات التي لاتضيف قيمة له، وما يمكن قوله هو أن الوضع الصحي اتسم خلال القرنين محل دراستنا بالبساطة في تحديد العلاج المبني على معارفهم والملاحظة والكم الهائل مما ورثوه على الممارسين له ومحاولة إيجاد سبل العلاج من الامراض والأوبئة المنتشرة بينهم ومما لا شك فيه أن وادي ميزاب كغيره من مدن الجزائر لم يكن بيئة خالية من الأمراض والأوبئة التي تعرض لها خلال هذه الفترة الزمنية، فاجتحته العديد منها وبطرق عديدة، مما اثرت سلبًا على مختلف نواحي الحياة وتركت اثاراً سيئة على الأوضاع العامة بميزاب، مع انعدم وجود أطباء ذو كفاءة لمعالجة السكان معتمدين في ذلك على التطبيب الشعبي، وما وصلنا إلّا عن طريق ماكتبه الفرنسيون في تقاريرهم خلال اقامتهم بالمنطقة أو عبورهم عليها، ولهذا نطرح التساؤلات الآتية :

1- Amat, Op.Cit .P 191.

ماهي الأمراض التي انتشرت بين الأهالي حينذاك؟ وكيف عالجوها؟ ومن هم أشهر ممارسيه؟

لقد وجدت بوادي ميزاب منذ القدم عدة معطيات كانت كفيلة بوجود معرفة طبية شعبية، منها التجربة التي اكتسبها الممارسون وأصبحت ذات شهرة، أضافوا لها وصفات جلبها ممن عاشوا في المناطق الشمالية، بالإضافة إلى وجود إرث علمي منوع من أمهات الكتب، ويمكننا في العموم أن نحصر أسباب ظهور هذه الأمراض والأوبئة بوادي ميزاب فيما يلي:

أ-تدهور مستوى المعيشة بسبب الفقر والجوع والعوز، وعدم توفر الغذاء الصحي والغني فالمنطقة طاردة للعيش لا تتوفر على ما يبني الاجسام الصحاح، وحتى وإن توفر فهو لا يكفي الجميع ولم يكن في متناول الأهالي، بالرغم من أن السكان تميزوا بخاصية الزهد والتقشف، ولكن في أحيانٍ كثيرة تتدهور معيشتهم، وبسبب تحول الكثير من أهل البادية إلى أهل من الحضر، يصعب عليهم ضمان حالتهم المعيشية مدة طويلة.

ب-يعتبر وادي ميزاب ملتقى تجاري مهم للأقطار المجاورة، لذلك يعد في نفس الوقت مكان لاستقبال الأمراض، وبسبب علاقته التجارية بمدن الشمال، فسبب الروابط الاقتصادية والاجتماعية بين أهل المنطقة والأقاليم الأخرى، يؤدي الاحتكاك والتواصل بينهم إلى انشار الأمراض والأوبئة، وخصوصاً مدينة الجزائر التي شهدت أنواع عديدة منها، إذ يعود العاملين هناك إلى وادي ميزاب حاملين معهم العدوى، ففي سنة 1787م حل وباء بمدينة الجزائر أودى بحياة جل بني ميزاب المستخدمين في الحمامات العمومية[1]، وكذا انفتاح المنطقة على بلدان الأقاليم السودانية التي لا تخلو هي الاخرى من أنواع عدة منها، يذكر المؤرخ ناصر الدين سعيدوني:" إنّ علاقة

1-لوسات فلنري، المغرب العربي قبل الإحتلال (1830-1790) تر.حمادي الساحلي، دار سيراس للنشر، تونس 1994، ص125.

الجزائر بأقطار المشرق العربي وبلاد السودان وجنوب المغرب الأقصى كانت تسبب انتقال الأوبئة والأمراض المعدية وانتشارها"[1].

ج-عدم وجود أطباء بالمعنى الحقيقي ومراكز لمعالجة المرضى، وبحسب الدكتور ناصر الدين سعيدوني إن جهل أغلبية الأهالي بقواعد الصحة وعدم انتهاج سياسة صحية وقائية من قبل القائمين على شؤون البلاد، ساعد في انتشار الأمراض والأوبئة مع قلة الأدوية، فالبلاد تكاد تخلو من صيدليات، أو محلات مخصصة لبيع الدواء بعد التأكد من حالة المريض.

د-تعرض وادي ميزاب للمجاعات لسنوات متلاحقة1806 -1836-1867-1868-1883م[2]، وقد وصف لنا المؤرخ ابراهيم مطياز حدوث احدى المجاعات المهلكة به فيقول: "...لما وقع الجدب والقحط بالبادية مرة بعد أخرى وتوالى ذلك أعواما حتى فنى كثير من مواشهم واشتد ذلك ووقعت المجاعة في البلاد والبادية وكثيرا ما يصبح اثنان وثلاث وأكثر موتى بالجوع..."[3]، وقد انعكست أثار بعضها من المناطق المجاورة له ويكون بذلك مهددا بالجوع، فتقل المؤونة القادمة من الشمال من قمح وشعير وغيرها من السلع المهمة؛ وفي هذه الأحوال والأوضاع يأكلون مرة في اليوم. اضافة إلى الاثار السلبية التي تركتها أزمة المجاعة الكبرى ما بين سنوات 1867م- 1869م والتي انعكست على مستوى معيشة الأهالي في كل جهات البلاد[4] وفتكت بهم الكوليرا والتيفويد والجذري سنوات 1867-1868-1873م- 1899م[5] .

1-ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني، ط.3، دار البصائر للنشر والتوزيع الجزائر،2012، ص 51.

2-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.4 ، ص166.

3-إبراهيم بن بنوح مطياز ، المصدر السابق، ص57 .

4-خديجة بقطاش، الحركة التبشيرية في الجزائر1830-1871، الجزائر ،1977، ص ص 105-109.

5 -يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ص166.

هـ- يضاف إلى كل ذلك تواصل الجفاف سنوات1865-1868- 1883م-1892 وهجمات الجراد على المحاصيل الزراعية، ففي عام 1866م عبرت أفواج من الجراد جبال الأطلس من الجنوب إلى الشمال والتهمت كل ما وجدته أمامها من خضار وثمار[1]، لتحل هجماته على وادي ميزاب في 1865-1868م[2]؛ وفوق كل ذلك التضييق المعيشي الذي فرضته فرنسا على المتعاونين مع أصحاب الزعامات الشعبية المحلية، ومراقبة حركة الداخلين على أسواق ميزاب ومنعهم من التزود منها وقضاء احتياجتهم.

في نفس الوقت هناك عدة عوامل خففت من حدة هذه الأمراض والأوبئة نلخصها في النقاط الآتية:

أ-الظروف المناخية الملائمة من أشعة الشمس والجفاف ونقاء الهواء، إذ تبلغ درجة حرارة الشمس ما فوق47،°وهو الأمر الذي جعل المنطقة خالية عموماً من الميكروبات[3]، فأهل الصحراء أهويتهم قليلة العفن لقلة الرطوبات والعفونات[4] .

ب-عدم وجود المياه الراكدة[5] وقلة المستنقعات، التي تعتبر المكان المناسب لنمو الحشرات والميكروبات عكس مدن الشمال، ويتم التخلص من فضلات الإنسان بطريقة نظامية، حيث يتم تفريغ المراحيض واستعمالها كسماد مقابل دفع مستحقات ذلك [6] .

ج-يتميز الفرد بوادي ميزاب بنشاطه الدائم وحركته، ما أعطاه قوة جسمانية للتغلب على أوجاعه وآلامه، ويسافرون لمسافات طويلة على أرجلهم خلال تنقلاتهم وترحالهم لقضاء حوائجهم وتجارتهم المتعددة الاتجاهات؛ ويسعون في ذلك بأنفسهم، يذكر بول

1-عبد الحكيم رواحنة، السياسة الاقتصادية الفرنسية في الجزائر (1930-1870)، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر باتنة 2013-2014، ص ص 150-151.

4- يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ص165.

3- Amat, Op.Cit . P200.

4-عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة، تح، تق، تع. عبد السلام الشداي، ج1، وزارة الثقافة، 2006، ص317.

5-Huguet(J), les conditions générales de La vie au Mzab, P 247 .

6-Ibid , P 225.

سـولييه أنـه مـن النـادر أن تصـادف صـحراويًا مريضًـا، فهـم لا يحتـاجون إلـى الطبيـب بكثرة [1]، كما تنعدم تقريبًا بوادي ميزاب الأمراض الدائمة[2].

د-إن طبيعـة النظـام الغـذائي رغـم قلتـه كـان جيـدا للأهـالي فغـذاءهم كـان بسـيطا فهـم قنـوعين[3] وزاهـدين فـي الحيـاة، وأكثـر مـا اعتمـدوا عليـه هـو التمـر والحليـب أو التمـر والمـاء سـواء بِسـرًا أو مُخزنًـا بشـكل طبيعـي فـي جلـود المـاعز أو "بـاجو"[4]، ويسـتهلكون مـا وُجِـد مـن غلـة أجنـتهم فـي حينهـا، إذ نـادراً مـا كـانوا يتنـاولون الطعـام ثـلاث مـرات فـي اليـوم وغالبـاً مـرتين فيتناولونهـا بسـيطة وصـحية وغيـر معقـدة، هـذا الجـوع أُغلِـبَ علـيهم لقلة الحبوب حتى صار ذلك عادة، وربما يُظّنُ أنها جِبِلة لاستمرارها.

هـ-تميـزت شـوارع وأمـاكن أغلـب القـرى وخصوصًـا بنـي يـزقن بالنظافـة، حيـث تخلـو مـن بقايـا الحيوانـات والمخلفـات فهـي تكـنس كـل يـوم[5]، فقائـد بريـان يحيـى بـن عفـاري كـان حريصـاً علـى تـذكير السـكان بالقيـام بواجـب التنظيـف مـن أمـام منـازلهم وكـل مـن يهمـل ذلك يسدد غرامة بـ 5 فرنك[6].

رغـم كـل ذلـك نجـد فـي المنطقـة أمـراض عديـدة منهـا مـا هـو معـروف ومنهـا مـا هـو غيـر معـروف لأسـباب عديـدة، فـبعض الأمـراض والأوبئـة حلـت بهـا جديـدة جلبهـا العـابرين بالمنطقـة، كمـا نجـد المعمـرين الـذين تجـاوزت أعمـار بعضـم أكثـر مـن 114 و100 سنة، ويمارسون كامل أعمالهم وبكامل قواهم العقلية.

1- Paul solleillet, l'Afrique occidentale, P 194.

2-Amat, Op.Cit.PP 273- 283.

3- Huguet (J), Op.Cit.P 225.

4-هـي مخـازن مبنيـة لتخـزين التمـر عـادة مـا توجـد فـي الطـابق الأول مـن المنـزل، يسـمى الواحـد منهـا بالميزابيـة بـ بـاجو، ويسـمى أيضـا بالخابيـة، سـعتها خمسـين لتـر يخـزن فيهـا التمـر أو المـاء، ينظـر: يوسـف بـن بكيـر الحـاج سـعيد المرجع السابق،ط.2، ص 117.

5-Huguet, Op.Cit.P 224

6- Ibid, P 224.

5-الأمـراض والأوبئـة المنتشـرة فـي المنطقـة: سـنعرج لأبـرز الأمـراض التـي عرفهـا وادي ميزاب وهي كالآتي:

1-أمـراض الكبـد Affections de la fois : هـو مـرض يصـيب الكبـد يلـون الأغشـية المخاطيـة مـع الاحتقـان والالتهـاب الرئـوي، ويكبـر حجـم الكبـد يصـاحبه ألـم صـامت مـن الجهـة اليمنـى للكتـف، ويـرى أمـات أن الأهـالي عـانوا مـنهم وحتـى الأجانـب، مقارنـة بالمناطق المجاورة[1] .

2-الاســـهال : يـأتي نتيجـة الظـروف البيئيـة وأسـلوب العـيش خاصـة التغذيـة السـيئة[2] وشـرب الميـاه الملوثـة وتنـاول الفواكـه الغيـر ناضـجة والغيـر مغسـولة؛ كـالبطيخ الأحمـر والخيـار والمشـمش، يتعـرض المصـاب للحمـى مـع مغـص، فقـد وصـف الـدكتور هيجـو Huguet لحـوم بعـض أغنـام المنطقـة بأنهـا مصـابة بتكيسـات تحتـوي علـى يرقـات "يرقـة الـدودة الوحيـدة أو الشـريطية" ونتيجـة اسـتهلاكهم لحـم هـذه الأغنـام الغيـر ناضـج جيـدًا[3] يحدث الإسهال.

3-أمـراض العيـون: إلتهابـات العيـونLe Trachome وهـو المـرض الأكثـر شـيوعًا ويشـكل خطـراً علـى الرؤيـة، وينتشـر فـي المنـاطق الصـحراوية بسـبب أشـعة الشـمس القويـة، وهـو الجـو الملائـم لتكـاثر الفيـروس المصـاحب لـه، مـع نقـص الرعايـة الصـحية وتغطيـة الوجـه باللحـاف أو البرنـوس أو الحايـك الـذي يحمـل بـين خيوطـه الرمـال، ويكثـر ظهـور المـرض مـع حلـول الصـيف أثنـاء حـدة الأشـعة وانعكاسـها علـى التربـة المائلـة علـى البيـاض التـي

1-Amat, Op.Cit.P 272.
2-Huguet, Op.Cit , P 242.
3-Ibid , P 226.

تحدث غبار يؤثر على العين فيؤدي إلى احمرارها والتهابها، ويؤدي إلى العمى[1] وظهور التهاب القزحية وحبيبات صغيرة في العين[2]، وينتشر العمى بكثرة ببنورة[3] .

4-أمراض الجلد: تساعد العوامل المناخية وتدني مستوى النظافة على ظهور أمراض الجلد وتهيجها، نتيجة عدم اهتمام الناس بلباسهم وغذائهم، ويعاني منه عدد من الأهالي وخاصة النساء والأطفال؛ ويتمثل في ظهور دملة الحبوب والجذام والجرب[4] والحكة والأكزيما وعادة ما يكثر ظهوره موسم الحرارة[5]، كما انتشر بين الأهالي الجذام والبرص وتختلف حدة هذه الأعراض بينهم، ولكن أعدادهم غير معروفة نظرًا لحساسية المرض فهم يتكتمون عنه بشدة ولا يتحدثون بشأنه؛ ففي عام 1899م لاحظ الدكتور هيجو Huguet أن هناك ما بين خمسة أو ست حالات مصابة بأمراض الجلد، وقد لقي الأهالي العناية والمعالجة الطبية العسكرية الفرنسية، فمن خلال إحصائياته التي قدمها نهاية ق. 19 من بداية جانفي1897إلى سنة 1898 م، فيما يخص سكان مدينة غرداية الذين ترددوا على المكتب العربي للمعالجة من أمراض الجلد كان احدى عشر مريضاً وعدد المرضى بهذا الداء ببني يزقن ثلاث مرضى ومنهم من ينقل العدوى من مدن الشمال وتمت معالجة خمس وثلاثين متمدرسًا في المدرسة العربية الفرنسية من بين خمس وعشرين متمدرسًا يهوديًا[6]. تبدو هذه الأعداد قليلة مقاربة بعدد سكان المنطقة وغير دقيقة ومتذبذبة، لأن المصابين بالأمراض الجلدية المختلفة لا يتحدثون عنها كثيراً، ولا يترددون على العيادات الفرنسية إلاّ في حالات نادرة جداً، لذلك غابت معهم الأعداد الحقيقية للمصابين بهذا المرض، وغيره من الأمراض.

1-Amat, Op.Cit .P 272.
2-Passage, PP 557,558,228.
3- Huguet, Op.Cit, P237.
4-Amat, Op.Cit.P 274.
5-Huguet, Op.Cit, P 237.
6-Ibid, P 274.

أما عن أهم الأوبئة التي عرفتها منطقة وادي ميزاب نذكر منها:

1-**حمى المستنقعات:** رغم قلة المياه الراكدة وعدم وجود بكتيريا ناتجة عن التعفن وهو ما قلل انتشار الملاريا عكس تقرت وورقلة، إلا أنها تظهر وقت الحرارة وتشكل أحد الأوبئة عانى منها الأهالي[1] ويسمونها بالتهم "Them"؛ وتظهر على شكل أعراض الحمى وألم داخلي وإسهال ونمو للطحال، وتنخفض حدتها مع بداية انخفاض الحرارة[2]. وانتشرت بالمنطقة أنواع عديدة من الحمى كحمى الغدير[3]، وتظهر الملاريا في فصل الصيف حين يتجه الأهالي خلاله إلى الغابات للعيش هناك مؤقتاً ولسقي أراضيهم، ما يجعل الجو مناسبا لظهورها.

2-**حمى التيفويس**: Typhis exanthématique لقد لاحظ أمات Amat حدوثها بين الأهالي دون أسباب واضحة ومعينة، محدثة حالات الوفاة بينهم، خصوصاً أواخر ق.19 م[4]

3-**الجذري:** LaVérole على خلاف الأوبئة الأخرى فهو مرض قاتل، وقد عرفته المنطقة قبل الإحتلال فقد عثرت الإدارة الفرنسية على هياكل لموتى الجذري لم يتم دفنهم بشكل جيد بمقبرة مليكة[5]، دون ذكر التفاصيل عن أعدادهم ولا أعمارهم ولا جنسهم ومما لا شك فيه بأن العدد كبير لو تم إحصاء الموتى في باقي قرى الوادي بهذا الداء في نفس الفترة الزمنية التي وجدت فيها هياكل الموتى به مليكة.

4-**الكوليرا:** Le Collera : يرجع شارل أمات سبب انتشاره إلى الحجاج القادمين من الأماكن المقدسة[6]، بحكم التقاء أجناس كثيرة البعض منهم يحمل الكوليرا دون أن

1-Amat, Op.Cit .P 275.
2-Huguet, Op.Cit .P 237.
3-Amat, Op.Cit .P P 277-278. Passager, Op.Cit.P 238.
4-Ibid, Op.Cit. P 276.
5-Ibid, Op.Cit.P 277.
6-Ibid. P 278.

يقدم توضيحات وتفسيرات طبية وعلمية لانتشاره بالمنطقة، وهو أحد العلل التي استغلتها فرنسا لمنع الحج على الجزائريين، بانتشار الأمراض المختلفة في الحجاز ومنها الكوليرا[1] .

5-السل : Tuberculose سجلت بالمنطقة حالات لهذا المرض، حيث ظهر في أغلب قصور الوادي[2]، وكان يخشى منه السكان ولا يحبون التحدث عنه ويخفونه بشكل كبير وقد عانوا منه بما فيهم اليهود وحتى الأوروبيين، فقد لاحظ الطبيب هوجى في سنة 1899م وجود حالات للسل، نتيجة عدم النظافة وانخفاض مستواها عند اليهود فكان أحد أسباب ظهوره عندهم[3]، كما تظهر في أجسامهم بعض الدمل بسبب وخز شوك الجريد الذي يسبب الحمى وعلاجه سهل وعادي[4].

6-اللسع العقربي: يكثر انتشاره منتصف الربيع وبداية الصيف، ومنها لدغات الأفاعي ذات القرون ولسعات العقارب، وخصوصًا الصفراء والسوداء؛ هذه الأخيرة خطيرة جدًا[5] والصفراء التي بها رقط سوداء؛ حيث تشكل المنازل المبنية بالطين والبساتين مكاناً مناسبها لعيشها .

6-الطب الشعبي وطرق العلاج والممارسين له: اعتمدت المعرفة الطبية الشعبية في المنطقة على التجربة التي اكتسبها المعالجون والمدّوُون للأمراض، وعلى

1-أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي،ج4، دار البصائر للنشر والتوزيع، طبعة خاصة الجزائر،2007. ص ص402-404.

2-Sergent (Edmond)et Parrot(louis),Contribution de l'institut pasteur d'Algérie a la Connaissance humaine du Sahara 1900-1960,Institut pasteur d'algerie,Alger,1961p329.
3-Huguet, les conditions. P233.
4-Amat, Op.Cit .P 279.
5-Huguet, Op.Cit .P 234.

معارف الممارسين لبيع النباتات الطبية، إضافة إلى الوصفات العلاجية التي جلبها ممن عاشوا في مدن الشمال وما وُجِدَ في أمهات الكتب.

أهم طرق العلاج التقليدية هي الكي بالنار ولا يستثنى منه الجنس ولا عمر المريض وتوضع قرب مكان المرض وخصوصًا الجبين والبطن، وكذلك نجد الفصد بالحجامة [1] واستعمال الكحل لأمراض العيون، وفق ما جاء في القرآن والسيرة النبوية واستعمال الكحل لأمراض العيون وفق ما جاء في القرآن والأحاديث النبوية الشريفة[2]، فقد ورد في الحديث الشريف:﴿الشفاء في ثلاث شربة عسل وشرطة محجم وكية نار﴾، ولمعالجة مرض العيون كانوا يعتمدون على الكحل؛ كما جاء في الحديث الشريف:﴿عليكم بالإثمد فإنه يجلوا البصر وينبت الشعر﴾[3]. ومن بين طرق التداوي المعروفة بوادي ميزاب الرقية عن طريق القرآن الكريم والأدعية المأثورة[4]؛ حيث يتم في بعض الأحيان كتابة بعض سور القرآن على ورق وتعطى للمريض لشربها والباقي يدهن به باقي أعضاء جسمه[5]، ولمعالجة حمى المستنقعات يضعون القليل من القطران على الجبين[6].

للشفاء من آلام الظهر والكلى يعتمد بعض الأهالي والمعالجين من أصحاب المستوى المتدني إلى الوصفات التي تشمل الحروز والطلاسم، التي تعلق بأحد أعضاء المريض، وتقدم لهم أحياناً من طرف بعض المرابطين[7] وأحيانا يعتمدون على التعاويذ السحرية[8]، ففي الصحراء وغيرها عقائد متشابهة في المداواة عن طريق السحر وما يشببه فلو ذهبت إلى بلاد

1- Paul-François (Passager) Op.Cit .p567
2-Amat, Op.Cit .P 281.
3-حديث شريف رقم 45، رواه الترمذي، مختصر الشمائل المحمدية، اختصره وحققه محمد ناصر الالباني،ط.1 المكتبة الإسلامية الاردن، 1985 ، ص 45.
4- Amat, Op.Cit. P 283.
5- Paul-François (Passager) Op.Cit.P 566.
6- Ibid.P 566.
7-Huguet, Op.Cit.P 241.
8- Paul-François (Passager) Op.Cit .PP 564-565.

سوف أو ميزاب أو توات أو تنقلت في نواحي العاصمة وزواوة لوجدت عشرات القصص والأسماء وطرق العلاج الشعبي المبني على الخرافات والغريب أن ذلك مرده إلى الطب النبوي أساسا وذلك بعد تحريفه عن أصله[1]، ولمعالجة سموم العقارب والأفاعي يقوم السكان بفصد المكان الملدوغ واستخراج الدم بسرعة حتى لا ينتقل السم لباقي الجسم، أو وضع المكان الملدوغ في إناء به ماء[2] وقراءة شيء من القرآن على مكان اللدغ، ويعطى للمريض مغلى مشروب عشبة الرمث مع الزبدة ويستخدم أيضا ضد لسعات العقارب وعضات الأفاعي[3] وعصارة أم اللبينة أو اللبين، ولعلاج التهاب المفاصل يستعملون الكي كما تعالج أيضاً الجروح بالكي ويقومون بتضميد الجُرحِ بدُهن النعام مشروبًا أو مُرهمًا[4]، وليست كل الحالات ينفع معها العلاج؛ ففي بعض الأحيان يتوفى المريض وخصوصًا إذا كانت لسعة العقرب الصفراء المرقطة بالأسود، فهي خطيرة وكذلك عضات الأفاعي ذات القرون فهي مخيفة ومميتة[5] .

ولعلاج أمراض الكبد يتم إعطاء المريض عشبة النكد والرتم والزعتر [6] وللشفاء من حمى التيفوس يعتمدون في علاجها على الحرمل[7]، و يستعملون مسحوق لحم الحية المجفف للشفاء من الحمى المتموجة[8]، ولعلاج الاسهال استعملوا العرعار [9] أو يتناولون مسحوق قشور الرمان مع بعض الأعشاب الأخرى مسحوقةً[10] وللشفاء من أمراض العيون استعملوا قطرات من محلول نترات النحاس كقطرات للعين

1-أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق،ج7، ص 251.

2-Huguet, Op.Cit.P 234.

3-Paul-François (Passager) Op.Cit.P p 566-567
4-Paul solleillet, l'Afrique Occidentale, P 195.
5-Amat, Op.Cit.P 279.
6-Paul-François (Passager) Op.Cit.P 560.
7-Ibid, 566.
8-Paul solleillet, l'Afrique Occidentale, P 195.
9- Paul-François (Passager) Metlili Des Chaamba.P 565.
10-Huguet, Op.Cit .P 242.

أو فـــوق الحبيبـات المنتشـرة داخـل الجفـون[1]، كمـا يسـتعمل الـبعض حليـب المـرأة المرضعة عن طريق تقطيره في العين مباشرة أو وضعه ككمادة مع الحناء[2].

-تجبيـر العظـام المكسـور: يـتم بوسـائل بسـيطة وهـي مـن العلاجـات التـي يهـتم بهـا الأهـالي كثيـرا سـواء فـي الحضـر أو فـي البـدو، ويطلـق اسـم المعـالج الـذي يقـوم بهـا هـو الجبـار، فـي هـذه الحالـة يـتم خلـط الزيـت مـع الحنـاء ويطلـى بـه العضـو المكسـور وتوضع بنواحي العضو عمودان ثابتتا حتى لا يتحرك ويربط بخرقة[3] .

تعتبـر عمليـة الختـان مـن بـين العمليـات الجراحيـة البسـيطة الأكثـر انتشـارًا فـي المنطقـة وتعـرف أيضـا باسـم "الزيانـة"، ويطلـق عليهـا اليهـود إسـم "القشـال"[4]، وتجـري علـى الأطفـال بواسـطة وسـائل تقليديـة مثمتلـة فـي المقـص[5]، أو بواسـطة سـكين مـن النحـاس أو سـكين يحمـى علـى النـار[6]، يقـوم بهـا شـخص مخـتص يطلـق عليـه اسـم (الزيـان)[7] وعـادة مـا تـتم عمليـة الختـان علـى الأطفـال عنـد سـن ثـلاث وعشـر سـنوات ويترك الجرح في الغالب يشفى طبيعيا[8] .

أمـا فيمـا يتعلـق بـأمراض النسـاء فهـذا الأمـر تقـوم بـه عجـوز متمرسـة تسـمى "بـالوّلاَدة"[9] أو الدايـة فعنـد موعـد الـولادة تقـدم خليطـاً مـن الأعشـاب للمسـاعدة فـي عمليـة اخـراج الطفـل مـن بطـن أمـه، وعنـدما يـتم ذلـك تقـوم بقطـع الحبـل السـري وتنظـف المولـود بمـاء دافـئ وتقـدم لـلأم العنايـة الصـحية مـدة أربعـين يومًـا ولرضـيعها[10]، كمـا أن بعـض النسـاء يلـدن بمفـردهن دون مسـاعدة مـن أحـد، وبـدون إضـاءة، وتقمـن بقطـع الحبـل

1- Huguet, Op.Cit, Op.Cit .P 237.
2- Ibid. P 224.
3-Paul-François (Passager) Op.Cit.P 567.
4-Huguet, Op.Cit .P 563.
5-Amat, Op.Cit .P 285.

6 – محمد بن يوسف اطفيش ،تفقيه الغامر، ص35.

7- Paul-François (Passager) Op.Cit.P 568.
8-Amat, Op.Cit .P 285.
9-Huguet, Op.Cit .P 562.
10-Ibid , P 569.

السري، ويستعمل الشيح في علاج أمراض النساء[1]، كما تستعمل لمعالجة أمراض النساء مجموعة من الأعشاب الطبية والطبيعة الصحراوية وعلى رأسها الشيح والحرمل والفيجل والنكد[2] ...الخ، فسكان وادي ميزاب حسب أمات Amat لا يعرفون الطب الجراحي المتطور آنذاك، وتكاد تنحصر عندهم في ممارسة الحجامة والختانة وخلع الأسنان[3].

ثم إنّ غالباً ما يكون علاج الأمراض النفسية والروحية بمجموعة من البدع والخرافات نتيجة الأعراف الفاسدة الملصقة بالدين، ولاعتقادهم بوجود عالم الجن في حياتهم ويومياتهم لجأوا إلى استعمال بعض الأعشاب والنباتات، التي بحسبهم تبعد عن محيطهم الجن؛ منها نبتة الحرمل والعرعار فيتم خلطهما معًا، لأن الجن يتبع أماكن وجود الدماء، كما اعتمدوا في علاج بعض الأمراض النفسية بالترويح عن المريض بالموسيقى بحضور فرقة فلكلورية تدعى" ناس الدندون" إلى بيت المريض فيقومون بذبح ديك أبيض أو أحمر، وتقديم وليمة معروف به مع الكسكس ويبدؤون بالرقص، ولكل جن حسبهم أغانيه الخاصة به، وتستمر الطقوس مع الغناء والرقص حتى شفاء المريض[4] كما اعتمدوا بمدوات مرضاهم بتعليق التمائم والحروز[5]، وقد اشتهر يهود وادي ميزاب بأفعال السحر وحياة الخرافة؛ فكانوا من بين أكثر الأهالي إيمانًا بالسحر واتباع طرقه في العلاج[6]، وقد تطرقت قواشو في كتابها الحياة النسوية بميزاب إلى طرق العلاج الروحاني المتنوعة، منها استعمال الأهالي حشيشة البرص(اطريال)؛ وهو نبات طبي بري كثير المنافع مع الحناء والملح لرضى الجن

1- Paul solleillet , Op.Cit . P 196.

2-لقاء مع الحاجة عائشة بنت قدور حروز المولودة بغرداية خلال عام 1916، بتاريخ 12 جانفي 2017م على الساعة 11 صباحا بمنزلها.

3-Amat, Op.Cit.P 285.

4-Ibid, P 37.

5-Paul-François (Passager) Op.Cit.P 566.

6-Huguet, Op.Cit.P 568.

والملح كحاجز لمنعه من دخول البيت الجديد، إذا فلطرده من المكان يعتمدون بشكل كبير على الوصفات الشعبية، ويعتقدون بأن الاصابة بالحمى هو بسبب المس فيعالجونها بوصفات مكتوبة من النباتات الصحراوية والمواد الاستهلاكية ويبخرون بها أنفسهم ومكانهم، ويعتمدون في معالجة الأمراض النفسية أيضاً بالكتابة على أعضاء جسم المريض، مقابل مبلغ يصل إلى 100 فرنك في المتوسط وعلى حسب الحالة ومنهم من اختص في علاج بعض الأمراض العقلية وفي إعداد وصفات التناكير[1] .

– **الممارسين للعلاج الشعبي بوادي ميزاب:** لم يكن الطب في الجزائر بصورة عامة متطورًا خلال هذا القرن كما القرون الماضية، ولم يكن من الصنائع الرائجة فيها وبوادي ميزاب خصوصاً، عادة ما يمارس هذه المهنة شيوخ امتازوا بالاحترام والوقار[2]؛ وقد وضح محمد بن يوسف اطفيش مهمة الطبيب فهو الذي يعالج بالادوية والبيطار هو الذي يقطع ويكوي[3]، بحيث كان العلاج في المجتمع بدائياً مركزًا على الطب الشعبي، وفي الغالب ما يقوم به الطالب 'الطلبة[4] في البادية وأصحاب الخبرة والتجربة من الشيوخ والعجائز في الحضر هذه الوصفات نعتها بعض ممن كتبوا عنها بالبدائية والخرافية والوهمية، مع عدم وجود طبيب بالمعنى الحقيقي[5] فرغم فتح نقاط لبعض المستوصفات الفرنسية إلا أنها لم تلقى الإقبال إلا في حالات مستعصية واستمر ذلك إلى نهاية ق.19م؛ وعادة ما يشتري المداوي مستلزمات

1-Goichon (Amélie-Marie), La Vie Féminine au m'zab T. 2, Librairie orientaliste paul genthmer, Paris, 1931.P 90.

2- Amat, Op.Cit.P 284.

3 –محمد بن يوسف اطفيش، تفقية الغامر، ص35.

4–الطُّلبَة:(بضم الطاء وتشديدها وتسكين الام) هم المتعلمون الجزائريون تعلماً تقليدياً، العلماء الشرعيون، رجال الدين الاسلامي. ينظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج.9، ص10.

5-Passager (P) Op.Cit.P 564.

علاجه من الأسواق، فيقتني منها الزعفران، العسل، الحنة، الشب، العطور، وبعض التوابل العلاجية[1]

تطرق بول سوليه Paul solleillet خلال رحلته إلى المنطقة، عن الطب الشعبي وعلاج الأمراض الشائعة بها، عند لقائه مع الطبيب سيدي مولاي محمد الشريف من تافلالت الطبيب الذي يحمل أكياس جلدية تحتوي على وصفات وأعشاب طبية ووسائل الجراحة، ويعتبر الشريف مولاي محمد متخصصًا في علاج أمراض العيون ومنها حالات إعتام عدسات العين Cataracte ويصف للمرضى خلطات عشبية فعالة خاصة في حالة العين المتقيحة[2]، وهي نفس الطريقة التي يتم علاج المرضى بها في أغلب مناطق الصحراء، حيث ينتقل الأطباء للمداواة من قبيلة إلى قبيلة وبين الواحات واستطاعوا أن يعالجوا حالات عجز عن علاجها الأطباء المتخرجون من الجامعات الأوروبية؛ كحالة انقلاب رحم التي عالجها الطبيب مولاي محمد الشريف[3].

وقد اختصت بعض العائلات في علاج بعض الأمراض الغير معقدة كالتجبير والتضميد ومداواة الجراح المتنوعة، كعائلة كاسي بن بوهون بالقرارة متمثلة في شخص السيد كاسي بن بوهون، الذي أخذ بعض من معارفه الطبية عن القبائل العربية هناك خاصة في تجبير الكسور والجروح بالنباتات الطبية[4]. ومن أهم الأطباء الذين عرفتهم المنطقة أيضاً نذكر الطبيب محمد بن عيسى ابن عبد الله أزبار (حي في 1883م)

1-Villot, Op.Cit.P 182.
2- Paul solleillet, Op.Cit, P194.
3- Ibid, P 193.
4-Huguet, Op.Cit .PP 244-245.

كان طبيبًا بأمراض النفوس بارعًا في علاجها[1] والطبيب الماهر باحمد بن بابا عيسى الذي اتخذه الأمير عبد القادر الجزائري طبيبه الخاص[2] .

وصفات الطب الشعبي تصلح لأغلب الأمراض العادية والمستعجلة والخطيرة من طرف أفراد الأسرة، وفق ما عرفوه أو سمعوا به من علاجات الأعشاب الطبية والعقاقير أما الحالات المستعصية فأحيانا يعالجونها عند مختصين في القرية أو خارجها في المناطق المجاورة لمن سمحت له الظروف المادية بذلك، فعند عامة الممارسين للمدواة يكون عملهم مقلداً وناقصًا يعتمد على معارفهم الفطرية في ذلك ولا يقومون بالتحليل والتشريح الدقيق للمرض، وإنما يكتفون عن طريق الملاحظة الخارجية والتي تكون غامضة في أغلب الاحيان تنتج عنها أخطاء عند المقارنة بين الإنسان والحيوان وتحسس الأعضاء[3] والعمليات الجراحية لا تغدو تكون بسيطة.

وجدت بالمنطقة كتب عديدة مهمة في علم الطب والشعوذة وعلم التنجيم[4] حتى أن الميزابيين امتهنوا بيع الأعشاب الطبية والعقاقير بالمدن الشمالية، يقول الدكتور أبو القاسم سعد الله: " والباعة هم بنو ميزاب والعرب الرحل (البدو) والزواوي (القبائل) واليهود وكانوا جميعا يبيعون بضاعتهم في العاصمة وغيرها وأهمهم هم الميزابيون، فقد وصفهم بالتحضر وقال إنهم يملكون دكاكين ذات أدراج ورفوف عليها أسماء الأعشاب والعقاقير وجلب هذه المواد والعقاقير كان عن طريق تجارتهم مع المناطق الصحراوية ومناطق الهضاب وحتى عن طريق أهل البدو، التي كانوا يجلبونها معهم وقت ما يعودون إلى المدينة من أعشاب طبية مجففة وحيوانات وسمن وغيرها، وكانوا

1-مجموعة مؤلفين، معجم أعلام الإباضية من القرن 1 إلى14ه(قسم المغرب العربي) ج.4،المطبعة العربية، ط.1 غرداية،1999م،ج4، ص 822.

2-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق،ط.2، ص 82.

3-Amat, Op.Cit .P 281.

4-Ibid, P 282.

يضعونها في أكياس أو في صرائر (ج صرة) ويبيعونها للميزابيين وأصحاب الدكاكين وحتى للأهالي"[1] .

تميز العلاج في المنطقة ببساطته وانعدام العمليات الجراحية والاعتماد على ما جاء في الطب النبوي وعلى ما تزخر به المنطقة من مواد طبيعية نباتية طبية، وقد تعرفنا في مدخل الدراسة عند الحديث عن الغطاء النباتي على بعض النباتات الصحراوية التي إعتمد عليها السكان بشكل كبير لمداوة المرضى أو حتى حيوانية كأدويةٍ للتخفيف من الألم ومعالجة بعض الأعراض وتؤخذ هذه النباتات والأعشاب كمسحوق أو للشرب مع الماء أو عن طريق الغلي[2] أو وضعها على الجروح كضمادات وخصوصًا للدمل الخارجية[3]، ولازال بعض الأهالي بوادي ميزاب حتى الآن يعالجون مرضاهم بوصفات الطب الشعبي، ولازالت دكاكين الأعشاب والنباتات الطبية والعطرية بالوادي تحمل بين رفوفها الكثير من أسرار التطبيب الشعبي.

7-**الطب الفرنسي الحديث:** كبقية عموم سكان الجزائر، كان الأهالي يعرفون أن الفرنسيين قد ربطوا بين عناصر ثلاثة: الإستعمار والدين والصحة، ولم يكن من السهل عند الجزائريين الفصل بين الطب وغيره من ظواهر الإستعمار رغم أن الفرنسيين كانوا يعزون ذلك إلى التعصب[4]، وقد تبَّيَن للفرنسيين من خلال تقاريرهم وكتاباتهم أن الأهالي بميزاب امتهنوا الطب في صورته البسيطة، معتمدين على الأعشاب الطبيعية التي تزخر بها المنطقة وما جاورها، على شكل وصفات يتناولها المريض بعدة طرق وأوقات معينة ومعلومة كل حسب حالته، وحتى بعد 1882م كان الأهالي مبتعدين عن الفرنسيين في المعالجة ولم يقصدوا أطبائهم؛ وذلك بسبب رفضهم للطرف الأجنبي، وبعد أن استقرت الحامية الفرنسية بوادي ميزاب فتحوا

1-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص 231.

2-Amat, Op.Cit.P 272.

3- Paul-François (Passager), Op.Cit.P 567.

4-أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج7، ص 226.

مصحتهم العسكرية أمام المرضى، فالثقة كانت مفقودة بينهما، فوادي ميزاب تعتبر من أكثر المناطق تحفظًا وتمسكًا بالعادات والقيم لذلك كان صعبًا عليهم زيارة الأطباء الفرنسيين العسكريين ومستشفياتهم التي أنشأوها نهاية ق.19 م فمنعوا أنفسهم من مراجعة الأطباء وخصوصًا النساء، وكاد يكون ذلك من المستحيلات والتي لا نقاش فيها، ولكن هذا الواقع لا يعني المقاطعة المطلقة، فبمرور الوقت وبعد أن سخرت فرنسا كل الإمكانيات والمغريات من أجل إقناع الأهالي بالتردد على مكتب الطبيب مع مجانية العلاج واستغلال خدمات المكاتب العربية التي كانت بمثابة الجسر الذي يعبرون منه إلى قلوب الأهالي.

فهذه الأخيرة وأطباؤها لم يكونوا للعلاج فقط ولكنهم كانوا رموز قمع وإرهاب ومهما كانت نية الطبيب، فهو يدخل ضمن هذا الإطار تحت قناع الصحة[1] ومجانية الدواء وتدخل الخدمات التي قدمها الآباء البيض في هذا الشأن، مع العلم بأن الأهالي ظلوا متخوفين من زيارة الطبيب الأجنبي الذي كان يطلقون عليه اسم "الرومي"، ومع الوقت حدث شبه تقارب بينهما وأصبحوا يسألون الطبيب عن بعض الأمراض وخصوصًا إذا كان أحد أفراد العائلة في حالة مستعصية أو في حالة موت محتم رغم حساسية هذا الاتصال[2]، وتضطر العائلات في بعض الحالات النادرة إلى استدعاء الطبيب . فأمر الخدمات الصحية لم يكن بالشيء الهين بل ظلوا لسنوات متحفظين منه كما كانت زيارتهم على للمستشفى بشكل تدريجي وبحذر شديد.

لقد تم تأسيس النواة الأولى للمستشفى العسكري لمدينة غرداية على جبل بوزيزة، المشرف على المدينة بجوار الحامية العسكرية، وضم هذا المستشفى غرفًا عديدة وأقسام منها ما هو مخصص للمعاينة وعلاج المرضى، وقد استقبل مابين سنة 1897م – 1898م حوالي 190 مريضاً و156 معالجًا، وسجل مستشفى المكتب

1- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج7، ص ص 230 – 233.

2- Huguet, Op.Cit .PP 227-250.

العربي زيارة 446 مريضاً، بالإضافة إلى المارين على المنطقة موزعين على النحو في الجدول الآتي[1]:

السنة -97-98	رجال	نساء
الإباضين	243	11
العرب	27	4
الوصفان	منطقة قورارة39العبيد 3	
خيالة المكتب العربي	33	
أولاد نايل والقبائل الأخرى	56	
الأوروبيين	10	
اليهود	13	7
العابرين من الأرباع والمخادمة، سعيد عتبة وبعض قبائل الأغواط الجلفة	107	1

هذه الأعداد شملت معالجة أمراض مختلفة، سواء في المكتب العربي أو في المنازل منها أمراض الجلد والعيون والأمراض الداخلية، والعمليات الجراحية البسيطة وغيرها وأكثر الأمراض التي كانت تعالج في المستشفى من طرف الأهالي، هي الجراح الناجمة عن ضربات المطرقة أو المنجل أو السكين أو الرضوض، التي يسببها سقوط الأشخاص في الآبار العميقة أو النخيل؛ من مختلف فئات العمر والجنس، كما بدأت النساء في التردد على العيادة ولو كان بشكل قليل من الإباضيات واليهوديات والعربيات ومن الوصيفات خلال الربع الأخير مت القرن التاسع عشر الميلادي، يقدم لنا الدكتور هوجي أرقامًا تخص المرضى المعالجين في المستشفى العسكري، بحيث ارتفع عددهم سنة 1897 مقارنة بسنة 1896م، فنجد أنه من أصل

1- Huguet, Op.Cit. P 227.

مـريض156 ممـن دخلـوا المستشـفى و3535 مريضـاً حاضـراً مقابـل 120 مريضـاً قبـل المعالجـة و2894 مريضـاً حاضـراً سـنة 1896م[1]. لقـد شـملت العنايـة الطبيـة الفرنسـية معالجة ما يلي:

-تكثيـف المعاينـات الصـحية الخارجيـة والدوريـة خـارج القـرى، شـملت أهـل البـدو السـاكنين على حواف الوادي والأماكن القريبة منه.

-التلقيحـات ضـد الفيروسـات المختلفـة مثـل الحصـبة والجـدري هـذه التلقيحـات، يقـول عنهـا الـدكتور أمـاتAmat ((... التلقيحـات فـي ميـزاب أثقلـت كاهـل الادارة الفرنسـية فـي غردايـة...))[2]، مـع إعطـاء المصـل المضـاد لسـموم الحشـرات الضـارة وخصوصًـا الأفـاعي والعقـارب، وقـد خصصـت الإدارة الفرنسـية كميـات كافيـة لأجـل ذلـك[3] والحـرص علـى هـذه التطعيمـات باسـتمرار لتجنـب الإصـابة بهـذه الأمـراض، والتخفيـف مـن حـالات المـوت المحقـق ويقـوم بهـا الطبيـب العسـكري. لانـدري مـاذا يقصـد أمـات بـأن التلقيحـات أثقلـت كاهـل الإدارة الفرنسـية، وهـي كانـت أحـد أسـباب التـي أدت إلـى الزيـادة فـي الضـرائب ومـاهي نوعيـة هـذه التلقيحـات؟ ومـن هـي الفئـات العمريـة التـي أخـدتها؟ مـع العلم أن التردد وزيارة الطبيب لم تكن مرحب بها بين الأهالي.

-المراقبـة الطبيـة للأطفـال وإعطـائهم التلقيحـات رغـم عـدم اطمئنـانهم لهـذه الأدويـة وتأثيرهـا وشـملت أطفـال القبائـل العربيـة ثـم أبنـاء العبيـد ثـم أبنـاء الإباضـين، فقـد لعـب السـيد كاسـي بـن بوهـون دورًا مهمًـا فـي إقنـاع السـكان بضـرورة تلقـيح أطفـالهم[4]. وأهـم مـا واجهـه الأطبـاء هـو التلقـيح ورفـض الأهـالي لـه، وامتنـاع الفتيـات والنسـاء عـن مقابلـة الطبيـب(الرومي) كـون أن هـذا الأمـر حـرام ولا تسـمح بـه أعـراف وتقاليـد المنطقـة المحافظـة وعامـل الحيـاء عنـد المـرأة المسـلمة؛ وخصوصًـا أن المـداوي طبيـب رجـل ولـيس

1- Huguet, Op.Cit ,PP229-234- 253.
2- Amat, Op.Cit .P 277.
3- Huguet , Op.Cit.P 234.
4- Ibid . P 240.

علـى نفـس دينهـا، لـذلك اسـتعانت فرنسـا بـبعض القيـاد لتسـهيل تقـديم خـدماتهم الصـحية للأهالي وخصوصًا خلال عملية التلقيح، ومنهم الأطفال.

-الاعتنـاء بـالجروح التـي تكثـر فـي المنطقـة، والناتجـة عـن الـدمامل والأورام والقيـام بالعمليـات الجراحيـة فـي الحـالات المرضـية التـي تسـتدعي ذلـك كنـزع الـدمامل، وقـد سـجل المستشـفى العسـكري سـنة 1897 م معالجـة 58 حالـة ناتجـة عـن العمليـات الجراحيـة المختلفة[1].

-الاهتمـام بصـحة المواليـد الجـدد ومراقبـة شـفاء جـرح السـرة، النـاتج عـن القطـع التقليـدي لهـا وهـو الـدور الـذي قامـت بـه الأخـوات البـيض للتقـرب مـن نسـاء وادي ميـزاب وتعلـيمهن بعـض الإسـعافات الطبيـة والتـدابير المنزليـة منـذ اسـتقرارهن بغردايـة يـوم 27 ديسـمبر 1898 م-13شـعبان1316هـ. وبـدأن فـي تأسـيس نـواة عيـادة صـغيرة اسـتمرت عامين في 11 جانفي 1893 م[2]-22جمادى الاخرة1310هـ.

-إنشـاء المستشـفى المـدني الأهلـي فـي 22 ديسـمبر 1897 ومستشـفى القديسـة مـاري مـادلين "sainte marie-madeleine" بالاتفـاق مـع الولايـة العامـة، يسـتقبل الأهـالي والعسـكريين والمـدنيين الأوروبيـين[3] فـي حـي تيضـيفت، وقـد اسـتقبل خـلال الأشـهر الأولـى سـبع وخمسـين رجـلاً وثـلاثٍ وعشـرين إمـرأةً، وعـدداً مـن قبائـل وأعـراش المنطقـة أو حتى المارين بها[4] .

وقـد لعبـت الأخـوات البـيض فـي هـذا المستشـفى أعمـالاً مهمـة فـي العنايـة بالأهـالي ومحـاولاتهن التـودد إلـى العـائلات، متخـذات فـي سـبيلهن تقـديم خـدمات طبيـة

1-Huguet , Op.Cit P P 234-252.

2-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.2، ص 195.

3- نفسه ص 165.

4-Huguet , Op.Cit. P 253.

مجانية ولكن النساء لم يقبلن هذا الأمر بسهولة[1]، ثم أتبعت ذلك بإنشاء مستوصفين بأحياء الأهالي أين يمكن للنساء أخذ الرعاية الصحية بهما بكل حرية ودون خوف.

لقد حاولت الإدارة الفرنسية من خلال المستشفى العسكري التأثير على السكان وجعلهم يقبلون العلاج الفرنسي، حيث تبين تقاريرهم أن الأرقام المسجلة للمرضى والحالات المعالجة في المستشفى العسكري، من شهر أفريل من 1893 م حتى شهر جوان 1898 م معاينة خمسة وثمانين حالة مرضية منها:

-الرضوض: ثلاث حالات.

-جروح الرضوض: سبع وعشرين.

-التمزق: ثلاث.

-الجروح الناتجة عن الآلات الحديدية ستة عشر.

-الحروق: أربع.

-الاغتصاب: خمسة.

-جروح الأسلحة النارية: ثلاثة.

-الأمراض العقلية: اثنان[2] .

هذه الأمراض المبينة لا نعتقد أنها تمثل حقيقتها ودقتها وعدد المصابين بها لأن غالبية المجتمع لم يقبل أمر التردد الطبيب "الرومي"، ويعود هذا إلى تجدر وقوة العادات والتقاليد التي لا يمكن اختراقها، ومن خلال ما قدمته التقارير الفرنسية نجد أن أمراض الجروح هي السائدة التي يأتي من أجلها المريض للمستشفى وخصوصًا الجروح الناتجة عن السقوط في الآبار، ثم جروح الآلات الحديدية. ومن الراجح أن

1-مفدي زكرياء، المرجع السابق، ص 187.

2- Huguet, Op.Cit.P P 254-255.

الإدارة الفرنسية رفضت علاج بعض العائلات التي ساندت زعامات المقاومة ومنعتهم من التردد على مراكزها الصحية حتى بعد أن اقتنع بها الأهالي.

خلاصة الفصل لقد عاش الفرد في منطقة تشح فيها مصادر المواد الأولية للعيش وتكبد الصعاب والمحن، وإنّ تَحَوُل هذه الرقعة القاحلة لم يحدث اليوم بل هو ثمن قرون طويلة من العمل الدؤوب والصبر، فعمل على تلين الحجر وحفر الأرض لاستخراج المياه وغرس النخيل، مكتفيًا بقوت يومه الذي شمل التمر والحليب وقليل من الكسكسي، وذلك في وجبتين على الأكثر، فغلبت عليه صفة الزهد والقشف والبساطة، هذه الحال انتهت مع الربع الأخير للقرن التاسع عشر، أين حاولت فرنسا التطوير في وسائل العيش مع تحكمها في مصادره.

وقد تميز الوضع الصحي بخلو المنطقة من الأمراض الخطيرة نتيجة الظروف المناخية رغم ذلك تفشت بعض الأمراض والأوبئة بينهم كالجذري والتيفيوس والبرص وأمراض العيون واللسع العقربي، وعملوا على علاج أنفسهم بما توفر عندهم من ثقافة شعبية وموروث مكتسب ونباتات صحراوية طبية وطبيعية، وأخرى جلبوها من عدة مناطق شمالية هذه الوضعية الصحية سرعان ما تغيرت مع الربع الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي، إذ تم بشكل تدريجي استبدال العلاج الشعبي بالدواء الفرنسي وكما قامت الإدارة الفرنسية والمبشرين بفتح عيادات ومراكز صحية وعلاجية ومحاولة ترغيب وإقناع الأهالي بالتردد عليها.

الفصل الثالث

الأسرة وتنظيم شؤونها

1-العائلة ومميزاتها بالمنطقة

2- أهمية الزواج وطقوسه

3-الوضعية الاقتصادية والمالية للعائلة

4-الدور الاجتماعي والاقتصادي للمرأة

الأسرة وتنظيم شؤونها

1-العائلة ومميزاتها في المنطقة: تعتبر الأسرة في وادي ميزاب الأساس في تكوين المجتمع، لذلك تطلب أمر بنائها وضع أسس قوية ومتينة، في حدود الشريعة ونظم المدينة وتشريعاتها فهي تبتدئ من العائلة، أين يكون لكبير السن نفوذ عليها سواء لدى السكان الحضر أو البدو، وباختلاف مستوياتهم المادية والاقتصادية، ولا يمكن غض النظر عن مكانة المرأة فيه كعنصر فعال يعتمد عليها لصلاح الأسرة والعائلة هذه الأخيرة التي تميزت ببساطتها في عيشها وتمسكها بعاداتها ومعتقداتها وتقاليدها في البدو والحضر، وخلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر ظهرت مستجدات خلفت أثارًا على وضعها وشكلها الأصيل.

أ-**التركيبة الإجتماعية للعائلة:** إذا كانت القبيلة هي الطابع السائد في المجتمع والعشيرة هي المُشَكِلَة لذلك، فهي تنقسم إلى عدة أقسام محورها الثابت هو العائلة، التي تعتبر الأسرة لبنتها الأولى وهي تتشابه إلى حد كبير في المدينة والبادية.

تعيش العائلة في القبائل البدوية بحواف الوادي، وتتخذ من المراعي والأودية مكانًا لعيشها، ويعتمدون على التنقل والترحال خلال حياتهم، وهم يقومون في خيام الشعر والوبر وبالنسبة للبدو والشبه الحضر، فإننا نجدهم يسكنون فيما يعرف "الزريبة" المصنوعة من جريد النخيل أو من نبتة الدرين[1] أو الخيمة، تظم الخيمة الواجدة أكثر من خمس أشخاص ويمتلكون ما بين خمسة أو ستة جمال، ونحو 12 رأسًا من الغنم وعددا من الماعز[2] ويتراوح عدد خيام العائلة ما بين 5 إلى 30 خيمة بحسب مكانة وقوة العائلة وعدد أفرادها، وفي بعض الأحيان نجد البعض من تلك العائلات تستقر مؤقتًا على حواف الوادي، ومقابلة للقصور في انتظار اغتنام فرصة العمل في

1- Paul-François (Passager),Op. Cit .P 14.

2- إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 166.

الواحات وأعمال أخرى إذا كان العام صعبًا وجافًا فيختارون بناء الزرايب والقربي من الطين[1]؛ مُكَوَن من غرفة إلى غرفتين، وما إن تتحسن الأحوال حتى تتحرك العائلة من جديد إلى مراعيها وتترك بنائها المؤقت؛ فللعائلة دور كبير في حياة الصحراويين وتأثيرها على سلوكيات الأفراد وبناء شخصياتهم أكثر من تأثيرها على سكان المدن وعلى العموم كان عدد أفراد الأسرة الواحدة ضمن العائلة البدوية بوادي ميزاب يضم أكثر من أربعة أشخاص يمتلكون ثروة لا بأس بها من الحيوانات ويمتهن أغلب الرجال الرعي، أما النساء فيقمن بتربة الأطفال والقيام بالشؤون المنزلية اليومية كالنسيج[2]، وجلب الحطب والحلب...الخ.

ب-العائلة في المجتمع الحضري: تتكون العائلة عند الإباضية من خمسة أفراد في المتوسط، فالأسرة هي وحدة كاملة تتمتع بمطلق السيطرة في حدود نضم المدينة وأعرافها، فهي تبدأ مع العائلة حيث يبسط كبيرها وقاره ونفوذه عليها[3]، مع دور العشيرة التي تضم مجموعة من العائلات المنحدرة في أغلب الأحيان من جد واحد وهي ما يسمى في الشريعة الإسلامية "العاقلة"[4]، وقد كان للعشيرة دوراً كبيراً في هيكل البنية الاجتماعية، ودور تنظيمي ساعد في جميع الأطوار مع انضمام بعض أبناء المنضمين بالولاء؛ كالملونين المنحدرين من العبيد ومن كان نزيلاً بعد أن انظم إلى العشيرة لأجل الحمية القبلية، واعتبروا من حينها من أبناء العشيرة، ويرعى شؤون العائلة(الأب)[5] الذي يفرض منطقه على أبنائه وينادونه بالسيد[6]، وينوب عليه أثناء غيابه أو موته الإبن الأكبر؛ فهو المشرف على أمور معيشتهم ويسير نمط غذائهم

1- Paul-François (Passager) Op.Cit .P 529.

2-إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 166.

3-مفدي زكرياء، المرجع السابق، ص 199.

4-أيوب بن ابراهيم القرادي، المرجع السابق، ص 106.

5- Coyne, Op.Cit .P 31.

6- Amat, Op.Cit .P 227.

بناءًا على ما يتم تخزينه من مؤونة حتى لا يتم تبذيرها واستعمالها وفق برنامج يضعه، فهو السيد الذي يفرض وقاره واحترامه.

وفي العادة عندما يتزوج الأبناء يبنون أُسَرهم داخل نطاق العائلة فيعيشون في منزل واحد إلى أن يصبح أبناؤهم كثر، فيضطرون في بعض الحالات إلى الخروج عن سقف العائلة والاستقرار بمفردهم، أما مصاريف الإنفاق فيتحملها الأب، وفي بعض الأحيان يُشَغِلُ الأب إبنه معه قبل زواجه، ويقوم في المقابل بادخار مال إبنه مع ماله، وعندما يحين وقت زواجه فإن مصاريف الزواج تكون على عاتق الأب. يساعد الأبناء أباءهم في الأشغال منذ الصغر، يذكر Coyne: "عند الميزابيين لا يبقى أحد بدون عمل وحتى الأطفال في سن الخامسة وست سنوات يساعدون والدهم في البستان فيجرون الجمل أو الحمار لجلب مياه الآبار"[1]، وعادة ما يكون الأب أحادي الزوجة[2]، حيث لا تسمح قوانين العزابة بالطلاق إلا في الحالات الصعبة لذلك يقل الطلاق[3]، وهناك حالات يسمح بها بالتعدد كبقية المسلمين يعيش الأب والأبناء وزواجاتهم في نفس المنزل إلى أن يتوفى الأب، حينها يمكن للأبناء وأبنائهم الذين كبروا وترعرعوا في حضن العائلة أن ينفردوا بمساكنهم الخاصة فيؤسسون بنفس الطريقة أسر وعائلات من جديد في استمرارية لا تكاد تنقطع، يربطها حبل الوصال الذي يثمن بالمصاهرة والزواج، ويشترط أن يكون إلا فيما بينهم ومن خالف ذلك ينفى ويبعد[4]، كما لا يمكن للزوجة في حالة إذا كان زوجها عاملاً بإحدى مدن الشمال أن تذهب إليه تحت أي ظرف من الظروف[5]، وفق ما جاء في اتفاقيات مجالس عمي سعيد يوم 21 شعبان 1245هـ/1830م:"... إن المرأة ما إذا كانت في بلد من بلاد مزاب فأرادت أن تتزوج رجلا في مدينة غير مدينتها إن عقد نكاحها يكون في

1-Coyne, Op.Cit.P 24.
2-Amat, Op.Cit.P 227.
3-Paul solleillet, l'Afrique occidentale, P 78.
4-Ibid , P 77.
5-Coyne, Op.Cit.P 30.

البلد الذي هي فيه لا في المدينة التي فيها زوجها أي أن ذلك أصلح لمعرفة حالها ومن أولى بتزويجها من أوليائها..."[1]، وفي ذلك إشارة واضحة إلى منع المرأة من الخروج من بلاد ميزاب، ومن خالفت ذلك ستكون في انتظارها عقوبة الإبعاد الأبدي هذا المنع شمل أيضا وضع قيود محرجة لخروج المرأة من مدينة إلى أخرى بميزاب فالمرأة في بني يزقن لا يمكنها أن تتزوج حتى خارج المدينة[2]، وذلك نتيجة التوتر الذي كان يسود العلاقات بين المدينة والمدن الأخرى، وإلى الظروف التي وضع فيها هذا التشريع، فقد خشيت الهيئة الميزابية التشريعية أن تكون عرضة لما ينجر على قوافلهم بين ميزاب ومدن الشمال الجزائري، ومع ما يمكن أن يعترضها من طرف القبائل البدوية المقيمة في حالة تناوش مع الميزابيين[3]، لذلك الأجدر والأصح لها أثناء غيابه أن تبقى مع حماتها وحماها وأبنائه إلى أن يعود زوجها، فهي بذلك لا تشعر بثقل المسؤولية لوحدها وإنما يتقاسم ذلك معها والده ووالدته في ارتباط؛ عبارة عن عقد جدي وعائلة يجب أن تؤسس على مبادئ مثالية[4]. يذكر زيس Zeys في كتابه Législation Mozabite بأن المرأة بعد الاحتلال العسكري أصبح بإمكانها السفر مع زوجها وأولادها، ويرجع سبب ذلك بحسبه إلى تأثيرات الحضارة الفرنسية على المنطقة[5]، فهو أراد من قوله ذلك زرع الشك في ما تم وضعه من تشريع وأعراف واضحة في هذا الأمر، متناسياً بأن من تحصنت بدينها وأخلاقها وعاداتها يصعب تحويلها وتغيرها.

أما العائلة عند المالكية فالوحدة الأساسية في البناء العشائري للقبائل هي الفرق العائلية، التي تتكون من عائلة كبيرة أو مجموعة من العائلات، حيث تحمل العائلة

1-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.2، ص 62.

2- Coyne, Op.Cit . P 31.

3-مفدي زكرياء، المرجع السابق، ص 195.

4-Coyne, Op.Cit.P 78.

5-Zeys (Ernest), Législation Mozabite, Son Origine, Ses source, Son présent, Son avenir, Adolphe Jourdan, Alger,1886,P54.

إسم الجد الأكبر أو المكان التي قدمت منه، فالعرش عبارة عن مجموعة من الفرق العائلية اجتمعت مع بعضها البعض في مكان معين وظروف معينة؛ كفرقة بني مرزوق وفرقة الشعانبة، وفرقة الشرفة والمرابطين، والمخادمة، وسعيد عتبة، وأولاد يعقوب، والمخاليف وأولاد نايل، والحرازلية...إلخ واحتفظت كل فرقة بخصوصياتها وعاداتها.

يتولى الفرقة العائلية الضامن أو الكوراط[1]، وتكون سيادة الأب في تسيير جميع شؤون الأسرة[2] وهو من الأمور المتفق عليها عند جميع القبائل العربية، ويتم الزواج في أغلب الأحيان ما بين زوجين من نفس الفرقة أو العرش[3]؛ وتتسع دائرة العائلة أحيانا لتشمل التزاوج مع العبيد والزنوج، ويقدمون إضافة جديدة من حياة العائلة التقليدية والإجتماعية، كما يمكن للعائلة أن توسع نطاق التزاوج ما بين القبائل الساكنة بالوادي أو حتى الوافدة إليه متأخرة، لم يكن تعدد الزوجات كثيرًا إلاّ عند العائلات الغنية والطلاق عادة ما يكون بسبب العقم[4]، وهم يسكنون إما في خيام قرب القرى أو في بيوت داخل المدن، وعادة ما تتكون العائلة من الوالد والوالدة والأبناء وفي حالة زواج الأبناء فإنهم يستقرون معه لعدم استطاعتهم تأسيس منازل بمفردهم، نتيجة الأوضاع الاقتصادية القاسية، وقد برز مع السنوات الأخيرة من ق. 19 م شيء من التحول مس جانبًا من حياة العائلة، حيث بدأوا يتخلون عن العيش تحت الخيم وعلى حواف الوادي إلى العيش في منازل مبنية من الطين[5].

أما العائلة عند اليهود فقد مارست ضغوطًا كبيرة على المرأة، فالشريعة اليهودية نظرت إليها نظرة استصغار واحتقار؛ فعاشت وضعاً مزريًا وصعبًا على المستوى

1-Jacques ruffie, Op.Cit .P 359.

2-إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 170.

3- Jacques ruffie, Op.Cit. P 360.
4-Ibid, P 360.
5- Paul-François (Passager) Op.Cit .P 530.

المادي والمعنوي، ومنعت من حقها من الميراث ولم تحض باحترام زوجها فهي لا تستطيع مشاركته الطعام ولا الأكل معه في إناء واحد أو أثناء حضوره[1]؛عاشت على الهامش لا يمكنها التأثير في العائلة ولا يحسب لها حساب إلا في نطاق ضيق وظيفتها إنجاب الأولاد فقط، وكثيرًا ما ظلت المرأة اليهودية محتقرة من بني دينها لا ترث ولا تقبل لها شهادة ولا نذر[2]؛ وإذا ما أنجبت توأمين فإنها تقوم بإرضاع الذكر وأما الأنثى فتعطيها حليب الماعز[3]، ولا يسمح لهم باصطحاب زوجاتهم أثناء سفرهم منذ استقرارهم بالمنطقة، هذا المنع أصبح مسموحًا به مع الضم الفرنسي إذ أصبح بإمكانهن مرافقة أزواجهن[4]، وبإمكان العائلة أن تتصاهر في بعض الأحيان مع العائلات اليهودية من خارج المنطقة مع يهود تقرت وآفلو والجلفة، وهم يتزوجون في سن مبكرة جدًا بعد أن تتم الخطبة في سن أربع أو خمس سنوات[5]؛ وبإمكان الرجل أن يتزوج أكثر من امرأة حتى ستة نساء؛ وذلك بسبب كبر سن المرأة وكثرة الولادات، وهي تعيش في منزل واحد يتراوح عدد أفراده ما بين ثلاثين وأربعين شخصًا؛ تميزت حالتها بانعدام العناية والنظافة إذ أنها ترمي المياه المستعملة خارج المنزل، أي في الأزقة عكس المسلمين الذين كانت لهم آبار مخصصة لهذه المياه المستعملة، لم يتحمل الأب كامل مسؤولياته كسيد العائلة وذلك بسبب عدم قدرته التحكم في أفراد ولكثرة عددهم في حالة تعدده للزواج.

لقد سن مجلس العزابة بعض الأحكام المتعلقة بقانون العقوبات وتنظيم الحياة الاجتماعية والقانونية في المنطقة، ومنها ما يخص اليهودي في السرقة والقتل والمعاملات، فالعائلة اليهودية تأثرت بالمحيط الذي عاشت فيه، كما أثروا فيه بجملة

1- Huguet, les juifs de m'zab, P 566.

2-كمال بن صحراوي، المرجع السابق، ص 47.

3-D'armagnac, Op.Cit.P 100.

4-Charles (kleinknecht), Op.Cit.P 32.

5-Huguet, Op.Cit.P P 563 - 564.

من العادات والتقاليد مع محاولة بعض العائلات التخلص من هذه القوانين المفروضة عليهم من طرف مجلس العزابة، خاصة بعد مجيء الفرنسيين ومحاولتهم الحصول على الجنسية الفرنسية.

2-أهمية الزواج وطقوسه: من أهم الأسس التي تقوم عليها الأسرة في وادي ميزاب الزواج، فعندما يشب الولد ويصبح شبه قادر على تحمل مسؤوليته يقرر أفراد أسرته تزويجه.

فالبدويين يعتبرون الزواج نظام في حياة الشاب الذي يستطيع بناء أسرة عندما يبلغ سن ست عشر أوعشرين سنة، والفتاة ما بين 13 و16 سنة[1]، فيما يحدد إيف رينيه Yves-Regnier سن الزواج بـ خمسة عشر سنة[2]، وتقيمه العائلات البدوية خلال فصل الخريف، وعادة ما تكون العائلات تعرف بعضها البعض؛ كأن يكونان من نفس العرش والقبيلة أو يكون الشاب قد رأى الفتاة حول محيط المراعي، سواء خروجها مع قريناتها للسقي من الآبار أو القيام بأشغال الحلب وجمع الحطب، ويدوم الزواج ثلاثة أيام في الغالب، يكتفي البدوي بمرأة واحدة فهو في الغالب أحادي الزوجة[3]، ويعيش الزوجان في البداية في خيمة والده وعندما تكبر العائلة فإنهم يتحولون على السكن في خيمة خاصة بهم.

وفي الحضر عند للميزابيين، يتولى الوالدين هذا الأمر الأول الذي يجب القيام به لتأسيس أسرة وهو الخطبة "المقاولة"[4]؛ التي يتولاها الوالدين ويراعى فيه التكافؤ العائلي مع السلامة من العيوب الأخلاقية والدينية للطرفين[5]، وقد يخطب له والديه أو يكون قدر رآها في الشارع أو في أحد المناسبات، ولا يهملون الجمال ولكنهم لا

1- Paul-François (Passager) Op.Cit .P 537.
2-Yves regnier, Op.Cit .P 152.ghh
3- Paul-François (Passager) Op.Cit.P 537.
4-أيوب بن ابراهيم القرادي، المرجع السابق، ص 80.
5-مفدي زكرياء، المرجع السابق، ص ص 177-179.

يضعونه كشرط للاختيار والمهم أن تكون مقبولة الشكل، ويمكن للفتاة إذا ما بلغت السن 12 أو 13 سنة[1] أن تتزوج مثل بنات باقي الأهالي؛ وبعد أن يتم الاتفاق الوالدين مع ابنهم تبعث عائلة الشاب إحدى الأمهات العاقلات أو إحدى الغسالات للخطبة[2]، وفي حالة القبول يتم الاتفاق على الشروط بين الأب ووكيل الفتاة، هذا الأخير الذي يطلب مهرًا معينًا سواء نقدًا أو نخلةً أو تمرًا أو جزةَ صوفٍ وفي بعض الأحيان يهديها هدية الزواج[3]، وذلك كله في حدود ما تراه العزابة طبقًا للأوضاع التشريعية المثبتة أصولها في مجالات التشريع الميزابية، والتي تختلف دائما على حسب إختلاف المدن والظروف الاقتصادية حسب المدينة الواحدة[4]، ويحضر يوم الزواج بعض العزابة سيما شيخ المسجد، فيتلو الفاتحة وخطبة الزواج ويبارك جميع الحاضرين ذلك الزواج، يذكر الشيخ القرادي أن الشروط التي يمليها ولي المرأة على الزوج حتى يكون النكاح مملكًا وهذا اختبار وقع في اتفاقيات مجلس الشيخ عمي سعيد وهذه الشروط هي: "أن لا يسرق ولا يزني ولا يشرب الخمر ولا يترك الصلاة وأن لا يتزوج ولا يتسرى إلاّ بعد إذنها ولا يغيب عنها أكثر من سنتين وكانت في القديم ثلاث سنوات وهناك شرط آخر أن لا يخرجها من بلدها الذي تزوجت فيه"[5].

وتكون الأعراس بسيطة وغير مكلفة في قرى الوادي، وتنشأ الفتاة الميزابية تنشئة منزلية ثم تلقن قدرًا مهمًا من الأمور الدينية وفي نفس الوقت تدرب على الغزل

1-Duveyrier, Op.Cit.P 188.

2-أيوب بن ابراهيم القرادي، المرجع السابق، ص 80.

3- Duveyrier, Op.Cit.PP 182-188.

4-مفدي زكرياء، المرجع السابق، ص180.

5-أيوب بن ابراهيم القرادي، المرجع السابق، ص ص 81-82.

والنسيج وعلى إدارة شؤون المنزل[1]، ويدوم العرس في الغالب ثلاثة أيام وتسمى أيام العرس بأسماء عديدة كـ"الوزران" أو " الوزراء"[2] و"الحجبة"[3] و"حفلة التتويج"[4].

لم يجد الميزابيون في الزواج حرجًا لسبب قلة تكاليفه وإشراف هيئة العزابة عليه فالفقير تتحمل العشيرة نفقات عرسه[5] من كيسها[6]، وتكون وليمة العرس من طعام وقمح مطحون على شكل روينة، ينقل لنا هنري دوفيري Duveyrier ما يتم تحضيره في العرس:" العرس ليس مكلفا ويتم تناول الكسكس وطحين القمح المحمص"[7]. فخلال السنوات الأولى من الزواج لا يسمح للزوجة من مغادرة بيت زوجها إلا في ظروف استثنائية كالزواج أو المآتم، وتكون بصحبة والدتها أو صحبة والدته أو من تقوم مقامها من ذويها وعلى أن تخرج ليلاً وألا تعود إلى بيتها إلا ليلاً[8]. ذكر بعض الأوربيين ممن زاروا المنطقة بأنهم لم يلتقوا بالنساء الميزابيات في الشوارع، عدا الأطفال والنساء المسنات [9]، وفي حالة الطلاق عادة ما يُعِيد والدُ الزوجة مهرها إلى زوجها ويحدث بسبب عدم أهلية أحدهما القيام بالشؤون الزوجية، أو لسوء معاملة الزوجة وكذلك رفضه لإطعامها واسكانها وكسوتها[10]، وتتدخل هيئة العزابة في حل

1-مفدي زكرياء، المرجع السابق، ص 181.

2-الوزراء: هم مجموعة من الشباب وقد يكون بينهم الكهول يقومون بمرافقة العريس في الأيام الثلاثة من حفل العرس من صلاة الفجر إلى صلاة العشاء. ينظر: صالح بن عمر سماوي، المرجع السابق، ص 648.

3-الحجبة: هي دار من الدور العادية أو دار لعشيرة ما تهيء وتزين لإيواء العريس ورفقائه أيام العرس وكانوا قبل هذا يختارون أي دار مناسبة وهي من العادات المتوارثة منذ القدم، ينظر: صالح بن عمر سماوي، المرجع السابق، ص 649.

4-حفلة التتويج: ويقال لها بالميزابية "أيرض" وهو إلباس العريس لباسه التقليدي قبل يوم الدخول والعشاء. ينظر: أيوب بن ابراهيم القرادي، المرجع السابق، ص 92.

5-Duveyrier, Op.Cit.P 188.

6-أيوب بن ابراهيم القرادي، المرجع السابق، ص 83.

7- Duveyrier, Op.Cit . P 188.

8-مفدي زكرياء، المرجع السابق، ص 181.

9-Trumelet (C) Les Français Dans le désert, Garnier frères, Paris, 1866, P 332.

10- Amat, Op.Cit.P P 182-183.

المشكل بينهما[1] وفي حالة عدم قدرة الزوجين على الاستمرار في الحياة معا يتم الطلاق، ويمكن للميزابي الساكن خارج المنطقة أن يتزوج أكثر من زوجة[2].

والحال عند المالكية في الحضر فيتم في أغلب الأحيان من نفس الفرقة أو العرش[3]، وقد يحدث عكس ذلك أحيانا ولا تتزوج الفتاة الشعانبية من قبيلة أخرى وخاصة من قبيلة الزناتة[4]، وعندما يبلغ الشاب سن ما بين 17 و20 سنة والفتاة ما بين 12 و16 سنة يمكنهما أن يتزوجا، ويتعرف الشاب على فتاته قبل الزواج إما في المراعي[5] أو يراها، لأنهم ينتمون لنفس القبيلة أو أن خيمهم أو مساكنهم قريبة من بعضها البعض؛ ويحدث أحيانا أن يكونا موعودين لبعضهم البعض منذ الصغر باتفاق الأباء[6] وقد لا يعرفها ولكن النساء المقربات منه يصفنها[7]، تهتم لأمر الخطبة الوالدة أو المقربين من ذويه[8].

بعدما يقوم والد الشاب بخطبة الفتاة من والدها، ويكون القبول في غالب الأحيان، يقوم الوالد بعدها بذبح ما هو موجود من المواشي ويستدعي الشهود للاتفاق وبعد ذلك يقرأ الطالب أو الأمام الفاتحة للبركة والقبول[9]، ويحدد المهر بالدراهم أو عدد النوق التي تعطى لوالد الفتاة ولكن الشعانبة لا يعطون تلك النوق إلا قبل يوم أو يومان من العرس، ويختلف مقدار المهر حسب الوضع المالي والاجتماعي لأهل العريس، فقد يدفع لها المبلغ كاملاً وقد يؤجل أو يؤخر لوقت لاحق، وقد يكون نقودًا

1-صالح بن عمر سماوي، المرجع السابق، ص 415.

2- Amat, Op.Cit.P 184.

3-إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 170.

4- Yves regnier, Op.Cit.PP 152-153.

5- Paul-François (Passager) Op.Cit.P 537.

6-Yves regnier, Op.Cit.P 151.

7-D'armagnac, Op.Cit.P 133.

8- Paul-François (Passager) Op.Cit.P 537.

9-Yves regnier, Op.Cit .P 152.

أو زربيـةً كبيـرةً أو فـراش أو بعـض الملحفـات وشـيء مـن الحلـي؛ سـواء عقـد أو أسـاور من الفضة أو زوج من المشابك للملحفة وبعض مواد الزينة[1].

يـدوم الـزواج فـي الغالـب ثلاثـة أيـام، يسـمى اليـوم الأول بـ "القَلْبَـة" وتلـبس فيـه العـروس سـروالاً وفسـتاناً أصـفراً وملحفـةً حمـراء، وتضـع وِشـاحاً أصـفراً علـى كتفيهـا وتتـزين بـالحلي، وتوضـع لهـا بعـض الزينـة علـى وجههـا؛ ونقـاط تحـت العـين وعلـى الخـدود بالإضـافة الحنـاء والكحـل والمسـواك والبخـور، وتغطـى بخمـار أحمـر ثـم يضـاف عليـه قطعـة مـن القمـاش تسـمى "بخنـوق أبـيض"[2]؛ ويثـب بمشـبك (دبـوس) ويلـف البخنـوق بقطعـة مـن الصـوف خضـراء[3]، وتـذهب مـع بعـض صـديقاتها لزيـارة الأهـل وتتلقـى مـنهم الهـدايا ويسـمى اليـوم الثـاني بـ "الْـدْهَازْ "[4] ويرتـدي خلالـه العـريس عبـاءةً بيضـاء وبرنوسًـا أبيضـاً وعلـى رأسـه عمامـةً، ويضـع علـى صـدره منـديل أحمـر اللـون منـتعلاً بـابوش أبـيض مكتحـل العينـين، تخضـب يـده اليمنـى ورجلـه اليسـرى بالحنـاء[5] ويعـزل بعـد ذلـك فـي معـزل مـن الـدرين أو الجريـد تسـمى بـ "الزريبـة" لمـدة يـوم إلـى غايـة دخولـه خيمـة الزوجيـة[6]؛ فيمـا يسـمى اليـوم الثالـث بـ"المَرْوَحْ"[7] وفيـه يجتمـع أفـراد القبيلـة، وترتـدي النسـاء ألبسـة ملونـة مـن خمـارات بيضـاء وشـالات أرجوانيـة مطـرزة بحـواش بلـون ذهبـي، بينمـا الرجـال يجتمعـون فـي حلقـات دائريـة حـاملين معهـم بنـادقهم للاحتفـال والقيـام برقصـة فانتازيـا البـارود[8]، قبـل غـروب الشـمس يـأتي أحـد "الـوزرا"

1- Paul-François (Passager) Op.Cit.P 538.

2-لقاء مع الحاجة عائشة بنت قدور حروز المولودة خلال عام 1916، بتاريخ 12 جانفي 2017.على الساعة 11 صباحا.

3- Paul-François (Passager) Op.Cit . P 539.

4-الدهاز : تقام فيه وليمة مكونة من الحليب والتمر والسمن والخبز والشاي خلال ذلك تغني النساء وترقصن.

5-Yves Regnier, Op.Cit.P 153.

6- Eyme, Centre Culturel et de Documentaion Saharienne(C.C.D.S),Ghardaïa. S.D. .P 33-34.

ملاحظة:الأوراق دون تاريخ، مكتوبة بالألة الراقنة، ونعتقد بأنها كتبت سنوات الأربعينيات من القرن العشرين.

7-المَـرْوَحْ :أي بمعنـى ذهـاب العـروس إلـى بيـت العـريس وتلـبس فيـه فسـتان وملحفـة وبعـض الحلـي ويوضـع لهـا خمـار مـن الصـوف الأحمـر وبخنـوق أبـيض وتغطـى مـرة أخـرى بالحايـك وتوضـع بطرفـه مـرآة لجلـب الحـظ. لقـاء مـع الحاجـة فاطنة الهامل المولودة بتاريخ 1936 بالمنيعة، على الساعة 13 زاولا يوم 07 جانفي2016.

8- Paul-François (Passager) Op.Cit.P 537.

لأخذ العروس على ناقة بيضاء، وتمتطي هودجًا مزيناً بالحرير الأحمر والأخضر ومطرز بألوان ذهبية وبريش النعام، وفي بعض الأحيان يتم حمل العروس على ظهر امرأة[1]، يتم إيصالها إلى بيت أو خيمة العريس إلى مكان يسمى بـ"الحِجْبَة"[2] وتبقى هناك لوحدها وقبل مدخل الحجبة يوضع خيط من الصوف لمنع الدخول إليها.

مع اقتراب العريس من خيمة الزوجية يقوم بقطع الخيط بسيفه ويرميه، ومن بين التقاليد المقامة في هذا الموعد هو أن يقوم العريس بنزع حذائه وضرب العروس به سبعة ضربات خفيفة على ساقها الأيمن، بينما يبقى أصدقاؤه والوزرا في بيت آخر يتمازحون ويغنون ويعزفون على الناي وينادون العريس بمولاي السلطان[3]، ويسمى اليوم الرابع بـ"الحجبة" وتبقى العروس في زاويتها، وفي الصباح يقدم لأهلها طعام يسمى "بقصعة الصباح"[4]، ويسمى اليوم الخامس بـ "الخروج"؛ وهو اليوم الأخير من العرس وفي صبيحته يحمل للعروسين كبش فيقوم الزوج بذبحه، وفيما بعد تحمل الزوجة على ظهر يدها حلوة مصنوعة من السميد والزبدة والسكر لتقدمها على ثلاث مرات في فم زوجها[5]، ثم تُزَينُ العروس وتضع وزيرتها خلف ظهرها وسادة تسمى بـ"بِرْدْعِة لَمَان" وتخرجها من الحجبة، لتقوم برحي خليط القمح والشعير في اتجاهها العكسي وهذا الطحين تصنع منه خبزًا ترسله إلى أبيها؛ تعبيرًا منها على أنها لم تبقى تحت سلطته[6] وفي مساء هذا اليوم يلتقي المدعوين وأهلهما للفرح والبهجة.

1- Paul-François (Passager) Op.Cit , P 539.

2-الحجبة: وهو ركن معزول في البيت أو الخيمة بواسطة رداء، لقاء مع الحاجة فاطمة الهامل.

3-Yves Regnier,Op.Cit .P 157.

4- Paul-François (Passager) Op.Cit.P 539.

قصعة الصباح: عبارة عن قصعة يوضع فيها رفيس أو أي أكل أخر وتقدم صبيحة اليوم الموالي الذي تذهب فيه العروس إلى زوجها، وتحضرها وزرتها أو احدى المشرفات على زواجها، من بيت زوجها.

5-Eyme , Op.Cit.P 34.

6-لقاء مع الحاجة عائشة بنت قدور حروز المولودة بغرداية خلال عام 1916، بتاريخ 12 جانفي 2017م على الساعة 11 صباحا

تتم الخطبة داخل المجتمع اليهودي عند سن الرابعة أو الخامسة من العمر ويسمون ذلك بـ "الملك"، جرت العادة كما المسلمين أن يختار الأباء لأبنائهم الزوجة دون اعتراض سواد للولد أو الفتاة[1]، وعند بلوغ الذكر سن الثالثة عشر(سن التكليف الديني) يتم تزويجه مع فتاة تقاربه العمر، ويدفع لها مهرًا يقدر بـ 25 و50 فرنك على حسب ظروف كل عريس، وهو المبلغ الوحيد الذي ستملكه من تركة زوجها[2]. وقبل الزواج بـ ثلاثة أيام ترتدي العروس أحسن اللباس، وتتزين بالحلي التي تهدى لها من طرف والديها أو تستعيرها، وتذهب رفقة بعض صديقاتها إلى زيارة الأقارب أين يقدمون لها الهدايا، ومكعبات من السكر، وعادة مايدوم العرس ثمانية أيام، وتحف العرس طقوس سحرية لحماية الزوجين من الأذى، إذ تقوم أم العروس يوم الخميس بصبغ شعر ابنتها بالحناء وتباركها وتربط رأسها بقطعة قماش[3]، وتظل كذلك إلى أن تذهب يوم الثلاثاء لإقامة طقوس المكوي[4] في الحمام؛ حيث تغطس فيه سبعة مرات رغم قذراته واتساخه، وبعذ ذلك تتزين ليوم الحناء والذي يكون مساء نفس اليوم فتجلس على قطعة من الجلد، وتحمل فيها من قبل بعض الشباب الأقارب إلى غاية بيت زوجها مرفوقة بأغانيهم.

أثاث البيت الزوجي بسيط يتكون من زربية وشمعدان وضوء ينار بالزيت هذه العروس التي هي في الحقيقة زوجة سوف لن تحضى بمحبة واحترام زوجها

1-عطا أبو ريه، اليهود في ليبيا وتونس والجزائر، تق. سنوسي يوسف إبراهيم، ط.1، ايتراك للنشر والتوزيع مصر،2005، ص 229.

2-Huguet, Op.Cit.P P 563-566.

3-عطا أبو ريه، المرجع السابق، ص 232-233.

4-المكوي: بالعبرية مكوه وهو عبارة عن حمام موجود في أحد البيوت اليهودية في وسط غرفة ضمن الطابق الأرضي وهو عبارة عن حوض مربع طول ضلعه 2 متر وعمقه 1 متر، يغير مائه كل 6 أشهر وتستحم فيه أكثير من 100 امرأة في الشهر دون أن يفرغ ماءه، مما يخلف في قعره طبقة سميكة من الأوحال والغازات السامة. وبسبب ذلك سجلت حادثة في3سبتمبر من سنة 1888م إذ توفي رجل من قبيلة المذابيح كان مكلفاً بافراغ مياه المكوي كل ستة أشهر، وكان اسمه صالح بن سعيد نتيجة اختناقه داخل الحوض وبعد اكتشاف أمره تم أخذه من طرف قائد اليهود إلى المكتب العربي ونقل إلى الطبيب لكنه توفي نتيجة الغازات السامة ينظر: Huguet, Op.Cit.P P 564-565

وكثيراً ما عاشت محتقرة [1] لا تشاركه الطعام في إناء واحد ولا في حضوره، وإذا ما سافر فإنها لا تغير ثيابها ولا تستحم إلا عند عودته (ماعدا غسل يديها ووجهها)، ويتم ذلك وفق اغتسال شعائري في حوض يسمى بـ"المكوي"[2]. رغم أن الديانة اليهودية تمنع الرجل من أن يتزوج أكثر من امرأة إلا في الحالات التي تستدعي ذلك، إلأ أن كثيرًا من اليهود خالفوا هذه القاعدة متأثرين بالمجتمع الذي عاشوا فيه والذي أحل الزواج بأربعة نساء[3].

3-الوضعية الاقتصادية والمالية للعائلة: اعتمدت العائلة في بداية أمرها على ما يربحونه من أموال الفلاحة، وبعد اتساع القرى وازدياد عدد السكان وحاجياتهم وقلة عطاء الأرض، مع عدم كفاية المنتوج الفلاحي توجهوا إلى البحث عن مصادر مالية أخرى لا تخلو من المخاطر، ولكنها مربحة منها التجارة بمدن الشمال والعمل في مهن البناء والنسيج والمهن المختلفة؛ وكذا امتلاك بعض العائلات خصوصاً البدوية منها لثروة لا بأس بها من الماشية، بحيث فيمتلك كل فرد في المتوسط ثمانية جمال ومجموع 15 ما بين خرفان وماعز وعدد معتبرا من الحمير[4] وامتلاكهم النخيل في البساتين القريبة من الفضاء الصحراوي بجوار حواف الوادي[5] وهو ما ساعدها نحو الاستقرار في هذه المدن، وتحولها تدريجياً من البداوة إلى الحضر وضمان مداخيل شبه ثابتة وجديدة.

إن أمر السكنات والمنازل لم يكن مطروحًا لدى أهل الحضر وخصوصًا الإباضين، أما العائلات المالكية فأغلبيتهم كانت تبحث عن مسكن بأي شكل من

1-كمال بن صحراوي، المرجع السابق، ص 47.

2- Huguet, Op.Cit.PP 565-567.

3-كمال بن صحراوي، المرجع السابق، ص 47.

4-إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص166 .

5- Paul-François (Passager) Op.Cit.P 544.

الأشكال، سواء كان زريبة أو كوخًا أو منزل من الطين، ويسعون جاهدين في هذا الأمر، فرغم بساطته لم يكن في متناول الجميع، كما أن دخل بعض العائلات في الحضر لم يعد ثابتًا بسبب اضطراب الأحوال العامة في المنطقة، نتيجة تعاقب العديد من المقاومات الشعبية بمحيطها، وتأثر الأهالي بها ومساندتها بما استطاعوا من إمكانيات مادية ومعنوية[1]، ولم يكتفوا عند هذا القدر بل بعثوا بفرسانهم ورجالهم إلى مساندة الثائر بالناصر بن شهرة[2] وهو الأمر الذي كانت نتائجه وخيمة على الأهالي بمعاقبتهم وفرض غرامات مالية عليهم، وفي هذا الشأن قرر الوالي العام في نوفمبر 1864 م-15جمادى الاخرة1281هـ. حجز جميع قوافل بني ميزاب وحرمانهم من الحبوب التي تأتيهم من الشمال[3]، هذه المساندة الوطنية لأهل الحضر كلفتهم كثيرًا، أين أتلفت مصادرهم المالية من ثروة حيوانية وفلاحية.

لقد شكل امتلاك النخيل عبر غرسه والعناية به أحد أهم الأولويات للعيش وكسب المال للسكان، فامتلاكه يعني امتلاك مصدر الثروة، فالأب عند غراسته للنخيل رفقة أبنائه يوليها عناية كبيرة، ومع مرور الوقت يكثر إنتاج التّمور ومع تعاقب الأجيال يتحولون إلى عائلة ثرية[4]. أما العائلات اليهودية فإنها لم تتأثر كثيراً من هذا الأمر لأن عملها كان في الأغلب بالذهب والفضة وغزل الصوف والدباغة وصناعة الأحذية وبيع وتصليح الأسلحة[5] وبعض الحرف، وتأثرهم إنما كان نتيجة بعض الأوبئة والمجاعات التي كانت تحل بالمنطقة، وقد لعبوا دور المتفرج من بعيد على ما يحصل في المنطقة، فديفيري يذكر أنه في سنة 1859 م كانت تجارة ريش النعام

1-Paul-François (Passager) Op.Cit, PP 511-512.

2-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.2، ص 134.

3- نفسه ص 134.

4-Duveyrier, Op. Cit.P 188.

5-Coyne, Op. Cit.P 18.

وبيضه محتكرة من طرف يهودي أو يهوديين وأغنى يهود ميزاب كان على رأس تجارة الذهب وتجارة ريش النعام[1].

ساعدت المرأة الرجل في ضبط أموره العائلية من خلال ممارستها أشغالاً يدوية وخصوصاً في النسيج، بحيث تشتغل به حوالي 7000 امرأة، ويقدر دخلها السنوي مع نهاية سبعينيات ق. 19 م حسب كيو Coyon ما قيمته 700.000 فرنك وبإمكان كل واحدة نسج عشر قطع منها سنوياً، وتقوم بنسج برنوس خلال ستة أو سبعة أيام ويباع بسعر ما بين 4 - 5 دورو؛ ويتطلب أحياناً نسجه 15 يوماً إذا قامت المرأة بذلك لوحدها مع اقتطاع 2 دورو خاص بسعر الصوف ما يمكنها من ربح 3 دورو، كما تقوم بصنع القمصان من الصوف التي يتراوح سعرها بـ 12 دورو وبعد اقتطاع مصاريف الصوف والألوان وأجر المرأة من ذلك هو 30 فرنك للشهر[2].

وإذ نظرنا في هذه الرقم المالي والمتحصل من عمل المرأة في النسيج فهو جد معتبر، فقد أدت دورًا مهمًا في مساعدة الرجل في التحصيل المالي، ويستعين زوجها في حالة الضرورة بمالها على إدارة وتدبر بعض شؤون الحياة، أما ميزانية العائلة فتضم في الغالب ما يتم جمعه من الغلة السنوية للتمور؛ وتضاف إليه مداخيل تجارة المنطقة أو مدن التل، مع أهمية ما يتم جنيه من المنتوج النسيجي المتنوع وأجرة الأفراد الذين يعملون في مهن أخرى كالدباغة والحدادة والبناء، ومع هذا من الصعب التعرف على دخل العائلة المتكونة من 5 أو 8 أفراد، نظرًا لانعدام الإحصائيات المتعلقة بهذا الجانب خلال القرنين 18 و19م، وحتى بعد الضم لا نجد الكتابات الأجنبية تشير بصورة واضحة وصريحة عن هذا الشأن، فرأس المال العائلي كان يتراوح بين الكثرة والمتوسط بالنسبة للإباضين؛ ولكنها أغفلت توضيح الأمر بالنسبة لبقية السكان، تذكر بعض الروايات التاريخية أن تاجراً من بني ميزاب يسمى الحاج

1- Duveyrier, Op.Cit.P 188.
2- Ibid, PP187- 188.

ناصر ذهب إلى الحج برأسمال قدر بتسعة آلاف فرنك 9000 فرنك وعاد بأرباح وصلت خمسة آلاف ومائتان وخمسون فرنك 5250 فرنك أي أكثر من 5% [1] وكان من بين أصدقاء هنري دوفيري Duveyrier الذين تعرف عليهم شاب ميزابي له محل بقصر البخاري ويتنقل كثيرًا بين موطنه والجزائر، ويقدر ربحه السنوي من هذا النشاط بـ60% كربح صافي[2].

4-الدور الاجتماعي والاقتصادي للمرأة بوادي ميزاب: لقد اعتمدت العائلة في استمراريتها على الدين والعنصر والموقع[3]، استطاعت المرأة أن تُخَلِف آثاراً اقتصادية واجتماعية لا يمكن نكرانها بأي حال من الأحوال منها:

-لقد أدت دورًا بارزًا في خدمة أسرتها وعائلتها وسهرت على راحة زوجها بإسعاده وتوفير الجو الهادئ الذي يحتاجه بعد مجيئه متعبًا عصرًا من أشغاله المتعددة، وقلما تستعين الزوجة بخادم على تدبير شؤونها المنزلية، فإن اضطرت إلى ذلك كأن تكون أم لعدة أطفال احتفظت لنفسها بإعداد جميع حاجات زوجها، اهتمت بالكبار وخصوصا المسنين واحترام والدي زوجها وتربية أبنائها وفق الثقافة الدينية وإرشادهم وفق ثقافتها المحدودة وبناء القيم النبيلة وغرس الأخلاق الحميدة في نفوسهم، وتنشئة بناتها منذ الصغر تنشئة دينية؛ تعتمد على تلقينها بعض قصار سور القرآن وتعليمها أركان الإسلام[4]، كما تحملت المرأة بميزاب دوراً عظيماً بعدما تشبعت بالحس الاجتماعي والديني ببعديه العربي والإباضي الإسلامي، فقاومت وضحت وربت وساهمت في الانتاج العائلي والمحلي بقدر ما تستطيع، بالإضافة إلى ذلك فهي تحرص كل الحرص تدريب بناتها على الأعمال المنزلية كالغزل والنسيج والطبخ

1-عثمان حساني، البيئة الإجتماعية والاقتصادية للصحراء الجزائرية من خلال تقارير الأجانب خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر، 2006-2007، ص 86.

2- Duveyrier, Op.Cit . P 188.

3-مفدي زكرياء، المرجع السابق، ص 187.

4-نفسه ص ص 180-185.

وفوق كل ذلك تعليمهن فن الحياة والعيش، وخصوصًا أن حياةً زوجية تنتظرهن مطلوب فيها الصبر والتفاني والصدق، في حالة ما إذا عاشت مع عجوز صارمة تصدر أوامرها مع الجميع بصلابة[1]. ففي العشر سنوات الأولى من الزواج تقل زيارة الزوجة لأهل بيتها إذ لا تزورهم باستمرار إلا في حالات نادرة جدا إذ تحتفظ بأسرار أحوالها الزوجية لنفسها ولا يمكنها البوح بها[2]، فالزوجة هي بئر أسرار زوجها فتحب بيتها الذي استعدت له أيما استعداد، فهي سيدة سعيدة بمسؤولياتها الجديدة التي تجعل منها امرأة لها وظيفة وعمل وأمر، ففي أيام عرسها الأولى نجدها تعبر عن فرحتها لتأسيسها هذا العش فتبعث لوالدها خبزًا تعبيرًا على أنها لم تبقى تحت سلطته.

-رغم تضحياتها الكثيرة نجدها لم تسلم من الطلاق، إذ تتطلق إما بسبب عقمها[3] أو بسبب عدم أهليتها للقيام بالشؤون الزوجية، أو بسبب سوء معاملته له وعدم الإنفاق عليها[4]؛ فمثلاً اليهودي بإمكانه أن يتزوج ستة نساء متعللاً بتقدمها في السن ولكثرة الولادات التي تصل في بعض الأحيان إلى 20 طفلا[5].

-يضاف إلى دورها هذا مهمة لا تكاد تكون سهلة عليها رغم أنها من اختصاص الرجال، وهي توفير المال ومساعدة الزوج على الاستمرار بأمان في الحياة الزوجية بعيدًا عن مد يد المساعدة من الغير، فالصناعات النسيجية من مهام المرأة بالأساس بنسبة 90% ، بحيث بلغ إنتاج المنطقة منها ما مقداره 70000 قطعة نسيج وتشتغل فيه نسبة معتبرة من النساء، إذ تباع القطعة الواحدة بمتوسط 20 فرنك ويمكن للمرأة أن تنسج 10 قطع سنويا، بمعنى أنها في حالة إنتاج مستمرة؛ والمدخول السنوي لهذا الإنتاج يقدر بـ 70.000 فرنك[6]، فهي تشتغل حتى في الأوقات الحارة، يصف

1-Amat, Op.Cit.P 182.
2-Duveyrier, Op.Cit.P 188.
3-Ruffie jacques, Op.Cit.P 360.
4-Amat, Op.Cit.P 183.
5-Huguet, Op.Cit.P 564.
6-Coyne, Op.Cit.P 24.

هنري دوفيري هذه الروح المتفانية قائلاً:"...هن منشغلات بنسج البرنوس أثناء الارتفاع الكبير لدرجات الحرارة في الوقت الذي يأخذ فيه الرجال قيلولة فتسمع صوت الخلالة تقريبا في كل البيوت..."[1]، فهي تبدأ عملها هذا منذ الساعات الأولى من الصباح ويستمر على مدار السنة دون كلل وبكل حيوية، وقد زاد هذا النشاط بسبب اتساع الاهتمام به من طرف نساء المنطقة، خاصة بعد الجهود المبذولة من طرف الأخوات البيض تحت رداء التنصير والتبشير، بعد سنة 1893م فتح المشغل الأهلي بغرداية الذي تديره الاخوات البيض واستقبل حوالي 40 فتاة أغلبهن من قبيلة المذابيح لتعلم النسيج والخياطة والغزل[2].

-تستورد المنطقة سنويا في إطار المبادلات التجارية 300.000 زجة صوف ويمكن للمرأة أن تنتج عدة قطع منوعة من 3 أو 4 زجات[3]، وحتى يتحول هذا العدد الكبير من الصوف إلى مراحله الأخيرة من غسله وتنقيته وغزله وصباغتها يكون قد مر تحت يدي المرأة فهي توفر خدمات كبيرة للمجتمع، وقد واجهت الأسرة مجموعة من العوامل الداخلية والخارجية غيرت من وضعها واستقرارها من أبرزها:

1-الأسرة هي الخلية الأساسية ومحور المجتمع، والمرأة تؤدي فيها الشخصية الأساسية لقد سطرت الأعراف والتقاليد حدود حركة المرأة ودورها وفق شروط مضبوطة، لذلك يبدو عملها واضحًا يشمل تربية الأبناء والأشغال المنزلية، والمتبقي من وقتها تقضيه في الصناعة النسيجية المختلفة سواء لكسوة أفراد عائلتها أو من أجل مساعدة أخيها الرجل في نفقات الأسرة، ويندر خروجها إلا في حالات معروفة كزواج المقربين أو في مأتم ومع قريبة ولا يكون إلا ليلاً[4]؛ ملتحفة لحافها الأبيض الذي لا

1-Duveyrier, Op.Cit.P 187.

2-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.2، ص 165.

3-Coyne, Op.Cit.P 24.

4-مفدي زكرياء، المرجع السابق، ص 181.

يظهر جسدها ولا تكاد تعرف به، فإذا كانت البدوية تجد نوعًا من الحرية أثناء تنقلها بين الخيام وتكتفي بلباسها التقليدي المحتشم الذي لا يظهر عورتها، كونه لباسًا فضفاضًا ولا تغطي وجهها بينما تلتحف بقطعة من القماش تغطي جسمها عند العودة إلى المدينة[1].

2-لقد ظلت المرأة رافضة للوجود الأجنبي والتقرب منه، فكانت سدًا منيعًا في وجه حضارة الغرب، فهذه السيدة ماما نسليمان رئيسة المؤتمر الغاسلات السنوي "لا إله إلا الله"[2] تصدر سنة 1882 م قائمة من الأوامر الداعية لمقاطعة كل ما هو فرنسي من لباس وعطور وأحذية ومنتوجات أخرى[3]، فكانت قراراتها تأخذ صفة القانون وتطبق على جميع قرى ميزاب، وشمل هذا المنع حتى زيارة العيادات الفرنسية.

3-لقد تأثرت المنطقة خلال القرنين الماضيين بحالة الجمود التي عاشتها الجزائر والتشبث بالقديم مهما كان صالحًا أو طالحاً، فأصبح الجزائريون يسلمون بالخرافات والبدع الفاسدة هذاالوضع انعكس أثره على وادي ميزاب[4]، الواقع في رقعة صحراوية نائية بعيدة عن الحواضر العلمية، ما جعله يعيش جمود الأفكار التي انعكست على الأعراف والعادات[5]، فظهرت البدع الضارة والجهل والتعصب المذهبي التي نقلها لنا محمد بن الخيذر الملياني في مخطوطه بداية القرن 19م قائلا:"... وحيث كان العلم والقرآن مفقودين في هذا الوطن فتلاشت في الكثير من الأنساب واختلط الصالح

1-Ruffie jacques, Op.Cit.P 360.

2-يسمى بمؤتمر الغاسلات تمسردين أي الغاسلات وهن نوع من العزابة النسائية التي تقوم تحت إشراف عميدتهن "ماما شيخة" وتقوم بدور المراقب لجميع ما يجري داخل الأسر والعائلات، ينظر: كلود بافار، المرجع السابق، ص 22 بعد ترقيمها.

3-أيوب بن ابراهيم القرادي، المرجع السابق، ص 71.

4-بكير بن سعيد أوعوشت ، قُطب الأئمة العلامة محمد بن يوسف اطفيش "حياته آثاره الفكرية، جهاده"، المطبعة العربية الجزائر، 1989، ص 87.

5-قاسم بن احمد الشيخ بالحاج، المرجع السابق، ص ص 161-162.

بالطالح وكثرت المعارك والفتن ومن شدة افتن أنك تجد الإنسان بأهله وأولاده يسكن بلد فلم تشعر إلا وتجده رحل وسكن مكان آخر..."[1].

4- لقد ورثت النساء الميزابيات عوائل كثيرة من العصور القديمة كالزغردة والوشم والتخضيب، وتعليق عظام الحيوان على جذوع النخيل وتعليق القدور من الفخار واليد المرسومة من الجبس مصنوعة في يوم عاشوراء، مصحوبة بقرن غزال وترك العمل في هذا اليوم، وقيام الزوجين ببيع ولدهما عند ولادته إلى أسرة من الزنوج؛ إذا لم تحفظ لهما ذريتهما ليضمنا بذلك حياته، وعليهما حقوق يؤديانها إليهم في كل مناسبة، وهذا البيع ليس حقيقي بل هو إلحاق الولد للعيش مع أسرة الزنوج لتخليصه من الموت[2] هذه الأوضاع التي سادت القرنين زعزعت العلاقات القبلية والعشرية شقت وحدة الصف والجماعة وتسببت في خراب عمراني، وشكلت هما اجتماعيا فكك أسرا وشرد عائلات ونفى عشائر قرى، فميزاب كما يقول قاسم بن الشيخ أحمد بالحاج:" ...ومع ذلك فإن القرن 18 ميلادي يعد قرن استحكام الفتن والصراعات وقرن الجمود الفكري الذي انتاب عموم وادي ميزاب..."[3].

5-عمل المبشرين والمنصرين الدؤوب بالتقرب من المرأة ومن عائلتها والحرص على إثارة قضية المرأة في كل بلد حلوا به والدعوة إلى تحريرها، وإخراجها سافرة إلى المجتمع لكي تنحل أخلاقها وتتحطم المناعة ضد المد الإستعماري[4]، لذلك كلف الآباء البيض من الجانب النسائي حيث اعتبر الدخول إلى عتبة منازل الميزابيين مرفوض وبشكل قطعي ويدنس سمعته في ظل وجود الهيئة الدينية للنساء أو الغاسلات؛ التابعة لهيئة العزابة، المعروفة بالصرامة في المجال النسوي وعداوتهن

1-أحمد بن الخيذر المليانى ، المصدر السابق، ص8.

2-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.2،ص 67.

3-قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج، المرجع السابق، ص 138.

4-حمو محمد عيسى النوري، المرجع السابق، ص 138.

الصريحة للمنصرين والنفوذ الفرنسي، وبذلن كل السبل من أجل عرقلة النساء للدخول في علاقات مع الأخوات أو تسليمهن أولادهن[1]؛ وفي هذا الصدد أنشأ الآباء سنة 1895م مستشفى مدنيًا أهليًا يستقبل بالاتفاق مع الولاية العامة الأهالي والعسكريين والمدنيين والأوربيين حيث تكفلت بالعلاج فيه 5 أخوات بيض[2]، وبذلن مجهودات من أجل دعوة النساء للمداواة فيه وتلقيح الأطفال والاهتمام بصحة الأم والطفل، بغرض الاتصال والتعرف على أحوالهن.

6-انتشار التعليم الفرنسي عقب الضم فبعد استقرار الآباء البيض في غرداية بحي" زقاق اليهود" في 14 جانفي 1884م[3]، اهتموا منذ الوهلة الأولى بالتعليم إذ نجدهم في 24 من نفس الشهر يحولون منزلهم إلى قسم استقبل في بداية الأمر 15 طفلاً من اليهود والعرب، وفي شهر مارس بدأ الميزابيون يتوافدون عليه واحداً بواحد ليتواصل بعد ذلك فتح المدارس والعمل على منح الفتاة فرصة في ذلك بكل الوسائل مع الاهتمام بالصناعات اليدوية التقليدية، رغم أن عدد الفتيات قليل في هذه المدارس ومحدود إلا أنهن حاولن التقرب منهن وإشعارهن بقيمتهن. ولم تقتصر مهمة الأخوات البيض في التعليم فحسب، بل قمن بربط علاقات طيبة مع نساء المنطقة من خلال قيامهن بزيارة منازلهن وتبادل الحديث معهن والبحث عما يشغلهن في حياتهن[4] وبقي قبول الأهالي لذلك ضيقًا جدًا، فهي أغفلت قبل ذلك تعليم المرأة ولم يخصص لها العلماء والمشايخ حلقات خاصة وأوقات لتدريسهن[5]، فبدأت الأسرة شيئا فشيئًا تقترب من هذا التعليم العصري الذي يُكَوِن الشباب في ورشات التمهين في الصناعة

1-Dahbia Abrous:La société des Missionnaires D'afrique a l'épreuve du mythe berbér(Kabylie-Aurès-Mzab)édition Peeters,Paris,2007,P8

2- Michel (Gagnon), Aperçu sur L'histoire de la Mission de Sahara fascicule 1 Mgr louloutte anatole (1891-1897) Laghouat (Algérie) 2000, P 10.

3-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.2، ص 164.

4-Sr. Marie claver, Les Sœurs vont à domicile, Revue grand lacs, Revue mensuelle des missionnaires d'Afrique Edition 1, 53eme année N°5-6 1er mars 1937, Paris, P 373.

5-قاسم بن أحمد السيخ بالحاج، المرجع السابق، ص 118.

والفلاحة والأشغال العمومية، لتسهيل الحصول على عمل مرتبط أساسا في معرفة اللغة الفرنسية فاضطرت العائلات إلى بعث أبنائها لارتياد مدارسها[1].

7-لقد انعزلت المرأة في ميزاب فهي لا تختلط كثيرًا وبعيدة عن العالم الخارجي، فبقيت لمدة طويلة تعيش بعيدة متمسكة بدينها وأخلاقها وتقاليدها، ومع بداية الضم تشددت أكثر في ذلك وخصوصا بعد جلبه لبعض مظاهر الحضارة، فأحست حينها بالخطر وهو ما زاد من انعزالها وعدم ارتباطها ارتباطا واقعيًا بالمجتمع، فهي تحاول الابتعاد وحماية نفسها وعائلتها فقط فأصبح كل مسؤول عن عائلته؛ ولكنها لم تتوحد في شكل جماعي لمواجهة هذه التغيرات الداخلية والخارجية، ورغم دورها المهم داخل الأسرة لكنها لم تتح لها الفرصة للعب دورها كعنصر فعال داخل المجتمع، وبقيت منعزلة مشاهدة للأحداث من بعيد حسب ما صورته الكتابات الاستشراقية، التي بذلت جهداً فكرياً وعملياً من أجل إظهارها للعالم الخارجي .

8-ارتباط بعض العائلات بالطرق الصوفية كالطريقة القادرية والشيخية التي تركت آثارها في حياة مريديها من أبناء مختلف العائلات[2]، قصد مساعدتهم في شؤون الحياة كرزقة الذكور بدل الإناث، والحصول على منتوج جيد واستمتاعهم بصحة سليمة، طالبين من الله ذلك في خشوع وتضرع بعد قراءتهم مع مقدم الشاذلية بعض أورادها[3]،على عكس ذلك لم ترتبط العائلات الإباضية بأصحاب الطرق الصوفية والإخوان[4]، فضلا عن السلوك الديني الذي دعم الالتزام الديني ما جعل العائلات تتنافس في تحفيظ أبنائها القرآن، لأن ذلك مفخرة وشرف.

1-حمو محمد بن عيسى النوري، المرجع السابق، ص 140.

2-Cauneille, Op.Cit.P P 209-210

3-أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج4، ص 110.

4-Amat, Op.Cit.P 150.

9-رغم أهمية دور المرأة في المجتمع إلا أنها عند اليهود لم تحض بأي احترام فقد عاشت على الهامش محرومة من الميراث والتعليم، فبحسبهم خلقت فقط من أجل الإنجاب فقط وحفظ النسل اليهودي من الانقراض، وتظل في نظر زوجها محتقرة بالرغم من انجابها لأكثر من 14 طفلاً بل وتطلق لأتفه الأسباب؛ وظلت منغلقة ومنعزلة في مجتمعها فضل دورها سلبي[1]. ورغم دورها الفعال المتعدد إلا أنّها لم تنل حظها من الكتابات، ولا يكاد يذكر وإن ذكر فهو لا يعكس حقيقة دورها الكبير وتضحياتها الجسام التي تحملتها.

للمرأة في المنطقة طقوسها وخصوصياتها في الاهتمام بجمالها وزينتها، ومن بينها نجد الوشم وهي سمة بارزة لدى المرأة البدوية، وتمارسه النساء بواسطة ابرة حيث يضعن تحت الجلد عجينة مصنوعة من ورق شجر النيلة، والكحل وأوراق الآفانيا السوداء وهو نوع من الباذنجان، ويضعن رموز مختلفة على ظاهر اليد وتحت الشفة السفلى ووسط الجبين وعلى الخدود، ويعتبر الوشم وسيلة للجمال ورمزاً للانتماء للقبيلة من بين هذه الزينة نجد:

الحناء: تستعملها للتجميل بعد أن تطحن أوراقها تخلط بالماء لتصير عجينة لينة وتضعه لبعض الوقت في الأيدي والأرجل أو على الرأس.

الكحل[2]: يستعمل لتكحيل العينين فهو يزيد في نور وكحل العينين ويصفيهما جيدًا يتم طحنه أو دقه ثم تضعه في جوف قصبة وتغلقه، ولما تريد أن تكتحل تدخل عودا من القصب مخصص يعرف بـ "المُرْوِدْ" وتحركه في وسطها ويلتصق به الكحل وتضعه في عينها بعدما تموج المرود بحركة التفافية[3]، وتتعطر بمعجون بعض

1-Huguet, Op.Cit.PP 564-567.

2-الكحل يستحضر بعدة طرق أحياناً من كبريتات النحاس والشب المحترق، والقرنفل والمسك والزعفران وصمغ جاوا ونواة التمر ويطحنونه أو يدقونه إلى أن يصير مسحوقا صالحاً للاستعمال، وعادة ما تقوم به امرأة معروفة في تحضيره.

3-حسن دوسن، المرجع السابق، ص 46.

النباتات العطرية التي تطحن وتغربل وتوضع على نارٍ هادئة، ويضاف إليها القرنفل وبعض الزهور المجففة، كما تستعمل البخور لتطييب رائحتها ورائحة بيتها ويتكون من عود العنبر والسرغين والمسك والزبد والزعفران، ويخلطونها ويتركونها لثلاثة أيام في مكان مغلق، ويسمى ببخور المسك، ويستعمل عند مناسبات الزواج ويضيفون لزينتهم المعجون[1] ويستعمل في شعر العروس في اليوم الثالث والسابع[2].

وما يمكن استخلاصه أن العائلة هي نواة المجتمع تميزت بعيشها البسيط وبتماسكها وخضوعها لسلطة الأب سواءا في الحضر أو البدو، لذلك كان أمر الزواج بين أيدي الأولياء والكبار الذين يزوجون أبنائهم ما بين سن إثنا عشر إلى ثمانية عشر سنة ويعيشون غالب الوقت مع العائلة، مشكلين عائلة موسعة وتتظافر جهود الكل في العمل من أجل المساعدة وكسب لقمة العيش؛ سواء في البساتين أو في النسيج والتجارة أو مهنة أخرى وقد لعبت المرأة دوراً هاماً في هذا الامر، فكانت سند آخر ساعدت الرجل في تسيير وتدبر أمور الحياة.

1 –عبارة عن بخور عجين برتقالي اللون ويسمى بالزابدة، لقاء مع الحاجة عائشة بنت قدور حروز.

2–Goichon, Op.Cit .PP 134-136.

الفصل الرابع

العادات والتقاليد بمنطقة وادي ميزاب

1-المناسبات والمواسم الشعبية

2- دور الأعراف في المجتمع

3-معرفة ضوابط الوقت والزمن

4-مظاهر التسلية والترفيه في المجتمع

5-المعتقدات الخرافية في المجتمع

العادات والتقاليد بمنطقة وادي ميزاب

يتسم مجتمع وادي ميزاب بقوانينه العرفية وعاداته وتقاليده القديمة، التي أظهرت نبوغ هذا المجتمع الصحراوي في تسير تفاصيل الحياة والنابعة من الشرع الحنيف[1] فتؤدي الهدف النبيل الذي وضعت من أجله، ومع مرور الوقت ما لبثت بعض هذه العادات أن اختلطت مع مرور الوقت بالبدع والخرافات، ويبرز ذلك في المناسبات والأعياد واللقاءات التي ترسم جانبًا مهما من حياة السكان، وأهم هذه العادات نجد:

1-المناسبات والمواسم الشعبية : يحتفل الأهالي بعدة لقاءات ومناسبات طوال السنة بوادي ميزاب، والتي تختلف عن باقي البلاد وتبرز في :

أ-التسمية والختان: عندما تلد الأم طفلها مباشرة تقلبه وتضع رأسه إلى الأسفل ورجليه إلى الأعلى وتضعه، على ركبتيها وتطليه بالحناء وتلفه بقطعة من الصوف[2] وعادة ما تساعدها "الداية" أو "القابلة" في عملية الوضع والاعتناء بهما؛ ويعلمون الناس بهذا المولود وجنسه، بعدها تتوافد النسوة إلى الأم وتحملن للمولود عدة أغراض منها أحزمة لجلب الحظ والسعادة؛ وبعض التمائم التي يصنعها الزنوج وودعات تسمى"وضاح"؛ تجلب من التشاد وخناجر صغيرة وبنادق من الفضة وجلد النمر وريش النعام، التي تعطي للذكور كرمز للشرف والشجاعة، وعادة ما تحمل النساء أطفالهن أمامهن للدعاء لهم بالسعادة، بينما يقوم أجداده بإهداء بعض الماشية أو نخلة قصد ربطه منذ الصغر ببيئته[3]، وفي اليوم السابع يُقَام للمولد حفل كبير يسمى بـ"الْسْمِيَة" فيقوم والده بذبح شاة؛ وتلتقي العائلة في وليمة تسمى "الْمَعْرُوف" ويعطى للمولود اسما بطريقة خاصة، حيث يجلس رجال العائلة مع الطالب(الإمام) خارج البيت والأم داخلها، وأمامها الطبق المصنوع من سعف النخيل به تمر مع ثلاثة عيدان، كل واحد

1-حمو محمد بن عيسى النوري، المرجع السابق، ص 148.

2- Amat, Op.Cit .P 177.

3-Yves regnier, Op.Cit .PP 147-148.

لـه اسـم معـين يحمـل بعـد ذلـك الطبـق إلـى الرجـال حيـث يـأكلون كـل التمـر، بينمـا يقـوم معلـم القـرآن بنـزع العـود الأول قبـل أن يُرْجِـع الطبـق إلـى الخيمـة، تقـوم الأم بأكـل بعـض التمـرات، وتعـاد العمليـة للمـرة الثانيـة، وفـي المـرة الثالثـة تقـوم الأم بقـول الآتـي: إن هـذا العود الثالث بقي ولم يُرمَى يمثل الاسم الذي وضعته في نفسها لابنها إن شاء الله[1].

ترافـق عمليـة الـولادة طقوسـاً دينيـة لـدى المجتمـع اليهـودي، فقبـل ولادتـه يـتم تحضـير لباسـه وبعـض التعاويـذ والطلاسـم السـحرية والكتابـات السـحرية الوقائيـة لحمايـة الأم والمولـود، وتسـاعد القابلـة الحامـل علـى الوضـع؛ فـإذا كـان المولـود ذكـر فإنـه يحظـى بشـعائر وحفـل كبيـر لأنـه كـان يُنتظـر بشـغف وبنـوع مـن القلـق، عكـس إذا كـان المولـود أنثـى فإنهـا تسـتقبل ببـرودة [2]. ويختـارون أسـماء أطفـالهم مـن قائمـة الأسـماء العربيـة الإسـلامية كـ: مسـعود، موسـى، موشـى، يوسـف، يعقـوب، مخلـوف، داوود، سـليمان مـريم، سـلطانة [3]، عـيشَ، هنـو، مسـعودا، رحمـة، سـعدا، نجمـة يـاقوت، زهـرا، فريحـة مليحة[4] العالية سمحة ...الخ

يسـمي الإباضـيون مواليـدهم بعـدة أسـماء، فـإن كـان المولـود ذكـرا فيطلقـون عليـه اسـم أحمـد، محمـد، أيـوب، سـليمان، صـالح، موسـى، نـوح، قاسـم، بـافو، يوسـف، يعقـوب داوود، عيسـى، حمـو، يحيـى، يـونس، بكيـر...الخ، أمـا إذا كانـت المولـودة أنثـى فإنهـا تسـمى بـ: فافـا، مامـا، نانـا، لالا، شاشـا، بِيَّـا، سـتي، بتـي، منـا، حنـا[5]...الـخ. وبعـض هـذه الأسـماء مسـتمدة مـن أسـماء الأنبيـاء والرسـل والصـحابة وبعـض أسـماء السـلف

1-Yves regnier, Op.Cit . P 148.

2-حـاييم الزعفرانـي، ألـف سـنة مـن حيـاة اليهـود بـالمغرب، تـر. أحمـد شـحلان، عبـد الغنـي أبـو العـزم، ط.1، الربـاط، المغرب،1987م ص49 .

3-فـوزي سـعد الله، يهـود الجزائـر موعـد الرحيـل، ج.2، ط.1، دار قرطبـة للنشـر والتوزيـع، الجزائـر،2005م ، ص 168.

4-حاييم الزعفراني، المرجع السابق، ص46.

5-Amat, Op.Cit .P 177.

وبعد ثلاثة أو أربعة أشهر يلبس المولود أول لباس له؛ وهو عبارة عن قندورة أو عباءة دون أذرع، ولما يبلغ السنتين يضيفون عليها البرنوس[1]؛إما أن يكون لأخيه الأكبر منه أو لأبيه المتوفي[2] بعد أن يعاد تفصليه على حجمه، ويبقى مع أمه خلال سنواته الأولى لمراقبته ورعايته ويتعلم المشي ويتعثر فوق الرمال والحجارة الصغيرة، ويرى الجمال والنخيل[3]، وعند هذا السن تقوم عجوز من أقاربه بقص شعره ويتم خلال ذلك دبح خروف وإعداد وليمة للعائلة والجيران[4]، وعند سن السادسة أو السابعة يتم ختانه من طرف "الزيان" يكون في بعض الأحيان من الزنوج[5]؛ تتم العملية عند الساعات الأولى من الصباح ويوزع البيض واللحم على الحاضرين، ويوضع الطفل بعد ذلك فوق زربية جميلة[6] وبعد ذلك بـ خمسة أو ست سنوات تظهر عليه علامات البلوغ فيبدأ بالصلاة والصيام[7].

يتم ختان أطفال اليهود في اليوم الثامن من ولادته كما يمكن أن يكون عند سن ثلاث سنوات، ويقوم بالعملية معلم يعرف بـ Mohel "موهيل"، فقبل الختان بأيام يقومون بحفلة تدعى "سلام للذكر"، وعملية الختان تتم في ساعات الصباح الباكر بعد مراسيم الصلاة الصباحية؛ كتعبير عن حماس العائلة في تنفيذ أوامر الله في أسرع وقت ممكن ويبقى الحاضرون بلباس الصلاة، ويقام لذلك حفل ديني مميز يحضره عشرة أفراد من الذكور البالغين والأهل والمدعوين، ويبقى الحاضرون واقفون كل مدة الختان[8]، ويُعتَبَرُ الطفل بعده بأنه دخل في الملة اليهودية وتأكيد للعهد الإلهي الذي

1-Amat, Op.Cit P 179.
2-Villot, Op.Cit.P31.
3-Yves regnier, Op.Cit.PP 148-149.
4- Villot, Op.Cit,P31.
5- Paul-François (Passager) Op.Cit.P 568.
6-Goichon, Op.Cit .P 53.
7-Amat, Op.Cit.P 180.
8–سامي عوض الذيب أبو ساحلية، ختان الذكور والإناث عند اليهود والمسيحين والمسلمين، تق. نوال السعداوي مركز القانون العربي والإسلامي، دار رياض الرّيس، بيروت، 2000، ص 107.

أبرمه سيدنا إبراهيم مع "الرب"[1]، ويسمى هذا اليوم بالكستاب"Elkestab" ويطلقون عليه اسم سلطان[2].

ب-الأعياد والمناسبات الدينية: تكثر اللقاءات والاجتماعات ونجد على رأس هذه الأعياد: عيد الفطر وعيد الأضحى، فقبل عيد الفطر تُخْرَجُ زكاة الفطر والبعض يُخرِجُها صبيحة العيد، فيتسابق الأطفال لأدائها إلى الفقراء وقلما يلبسون الثياب الجديدة، وتوضع الحناء للبنات والصبيان دون سن البلوغ لكن في نصف يده اليمنى أما الأطفال الذين لم يختنوا فيضعون لهم الحناء في يدهم اليمنى واليسرى وفي كامل اليد[3]، ومن مظاهر الاحتفاء عند الختمة توزع الصدقات في المسجد على الحاضرين، وهي عبارة عن تمر وخبز؛ وتعد النساء الرفيس ويقسمن بعضه على من يجدونه في طريقهم إلى المقابر لزيارة من توفي في تلك السنة،لا تختلف عادات ومظاهر الاحتفال في العيدين بين الإباضية والمالكية؛ فتضع بعض العائلات الحناء على وجه الأضحية وتبخر، ويقسم لحمها على الفقراء. ومن المناسبات التي يحتفل بها الأهالي "عاشوراء" وهي العاشر من محرم، بحيث يصوم الناس فيه التاسع والعاشر أو العاشر والحادي عشر ويصلي البعض فيها مئة ركعة؛ وتكون عند أغلبهم مناسبة لإخراج الزكاة ويتزين الناس فيها، وتُعِدُ فيها العائلة عشاءًا طيبًا، يقول عنه السلف: "أنه من لم يشبع في هذا اليوم لا يشبع طول العام"[4] كما تضع الأمهات خبزة لكل واحد من أولادها ويكتحلون[5] وتقص النساء والبنات قليلا من شعورهن، ويتم

1-عبد الحميد فتاح عرفان، اليهودية عرض تاريخي والحركات الحديثة في اليهودية، دار عمار، ط.1، عمان 1997، ص 136.

2- Huguet, Op.Cit .P 563.

3-أيوب بن ابراهيم القرادي، المرجع السابق، ص 133.

4- لقاء مع السيدة فاطنة أولاد النوي المزدادة عام 1937م، اللقاء كان يوم 15فيفري2015، على الساعة العاشرة والنصف صباحاً.

5-أيوب بن ابراهيم القرادي، المرجع السابق، ص ص 138-139.

في هذا اليوم تناول بعض من اللحم المقدد المخزن من لحم الأضحية من نفس السنة ويكون من كتف الشاة[1] كما يعدون الكسكسي بمرق التمر والرفيس.

يحتفل الأهالي منذ قديم الزمان بالمولد النبوي الشريف ذكرى ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن عاداتهم أنهم في ليلة الـ 12 من ربيع الأول يتذاكرون سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم حسب ما يختاره الأمام، أو شيخ من العزابة أو نائبه ويُؤَدُون قصائد في مدحه وتقسم الصدقات بأنواعها، ويبيت خلق كثير في المساجد لقراءة القرآن ويتم إلقاء الدروس إلى غاية السَحَر، ويتناولون هناك التمر والخبز، أما من جانب الأطفال فإنهم بعد العصر يذهبون جماعات يحملون وقود الزيت إلى المساجد؛ فيقدمون لِترًا منه ويجمع هذا الأخير ويبعث إلى المسجد ويأخذ الأولاد معهم قنديلا مضيئا[2]. ففي هذه الليلة لا ينام أغلب الناس، أما النساء المسنات فَتُنشِدن مع مطلع الشهر" لِبْيَاتْ"[3]، وفي صباح يوم المولد يتناولون الشاي والجبن وكسكسي يسمى "المردود" ويُعَطِرن البيت بالبخور ويزغردن ومنهن من يصعدن إلى أسطح منازلهن ويرددن "النبي زاد في دارنا"[4] و"الليلة زاد النبي ويا عايشة الليلة لا ترقدي"[5].

ج-عيد الزيارة: يقع في فصل الربيع مع أوائل أيام شهر أفريل لأسباب زراعية ففسائل النخيل هي أغلب ما يغرس في الوادي والزرع بدأ يستقيم، وفواكه الصيف بدأت بواكيرها وكل الأشجار تتفتح لذلك رأوا أنه من واجبهم أن يخرجوا إلى الله

1-Goichon, Op.Cit .P 75.

2-أيوب بن ابراهيم القرادي، المرجع السابق، ص 139.

3-لبيات: هي قصائد في مدح النبي صلى الله عليه وسلم تنشد في المنازل من طرف النساء خاصة وتكون على شكل حلقات .

4-Delheure(J) Faits Et Dires Du Mzab,Selaf,Paris,1986,p53.

5- لقاء مع الحاجة فاطنة الهامل المولودة بتاريخ 1936 بالمنيعة، على الساعة 13 زاولا يوم 07 جانفي2016 .

مبتهلين داعين ليحفظ مزروعاتهم من الآفات[1]، وعلى رأس كل مجموعة أحد العزابة وبعض كبار "إيروان" ويزرون المصليات والمقامات بالوادي، ويكون ذلك صباحًا تجتمع كل مجموعة في المدينة بعد ذلك لقراءة القرآن، وتوزيع الصدقات من التمر والخبز وذلك عند منتصف النهار؛ ثم يجتمع الطلبة والعامة عصرًا لختم القرآن والدعاء والابتهال إلى الله تعالى أن يسقي الوطن ويحفظه[2]، ويصلون صلاة المغرب والعشاء عند مجرى وادي ميزاب بعد تقسيمهم للمعروف، ويأخذ من هذه الصدقة من أراد لأهله، أما النساء فيتزين ويتبادلن الزيارات[3]. وجاء في مقال شارلي ضمن كتاب Bulletin de la Société de géographie d'Alger et de L'Afrique du Nord أن يقوم أهل العطف عند بداية الشتاء بذبح خمسة أو ستة إبل عند قبر الشيخ إبراهيم بن مناد، ويقسمون لحومها على المحتاجين والفقراء[4] .

د-ختمة القرآن: ويسمونها بكرامة القرآن، وعادة ما يُختار لها يوم الاثنين أو الخميس ويقع مثل ذلك في ليالي معلومة؛ مثل ليلة منتصف شعبان وليلة المولد وليلة عاشوراء والعيدين ويوم محرم، أين يتم ختم التلاميذ القرآن الكريم ثلاث مرات أمام اثنا عشر عضواً من أعضاء العزابة، وتقام لذلك وليمة كبيرة بحضور العزابة والأهل والأصدقاء والطلبة[5].

هـ-المعروف والصدقات: وهي من الأعمال المنتشرة بكثرة في حياة الأهالي، فعند البدو يقومون بالمعروف في حالات عقد اتفاقيات أو المبادلات التجارية، وذلك بإعداد وجبة وتوزيع الصدقات والبعض يقوم بذبح شاة عند البستان الذي باعه[6]، ويقوم

1-أيوب بن ابراهيم القرادي، المرجع السابق، ص 143.

2-إبراهيم مطياز، المصدر السابق، ص 130.

3-أيوب بن ابراهيم القرادي، المرجع السابق، ص 146.

4 -Charlet, Op.Cit. P44.

5-Goichon, Op.Cit .P 55.

6-Yves Regnier, Op.Cit .P 148.

الأهالي بذبح شاة خلال فصل الخريف عند قبة أحد الأولياء الصالحين ويطلقون البارود، ويوزع لحمها على الفقراء.

لقد لاحظنا خلال اطلاعنا على بعض المصادر والمراجع والوثائق التاريخية المحلية للمنطقة، أنها تحدثت بشكل كبير على العادات عند جريان الأودية لما في ذلك من فائدة شاملة، لذلك فقد أولى الأهالي اهتماماً خاصاً بتوزيع الصدقات "المعروف" عند سيول الأودية والفيضان، باعتبار ذلك من السبل الهامة لاستمرار العيش وسقي المزروعات وملئ الآبار، فلهذا عند فيضان وادي زقرير يقوم السكان بذبح عنزة سوداء عنده، ويقسمون لحمها مع التمر والخبز كصدقة "معروف" داعين الله أن يديم تدفق الواد، ويحدث عند أجنة النخيل بمليكة وبونورة ذبح عنزة عند شعبة زويل[1]. وهي الصدقات التي كان معمولاً بها في مختلف مدن الوادي؛ ويلتقي فيه خلق من أجل نزول الأمطار وسيلان الأودية. ومن أهم الوعدات المنتشرة في المنطقة: هي وعدة [2] "سيدي امبارك" ووعدة "سيدي السماحي" ووعدة "سيدي محمد بورقبة" ببريان؛ حيث يتم فيهم ختم القرآن "سلكة" وقراءة المدائح الدينية؛ كقصيدة البردة بالإضافة إلى الوعظ والإرشاد، ويتم فيها تعليم الصبيان الفروسية والبارود[3].

تكثر بالمنطقة صدقات الأوقاف التي يهبها أصحابها في الحياة أو الممات لمن يحتاجونها، وتكون ماءًا أو تمرًا أوغلةً أو ما يعرف "بالتنوبا"؛ المرتكز على وقف ينفذه المشتري أو المكتري لداره، حيث يتم تقديم بعض المأكولات في موعد متعارف عليه أو

1-Charlet, Op.Cit.P44.

2-الوعدة : نذر عند أتباع الطرق الصوفية، وهي ذبيحة يتخذ منها وليمة دينية يؤخذ نصيب منها للمشرفين على الضريح مصحوبة ببعض الممارسات الخرافية، عند يوم محدد تحضرها النساء والأطفال. ينظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،ج.9 ص 12. وكذا: Villot(le Lieutenant-Colonel) Op.Cit,P456-457.

3-عمار بن الحاج سعد مطلق، المرجع السابق، ص 111.

إلى المسجد في مناسبات دينية[1]، كما يوزع المعروف عند وفاة أحد الأفراد [2]. وقد ذكرت قواشو Goichon في كتابها "الحياة النسوية في ميزاب" la vie féminine au m'zab تفاصيل دقيقة ومهمة حول التقاليد الموتى والطقوس المصاحبة لهم عند الإباضين. ويبدأ المعروف من اليوم الأول وإلى اليوم الثالث وتذبح فيه ما بين 4 أو 5 كباش، وتقام وليمة كبيرة يحضرها الأقارب والجيران والطلبة لقراءة القرآن[3]، ويقسم المعروف المكون من تمر وخبز وفطائر الرقاق على الأطفال عند زيارة قبر الميت[4]. وفي اليوم الثالث توزع أكلة الدشيشة وهي القمح المدقوق بشكل خشن وفي اليوم السابع الخبز، واليوم 15 الكسكس الخشن بالفول واللحم والرفيس في اليوم الأربعين[5].

أما اليهود فيحتفلون بمجموعة من المناسبات نذكر منها:

أ-يوم السبت وهو العيد الأسبوعي، بحيث لا يعملون فيه ولا يسافرون ولا يوقدون نارًا ولا يكتبون عهدًا أو عقد زواج، ولا يقودون حربا ولا يدفنون موتاهم فيه، ويؤدون صلاتهم في المعبد؛ ويكون هذا اليوم من غروب شمس الجمعة إلى غروب شمس السبت وينظرون إليه نظرة تقديس[6].

ب-يوم الغفران: ويسمى يوم كيبور "Youm kippour" ويدوم عشرة أيام هو يوم الكفارة الكبرى وترتبط به عدة مظاهر احتفالية منها أنهم ويقومون بالصيام، خاصة الذكور

1-فافا بسخواط وليلى حمودة، دراسة حول التنوبا، نظاما ووقفا، بني يزقن نموذجا، المعهد الجابري للبنات، بني يزقن،2004 ص 25.

2-يتم غسل الميت وتكفينه مع إبقاء وجهه ظاهرا حيث يتم دفنه مباشرة بعد الوفاة ويوضع على جنبه الأيمن ووجهه باتجاه القبلة، في حالة الرجل، يوضع له شاهدتين على مستوى الرأس والقدم، وبينما في حالة المرأة توضع لها ثلاثة شواهد بإضافة واحدة على مستوى البطن.

3-Goichon, Op.Cit..P 130.

4-Yves Regnier, Op.Cit.P 68.

5-Goichon, Op.Cit. P 130.

6-محمد عبد الله حمدان، الجماعات اليهودية في تركيا، ط1، الدار الزمان للطباعة والنشر، 2011، ص 81.

البالغين سن الثالثة عشر من العمر، ويقومون بأمور تعبدية وطقوس إضافية؛ كتحريم ارتداء الأحذية الجلدية، واستعمال العطور أوغسل البدن[1]، ويذهبون إلى المعبد حفاة الأرجل[2].

ج-عيد الفصح: يمثل هذا العيد أكثر الأعياد أهمية وأقدمها عند اليهود، ويسمونه يوم الأحياء لذكرى إنقاذ إسرائيل من الأسر في مصر عام 1513 ق.م، وخروجهم منها بقيادة نبي الله موسى، وهارون ويوشع، ويقع بين الخامس عشر والعشرين من شهر أفريل[3] ويدوم ثمانية أيام، يتم فيه تناول الخبز(الفطير) تذكيرا لليهود بالعجلة التي كانوا عليها أثناء هروبهم من مصر[4]، ولا يقومون بأي أشغال يدوية.

د-عيد العنصرة: يسمى عيد "الأسابيع" أو "الحطاب"، يدوم ثلاثة أيام وهو اليوم الذي ضرب فيه موسى البحر فانفلق، ويقومون فيه بصب الماء في الأحياء اليهودية ببهجة وسرور؛ ويتم إنجاز أكواخ من سعف النخيل مزينة بالفواكه والخضر وأغصان الأشجار فوق السطوح أو في العراء، ويدوم سبعة أيام[5]، وفي اليوم الثالث منه يقام عيد خاص يسمى استحواذ اليهود على غرداية[6]، مع أن المصادر والمراجع لاتذكر الكثير عنه.

2-دور الأعراف في المجتمع : لقد وجدت في المنطقة منذ قرون ماضية عقول فكرت في مصلحة الجماعة بروح إيمانية عميقة، عكستها على سلوك الفرد في التضامن والتعاون والتآزر، التي شملت شرائح المجتمع من كلا الجنسين؛ من عمل

1-عبد الحميد فتاح عرفان، المرجع السابق، ص ص 142-143 .

2- Huguet, Op.Cit .P 571.

3-محمد عبد الله حمدان ، المرجع السابق، ص 81.

4-عبد الحميد فتاح عرفان، المرجع السابق، ص139.

5- نفسه ص141.

6- Huguet, Op.Cit . P 570.

دؤوب للخير، من خلال القوانين العرفية المحلية التي ركزت في ذلك على ترسيخ قيم العمل التضامني بين أفراد المجتمع.

أ-التضامن: من أبرز سمات المجتمع في وادي ميزاب بمختلف شرائحه العمل التضامني والمساعدة على تنظيم البر والإحسان منذ القديم، وهو ما مكنه من تجاوز مختلف الأزمات التي تعرض لها، وأصبح سلوكًا عامًا للأفراد والجماعات، وظهرت في أشكال عدة منها؛ إعانة القبيلة والعشيرة للعائلات الفقيرة في تدبر النفقة اليومية وتقتصر للبعض الآخر على نفقات المواسم حين يكون لها سند، ولكنه غير قادر القيام بالنفقات الغير عادية؛ كنفقة العرس والأعياد ونفقات البناء، هذا النظام التضامني سهل من ثِقَلِ دفع غرامة الميزابيين لفرنسا عام 1853م المقدرة بـ 45000 فرنك عندما قسموا العدد على السكان وفق ما لديهم من أملاك جماعية، فجعلوا الضريبة على أملاك الناس لا على أشخاصهم ما جعل الحمل أخف على الفقراء منهم، حين يبدأ المقدم بدفع ما عليه وتحصيل ذلك على الناس، وإن كان ذلك غير قادر ماديا فإن كيس العشيرة يقرضه هذا العدد حتى يقبض من أصحاب الأملاك[1].

ويظهر كذلك في صورة التضامن الاجتماعي للساكنين بالوادي من المرازيق والمذابيح والذين دفعتهم الحاجة بسبب الجدب والقحط إلى مجاورة إخوانهم ممن لم يتأثروا بذلك يقول المؤرخ مطياز: "...لما وقع الجدب والقحط بالبادية مرة بعد أخرى وتوالى ذلك أعوما حتى فنى كثير من مواشهم ووقعت المجاعة في البلاد والبادية... فعقد أهل الخير والعقد جلسات للنظر في ذلك فاقتضى الأمر باتفاقهم جميعا أن يقوموا بمساعدة المعوزين... ثم اهتدوا إلى رأي سديد محكم ذلك هو أن تقوم العشاير كلها بهذه المهمات...ويسكنوهم بالبلاد...استطاعوا أن يعيشوا جنبا إلى جنب وبذلك وقع التعاون بينهم بالمعاملة والمودة والايخاء زمنا طويلا بالقرض والسلم

1-أيوب بن ابراهيم القرادي، المرجع السابق، ص 112.

والمداينة..."[1]، هو تعبير في أصدق حالة لأوجه التضامن الكثيرة والمتأصلة في هذا المجتمع الصحراوي وكثيرًا ما كانت النساء المالكيات يساعدن النساء الميزابيات في أشغال النسيج؛ من غزل وتنقية الصوف وصباغته في أوقات معلومة ويتبادلن التهاني والتبريكات في مختلف المناسبات[2] دون حرج أو تحسس. وفي أوقات كثيرة كانت المرأة تقدم شيء مما قامت بطهيه لجارتها فيما يعرف محلياً بـ "التَذْوِيقة" من التذوق وخصوصاً في المناسبات الدينية في رمضان أو خلال الأعياد، وإعطاء جيرانها بعضاً من بواكير الغلة الموسمية؛ من تمر وتين وقرع، وبطيخ[3] وغيرها مما تجود به الأرض رغم قلة ذلك، وقد تكون العائلة التي تتلقى (التذواق) فعلاً محتاجة لذلك وبهذا التصرف التضامني الغير مباشر لاتشعر العائلات وخصوصاً الفقيرة بالحاجة والعوز،لأن هناك عائلات تفكر في أحوالها وتتضامن معها أيامٍ ومناسبات .

وقد شمل التضامن حتى الغرباء والعبيد الذين اعتقوهم بعد رحلة طويلة من العذاب والمجهول، من بلاد السودان إلى وادي ميزاب، بعدما حطت بهم القوافل في هذا المكان، فتناسلوا وتكاثروا وهناك من اعتنق الإسلام، وقد منحه سيده في أكثر الأحيان لقب عائلته؛ فارتبطوا برابطة الولاء التي لا تنفصل وأصبحوا أحد العناصر الاجتماعية وقدموا إضافتهم للأهالي[4]، وسيده يداويه ويزوجه ويقوم بجميع ضروريات حياته، وهناك من يوصي له بدار يسكنها ونخل يستغله ما دام على قيد الحياة[5] وهي من أجمل أشكال التضامن الإنساني في ميزاب مع الغرباء، والتي كانت تعبر بصدق عن روح التضامن والالتفاف الخيري الانساني بين مختلف شرائح المجنمع وبشتى

1-إبراهيم مطياز، المرجع السابق، ص 57.

2-محمد علي دبوز ، أعلام الإصلاح بالجزائر، ج1، ط.1، مطبعة البعث، قسنطينة، 1974، ص ص 152-153-165.

3-لقاء مع الحاجة فاطنة الهامل المولودة بتاريخ 1936 بالمنيعة، على الساعة 13 زاولا يوم 07 جانفي2016 .

4-Amat, Op.Cit .P P 265-266.

5-إبراهيم مطياز، المصدر السابق، ص 61.

الطـرق، مـا مكـنهم مـن التغلـب علـى مختلـف المحـن والصـعاب،ومـن بـين أشـكال التضامن نجد أيضاً:

ب–التـويزة: أو "المعاونـة والتطـوع" وهـو التعـاون علـى إنجـاز بعـض الأعمـال الخاصـة والعامـة ذات الأهميـة والمنفعـة العامـة، فقـد امتـازت المنطقـة بالتعـاون والتعاضـد منـذ قـديم الزمـان، وهـو أحـد الوسـائل الاجتماعيـة التـي تجسـد قـيم التكـاتف والعمـل الجمـاعي، ينقـل لنـا الشـيخ إبـراهيم مطيـاز وصـفًا رائعـاً للتطـوع عنـدما يقول:"...التعـاون والتعاضـد فـي كـل شـيء وكـل ميـدان مـن ميـادين الحيـاة بـالوطن وللسـكان فـي كـل بلـد مـن هـذه البـلاد تعـاون فـي بنـاء الـديار وفـي حـرث الأرض فـإذا أراد أحـد مـنهم أن يبنـي دارا أو يحفـر بئـرا أو يـدرس زرعًـا أو يغـرس نخـلاً أو يسـور جنانـا... يقـوم الرجـل لبنـاء دار فتقـوم عشـيرتهم وأقـاربهم بأنفسـهم ودوابهـم هـذا لجلـب الحجـر وذلـك للحصـبة ولآخـر يبنـي وآخـرون يهيـؤون مـواد البنـاء والخشـب..."[1]، ومـن بـين الأعمـال التـي يقـوم بهـا البـدوي فـي المراعـي هـي حفـر الآبـار جماعيـا ليسـتفيد منهـا النـاس[2]. وخصوصـاً أصـحاب القوافـل التجاريـة المـارة فـي مختلـف الاتجاهـات والمسـالك، فالكـل بالمعاونـة يتنـافس لحفـر أكبـر قـدر مـن الآبـار فـي المراعـي والصـحراء، ومسـالك طـرق القوافـل وفـي الأجنـة والقـرى، نفـس الشـيء ينطبـق عند موسم جز الصوف والمناسبات الاجتماعية الأخرى.

لا يقتصـر هـذا التعـاون علـى الرجـال فقـط بـل يتعـداه إلـى النسـاء، فـالمرأة أحـوج إلـى ذلـك التعـاون لتعـذر القيـام وحـدها ونسـج مـا كـان عريضـا جـدا مـن الثيـاب والزرابـي والفـرش[3]، لـذلك نجـدهن فـي مجموعـات مكونـة مـن ثلاثـة أو أربعـة فـي عمـل تعـاوني للنسـيج مـن بدايتـه إلـى نهايتـه سـواء فـي الباديـة أو الحضـر، ونسـج مكونـات الخيمـة الكثيـرة فكـل واحـدة مـنهن تتكفـل بنسـح مُكَـون منهـا حسـب اسـتطاعتها ومعرفتهـا، وطحـن

1–إبراهيم مطياز، المصدر السابق، ص ص 92–93.

2- D'armagnac, Op.Cit .P 122.

3–نفسه ص 93.

الحبوب وتجفيف النباتات الصحراوية وتنقيتها من التراب لإستعمالها في التداوي والطهو[1]، وهذا التعاون قلما نجده في المجتمع الجزائري وتكاد تنفرد به المنطقة لتجذره في عمق الإنسان هنا؛ فالعشيرة والقبيلة تترابط فيما بينها، فلا جمعية ولا إدارة ولا قانون منظم لهذا الأمر لأنه نابع من الأحاسيس الصادقة للساكنة، فهو لا يستطيع أن يرى أخيه يكابد مشاق العمل في هذا المكان الصعب، من بناء وحفر وغرس أو نسيج وقد يتعدى هذا التعاون إلى حالة الدفاع وإبعاد الخطر. ونجد من أشكال ذلك أيضًا:

ج-مساندة العائلات لبعضها البعض عند المحن، فالعائلات التي تعاونت مع أصحاب الزعمات الشعبية منذ بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ولما نكبت فرنسا بهم وصادرت أملاكهم ومواشيهم، وأضافت إلى ذلك أن عينت قياد يتتبعون أخبارهم وتحركاتهم، ففي كل مرة كانت تتم مساعدتهم من طرف قبائلهم وجماعتهم وعشائرهم فقد جاء في التقرير الصادر من المكتب العربي يوم 26 ديصامبر سنة 1871-13شوال1288هـ من الفسيان روبير خليفة المكتب العربي بالأغواط:"...بوصول أمري هذا إليك تعلمني على أولاد سيدي الشيخ الذين في متليلي الآن واش يفعلوا فهل قدموا ميعاد هناك أو قدموا حاركين فلابد تعلمني عليهم..."[2]، وجواب آخر من نفس الشخص يوم 5 جانفي 1872-23شوال1288هـ. نصه:"...واعلمون عن الشعانبة والمخادمة إذا عندهم حركة في هذا الوقت والا فلا واعلمون بما ذكرته بالعجل ثم العجل..."[3]، هذا الضغط على حركة القبائل قابله مساندة عائلات أخرى لها وفق استطاعتها، والوقوف معها بعد تمويه فرنسا، وتجلى ذلك عند الاستيلاء على قطعان ومواشي بعض القبائل من طرف الطوارق والقبائل المغربية المتاخمة للحدود الجزائرية

1-لقاء مع الحاجة فاطمة الهامل.

2-بليدي إبراهيم، المصدر السابق، ص 50.

3-نفسه ص ص 50-51.

تتضامن القبائل فيما بينها لاسترجاعها؛ مثلما وقع سنة 1877 م عندما قامت بعض القبائل المغربية بالهجوم على قطعان الماشية والجمال التابعة للشعانبة في مناطق الأطلس الصحراوي فاستنجدوا بإخوانهم من المنيعة وورقلة في جيش عدده 500 مهري بقيادة أحمد بن حمد، فقاموا بمطاردتهم إلى "وادي زوزفانة والناموس" واسترجعوا ما سلبوه منهم[1]، كما شمل التضامن جني التّمور من تسلق النخيل وقطع العراجين، والآخرون يلتقطون التمر الساقط على الأرض ويجمعونه في أكياس ويحملونه إلى صاحبه أو إلى المساجد[2]. ومن بين الأعراف الاجتماعية التي ميزت جانبا من حياتهم في مختلف مجالات الحياة الزراعية والرعوية والتجارية، نذكر ما يلي:

1-الأعراف الخاصة بالبناء والغرس: تميز سكان الوادي وخصوصًا الإباضين منهم بالغراسة الجماعية في مختلف فصول السنة، ووضعوا لها أعرافاً تنظمها، فمع تأسيس القرى وجدت قوانين وأعراف تبين حقوق الناس، وواجباتهم نحو بعضهم البعض من تخطيط شوارع المدن وبناء المنازل، وحفر الآبار إلى حقول الأشجار والنخيل والسواقي وكل ذلك من نظر وجهة الشريعة الإسلامية؛ وهو ما يدل على مستوى الحس الحضاري والمدني الذي عرفته المنطقة، فقد يخيل لبعض الناس أنهم ما كانوا يعرفون هذه القوانين والمعاملات وإنما هم بدو رحل لا فكر ولا علم لديهم، وأن هذه القوانين جاءت المجتمع الإسلامي الحديث من الغرب بحكم الاحتكاك والاستعمار فما جاء مثلا في باب القسمة ما يلي: "...والقسمة جائزة في جميع المياه وسواء في ذلك الماء الجاري أو المطر وكذلك الروافد من المياه مثل الآبار والعيون والأحواض وكذلك الأوعية تجوز فيها القسمة..."[3]، وفي الأعراف المنظمة للأشجار يقول الشيخ أبي

1- Amat, Op.Cit .P 36.

2-صالح بن عمر سماوي، المرجع السابق، ص 764.

3-أبي العباس أحمد الفرسطائي بن محمد بن بكر، القسمة وأصول الأراضين، تح: الشيخ بكير بن محمد الشيخ بالحاج ومحمد صالح ناصر، المطبعة العربية، ط.2، 1997، ص 108.

العباس أحمد بن محمد أبي بكر الفرسطائي[1]:"...وإن وقعت أشجار مفترقة فختلطت ولم يعرف مكان كل واحدة منهن وكذلك إن لم يمكن رد كل واحدة منها في مكانها... وأما إن فعلها أصحابها على أن يغرسوها في موضع آخر فإنهم يتأخذون عن ردها في الموضع الذي اتفقوا على غرسها فيه..."[2].

فعلى ضوء هذا الكتاب إستمدت المنطقة أعرافها في مجالات التخطيط والزراعة والغرس وفق الشريعة الإسلامية حتى لا يقع الضرر بينهم، إلى جانب هذا الكتاب الذي جاء في فترة مبكرة نجد كتاب آخر للشيخ محمد بن يوسف اطفيش الذي استقى أغلب مادته العلمية من كتاب أصول الأراضين، وأخذ بعض المسائل المتداولة نهاية القرن 19م وبداية القرن 20م فيما يتعلق بالمِزَابْ وغرس الأشجار والنخيل والحيطان والأجنة ومقاسمة النخل والأرض...إلخ[3]، تميزت المنطقة بقلة مواردها من الماء لذلك فتسييره من الأمور المهمة عند الميزابيين[4]، ولاستمرار الحياة كان من الضروري على الفرد ضبط نظام لاستغلال مياه السيل والاستفادة من كل قطرة تنزل من السماء والحرص على التوزيع العادل بين الساكنة،"حيث تكون قسمة الماء بالسوية على عدد الأجنة لا على عدد الرؤوس فكل من له جنان فله سهم ومن له جنان له

1-أبو العباس أحمد بن محمد بن بكر من علماء القرن الخامس هجري ولد بفرسطاء، عاش فيما بين 504/420هـ/1019-1110م، اشتهر أبوه بكثرة تنقلاته، وقد سار ابنه على نهج والده فزار كل من القيروان وجربة والجريد، واريغ ، وورجلان ، وبادية بني مصعب، تتلمذ على يد الشيخ أبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي(471هـ-1078م) وعدة مشايخ بجبل نفوسة وتمولست (تقع بين الحامة ومطماطة في جنوب تونس)، توفي بنواحي ورجلان، ألف عدة كتب من بينها"السيرة في الدماء" ، و"تبين أفعال العباد" و"أبي مسألة" و"كتاب أصول الأرضين". ينظر: محمد حسن، الجغرافيا التاريخية لإفريقية من القرن الأول إلى القرن التاسع هـ، ط.1، دار الكتاب الجديد المتحدة ليبيا، 2004، ص ص 258-259. وكذا: أبي العباس أحمد بن محمد الفرسطائي المصدر السابق، ص ص 24-45.

2-أبي العباس أحمد بن محمد الفرسطائي، المصدر السابق، ص 267.

3-محمد بن يوسف اطفيش، في عمارة الأرض، مخطوط، ص، ص 53- 83.

4-Duveyrier, Op.Cit .P 185.

سهمان ومن له أكثر فله أكثر فمن ادعى الزيادة فدعوته باطلة لا حق له ولصاحب الجنان السفلاني أن يجوز سهمه حتى يصل جنانه"[1].

إنَّ قلة المياه في المنطقة كانت في بعض المرات سببًا في الصراع والتقاتل بين الأهالي الذي أشار إليه الاتفاق المؤرخ سنة 1188هـ/1774م، ونص الاتفاق جاء كالآتي"...إن أصحاب ساقية بشمجان تنازعوا وكثر بينهم التشاجر فتخاصموا عن السيل..."، إذ كان الخلاف حول الضوابط تغيير مسار قنوات المياه من غابة إلى غابة لا سيما في حالة بيع حصة الماء[2]؛ وهو ما حدث مع القبائل العربية الباحثة عن مناطق الرعي والآبار في عقد الصلح المنقول عدة مرات آخرها في 22 ماي 1898 م-1محرم1316هـ. هذا نصه "...فإن المذكورين تحادوا في الأرض والأرض من كاف انتيس الغربي منه وشرقا إلى الزقرير كلها للسيد علي بن عمر ومنه غربا إلى ناحية الطريق بن محمد وثامر بن قبال وعبد القادر بن عمر والحواسي نتاوع مكب الغواسيل إذا فسدوا يصلحوهم أولاد علي... والحاسي نتاع مكب الكلب إذا فسد يصلحوه أولاد حمد بن حمد والحاسي نتاع مكب البهيم إذا فسد يصلحه أولاد عبد الله..."[3].

2-المقاييس المتعددة في المعاملات: لم يستغني الإنسان في ميزاب عن المقاييس المتعددة لقياس الأحجام والأوزان مستعملاً بعض أعضاء جسده، كاليد والرجل والشبر والذراع، وعند قياس الأرض واستوائها كالفحص[4]، وإصلاح القنطرة باستعمال الخشب

1-محمد بن يوسف اطفيش، في عمارة الأرض، مخطوط، ص53-83.

2-ناصر بالحاج ، الماء في حواضر الصحراء أدواره والتحكم فيه، مجلة الدراسات، العدد 15، المركز الجامعي بغرداية، ص 31.

3-اتفاق صلح بين القبائل المتنازعة حول الأبار، نسخة نقل السيد امحمد بن احمد (مولى الحوض) عدد138سجل10 المحكمة الشرعية قسم 72، يوم22 ماي1898.نسخة بحوزتي.

4-أبي العباس أحمد الفرسطائي، المصدر السابق، ص 167.

والحجر، ولقسمة الأشياء استعملوا أشياء تقويمية بسيطة مثل القرعة التي تضرب عند تقسيم الأشياء أو الغلة فيحصل كل واحد على سهم[1] والحثية[2].

3-**معرفة ضوابط الوقت والزمن:** عندما يريد الأهالي تحديد الأوقات وضبط المواعيد فإنهم يعتمدون على حركة الطبيعة، من شمس وقمر ونجوم ورياح، ونبغوا في هذه المعرفة نبوغًا كبيرًا، وكانوا دقيقين جدًا في حساباتهم للأيام والأوقات؛ نظرًا لطبيعة حياتهم القاسية في الصحراء الواسع وبحثهم الدائم عن الكلأ والماء، الذي فرض عليهم التنقل والترحال والسفر من مكان لآخر طوال العام. فيقسمون اليوم إلى قسمين النهار والليل ويقسمون النهار إلى ثلاثة أقسام: الصباح، القيلولة والأمسية؛ فالفترة الصباحية بدورها تقسم إلى سبعة أوقات، بينما تنقسم القيلولة (القايلت) إلى أربعة أوقات والمساء(تامدايت) إلى خمسة أوقات، فيما قسم إلى الليل إلى سبعة أوقات ويبدأ أول أيام الأسبوع مع صلاة عشاء الخميس[3].

1- أبي العباس أحمد الفرسطائي، المصدر السابق، ص 82.

2-صالح بن عمر سماوي، المرجع السابق، ص 740.

3-تتقسم الأوقات إلى: **الصباح:** وينقسم هو الاخر بدوره إلى:1-شاو ن واسّ: بداية النهار.2- أنكار ن تْفويت: بزوغ الشمس.3-ألاّي ن تْفويْت: طلوع الشمس الشروق، وهو وقت بزوغ الشمس تماماً.4-أورع ن تْفويْت: الضحى في حال برزت الشمس وهو ارتفاع النهار وامتداده. 5-ألاي ن واس: طلوع النهار.6-أيدلسيت أمزان: من حدود الثامنة صباحا إلى العاشرة صباحا.7-أيدلسيت أمقران: من حدود العاشرة إلى منتصف النهار.**ب- القيلولة (القايلت):** وتنقسم إلى:1-منتصف النهار: وهو نصف النهار عند اشتداد الحر (أماس ن واس)2-الظَهِيرَةُ: حد انتصاف النهار (تيزارنين)3-وقت ما بين صلاة الظهر والعصر (جار زيلا)4-العَصْرُ: الوقت في آخر النهار إلى احمرار الشَّمْس (تاكزين)**ج- المساء (تامدايت):** بداية العشية بعد صلاة العصر مباشرة (شاو ن تمديت)1- مابين العصر والمغرب: (جار تاكزين د تسمسين)2-آخر العشية: (ضيق ن تمدايت)3-اصفرار الشمس: (تاورغي ن تفويت)4- غروب الشمس: (أونا ن تفويت) غروب الشمس وتنحيها عن النهار.**د- الليل (ضجيض):** وينقسم إلى الأوقات التالية:1- المغرب: والغروب أول الليل (تسمسين).2-ما بين المغرب والعشاء: (جار تسمسين د تنيضس).3- العشاء: (تينيضس) 4-بداية الليل: بعد صلاة العشاء (شاو ن يض) .5-منتصف الليل: (أزجن ن يض).6- وقت السحر: الثلث الأخير من الليل (سراط).7- بزوغ الفجر: وقت الآذان لصلاة الصبح وبه ينتهي الليل ويحل النهار (أتوّب).ينظر: عبد الوهاب حمو فخار، السلسلة الذهبية تعلم اللغة الامازيغية وآدابها، مطبعة الفنون الجميلة، الجزائر،2015م ص ص 123-130. وكذا: Delheure(J), Op,Cit,Pp 44-45.

ولمعرفة السنة وتحديدها فانهم يربطونها بالأحداث المشهورة التي تعرفها المنطقة فيؤرخون بها سواء كانت أحداث طبيعية أو بشرية أو سياسية، مثلما يذكر صاحب مخطوط تقييد و بيان من عمر في واد مزاب: "...و في عام عمرت بني يسڤن بعدما كانوا يسكنوها الستاتر ..."[1] وعام بوشوشة وعام الوباء وعام الدبيش، عام سيدي حمزة عام الترفاس، عام الجراد، عام فورو، عام لامي وعام طريق غرداية ورقلة[2] بحكم أن الكثير من القبائل البدوية كانت تستقر بين طريق المدينتين فاتخذت من هذا الحدث الذي قامت به فرنسا تحديدا للسنة، كما كانوا يعتمدون في تحديد السنة على ما يقع من كوارث طبيعية ومناخية؛ كعام المجاعة وعام وادي المساح وعام الجفاف وقد ذكر Cauneille في نهاية كتابه Les Chaanba Leur Nomadisme السنوات المربوطة بالحوادث، كعام البطحاء، عام مولاي، عام (الي مات سيدي كنينير)... هذا لا يعني أن كل أفراد المجتمع لا يعرفون التواريخ بل نجدها مقيدة باليوم والشهر والسنة بالهجرية والميلادية في بعض العقود والاتفاقيات والوثائق العدلية والمخطوطات التي اطلعنا عليها. وأسماء الشهور الشمسية بالميزابية هي: جانفي- ينار، فيفري- فورار، مارس-مغرس أفريل-يبرير، ماي-مايو، جوان- يونيوه جويلية-يوليوز، أوت- غوشت، سبتمبر-شتمبر أكتوبر-توبر، ديسمبر-أوحمبير[3].

أما أسماء الشهور القمرية فهي: محرم-موحرم، صفر-جارموحرم د لمولود ربيع الأول-لمولود(لمخفي)، ربيع الثاني-أمزوار ن ييمجوجن، جمادى الأولى-انامماس ن ييمجوجن، جمادى الثانية-امحارو ن ييمجوجن، رجب-تيوسارين، -شعبان

1-أحمد بن الخيذر بن يوسف المليانى، المصدر السابق، ص 13.

2-Caunielle, Op.Cit.PP 252-274.

3-صالح بن عمر سماوي، المرجع السابق، ص 814.

(تأولأوالت)، رمضان-راماضان، شوال-لعيد امزان، ذو القعدة جار لعيود، ذو الحجة-العيد أمقران.

أما الفصول فتسمى بالشتاء-تاحرست، الربيع-تافسوت، الصيف-انفدو الخريف-تاكرزا[1].

أ-معرفة الآثار على الرمال: من منطلق الإنسان ابن بيئته كانت معرفة السكان بكل تفاصيل المكان الذي يعيشون فيه ضرورية لتمكينهم من استغلاله في حياتهم وتسخيره لخدمتهم، فقد عمدوا إلى معرفة تضاريس وجغرافيا الصحراء في تتبع أثر الحيوان فنجدهم يفصلون في أمر آثار الحيوانات البرية؛ كأثر الحشرات منها الخنافس التي تخرج ليلاً وخصوصًا في فصلي الربيع والصيف، كما استطاع البدويين أن يتعرفوا بالتدقيق بحكم التمرس على آثار الفنك والجربوع والقنفذ والضباع والأرانب البرية والغزال[2]، فيتبعون آثارهم الجديدة لمطاردتهم واصطيادهم، بحيث يسير الصيادون عكس اتجاه الرياح حتى لا تصل رائحتهم إلى الغزال.

1-تتبع أثر الإنسان: لقد اعتنى البدو بهذا الأمر وهو مهم بقدر أهمية وجودهم في البادية، وتقفي أثر المارين على المسالك والطرق المؤدية إلى البادية وجهات أخرى لذلك معرفتها ضرورية لتواصله مع الآخرين، فأول ما يحتك به الطفل في مراحله الأولى عند تعلمه المشي، إذ يتم أخذه إلى البادية أين يتعثر فوق الحجارة ويجري في الشعاب والأودية ليتمكن من رؤية الجمال والأعشاب[3]، وبالتمرس على هذه المعرفة يتمكن من معرفة الآثار التي يطلقون عليها "الجرة"؛ فيفرق بين آثار الرجل التي تكون عميقة وآثر المرأة التي تكون خفيفة، والحامل التي تكون عكسها مع تركها لجرة يديها اللتان تستعملهما لمساعدتها على النهوض، فتعرف لمتتبع الجرة على أنها حامل، أو

1-عبد الوهاب حمو فخار، المرجع السابق، ص 126.

2-Yves regnier, Op.Cit .P 114.

3-Ibid , P 149.

آثار رِجلِ المرأة حيث تكون أصابع رجلها غير واضحة على الأرض عكس الرجل التي تكون واضحة[1] والماهر هو الذي يفصل في أدقها.

ولأهمية تتبع الأثر فقد اعتمدت فرنسا على هؤلاء العارفين بأحوال الجرة لتتبع آثار الثوار ومساعديهم، للوصول لأماكن تواجدهم، هذه المهارة في التقفي جعلت السلطات الفرنسية تنتدب دومًا فارسًا عربيًا كمساعد غير رسمي في جهاز العدالة؛ ولم يقتصر أمر معرفة الجرة على أهل البادية بل إن أهل الحضر كانوا عارفين بها، وهي ميزة سكان الصحراء عمومًا، ففي سنة 1862 جاء في تقرير المكتب العربي بالأغواط ما يلي: "...وفي تلك السنة وهي سنة 1862 وقت نفاق بن حمزة المشهور قبضت عساكر منافقين على رجلين من المحلة الفرنسوية فعند ذلك قام رجل اسمه الحاج مسعود بن محمد وذهب لعساكر المنافقين وتبع أثرهم..." [2].

2-التعرف على القوافل والإبل: إن تتبع أثر القوافل والجمال كانت من بين المعارف المهمة عند أي بدوي، ويتم ذلك في تتبع ما يتركه خف الجمل من أثر فوق الرمال ويمكنه التعرف عليها قبل رؤيتها، ويحدد عدد جمال القافلة ومن أين أتت؟ وهل هي محملة بالسلع والاثقال أم لا؟ أو التي تم الاستيلاء عليها وأين تتجه؟ ما ساعدهم في العثور على مواشيهم التائهة والمسلوبة في الصحراء.

3-معرفة الناس بحالة الجو وتقلباته: لقد احتاج أهل المدن والبادية خصوصاً لمعرفة علامات الخصب والجدب، وعلامات السحاب الماطر والبروق الصادقة والكاذبة والرياح اللاقحة، ومعرفة المغارب والمشارق والزوال والفجرين والشفقين ومعرفة القبلة فمعرفتهم بالنجوم ومنازل القمر والأزمنة وفصولها، والأمطار وأوقاتها واختلاف

1-لقاء مع السيد الشيخ بن الشيخ، أحد الأدلاء ومن أهل البادية ، اللقاء كان يوم 12 -11-2015 م، على الساعة 10صباحاً.

2-بليدي إبراهيم، المصدر السابق، ص 63.

أسمائها في الفصول ضرورية؛ تمكنهم من تتبع مساقط الغيث وارتياد الكلاء، لتدبر حياتهم اليومية، يقول الله عزّ وجل﴿ وَهُوَ الذِي جَعَلَ لَكُمُ النُجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ البِرِّ ِ والبَحرِ﴾[1]، وقد ربطوا ظواهر الطقس وتقلباته بمنازل النجوم والقمر فمن خلال ظهور بعض النجوم المعينة توقعوا ورصدوا حالة الجو، ما إذا كان حارًا أو مطيرًا أو معتدلاً أو قارس البرودة، وهل الرياح غربية أم شرقية ساخنة أو باردة؟ ومما يقولونه بشأن الرياح أن: "الغربي للنخلة والشرقي للرخلة"[2]، ولأن الحاجة اضطرتهم لذلك فقد استدلوا على دخول فصل وخروج آخر بحركة حيواناتهم، فلمعرفة دخول فصل وخروج آخر عادة ما يحسبون بداية السنة مع حلول فصل الربيع[3]، ويعتمدون على معرفتهم بما يوجد في محيطهم من نبات وحيوان.

فمثلاً لمعرفة دخول فصل الربيع يعتمدون على منزلة "سعد الخبية"[4]، وهو آخر أيام الشتاء وبداية الربيع الذي يكون نهاية فيفري ويحصونها بـ 13 يوماً ويطلقون عليها المثل القائل" تَحْيَى كُلْ مْهَبْيَة وتُخْرِجْ كُلْ مْخَبْيَة" بمعنى تخرج كل الحشرات التي كانت مختبئة تحت الأرض؛ كالأفاعي والعقارب وبعض الحيوانات الصغيرة كالقنفذ والجربوع والطيور، ومما يقال كذلك في أمثالهم الشعبية" يْفَتَحْ الوَرْدْ

1-سورة الانعام، الآية 97-98.

2- Charlet, Op.Cit .P 82.

3-يحدد أصحاب الحساب أوقات فصول بسبعة أنجم منها ويبدؤون من الأزمنة بالفصل بالربيع ونجومه هي: الشرطان البطين،الثريا، الدبران، الهقعة، الهنعة، الذراع، ويحددون نجوم فصل الصيف بـ: النثرة، الطرف الجبهة،الزبرة الصرفة، العواء، السماك، ونجوم الخريف هي: الغفر الزباني، الاكليل، القلب، الشولة، النعائم،البلدة ونجوم فصل الشتاء:الذابح سعد بلع، سعد السعود، سعد الاخبية، الفرع المقدم، الفرع المؤخر، الحوت.ينظر:أبي محمد عبد الله بن قتيبة الدينوري، الانواء في مواسم العرب، دار الشؤون الثقافة العامة ، العراق،1988، ص ص100-120.

4-سعد الخبية: سعد الاخبية هو أربعة كواكب متقاربة وهي تمثل برجل بطة ويقال ان السعد منها واحد وهو أنورها والثلاث أخبية ويقال بل سمي سعد الاخبية لأنه يطلع في قبل الدفيء فيخرج من الهوام ما كان مخبئاً، دلالة على دفئ الجو واقبال الحر، وطلوعه لخمس وعشرين ليلة تخرج من شباط(فيفري).ينظر: نفسه ص ص 83-84.

ويْقَهْقَـهْ مَسْـعُودْ"[1] ويستدلون على دخوله بحركة الجمال التي ترقد على أحد جنبيها في وضعية مستقيمة الرجلين عكس وضعيتها في الشتاء التي تضم أرجلها إلى صدرها احتماء من البرد.

ومن بين الطرق التي يتم بها معرفة دخول فصل الربيع أنهم يضعون القليل من التراب المبلل فوق غصن الأشجار، وفي حالة إذا ما وجدوا هذا التراب مرمي على الأرض يعرفون من ذلك أن الغصن بدأ يُخرِجُ براعمه، وتكون في الثماني الأولى من أيامه السماء مغيمة مع رياح مثيرة للزوابع، بعد ذلك تكون الأجواء صافية. وفي اليوم الحادي عشر من دخوله تسمى بمنزلة "السابعة" ويكون وقت دخولها ليلة الحادي عشر منه بين العصر والمغرب؛ وفيها الناس لا يسافرون إلى أماكن بعيدة خوفًا من قوة الرياح والزوابع الرملية ولا يقيمون فيها المواعيد وتتفتح كل الزهور، وتكون فيها الرياح شرقية وتبدأ في العادة الزكاة خلال شهر أفريل؛ بحيث يخرجونها على مواشيهم سواء كانت غنمًا أو جمالاً، ويتم معرفة ما لديهم منها عند مجيئها إلى أماكن المياه فيتم إحصاؤها وتتم في هذا الشهر عملية جز صوف الماشية، وتكون مرفوقة ببعض الأغاني الشعبية والأكلات التقليدية من أشهرها أكلة الرفيس.

ويعتمدون على معرفة خروج فصل الربيع ودخول فصل الصيف على اختفاء الأعشاب والأوراق الضعيفة من الأشجار والزهور، ويحددون ذلك بنهاية ماي حيث يقومون ببناء "الزرايب"[2] البعيدة عن الآبار، وأول الصيف يكون مع منزلة "الثريا"[3]

1-لقاء مع السيدة فاطنة أولاد النوي المزدادة عام 1937م، اللقاء كان يوم 15-فيفري2015، على الساعة العاشرة والنصف صباحاً.

2-الزرايب :ج زريبة ،هي الكوخ المبني من جريد النخيل وعادة ما يستعمله أهل البادية ممن لا منزل لهم عندما ينزلون المدينة .

3-الثريا: وأصلها من الثروة وهي كثرة العدد وهي ستة أنجم ظاهرة، في خللها نجوم كثيرة خفية تصير في كبد السماء شتاءً، وطلوعها لثلاث عشرة من شهر ماي واختفائها بعد ثلاث عشر من تشرين الاخر. ينظر: أبي محمد عبد الله بن قتيبة الدينوري، المصدر السابق، ص ص 27-30.

التي تخرج مع بداية 12 يوم من الصيف، ويقسمون الصيف إلى: أيام العيوب والصفر والزوجة التي تدوم ستة وعشرون يومًا مقسمة إلى ثلاثة عشر يوم، خاصة بالذراع وثلاثة عشر بما يسمى "الزوجة"، ثم تأتي أيام المرزم وتدوم ثلاثة عشر يومًا توجد بها بواكير التّمور "الشيوخ" ويطلق عليها المثل الشعبي الذي يقول: "المرزم هز قفتك وتحزم".

ثم تأتي المراخي وبها ثلاثة عشر يومًا، تكون حارة في النهار وباردة في الليل ويستدلون على معرفتها بعدم شرب الماشية للماء في النهار، وابتعادها عن الآبار ثم تأتي أيام "سهيل"[1] وتدوم 14 يومًا؛ وهي الأيام الأخيرة لخروج الصيف ويطلقون عليها المثل القائل: "الْلِي مَا يَعْرَفْش سِهِيْل وَبِلْهَادِي مَا عَنْدُو لْوِينْ غَادِيْ". وعلى أية حال تكون الرياح في فصل الصيف حارة جنوبية جنوبية غربية، ويطلق عليها اسم "الشهيلي".

تكثر الأمطار على قلتها مع دخول فصل الخريف، ويستدلون على معرفة قدوم سيلان الأودية والشعاب بهروب الجرابيع من هذه الأودية، التي يخيم بها أهل البادية فيضطرون إلى رفع خيامهم نحو وجهة أخرى[2]؛ وتهب الرياح فيه جنوبية غربية ويلتقي الليل والنهار مع النصف الثانية لأكتوبر، ويهتمون بتخزين المؤونة من حبوب(قمح، شعير) وتمر.

وفي فصل الشتاء تكون أربعين ليلة باردة ويسمون بعضاً منها "باللياالي السوداء" ويسقط فيها الجليد(الصرد) فيتجمد الماء، ويميل فيها لون الرمال التي يسقط عليها

1-سهيل: كوكب أحمر يمان يقرب من الأفق، منفرد عن الكواكب. والعرب تقول: إذا طلع سهيل برد الليل وخيف السيل وكان للحوار الويل. ينظر: أبي محمد عبد الله بن قتيبة الدينوري، المصدر السابق، ص ص 156-159.

2-لقاء مع السيد محمد بن الطيب بوعبدلي، المزداد خلال سنه 1937، أستاذ متقاعد ومهتم بالتاريخ المحلي اللقاء كان يوم 15-10-2016.

الجليد إلى السواد، وتبدأ من 25 ديسمبر إلى 13 جانفي، و"الليالي البيضاء" من 13 جانفي إلى 2 فيفري، ويكون خلال هذه المدة لون الرمال مائل إلى البياض عند سقوط الجليد عليها، ولا تنبت عروق النباتات لأن المياه تتجمد في عروقها[1] وبها أطول ليلة بالسنة في شهر أواخر ديسمبر.

4-مظاهر التسلية والترفيه في المجتمع: لم يهتم الأهالي كثيرًا بأساليب التسلية والترويح عن النفس، ذلك لأن وقتهم كان مملوءاً بالأعمال المتنوعة واقتصر ذلك على بعض المناسبات والأعياد بأشكال مختلفة، فأهل البدو يفضلون الالتقاء على الرمال مع إبريق الشاي، ويتبادلون الحديث وينشدون الشعر الشعبي، وتروى عندهم القصص وتحكى التواريخ[2]، في حين أن الأعراف الإباضية منعت الموسيقى، والمخالفين لذلك يلقون عقوباتهم[3].

لقد مثل السوق فضاءًا للالتقاء والترفيه، ومجالاً مهمًا للتخفيف عن النفس وتبادل الأخبار والأفكار بين الفلاحين وتجار المنطقة، ولتفقد أحوالهم اليومية ويتعرفون على القادمين من مختلف النواحي الصحراوية المجاورة؛ فينقلون أخبار مدنهم وأحوال أسواقهم وقوافلهم التجارية المحملة بالسلع من مختلف الجهات وبلاد السودان، ويسردون ما يتعرضون له من حوادث ومصاعب فترسخ في ذاكرة المتلقي ومزيجًا من قصص البطولات القادمة من رحلة بلاد السودان، إلى الحكايات الشعبية التي يحملها تجار ورقلة والأغواط وتوات وغيرها؛ وذلك أمام ضعف الثقافة المكتوبة فيلجؤون إلى الفكر الشعبي وإلى التعبير الشفوي القائم على الحفظ والذاكرة والاستمداد من التراث المنوع أو الخيال.

1-لقاء مع السيد الشيخ بن الشيخ ، أحد الأدلاء من أهل البادية، اللقاء كان بالمنيعة يوم 12 -11-2015.

2-إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص ص 36-37.

3- Robin, Op.Cit.PP 32-33.

وكانت أخبار قصصهم وحكاياتهم تدور حول أبطال الفرسان والمرابطون وزعماء المقاومات ورحلاتهم إلى الحج، كمادة أولية لإنشاء رواياتهم أو يعتمدون على الواقع المعاش[1]، فيقدمونه في قالب قصصي مشوق يرجون منه التشهير والفائدة وفي ساحة السوق نجد أصحاب القصص والخرافات وحفظة الأنساب يجمعون حولهم الناس؛ كل ذلك وهم في مجموعات تضم من ثلاثة أو أربعة ينتظرون بيع منتجاتهم وسلعهم المتنوعة، ومن بين تلك الحكايات الشعبية ذات الطابع التربوي والتعليمي حكاية الرهان اللعين[2] التي تبرز عواقب الرهان الغير نافع، وكذا قصة جحا وسيد البستان والإخوة الاثنان والقدر والعصا[3] وغيرها.

كان حظور قصص الأولياء الصالحين في تجمعاتهم حاضراً أينما سنحت الفرصة، كقصص قضاء الحوائج ومساعدة المسكين والمحتاج والتعاون، مثلما جاء في مخطوط حقوق الوالدين للعزابة ومخطوط مناقب وادي ميزاب الملىء بقصص الأولياء وكراماتهم[4]؛ وهناك قصص شعبية كثيرة للطفولة الأولى إلى سن السادسة وهي خيالية في الغالب ومغازيها تربوية وقصص لمن تجاوز سن السابعة إلى البلوغ وقصص تاريخية ووطنية للبالغين من الأطفال[5].

1-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 8، ص ص 125-126.

2-قصة الرهان اللعين : في يوم من الأيام قدم رجل إلى المدينة فوجد مجموعة من الرجال انضم إليهم وبينما هم يتسامرون قال لهم: أراهنكم بأنني سأذهب الليلة إلى جامع الشيخ سيدي عيسى، وكانت الأساطير تقول بأن ذلك المكان مسكون بالجن، وقبلوا الرهان فتوجه الرجل إلى المكان المذكور وغرز المسمار في الأرض ولكنه حين حاول النهوض والعودة لم يستطع كأن شيء يمسك به؛ حاول بكل قواه أن يتملص فلم ينجح وناد الناس أن يأتوا لنجدته لكن لا مجيب ومن شدة الخوف سقط صريعا، وفي الصباح ذهب المراهنون إلى عين المكان ليجدوا الرجل ميتا وقد غرز المسمار على طرف برنوسه في الأرض. ينظر: Rene (basset), Etude sur La Zanatia du m'zab, de Ouargla et de l'oued Righ ,Ernest leroux, Paris, 1893, P P 107-110.

3-Ibid, P 110.

4-مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص ص3-38-79.

5-محمد علي دبوز، المرجع السابق، ص 161.

تشكل الأمثال والألغاز الشعبية أحد أهم وسائل الترفيه والتثقيف الشعبي في المنطقة وكانت تخصص لها أوقات نذكر من بينها؛ المثل القائل:"عْمُودْ الدَارْ القَدِيم عْزِيْزْ مَا هُوْش كِيْ لِعْمُودْ الجَدِيْدْ المِشْرِيْ بِالسُومَة القَلِيلَة"، "زَوْجِي لَوَلْ أحْسَنْ مِن الجَدِيدْ" على خاطر المرأة ضحت أعمه وشافت لذة والزوج الاخر ماعرفته شي. ومثل آخر يقول: "العَائْي إِذَا تْعِبْ يْشِدْ فِي شِيحَة"، و"صْنَعْ جَبَلْ وَالجَبَلْ مَا يِتْزَعْزَعْ" و"كِيْ كَانْ حَي مِشْتَاق تَمْرَة وكِيْ مات عَلْقُولُو عَرْجُون"، و"مَهزُول ما سْمِن في ليلة وذياب ما غْنَاه قْعُود" "جَانِي عِشَة بِلا طْوَارِف"، "حَشْفَة معا حشْفَة ما يِتْلاقَوُش" "السَارِح والمُستْرَاح قَاعْ بِمْسُوا فِي المَرَاحْ" وغيرها من الأمثال[1].

من بين مظاهر الترفيه والتسلية ألعاب الأطفال الشعبية المتنوعة التي تسع نشاطهم ذات الأهداف التربوية المفيدة للجسم وللخلق والعقل، منها كرة سلجان والتسابق جريا على الأقدام، والاستغماية بأن يعصبوا عيني أحدهم حتى لا يرى ويقبض بيديه على واحد ممن حوله عن طريق التحسس؛ والزلقوم وتهدف إلى تعلم القفز على ظهر طفل فيقفز الأطفال فوقه دون لمس ظهره إلا بأيديهم[2].

وما كان يحدث بالأعراس من مظاهر الترويح، هي أنه في صبيحة اليوم الأخير من أيام العرس عند البدو يقوم أحد أقارب العريس جده أو عمه بقطع أذني الكبش ثم يفر بهما ويدور حول الخيمة، محاولاً أن يرمي بهما داخل حجبة العرس والوزيران يحاولان منعه فإذا غافلهما وألقى بهما داخل الحجبة فإن العريس يدفع غرامة؛ وفيما بعد يعلن بيع الأذنين في مزاد[3] وكل ذلك في جو من السرور، ومن

1-الأرشيف الغير مصنف بمكتبة البحث بالمركز الثقافي للوثائق الصحراوية يحتوي كراس مكتوب باليد للأب لويس دافيد، يحتوي على المئات الأمثال من الأمثلة الشعبية التي قيدها عن أحد أعيان بني مرزوق وهو كفيف من 1902-1913، مرقم تحت عنوان:

Louis David ,Arabe dialectal, 1902-1913.

2-محمد علي دبوز، المرجع السابق، ص 159.

3-Yves Regnier, Op.Cit .P 159.

بين المظاهر التي تقام في الأعراس أن العريس يجب مناداته بالسلطان أو مولاي، فإذا خالف ذلك وزيريه فإنهما يعاقبان بدفع غرامة تجمع لشراء بعض مستلزمات العرس؛ وترافق العرس أنغام القصبة والبارود مع رقصات النساء وبسرية داخل الخيمة[1].

وعند المجتمع الإباضي بعد حفلة التتويج والوليمة يكون نوع من الترفيه والأناشيد والنكت والروايات الفكاهية، إما بالميزابية أو بالدارجة تعالج موضوعًا هادفًا[2]، وكذلك الأمر للختان فيتم الغناء على أنغام "الديوان" و"الدندون" فيغنون ويرقصون على آلة ""القرقابو"[3] أو "تينا قبقبين"، و"القمبري"؛ وهي من العادات القديمة التي كان يمارسها الزنوج في بلاد السودان، وعادة ما تقوم بها النساء في حالة مرض أحد أقاربهم فيستدعونهم ظنًا منهم أنهم سيفرجون ويُرَوِحُونَ عنه، لأن به مس من الجن على شكل مجموعات[4]. ومن بين أنواع الموسيقى التي عرفتها المنطقة هي حفلات البارود[5] التي تكون في شكل منظم جميل، ولهذه اللعبة نظامها الدقيق

1- Paul-François (Passager) Op.Cit.P 543.

2-أيوب بن ابراهيم القرادي، المرجع السابق، ص 94.

3-القرقابو: تتكون رقصة القرقابو من مجموعة من الرجال الحاملين الصنجان (قطع حديدية تصدر صوتا عند ضربها ببعضها البعض)، يحمل رئيس الفرقة الطبل للتحكم في انطلاق الرقصة التي تبدأ بالمذيح النبوي أو كلمات شعرية ويضرب بعدها على الصنجات فتنسجم النغمة مع الحركات التي تكون جماعية، وبمجرد ان يقفز رئيس المجموعة تبدأ رقصة ثانية، ويشكل الراقصون خطين متوازيين أثناء تأديتهم للرقصة. ينظر: محمد الصالح حوتية توات والازواد، ج2، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، الجزائر،2007، ص389.

4- Goichon, Op.Cit .P 38.

5-حفلة أو رقصة البارود: يقوم بها مجموعة من الرجال بعدما يهيئون بنادقهم بمادة البارود ويبدأ الرقصة رئيس المجموعة بترديد كلمات شعرية ثم يأتي دور الايقاع والزمار لأجل إعطاء اشارة الانطلاق للفرقة مشكلين حلقة دائرية منسجمة من الحركات والايقاع حيث يحملون بنادقهم أو قرابيلاتهم فوق أكتافهم ويطلقون طلقاتهم النارية دفعة واحدة وتتخلل اللعبة ترديد مدائح دينية خلال سيرهم.ينظر: محمد الصالح حوتية، المرجع السابق ص399.

ويرافقهم الطبال والزمار[1] ويروحون عن أنفسهم بأسلوب أخر يسمى "بالحضرة" التي تتم بالبندير والطبل مع ترديد بعض المدائح [2].

لقد شكل الغناء أحد أهم عناصر الترويح عن النفس في هذه الرقعة القاسية فكان شائعاً بالعربية والميزابية ذو طابع ديني وتاريخي، يحمل في طياته العديد من الأخبار والمعلومات حول تلك الفترة، كبعض العادات والتقاليد السائدة ونظرة المجتمع للمرأة ومقتنياتها وأغراضها التي تجلب من السوق والحركة التجارية وغيرها؛ فهناك أغاني خاصة بالأعياد والأعراس، لإدخال الفرح للنفوس وللعاملات في النسيج ترانيم وأغاني جميلة وفي الغابة تتعالى أصوات الفلاحين بأغاني شجية مثلما يتم تداوله عند تذكير النخيل:"...الله...صلى الله على سيدنا نبينا محمد...الله... والله سلم على نبينا... نخلة... نخلة الله...والشيطان لعنة الله... [3]؛ فوضعوا أغاني كثيرة تؤدى في مختلف المناسبات[4] ونابعة من عمق المجتمع سواءًا في الحضر أو البدو بالعربية أو باللسان الميزابي.

الشعر مرآة المجتمع فهو يرسم آماله وأحلامه ويصور معاناته ويسجل طموحاته والمجتمع الصحراوي خصوصًا مجتمع شاعر بالفطرة، فحضور الشعراء في مختلف المناسبات أكثر من ضروري، نظرًا للروح التي يضفيها على الحفل كيفما كان، فلم يكن السوق مكاناً للبيع فقط بل فضاءً لاستعراض القدرات الشعرية تأليفاً وحفظاً بين التجار الحافظين له وبين المترددين عليه؛ فيستمتع الحاضرون بذلك ولكن تنذر التقييدات في شأن من هم الشعراء الذين تعاطوا الشعر في أسواق الوادي، كما كان يتم ذلك تحت الخيام أوتحت ضوء القمر وفوق الرمال مع أكواب الشاي.

1-محمد علي دبوز ، المرجع السابق، ص ص 201-202.

2-محمد الصالح حوتية، المرجع السابق، ص399.

3-Charlet, Op.Cit P68.

4-محمد علي دبوز، المرجع السابق، ص ص165-166.

كما أتقن أهل البدو هواية الصيد فكانت ممارسته للبعض ترفيه ولعبة أكثر منها تجارة[1]، ولعبة أخرى تشبهها وهي سباق المهارى بين أبناء البدو لإبراز قدراتهم في هذا المجال، كما يلعبون لعبة "السيق" وخصوصاً الأطفال[2] و" الخريبقة"[3] التي يلعبها الكبار.

5-المعتقدات الخرافية في المجتمع: تميزت حياة السكان في وادي ميزاب منذ القرن الثامن عشر والتاسع عشر بنوع من السذاجة رغم وجود مصلحين تصدوا لهذا الأمر في كل من عهد الشيخ يحيى الأفضلي والشيخ الثميني والشيخ اطفيش، بعدما نسجت الأمراض الاجتماعية والعادات البالية وفساد طبائع الأفراد خيوطها على المجتمع فانعكست على سلوكياتهم وحساسياتهم من بعض الظواهر؛ كالسحر والشعوذة والجن وغيرها وتجلت هذه المعتقدات الخرافية في المظاهر الآتية:

أ-ظهور البدع والخرافات والأعراف الفاسدة الملصقة بالدين وبجانب العبادات، حتى تحولت مع مرور الوقت في نظر السكان إلى واجبات، كظاهرة زيارة القبور ومنها

1-Yves Regnier, Op.Cit .P P 111-112.

2-عبارة لعبة مكونة من ستة عصي قصيرة الطول تصنع من جريد النخيل وعدد لاعبيها لا يزيد عن اثنين. ينظر: محمد الصالح حوتية، المرجع السابق، ص404. وكذا:

Passager, Op.Cit .P 543

3-الخريبقة: هي لعبة تقليدية تلعب على الرمال بحفر مربعات في الأرض لوضع حجر الخريبقة المكون من بعرات الجمال والحجر الصغير أو النوى، وتشتمل هذه اللعبة على 24 خانة تملئ هده المربعات ببعرات الجمال أو قطع من الطين(الطوب) أو الحجر الصغير، لكل لاعب 12 خانة، وتبقى الخانة الوسطى فارغة ينطلق منها اللعب، ويكون عدد المتنافسين اثنين تنطلق اللعبة بملىء الخانات وبعدها يحال اللعب إلى المتنافس الثاني ليملأ بدوره خانتين وتسمى هذه المرحلة بالإنزال وهكذا إلى أن يتم ملئ جميع الخانات، حيث يحرص كل متنافس على أن يحتل المواقع الحساسة في مربع اللعب وأن يأكل خانات المنافس لمحاولة الفوز بالمقابلة، وبعد التموقع تبدأ المنافسة بتحريك الحجر في جميع الاتجاهات على شكل زائد (+) وعند حصر نواة الخصم بحجرين للمنافس الاخر تحذف هذه النواة من مربع اللعب، وتستمر المقابلة بمحاولة حذف نوى الآخر ويكون الفوز بإخراج جميع بعرات المنافس. ينظر: لقاء مع الحاج محمد بن دودو، المزداد بالمنيعة خلال 1930م، اللقاء كان بمنزله بتاريخ 11-0-09-2016م على الساعة 9 صباحاً وكذا: محمد الصالح حوتية، المرجع السابق، ص 403.

قبور الأولياء، وبعض أضرحة زعماء الزعامات الشعبية كمقام سيدي الشيخ بوعمامة وضريح بوقدمة وغيرها، وما يصحب ذلك من التبرك بالأموات والاعتقاد في نفعهم وضرهم والاستجابة لدعائهم وتقديس قبور بعض الشيوخ[1].

ب-الاعتقادات الفاسدة مما بقي في بعض من الجهال المنحرفين عن الجادة، كتعليق القدور من الفخار وتعليق عظام الحيوان على النخيل، واليد المرسومة على قطعة من الجبس ومعها قرنا غزال يوم عاشوراء وبعضها من عوائد الشيعة[2]، وانتشار ظاهرة قراءة " الزوهر" المنشرة في المنطقة ضمن طقوس وعادات اليهود التي كانوا يمارسونها خصوصًا خلال القرن الثامن عشر[3] وهو ما يعرف بحركة القبالة[4].

ج-الاعتقاد بوجود عالم الجن والشياطين في حياتهم ويومياتهم، من ذلك أن المرأة عندما تصنع بعض الروائح العطرية كرائحة البخور المسكي، فأثناء عملية تحضيره وعند وضعه في غرفة يضعون بجانب قصعة البخور رائحة القرنفل ويلفونها بخيط أخضر[5] لكيلا يختلس الجن منه شيئا، ويعتقدون أن بعض النباتات الصحراوية قد تبعد عن محيطهم الجن، فاهتموا بنبتة الحرمل والعرعار وخلطهما معًا لأن الجن يتبع أماكن وجود الدماء؛ وعندما يحمل شخصا في المساء قطعة قماش بالقرب من باب منزله فإنه عند المساء يسمع حسهم[6]. كما اعتمد السكان في علاج بعض الأمراض النفسية التي يعتقدون بأن صاحبها به مس عن طريق التطبيب؛ بواسطة الترويح عن

1-قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج، المرجع السابق، ص ص 85-86.

2-إبراهيم مطياز، المصدر السابق، ص 127.

3-عبد القادر بلغيث، الحياة السياسية والإجتماعية لمدينة وهران خلال العهد العثماني، مذكرة ماجستير، جامعة وهران، 2013-2014، ص 111.

4-القبالة: هو التعبير الفكري الخاص بالأدب الصوفي، وهي عرض محكم للحوافز والدوافع التي تحرك الإنسان ليتغنى بعظمة الاله وجاءت حركة القبالة كرد فعل لمحاولات علماء الكلام اليهود صياغة العقيدة اليهودية صياغة فلسفية صارمة. ينظر: حاييم الزعفراني، المرجع السابق، ص189.

5-Goichon, Op.Cit .P 135.

6-Ibid , 89.

المريض بحضور فرقة فلكلورية تدعى" أهل الدندون" إلى بيت المريض، بإقامة بعض الطقوس العلاجية كأن يقومون بذبح بعض أنواع الطيور وتقديم ولائم عند الأضرحة والمقامات مع الغناء والرقص حتى شفاء المريض[1] مع تعليق التمائم والحروز[2].

د-اشتهر يهود المنطقة بأفعال السحر والشعودة والاعتقاد بحياة الخرافة، فكانوا من بين أكثر الأهالي إيمانا بالسحر وأذوا بعضهم البعض وغيرهم من المسلمين، فهذه السيدة نجمة بنت مركية وزوجة يعقوب تقدم شكوى إلى المكتب العربي في 25 أفريل 1878 م-22ربيع الاخر1295هـ ضد إحدى الساحرات من نفس جنسها[3].

هـ-الخوف من الحسد والعين، يعتقد الناس أن ما يحدث لهم من مشاكل وصعوبات في حياتهم سببها العين والنفس[4]، لذلك كانوا يتحاشون لقاء أصحاب العيون التي تلحق الأذى وكان خوف اليهود من هذا الأمر كبيرًا[5]، لذلك يعتمدون على بعض الطقوس في مناسباتهم المختلفة.

و-تقديم المعروف لدرء الجن عادة عندما يشتري أحدًا بيتاً جديدًا أو يحفر بئرا فإنه يُرفِقُ ذلك بإعداد وليمة "معروف"، وحتى قبل الاستقرار في البيت الجديد الذي بناه يقومون برش غرف المنزل ببعض النباتات الصحراوية كحشيشة البرص (اطريال) وهو نبات طبي بري كثير المنافع مع الحناء والملح لرضى الجن والملح كحاجز بمنعه، وعند مجيء الأهل والأصدقاء للمباركة لصاحب المنزل الجديد يقوم بذبح كبش وسط المنزل أو عكس عموده[6]. ولأهل البدو اعتقاداتهم في هذا الأمر، إذ يعتقدون بأن الصحراء هي المكان المفضل للجن فيجوبون الأرض المستوية والعرق ويظهرون

1- Goichon, P 37.
2- Paul-François (Passager) Op.Cit.P 566.
3-Huguet, Op.Cit.P 568.
4- Paul-François (Passager) Op.Cit. P 542.
5-Huguet, Op.Cit.P 568.
6-Goichon, Op.Cit.P 91.

على شكل زوابع رملية وعلى حواف المسالك يُضَـلِلُونَ المسافرين وأصحاب القوافل[1] ويعتقدون بأن الجن يظهر خلال الـ" أربعين يومًا" من فصل الصيف والأربعين يومًا من فصل الشتاء[2]. ولطرده من المكان يعتمدون على بعض الوصفات الشعبية ومعالجة بعض الأمراض كالحمى التي يعتقدون بأنها بسبب مس بوصفات مكتوبة من النباتات الصحراوية والمواد الاستهلاكية ويبخرون بها أنفسهم ومكانهم، كما لا يحبذون ذهاب أي فرد من أفراد الأسرة إلى مكان تخزين التمر "باجو" المظلم لوحده.

ز-وجدت في المنطقة بعض كتب السحر والشعوذة مثل كتاب "الدمياطي" للسحر الذي اعتمد عليه "الْطُلْبة" المشعوذين في معرفة بعض أخبار الغيب، باستعمال الأطفال الذين تكون تقاسيم راحة يدهم أفقية[3] ويعتمدون على الكتابة (الْكِتْبَة) في معالجة الأمراض، عن طريق الكتابة على أعضاء جسم المريض مقابل مبلغ يصل إلى 100 فرنك في المتوسط وعلى حسب الحالة؛ ومنهم من اختص في علاج بعض الأمراض العقلية وفي إعداد وصفات التناكير[4]، لزرع البغضاء بين شخصين بالإضافة إلى التمريضة.

فبسبب الجهل وظهور بعض الانحرافات اللأخلاقية والأخذ والإبقاء على كل ما هو قديم، وانتشار البدع الفاسدة لم تعد المرأة تحتجب من أحمائها، وكذلك انتشار الوشم عند الرجال والنساء وتعاطي السعوط "الشمة"؛ وإعطاء نصف التركة للزوجة[5] فترسخت في عقلية الأهالي فكرة العلاج والتقرب من كل ما يساعدهم على الشفاء وتحقيق السعادة والرفاه بعيد عن الدين الحنيف، يفقد حينها ثقته بنفسه ويشك بمن

1- Paul-François (Passager) Op.Cit.P 542.
2-Goichon, Op.Cit .P 90.
3-Ibid , P94.
4-عبارة عن وصفات من العقاقير تستعمل للتفرقة بين أفراد العائلة الواحدة، بين الزوج وزوجته وبين الأم وأولادها وبين الإخوة.
5-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.2، ص 107.

حوله ويكون تحت رقابة القوى الغيبية فيستسلم لها، وهو الوضع الذي لخصته رسالة الشيخ الحاج بن بيحمان التي وجهها إلى أهل جربة ونفوسة وعمان:"...كثر الظلم والجور وتلاطمت أمواج الفتن وعساكرها واستسادت ذياب وعسابرها فاستولى على الحكمة الجهال وغيروا حدود الله وبدلوا حرامه وحلاله وأخذوا في السلب والقتل ولجوا على الكفر والعناد فلم يزالوا على ذلك إلى أن سعوا في الأرض الفساد..." [1]. وهذه الظروف السائد هي نفسها كانت سبباً في ظهور بوادر حركة إصلاحية منذ نهاية القرن الثامن عشر، حملت لواء محاربة هذا الوضع الذي أصبح جاثما على نفوس الأهالي وزادها المستعمر الفرنسي الذي كان يريد بقاء هذه الروح المعنوية المتحكم فيها من قبل الغيبيات لتمكين توطينه واستعماره للمنطقة دون مقاومة ودون مشاكل.

وما يمكن استخلاصه هو تمسك المجتمع بوادي ميزاب بعاداته وثقافته الشعبية التي تظهر في مختلف المناسبات والأعياد، كعاشوراء والمولد النبوي الشريف وختمات القرآن واللقاءات المختلفة، وقد وضعوا قوانيناً وأعرافاً تخص التضامن التعاون"التويزة " ومن أجل ترسيخها كثقافة وسلوك جماعي؛ خلال فصول السنة التي يتعرفون عليها بدخول شهور وخروج أخرى حسب معرفة بربرية وعربية، وقد استأنسوا في هذا المكان القاسي بالغناء والفلكلور والحكايات والاساطير، التي اختلط بعضها بالمعتقدات الخرافية التي سيطرت على جانب من حياتهم وفي مناسباتهم.

1- يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.2، ص 107.

الفصل الخامس

المساكن وثقافة العمران بمنطقة وادي ميزاب

1-النمط العمراني بمنطقة وادي ميزاب

2-القوانين والأعراف المنظمة للعمران

3-مواد البناء

4-المنشآت العمرانية الفرنسية بالمنطقة

المساكن وثقافة العمران بمنطقة وادي ميزاب

يعتبر العمران بمثابة النافذة المفتوحة على حضارة الشعوب، وأداة للتعبير الفكري والثقافي كما يحدد إطار النمط اليومي وكيفية تنميته في جميع النواحي. فعمران منطقة وادي ميزاب مرآة عاكسة للوجه الحقيقي للمدينة العربية الإسلامية بما تحتويه من قيم اجتماعية، تستمد جذورها من الدين الحنيف وما اقتضته الظروف المناخية ومتطلبات المجتمع؛ فولدت تماسكاً بين مركباتها العمرانية من المساجد والمنازل والأسواق والأزقة والمسالك، يصف الشيخ مطياز الشكل العمراني بالوادي:"...وتقدم أن سكنى ميزاب الغربي بالغيران والأكواخ والخيام كساير برابر الصحراء وربما حفروا مطامر تحت الأرض كسكان أريغ..." [1]. كان هذا حالهم مع بداية إنشاء القرى لتشمل قبائل وأعراش أخرى من داخل القصور المجاورة وخارجها فنمت الحركة العمرانية خلف الأسوار التي أُتُخِذت كجدران لمنازل جديدة وهو الحال الذي استمر إلى غاية الفترة الحديثة والمعاصرة، وما ميز المنطقة هو طابعها المعماري الخاص والملفت للانتباه هو أن جل المنازل على نمط عمراني واحد لا تختلف عن بعضها البعض، مع مراعاتها للنظم والأعراف والقوانين الإجتماعية للسكن، يمكن أن نميز بين نوعين من السكن الأول في البادية والثاني في الحضر.

1-النمط العمراني بمنطقة وادي ميزاب : هناك نوعين من العمران هما:

أ-مساكن البدو: يرتبط أهل البادية كثيراً، بالأرض فهم يعيشون تحت خيامهم فهي مسكنهم الخفيف المتنقل معهم أينما كانوا[2]، حيث تقوم النساء بنسجها في تعاون جماعي[3] عادة ما يكون لونها أسود ومصنوعة من شعر الماعز والوبر[4]، ومشكلة

1-إبراهيم مطياز، المصدر السابق، ص 91.

2-Choisy, Op.Cit.P 283.

3- Paul-François (Passager) Op.Cit.P 529.

4- Jacques Ruffie, Op.Cit.P 362.

من عدة قطع ما بين 8 إلى 10 قطع وتسمى كل واحدة بفليج[1]، ويتشكل من لونين متمازجين هما الأبيض والأسود، نسيجه فضفاض يسمح بدخول الهواء فيتخللها، ومع ذلك فإن أليافها تنفتح عندما تبتل فتمنع المطر من اختراق قطعها، أما في فصل الصيف فإنها توفر الظل والنسيم عندما ترتفع قطعها من الجوانب الأمامية والخلفية بمعنى أنهم يقومون بتوجيه باب الخيمة في جهة الرياح صيفا وعكسها شتاء[2].

وتنقسم الخيمة إلى قسمين يفصل بينهما قماش مشدود عموديًا، قسم مخصص للرجال والضيوف والآخر للنساء، كما يوجد المطبخ بالخيمة وهو مكان يحاط بقماش لعزله عن الأنظار[3]؛ وتتكون من عدة أجزاء هي "الفليج" "الطريقة" "الركايز والقنطاس"[4]، وأثاثها بسيط يختلف على حسب الوضع المالي والاجتماعي لسيد الخيمة، فتحتوي أحيانا على أفرشة وزرابي وحصاير[5] ومن سعف النخيل ونبتة الدرين[6] وصناديق من الخشب لوضع الأغراض بالإضافة إلى قربة الماء، تتجمع الكثير من القبائل في شكل جماعي يشمل ما بين أربعة إلى خمس خيم وأحيانا احدى عشرة خيمة في المتوسط ؛ وفي الماضي كان التجمع يضم أكثر من 800 خيمة في شكل مربع[7]. ليست هناك أرقام لعدد الخيام بالمنطقة أو بجوارها سواء قبل الإحتلال الفرنسي للجزائر وبعد الضم العسكري للمنطقة.

1-Caunielle, Op.Cit.P 132
2- Paul-François (Passager) Op.Cit.P 529.
3-Jacques Ruffie, Op.Cit .P 362.
4-Caunielle, Op.Cit. P 124.
5-Choisy, Op.Cit.P 283.
6-يتم جمع نبتة الدرين (وهو غذاء الإبل) وبعده يتم ضربه جيداً بعصى غليظة حتى يصير الدرين ليناً كالقماش وجعله فراش دافئ للنوم وللتفريش، لقاء مع الحاجة عائشة بنت قدور حروز.

7- يُطلِق أهل البدو على تجمع الخيام الكبير الذي يفوق أكثر من 700 خيمة اسم السُمَاط. لقاء مع الخاجة فاطنة الهامل وكذا: Caunielle ,Op.Cit.P 124

ب-المســـاكن الحضـــرية الظرفيـــة: وهـــي مســـاكن متنوعـــة أقيمـــت بجـــوار المـــدن وعلـــى حواف الوادي من بينها:

1-الزريبـة[1]: هـي عبـارة عـن سـكن مؤقـت تسـتخدم مـن طـرف البـدو الشـبه الرحـل، وتبنـى مـن جريـد النخيـل أو مـن نبـات الـدرين تقـام وسـط الـوادي وبجـوار القـرى، يسـكنها البـدو وشـبه الرحـل، أثنـاء تواجـدهم فـي المـدن لجنـي محاصـيل التّمـور، وتعتبـر سـكنًا لمـن أرادوا الاسـتغناء عـن الباديـة والعـيش فـي الحضـر[2]،إلاّ أن تتحسـن أوضـاعهم فـدخلوا فـي رحلـة البحـث عـن مصـادر الـرزق والعمـل، يمكـنهم فـي المسـتقبل مـن شـراء أو بنـاء منـزل ولا زالـوا محتفظـين ببـداوتهم لا يتحملـون العـيش فـي أمـاكن مغلقـة، لِتَعَـوُدِهم علـى الفضـاء الواسع ولذلك مروا بمرحلة العيش في الزرابي كمرحلة انتقالية أو مرحلة تطور للسكن.

2-**القربـي**[3]: وهـو نـوع أخـر مـن البنـاء المؤقـت، تبنـى مـن مربعـات الطـين المجففـة تحـت الشـمس وتسـتخدم مـن طـرف شـبه الرحـل فـي طـريقهم نحـو التحضـر والاسـتقرار، وشـيدت مـن طـرف الـذين يسـتقرون فيهـا خـلال فصـل الخريـف وقـت جنـي التمـور وبشـكل مؤقـت متكونا من بيت أو إثنين لتخزين مؤونتهم وأغراضهم[4].

3-المنـزل المبنـي مـن الحجـارة والتيمشـيمت: ويبنـى مـن الحجـارة الصـغيرة والتيمشـيمت[5] يقـول كـوردي Coudray واصـفا مدينـة غرداية:"...توجـد هنـاك خـارج المدينـة بعـض

1-يـتم بنـاء الزريبـة بإقامـة أربعـة أعمـدة مـن خشـب نبتـة الـرتم، تتـرك مسـافة 4 متـر بـين العمـود والعمـود، ويـتم وضـع الـدرين بيـنهم وربطهـا بالحبـل جيـداً لمقاومـة الـريح، وتسـقف بنبتـة العفـرج والعلنـدة بعـد أن يـتم تليـنهم لإعطـاء البـرودة لزريبة ويتم تعليق قرب الماء. لقاء مع الحاجة عائشة بنت قدور حروز، وكذا: لقاء مع الحاجة فاطنة الهامل.

2-Caunielle ,Op.Cit.P P 143-144.

3-القُربـي: المسـكن الـرث المبنـي بـالطوب والرمـل تضـاف إليـه الحلفـاء وبعـض النباتـات الجافـة، ويكـون غالبـاً بـدون نوافذ وأبواب ولا يوجد به مطبخ. ينظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،ج.9 ص11.وكذا:

Villot(le Lieutenant-Colonel) Op.Cit,P15.

4-Paul solleillet, Op.Cit .P 86.

5-Eyme, Op.Cit .P 14.

المنـازل وبسـاتين محاطـة بأسـوار قصـيرة وفـي جهـة أخـرى توجـد منـازل الأبـاء البـيض ثـم بعض الأكواخ وبعض الخيم والجمال..."[1]، مع أنه لم يحدد شكلها ولا عددها.

ج-السـكن فـي الحضـر: شـيد الميزابيـون قـراهم ومـدنهم فـوق الـتلال وبأبسـط الوسـائل "كالحجـارة والتيمشـيمت وأجـزاء النخيـل ومشـتقاته، فلـيس هنـاك قصـور فارهـة بـل هنـاك اقتصـاد فـي الوسـائل وبسـاطة فـي الأشـكال[2] واتحـاد فـي الألـوان، والمتفـق أنـه اقتصـاد رائـع واسـتعمال محكـم لمـا وُجِـدَ مـن مـواد محليـة، فالقصـر هـو مجـال للسـكن محصـن ويكون في الغالب على قمة الجبل، وكان اختيار التلال للبناء فوقها لعاملين هما:

أ-العامـل البيئـي: بمـا أن المنطقـة عبـارة عـن وادي كبيـر تتخللـه مجموعـة مـن الشـعاب والأوديـة الصـغيرة، فـإن احتمـال الفيضـان وارد مـن فتـرة إلـى أخـرى، ولتجنـب الخسـائر التـي يمكـن أن تتسـبب فيهـا الفيضـانات والتـي تحـدث دون سـابق إنـذار إثـر الأمطـار الإعصـارية الطوفانيـة مـع قلتهـا ونـدرة حـدوثها؛ فإنهـا تتـرك آثارهـا علـى البشـر والعمـران لهـذا السـبب تُرِكَـت السـفوح والمسـتوي مجـالاً للغـرس والحـرث، ومـع قلـة الأرض الصالحة للزراعة في المنطقة عدا ضفاف الوادي لذا وجب الحفاظ عليها.

ب-العامـل الأمنـي: لقـد بنيـت قـرى وادي ميـزاب بـالقرب مـن بعضـها الـبعض عـدا قصـري بريـان والقـرارة البعيـدين عـن السـهل وبعـد قصـر العطـف فـي السـهل عـن القصـور الأربعـة الأخـرى، وذلـك لتسـهيل عمليـات الـدفاع الجماعيـة فـي حالـة الخطـر مـن خـارج الـوادي[3] ولأن المنطقـة هـي صـحراء قاحلـة اضـطر سـكانها علـى أن لا يبتعـدوا عـن بعضـهم كثيـرًا لاحتيـاجهم لبعضـهم وصـد الغـارات الخارجيـة[4]، فكـان اختيـار التـل الصـخري المحـاذي للـوادي ضـرورة اسـتراتيجية مـن حيـث مبـدأ الـدفاع والتحصـن، إذ

1-Coudray, Op.Cit P 400.

2-كلود بافار، المرجع السابق، ص 17 بعد ترقيمها.

3-Robin, Op.Cit.P 9.

4-Zeys, Voyage d'Alger au m'zab.P 314.

يمنح منعة كافية للقصر كي يذود عن نفسه ويتصدى للمعتدي، وهو أسلوب دفاعي عرفته معظم بلاد المغرب[1].

إن أول ما يقوم به المنشؤون بعد اختيار الموقع فوق التلال الصخرية، هو تحديد مكان بناء المسجد ورسم حدود المدينة بتسويرها، وعادة ما يكون السور من ظهور المنازل فلا تفتح أبوابها إلا إلى الداخل، أما الامتدادات الأخيرة للمدن أصبح بعضها يتمتع بأسوار متنقلة عن المنازل لما للأسوار من أهمية تضمن حد أدنى من الحماية والاستقرار[2]؛ وقد ذكر ابن خلدون أنه لما كانت المدينة للقرار والمأوى: "وجب أن يراعى فيها دفع المضار بالحماية من طوارقها وجلب المنافع وتسهيل المرافق فيها، فأما الحماية من المضار فيراعى لها أن يدار على منازلها معا سياج الأسوار وأن يكون وضع ذلك في ممتنع من الأمكنة، إما على هضبة متوعرة من الجبل وإما باستدارة بحر أو نهر بها فيصعب منالها على العدو"[3]. لم يتكلف السكان كثيراً في بناءاتهم وركزوا على نقطتين هما: البساطة والاعتماد على ما وجد في الطبيعة، وأول ما يبنى:

1-المساجد: يتم إنشاء النواة الأولى للمدينة بتشييد أول بناء في أعلى قمتها وهو المسجد، الذي يمثل السلطة الروحية والمعنوية، وهو بناء هادف في نفوس الناس من تقديس للمسجد وإعطائه الأولوية في البناء والرفعة الحسية في المكان[4]، وأول ما يراعى في مساجد ميزاب البساطة والتقشف والخلو من الزخارف والألوان والإبداعات الفنية[5]، وتتصب المئذنة على الركن الشمالي من المسجد على شكل هرمي مقطوع

1-يحيى بوراس، المرجع السابق، ص ص 11-12.

2-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.2، ص 113.

3-عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة، ج2، ص 182.

4-أيوب بن ابراهيم القرادي، المرجع السابق، ص 37.

5- تميزت جل مساجد المنطقة بخلوها من النقوشات الزخارف الفنية والكتابة عليها، ولا باستعمال الرخام.

بقاعدة مربعة[1] ويصل ارتفاع مئذنته إلى 92 متر[2]، وبجانب المسجد نجد الميضأة ومحاضر تعليم الصبيان وفوقه المخازن والسطح ومقر اجتماعات العزابة الذي يسمى "تامنايت"[3]، وهو من أهم الأماكن الحيوية في القصر، وتعتبر العطف المدينة الوحيدة في المنطقة التي تضم مسجدين داخل أسوارها[4].

2-**المساكن:** تتواجد بعد المسجد وتلتف حوله تدريجيا نحو الأسفل، وأهم ما يميز هذه المساكن هو تشابهها في الشكل واللون، وهي بنايات حسنة على شكل طبقات مقسمة تقريبًا بشكل متساوي[5]، يقول دوماس واصفًا إياها: "منازل غردايا مبنية بشكل جميل ومطلية بالجير الأبيض"[6]، وهي واسعة وأبوابها موجهة للشارع ومغلقة وهي متلاصقة والجميع ملزم أن يبني بنفس الأسلوب، حيث يصعب التفرقة بين منازل الأغنياء أو الفقراء"[7]؛ ومبينة بالحجارة مشدودة بعضها البعض جيداً ومحاطة بسور قديم من الحجارة بارتفاع أربعة أو خمسة أمتار[8]، وبسبب نمو السكان بالقصر ونزوح بعض العائلات إليه ولأسباب عديدة يشرع في توسعة العمران نحو الأسفل؛ وبطريقة دائرية حول المسجد ويصبح سور المسجد السابق جدارا للمساكن الجديدة في شكل متساوي.

أما الأزقة فهي بمثابة الشرايين التي لا تتم الحركة إلا بها، وتقوم بإيصال الأعضاء مع بعضها البعض فهي بعرض 3 أذرع، رُوعِيَ في عرضها أقل ما يكفي لتلاقي دابتين ولتمرير جنازة[9]، فهي نظيفة وضيقة وبعضها ملتوي[10] في حين أنه

1- Robin, Op.Cit .P 9.
2- Zeys, Voyage d'Alger au m'zab.P 314.
3-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.2، ص 113.
4-كلود بافار، المرجع السابق، ص20 بعد ترقيمها .
5- Amat, Op.Cit .P 149.
6- Daumas, Le Sahara Algérien, P 59.
7-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق،ط.2، ص 113.
8- Robin, Op.Cit . P 9.
9-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق،ط.2، ص 113.
10- Zeys , Op.Cit .P 306.

يمكن أن تتخذ الشوارع خطًا مستويًا، وهذا فيه اختصار للمساحات وتشويش على الأجنبي الذي لا يعرف المدينة[1]، كما روعي في تخطيطها مقاومة الرياح والتقليل من مدة إشعاع الشمس وقت الحر والاعتدال في انحدارها بحيث يتمكن السكان من استعمال الدواب للتنقل والنقل تسقف بعض الأزقة لأسباب أمنية، ففي حالة دخول العدو راكبًا إلى المدينة فإنه لا يستطيع الوصول إلى المسجد قلب المدينة ومقر القيادة فيها ومستودع الذخيرة والمؤونة إلا بصعوبة؛ فتوفر هذه السقائف مساحة أخرى لتنقل الأشخاص عبر السطوح من حي إلى آخر، وكذلك لتخفيف الحرارة والزوابع الرملية[2] عكس منازل اليهود التي تتميز ببؤسها وأزقتها القذرة، فهم يعيشون في بيئة غير نظيفة داخل منازلهم وحتى خارجها[3].

مساحة المنازل لا تتجاوز 100 متراً مربعاً، وهناك منازل مساحتها 50 متراً مربعاً أو 30 متراً مربعاً، لا نجد في كامل مرافق السكن ولكنها جميعا لها طابقان وسطح وعتبة المنزل يبلغ ارتفاعها حوالي 10 سنتيمترات تمنع الأتربة من الدخول إلى الدار وتساعد على دخول الهواء البارد أيام الحر الشديد[4]، بعد ذلك نجد سقيفة بها مقعد حجري منخفض للجلوس والطمأنينة[5]، يحجب الرؤية من وإلى المسكن وهذا الرواق يأخذنا إلى وسط الدار وتكون مفتوحة في أعلى بواسطة نافذة تصل الطابق الأرضي بالطابق الأول؛ ما يسمح بدخول أشعة الشمس وتجدد الهواء وكذا لخروج أبخرة الطهو فبذلك يحتفظ المنزل ببرودته صيفا ودفئه شتاء[6]، ثم نجد قاعة تسمى بالميزابية "تيزفري" عريضة المدخل متجهة نحو القبلة أو ناحية المغرب، للاستفادة

1-أيوب بن ابراهيم القرادي، المرجع السابق، ص 37.

2- نفسه ص 37.

3- Zeys , Op.Cit .P 314.

4-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق،ط.2، ص ص 115-118.

5- André Ravéreau, Le M'zab une Leçon D 'architecture,Sindbad ,1981, P 99.

6-أيوب بن ابراهيم القرادي، المرجع السابق، ص 39.

أكثر من الضوء الطبيعي[1] يمكن أن تكون بيتا لصنع النسيج أو لاستقبال الضيوف أو لالتقاء العائلة[2].

3-المطبخ: عبارة عن فضاء صغير مفتوح على أحد جوانب وسط الدار ولا تكون له غرفة مخصصة، توضع ثلاثة حجرات لوضع القدر عليها[3] ويكون عمق الموقد بـ 30 سنتيمتراً، ويكون متصل بمدخنة وتعلوه رفوف لوضع أواني ولوازم الطبخ، كما نجد غرف أخرى غرفة النوم والمؤونة والصلاة هذه الغرف توجد في رواق أو عدة أروقة[4]؛ وفي الزاوية المحاذية للشارع غير زاوية المدخل يوجد المرحاض، إلى جانبه مكان لربط المعزة وفي مقابل زاوية مدخل الدار نجد الأدراج المؤدية إلى الطابق الأول، وتكون مسقفة مساحتها المناسبة تسمح بدخول وخروج الهواء؛ وهي غير واسعة تقدر بـ 60 سنتيمتراً تماشيًا مع أعراف وقوانين البناء المتعارف عليها، إلى جانب هذه الأدراج نجد غرفة صغيرة لحفظ المؤونة "العولة والأثاث"، ونجد في الطابق الأول قاعة الضيوف الخاصة باستقبال الرجال دون حرج من المحارم، وتسمى بـ "لِعْلَيْ" بها نافذة متوسطة الحجم تتراءى من الشارع فوق باب الدار، إذ تعد النافذ الوحيدة للمنزل إضافة إلى الكوات، أما السقوف فهي ليست بالعالية ولا يزيد ارتفاعها عن الأرض بـ 2,70 متراً [5].

في الطابق العلوي نجد غرفة أو غرفتين إحداهما للنوم والأخرى كمطبخ تضافان إلى غرفة الاستقبال نصف الطابق الأول مغطى، والنصف الثاني معرى به فتحة على شكل نافذة تطل على الطابق الأرضي، توجد به أقواس تستغلها المرأة في أعمال النسيج؛ هذا السطح الذي نصفه مفتوح للسماء ونصفه مشغول بغرف يستعملها أفراد

1-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق،ط.2، ص 115.

2- André Ravéreau , Op.Cit. P 99.

3-Zeys , Op.Cit.P 320.

4-Ravéreau, Op.Cit.P 62.

5-أيوب بن ابراهيم القرادي، المرجع السابق، ط.2، ص 136.

العائلة للنوم صيفًا، مع جعله مكان لتخزين الحطب والتمر[1]. وقد ترتفع دار عن أخرى وذلك لأن أرضها مرتفعة عن الأخرى، وهناك دار أوسع من دار لأن عدد أفرادها كبير[2]، ويذهب بعض الميسورين أن تكون منازلهم مكونة من دار ودْوِيْرَة متصلتين؛ ففي الدويرة يتم استقبال الضيوف وتعقد الاجتماعات بها، وهي الجناح الخاص برب البيت[3]، وتُضَاء مدن المنطقة بالفوانيس الزيتية التي يوضع بعضها في زوايا أسوارها[4].

4-السوق: يحتل السوق مركزًا هامًا في كل مدينة من مدن وادي ميزاب، من حيث أنه مركز الثقل في كل مدينة، فهو نقطة اتصال وتعارف وتبادل اقتصادي لذلك يتمركز عادة في محيطها، لتسهيل التبادلات التجارية الخارجية ومراقبة الداخلين والخارجين عليه، ولإبعاد الضجيج الناتج عن أصوات التجار عن المساكن والمسجد أثناء ممارستهم لنشاطهم، يراقب العزابة نشاط الأسواق فيُوَظِفُون لذلك الدلالين وأمين السوق، ويتحاكم الناس إلى العزابة في أي مشكلة تحدث بين المتعاملين في البيع والشراء وهم يلاحظون ما يرد السوق من بضائع، فسوق غرداية يعتبر من أهم الأسواق حيوية؛ وقد شهد عدة توسعات آخرها كان عند بداية القرن 19 م، حيث أنشأت ساحة السوق الحالية من الناحية الجنوبية الغربية للقصر على شكل شبه مستطيل، يحيط به 98 قوسًا متفاوتة الأبعاد طولها 75 مترًا وعرضها 44 مترًا[5] فتحت بداخله الدكاكين ومحلات التخزين؛ هذه الأخيرة لا سطوح لها وليس لأحد الحق في أن يسكنها إلا بعد اجتماع الجماعة والأمناء للنظر في الطلب[6]، ونجد بمحيطه

1-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.2 ص 117.

2-أيوب بن ابراهيم القرادي، المرجع السابق، ط.2، ص 132.

3-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.2، ص 118.

4- Amat, Op.Cit .P 127.

5-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.2، ص 114.

6-أيوب بن ابراهيم القرادي، المرجع السابق، ط.2، ص 136.

بعض الأسواق الصغيرة كـ"سوق الحداد Souk-el-addad" و"سوق الرحبة Rahba"[1] كما يتميز سوق بني يزقن بأنه غير منتظم الشكل تحيط به مقاعد مبنية، ووجد في كل مدينة من مدن الوادي سوق أو سوقين، فهو محطة للقوافل التجارية المترددة على محور شمال جنوب لتبادل السلع.

5-الأسوار: لم تنل الأسوار حظها من الوصف والاهتمام من طرف الكتابات التاريخية، توجد بكل قصر أو مدينة سور لحمايتها، بها أبواب ذات أسماء عديدة كباب الخرجة، وباب أولاد نايل، وباب سالم أو عيسى، وباب الأطرش وباب انتيسة وباب القبلي، والباب الغربي وباب الواد[2]،عند بداية تأسيس المدن ومع استمرار حركة التنقل بين الأعراش، لم يكن مسموحًا البناء خلف الأسوار وكل المدن محاطة بأسوار مبنية بالحجارة الصغيرة، ويكون في العادة السور سميكًا في الأسفل ويتناقص في الأعلى وتتخلله فتحات ضيقة وأحياناً أبراج للمراقبة.

6-الأبراج: يعد البرج أحد العناصر الدفاعية المهمة في المدينة ومدعمًا لسورها، وبما أن الباب أو مدخل القصر يعتبر المكان الأكثر تعرضًا للهجوم، نظرًا لاتصاله المباشر مع الفضاء الخارجي، فهو يساعد على حماية المدينة من كل تسلل أو اجتياح خارجي، ويؤدي وظيفة دفاعية لصد الهجوم وأخرى للمراقبة والإشعار[3] والاحتماء من غارات البدويين[4]، تأخذ هذه الأبراج أشكالاً هرمية ذات مسقط مستطيل أو قريب من المربع وفي شكلها الهرمي تأثرت بالمعمار المحلي المغربي، فنجدها خاصة في الجزء الصحراوي منه بواحة سيوا بمصر وجبال نفوسة بليبيا وفي عدد من الواحات الجزائرية: كالأغواط بني عباس، وفي الريف المغربي وامتدت حتى حدود

1-Aucapitaine (Henri), P 190.

2-Daumas, Le Sahara Algérien, PP 59-69

3-يحيى بوراس، المرجع السابق، ص ص44-45.

4-محمد حسن، المرجع السالبق، ص34.

المحيط الأطلسي في مدينة شنقيط بموريتانيا[1]، فأغلب القصور بها أبراج ذات مسميات عديدة.

7-المصليات الجنائزية والأضرحة: تنتشر العديد من المصليات والأضرحة والمقامات خارج أسوار القرى، مشكلة حاجزًا أمام المد العمراني وتمتد على مساحات شاسعة تحتوي على مصليات جنائزية مغطاة وأخرى مفتوحة على الهواء، تقام فيها أحياناً شعائر دينية كقراءة القرآن وتوزيع الصدقات؛ ويحمل كل مصلى وضريح اسم لأحد الشيوخ وبها محارب ليست مزخرفة ونجد بها قمم على شكل ركيزة[2]، وتتوزع على قصور المنطقة ومن أشهرها:

أ-مقام سيدي محمد بن يحيى بن عيسى: المعروف باسم "بوقدمة" أو" أبو الجماعة" وقد وصفه إيميل ديرمانغامDermenghem Emile:"...سيدي بوقدمة أو بابا والجمة شخص مبجل من طرف العرب والميزابيين قدم من المغرب...دفن تحت بناء جميل من ستة عشرة عمودا مع رفيقه الذي هو جد العرب المذابيح..."[3]، ويطلق على التلة التي دفن بها إسم أبو جمعة، أبو الجماعة "بوقدمة" بعد التحوير[4]، ويعتبر من أهم الأضرحة التي تزار في غرداية من طرف المتزوجين حديثًا في اليوم الثالث من الزواج تبركًا بالشيخ، ويصلون ركعتين ويدعون بما تيسر لهم أمام محرابه ويتصدقون فيه[5].

1-يحيى بوراس، المرجع السابق، ص ص 46-48.

2- Ravereau, Op.Cit .P 207.

3- Dermenghem (Emile), La 19eme Centenaire de la Fondation de Ghardaïa -Série Monographie N°11, 1953, P 8.

4- Amat, Op.Cit.P 18.

5-مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 3.

ب-مصلى الشيخ إبراهيم بن مناد[1]: يعتبر من أشهر علماء العطف ومن الشخصيات التي تحتفظ بها ذاكرة أهلها، يوجد مصلى الشيخ إبراهيم بن مناد داخل المقبرة التي تعد من أقدم مقابر الوادي، يقع أسفل المدينة من الجهة الجنوبية ويتكون المصلى من قاعة صغيرة دائرية الشكل، نصفها مغمور في الأرض تشكل النواة الأصلية له به أشكال هندسية بسيطة مع وجود فتحات وكوات، كان الشيخ يُدَرِس فيها ويلتقي بطلبته ويقضي فيها جل وقته، ثم وسعت بقاعة نصف علوية عن سقف المصلى وسط الأرض، ويتم الدخول إلى هاتين القاعتين عبر قاعة الصلاة.

ج-ضريح الشيخ أبي محمد بوسحابة: ينتسب إلى أولاد سيدي الشيخ، وقد تردد على الوادي قادمًا إليه من المغرب وكان ينزل عند قبيلة بني مرزوق، وهناك من يرى أنه من ذرية الشيخ سيدي محمد بن يحيى بن عيسى"بوقدمة"، أخذ علومه المتنوعة من المغرب ولما عاد إلى الوادي وجد العلم قد اندثر، فأخذ على عاتقه مهمة إحياء الدين والعلم به، يقصد الأهالي مزاره ويتصدقون فيه ويقرؤون القرآن[2].

8-الآبار: تسمى بالميزابية ""تيرست" Tirset أو ايغيرسان، لا يمكن للحياة أن تستمر في وادي ميزاب بدون آبار، فوجود بئر أو بئرين في كل مدينة من ضروريات العيش كما نجد بئر آخر خارجها ليتزود منه المارين والتجار، وتتواجد بكثرة في البساتين والأجنة.

9-الواحة: تُركت سفوح التلال وحواف الأودية للغراسة، إذ يوجد بكل قرية واحة متفاوتة الاتساع، يقدر أمات Amat مساحتها بألف هكتار[3]، والواحة ليست مكان

1-إبراهيم بن مناد العطفاوي: من أشهر علماء العطف عاش خلال النصف الأول من القرن 6هـ/12م كان من المعاصرين للشيخ باعبد الرحمن الكرثي والشيخ بابا السعد وأبا جعفر مسعود من من المساهمين في تحويل معتزلة المنطقة إلى المذهب الإباضي. ينظر: معجم أعلام الإباضية، ج2، ص 64.

2- مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص ص 4-6.

3-Amat, Op.Cit .P 230.

للفلاحة فقط إنما توجد بها منازل يسكنها الأهالي فصل الصيف، ويعتنون بالأشجار القليلة التي تركها الأجداد وخصوصًا أولئك الذين يمضون أيام شيخوختهم بالغابة حتى يتعاطوا أعمال خفيفة مهما كانت ثروتهم ومركزهم الاجتماعي، فالغابة تقوم بتلبية جزء بسيط من حاجيات السكان[1]؛لا يختلف الشكل الهندسي لمساكن الغابة عن نظيرتها في المدينة، ومبنية من الطوب والرمل[2] تقضي الأسرة وقتها ليلاً فوق الطابق الأول[3]، يحيط به جناح مسقف غرفة أو أكثر؛ لكل منهما أدْرُج تؤدي إلى سطح صغير يعلوا الغرفة[4].

تحتوي الواحة على العديد من المنشآت الري التقليدية الخاصة بتخزين مياه الأمطار في السدود، لتغذية الطبقة الجوفية وتوزيع المياه بشكل متساوي ومحكم للبساتين، بواسطة القنوات الأرضية والسواقي[5] فتحجز المياه في أحواض، وأحاطوا كل مرتفع صغير أو كبير بحزام مرتفع لتجميع مياه الأمطار القليلة النزول؛ فلا يرتفع أكثر من 50 سنتيمتراً، حيث ينزل تدريجيًا إلى سفوحها ليلتقي مع الآخر الموجه له في مجرى واحد فيتجه إلى البساتين في سواقي وكوات، فتسقي كل بستان على حسب سعته بانتظام ولمراقبة سير العملية وجد "أمناء السواقي"[6]، ففي واحة غرداية تنطلق من وادي ميزاب ساقية بوشمجانBou-Chemzan، ثم تتجزأ إلى ثلاثة سواقي فرعية هي ساقية حمو عيسى وساقية الشعبة وساقية بانوح مرزوق؛ فساقية حمو عيسى تنطلق منها 120 كوة عرض كل واحدة 35 سنتيمتراً، وساقية الشعبة فإنها تمون 84 كوة بعرض 40 سنتيمتراً، وساقية بانوح مرزوق تمون 110 كوة بعرض 35 سنتيمتراً

1-مفدي زكرياء، المرجع السابق، ص 215.

2-Villot, Op.Cit.P470.

3-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.2، ص ص 119 -120.

4-مفدي زكرياء، المرجع السابق، ص 120.

5-Coyne, Op.Cit.P 22.

6-صالح بن عمر سماوي، المرجع السابق، ص 744.

وتسيل مياه وادي توزوز في ساقيتين الفوقانية والتحتانية في الأولى 250 كوة والثانية 80 كوة ، ينسب تقسيم مياء سواقي انتيسه ببني يزقن إلى الشيخ الحاج سليمان بن سعيد بتاريخ 3 ربيع الثاني 1162هـ، ونجد بها أربع سواقي تأخذ ماءها من واد انتيسه هي الساقية الغربية بها 46 كوة وساقية الزقاق وبها 55 كوة، والساقية الوسطى بها 23 كوة وساقية بوشمجان، وأما واحة مليكة والقرارة فهما الوحيدتان اللتان لا تملكان سواقي عمومية لتوزيع الأمطار[1].

10-نظام تقسيم مياه السيل: حاول الفرد بوادي ميزاب التحكم بالماء واستغلاله في العمل الزراعي بكيفية دقيقة تثير الإعجاب والاهتمام، يذكر Daniel Moulias أن الإنسان صمم ذلك لتجميع مياه الأودية والاستفادة منها وفق نظام معقد من السدود والسواقي[2]، فقام ببناء منشآت مائية جماعية(جسور، وسواقي ومصارف، ومقاسم) وتدعى بنظام "تقسيم مياه السيل"[3]، ويتميز بهندسته البديعة لضبط سيلان مياه الأمطار وجريان الشعاب والأودية والسيول، ويقوم على مبدأ الاستغلال الكلي والأمثل لمياه الأمطار على مجموع الواحة بواسطة السدود والسواقي[4]، وبدون السواقي ما كانت لتُسْقى الأجنة والحقول؛ والفائض من الأمطار والسيول يوجه تلقائيًا إلى السدود المختلفة لتغذية الطبقات الجوفية وآبار الري المنتشرة في الواحة، وتوجد على طول مجرى الوادي سدود صغيرة تعمل على التخفيف من قوة السيل ومنعه من الجريان على الأراضي الفلاحية المجاورة للواد، وكذا لتجميع التربة الصالحة والخصبة التي يجلبها تدفق سيلان المياه.

1-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.2، ص ص 44-46.

2-Daniel Moulias Op.Cit.P204

3-Amat, Op.Cit.P 217.

4-Daniel Moulias, Op.Cit.P204.

كما يشتمل هذا النظام على أبراج وسدود يغذي كل واحد منه مجموعة من السواقي الرئيسية والتي بدورها تنقسم إلى أخرى ثانوية، هذه الأخيرة توجه إلى البساتين، ويحتوي أيضًا على غرف وسواقي تسمى بـ"ساقية السيل" توزع هذه المياه إلى الحقول عبر فتحات تعرف باسم " كواه" أو "مصرف"[1].

لقد اتفقت كل الدراسات التي تطرقت لهذا النظام على أنّ مآخذ ومخارج المياه تستحق الاهتمام والدراسة أكثر، فهو نموذج على الدقة التي تحكم توزيع المياه بالإنصاف بين الغابات، بحيث يحوز أصحاب الغابات على نصيب متساوي مع غيرهم من المياه وفي حال امتلاك بستانين فلصاحبهما الحق في حصتين[2] وهكذا دواليك، فقد أبدع الفرد ببناء نظام تقسيم المياه المعقد من أجل الاحتفاظ بأكبر قدر من مياه سيلان الأودية "ماء السيل" لاستغلالها في احتياجاته ونشاطاته اليومية بشكل عادل، ووصل الشكل الحالي عبر تطور تصور الفرد لها مع الوقت.

يهدف النظام إلى مراقبة السيل والسهر على حسن تنظيم وتوزيع المياه لتفادي الأضرار التي يمكن أن تلحقها، ففي مدينة القرارة يقوم الفلاح بحجز مياه وادي زقرير في واحاتهم كل سنتين أو ثلاث سنوات[3]، اختلفت المصادر حول مبتكر ومهندس هذا النظام الهندسي الفلاحي وعن بداية العمل به[4]؛ تشير البعض منها إلى الشيخ "حمو والحاج"[5] بحيث أنجز عدة سواقي ومنافذ ومصبات بفضل حنكته وتدبيره وتطلب ذلك سنوات طويلة لإتمامه لاستغلال جريان مياه الوادي القليلة، الذي لا يجري في الغالب إلا بعد مرور ثلاث عشرة سنة[6]، ويشرف على تسيير النظام

1-Daniel Moulias, Op.Cit. PP204-205.
2-Félin,Op.Cit.P38.
3-Amat.Op.Cit .P 218.

4-صالح بن عمر سماوي، المرجع السابق، ح.2، ص 746.

5-حمو والحاج: أحد شيوخ غرداية عاش بين سنة 1635-1717م ينسب اليه تجديد نظام تقسيم المياه بالوادي. ينظر: يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.4، ص 48.

6- Amat.Op.Cit .P 217.

ومراقبته" أمناء الماء"[1] ويقال بأن سد العطف هو أول سد بني بالمنطقة؛ يقع على بعد 3 كلم من جنوب المدينة ارتفاعه 3 م وطوله 5 م، وسدا آخر جنوب بنورة ارتفاعه 4 م وطوله 150م وسدود صغيرة على واد أزويل، ونجد بمدينة غرداية ثلاثة سدود على وادي توزوز وثلاثة على وادي ميزاب هي: سد سالم أوعيسى، وسد البنت والسد الجديد الذي بني عام 1897م، أما في مدينة بني يزقن فنجد سدًا كبيرًا على واد نتيسه يبلغ طوله 600 م وارتفاعه 8 أمتار وسد آخر على نفس الوادي[2].

2-القوانين والأعراف المنظمة للعمران : لقد وضع الأوائل أعرافاً وتقاليداً خاصة بالبناء والتشييد وفق معايير الاحترام التي على الجميع مراعاتها تفاديًا للمشاكل، هذه الأعراف مقتبسة أغلبها من كتاب "القسمة وأصول الأراضين" منذ القرن الخامس هجري، أي مابين سنوات 1009م و1105م، وقبل هذا التاريخ تنذر إن لم نقل تنعدم تقييدات تنظيم العمران ولانعلم لذلك سبب، ونوجزها فيما يلي :

1-لا يجوز أن يرتفع سور الدار الموالي للشارع فوق سبعة أمتار.

2-إذا أراد أحد السكان أن يبني داراً متصلة بأحد الجيران فيجب ألا يرفع الجدار الموالي لجاره الجوفي، على ما كان عليه في السابق حتى لا يحجب عليه الشمس القبلية وعليه أن يحترم الارتفاع من الجهة الغربية حتى لا يحجب شمس المساء على جاره الشرقي.

3-إذا ألح الباني أن يرفع جداره ليستر سطحه مثلا فعليه أن يترك مسافة بقدر علو الحائط إلا إذا كان الفاصل بينهما زقاق فلا مانع من ذلك[3].

1-Daniel Moulias, Op.Cit.P207.

2-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.2، ص ص 43-44.

3-أيوب بن ابراهيم القرادي ، المرجع السابق، ط.2، 2009، ص 138.

4-أما أرض الرجل التي لم يشترك فيها مع أحد فإنه يبني فيها كيف يشاء، ولا يحذر في ذلك إلا ما يضر بجاره من الظل أو العلو على دار جاره، ومالا يستغنون عنه من الطريق لمن يدخلها ومن يخرج منها.

5-إذا اشترك قوم في أرض فاتفقوا أن يبنوا فيها فكل ما بنو فهو بينهم، وإن أراد بعضهم حفر خندق وأبا ذلك البعض الآخر، فإنهم يحفرونه إلا أن كان في حفرة مضرة[1] .

6-ورد في اتفاق مجلس واد ميزاب في شعبان 1156هـ /1743م ما يلي:" واتفقوا على بناء البلاد على من هو غربي أو قبلة لجاره فلا يطلع عليه أو يضر جاره في الشتاء على طلوع الشمس وإن ضاق عليه المكان فيخلق حريم جاره 3 أذرع ويبني فلا يمنعه جاره..." [2].

7-إذا أراد رفع جداره لستر سطحه فعليه أن يترك مسافة مقدار علو الحائط إلا إذا فصل بينهما زقاق، ولا يجوز إسناد الدرج إلى جدار جاره إلا بإذنه، وكذا المستراح أو مرابط الدابة إلا إذا سبق أحدهما الآخر فلا حق للجار الجديد أن يلزم جاره بتغيير وضعيته السابقة لأنه دخل على تلك المضرة.

8-لا يجوز للجار الذي يجري غديره على سطح جاره أن يلحق به ماء الغسيل ويمنع فتح نوافذ في الطابق الأرضي إلى الشارع، لأنها مكشوفة ويمكن فتح شبابيك صغيرة ويجب أن يكون ارتفاع جدران السطح في الطابق الأول إلى حد ما يستر نظر صاحبها عن الجيران، ويستر صاحبها عن الشوارع والجيران المواجهين[3].

9-لا يحدث أحد في سطحه نافذة مهما كانت مساحتها إلا بعد مشاورة الجيران الذين يحددون له المكان المناسب، وتكون محاذية للسقف حتى لا يطلع على سطوح

1-أبي العباس أحمد الفرسطائي بن محمد النفوسي، المصدر السابق، ص ص 210،230.

2-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.2 ، ص 117.

3-عرف أهل القرارة في القصر وخارجه وفي السيل والواحة، تق: هيئة أمناء القصر، القرارة ، 2009، ص 11.

الجيران[1]، في كل بلد يعين أمينان في عرف البناء يهتمان بمشاكل البناء داخل المدينة[2].

10-لقد تأثرت هذه الأعراف المتعلقة بالبناء إلى عوامل عدة تحكمت في اصدار نقاط جديدة في كل مرة يجتمع فيها أعيان البلد، كالتحركات وتنقلات القبائل والأعراش المستمرة من قرية إلى أخرى بالإضافة إلى النمو السكاني المتزايد من سنة إلى أخرى. وبعد الانتهاء من الهندسة الداخلية والخارجية لعمران الوادي نتعرف الآن على المواد التي بني بها.

3-مواد البناء : لقد كان الاعتماد على استعمال ما هو موجود من مواد محلية والاكتفاء بها في البناء وأهمها :

أ-الحجارة الصغيرة: هي المقتلعة من طبقات الصخور الكلسية البيضاء وتعتبر المادة الأساسية في البناء بعد أن تكسر إلى أحجام متنوعة وأشكال هندسية معينة لكي تستعمل لتبليط الأرضيات وبناء الأسوار والجدران.

ب-التيمشيمت: هي عبارة عن نوع من الجبس وقد استعمله الأولون في بناء القرى المندثرة كقصر الصوف من طرف أولاد إسماعيل وأولاد إبراهيم وأولاد عيسى، الذين كانت حرفتهم استغلال محاجر الجبس بتلماسين على هضبة النوميرات[3]، ويستخرج على عمق واحد متر ويعالج في أفران لمدة يوم[4]؛ فالبناء بالحجارة الصخرية المقتلعة والتيمشيمت يجعل الأرض مكيفة مع المناخ الصحراوي القاسي، فيجعل المسكن

1-أيوب بن ابراهيم القرادي، المرجع السابق، ط.2، ص ص 138-139.

2-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.2، ص 118.

3- Motylincki, Op.Cit.P 114.

4-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.2، ص 118.

مناسبًا للمناخ القاري الحار صيفا والبارد شتاء وتستعمل التيمشيمت في بناء الرفوف وفوق الموقد أو وسط الدار[1].

ج-الجير: وهو من المواد المتوفرة في المنطقة، ويذكر لنا لويس دافيد في رواية استقرار المذابيح بالضاية بعد أن سمح لهم بذلك الشيخ عمي موسى مايلي: " ...فأول الشروط الذي شرطها الشيخ عمي موسى ان لا يبنوا مساكنهم بالطين والجبس والجير والتيمشمت..."[2]، ويعالج في أفران معدل ارتفاعها متران ويحرقها البدويون في أفران صغيرة[3]، ويستهلكون الكثير من الحطب لحرفه ويعادل أضعاف ما تحتاجه التيمشيمت منه، فعند بناء البرج العسكري والإداري الفرنسي نهاية 1882 م اضطرت السلطات الفرنسية إلى جلب كميات كبيرة من حطب الرتم بنواحي غرداية.

د-الرمل الغير صلصالي: يستخرج من مجاري الأودية[4] ويخلط مع الكلس أو الجير وأحيانا مع التيمشيمت والجير[5].

هـ-خشب النخيل: اعتمد عليه السكان لتسقيف وصنع الأبواب كجذع النخلة وجريدها وسعفها[6] تترك لتجف لفترة معينة، ثم تقسم إلى أقسام لتستعمل في السقوف والدعائم والأبواب، ونظرا لندرة الخشب التي مصدرها النخلة فهي أساس معاشهم فاقتلاع واحدة أو إثنين للانتفاع بجريدها أو أخشابها؛ يحرمهم من قسم مهم من مادتهم الغذائية لذلك عمدوا على الإقلال من الأبواب الخشبية وتصغيرها، والاعتماد على ما يحتاجون منها لسترهم كالأبواب كالباب الخارجي وباب مخزن المؤنة، وباب بيت النوم

1-أيوب بن ابراهيم القرادي، المرجع السابق، ط.2، ص 137.

2-Louis David (Père Blancs) Les Médabih.P8.

3-مفدي زكرياء، المرجع السابق، ص 221.

4-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.2، ص 118.

5-Amat, Op.Cit.P 130.

6-Ibid. P 130.

وباب السطح الأعلى[1]؛ بالإضافة إلى مشتقات النخيل من الليف والكرناف، اللذين يدخلان في تسقيف المنازل وتصنع منه أيضا الأبواب، وقد لاحظ Charlet أن أبواب مسجدي مليكة وبونورة صنعت من خشب النخيل، وأخبره بعض الأهالي بأن عمرها يزيد عن تسعة قرون[2]، أي قبل تأسيس القرى الأولى، ولانظن ذلك لأنه بحسب مطياز كانت أغلب سكنات الأوائل الخيام والغيران والكهوف، فهو يبالغ في ذلك.

-**الأثاث المنزلي:** تكاد تخلو البيوت من الأثاث المنزلي، وتميزت ببساطتها وبعدها عن التكليف[3]، واكتفوا على ماهو ضروري جدًا لهم؛ فلا توجد الطاولات ولا الكراسي ولا الأَسِرَة عدا مقعد صغير من خشب جذع النخيل وحصيرة من سعفه كفراش للنوم ووسادة من الصوف وبعض الزرابي والأغطية المصنوعة بالمنطقة وآلات النسيج.

4-المنشآت العمرانية الفرنسية بالمنطقة: أول ما بدأ الفرنسيون ببنائه بعد الضم هو البرج العسكري، حيث تم اختيار جبل بوزيزة المشرف على مدينة غرداية والذي لا يبعد عنها إلا بنحو 400 م لإقامته، فشرعوا في بنائه يوم 26 ديسمبر 1882 م- 15صفر 1300هـ، توجد به أقسام عديدة للضباط وللعسكر ولتخزن المؤونة وقسم للمكتب العربي، واستعملوا في بنائه المواد المحلية المتواجدة في المنطقة، ولأن الحصول على مادة الكلس أو الجير يتم عن طريق حرقه بالحطب القليل بميزاب ويتمثل أساسًا في بعض مشتقات النخيل لذلك اضطرت الإدارة الفرنسية إلى استعمال حطب "الرتم" المتواجد على بعد 25 و30 كلم من الوادي[4].

كما تم إنشاء البلدية الأهلية في غرداية والتي تضم القرى السبعة بالوادي بالإضافة لمدينة متليلي وذلك بعد صدور قرارها في 22 أفريل 1884م، وقد أسس

1-أيوب بن ابراهيم القرادي، المرجع السابق، ط.2، ص ص 137-138.

2-Charlet, Op.Cit.P15.
3-Ibid, PP 130-131.
4-Ibid , P 235.

الكولونيل ديدي (Didier)[1] دائرة غرداية سنة 1886م، وتنوعت منشآتها العمرانية بعد أن أصدرت أمرًا عام 1892 م يقضي بإنشاء مدارس رسمية في الجزائر ومن بينها قرى الوادي، أما ما يخص المنشآت العمرانية الفلاحية والري فقد قامت بإنجاز أربعة سدود جديدة على وادي ميزاب منها: سد بغرداية عام 1883م، وبناء أخر بمليكة ما بين 1887-1889م وآخر في بنورة بين 1887-1889م، والسد الجديد في غرداية عام 1897م على بعد كيلومترين شمال البلدة. طلب الميزابيون من الوالي العام تيرمان عند زيارة وادي ميزاب في فيفري 1884 م-9ربيع الاخر 1301هـ. حفر آبار إرتوازية لسقي غاباتهم، وبعد 9 سنوات من المعاهدة انتهت السلطات الفرنسية من حفر بئر بعمق 1000متر بنواحي غابات العطف صيف 1861م[2]، كما شرع المقاول بولان أرول في 8 جانفي1897 م في حفر بئر ختالة بالوسائل الحديثة، وقد استمر في ذلك إلى غاية أفريل1899 م؛ بحيث بلغ عمقها 307م ولكن دون جدوى، وفي مجال الأحوال الجوية فقد تم تأسيس أول محطة للأرصاد الجوية في الصحراء بغرداية عام 1887م وفي الصحة أنشأ الآباء البيض في غرداية مستشفى أهلي مدني عام 1896[3]، وهي منشأت في المقام الأول وضعت لخدمة مصالحها.

وملخص الفصل هو تميز العمران ببساطته وبعده عن التكليف باعتمادهم على ما وجدوه في الطبيعة من حجارة وتربة ومشتقات النخيل في البناء، وقد خضع هذا الأخير إلى قوانين وأعراف لا يمكن تجاوزها، بناء على ما جاء في الشريعة الإسلامية

1-الكولونيل ديدي(Alphonse-Ferjeux) Didier ولد بتولوز الفرنسية عام 5أوت 1837م، تخرج من المعهد العسكري الخاص عام 1859م، عمل بالمكتب العربي في عدة جهات من الوطن، عين حاكم لملحقة غرداية عام 1882م ليؤسس بعدها دائرة غرداية عام 1886م عين كولونيل سنة 1893م بقي في غرداية إلى غاية 1895م، بعدها انتقل مباشرة إلى شرشال كحاكم للوحدات الشرفية. ينظر:

Peyronnet(R) Livre D'or des officiers Des Affaires Indigènes 1830-1930, T.1.imp.P.et ,G.soubiron,Alger,1930.PP364-365.Et: Charles (kleinknecht), Op.Cit.P 280.

2-Ville(M) Op.Cit.P 43.

3-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق،ط.2، ص ص 195-194.

وما وجد من مؤلفات وخصوصًا كتاب القسمة وأصول الأرضين؛ فطوروا من مواد البناء الطبيعية الأولية الموجودة بوادي ميزاب، وتمكنوا من جعلها صالحة لقرون ومقاومة للعوامل الطبيعية والبشرية، وقد أضاف الفرنسيون بعض الهياكل والمنشئات العمرانية كالأبراج والمدارس والمستشفيات، والبنايات الإدارية.

الفصل السادس

الهجرة وأثرها على حياة السكان بمنطقة وادي ميزاب

1-دوافع الهجرة

2-اتجاهات الهجرة

3-أثار الهجرة

الهجرة وأثرها على حياة السكان بمنطقة وادي ميزاب

لقد عرفت المنطقة منذ القرون الأولى لتأسيس المدن والقرى توافد العديد من المهاجرين الذين قدموا اليها من داخل الوطن وخارجه، فالهجرة قديمة قدم حركية الإنسان ونشاطه، الذي أثرت فيه عوامل الجذب والطرد، فبحكم طبيعة الساكن بوادي ميزاب الممتهن للتجارة في مدن الشمال أو الدول المجاورة؛ فقد ظلوا في حركة مستمرة جنوبية وشمالية وشرقي وغربية وخاصة الإباضين.

تذكر المصادر التاريخية المخطوطة أو المطبوعة وجود بني ميزاب في الشمال مع بداية التواجد العثماني في الجزائر، فقد أُعتُبِرَت من الجماعات المهمة التي كان لها وزنها المالي والتجاري هناك[1]، وفي نفس الاتجاه رجح صاحب مؤلف مخطوط القرارة من حين بدعها لمحمد بن سليمان بن شتيوي، أن القرن السادس عشر بداية هجرتهم إلى الشمال تحديدًا نحو الجزائر؛ إذ يقول بدون تصويب الأخطاء الواردة فيه اللغوية والنحوية والرسمية: "...فقال لهم المدبر يلزمكم تجتمعوا وتقربو للتل كلكم تخدمون لما تلمدوا ادراهم الذين يكفوكم ترجعون وتبدعو بلاد اليكم وحدكم...فخرجت ربعين رجل من أولاد باخة متعاونين قاصدين الجزاير مدة سنين عديدة وهو ما يخدمو حملة في هته البلاد لما قبضو دراهم كثير...رجعو الى مزاب..."[2]، فكانت على رأي محمد بن سليمان الشتيوي مع بداية القرن السادس عشر بعدما عادوا من الجزائر وبمساعدة ابن جلاب صاحب تقرت بعد أن أعطوا له أربعة آلاف دينار[3]، فتمكنوا من تأسيس قصر القرارة وتخريب قصر المبرتخ، وبناءً على ما جاء في أحد نقاط

1-سبينسر ويليم، الجزائر في عهد رياس البحر، تع، تق: عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر، الجزائر، 206، ص 100. للتوسع في موضوع التواجد الميزابي في الجزائر، ينظر: Jean-Michel venture de Paradi, Tal Shuval, William Shaler.

2-محمد بن سليمان شتيوي، المصدر السابق، ص- ص341-342.يقصد المؤلف بكلمة تقربو (الغربة) لأن الغاء تنطق قا في مدن الجنوب.

3-نفسه ص ص341-342.

مجلس أبي عبد الرحمان الكرثي الذي كان سنة 811هـ /1409م مايلي: "من هتك حرمة أخيه المسلم وأفسد عرضه ودينه في زوجته سواء اقتحم داره... وجب عليه أن يجلد في المسجد... ويبعدونه بالنفي عامين من البلد ولا يرجع إلا إذا رأى من البحر في الجزائر وتونس وغيرهم ويأتي بالشهود الأمناء"[1]، فيشير بذلك إلى النفي بمحاذاة الشمال.

يظهر من خلال بنود الاتفاق الذي يعود إلى بداية القرن الخامس عشر ميلادي التي صرحت أن المذنب عليه أن يقضي مدة معينة في مدن الشمال المطلة على البحر سواء بالجزائر أو تونس، فأمكن لمن استطاع العمل وجمع المال قبل العودة إلى الوادي فكانت هجرة قصرية، فيما يرى الدكتور عبد الكريم الماجري أنه لا توجد إشارة واضحة حول بداية تدفق الميزابية على مدينة تونس، أننا نجد في الاتفاقات اقتران اسم مدينة تونس بمدينة الجزائر كمقر لنفي المذنبين من وادي ميزاب حيث يسلط عقاب النفي إلى هاتين المدينتين المطلتين على البحر على كل من ارتكب جرما يستحق ذلك[2]؛ وقد أشار الأستاذ أحمد بن جابو في أطروحته المهاجرون الجزائريون ونشاطهم في تونس(1830-1954) إلى أنّ تواجدهم يعود إلى زمن بعيد دون أن يحدد ذلك زمنياً، وقد انتظموا في فئة البرانية[3] ممثلين في" أمينهم"[4] الذي يتمتع بمكانة خاصة لدي السلطة وله مكانة معنوية بين أعضاء

1-باعمارة عيسى، المرجع السابق، ص ص20-22.

2-عبد الكريم الماجري، هجرة الجزائريين والطرابلسية والمغاربة الجوانة إلى تونس، 1831-1937، الشركة التونسية للنشر، ط.1 2010، ص 527.

3-البرانية: هم الجماعة الوافدة على مدينة الجزائر من مختلف أنحاء البلاد الجزائرية قصد العمل والإقامة بها، وقد عرفوا بمواطنهم الأولى وانتسبوا إليها بحيث ارتبطت كل طائفة من هذه الجماعة بأعمال معينة أو كل أمر التصرف في شؤونها إلى أمين أو مقدم يختار من بين أفرادها. ينظر: عبد الله محمد بن الحاج يوسف الشويهد المصدر السابق، ص ص 25-26.

4-الأمين : هو امين جماعة أو طائفة برانية ، التي تزاول حرف معينة يختاره الديوان لقدمه وجديته وحسن معاملته. ينظر: عبد الله محمد بن الحاج يوسف الشويهد، المصدر السابق، ص 44.

جماعته، من بين مهامه متابعة شؤونهم المهنية والاجتماعية، وجمع الضرائب عنهم للبايلك[1].

وقد حافظت فرنسا على هذا النظام بعد احتلالها البلاد، وفق القرار الذي أصدرته في 14 جويلية 1830م، وشمل القرار كل من جماعة بني ميزاب وجماعة البساكرة كتجربة أولية على أن تعمم فيما بعد على باقي الطوائف، وقد هدفت من جراء ذلك إلى مراقبة الأهالي والتعرف بدقة على البرانية Les-Berranis بالعاصمة ولانشغالها بالمواجهات القوية التي لاقتها من طرف المقاومة الشعبية [2].

1-دوافع الهجرة : لقد توفرت عدة عوامل وأسباب جعلت سكان منطقة وادي ميزاب يغادرون مكانهم الصحراوي، إلى مختلف الجهات الداخلية من الوطن والخارجية ومن هذه الأسباب نذكر ما يلي:

أ-الأسباب الجغرافية والطبيعية:

1-تميز المنطقة بخصوصياتها الجغرافية الصعبة في الركن الشرقي الصحراوي المحدود الموارد، ما انعكس على مستوى حياة السكان الذي تميز بتدني مستوى المعيشة وانتشار الفقر، وقلة الموارد المائية التي تتطلبها زراعة النخيل والعناية به ما أدى إلى موت العديد منها على قلتها؛ كما عرفت المنطقة سنوات الجفاف التي تطول مدتها في بعض الأحيان، مع مرافقة بعض الأوبئة والأمراض له، ومرور أسراب الجراد التي تأتي على القليل من الزراعات المعاشية.

2-تعتبر" أرض الشبكة " من المناطق الطاردة للسكان، بسبب موقعها الطبيعي القاحل والقاسي إذ تأثر مناخها الصحراوي بتأثير موقعه الفلكي(العروض الدنيا) فضلا عن

1-ناصر بالحاج، التنظيمات الفرنسية للجماعات الحرفية والاثنية غداة الإحتلال -حالة بني مزاب-مجلة العلوم الإنسانية، ع.40، جامعة الوادي، 2013، ص 355.

2-نفسه ص355.

شكل السطح وقاريته وكذا عامل الارتفاع عن مستوى سطح البحر، فهو قاري جاف ذو مدى حراري كبير، ففي فصل الشتاء يتميز بالبرودة القاسية وخصوصًا في الليل إذ تتراوح درجة الحرارة ما بين°4 و°0، أما في فصل الصيف تبلغ °50 درجة [1] مع قلة تساقط الأمطار، فمعدل ما يسقط من الأمطار خلال السنة يتراوح ما بين 50 و60 مم، ويمكن حصر الأيام الممطرة خلال السنة الكاملة بعشرة أيام[2]، وتهب عليها الرياح الجافة الجنوبية وخصوصاً الجنوبية الغربية[3]، أو ما يعرف بالشهيلي.

3-الموقع الجغرافي الإستراتيجي الذي تميزت به المنطقة، فهي تتوسط الصحراء الجزائرية، ووقوعها على خط تجاري مهم يربط الشمال بالجنوب والشرق بالغرب في حركة عمودية وأفقية، بعد أن حولت القوافل مسالكها صوبها [4]، هذا الموقع الإستراتيجي سهل اتصال سكان منطقة وادي ميزاب بمختلف جهات البلاد.

4-تحرك العديد من أصحاب رؤوس الماشية بقطعانهم نحو مناطق الكلأ، سواء في الأطلس الصحراوي أو الجنوب الشرقي أو الغربي فيما يعرف "بالعشابة " وقضائهم لفصول السنة في جهات معينة، وهي الحركة التي زادت بين الترابط الاجتماعي بين العشابة وبين سكان المناطق التي يَحِلُّون بها، في هذا المحيط الجغرافي الممتد من فقيق المغربية إلى فزان الليبية، مروراً بالأطلس الصحراوي.

5-لم تكن الفلاحة المعاشية البسيطة والمحدودة لتضمن للسكان مستوى معيشي مقبول فالاعتماد عليها كان محدود جدًا، وخصوصًا مع تزايد عدد الساكنين نهاية القرن التاسع عشر الميلادي والتحسن النسبي في مستوى المعيشة [5].

1- Amat, Op.Cit.PP 110-111.

2-يحيى بوراس، المرجع السابق، ص 4.

3- Coyne, Op.Cit .PP175-176.

4-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع سابق، ط.2 ص 52.

5-نفسه ص 53.

6-عدم تنوع مصادر الرزق والكسب وانحصارها في نشاطات محددة، وتكاد تكون محدودة؛ وتشمل الفلاحة البسيطة وبعض المهن والحرف التقليدية اليدوية كالحدادة والدباغة والحلي والنسيج أو في الرعي؛ وهي المهن التي لا تمكن أصحابها والممارسين لها من كسب المال بسهولة.

ب-**الأسباب التاريخية والسياسية:**

1-انعدام حالة الأمن والاستقرار الذي ميز المنطقة في بعض الفترات، وما يترتب على ذلك وهو ما ولد نفور العيش بها وانتقال عدة أشخاص للعيش بمناطق شمالية من البلاد.

2-تأثر الفرد بحركية الجذب والطرد بحكم تعرض البلاد للعديد من المؤثرات الداخلية والخارجية، وعلى رأس هذه الأسباب الإستعمار الفرنسي الذي احتل البلاد منذ العقود الأولى للقرن التاسع عشر، وكان هذا الأمر أحد عوامل طرد العديد منهم، تجاه أماكن مختلفة، أُعتُبِرَت مناطق جذب لهم هروبًا من بطش الإدارة الفرنسية[1]، التي لاحقت فلول رجالات المقاومة الشعبية والمساندين لها في كل مكان من الجزائر، ما جعلهم يفرون باالتدرج إلى المناطق التي لم تتعرض للاحتلال بعد داخل الوطن؛ كالواحات الجنوبية البعيدة وكذا المغرب وتونس وليبيا.

3-مجموعة الإجراءات والقوانين القسرية والقاسية التي ضربت بها فرنسا أبناء الجزائر والمنطقة، كل هذه القوانين مست منها الجانب الإنساني للجزائري ما جعلته يغادر-إن لم نقل يفر- إلى جهات داخلية وخارجية من الوطن[2].

1-بشير مديني، قراءة تاريخية حول الجالية الجزائرية بتونس، مجلة الواحات للبحوث والدراسات ، العدد 20، المركز الجامعي بغرداية، 2011، ص183.

2-نفسه ص183.

4-هجرة مئات العائلات من أبناء المنطقة مع زعماء المقاومات الشعبية وتتبع أثارهم داخل الوطن وخارجه وخصوصا بعد فشلهم أمام فرنسا، وتذمرهم من سياسة الضرائب والتجويع؛ بحيث هاجرت الكثير من عائلات الشعانبة مع الشيخ بوعمامة عندما توجه صوب المغرب الأقصى للإقامة معه وأخرى توجهت مع بوشوشة اتجاه عين صالح ومناطق أخرى؛ كأدرار، تيميمون، المنيعة وورقلة. [1].

5-لقد كان عامل الإحتلال مؤثرا في حركة الهجرة التي عرفت توافد الكثير من الميزابيين على البلاد المجاورة خلال الثلاثينيات والأربعينيات من القرن التاسع عشر.

6-العامل الديني : لقد فرضت هيئة العزابة منذ القرن الخامس عشر الميلادي عقوبات لمن يستحقها من الميزابيين، وصلت إلى عقوبة النفي نحو الجزائر أو تونس نظرًا إلى الأضرار التي يتسبب فيها المخالفون للقوانين والأعراف المنظمة لحياة السكان في قرى وادي ميزاب، وهو ما جعلهم يتعرفون على بلاد المنفى بالمدن الشمالية للبلاد والتي مثلت فيما بعد بداية هجرة الميزابيين بها، ولا ندري على وجه الدقة، هل كان من بين من تواجدوا بمدن البحر مذنبين أم لا؟ أو أن الأمر يخص أشخاصاً معينين فقط؟ وما هو نوع مخالفتهم وجرمهم؟ وكم كان عددهم وكم دامت مدتهم هناك؟ فهل كان كبيراً أم قليلاً؟ وهل كانوا يسافرون لوحدهم أم رفقة مع من كانوا يرتكبون نفس المخالفة؟ أم هناك أسباب أخرى دفعتهم إلى التواجد بمدن البحر؟

ج- الأسباب الاقتصادية:

1-كانت الهجرة أحد أسباب الرزق وجمع الثروة ولذلك فهي مهمة، فغالبية ممن قدموا كانوا فقراء حسب المراقب المدني[2] وهجرتهم لم تكن نهائية وإنما مؤقتة، قصد العودة

1- Paul-François (Passager) Op. Cit .P274.
2-Djamel Haggui, Les Algériens Originaires du Sud dans la Vile de Tunis Pendant L'époque coloniale (1881-1956), (mozabit ,souafas, et ouarglias), Mémoire Universitaire de Manouba Tunisie 2003-2004, P 17.

إلى الوادي للمساهمة في تطويره بهذا المال المجموع، لاستغلاله في الفلاحة والاعتناء بنخيلهم[1] أو الاتجار به.

2-لقد ساعد نظام الطوائف الحرفية بالجزائر المهيكل اقتصاديًا واجتماعياً تحت إشراف أمينهم على اختيار مدينة الجزائر للهجرة كوجهة أولى[2]، فشكلوا أحد الجماعات المهمة والجادة فنالوا رضى الحكام، وأعطيت لهم صلاحيات تشريعية خاصة بهم حصل بعضهم من خلالها على مكاسب و ثروات ساعدت على تدعيم مكانتهم وزيادة نفوذهم[3] وتوفير الظروف المناسبة لتواجدهم هناك منذ قرون.

3-بحكم الروابط التاريخية والدينية التي جمعت الوادي ببعض البلاد العربية والإسلامية كجزيرة جربة، ونفوسة، فقد هاجر عدد معتبر من الميزابين إلى هذه البلاد سواء للعمل أو التجارة أو لأجل طلب العلم بها.

لهذه الأسباب وغيرها فكرا سكان الوادي وخصوصاً الميزابيون تحديداً في الهجرة باتجاه العديد من الحواضر الجزائرية وعلى رأسها مدينة الجزائر، لكسب المال وجمع الثروة والعودة بها بعد ذلك إلى موطنهم الأصلي، لاستغلالها فيما يعود بالنفع على الجماعة.

2-اتجاهات الهجرة : تعددت اتجاهاتها داخلياً أو خارجياً وكانت نحو :

أ-الهجرة نحو المناطق الشمالية:

لقد شكلت الهجرة نحو الناطق التلية مركز استقطاب للميزابين تحديداً سواءًا كانت موسمية أو مؤقتة أو دائمة بنسبة معتبرة، بعدما كانت كمقر لنفي المذنبين بوادي

1- Duveyrier, Op.Cit.P 188.

2-عمار بن خروف، جماعة بني ميزاب في مدينة الجزائر في العهد العثماني 1520-1380 (تنظيمها-نشاطها-علاقاتها) مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع.1، المركز الجامعي بغرداية،2006، ص41.

3 -عبد الله محمد بن الحاج يوسف الشويهد، المصدر السابق، ص 50.

ميـزاب، تشـير الوثـائق والمصـادر التاريخيـة إلـى أن تواجـدهم فـي هـذه المنـاطق كـان مـع بداية العهد العثماني بالجزائر، ولا سيما حاضرة مدينة الجزائر لأسباب عديدة منها:

-تعتبـر مدينـة الجزائـر عاصـمة الإيالـة ومركـز مميـز للنشـاط الاقتصـادي بمـا فيهـا التجاري وتوفر جميع المرافق الضرورية للعيش بسهولة وأمان.

-تقـديم الحكومـة التركيـة عـدة تسـهيلات للميـزابين وتبـوأهم مكانـة مرموقـة بالمدينـة نتيجـة مـواقفهم البطوليـة التـي أبـدوها عنـد مشـاركتهم فـي دحـر الحملـة الإسـبانية علـى جزيـرة جربـة إلـى جانـب عـروج سـنة 1510م، ومشـاركتهم فـي تحريـر قلعـة "كديـة الصـابون" مـن يـد الإسـبان فـي 24أوت 1518م[1]، توالـت بعـدها الهجـرة جماعـات مـن مختلـف مـدن وادي ميزاب قاصدين المدينة.

يقـول جـو بـرونهيس Jean-brunhes : " ...يمضـون فتـرة طويلـة بعيـداً عـن المنطقـة يهـاجرون نحـو الشـمال لكسـب المـال وتحسـين أحـولهم..."[2] ، فـانتظموا فـي شـكل جماعـةٍ تضـم علـى الخصـوص الوافـدين مـنهم مـن المـدن السـبع(غرداية، بنـي يـزقن مليكـة، العطـف، بنـورة ، بريـان، والقـرارة) كمـا كانـت تضـم الوافـدين مـن المـدن والقـرى الأخـرى كورقلـة وغيرهـا مـن أتبـاع المـذهب الإباضـي[3]، فهـم يسـكنون مـع بعضـهم الـبعض متقـاربين فـي أحيائهـا[4] سـواءًا للعمـل أو كمنفـى لا تتجـاوز العـامين ثـم يعـودون إلى وطنهم الأصلي بما جمعوه من أموال لاستثمارها في عدة مجالات.

وقـد وجـدوا فـي المدينـة عـدة شـرائح اجتماعيـة بمختلـف انتماءاتهـا وعقائـدها ومـذاهبها مـن عـرب وبربـر، وأتـراك وأندلسـيين، وعبيـد ومسـيحين ويهـود وجماعـات برانيـة

1-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع سابق، ط.2 ص ص79-80.

2-Bruhnes Jean ,Les Oasis du Souf et du m'zab Comme type D'établissements Humains, In :La Géographie Bulletin de la Société de Géograpgie,T. V,1er semestre, Masson et Cie, Paris, 1902,P190.

3-عمار بن خروف، المرجع السابق، ص42.

4-Duponchel (Adolphe), Le Chemin de Fer Tran-Saharien jonction Coloniale entre l'Algérie et le Soudan ,Montepellier ,Paris,1878,P155.

(كالقبائل والجواجلة، والبساكرة، والأغواطين...)[1]، فكان لزاماً عليهم أن يجدوا مكانا نشطاً لهم وسط هذه الشرائح المختلفة[2] ويفرضوا أنفسهم، لكسب الاحترام وكسب الرزق دون مشاكل تحت إشراف أمينهم الذي أدى دوراً بالغاً في جماعته؛ فكان بمثابة قاضيها وحاميها ومتمتعًا في نفس الوقت بعدة صلاحيات من أهمها:

-الإشراف على شؤون جماعته وإيجاد حلول لمشاكلهم.

-لا يكون دخول أو خروج المدينة إلا بإذنه.

-يعتبر الأمين الممثل الوحيد لجماعته لدى السلطات الحاكمة.

-يُكَلفُ بمراقبتهم والسهر على أمنهم وسلامتهم، والفصل في الخصومات التي تحصل بين جماعته.

-في حالة حدوث خصام بين متخاصمين أحدهما من غير أفراد الجماعة يرفع القضية إلى العدالة العثمانية قاضي المدينة للفصل في المشكلة[3].

-تأديب المشوشين وسجنهم وتغريمهم [4].

-بيده صندوق الجماعة للتضامن [5].

1-وليم سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تع. وتق: عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر، الجزائر2006، ص ص 98-101.

2-محمد وقاد، جماعة بني ميزاب وتفاعلاتها الاقتصادية والإجتماعية بمدينة الجزائر أواخر العهد العثماني(1112هـ-1246هـ/1700م-1830م) مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر،2009-2010م ص 51.

3-عبد الله محمد بن الحاج يوسف الشويهد ،المصدر السابق، ص ص 60-62.

4 -Lespés (René) Quelques Documents sur la Corporation des mozabites Dans les Premiers Temps de la Conquête, In : R.A,Vol. 66,1925, PP199-200.

5-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع سابق، ط.2 ص ص 70- 71.

-إلى جانب هذه القضايا التي يفصل فيها أمين الجماعة، فقد كان يتولى عملية التسيير المال بجمع الجباية بين السلطة العثمانية وأفراد جماعته "ويسدد ديون كل تاجر مزابي أصيب بنكبة في تجارته"[1].

-كان يجمع اتاوة سنوية قدرها ما بين أربعين إلى خمسين بوجو عن كل حمام ومتجر ميزابي[2].

-يتولى جمع اتاوات أسبوعية يدفعها كل ميزابي يستأجر دابته لغرض حمل السلع (يدفعها الحمال عن دابته)[3].

-مع حلول شهر رمضان من كل سنة يجمع عن كل فرد من أفراد جماعته مبلغاً ماليًا يسمى "اجارة "Idjara تقدر بأربعمائة 400 بوجو[4].

-يخضع الأمين "لنظام الالتزام" حيث يدفع بدوره إلى خزينة الدولة ضريبة تعرف بضريبة "البشماق" أو "الصباط" Haq Es sabbat[5].

-يتحصل على عدة رسوم مفروضة على أفراد جماعته عندما يقررون العودة إلى موطنهم بصفة نهائية تسمى بـ "ضريبة العودة"[6].

-بعد الاحتلال أصبح الأمين يعين من طرف الحاكم العام وفرضت عليه الإدارة القيام بعدة مهام منها: المراقبة الشديدة لبني ميزاب المقيمين بالجزائر، ومراقبة ودخولهم وخروجهم لها، والسيطرة على الجماعة من خلال اتصالها بالأمين، وجمع الضريبة والمقدرة بـ 12000 بوجو[7].

1-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع سابق، ط.4، ص 80.

2-Aucapitaine , Op.Cit.p217.

3-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع سابق، ط.4، ص 81.

4-Lespés, Op.Cit.P208.

5-Ibid,P202.

6-محمد وقاد، المرجع السابق، ص 55.

7-ناصر بالحاج، المرجع السابق، ص359.

1-أماكن إقامتهم:

لم تكن جماعة بنو ميزاب تتحصر في حي واحد بل توزعوا على عدة مناطق من المدينة[1]، فنجدهم في الفنادق وداخل طاحوناتهم وفي الحمامات، التي كانوا يديرونها وفي الغرف المتلامسة لدكاكينهم، وكان البعض منهم يخيم في سهل وهران وأمام أبواب المدينة[2]، كما يستقرون عند مدخل مدينة المحروسة عند باب عزون وباب البحر يمتلكون حوانيتًا للحلاقة[3]، في حين أن الأغلبية منهم تكتفي باكتراء المحلات والإقامة فيها[4]، وبسبب التأطير الاجتماعي لأفراد الطائفة فإنها تضمن لهم الشغل والمسكن بالتبع (في الغالب كان العمال يقيمون في محل العمل التابع للمعلّم أو رب العمل) فالجدد الوافدين إلى المدن التلية بسبب الحركة الاقتصادية لمدينة الجزائر بعد الإحتلال[5] إلى حين أن تحل مشكلة الاستقرار بشكل مناسب، ويرتدون عباءات ذات ألوان عديدة[6].

كما اتخذ بنو ميزاب في بعض هذه المدن الشمالية التي يكثر ذهابهم إليها داراً لنزول الوافدين إليها مجاناً ومؤقتًا، ويطلق عليها "دار العرش"؛ يقول يوسف بن بكير الحاج سعيد بشأن إقامتهم: " إن المتجر المزابي خارج مزاب لم يكن مؤسسة اقتصادية فقط، وإنما كان كذلك خلية إجتماعية تضم أرباب الحركة والمستخدمين يتقاسمون العمل ويسكنون محلاً واحداً يتناولون وجباتهم معاً ويسهرون على نفس المائدة "[7] ؛ ويناقشون أمورهم وأحوالهم العامة والخاصة.

1-مصطفى أحمد بن حموش، المرجع السابق، ص28.

2-عبد القادر بلغيث، المرجع السابق، ص 111.

3-مصطفى أحمد بن حموش، المرجع السابق، ص ص 178-179.

4-عمار بن خروف ، نفس المرجع ، ص42.

5-ناصر بالحاج، المرجع السابق ، ص360.

6-Bruhnes (Jean), Op.Cit .p190.

7-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع سابق، ط.4، ص 80.

فنجد أن جماعة غرداية تكثر هجرتهم إلى الجزائر ووهران وقسنطينة، أما أهل مليكة وبنورة يهاجرون إلى باتنة وخنشلة وقصر البخاري والجزائر، في حين يهاجر أهل بني يزقن إلى الجلفة، تلمسان، الأغواط، قسنطينة [1] وقالمة وسوق أهراس[2] وأهل العطف كانوا يتوجهون إلى كل من مدن بوسعادة، العلمة وسطيف، فيما اختار أهل بريان الهجرة نحو مدينة الجزائر.

لقد قدر عددهم في مطلع القرن التاسع عشر بما لا يقل عن ألف نسمة (1000) في حين كان مجموع عدد البرانية في مدينة الجزائر بحسب السلطات الفرنسية يقدر ب1700 شخص، وصل عددهم سنة 1838 م إلى ثلاثة ألاف وثلاثمئة واثنان وثمانون 3382 شخص؛ منهم ما بين ستمائة وتسع وعشرين629 إلى سبعمائة واثنان(702) ميزابي[3] أي بنسبة 20.76% ، وبذلك كان بني ميزاب يشكلون ثاني أكبر طائفة بعد القبائل[4]. ارتفع عددهم سنة 1846 م إلى ألفين ومئتين وثلاث وثلاثين (2233) شخصاً في حين أن العدد الإجمالي للميزابيين المهاجرين في تلك السنة بلغ ثلاثة ألاف وستة وثلاثين (3036)، ثم نجده ينخفض في العاصمة إلى ثمانمائة وإحدى وستين (861) عند سنة 1850 م؛ وبعد ستة أعوام يرتفع إلى ألف وأربع مئة وتسع وأربعين (1449) ميزابي.

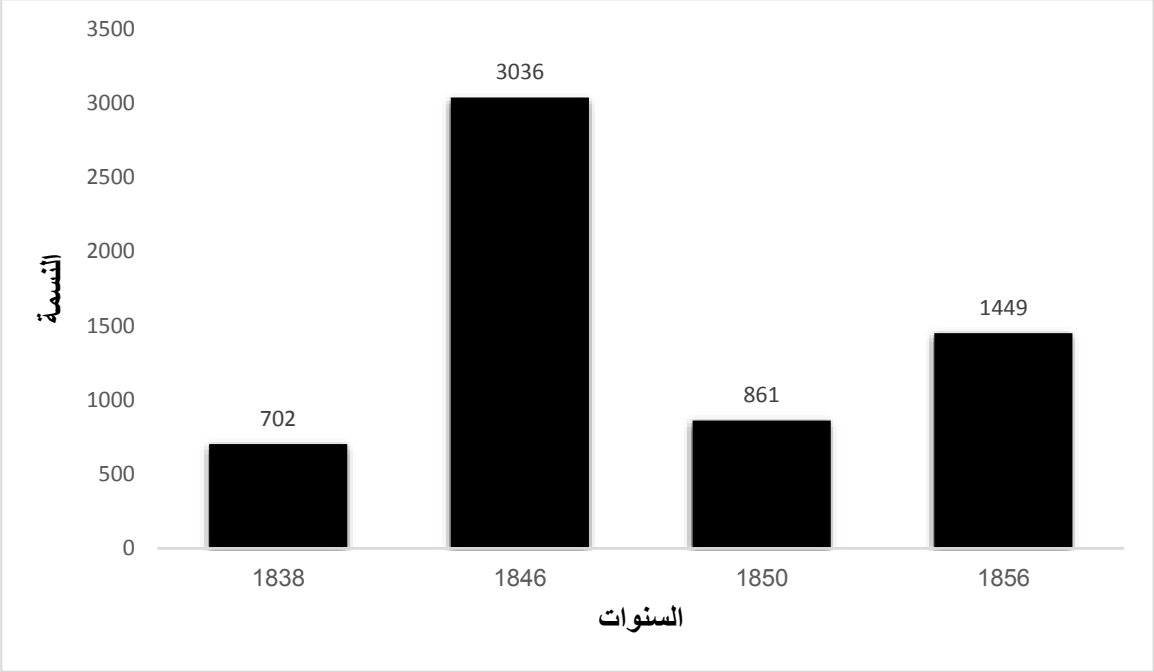
1-Amat, Op.Cit.p202.

2-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.2، ص 53.

3-عبد الله محمد بن الحاج يوسف الشويهد، المصدر السابق، ص50.

4- ناصر بالحاج، المرجع السابق، ص356.

منحنى بياني يوضح انخفاض وارتفاع الجماعة الميزابية بالجزائر خلال العشرين سنة التي تلت الاحتلال



يتضح لنا أن الانخفاض المحسوس في أعداد المهاجرين قد حصل بعد الاحتلال للجزائر بسنوات فقط عند 1838م بحسب الاحصائيات الفرنسية، ليرتفع بشكل واضح سنة 1846م إلى 3036، ويعود هذا التذبذب في أعدادهم خلال هذه الفترة إلى مجموعة من العوامل أبرزها:

-اضطراب الأوضاع العامة للبلاد وخصوصاً بالمدن الشمالية خلال العشرين سنة التي تلت الاحتلال، وهو ما جعلهم في تنقل مستمر بحثاً عن الأمان.

-القوانين المجحفة التي أصدرتها فرنسا لتنظيم الجماعات البرانية، وهو الوضع التي لم تتأقلم معه الجماعة، وخاصة بعد أن أجبرت الأمين على نقل أخبار جماعته للإدراة الفرنسية وولائه المبالغ لها، مما جعله في نظر جماعته خارجاً عن الملة الاسلامية [1]

1- ناصر بالحاج، المرجع السابق، ص- ص356، 361.

من أجل مراقبتهم ونقل أخبارهم وضمان عدم انضمامهم إلى زعماء المقاومات ودعمهم.

– لقد حاولت فرنسا استغلال حيوية شبكة العلاقات التجارية لبني ميزاب في مختلف جهات الوطن وخارجه، للاطلاع على الأوضاع بدواخل الجزائر مع بدايات الاحتلال بواسطة الأمين، وهو الأمر الذي لم يلقى ترحيباً من طرف أغلب الجماعة الميزابية هناك، ما أدى إلى ظهور التوتر بين الأمين وجماعته بداية 1832م، وقد أكد الحاكم العام بعد ذلك على وجوب معاقبة وسجن والنفي لأكثر من سنتين لكل من يخالف أوامر الأمين[1]، هذا الوضع الجديد دفع بالعديد منهم إلى الهجرة من مدينة إلى أخرى هروباً من الأوامر القسرية وبحثاً عن الأمان، والدفع باخرين لاختيار مدن لنفيهم بها.

كانت هجرتهم إلى البليدة والجلفة وبوغار والمدية التي بلغ بها عددهم ثلاثمئة وأربع وستين (364) ميزابي سنة 1852م، كما تستقُطب مدن الشرق عدد منهم خصوصًا مدينة قسنطينة التي كان يكثر ذهاب أهل مدن غرداية، بني يزقن العطف وبريان إليها، في حين نجد أن أهل القرارة اختاروا الهجرة إلى العلمة؛ وباتنة وخنشلة. ففي إحصاء نوفمبر 1852 م قدر عدد الميزابيين في سكيكدة وبجاية قدر بـ سبع وخمسين شخصاً (57) وعددهم في سوق أهراس عشرة (10)، وفي نفس السياق نجد أن عددهم في الشرق بلغ ثلاثمئة واحدى وخمسين(351) ميزابي سنة 1858 م منهم مئة وثلاث وخمسين(153) في مدينة قسنطينة وبوسعادة[2]، وبفضل هذه الهجرة القديمة والمستمرة فقد استطاع الكثير منهم تحسين أحوالهم الاقتصادية والإجتماعية.

وفي الغرب الجزائري نجدهم بمستغانم ومعسكر، فبعد فتح مدينة وهران كان عددهم كبيرًا فيها مقارنة بتلمسان، ومعسكر، ومستغانم، نجدهم أيضا في تيارت

1– ناصر بالحاج، المرجع السابق، ص– ص357، 358.

2–يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.2، ص 54.

ومليانة حيث بلغ عددهم في تيارت خمسين (50) ميزابيًا سنة 1853 م؛ كما نجدهم في سيدي بلعباس[1].

وبحكم العلاقات التجارية التي كانت تربطهم بالمدن الجنوبية وخصوصًا الأغواط وبسكرة وورقلة[2] وتوات وغيرها من المدن المحاذية لهم، فقد كانت هجرتهم إليها بسبب ممارسة التجارة، ولكنها كانت أقل مقارنة بتواجدهم في المدن الشمالية؛ ولم تتحدث المصادر بشكل كافٍ ووافٍ عن عددهم وأماكن إقامتهم فيهم.

لم نحصل على عددهم الإجمالي في المدن الشمالية، وكيف كانت أوضاعهم؟ هل كانوا في حالة شغل أم بدون شغل؟ بالنسبة للمنفيين، وهل كانوا معنيين بالتعاون والتضامن الذي تميز به الميزابيون في مدن التل بشكل منظم؟ أم أن وضعهم وصفتهم لا يسمح بإدماجهم معهم، والإنتظار إلى أن تنتهي مدة العقوبة والرجوع مع الشهود إلى موطنهم الأصلي[3]، ومن ثم العودة من جديد إلى مدن الشمال والاندماج من جديد مع المجموعة في شكل منظم، قصد العمل كسب الرزق.

2-نشاطاتهم:

يعتبر كتاب" أسواق مدينة الجزائر" لابن الشويهد من أهم المصادر التي تحدثت عنهم ووضحت طبيعة نشاطهم الاقتصادي بمدينة الجزائر، والامتيازات التي تمتعوا بها ومكانتهم بين الجماعات البرانية الأخرى، وانطلاقا من هذا الواقع احتكروا بعض المهن والحرف التي لم ينازعهم فيها أحد؛ من ذلك حصولهم على حق احتكار أفران ومخبزات المدينة "الكواشة"[4]، وقد كانت

3-إبراهيم بن أيوب بليدي، المصدر السابق، ص، ص 70-71-74.

2-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.2، ص 132.

3-عيسى بعمارة ، المرجع السابق ، ص 22.

4-الكواشة: الكواشون وهم الفرانون أو العاملون في أفران الخبز والمنتسبون الى منطقة وادي ميزاب.ينظر: عبد الله محمد بن الحاج يوسف الشويهد، المصدر السابق، ص61.

موزعة على الأحياء بالمدينة والتي اقتسموها وتنافسوا فيها مع الجماعة الجيجلية؛ فقد اشتكى بنو ميزاب من الجماعة الجيجلية وطالبوا بأن يبقى لهم حق القيام بطحن الحبوب للعسكر، كما كان جار العمل به في السابق وبالكمية التي تكفي حاجاتهم وما زاد عن ذلك يباع، فأجابهم بابا حسن[1] إلى ذلك[2].

ومن المهن التي امتهنوها الجزارة التي تحصلوا عليها ضمن مجموعة من الامتيازات التي تمتعوا بها من مذابح ومسالخ، مقابل إمداد الإنكشاريين بما يحتاجونه من اللحوم مجاناً وإعارة دوابهم للخدمات البلدية، وكانت السلطة لا تسند هذه المهنة إلاّ لمن يحسنها أو يستحقها[3] ويلتزم بشروط الذبح السليم؛ لأن الذباح كما جاء في مخطوط " قانون أسواق مدينة الجزائر" يجب أن يكون صاحب تجربة بحكم سنه[4] كما يأخذ من الموزعين ثمانية دراهم عن كل رأس أجرة له حسب العادة[5] ، ويذكر ديبوا أن هؤلاء العمال النشطين كانوا في عهد ما الجزارين الوحيدين في المدينة[6] .

فمن خلال الوثيقة التي قدمها أعيان بني ميزاب للجنرال الفرنسي رابتال Raptal سنة 1835م والتي ترجمها ليسباسLespés، يتضح لنا أن الحكام العثمانيين قد سمحوا للجمindigeاعة بامتهان عدة حرف ومنها طحن الحبوب[7] والمطاحن التي

1-الداي بابا حسن المعروف بحسن خوجة أو حسن شاوش ،تولى منصب الداي لفترتين الأولى(1093-1095هـ/1682-1683م) والثانية(1109-1112هـ/1697-1700م) ، تميزت فترة حكمه بتوتر العلاقات ما بين الجزائر وفرنسا، حيث واجه هجمات الاسطول الفرنسي للجزائر عام 1682 بقيادة دوكان، واضطر أن يوقع من الفرنسين معاهدة مجحفة معهم حماية للسكان، ما أثار سخط الأهالي والجنود عليه فاعتقلوه وسجنوه قبل أن يعود إلى الحكم ثانية ويعزل بصفة نهائيا. ينظر: عبد الله محمد بن الحاج يوسف الشويهد، المصدر السابق ص62.

2-عبد الله محمد بن الحاج يوسف الشويهد، المصدر السابق، ص69.

3-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.4، ص 78.

4-عبد الله محمد بن الحاج يوسف الشويهد، المصدر السابق، 86.

5-نفسه ص 86.

6-ناصر بالحاج، المرجع السابق ، ص355.

7-Lespés, Op.Cit .PP198-200.

احتكروها حيث يذكر فونتير دو باراديVenture de Paradis"أن بني ميزاب كانوا يملكون طواحين رحى تديرها البغال أو الجمال، يحوزون على خمسة وعشرون منها وكل واحدة منها تنتج أكثر من ثلاثين دفعة في اليوم" [1]؛ وخصوصاً للعسكر والكمية التي تزيد عن ذلك تباع. وتتم عملية الطحن بطريقة تقليدية، إذ تعتمد على دوران الدواب[2]، فهم يديرون بشكل كبير مطاحن المدينة[3].

ويضيف فونتير دو باراديي بأنهم كانوا من أهم الممولين لمدينة الجزائر من مواد البقالة[4] ومحلات الخضر والفواكه المتوزعة في أسواق مدينة الجزائر وبعض أحيائها والعطريات [5]، والمنسوجات، والفحم[6]، والحمامات[7]، وكان مسيروها من بني ميزاب يديرونها وفتق نظام مقسم من الصباح إلى المساء على حسب الجنس وفئات المجتمع[8] وتسيير الفنادق (Fondouks)[9]، ويوفرون أيضاً كميات كبيرة من منتوجات السودان ومنها ريش النعام[10]؛ تذكر بعض الوثائق أن بعض الميزابين امتلكوا عقارات من منازل وحوانيت وأفران وامتلاك جنائن في فحص المدينة الجزائر [11].

أما فيما يخص العرب فنجد أخبار هجرتهم إلى عدة مناطق من الوطن في بعض الكتابات، ولكنها مجزئة ومنفصلة دون أن تقدم لنا وصفًا عامًا ودقيقًا عنهم رغم

1-Venture de Paradis, Tunis et Alger au XVIII ème siècle, Fagnan,Adolphe Jourdan,Alger,1898,P14

2-محمد وقاد، المرجع السابق، ص ص 94-109.

3-William Shaler, Op.Cit.P80.

4-Ibid , P30.

5-العطريات: هم البائعون لمختلف أنواع العطارة ، والطيب، والعقاقير.

6-الفحام : المتاجرون في مادة الفحم.

7-Mouliéras (Auguste), Op.Cit .P72

8-محمد وقاد، المرجع السابق، ص ص 106-110.

9-Lespés, Op.Cit . PP198-204.

10-Venture de Paradis, Op.Cit.P32.

11-عمار بن خروف، المرجع السابق ، ص42.

علاقاتهم التاريخية والتجارية مع بلاد السودان، ووجود بعض العائلات التي تعود أصولها إلى قبائل المنطقة؛ مع وجود محلات تجارية خاصة بهم إلى الآن وهجرتهم وتعاملهم التجاري مع بعض المناطق الشمالية سواء الشرقية أو الغربية، كما لم نتوقف بشكل وافي وكافي على اتجاهات هجرة يهود المنطقة نحو المناطق الداخلية والخارجية، عدا بعض الوثائق الأرشيفية التي تتحدث عن تجارة بعض يهود المنطقة في المدن الشمالية.

وفقدان تفاصيل عن هجرة سود المنطقة إلى نواحي عديدة يجعلنا نطرح مجموعة من التساؤلات، ما محلهم من هذه الهجرة؟ وهل تمت الاستفادة من خدماتهم أثناء توجه القوافل نحو مختلف الاتجاهات من أجل العناية بها (من سقي الجمال وإنزال البضائع من على ظهورها أثناء استراحة القوافل، ووضعها مرة أخرى عند تحركها) والاستعانة بهم في عمل الطاحونات، فأصحابها كان لهم غلماناً أو صبيانًا مهمتهم نقل الحبوب من البيوت والاتيان بها إلى المطاحن ثم يعودون مرة أخرى يحملون نفس الوزن ويقبضون تكلفة الطحن والنقل معاً، ويرجعون بها مرة أخرى إلى أصحاب الطاحونات وممن كان يعمل داخل الحمامات العبيد ومن الزنجيات[1] والعمل في أفران الجير، ومهمة تبيض البنايات كانت موكلة إلى الزنوج[2] " الذين يشكلون جزءاً اخر من السكان ولكنهم بنسبة صغيرة فهؤلاء في الأصل من العبيد الذين اشتراهم أسيادهم من داخل القارة أو من طرابلس"[3]؛ كما توكل إليهم الأعمال الشاقة وما يتعلق بذلك بحيث ساهموا مساهمة فعالة في تنشيط الحياة الاقتصادية بالجزائر ووظفوا في ورشات النسيج وصناعة الحصائر والقفاف والموانئ وغيرها من المهن [4].

1-محمد وقاد، المرجع السابق، ص 92.

2-Victor Foucher, Les Bureaux arabes en Algérie, Librairie internationale de L'agriculture et de la colonisation,Paris,1858,P 36.

3- William Shaler , Op.Cit .P68.

4-محمد وقاد، المرجع السابق، ص 182.

هذه الإشارة تجعلنا نطرح عدة أسئلة عنها من كان هؤلاء الغلمان والصبيان؟ هل كانوا من أهل المدينة؟ أم كانوا من أبناء سود المنطقة الذين يتم استقدامهم للقيام بعدة أعمال؟ وهل بقوا في المدينة أم عادوا إلى المنطقة بعد انتهاء الأعمال الموكلة لهم؟ وهل كانوا من السود وأبنائهم المشتغلين في البساتين هناك؟ حيث تم استقدامهم من طرف أصحاب البساتين وأسيادهم بعد أن هجروا هؤلاء الاخرين بسبب قلة الإنتاج الفلاحي فبدلاُ من البحث عن يد عاملة جديدة في المدينة، قاموا بتحويلهم إلى أماكن عملهم لمدى ثقتهم بهم ووفائهم لهم. أم كانوا ممن دفعتهم الظروف إلى الهجرة هناك؟

ب-الهجرة نحو البلاد التونسية: تعد تونس وجهة هامة لسكان وادي ميزاب لعدة اعتبارات منها:

-وجود علاقات تاريخية بينهما، ورابط المذهب الإباضي المنتشر في جزيرة جربة.

-عدم رفض السلطات التونسية لهؤلاء المهاجرين قبل وبعد الحماية الفرنسية على تونس، فقد عملت السلطات الفرنسية منذ الإحتلال على متابعة تحركات الأفراد والجماعات، ففرضت على الأشخاص المتوجهين إلى خارج الحدود الجزائرية، وثيقة رسمية بمثابة جواز سفر لغرض الحماية في البلد المهاجر إليه، حسب ما تدعيه سلطات الإحتلال بالجزائر[1]؛ وقبل ذلك لم تكن هناك وثائق رسمية تفرض على الأفراد والجماعات عند انتقالهم من دار الإسلام إلى دار الإسلام[2].

تربط جل الوثائق الأرشيفية والمصادر تاريخ الهجرة الميزابية إلى تونس مع القرن الثامن عشر، الذي يمثل حسب عبد الكريم الماجري بداية تشكل ظاهرة الهجرة الميزابية إلى تونس خاصة وأن الدفاتر الجبائية والإدارية بالأرشيف الوطني التونسي

1-أحمد بن جابو ، المهاجرون الجزائريون ونشاطهم في تونس (1830-1954) أطروحة دكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد-تلمسان،2010-2011، ص 54.

2-نفسه ص 157.

تشير إلى وجود معلم حمامجي[1] اسمه باكير؛ مكلف بالإشراف على حمامات علي باشا باي تونس في سنوات 1742-1743 [2]، وحسب الدكتور أحمد بن جابو يعود توافدهم إلى تونس لزمن بعيد دون أن يذكر تفاصيل دقيقة عن ذلك.

وقد كانت كل قرى وادي ميزاب ممثلة في مدينة تونس وأغلبهم من أهل القرارة وبريان[3]، مثلما ما جاء في بعض المراسلات التي كانت تتم بين الأعيان الميزابين والمقيم العام بتونس ومع السيد بلوندلBlondel سكرتير السفارة الفرنسية بتونس خلال العشر سنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر، لتجديد بطاقة الإقامة وحمايتهم وإحصائهم[4]؛ وقد وفرت الأغلبية من عناصر الميزابية المقيمين بها حيث بلغ عددهم عام 1891 م حوالي تسعين نفرًا(90)[5]، وما بين سنتي1831 م-1864 م شكل الميزابيون الأكثرية من المهاجرين الجزائريين الذين منحت لهم رخصة جواز السفر في المدة المذكورة سابقًا، فمن خلال عينات الجزائرين الذين منحت لهم رخصة السفر خلال هذه المدة والبالغ عددهم(26) طالباً نجد من بينهم خمسة(05) من الميزابين تراوحت أعمارهم ما بين 21 سنة و40 سنة[6].

1-الحمامجي: بمعنى صاحب الحمام أو الذي يقوم على أعمال الحمام بتنظيفه ويقدم الخدمة لزبائنه بتقديم الماء الساخن لهم وعادة ما يتولى أعمال الدلك. ينظر: عبد الله محمد بن الحاج يوسف الشويهد، المصدر السابق، ص 46.

2-عبد الكريم الماجري، المرجع السابق، ص 528.

3-Amat,Op.Cit.p 202.

4 -حول هذا الموضوع ينظر الرسائل التي تمت بين بعض أعيان ميزاب وموظفي القنصلية الفرنسية بتونس بعد اعلان الحماية الفرنسية على تونس قي الأرشيف التونسي ضمن مجموعة كل من :
A.N.T,Série A .Carton 278 D 11ème 1899/1922, Administration Général d'Algérie Corporation mzabes. - A.N.T , Série A .Carton 0001 D 17/1-14/3 , Administration Général d'Algérie Corporation mzabes.

5-عبد الكريم الماجري، المرجع السابق، ص ص551-552.

6-أحمد بن جابو، المرجع السابق، ص- ص 153-156.

رغم ذلك فإن عددهم قليل مقارنة مع الفرق الجزائرية المقيمة في مدينة تونس في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، بحيث نجدهم حوالي مئتي (200) نفرًا[1] بينما قدر عددهم بحسب الأستاذ أحمد بن جابو بعد إحصائهم من طرف قنصل فرنسا بتونس السيد روسطون سنة 1876م إلى ألف ومئتي (1200) مهاجر [2] .

لا نجد إحصائيات دقيقة تخص عددهم بالمدينة المذكورة، وإنما وردت أعدادهم متفرقة بين صفحات وثائق ومصادر. فأثناء ثورة علي بن غداهم على باي تونس عام 1872 م كان في مدينة تونس ستين (60) نفرًا من بني ميزاب[3]. فمن خلال توضيح للمقيم العام الفرنسي بتونس في 23 أكتوبر 1892م-1ربيع الاخر 1310هـ. حول إحصائيات الميزابيين فيها بلغ عدد العائلات الميزابية فيها خمسة (05) عائلات تمتلك العديد من المحلات وتشغل عددا معتبراً من العمال الميزابيين[4]، وينبغي التنبيه في هذه الحالة إلى أن الوثائق الأرشيفية والمصادر تقدم لنا جزءا من الحقيقة حول موضوع توافد الميزابيين في العاصمة فقط دون باقي المدن التونسية الأخرى فجزيرة جربة إباضية[5]؛ والمؤكد أن لهم علاقات تاريخية ودينية وتجارية مع إخوانهم في وادي ميزاب وربما كان فيها عدد معتبر منهم.

فإحصاء الجزائريين بتونس سنة 1876 م ومن مجموع تسعة (9) مهاجرين من وادي ميزاب في تونس، نجد ستة6 منهم بجزيرة جربة أي ما يعادل 66,6% من مجموع الجالية الميزابية يتمركزون في جزيرة جربة، والبقية يوجدون بأماكن أخرى

1-عبد الكريم الماجري، المرجع السابق، ص 551. وكذا: Kamal Kateb,Oo.Cit,P158.

2-أحمد بن جابو، المرجع السابق، ص 171.

3-ابراهيم بليدي، المصدر السابق، ص ص 64-65.

4-A.N.T,Série A .Carton 278 D 11ème 1899/1922, Administration Général d'Algérie Corporation mzabes.

5-أحمد بن جابو، المرجع السابق، ص 199.

منهـا العاصـمة[1]، وكـان علـى رأس الجاليـة الميزابيـة شـيخهم فهـو عضـو الاتصـال الرسـمي مـع المراقـب المدنـي وبـين جماعتـه؛ ومـن بـين مـن تقلـد هـذا المنصـب " الحـاج علـي بـن عمـر بـن بـاكير"[2] و"الحـاج علـي بـن الحـاج محمـد بـن الحـاج إبـراهيم بـوعروة"[3]؛ وغـالبيتهم كانـت تشـتغل بالتجـارة فـي القمـاش وتجـارة الفحـم وامـتلاك العقـارات[4] وتسـييرها منهـا الحمامـات، عكـس مـا كـانوا يتعاطونـه فـي مدينـة الجزائـر مـن الجـزارة ومطـاحن الدقيـق والعطريـات[5]، فـإنهم لـم يتمكنـوا مـن ممارسـتها فـي تـونس لأن العطريات والجزارة كان يتعاطاها الجربيون[6].

وقـد كـان بعـض الميزابيـون يقصـدون ليبيـا وجبـل نفوسـة[7]، والإسـكندرية والمغـرب الأقصـى للتجـارة وحتـى مـع مكـة وخصوصًـا أثنـاء الحـج، ويربطـون علاقـات التجـارة مـع الهنـود والسـوريين هنـاك، سـيما وأن لهـم مكانـة مميـزة عنـد الشـريف عـون[8] شـريف مكـة المكرمة [9].

1-بشير مديني، المرجع السابق، ص 190.

2-الحـاج علـي بـن عمـر بـاكير: هـو أحـد أعيـان الميزابيـة بمدينـة تـونس، وتـرجح أن ولادتـه بالحاضـرة سـنة 1855م ولا نعلـم متـى قـدم أبـوه مـن غردايـة، كـان يملـك الكثيـر مـن العقـارات بـرادس وبمدينـة تـونس وأراضـي فلاحيـة جهـة بنـزرت وحمـام بـباب الجديـد ومنـزلا وأربعـة مغـازات بـباب المنـارة ومنـزلين بزنقـة اللـبن. ينظـر: عبـد الكـريم المـاجري، المرجـع السابق، ص541.

3-عبد الكريم الماجري، المرجع السابق، ص ص539-541. وكذا:

A.N.T , Série A .Carton 0001 D 17/1-14/3 , Administration Général d'Algérie Corporation mzabes.

4-A.N.T.SerieA,C277;D/2.1898-02-11 مراسلة من المراقب المدني الى المقيم العام بتونس بتاريخ

5- Jean-Michel, Venture de paradis, Tunis et Alger au XVIIIe Siècle, Sindbad, Paris, 1983, P 119.

6- Jamel haggui, Op.Cit .P 83.

7-أبو القاسم سعد الله ،تاريخ الجزائر الثقافي،ج5، ص 495.

8-الشـريف عـون: هـو عـون الرفيـق "باشـا" بـن محمـد بـن عبـد المعـين بـن عـون، ولـد عـام 1841م بمكـة أحـد أمرائهـا نـاب عـن أخيـه الحسـين عـن امارتهـا وولـي بعـد ذلـك عليهـا سـنة 1299هـ ، كـان متسـلطاً وقـد ألفـت مـن شـأن ذلـك عـدة مؤلفـات تـوفي بالطـائف سـنة 1905م.ينظـر: خيـر الـدين الزركلـي، الأعـلام، ج.5. ط.7 ، دار العلـم للملايـين لبنان،1986 ص97.

9-أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي،ج4، ص 408.

3-أثـــار الهجـــرة : تركـت هجـرة سـكان وادي ميـزاب إلـى مختلـف الجهـات آثارهـا وملامحها الواضحة في حياتهم، على مختلف نواحي الأصعدة نوجزها فيما يلي :

أ-الأثار الاقتصادية:

1-لقـد اسـتطاع أبنـاء الـوادي المهـاجرين إلـى المنـاطق التليـة والتونسـية أن يجمعـوا ثـروة طائلـة، سـاهمت فـي تنميـة المنطقـة خصوصًـا الاهتمـام بالبسـاتين والنخيـل وحفـر الآبـار مـع غيـاب القيمـة الماليـة الحقيقيـة المجمعـة مـن طـرفهم، ولكنهـا تبـدو مبـالغ ماليـة مهمـة واعتبـرت مـن أهـم المـوارد الماليـة؛ ففـي مدينـة تـونس تكونـت رؤوس الأمـوال بـين المهـاجرين هنـاك بـدليل تـداول أرصـدة ماليـة تبلـغ أحيانـا مئـات الآلاف مـن الفرنكـات جلبهـا أصـحابها مـن وادي ميـزاب أو تـم اكتسـابها مـن هـم بـالمهجر؛ وللمحافظـة علـى اسـتحقاقات أصـحاب رؤوس الأمـوال المتداولـة بيـنهم تـم تعيـين " كتبـة " أو " طلبـة " للقيام بعملية توثيق هذه المعاملات المالية[1].

2-سـاهم بنـي ميـزاب بنصـيب معتبـر فـي مـداخيل بيـت المـال بفضـل مـا كـانوا يدرونـه مـن أمـوال لصـالح الخزينـة العموميـة، مـن خـلال سياسـة الجبايـة الخاصـة بهـم ويتـولى هـذا الأمـر أميـنهم؛ فكانـت الإتـاوات السـنوية التـي يـدفعها أصـحاب المتـاجر والمحـلات والحمامـات والجـزارة والمقـدرة بـ أربعـين 40 بوجـو إلـى خمسـين 50 بوجـو، ومبـالغ أخـرى من يوم السبت إلى يوم الأربعاء، ومدفوعات أخرى خلال الشهر والاسبوع واليوم [2].

3-سـاهمت هـذه الحركـة المتواصـلة لأبنـاء المنطقـة، فـي ربـط الشـمال بـالجنوب والشـرق بـالغرب؛ بحيـث ضـلت المنطقـة لعـدة قـرون محطـة للتبـادل التجـاري المهـم بـين التـل والسـودان؛ ومحطـة للتبـادل بـين إقلـيم تـوات غربـاً ومنطقـة ورقلـة شـرقاً. فنسـجت شـبكة مـن العلاقات التجارية للقوافل العابرة عمودياً وأفقياً، تركت تفاعلات اقتصادية واجتماعية.

1-عبد الكريم الماجري ، المرجع السابق، ص 543.

2-Lespés, Op.Cit . PP201-202.

4-عملت الهجرة على تنشيط قطاع التجارة وإيجاد طبقة مهمة من التجار، كانوا بمثابة النواة الأولى لتجارة الميزابين في دار الهجرة، وبعد استقرارهم المالي يعودون إلى موطنهم الأصلي حيث كانوا عمالاً، أما إذا كانوا ملاكا للعقارات فإنهم كانوا يضطرون للبقاء هناك أو توكيل من ينوب عنهم عند رجوعهم إلى الوادي.

5-عرفت المنطقة دخول بعض المنتوجات التونسية والأوروبية التي تأتي عن طريق مدن الشمال وتونس، كالمصنوعات الحريرية كالمناديل، والخمارات والأربطة والمواد العطرية والتجميلية، والحايك الرفيع والجيد والسلاح والكبريت[1] ؛ وبعض المنتجات الأوروبية.

2-الأثار الإجتماعية:

1-استطاعوا أن ينظموا أنفسهم في شكل جماعات تضم القادمين من المدن السبع سواء من الوطن أو خارجه، وتتحكم بذلك في أمورهم المالية بفضل تعاون أفرادها فيما بينهم أكثر من غيرهم من الوافدين على المدينة من الجهات الأخرى.

2-لقد كان المتجر كيفما كان نشاطه، مؤسسة اقتصادية واجتماعية تضم أرباب العمل والعمال الجدد والقدماء، حيث يقومون باقتسام العمل والمسكن والمحل الواحد ويتناولون نفس الوجبات حول مائدة واحدة؛ في جو ثقة وتشاور حول تبادل الآراء وأخبار الأهل في الوطن الأم وأحوال الأعمال.

3-انعكست الهجرة على مستوى معيشة العائلات التي هاجر أفرادها اليها فجلبوا منتوجات والسلع المتنوعة لهاته المناطق الداخلية والخارجية من لباس ومأكولات وأدوات استعمال حياتية، وجدت لها مكانا داخل المجتمع بالإضافة إلى تحسين دخل العائلات.

1-Mac Carthy Oscar, Op.Cit.P 231.

4-ساهم بني ميزاب مساهمة اجتماعية من خلال إدارتهم لعدة مرافق صحية وعمومية كان لها الأثر الواضح في الحياة اليومية لسكان مدينة الجزائر، انعكست ايجابياً على سلوكاتهم اليومية في كثير من الأحيان، وبواسطتها اكتسبوا عادات وطباع جديدة بقيت متوارثة بينهم.

5-استطاع بعض المهاجرين أن يؤسسوا عائلات في هذه المناطق كعائلات ثانية لهم بعد الأولى في الوادي، وربما يعود السبب في ذلك إلى منع خروج المرأة من المنطقة بسبب الأعراف التي وضعها القانون العرفي للعزابة الذي يمنع خروجها لأي حال من الأحوال، وبالتالي تكوين عائلات أخرى لهم بالمهجر من نساء غير ميزابيات؛ سواء في المدن التلية أو في تونس، مثلما جاء ذكره في بعض الوثائق الأرشيفية التونسية التي توضح زواج الميزابين من التونسيات، وزواج السيد أيوب بن صالح الميزابي بمعتقة حسن باشا[1] .

6-رغم استقرارهم لقرون عديدة بهذه المناطق إلا أنه بقوا على العموم منغلقين على أنفسهم ومحتفظين بخصوصياتهم لذلك فقبل إحداث محاكم إباضية خاصة بهم تتولى النظر في قضايا متعلقة بالأحوال الشخصية، مطبقة أصول المذهب الإباضي فواصلوا ارتباطهم بالوطن الأم، وطرح قضاياهم على مجلس العزابة بالوادي[2]؛ ورغم هذه الخصوصية حافظوا على العلاقات الطيبة التي كانت سائدة بينهم وبين الأهالي

1-عائشة غطاس، الحرف والحرفيون بمدينة الجزئر1700-1830 مقاربة اجتماعية -اقتصادية، أطروحة دكتوراه جامعة الجزائر،2000 -2001، ص445.

2-ألح الإباضية منذ الضم العسكري بالمنطقة على إنشاء محاكم خاصة بهم، تتولى الفصل في أمورهم وأحوالهم وفق الشرع الإباضي فيما بين بني ميزاب بالبلاد أو خارجها؛ من غير أن يتدخل فيها قاضي مالكي أو حنفي ونتيجة مطالبهم الملحة والمستمرة على هذا الأمر أصدر رئيس الجمهورية الفرنسية كارنو carnot مرسوم يوم 29 ديسمبر 1890 م ، يقضي بإنشاء ثلاثة محاكم اباضية في كل من الجزائر قسنطينة ومعسكر للحكم بينهم وفصل مشاكل الإرث ، وتشمل كل محكمة على قاض وباش عدل واحد أو أكثر. ينظر: إبراهيم بليدي، المصدر السابق ص ص 76-77.

في هذه المدن. ولما كان الميزابيون يهاجرون إلى مدن التل الجزائري وإلى تونس باستمرار لغرض لكسب الرزق واجهوا عدة مشاكل من بينها:

-تعرض قوافلهم التجارية لقطاع الطرق الذين اتخذوا من السطو وسيلة للعيش فهذه قبيلة أولاد صالح في جبال الشفة، التي تتعرض للقوافل الذاهبة والقادمة بين الجزائر وميزاب وهجوم أخر قرب تاجموت سنة 1850م؛ ولضمان أمن قوافلهم الخارجة من المدية كانوا يدفعون ضريبة جمركية لبايلك التيطري[1].

-الصعوبات الطبيعية في مجال المواصلات التي واجهتهم، كان لازماً عليهم أن يختاروا وسائل نقل تتكيف مع هذه المظاهر الطبيعية الوعرة؛ والتي تستطيع تحمل مشقات ومتاعب السفر ولمسافات طويلة في مختلف الاتجاهات.

-هلاك بعض الحيوانات المستعملة لذلك من جمال وحمير، وبخاصة المريضة منها والتي لم يتم التعرف على مرضها أثناء سفرهم، فهناك التي تنطلق من الصحراء إلى التل؛ وهناك وسائل نقل تنطلق من الصحراء إلى أعماق الصحراء نحو بلاد السودان وواحات توات. وتقطع أيام دون أن تجد الماء في طريقها [2]، ومع كل ذلك يعتبر مشكل الإغارة والنهب من المشاكل التي أرقتهم أثناء سلوك قوافلهم الطرق البرية من وإلى المدن الكبرى بالشمال وخاصة مدينة الجزائر، لذلك عقدوا أحلافاً واتفاقيات دفاعية مع بعض القبائل الساكنة على طول خطوط سير قوافلهم. ومن بين تلك الإجراءات والوسائل الدفاعية نذكر ما يلي:

-البحث عن أحلاف من بين بعض القبائل القوية وكسب ودها.

-فتح أسواق وادي ميزاب لهذه القبائل لتسهيل عمليات البيع والشراء.

1-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.4، ص ص 60-61.

2- William Shaler , Op.Cit.P79.

-مرافقة بعض قوافل القبائل العربية بالمنطقة إلى مجموعة قوافلهم التجارية من ميزاب إلى الجزائر، ومن الجزائر إلى ميزاب.

-ضم التجار العرب إلى مجموعة التجار الإباضية بالجزائر في اجتماعاتهم.

-التعاون بين الطرفين في جميع المهمات كإعانة كل ضعيف بما يمكنه من العودة إلى وطنه.

-التحالف ضد كل عدو يحارب الجزائر ويهاجمها [1]، وقد تم دفن الكثير من مالكية ميزاب بمقبرة سيدي بَنُور بالجزائر منذ ستين وألف هجري [2]، وكل ذلك لحماية تجارتهم الداخلية والخارجية.

3-الأثار الثقافيـــــة:

-استطاع بعض الميزابين الاستفادة من مراكز العلم المنتشرة في البلاد التي هاجروا إليها -تكوينهم لعلاقات ثقافية مع بعض علماء ومشائخ هذه المناطق.

-استطاعوا أن ينقلوا وينسخوا بعض أمهات الكتب ويطبعوا بعض مؤلفاتهم بالبلاد التي حلوا بها مهاجرين أو منفيين، وخاصة بمصر وتونس ثم كطلبة ودارسين[3] وكان ذلك أحد أسباب دعم الحركة الإصلاحية بالوادي.

وما يمكن استخلاصه من هذا الفصل لقد اضطر الإنسان إلى الهجرة خارج حدود الوادي منذ القرن السادس عشر وفقا لما جاء في الكتابات التاريخية، وقد كان خروجه إما بسبب قوانيين المخالفات أو طلبًا للرزق أو لأحد الأسباب التي ذكرناها سابقاً، وقد ساعدهم على الاستقرار خصوصا في مدينة الجزائر، نظام الطوائف الحرفية المهيكل اقتصاديًا واجتماعياً الذي كان تحت إشراف أمين الجماعة؛ وقد

1-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.4 ، ص ص 60-61.

2-إبراهيم مطياز، المصدر السابق، ص 153.

3-أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي،ج5،ص496.

مارسوا في المدن الشمالية مهن وحرف متنوعة كإدارة الكوشات "المخبزات" و"الجزارات"، و"إدارة الرحى والطاحونات"، و"إدارة الحمامات" وغيرها، فتعددت هجرته نحو اتجاهات عدة داخل الوطن خاصة المناطق التلية وخارجه؛ وقد خلفت هذه الهجرة أثاراً على حياة السكان من الناحية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ولازالت أثارها واضحة إلى الآن.

خلاصة الباب الثاني من هذا البحث التي تدرس العلاقات الاجتماعية خلال هذه الفترة بمنطقة وادي ميزاب، الذي ضم أجناساً بشرية عرفت طريقها للمنطقة من المدن الجنوبية المجاورة ومن المدن الشمالية، وأخرى جاءت من جبل نفوسة وجربة والمغرب ما أدى الى تأسيس قرى حديثة يزيد عددها عن الخمسة بالإضافة إلى قريتين بعيدتين نسبياً عنها؛ وقد تفرعت هذه الأجناس إلى قبائل ذات أصول عربية وأخرى بربرية، تجانست حتى مع العناصر الوافدة من بلاد السودان، وشكلت مجتمعاً يدين بالإسلام ويتحدث اللسان العربي والميزابي؛ ولكنها احتفظت في أغلب الأوقات بتعصبيتها وانتمائها القبلي الذى غذى الصراع والتفرقة الحاصلة بين الإخوة الساكنة على ضفاف الوادي أو على أطرافه، وقد تحولت القبائل العربية البدوية مع الوقت إلى قبائل شبه مترحلة سرعان ما تحولت إلى مستقرة به، نتيجة ظروف عديدة دفعتهم لذلك فتخلوا عن حياة البداوة وأخذوا من مميزات الحضر واستلذوا الحياة، وتحولوا من أصحاب ثروة حيوانية إلى أصحاب مهن جديدة كالبناء، والعمل في البساتين، وتجار امتلكوا خلالها بساتين النخيل والدكاكين التجارية، ونتيجة هذا التحسن الذي طرأ على مستوى العيش وخاصة مع حلول الإدارة الفرنسية بالمنطقة وتطوير أساليب الحياة ازداد عدد السكان بأضعاف على ما كانت عليه قبل الإحتلال، وقد انعدمت الطبقية في المجتمع كطبقة الأغنياء والفقراء والمرابطين والشرفاء.

تميزت العلاقة بين الساكنة في أغلب الأحيان بروح التعايش الذي تعتريها فترات عصيبة تستمد قوتها من العصبية المقيتة التي لا تستثني أحد، وتشمل مختلف فئات المجتمع لأسباب تافهة، لا ترقى الى المستوى الحضاري والثقافي الذي تميزت به المنطقة. وقد ارتبط المستوى المعيشي بما وجد في محيط المكان من مصادر غذائية في البدو أو الحضر وأهمها التمر والماء أو الحليب، فكانت معيشتهم بسيطة تخللتها فترات من الجفاف والمجاعات، لذلك اكتفوا بلبس البسيط من اللباس؛ مما تنسجه النساء حاول الفرد تحسين ظروفه، فتوجه إلى العمل في مهن أخرى أو السفر للمناطق المجاورة أو خارج الوطن، وقد تطلب أمر تغيرها وقتاً من الزمن وهو الوضع الذي سرعان ما استغلته فرنسا بعد الضم لخدمة مصالحها والتقرب من السكان وتبين بأن فرنسا تسعى لتغيير الأحوال البسيطة المتعددة في أشكالها الحياتية؛ وشق والطرقات وحفر الآبار وخطوط التلغراف، فتدخلت في تحديد مصادر الغداء من حبوب ومراقبة ما يباع في الأسواق من سلع ومحاولة احصائها، ومحاولة بسط الأمان على سلع التجار هناك والتعرف على قاصديها ومنع الثوار والمتعاونين معهم من ارتيادها وتزويد الأسواق بمنتجات جديدة.

وفي معالجتهم للأمراض اعتمدوا على ما وجد في بيئتهم من نبات، وما جاء في القران والسنة النبوية، وأخلطوا معها كثيراً من الشعوذة والسحر لذلك غاب في مجتمعهم أطباء بالمعنى الحقيقي؛ وظهرت بينهم أمراض كأمراض الجذري والبرص وأمراض العيون والكبد، وهي الأمراض التي اهتمت فرنسا بعلاجها من خلال فتح مصحات وعيادات مباشرة بعد 1882م، ولم يكن أمر قبولها من طرف السكان سهلاً لذلك عمل الآباء والأخوات البيض على التغلغل داخل المجتمع؛ مستعملين أساليب الترغيب والتقرب من المرأة ؛حينها تم وبشكل محتشم زيارة هذه المصحات الاستشفائية.

لقد لعبت العائلة دوراً مهمًا في الحفاظ على خصوصية المجتمع وخضعت للسلطة الأبوية ولقرارت الجماعة في البدو والحضر، كأن يزوجوهم في سن مبكرة ما بين 12و16سنة وفق تعاليمهم الإسلامية، فعاشوا مسالمين مع عائلاتهم متوارثين عاداتهم وتقاليدهم وفق نسق اجتماعي بسيط؛ وتركز جمع المال على تكاثف جهود الجميع كباراً وصغاراً في أعمال وأشغال متنوعة لاستمرار حياتهم، حيث أدت المرأة دوراً هاماً في توفير المال، من خلال تحويلها لبعض المواد الأولية إلى صناعات نسيجية شكلت منتوجات هامة في المبادلات التجارية داخل وخارج المنطقة، وقد تحكمت في العائلة أعراف الجماعة التي واجهت الأفكار والأعمال التي جلبها معه المستعمر من إدارة وتبشير، فحافظت على تماسكها على قدر تحملها عناء وصعوبة العيش في هذا المحيط القاحل.

وما ميز المجتمع في وادي ميزاب هو خضوعه لقوانينه العرفية الموضوعة من طرف "العزابة" و"الجماعة"، لرسم معالم حياته في العيش والتواصل مع الاخر في إطار المنفعة المتبادلة، فوضعوا لأنفسهم وبناء على ما تكدس لديهم من معارف وثقافة شعبية أعياداً ومناسبات ومواسم مقسمة على مدار أيام السنة؛ فجعلوا لها مواعيد تدخل الغبطة والفرح إلى قلوبهم، بالاستعانة بالغناء والفلكلور المنوع والألعاب الشعبية واقتصرت معرفتهم للوقت وفصول السنة على الظواهر الطبيعية. وقد تحكمت الغيبيات والبدع والجهل في جانب مهم من حياتهم، وهي السمة التي طغت على المجتمع خلال القرن الثامن عشر والنصف الأول من القرن التاسع عشر، هذه السمة كانت أحد أسباب ظهور نهضة إصلاحية؛ حاربت هذه البدع وحررت الفرد من قيود الضلال والمستعمر.

تميزت منازلهم بالبساطة والبعد عن التعقيد والزخرفة في خيام البدو ومنازل الحضر اعتمدوا في بنائها على المواد الطبيعية الموجودة في المطقة، من مشتقات

النخلة والحجارة والحجر، بالإضافة إلى الوبر والصوف، وقد خضع العمران إلى القوانين العرفية التي ضمنت للجميع العيش بسلام بلا ضرر ولا ضرار؛ وهو العمران الذي أثار إعجاب الفرنسين، حيث بنوا منشآهم على شاكلته، مع إدخال تقنيات جديدة لتسريع عملية انجاز المشاريع العمرانية الفرنسية. لقد تواجدت بإيالة الجزائر عدة جماعات برانية من بينها جماعة الميزابين وتواجدهم هذا كان نتيجة أسباب عديدة استطاعوا أن يحافظوا على حياة الانعزال وعلى خصائصهم الاجتماعية، وأن يُنظمُوا أنفسهم في هذه المدن، وكان من آثار ذلك دخول أفكار وعادات جديدة للمجتمع في وادي ميزاب.

الباب الثالث

الحياة الثقافية بمنطقة وادي ميزاب

الفصل الأول: التعليم العربي الحر بمنطقة وادي ميزاب

الفصل الثاني: التعليم الفرنسي الإستعماري بمنطقة وادي ميزاب

الفصل الثالث: العلاقات الثقافية بين الوادي والمناطق الأخرى

يُعـدُ وادي ميـزاب مـن المنـاطق التـي تزخـر بتـراثٍ حضـاريٍ مهـم؛ وهومـا جعلـه يؤسـس لركيـزة أساسـيةٍ سـاهمت فـي بلـورةِ كيـانِ الأمـة ووضـع خصوصـياتٍ تميّـزه عـن غيـره مـن الفضـاءات المجـاورة. تمثـل ذلـك فـي المظـاهر الثقافيـة الماديـة والشـواهد غيـر ماديـة أرخـت للحيـاة العلميـة والثقافيـة المحليـة خـلال القـرنيين الثـامن عشـر والتاسـع عشـر. هـذه الحيـاة الثقافيـة ومظاهرهـا كانـت بعيـدة عـن التـأثير والتفاعـل بمـا كـان حاصـلاً فـي المـدن الشـمالية فقـد انعكسـت أوضـاعه الاقتصـادية والإجتماعيـة علـى مُجريـاتِ الحيـاة الثقافيـة، بحيـث توقفـت العقـول وأخّـذت تجْتَّـرُ مـا تركـه الأوائـل؛ وحتـى هـذا الإجتـرار إقتصـر علـى العلـوم النقليـة والدينيـة فـي أغلـبِ الأحيـان. هـذه الوضـعية بـدورها ألقـت بِظِلالِهَـا علـى وادي ميـزاب رغـم بُعـدِهِ، فهـو لـم يسـلم مـن مخلفـات التـدهور الإجتمـاعي والـديني، والتـدني الثقـافي ومحدوديـة الإبـداع والفاقـة والإسّـتعمار لمـدة تزيـد عـن القـرن ونصـف القـرن، هـذه الأوضـاع السـائدة فـي الـوادي كانـت سـبباً لبـوادر نهضـةً إصـلاحية وعلميـة، بـدأت إرهاصـاتها الأولـى فـي القـرن الثـامن عشـر مـع الشـيخ أبـي زكريـا يحـي الأفضـلي إثـر جهـوده التـي قـام بهـا فـي نشـر العلـم وإصـلاح المجتمـع، ثـم تقدّمت خطـوة إلـى الأمـام مـع طلبتـه الـذين كـان مـن أبـرزهم الشـيخ عبـد العزيـز الثمينـي، ورغـم العراقيـل تواصـلت الحركـة الإصـلاحية وتوسـعت علـى يـد قُطـب الأئمـة الشـيخ امحمـد اطفـيش حيـث ركـزت جهودهـا العلميـة التنويريـة فـي جانـب التـأليف والتـدوين والتعلـيم، وربـط علاقات مع التيارات الفكرية والثقافية السائدة أنداك داخل وخارج منطقة وادي ميزاب.

الفصـــــــل الأول

التعليم العربي الحر بمنطقة وادي ميزاب

1-التعليم العربي الإسلامي

2-العلماء ودورهم في نشر التعليم

3-حركة التأليف

4-المكتبات والخزائن

5- الحواضر الثقافية

التعليم العربي الحر بمنطقة وادي ميزاب

ليستِ الثقافة والعلم بوجهٍ عام نتاجًا محليًا في أي وقت من الأوقات وفي أي عصر من العصور، فالأفكار والأشكال التعبيرية من أدبية وشعرية تنتشر من مكان إلى آخر، وخصوصًا بين الناطقين بنفس اللغة، تتحكم فيها معطيات الوقت من أحداث وأخبار ولا شك أن الأوضاع السياسية والإجتماعية والإقتصادية التي عرفتها المنطقة خلال القرنيين الثامن عشر والتاسع عشر؛ كونت السِمَات الأسَاسِية لهذا الوضع الثقافي والعلمي خلال هذه الحقبة من الزمن.

1-التعليم العربي الإسلامي:

لقد شكلت المنطقة عبر تاريخها الطويل نقطة تواصل وعطاءٍ بين العديد من المراكز الثقافية العربية والإسلامية، إنعكس هذا الأمر إيجابا على واقع المنطقة في هذا الخصوص، حيث استغل الإنسانُ الظرف واستثمر هذه العناصر ليشارك بها بصورة محتشمة الحواضر العلمية داخل وخارج الجزائر، فجلبوا ما هناك من علوم ومعارف واطلعوا عن كثب على التيارات الثقافية والفكرية المعروفة آنذاك في المغرب والمشرق وجنوب السودان؛ وقد ساعدت النهضة الإصلاحية التعليمية التي بدأت مع النصف الثاني من القرن التاسع عشر على حركة التأليف والكتابة ومع مرور الأيام إزداد التواصل وتوسع، فكان من ثِمارِ ذلك أن ظهرت مجموعةٌ كبيرة من العلماء والمؤلفين والمؤلفات في شتى المعارف والعلوم جمعت في خزائن ومكتبات، هذا الزخم الثقافي والمعرفي، لم يشفع للمنطقة وقتها من تبوأ مكانتها كحاضرة جنوبية بين كُبريات العواصم الثقافية الوطنية أو الخارجية.

إن التعليم الذي يُكَونُ الأدباء في الجزائر كان محدودًا ومقصورًا على بعض المراكز، فلا بجاية ولا ميزاب ولا بسكرة قد قدمت أديبا معروفا غداة الإحتلال، فنمط التعليم وتغلغل التصوف والجمود الثقافي قد جعل من الصعب على الأدباء أن يبرزوا

أو يجدوا لهم مكان في الجزائر غداة الإحتلال[1]. وقد عرفت الحياة الثقافية خلال معظم فترات الوجود العثماني ركودًا ملحوظا في فنون الأدب وعلم الأنساب والتاريخ فأغلبية المجتمع الجزائري كان يُحسن الكتابة والقراءة، إلا أن ذلك لم يخلق حركية علمية لمسايرة النهضة الأوروبية القائمة على الفكر والصناعة، وغياب جامعة لجمع المشتغلين في مجال العلم والتعليم ما ساعد على افتقار الأدب والفكر في الجزائر والذي كان في مؤخرة اهتمام الحكام الجزائريين.

إن الأجواء الداخلية في ميزاب لم تكن هادئة ومستقرة فقد تميز القرن الثامن عشر كما يقول المؤرخ أبو القاسم سعد الله"...بنقص العلم لذهاب أهله، وانتشرت فيه العصبية القبلية التي كان يُغذِيها الجهل ومبدأ التناصر حتى في الظلم فيكفي عقلية رجلين بهذا الفكر أن تُجَر مدينة أو مجموعة مدن إلى التناحر المقيت..."[2]، إن قُرى الوادي تُشَّكلُ اتحاداً يشرف عليها العزابة وعلى مشاكله وحاجياته، فيُشَرِعُ الأحكام في الجرائم والمخالفات والمعاملات، ويسمى رئيس العزابة "بالشيخ" أو "بابا الشيخ"؛ ورغم صرامة المجلس إلا أن صُوَر التخلف وانتشار الأمراض الاجتماعية والإنزلاق نحو المجهول، وهو ما جعل أعضاء مجلس العزابة وأعيان المجتمع يحاولون إحياء الحياة النظيفة البعيدة عن كل ما هو معاش من تخلف وجهل، فاهتدوا إلى أن العلم هو الوحيد الذي يعيد المياه إلى مجاريها في منطقة وادي ميزاب؛ فبدأوا بإرسال الطلبة إلى مختلف الجهات من البلاد المغاربية والمشرقية، ما جعل آثار هذه البعثات العلمية والإصلاحية تتجلى وتنعكس مع الوقت على الحياة الثقافية والاجتماعية، وخصوصاً مع النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي. ويمكننا أن نقسم هذا التعليم إلى:

1-أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج8، ص 9.

2-ابراهيم مطياز، المصدر السابق، ص ص59-63.

أ-التعليم العربي الإسلامي الحر في الحضر:

1-**عند الإباضين:** لقد انتشر التعليم في وادي ميزاب على نطاق واسع منها التعليم المسجدي، ويعود هذا التعليم إلى نتيجة ما قام به مؤسس الحلقة الشيخ أبو عبد الله محمد ابن الفرسطائي الذي كان يجوب التجمعات والقرى بالمنطقة عند تأسيسها لتعليم الناس وتثقيفهم في أمور الدين[1]، ويتول التدريس به شيوخ من المشهود لهم بالعلم والدراية والنزاهة [2]؛ ويتبع هذا التعليم حلقة العزابة حيث يتولى أعضاء منها تنظيمه ويدخل ضمن مهامها، فلكل مسجد محضرتان أو ثلاثة، يتلقى فيهم الأطفال مبادئ الكتابة واللغة والقرآن، وفقهاء العزابة هم الذين يتولون التدريس فيها مجاناً.

-**المحضرة:** يعرفها الأستاذ أحمد توفيق المدني :" المحضرة في عرفهم عبارة عن كتاب للإملاء وتعليم الخط وحفظ القرآن العظيم ودراسته"[3] ، وتتمثل في نظام "الكتاتيب" الذي خص الطلبة الذين يدرسون في المحاضر المرتبطة بالمسجد، يتولاهم "عرفاء المحاضر" أو فقهاء المحاضر، وهي مرادفة لمعلم القرآن أو معلم الصبيان باعتباره يعلم الدين الإسلامي، لأنه يلقنهم التوحيد وأصول العقيدة والفقه حسب ما تستوعبه عقولهم؛ فينشؤوهم تنشئة قرآنية دينية كمنطلق في نظام التربية والتعليم[4] يوجد على رأس حلقة العزابة شيخ يساعده على أداء مهامه أعوان، يعرفون بعرفاء تحفيظ القرآن وعرفاء أوقات الدراسة وعريف الأكل والختمات وأوقات النوم والعرفاء من حملة القرآن؛ يشرف كل واحد منهم جماعة من أصحاب الألواح يملي عليهم ويصحح ألواحهم، ويأخذهم بالحفظ عن ظهر القلب، فالجماعة التي ترتبط بكل حافظ يكون

1-قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج، المرجع السابق، ص 104.

2-توفيق المدني، كتاب الجزائر، ص 304.

3-نفسه ص118.

4-صالح بن عمر سماوي، المرجع السابق، ص 806.

أكثرهم عشرة وأقلهم اثنان[1]. يقوم بهذه المهمة أيضا الشيوخ الذين نالوا قسطا من العلوم والمعرفة، بالتكوين العصامي أو بالسفر إلى حواضر العلم الإسلامية، المتمثلة في جامع الزيتونة وجامع الأزهر أو إلى الحواضر العلمية الإباضية بجربة وجبل نفوسة؛ حيث يقيمون حلقات علم في المساجد لتنوير عامة الناس[2].

لم تسمح الظروف للجميع بنيل معارف التعليم العربي الإسلامي الحر بل اقتصر على فئات معينة منهم، نتيجة انشغال الناس بكسب لقمة العيش والجري وراء الرزق في هذه الطبيعة القاسية على حساب العلم، ما جعل الجهل يأخذ مكانه بينهم مع انخفاض مستوى الوعي لسبب عدم إدراكهم لأهمية وقيمة العلم، فلم يكن ذو أهمية في حياتهم ما جعل الأمية تنتشر وسطهم، ويشكل الذكور غالبية المتعلمين؛ أما حظ النساء من هذا التعليم فمنعدم، حيث منعت منه للمعتقدات الاجتماعية السلبية فيكتفي بتعليمها فرائض الدين من صلاة وصيام وطهارة وتحفيظها قصار السور، وتقوم بهذا الدور امرأة حظيت بقسط وافر من العلم ولا يشترط فيها حفظ القرآن ولا ختمه، وقد تكتفِ بحفظ بعض منه عن طريق السماع؛ وتكون ممن يحضرن المساجد للإستفادة من دروس الوعظ والإرشاد[3].

ويتعلم فيها الطلبة بعض السور من القرآن الكريم أو كلها، والخط ومبادئ العقيدة حسب سنهم، فيرتقون تدريجيًا إلى مستوى طلبة القرآن بتأهل بعد إذن من شيخ الحلقة[4]،وتكون أوقات التعليم بهذه المحاضر صباحية ومسائية، ففي وقت الضحى يكون تعلمه للكتابة وحفظ ما كتبوه بالأمس؛ ويعرضونه عليه وإن توقف أحدهم دون

1-الشيخ أبي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني، طبقات المشايخ بالمغرب، تح: إبراهيم طلاي، ج1، ط.2، د.ت، ص 173.

2- قاسم بن أحمد السيخ بالحاج، المرجع السابق، ص 79.

3-أيوب بن ابراهيم القرادي، المرجع السابق، ط.1، ص 69.

4-سماوي صالح بن عمر، المرجع السابق، ص 808.

الحفظ فإن كان مبتدئًا أقيل له خمسة عشرات وإن كان فوقه إلا أنه في أول قلم اقيل له ثلاثة وإن كان في الإعادة فعشرة واحدة [1]، ويقرأون ألواحهم بين الظهر والعصر أو بين المغرب والعشاء أو ما بين السحر وطلوع الشمس شتاء[2]، أما طلبة فنون العلم يستحسن أن يجتمعوا للبحث والمذاكرة والمناظرة وإذا كانت ختمة غداة وحضر الشيخ فإن هناك طرق للسؤال إما أن يتداولوا وضع السؤال ميامنه؛ وإما أن يسأل أفصحهم لسانًا وأكثرهم بيانا وإما أن يسأل أشدهم احتياطا للسراح في ضرورة دعت، فإن علم الشيخ أن في الجمع أكفأ منه في تلك المسألة أذن له في الكلام فيها وإلا تكلم بما عنده[3]. ومعظم الكتاتيب كانت تتبع الطريقة التقليدية البدائية المعروفة منذ قرون ولنشر العلم عند شريحة كبيرة من المجتمع قدم العلماء والمشائخ يوميًا تقريبًا دروس من الوعظ والإرشاد، للعامة في المساجد بعد صلاة الظهر والعشاء وبعد صلاة الفجر حسب اختلاف الفصول[4].

-**حلقة إيروان:** هي مفرد لكلمة إيرو وتعني بالميزابية طالب العلم أو حافظ القرآن تمثل هذه الحلقة المستوى الثاني من التعليم المسجدي، وهي هيئة عرفية تابعة لحلقة العزابة تظم الطلبة الذين يتلقون العلم على يد شيخ العزابة، ويشترط في المنظم للحلقة أن يكون مستظهرا للقرآن الكريم وتلقى تعليمه في نظام المحضرة؛ وتعد مرحلة إعداد الطالب لالتحاقه بحلقة العزابة لمساعدتها في مهامها في حالة ما احتاجت إليه، بسبب وفاة أو عجز أحد أعضائها وتدربهم على الإمامة والصلاة والآذان، ويتلقون العلوم الشرعية والعربية بتوسع وتعمق؛ وأوقات التدريس كل يوم ما عدا يومي الخميس

1-الشيخ أبي العباس الدرجيني، المصدر السابق، ص 178.

2-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.2، ص 160.

3-الشيخ أبي العباس الدرجيني، المصدر السابق، ص 180.

4-صالح بن عمر سماوي، المرجع السابق، ص 815.

والجمعة من صلاة الفجر إلى طلوع شمس الشتاء، وبين صلاتي الظهر والعصر صيفًا[1].

وهناك من يفتح داره لمن يود التعلم دون مقابل مادي وإنما ابتغاء مرضاة الله وليس هناك سن محدد للتعليم وليس هناك حد لسنوات الدراسة فمن الطلبة من يمكث وقتا قصيرا ومنهم من تطول مدته حتى يأخذ حظًا وافرًا من العلوم العالية في أصول الدين والفقه والتفسير والحديث والمنطق والبلاغة[2]، فقد بذل الشيخ أبي زكريا يحيى الأفضلي (1744-1788) منذ عودته من رحلته العلمية من المشرق جهودًا للتعليم والتدريس في حلقات خاصة للوعظ والإرشاد في المساجد، فالشخص الذي يتولى "شيخ الحلقة" يجب أن يكون مرشدًا متمكنًا عالمًا، يتمتع بعمق علوم الفقه والعقيدة وفقه العبادات والمعاملات والسيرة والتفسير والحقوق[3]، وما تعلمه من فنون العلم من تجارب في تونس ومصر[4] ومعه ظهر نمط جديد وقديم من التعليم يسمى "بحلقات العلم"[5] التي تطورت وازدهرت مع مرور الأيام وتحولت إلى مدرسة أو معهد، يضم أكثر الطلبة من الابتدائي إلى العالي، ودرس بها الشيخ عبد العزيز الثميني منذ منتصف القرن الثامن عشر، فكثر رواد الحلقة وطلبتها، وشعر معها الأهالي بتجديد روح الدين والعلم فبعثوا أبنائهم من مختلف الأرجاء الجنوبية من وورقلة ووادي ريغ[6] إليه للنهل من أفكاره ومعارفه التي تركزت على الإعداد والإصلاح؛ فحجبه هذا الإهتمام على أن يفكر في الكتابة والتأليف، ومن أهم تلامذته الشيخ عبد العزيز الثميني؛ الذي قدم معرفة مميزة في هذا الجانب، ففتح لشيخه يحيى الأفضلي دارًا قرب

1-قاسم بن أحمد السيخ بالحاج، المرجع السابق، ص ص 109-110.

2-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ص 160.

3-صالح بن عمر سماوي، المرجع السابق، ص 853.

4-قاسم بن أحمد السيخ بالحاج، المرجع السابق، ص 125.

5-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.2، ص 160.

6- قاسم بن أحمد السيخ بالحاج، المرجع السابق، ص 125.

المسجد يتولى التدريس فيها، واشترى له المخطوطات التي يحتاجها في التدريس وأصبح الثميني مع مرور الوقت معلمًا مساعدًا لشيخه، وكان جهاده في الأول في هذا الأمر لينشئ فيما بعد حلقة خاصة به، ورث مسؤولية مواصلة التعليم والتنوير في وادي ميزاب وخاصة بعد وفاة شيخه، فاستقُطب التلاميذ من داخل الوادي وخارجه وبرزت على يده نخبة واصلت مسيرة التعليم والإرشاد. ولتقديم التعليم بطريقة أنجع لدى العامة انكب على التأليف وفق ما يحتاجه الوقت الراهن، لأن ما كان يوجد بالمنطقة من كتب ويؤخذ بها كمراجع في الأحكام والمعاملات، إنما تعود لقرون ماضية ولم تعد تجدي نفعاً لما هو حاصل من أحوال اجتماعية واقتصادية[1].

أهم ما ميز التعليم العربي الإسلامي في القرن الثامن عشر، هو سيره ببطء وتحديد معالم طريقه بعد تخرج الدفعات الأولى من حلقات الأفضلي والثميني التي واصلت نشر رسالة العلم ومحاربة الفساد والجمود الفكري، ومع ذلك فإن هذا القرن بقي في غالب فتراته قرن التخلف والصراعات والبدع والتقاليد البالية، واستمرت المحاضر التابعة للمساجد في ميزاب وحلقات العلم تؤدي رسالتها وتلقن الطلبة القرآن ومبادئ الكتابة والفقه، إلى أن حل القرن التاسع عشر قرن الشيخ محمد اطفيش مستفيدًا من تجارب المرحلة التي سبقته حيث، أسس معهده في مدينة بني يزقن حوالي 1850م إلى غاية وفاته فكان يدرس العامة مع الفجر ثم يصلي للجماعة ثم يذهب لتدريس تلاميذه ودرس العامة بين العصرين ودرس للكبار[2] ولم يستثني النساء كغيره من دروسه.

نقل تعليمه إلى مدينة بنورة لسنوات طويلة ما لبث أن حوَّل أحد منازله إلى معهد وبه عُرِفَ فطارت شهرته عاليًا؛ قصده الطلبة من جربة ونفوسة وعمان وزنجبار

1-قاسم بن أحمد السيخ بالحاج، المرجع السابق، ص ص 130-134.

2-مصطفى بن الناصر وينتن، أراء الشيخ محمد بن يوسف اطفيش، العقدية (1914-1821)، المطبعة العربية غرداية، ص 55.

واضعًا شروطًا جديدة للالتحاق بمعهده منها أن يكون الطالب حافظا للقرآن الكريم وحافظا للمتون الضرورية والاستقامة في السيرة والسلوك[1]، وكان يحرص على تحقق فهم الطالب للمسألة[2]، اتبع نظام جامع الزيتونة في العطلة الصيفية حتى يتفرغ التلاميذ صيفًا إلى عملهم في بساتينهم أو لأسفارهم، أما الطلبة الوافدين من بعيد فقد خصهم بدروس بين الظهر والعصر والليل، حتى قيل أنه يعمل كثيرًا وباستمرار ولا ينام إلاّ قليلاً[3]، طريقة الحلقات كان أسلوبه وله سلم في ترتيب العلوم حسب أولويتها في وجوب التعلم؛ وقد اختلف المؤرخون في عدد تلاميذه قسمهم إلى طبقات وهو تقليد اتبعه القدماء في الزوايا التعليمية، طبقة المبتدئين وتدرس نفس ما يؤخذ من مواد في زوايا ومساجد الوطن كالنحو على الأجرومية والحديث والشعر والأدبيات والأخلاق والتربية.

وفي العقائد عقيدة التوحيد للجيطالي، وفي الفقه "رائية الشيخ ابن النظر"، أما الطبقة الثانية فيدرسون " القطر" لابن هشام والحديث والأشعار والأدب و"نونية أبي نصر بن نوح" في التوحيد، والطبقة الثالثة تشمل كبار الطلبة الذين يحفظو ويتعلموا "ألفية ابن مالك"[4] في النحو والصرف؛ و"السمرقندية " في البلاغة وأرجوزة في

1-أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج3، ص 271.

2-مصطفى بن الناصر وينتن، المرجع السابق، ص 56.

3- Louis David, Mechaikh du m'zab, P 5.

4-محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني (و.600-672/1203-1274م) ، أحد أشهر علماء اللغة العربية ولد بجيان بالأندلس، هاجر إلى المشرق، صوب القاهرة والشام، ثم نوجه إلى الحج وانتقل إلى حلب ومنها إلى حماة ثم دمشق وتصدر للقراءة، ترك ارثاً عظيماً في اللغة والنحو والصرف، من أشهر مؤلفاته" الالفية في النحو" التي يقول في مطلعها:

قَالَ مُحَمد هُوَ ابْنُ مَالِكٍ: ...أَحْمَدُ رَبِّي اللهَ خيْرَ مَالِكِ
مُصَليا عَلَى النَّبِي المُصْطَفَى... وَآلِهِ المُسْتَكْمِلِينَ الشَّرَفَا
كَلاَمُنَا: لَفْظٌ مُفِيدُ كَـ"اسْتَقِمْ"... وَاسْمٌ وَفِعْلٌ ثمَ حَرفُ الكَلِمْ
وَاحِدُهُ كَلِمَةٌ وَالقَوْلُ عَمُ... وَكَلِمَةٌ بِهَا كَلاَمٌ قَدْ يُؤَمُ
بِالجَرّ وَالتَّنْوِينِ وَالنِّدَا وَ(أَلْ)...وَمُسْنِدٍ لِلِاسمِ تَمْيِيزٌ حَصَل=

العروض وكذلك الشعر والحديث، أما في أصول التشريع فيدرسون ألفية السالمي[1]. شكلت العلوم الدينية النسبة الكبيرة من التلقين للطلبة في معهده بالإضافة إلى الادب والنحو والصرف والأخلاق[2].

ب-التعليم عند المالكية في الحضر: لقد ساد التعليم القرآني عند أبناء المالكية في المنطقة عن طريق الكتاتيب أو ما يعرف بـ "المحضرة" والتي تكون مبنية من الطوب والحجارة ، إذ يتم حفر الساس وتوضع فوقه حجارة صغيرة مع الرمل والتيمشيمت للتماسك جيداً؛ وأحيانا تبنى بالطوب وتسقف بجذوع النخيل وسعفه، تبدأ جلسة تحفيظ القرآن بعد صلاة الفجر ويباشرون تعليمهم بتكرير بعض من سور القرآن، ثم ينتقلون إلى الحفظ الفردي، حيث يتناوب الأولاد على معلم القرآن أو الطالب لحفظ ألواحهم ثم تمحى بالماء والطين ثم تترك لتجفف لتعاد فيها عملية الكتابة لسور جديدة .

ينقسم الدارسون إلى قسمين قسم الصغار وقسم الكبار فالصغار لم يصلوا إلى حد معرفة الكتابة فلذلك يقدمون ألواحهم إلى الطالب ليكتبها لهم، ثم يتفرغون لحفظ ما كتب عليها من سور القرآن بأسلوب التكرار، أما الطلبة الكبار فيقومون بتشكيل نصف دائرة حول الطالب للاستئذان عن كتابة ألواحهم، بعدها توضع الألواح لتصحح من الأخطاء، وإذا وجد فيها الطالب خطأً فإنه يعاقب الطالب ببعض أشغال المحضرة أو

= و" تسهيل الفوائد" و" الضرب في معرفة لسان العرب " و" الكافية الشافية " و" لامية الأفعال" و " تحفة المودود في المقصور والممدود " وغيرها كثير، توفي في دمشق. ينظر: خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج6 ص222 وكذا: عبد اللطيف بن محمد الخطيب، متن ألفية ابن مالك، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع ، ط.1 الكويت،2006 م ، ص ص 1-2.

1-أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج3، ص 271.

2-نفسه ص 272.

يكتبه على كف صاحب الخطأ حتى لا ينساه[1]، كانت الكتب شبه منعدمة ولذلك يعتمد الطالب في التحفيظ على المشافهة وهي عملية قد لا تخلو من بعض الأخطاء.

تتم صناعة لوح القرآن من أشجار الصنوبر المنتشرة في الأطلس الصحراوي من شماله والتي تتميز بجذوعها الضخمة[2]، وغالبًا ما تكون اللوحة مستطيلة متوسطة السمك وملساء، تثقب في الأعلى لإدخال خيط فيها ليحملها التلميذ، تكتب بالقلم الذي يصنع من القصب، أما الحبر أو "الدوايا" أو "الصمغ" فمصنوع من مادة لاصقة تفرزها شجرة القضيم على شكل كتل، تأخذ هذه الكتل وتحمر فوق النار حتى تحافظ على رائحتها لمدة طويلة ثم تطحن وتوضع فوق النار حتى تعقد وتأخذ اللون الأحمر وهناك نوع آخر من السمق يصنع من صوف ذيل الغنم (يكون على شكل كتل دهنية) ويعد الأجود حيث يحرق ثم يمزج بالماء؛ أول ما يبدا كتابته على اللوح بسم الله الرحمن الرحيم، وكان يستثنى الفتيات من الذهاب إلى الكتاتيب لأن عرف المجتمع لا يرى ضرورة لذلك، عند الضحى تنتهي جلسة التحفيظ وتكون في بعض الأحيان مصحوبة بتوزيع معروف يقدم لصبيان القرآن من طرف المحسنين، وفي المساء يحضر الأولاد بعد صلاة الظهر لحفظ سور القرآن المكتوبة على ألواحهم إلى غاية العصر.

تدرس بهذه الكتاتيب إضافة إلى حفظ القرآن العلوم المتصلة به فهذا الحاج محمد الغناي نجده بالإضافة إلى تحفيظ القرآن للناشئة يعلمهم الفقه والعبادات[3] ويعلمهم الطالب التفسير والقرآن وأحكام الترتيل وتدرس علوم اللغة والنحو والصرف وتعلمهم لحفظ المتون اللغوية كالأجرومية و" ألفية ابن مالك"، وحفظ الأحاديث النبوية

1-أم الخير صبرو وخديجة سويلم، المرجع السابق، ص 43.

2- Eyme, Op.cit .P 9.

3-حماني أحمد التيجاني، المرجع السابق، ص 34.

الشريفة كـ"موطأ الأمام مالك" و" صحيحي البخاري ومسلم"، والمتون كـ"متن الأربعين النووية" حيث كان الشيخ الحاج محمد بن شتوي يشرح صحيح البخاري لطلبته في دروسه ما بين صلاتي الظهر والعصر لمدة عشر سنوات[1].

أما في الفقه المالكي فإنهم يتعلمون في مدارسهم القرآنية الكتب والمتون الفقهية مثل المدونة الكبرى للشيخ سحنون[2] ومتن ابن عاشر[3]، ورسالة إبن أبي زيد القيرواني ومختصر خليل، ومتن العبقري؛ يضاف على ذلك علم الفرائض

1-أحمد التيجاني حماني، المرجع السابق، ص 34.

2-ابن سحنون : هو أبو عبد الله محمد بن أبي سعيد سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخي، ولد بالقيروان سنة 202هـ، تعلم على يد والده أبي سحنون ولما برز في مجال العرفان أداء فريضة الحج ومن تم زيارة المشرق للتزود وعلى رأسها مصر ،وأخذ على أئمة العلم، ثم عاد راجعاً الى موطنه، فاشتغل بالتأليف والتدريس وبث العلم، ترك تأليف كثير في جميع الفنون منها: كتاب " الجامع " وهو عبارة عن موسوعة شاملة للعلوم الرائجة في ذلك العصر المسند" و" الأمامة " و" مسائل الجهاد " و "طبقات العلماء" و " آداب القاضي" و" أحكام القرآن " و" أداب المعلمين " وغيرها من المؤلفات. توفى عن عمر الرابعة والخمسين ودفن بمسقط رأسه. ينظر: محمد بن سحنون آداب المعلمين، مراجعة وتع. محمد العروسي المطوي، دار الكتب الشرقية، ط.2، تونس ،1972م ، ص ص 15-26.

3-ابن عاشر: هو الأمام أبو محمد عبد الواحد بن أحمد بن علي بن عاشر بن سعد الانصاري نسباً، الاندلسي أصلاً، الفاسي منشأ وداراً ، ولد سنة تسعين وتسعمائة هجرية /1582م ، قضى أغلب حياته في مدينة فاس فقيها ومدرسا بها، درس على يد أبي العباس أحمد، أبي العباس احمد الكفيف، وأبي عبد الله محمد بن قاسم القصار القيسي وسيدي أبي عبد الله محمد بن الجنان وغيرهم قال في أول منظومته" المرشد المعين":

يَقُولُ عَبدُ الوَاحِد بن عَاشر.... مُبتَدئاً بِاسمِ الاله القَادِرِ
الحمد لله الذي عَلّمَنا ..... مِن العُلُوم مابه كَلّفَنا
صَلّى وسَلّم عَلى مّحمّد.... وآله وصَحبه والُمقْتَدي
وبَعْد فَالعَونُ مِنَ اللهِ المَجيد... في نَظمِ أبْيَات للامّي تُفيد
في عَقدِ الاشعَري وفِقهِ مَالِك...وَفي طريقةَ الجُنيد السّالِكِ

ألف الأمام عبد الواحد بن عاشر تآليف كثيرة تشمل فنون عدة منها:" فتح المنان شرح مورد الظمآن في علم رسم القرآن" و"تنبيه الخلان على الإعلان بتكميل مورد الظمآن" و" شفاء القلب الجريح بشرح بردة المديح" و" المرشد المعين" و" حاشية على شرح الصغير على المختصر الخليلي للتتائي" وغيرها من المؤلفات. توفي عند سن الخمسين. ينظر: عبد المغيث مصطفى بصير، الفقيه عبد الواحد بن عاشر(990هـ- 1040هـ) حياته وآثاره الفقهية، ط.1 منشورات وزارة الأوقاف والفنون الإسلامية، المملكة المغربية ،2007م، ص ص 49-73-87-125-141.

(المواريث)[1]، وقد خصص بعض الأشخاص جزءًا من منازلهم لتكون دارًا لتعليم القرآن مثلما فعل السيد رحماني الحاج عبد القادر سنة 1880 بمدينة القرارة[2].

أما عند البدو فبحكم تنقلاتهم المستمرة بين المدينة لفترة قصيرة والبادية لفترة طويلة فيضطرون لنقل الطلبة أو معلم القرآن معهم، لتحفيظ أبنائهم القرآن الكريم وتعلم الكتابة ويدرس الأطفال تحت بيوت الشعر، مقابل أجرة مع التكفل بالسكن والغذاء وتخصيص جزء من الزكاة له[3]؛ فراتبه لم يكن معيناً وعادة يعيش من مساهمات التلاميذ، وقد يختلف المبلغ المدفوع له باختلاف ثروة التلاميذ فالفقير لم يكن يدفع له شيئا[4]، وعند عودتهم إلى المدينة يدرسون أبنائهم في المحاضر[5]، يقول الدكتور أبو القاسم سعد الله: "...إن البرنامج الدراسي في الزوايا محدود جدا فهو برنامج يفرض جهدا عظيما من أجل فائدة ضئيلة إذ لا نتيجة تجنى من حشو رؤوس التلاميذ في الزوايا القرآنية مثلا تلميذا قضى عشرة سنوات في الزاوية وحفظ القرآن وشروحه ودقق معلوماته فلم يترك صوتا ولا حرفا إلا تعلمه ثم اسأله عن أي معنى من المعاني فإنه سيعجز لأنه لم يوجه إلى ذلك أبدا ونفس الشيء يقال على المواد الأخرى كالنحو والصرف، فالتلميذ يقرأ النص جيد وينطق نطقا سليما لكنه يقلب المعنى أما عن الحساب فانه لا يوجد في المنطقة كلها من اشتهر بمعرفة العمليات الأربعة وعلم الفلك، فالشيخ يكتفي بترديد أقوال الشراح الذين ينقل عنهم ولا يضيف رأيه إلى ما يقوله إلى تلاميذه فهو لا يبن لهم لمإذا شرع التشريع أو لماذا توقف عند هذه النقطة

1-مسعود بن ولهة، أبناء الشعانبة ومراحل التطور الحضاري، ص 172.

2-حماني أحمد التيجاني، المرجع السابق، ص 47.

3-لقاء مع السيد الحاج لخضر الدهمة المولود خلال 1925م يوم 12 فيفري، بمنزله بمتليلي على الساعة 10 صباحا.

4-نصيرة حسان زميرلين، التعليم الإسلامي في الجزائر في ظل الإحتلال الفرنسي (من سنة 1830-1962) رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1406هـ-1407هـ، ص18.

5-Yves Regnier, Op.Cit.P 7.

أو تلك فطريقة التعليم كانت على الجملة عقيمة، ولم تعد علوم أخرى مثل الجغرافيا والتاريخ والرياضيات والعلوم الطبيعية..." [1]، ويدرس بها التلاميذ المبتديئن في حفظ وكتابة القران وآخرون يدرسون المبتدئين.

2-العلماء ودورهم في نشر التعليم : لقد برز في المنطقة علماء رغم قلتهم لكنهم استطاعوا أن يتركوا آثارهم في مختلف النواحي خلال القرنين 18 و19، فأنعشوا بفكرهم وأدبهم المنطقة وأخرجوها من حالة الجمود الفكري والعلمي الذي ميز القرنين خصوصًا الأول منه ومن أبرز هؤلاء العلماء نذكر منهم من جانب الإباضية :

-**الشيخ أبو يعقوب يوسف بن محمد:** ولد عام 1669 م بمليكة سافر إلى جربة مع والده محمد المصعبي عام 1692 م، وهناك أخذ العلم عن الشيخ سعيد بن يحيى الجاذوي[2] وعن الشيخ عمر بن علي السدويكشي[3] ، ثم سافر إلى تونس العاصمة سنة 1701م ومنها إلى مصر عام 1718م كان مفتي جربة ورئيس الحكم فيها دافع عن المذهب الإباضي وتوفي سنة 1773م، ترك عدة مؤلفات منها: " تحفة الأحباب في عذر أولي الألباب "، والكثير من الحواشي كـ "حاشية على أصول الدين" للتبغوري بن عيسى المشلوطي وحاشية على كتاب "الأحكام" لأبي زكريا يحيى الجناوني وحاشية على ديباجة "شرح العقيدة" لأحمد الشماخي[4].

1-أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج3، ص ص 207-208.

2-هو سعيد بن يحيى الجادوي الأجيمي (أبو عثمان) لم تتوصل المصادر إلى تحديد تاريخ ميلاده ولكنه عاش خلال القرن 19 (حي بين 1692-1734)، من مشايخ جزيرة جربة أخذ العلم عن الربيع سليمان بن أبي ستة كان مدرسا ومؤلفا من تلامذته الشيخ أبو يعقوب يوسف المصعبي وسعيد بن عيسى الباروني خلف عديد الفتاوى والأجوبة الفقهية. ينظر: معجم أعلام الإباضية، ج3، ص 384.

3-هو عمر بنعلي بن ويران السدويكشي (أبو حفص) لم تذكر الكتابات تاريخ ولادته ولكنه عاش خلال القرن 17 من مشايخ جربة درس في جبل نفوسة أخذ العلم عن الشيخ محمد بن زكرياء الباروني، له عدة مؤلفات منها مناسك الحج العقيدة المباركة. ينظر: معجم الإباضية، ج3، ص ص 645-646.

4-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط .2، ص ص104-105.

-**الشيخ أبي زكريا يحيى الأفضلي:** هو أبو زكريا يحيى بن صالح الأفضلي والمعروف بعمي يحيى، أحد أشهر رواد النهضة العلمية ومن علماء ق. 18، ولد عام 1714م ببني يزڤن تلقى تعليمه الأول ببلدته ثم قصد جربة في آخر النصف الأول من القرن 18 فأخذ العلم على عديد المشايخ منهم الشيخ أبي يعقوب يوسف المصعبي(ت.1774م) مكث اثني عشر سنة متفرغا للعلم ثم قصد مصر، أين درس بالمدرسة الإباضية بوكالة الجاموس وحضر دروس جامع الأزهر[1]، وهناك اشتغل على نسخ أمهات الكتب، التقى الشيخ العالم أبى حفص بن عمرو بن رمضان التلاتي الجربي، وفي سنة 1774م عاد للمنطقة فتفرغ للتعليم والوعظ والإرشاد[2] في المسجد خلفا للشيخ الحاج أحمد نجار. تميزت الفترة التي عاش فيها بسيادة الجهل والأمية على المجتمع[3]، لذلك ركز عمله على إصلاح أوضاع المجتمع وتربية الأجيال وتعليمهم، لم يتولى رئاسة مجلس العزابة بالوادي؛ ويعتبر مؤسس وباعث النهضة الإصلاحية والعلمية بوادي ميزاب، اهتم لتنوير الخلق ما جعله لا يلتفت إلى تأليف الكتب افتتح حلقة علمية بداره[4]؛ تخرج على يديه رجال أخذوا مشعل مواصلة مسيرة النهضة الإصلاحية والعلمية من أبرزهم الشيخ التميمي، والشيخ موسى بن يحيى والشيخ إبراهيم بن بيحمان، والشيخ أبو يعقوب يوسف بن عدون[5] توفي عن عمر 76 سنة عام 1788م [6].

-**الشيخ ضياء الدين عبد العزيز الثميني:** هو عبد العزيز بن الحاج بن إبراهيم بن عبد العزيز بن الحاج عبد الله الثميني بن عبد العزيز بن عبد الله بن بكر بن موسى

1-معجم أعلام الإباضية، ج 4، ص ص 965-966.
2-قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج، المرجع السابق، ص 122.
3-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.2، ص 106.
4-معجم أعلام الإباضية، ج3، ص 967.
5-قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج، المرجع السابق، ص 126.
6-معجم أعلام الإباضية، ج3، ص 968.

بن محمد بن عبد العزيز بن عبد الله بن بكر بن يحيى بن موسى الحفصي[1]، ولد سنة 1718م ببلدة بني يزقن، نشأ في أسرة محافظة ميسورة الحال تلقى تعليمه الأول بمسقط رأسه، حفظ القرآن الكريم ثم سافر إلى ورقلة لممارسة التجارة بعدما بلغ الثلاثين من عمره عاد إلى جو العلم؛ فلازم شيخه يحيى بن صالح الأفضلي، أخذ عنه العلوم الشرعية والعربية، ثقف نفسه بما اطلع عليه من كتب ومخطوطات موجودة بالمنطقة[2] إلى أن نبغ بالعلوم العربية ولعل أهمها علم الكلام والأصول، والحديث والفقه، والفلسفة والحساب[3]. خاض مع شيخه معركة الإصلاح في المجتمع وأسندت إليه مشيخة العزابة سنة 1786م[4]؛ وقد عانى كثيرا جراء هذه الحركة الإصلاحية ما جعله يستقيل من رئاسة مجلس العزابة ويعتزل المجتمع، وبذلك دخل في مرحلة جديدة وهي التأليف والكتابة[5] ليواكب النهضة العلمية والإصلاحية وتأخذ منها معارفها وأحكامها فأغلق أبواب منزله على نفسه مدة خمسة عشر سنة، استطاع خلالها أن يؤلف كتب هامة أصبحت كمصادر حديثة للمذهب الإباضي ومن أشهرها:

-**النيل وشفاء العليل:** عمدة المذهب في الفقه الإباضي، حققه الشيخ عبد الرحمان بن عمر بكلي وطبع في ثلاث مجلدات؛ وشرحه القُطب الشيخ بن يوسف اطفيش وطبع في سبع عشرة مجلدًا، ترجمت بعض أجزائه إلى بعض اللغات الأجنبية.

وكتب: "ذو النورين على مرج البحرين"، " مختصر معالم الدين "، " مختصر المنهاج"، "عقد الجواهر المأخوذة من بحر القناطر"، " مختصر بالأسرار النورانية على شرح الرائية "،" التاج على المنهاج تعاظم الموجين "، " شرح مرج البحرين "، "

1-امحمد بن يوسف اطفيش، المصدر السابق، ص ص 29-30.

2-قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج، المرجع السابق، ص ص130-132.

3-معجم أعلام الإباضية، ج3، ص 532.

4-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.2، ص 107.

5-قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج، المرجع السابق، ص 134.

الورد البسام في رياض الأحكام" [1] ومراسلات عديدة لبعض المشايخ والعلماء داخل وخارج الجزائر بالإضافة إلى فتاوى[2].

عاد من جديد إلى الساحة الاجتماعية مواصلاً نشاطه الدعوي في المساجد وأسندت إليه مشيخة مجلس عمي سعيد، عُرِف بروحه السمحة مع الجميع خلق جوًا من التفاعل والتبادل الثقافي مع علماء المالكية في المنطقة ومن خارجها، كما يذكر ذلك أحمد بن الخيذر بن يوسف المليانى "... وسمعت بالشيخ عبد العزيز الثميني في يسقن فتوجهت لزيارته وكان عالما جليلا فأقمت عنده مدة أيام وتكرم عليا بقصيدته النونية وحفظتها من ذلك عرفت أن مذهب الإباضية يقول بخلق القرآن وأعطاني تأليفه الورد البسام وكتاب التاج وحقوق الأزواج... وكان آية من آيات الله... وأراني كتاب النيل في جميع العبادات والمعاملات ..."[3]؛ وهي من بين الشهادات الأولى التي وضحت مدى التواصل الثقافي والعلمي الحاصل بين الساكنة وقتها وخصوصًا بين العلماء الإباضية والمالكية.

كتب أغلب كتبه مع نهاية القرن الثامن عشر، تخرج على يده مجموعة من العلماء الذين واصلوا مسيرة الإصلاح والتعليم، من بينهم إبراهيم بن بيحمان والشيخ حمو والحاج والشيخ محمد بن دريسو، توفي عام 1808م[4] ؛ تخرج على يديه الكثير من العلماء منهم إبراهيم بن بيحمان والشيخ يوسف بن حمو بن عدون، والشيخ بالحاج بن كاسي والشيخ بن دريسو وغيرهم كثير.

1-Zeys(Ernest), Op.Cit,P46.

2-معجم أعلام الإباضية، ج3، ص ص 533-534.

3-محمد بن الخيذر بن يوسف المليانى، المصدر السابق، ص16 .

4-قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج، المرجع السابق، ص ص 132-136.

-**الشيخ إبراهيم بن بيحمان:** ولد بمدينة بني يزقن أخذ العلم عن الشيخ أبي زكريا يحيى بن صالح وعن خاله الشيخ عبد العزيز الثميني، وهو من علماء النهضة الإصلاحية الحديثة بالمنطقة ولأجل ذلك كان دائم التنقل بين قرى الوادي للوعظ والإرشاد ومحاربة الجهل والبدع، فكان عالمًا وفيلسوفًا وشاعراً ورحالةً؛ له مع داي الجزائر حسن الدولاتلي مراسلات وشكاوى بسبب محاولات صالح باي ضم ميزاب إلى ولايته سنة 1791م، من أشهر مؤلفاته نذكر: " مختصر المناسك ومهذب المسالك " " الجواهر الثمينة "،" شرح موازين" القسط لأبي مهدي عيسى ابن إسماعيل، " الرحلة الحجازية "، " تلخيص عقائد الوهبية في نكتة توحيد خالق البرية "؛ وعدة قصائد. توفي عام 1817[1].

-**الشيخ بالحاج بن كاسي:** هو بالحاج بن كاسي بن امحمد القراري المعروف بالشيخ بالحاج ولد بالقرارة عام 1718م، كان والده كاسي بن محمد شيخ مسجد القرارة[2] والشيخ الثالث لوادي ميزاب، أخذ العلم عن أبيه كاسي بن محمد وتتلمذ على يد عبد العزيز الثميني[3] رجع إلى القرارة مع بداية القرن 19 م؛ شرع في إصلاح المجتمع لكنه واجه معارضة شديدة من أصحاب الجهل والخرافات لذلك حاولوا قتله فهاجر إلى العطف التي واصل فيها جهاده، ترك بعض الجوابات المطولة إلى أهل عمان نثرا وشعرا وبعض القصائد كـ " القصيدة الرائية "، توفي عام 1827م وفي رواية أخرى تقول أنه توفي سنة 1819م[4]. حَفَظَت لنا بعض الوثائق والمخطوطات بعض أسماء علماء المالكية في القرن الثامن عشر ومن أبرزهم:

1-معجم أعلام الإباضية، ج2، ص ص 23-24.

2-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.2، ص 110.

3-معجم أعلام الإباضية، ج2، ص 160.

4-نفسه ص 161.

– **منصور بن الطيب:** هو علي بن منصور بن الطيب والمعروف بـ "مول البغلة" كان عالمًا وكاتبًا وداعيًا إلى الصلاح، وهو من العلماء الذين كانوا يدعون دائما إلى الصلح حينما تحل الفتنة بالمنطقة، وقد حفظت لنا الكثير من الوثائق حضوره لجلسات الصلح بين أعراش المنطقة كعقد الصُلح الذي تم في 1771م، وعقد الصلح بين الزناخرة والأرباع وأهل بريان، وترك لنا بعض المخطوطات كمخطوط" بيان من عمر في وادي ميزاب" وحين ذلك كان له من العمر 118 سنة أي أنه ولد عام 1691م. اهتم بكتابة التاريخ المحلي بالمنطقة كان رجل يقرأ القرآن العظيم ويسأل أرباب العقول ويكتب بيده وكان ثقة وقد عاصر كثيرا من أعيان ميزاب[1].

أما في القرن التاسع عشر قد برزت مجموعة من العلماء الذين واصلوا مسيرة الإصلاح والتعليم من جهة، ومكافحة المستعمر من جهة أخرى؛ ومن أشهر علماء هذا القرن من الإباضية نذكر:

–**الشيخ الحاج سعيد بن يوسف وينتن:** المعروف باسم بالحاج سعيد آن بافو من شيوخ بني يزقن، أخذ العلم عن الشيخ الحاج يوسف بن حمو لم تذكر المصادر تاريخ ميلاده بالتحديد في هذا القرن أخذ العلم ببلدته عن الشيخ أبي يعقوب يوسف بن حمو بن عدون، ثم انتقل إلى تونس لتعلم العلوم العقلية والنقلية، ثم رجع إلى ميزاب حوالي سنة 1870م[2] فتولى التدريس والوعظ والإرشاد فتح بداره معهدا لتعليم التلاميذ، كان صاحب كلمة حق؛ تشبه أفكاره أفكار القُطب اطفيش في مسائل الفقه لذلك قرر أهل مدينته نفيه إلى بنورة مع أهله لمدة سبعة أعوام، كان من السياسيين

1–محمد بن الخيذر الملياني، المصدر السابق، ص4.

2–معجم أعلام الإباضية، ج3، ص ص 387–388.

المحنكين في وقته ومن الذين يرجع إليهم في عهد الإستعمار الفرنسي لاتخاذ المواقف والقرارات[1] توفي سنة 1879م[2].

-**الشيخ حمو بن باحمد بكلي:** تذكر المصادر أنه حي في 1884م ،عالم من مدينة العطف أخذ العلم عن الشيخ عمر بن سليمان نوح ترأس مجلس العزابة؛ هناك[3] تتلمذ على يد الشيخ عبد العزيز الثميني، المتوفى سنة 1808م ما يعني أنه أخذ العلم عنه مع نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر أو ربما ولد أواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن الموالي حتى يتتلمذ على يديه بدءًا من عمر السبع سنين فما فوق نُصِب بإجماع وادي ميزاب إمامًا للدفاع لرد هجومات المقاوم محمد بن التومي بوشوشة شهر سبتمبر 1871م[4]-24جمادى الاخرة1288هـ، يعتبر من مؤسسي "دار ايروان" بالعطف درس بمسجد أبي سالم إلى أن وقع في خلاف مع العزابة فاعتزل المسجد سنة 1882 م سافر إلى البقاع المقدسة عام 1883م؛ وأثناء عودته توفي في الطريق[5].

-**الشيخ محمد بن سليمان بن دريسو:** ولد ببني يزڤن عام 1831م أخذ العلم عن الشيخ عمر والحاج وعن القُطب اطفيش، أصيب بالعمى منذ صغره وكان من أنصار الإصلاح ومحاربة الفساد، فكان من نصيبه النفي إلى بنورة رفقة القُطب[6] وهناك فتح دار للتدريس؛ ترك عدة مؤلفات في العقيدة والفقه والتفسير واللغة العربية ومن أبرزها: "شرح نونية أبي نصر فتح بن نوح " في العقيدة و" شرح رائية أبي نصر في الصلاة" و"ألفية ابن مالك" في النحو، و"الذهب الخالص" وهو مختصر لكتابي الطهارات

1-معجم أعلام الإباضية، ج3، ص 388.
2-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.2، ص 140.
3-معجم أعلام الإباضية، ج2، ص 253.
4-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.2، ص 142.
5-معجم أعلام الإباضية، ج2، ص 254.
6-نفسه ج4، ص 794.

والصلاة من "ديوان الأشياخ والفرات في إيضاح هدية الإخوان في الميراث" و"مسلك الذهب في الجوهر" و"الدرر المهذب" وهو نظم لكتاب النيل للثميني وغيرها ، توفي بمسقط رأسه سنة 1896م [1].

-الشيخ قُطب الأئمة محمد بن الحاج صالح بن يوسف اطفيش: هو محمد بن يوسف بن عيسى بن صالح بن عبد الرحمان بن عيسى ابن إسماعيل بن محمد بن عبد العزيز بن بكير الحفصي من أشهر علماء المنطقة في العصر الحديث والمعاصر، ولد سنة 1821م بغرداية، تلقبت أسرته بلقب اطفيش وتعني بالميزابية "خذ تعال كل" وربما هو كناية عن الكرم والجود. اشتهر الشيخ اطفيش بلقب "قُطب" وأصبح مقصورا عليه فقط كونه مرجعًا للإباضية بوقته ولا يزال[2]، والده الشيخ الحاج يوسف يعد من الشخصيات البارزة بالوادي صاحب حق في الإصلاح الإجتماعي لذلك وقع في خلاف مع وجهاء بلدته فنفي إلى غرداية، توفي وابنه لم يتجاوز 5 سنواتٍ؛ والدته هي ماما ستي بنت الحاج سعيد بن عدون من عائلة يدر ببني يزجن[3]، أخذ بعض علومه عن أخيه الأكبر إبراهيم[4]؛ ثم حفظ القرآن وهو ابن ثمان سنوات، لازم حضور حلقات العلم، في بني يزقن كحلقة الشيخ عمر نوح[5] وحلقة الشيخ سليمان بن عيسى، كما حضر دروس حلقة الشيخ بابا بن يونس[6]، ثم واصل مشوار التحصيل العلمي بقراءة المصادر والكتب واشترى ونسخ الكتب حتى تجمعت

1-معجم أعلام الإباضية، ج4، ص ص794-796.

2-مصطفى بن الناصر وينتن، المرجع السابق، ص ص 23-24.

3-بكير بن سعيد أوعوشت، قُطب الأئمة العلامة محمد بن يوسف اطفيش، حياته.أثاره الفكرية. جهاده، المطبعة العربية، غرداية الجزائر 1989م، ص 63.

4-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.2 ص 177.

5-الشيخ بن سليمان نوح (ت.1875م) من مشايخ بني يزقن كان قاضيا في بلدته وفتح دارا للتدريس بها، تخرج على يديه الكثير من الطلبة ودرس ببلدة مليكة. ينظر: معجم أعلام الإباضية، ج3، ص 643.

6-بابا بن يونس الغرداوي، من مشايخ غرداية، تولى التدريس والإفتاء والوعظ بالمسجد (ت.أواسط 1863م). ينظر: معجم اعلام الإباضية، ج2، ص 145.

بين يديه مكتبة ثرية تضم شتى العلوم[1] ورغم صغر سنه فقد اعترف له شيوخه بالقدرة على التدريس ولم يتجاوز العشرين سنة، ومنذ أربعينيات القرن التاسع عشر أخذ محمد بن يوسف يدخل الحياة العامة عن طريق التدريس، حتى طار صيته خارج الوادي والوطن[2]؛ دخل حلقة العزابة غَاسَلاً للأموات نفي إلى مدينة بنورة ومكث بها حوالي عشرة سنوات بسبب نشاطه الإصلاحي والاجتماعي[3]. زار بعض المدن الجزائرية كبوسعادة وقسنطينة وسطيف والجلفة وعنابة وقصر البخاري، وقد أدى فريضة الحج مرتين[4]؛ الأولى كانت في العقد الأخير من القرن الثالث عشر هجري حوالي سنة 1260هـ، والثانية سنة 1886م[5]، حيث التقى بالمدينة المنورة ببعض علمائها في لقاء للمعرفة توقف خلال عودته بجامع الزيتونة وتوقف أيضا بجبل نفوسة[6]، وعند رجوعه واصل العمل الإصلاحي رغم تصدي معارضة قوية وطويلة له؛ وهذا يرجع إلى البيئة التي عاش فيها الشيخ وإلى الظرف الزماني الذي جاء فيه فهو ظرف تراكمت فيه مخلفات عهود من الركود والجمود والإبتعاد عن معين العقيدة والشريعة، إضافة إلى يد الإستعمار الذي استغل الظرف وهو ما جعله يحارب على جبهتين؛ المعارضة وفرنسا التي عملت على زيادة شقة الخلاف بينهم،ا بسبب كثرة نزاعاته واستعانة بعضهم على بعض بالإستعمار من أجل مصالحهم، وقد صادف دخول الإستعمار إلى الجزائر وهو شاب في ريعان عمره؛ وقد تألم وتحسر لذلك ومنه امتداد زحف المستعمر إلى الصحراء وخاصة بعد احتلال الأغواط، أين هم بالزحف على وادي ميزاب عبر طريق عرض الوالي العام راندون، على جماعات بني ميزاب

1-قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج، المرجع السابق، ص 142.

2-أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج3، ص 266.

3-مصطفى بن الناصر وينتن، المرجع السابق، ص 27.

4-أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج3، ص 267.

5-مصطفى بن الناصر وينتن، المرجع السابق، ص 29.

6-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ص 179.

في رسالته المؤرخة يوم 24 جانفي1853-13 ربيع الثاني1269هـ. استعداده لتأمين تجارتهم وسفرهم عبر المناطق التي تم احتلالها إلى غاية التاريخ المذكور، مقابل خضوعهم لفرنسا ودفعهم لجزية معلومة مع لهجة التهديد[1]؛ وما شجع راندون على هذا الأمر إلا الإنقسام والخلاف الحاصل بين الساكنة في الوادي في إطار ما يعرف بالصفين وسلبياتهم وتقاعسهم عن واجب الجهاد[2]، فبعث تهديده وأمهلهم شهرين للخضوع لفرنسا وهنا انقسم بنو ميزاب إلى قسمين؛ قسم أيد استعداده للخضوع وقسم فضل المقاومة يتزعمه طلبة القرى[3]، ما أحدث حالة من الفوضى والبلبلة في الأراء بين محبذ للمعاهدة حفاظًا على العوائد والتقاليد وأمورهم الداخلية وهم أكثرية، وبين معارض لكل علاقة مع المحتل حتى ولو أدى الأمر إلى محو المنطقة، وعلى رأسهم القُطب اطفيش وكانت الغلبة للرأي الأول الذي اجتمع في مجلس وادي ميزاب بمسجد عمي سعيد واتفقوا على إيفاد جماعة من أعيان القرى السبع إلى الأغواط يوم 22 أفريل لإبرام المعاهدة، وتم عقدها مع النقيب دو باراي[4] Du barail باسم الوالي العام للجزائر راندون؛ فأغتاظ الشيخ اطفيش لهذا العمل وأنكرها على فاعليها وشنع بعملهم على منابر المساجد، ثم أعلن البراءة الإجتماعية منهم[5] وعندما احتلت فرنسا المنطقة في 1882م، كانت تخشى مناهضته لها حيث قاد حركة مقاومة سرعان ما استطاع الفرنسيون قمعها واعتقلوا الشيخ ووضعوه تحت الإقامة الجبرية[6]، ولما أطلق سراحه كان لا يتحرك بين مدن الوادي إلا بوثيقة ولم يثنه ذلك عن الرجوع عن أفكاره

1-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.2، ص 128.

2-مصطفى وينتن بن الناصر، المرجع السابق، ص 36.

3-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.2، ص 129.

4-دو باراي فرنسوا شارل: جنرال فرنسي ولد في فرساي عام 1820 م في سن التاسع عشر التحق بجيش المشاة بوهران خاض عدة معارك في الغرب الجزائري، تقلد عدة رتب العسكرية تمت ترقيته إلى قائد فرقة سنة 1853م تولى القيادة العليا لدائرة الأغواط، وفي عام 1873م أصبح وزير للحرب. ينظر:

Narcisse, Op.Cit.P P 33-34.

5- قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج، المرجع السابق، ص 162.

6-مصطفى وينتن بن الناصر، المرجع السابق، ص 39.

المناهضة لفرنسا؛ فاتجه إلى أسلوب آخر وهو تكوين جيل من التلاميذ يحملون روح معاداة فرنسا، وسخر التعليم والتأليف لهذا الأسلوب وواجه الإستعمار برسائله الاحتجاجية ومطالبته بحقوق الناس من ذلك مطالبته من الوالي العام لويس تيرمان سنة 1882م تخفيف الغرامة عن بني ميزاب[1]؛ وترك إيجارات أملاك الأوقاف في يد مساجد الإباضين، كما طالب القضاء الفرنسي حل نزاعات الأحوال الشخصية بين المتخاصمين عند الميزابيين[2] بتطبيق ما جاء في كتاب النيل وفق تعاليم الشريعة الإسلامية[3]، كما وجه قُطب عريضة احتجاج إلى الوالي العام جول كامبون[4] يعارض فيها أن يكون بيت المال وارثا مع ذوي الأرحام عند انعدام أصحاب الفروض والعصبة[5]، تخرج على يديه العديد من العلماء الذين كان لهم الأثر الفكري والاجتماعي في ميزاب وجربة وجبل نفوسة، لا نعرف عدد التلاميذ الذين درسهم منذ فتحه لمعهده يذكر المستشرق ل. دافيد "L.david" أنه درس ثلاث وثمانين طالبًا دون ذكر أسمائهم[6] أشهرهم الحاج صالح بن عمر لعلي وسليمان الباروني[7] وأبو إسحاق

1-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.2، ص 179.

2-الشيخ امحمد بن الحاج يوسف اطفيش، رسالة إلى الوالي العام لويس تيرمان، 01 نوفمبر1882، نسخة بحوزتي من مكتبة الاستاذ محمد أيوب الحاج سعيد، الرقم في الخزانة12، الرقم في الفهرس 105.

3-أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج3، ص ص 268-269.

4-هو جول مارتن كامبون Jules Martin Cambonعين حاكم عام للجزائر ما بين1891-1897. ينظر: عمار بوحوش، المرجع السابق، ص574.

5- يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.2، ص 179.

6- Louis David ,Op.Cit .P 5.

7-ولد بجادو في نفوسة بليبيا سنة 1873م، حفظ القرآن الكريم انتقل على جامع الزيتونة سنة 1887م ثم توجه إلى الجامع الزهر عام 1892م ثم قدم إلى وادي ميزاب ليدرس عند الشيخ اطفيش سنة 1895م أنشأ بمصر مطبعة الأزهار البارونية عام 1906م قاوم الإستعمار الإيطالي بليبيا اهتم بالحياة الفكرية والسياسية، أسس جريدة الأسد الإسلامي عام 1906م وجريدة الباروني عام 1913م، أهم مؤلفاته تعليقات على سلم العامة والمبتدئين ومختصر تاريخ العائلة البارونية، والأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، توفي بالهند شهر ماي 1940م. ينظر: معجم أعلام الإباضية، ج3، ص ص 426-430.

إبـراهيم بـن الحـاج محمـد بـن الحـاج إبـراهيم بـن يوسـف اطفـيش[1] والشـيخ أبـو اليقظـان إبـراهيم بـن عيسـى حمـدي[2]، كتـب العديـد مـن المواضـيع فـي التفسـير والحـديث الشـريف والسـيرة والفقـه وأصـوله والتوحيـد وعلـم الكـلام والفلسـفة والتـاريخ والسـير واللغـة العربيـة وعلومها والمنطق والوعظ وغيره.

ففـي التفسـير تـرك لنـا "هيمـان الـزاد إلـى دار المعـاد" ألفـه سـنة 1882 م "وتيسـير التفسـير"، وفـي الحـديث والسـيرة النبويـة نجـد" ترتيـب الجـامع الصـحيح" و"جـامع الشـمل فـي حـديث خيـر الرسـل" و" الغسـول مـن أسـماء الرسـول". وفـي التوحيـد وعلـم الكـلام ألـف كـل مـن: " شـرح عقيـدة التوحيـد وحاشـية القنـاطر" و" إزهـاق الباطـل بـالعلم الهاطـل" و" إن لـم تعـرف الإباضـية يـا عقبـي"، وفـي الفقـه وأصـوله نجـد الجـامع الصـغير و"حيـى علـى الصـلاة " و" حاشيـة شـرح الرائيـة فـي الصـلاة "، و"فـتح الله "، و" شـرح كتـاب النيـل وشـفاء العليـل" و" الـذهب الخـالص المنـوه بـالعلم القـالص" . أمـا فـي اللغـة العربيـة وعلومهـا نجـد قصـيدة " الغريـب" وهـي نضـم المغنـي لابـن هشـام[3]؛ وهـي أرجـوزة تحتـوي

1-مـن أبـرز تلاميـذ القُطـب ولـد عـام 1886م ببنـي يـزقن، تعلـم أولا علـى بعـض أهـل العلـم ثـم دخـل حلقـة الشـيخ وبعـدها توجـه إلـى تـونس حـوالي 1917م نشـط ضـمن الحركـة الوطنيـة فـي تـونس، نفتـه السـلطات الفرنسـية إلـى مصـر ثـم عـاد مـن جديـد إلـى نضـاله السياسـي ونشـاطه الفكـري، أصـدر مجلـة المنهـاج، دافـع فـي عـدة مناسـبات عـن البلـدان الإسـلامية المسـتعمرة مـن أهـم أعمالـه، مجلـة المنهـاج 1925م وتحقيقـه لمجموعـة مـن الكتـب منهـا: تحفـة الأعيـان لسـيرة أهـل عمـان للسـالمي وثلاثـة أجـزاء مـن كتـاب شـرح النيـل وشـامل الأصـل والفـرع للقُطـب وكتـاب الدعايـة إلـى سـبيل المـؤمنين ومـوجز تـاريخ الإباضـية والفـرق بـين الإباضـية والخـوارج وغيرهـا، تـوفي سـنة 1965م بمصـر ودفـن بهـا. ينظـر: معجـم أعـلام الإباضـية، ج2، ص ص 44-48. وكـذا : مصـطفى وينـتن بـن الناصـر، المرجـع السـابق ص ص 59-60.

2-إبـراهيم بـن عيسـى حمـدي أبـو اليقظـان، ولـد بـالقرارة شـهر نـوفمبر 1888م تلقـى تعليمـه الأول فـي بلدتـه ثـم انتقـل إلـى بنـي يـزقن لتلقـي العلـم علـى يـد الشـيخ القُطـب ليتوجـه بعـد ذلـك إلـى تـونس عـام 1912م تـرأس أول بعثـة علميـة جزائريـة ميزابيـة لتـونس ثـم عـاد إلـى القـرارة وأسـس دارا لتعلـيم القـرآن ويعتبـر شـيخ الصـحافة الجزائريـة، أنشـأ ثمـاني جرائـد وطنيـة هـي: وادي ميـزاب، ميـزاب، المغـرب، النـور، البسـتان النبـراس، الأمـة، الفرقـان، الـف حـوالي سـتون كتابـا نـذكر منهـا: سـلم الاسـتقامة وسـليمان باشـا البـاروني وتـاريخ صـحف الجزائـر العربيـة تـوفي بـالقرارة عـام 1973م. ينظر: معجم أعلام الإباضية، ج2، ص ص 52-56.

3-أبـو محمـد عبـد الله جمـال الـدين بـن يوسـف يـن أحمـد بـن عبـد الله بـن هشـام الانصـاري، ولـد بالقـاهرة عـام708هـ/1309م ،تتلمـذ علـى يـد عبـد اللطيـف بـن المرحـل وعلـى ابـن السـراج وعلـي أبـي حيـان وحضـر دروس=

على 5000 بيت وهو أول تأليف للقُطب، و" بيان البيان والكاف في التصريف ". في التاريخ نجد: " كشف الغمة" و" الإمكان في ما جاز أن يكون أو كان" و" الرسالة الشافية في بعض تواريخ أهل ميزاب"[1]، وفي المنطق: " إيضاح المنطق في بلاد المشرق" و" شرح رسالة الوضع" وغيرها من المؤلفات في فنون مختلفة، توفي بعد أن قضى قرابة قرن من الجهاد العلمي والإصلاح الاجتماعي سنة 1914م[2].

أما أهم علماء المالكية الذين لعبوا دورًا هامًا في دعوة المجتمع للعودة إلى طريق الحق والابتعاد عن الضلالة؛ وخلفوا كتابات محلية شكلت إحدى حلقات التاريخ المحلي في المنطقة في الفترة الحديثة والمعاصرة نذكر من بينهم:

-**محمد بن سليمان شتيوي:** هو محمد بن شتيوي بن سليمان بن عبد الله بن عمر بن أحمد العريف[3]، ينتسب إلى قبيلة الشرفة بالقرارة ، لم نعثر له على ترجمة سواء في كتب السيرة أو كتب التاريخ المحلي التي تحدثت عن وادي ميزاب، اشتغل بالتوثيق وكتابة العقود تعرض للكثير من الضغوط داخل بلدته، نتيجة الأوضاع التي ميزت القرارة خصوصا بعد النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وانقسام البلدة إلى صفين متعاديين بعد أن احتل الرائد دو باراي القرارة في عام 1853م، عين يحيى بن كرواية قائدا للصف الشرقي وبوباكر بن كاسي قائدا للصف الغربي[4] ما دفعه إلى

=التاج التبريزي، انفراد بالفوائد الغريبة والمباحث الدقيقة والاستدراكات العجيبة والتحقيق البارع والاطلاع المفرط ،خلف مصنفات كثيرة منها: "الاعراب عن قواعد الاعراب" و" الالغاز" و" أوضح المسالك الى ألفية ابن مالك" و" التحصيل والتفصيل" و" شرح الشواهد الصغرى " و" شرح الشواهد الكبرى " و " مغني اللبيب عن كتاب الاعاريب " و " موقد الاذهان وموقظ الوسنان" ، توفي سنة760هـ/1360م .ينظر: ابن هاشم الانصاري ، مغني اللبيب عن كتاب الاعاريب ، تح. محمد محي الدين عبد الحميد، ج.1، المكتبة العصرية، بيروت،1991م، ص ص 07-11.

1-مصطفى بن الناصر وينتن، المرجع السابق، ص ص 69-76.

2-معجم أعلام الإباضية، ج4، ص ص 835-848.

3-محمد بن سليمان شتيوي، المصدر السابق، ص 337.

4-نفسه ص321

مغادرة البلدة والتوجه إلى منطقة العلية ومن ثم إلى تونس، ومما يروى عن الشيخ ورعه وحفظه كتاب البخاري والموطأ، وقد اشتغل بإمامة المصلين وخطابة المسجد العتيق الذي تأسس في النصف الأول من القرن 19م وذلك لمدة أربعين عامًا[1]، من أهم مؤلفاته مخطوط تاريخنا على بدع القرارة، ونسخ مخطوط تقييد بيان من عمر واد ميزاب. وخلف بعض القصائد الدينية كقصيدة بقيعة السراب في فتق الحجب للوصول للملك الوهاب سنة 1888م؛ بالإضافة إلى فتاوى فقهية في بعض المسائل الفقهية توفي عام 1896م[2].

-**العالم الشيخ " جموعي لعروسي**" : هو الزين بن محمد الشاذلي الجموعي التوزري كان حي سنة 1860م الفقيه الأديب الشاعر، درس العلوم التقليدية ببلدة توزر منها " شرح الدردير على مختصر خليل في الفقه المالكي" [3]، قَدِمَ الى غرداية بعد طلب من الجماعة المشرفة على المسجد العتيق لحي " بني مرزوق " وسط المدينة وذلك نهاية القرن التاسع عشر، حيث تولى الأمامة في هذا المسجد والوقوف على شؤون المدرسة التابعة له . تتلمذ على يديه نخبة من أبناء المنطقة نذكر منهم: الشيخ " الحاج عبد القادر الزغيدي " ، والشيخ " زيان الحاج علي " ، والشيخ " الحاج محمد الجدع " وغيرهم، ومعهم انطلقت أول بعثة من أبناء المناطق الجنوبية اتجاه جامع الزيتونة

1-حماني أحمد التيجاني، المرجع السابق، ص 34.

2-نفسه ص 35.

3-محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين،ج 2. ط.1، دار الغرب الإسلامي بيروت، 1928، ص61.

بتونس لاستكمال دراستهم سنة 1926م[1]. من أهم مؤلفات الجموعي "مقامات" و"المقصد السامي والمورد العذب لكل ظامي تكميل شرح الأمام الشامي"[2].

-محمد طاهر بن عمارة شوشان: هو العلامة الشيخ الشّريف محمد الطاهر شوشان بن عمارة الجريدي ، ولد بتوزر في الجنوب التونسي سنة 1875م، تعلّم أول الأمر في زوايا الإشراف بموطنه الأصلي فأخذ معارفه الأولية، من حفظ للقرآن الكريم ومبادئ الشريعة الإسلامية ودروس العربية في مسقط رأسه، ثم توجه إلى جامع الزيتونة لإكمال دراسته حيث تبحر في العلوم الدينية والأدبية ثم تعرّف على خيرة علماء عصره بتونس؛ فدرس عليهم وأحكم كثيرا من الفنون كالأصول والمنطق والجدل والفقه المالكي والفرائض والحساب والتاريخ ، والنحو، ثم شدّ الرحال بعد ذلك إلى الجزائر قاصدًا الجنوب الشرقي؛ أين استقر به المقام بالعالية بمدينة تقرت[3]، فكان فقيهًا ومفتيًا حتى صار مرجعًا في الفقه وعلم الفرائض والأدب وغيرها من العلوم المختلفة، جمع مئات الكتب ونسخ بعضها وكان يتردد على الزاوية التيجانية تماسين بتقرت والعلية، توجه بعدها إلى التدريس بجامع الشرفاء والجامع العتيق بالقرارة حضر دروس الشيخ بيوض إبراهيم. كان في احتكاك ثقافي وعلمي بعدد من علماء زمانه كالقُطب اطفيش والأمام محمد بن شتيوي والعالم الشيخ عبد الرحمان النايلي من مدينة مسعد، وكانت له معهم مناظرات في تبادل الآراء حول بعض المسائل

1-لقاء مع الشيخ العالم الحاج الاخضر الدهمة، المولود عام 1926م بمتليلي، أحد العلماء الاجلاء درس بجامع الزيتونة بتونس، عاد بعدها للتدريس في غرداية، ونتيجة نشاطه التربوي والاصلاحي والوطني تعرض للكثير من الضغوط من طرف الفرنسيين محاولين ثنيه عن القيام بمهامه التربوية والاصلاحية، ألف الكثير من الكتب نذكر منها: قطوف دانية من سور قرانية في عدة أجزاء، وعدة محاضرات مسجلة، اللقاء تم في 15 أكتوبر 2015م على الساعة العاشرة صباحاً.

2-محمد محفوظ، المرجع السابق، ص61.

3-فرحات الاخضري، العلامة المصلح الشيخ الشّريف محمد الطاهر بن عمارة شوشان و جهوده العلمية والأدبية مجلة الذاكرة،ع.2 ، جامعة ورقلة،2012م، ص 5.

الفقهية[1]وفضلا عن الدروس الدينية اليومية والتي كانت لعموم الناس وفضلا عن الإجتماعات الدورية، فقد وقف العلامة محمد الطاهر بن عمارة في وجه المستعمر، ومخطّطاته الجهنمية الرامية إلى عزل الجزائريين عن محيطهم الخارجي، حتى لا يتأثّروا بالحركات المقاومة في الوطن العربي ،كما استطاع و بفضل جهوده التنويرية التوعوية بثّ روح الوطنية فيهم وكذا من خلال تسهيلاته لأبناء المنطقة عمليات الإتصال بتونس الشقيقة من أجل التحصيل العلمي والتكوين القومي، لعب دوراً مهماً في الوقوف بكل شجاعة في وجه المخطّطات الاستدمارية الرّامية إلى تفريق الجزائريين. وذلك من خلال العمل على التّقريب بين أتباع المذهبين المالكي والإباضي؛ مراعاة للوحدة الوطنية وللمصالح المشتركة لأبناء الجهة الواحدة من خلال التنصيص والتذكير في كلّ فرصة بأنّ المذهبين غير متباعدين في الرّؤية، وأن ما يجمع أبناء الأمة الواحدة أكثر مما يفرقهم[2]؛ فكان يعمل بكلّ ما في وسعه لقطع الطّريق على المخططات الفرنسية الهادفة إلى تسميم العلاقات بين إتباع المذهبين وتقسيمهم وجعلهم أعداء لبعضهم البعض في كلّ مرّة. توفي سنة 1946 م بمدينة القرارة[3].

-**الشيخ "سليمان البرادعي"**(المكنى مولاي سليمان رحمه الله) يعود أصله الى المغرب الأقصى كان حي نهاية القرن التاسع عشر ميلادي، ومن أجل إحياء العلوم وتنوير المجتمع تم استقدام الشيخ العالم " محمد السوسي" من بلاد " السوس" المغربية، وقد تتلمذ على يديه نخبة من الطلبة من بينهم :الحاج محمد كديد والحاج علي بن الذيبه اللذين تتلمذ على يديهما نخبة من الشيوخ الأجلاء منهم : الحاج لخضر الدهمة والحاج عمار مولاي إبراهيم، والحاج عبد السلام مولاي لخضر، والحاج موسى بن

1-حماني أحمد التيجاني ، المرجع السابق، ص ص 189-190.

2-فرحات الاخضري، المرجع السابق، ص 7.

3-حماني أحمد التيجاني، المرجع السابق، ص ص 189-190.

كديد والحاج حمد محجوب وغيرهم[1]، والشيخ سليمان سيدي محمد القيرواني:1821م-1903م، والحرمة بن أحمد والشيخ محمد بن التومي البوحميدي[2].

-**الشيخ بن زيان بوحميدة بن إسماعيل:** ولد ببلدة ضاية بن ضحوة في حدود سنة 1870م ، نشأ في أسرة علم فقد كان والد إسماعيل(1803-1901) خريج الجامع الأزهر وفاس، كان إماما ببلدته ترعرع الشاب في كنف الإهتمام العلمي حتى ذاع صيته فقصده العامة والخاصة لطرح تساؤلاتهم وحل مشاكلهم، تفقه في الفقه والفلك والحساب والسير والأنساب، كان كثير الإنتقال بين بلدته وغرداية مدرسًا وواعظًا وقاضيًا ومصلحًا واجه مسائل الأباء البيض في التنصير رغم التهديدات التي كان يتعرض لها، فقد روي عن ابنه في هذا الشأن:"...أنّ رئيس الرهبان رفع في وجهه المسدس مهددا إياه بالقتل بدعوى بأنه يؤلب عليه شبابًا كان يحاول تنصيرهم فما كان جواب زيان إلا أن قال: أنت حر في جلب الناس إلى دينك وأنا أيضا حر في جلب الناس إلى ديني وهم أحرار في اختيار أحد الطرفين فأفحم الراهب وانصرف عنه الشيخ تاركا إياه يتلظى في حسرة"[3]. ترك مخطوطات علمية حافلة بالمعارف ولكن مداهمات المستعمر المستمرة لمنازل الوطنيين قد أجبرت عائلته على حرق هذه

1-لقاء مع العالم الشيخ الأخضر الدهمة، اللقاء تم في 15 أكتوبر 2015م.

2-الأرجح أنه سيدي أمحمد بن التومي البوحميدي، كان عالمًا وشيخ القبيلة، وكان يقيم بضاية بن ضحوة. قاوم الإستعمار الفرنسي، حال دون استيلائه على أراضي المذابيح بالضاية. سجن بالأغواط مدة ستة أشهر عام 1868م. ينظر: جمعية أعيان العرش للماية، مدونة أشغال الملتقى الأول لتاريخ منطقة للماية وعرش المذابيح للماية،9-10جويلية 1998 ، الأغواط ، ص21 . يقال إنه توفي سنة1892م.

3-جمعية أعيان عرش للماية، المرجع السابق، ص 29.

المخطوطات ما جعل أهل العلم يمنعون من التزود من هذه المعارف التي كتبها في الفلك والحساب والأنساب وغيرها، توفي في فيفري سنة 1939م[1].

- **الشيخ الطاهر بن أحمد بن عيسى (السهلي):** الطاهر بن أحمد بن عيسى من مواليد 1885م بضاية بن ضحوة، حفظ القران العظيم عن شيخه سي السعيد بسوق أهراس خريج إجبالة بالمغرب، قرأ الفقه واللغة والمنطق والتاريخ على الشيخ سيدي محمد بن عبد القادر اليوسفي التاجروني، صار فيما بعد فقيه ومفتي البلدة[2].

3-حركة التأليف: لقد عرفت المنطقة مع عهد الإصلاح والتنوير بوادر حركة التأليف التي شملت مختلف نواحي المعرفة خصوصًا مع النصف الثاني من ق. 19 م مركزين اهتمامهم على العلوم والفنون السائدة في عصرهم، إلا أن الملاحظة المبدئية التي يمكن الإشارة إليها أن علماء المنطقة وخصوصًا الإباضين قد خصوا العلوم الشرعية واللغوية باهتمام يفوق بقية العلوم الأخرى، مع أن هذا لا يعني أبدًا أنهم أهملوا بقية العلوم كالطب والفلك والحساب والتاريخ والتقاليد والتراجم، وقد تفطن العلماء أن هذه النهضة الجديدة لابد لها من مصادر علمية تستقي منها أحكامها ومعارفها وتكونت على أساسها الأجيال[3]. وقد تعامل العلماء مع العلوم المذكورة سابقا بثلاث تعاملات وهي:

-منهم من اشتغل بتدريسها.

-ومنهم من اهتم بالتأليف فيها.

-ومنهم من أولع بشرائها ونسخها حتى يستفيد منها من جهة ويجعلها في متناول غيره من جهة أخرى.

1-أحمد أولاد سعيد، علماء مسجد خالد ابن الوليد بمدينة غرداية ودورهم الريادي في العلم والوطنية، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، المركز الجامعي غرداية، ع.05، 2009م، ص ص 94-95.

2-جمعية أعيان عرش للماية، المرجع السابق، ص53.

3-قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج، المرجع السابق، ص 134.

بـدأت حركـة الإصـلاح والنهضـة العلميـة والإجتماعيـة فـي عهـد الشـيخ الأفضـلي مركـزًا علـى تعلـيم الأجيـال وتربيـة المجتمـع ومحاولـة تنبيهـه إلـى مـواطن الخطـأ فـي نمـط حيـاتهم فكانـت لبنـة أولـى فـي الطريـق الصـحيح، وهـذا الاشـتغال للشـيخ الأفضـلي فـي الإعـداد والإصـلاح حجبـه فـي التفكيـر عـن الكتابـة والتـأليف واهـتم بجمـع الكتـب التـي اعتمـدها كمـواد للتـدريس والتنـوير[1]. وقـد اعتمـد العلمـاء علـى أسـاليب مختلفـة لـذاك منهـا الشـرح أو التعليـق علـى النصـوص أو الاختصـار مـع التبسـيط فـي الموضـوع، وانطلاقـا مـن هـذه الاسـاليب التـي اتبعوهـا عـالجوا وأحيـوا الكثيـر مـن الموضـوعات، شـملت علـوم الـدين وعلـوم اللغـة. وأهـم هـذه المعـارف التـي كتـب وألـف فيهـا العلمـاء فـي حيـاتهم العلميـة نجد:

-**الفقــه** : يـأتي الفقـه فـي مقدمـة العلـوم التـي اهـتم بهـا الميزابيـون تأليفًـا، تدريسًـا، شـرحًا ونسـخًا، ففـي القـرن الثـامن عشـر ألـف الشـيخ عبـد العزيـز الثمينـي كتـاب " النيـل وشـفاء العليـل" ؛ عمـدة المـذهب الإباضـي فـي الفقـه[2] ويضـم 22 وعشـرون كتابـاً[3]، وقـد اختصـره ثلاثـة مـرات وشـرحه الشـيخ اطفـيش وطبـع فـي سـبعة عشـر مجلـداً كمـا أن بعـض أجزائـه ترجمـت إلـى عـدة لغـات[4]، إعتمـدت عليـه المحـاكم الفرنسـية فـي الجزائـر عنـد الحكـم بـين الميـزابيين، ويشـتمل كتـاب النيـل علـى اثنتـان وعشـرين كتابًـا فـي العبـادات والمعـاملات، وألـف أيضـا كتـاب "التكميـل لمـا أخـل بـه كتـاب النيـل" و" كتـاب المصـباح مختصـر أبـي مسـألة والألـواح"[5]. كمـا ألـف الشـيخ أبـي يعقـوب بـن يوسـف بـن حمـو بـن

1-قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج، المرجع السابق، ص 127.

2 -Zeys(Ernest), Législation Mozabite, PP45-49

3-عبد العزيز بن الحاج الثميني، المصدر السابق، ص 2.

4-معجم أعلام الإباضية، ج4، ص 534.

5-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.2، ص ص 108-109.

عدون (و.1745–ت.1836) في الفقه كتاب "مختصر كتاب الطهارات"، وشروحا وقصائد في الفقه[1] وهي العلوم التي درَّست للطلبة في المساجد والمعاهد فيما بعد.

أما في القرن التاسع عشر يأتي العلامة قُطب الأئمة الشيخ محمد بن الحاج يوسف في طليعة هؤلاء، وكانت الكتابة في هذا العلم أوسع مجالات تأليفه فقد ألف فتح الله وهو مؤلف في أصول الفقه وشرح مختصر العدل والإنصاف لأبي يعقوب يوسف الورجلاني[2]، والجامع الصغير وجامع الوضع لأبي زكريا يحيى بن الخير الجناوني[3]؛ والحاشية لأبي عبد الله محمد بن عمر بن أبي ستة[4]، ألفه في منفاه ببنورة سنة 1287هـ و1289هـ[5]، وشرح كتاب النيل وشفاء العليل وهو موسوعة في جامعة لآراء المذاهب الإسلامية يُقرِنُ فيها بين الأقوال معتمدًا على الحجة والدليل وأصبح هذا الكتاب معتمد الإباضية في الفقه[6]؛ وكتاب "الذهب الخاص المنوه بالعلم

1–معجم أعلام الإباضية، ج4، ص ص 1019–1020.

2–مصطفى بن الناصر وينتن، المرجع السابق، ص 73.

3–يحي بن الخير الجناوني (أبي زكريا) : عاش خلال القرن الخامس هجري/الحادي عشر ميلادي ، من علماء جبل نفوسة أخذ العلم عنابي الربيع سليمان بن أبي هارون مكث اثنتين وثلاثين سنة يطلب العلم إلى أن صار عالمًا فقيهاً أخذ عنه الكثير من العلماء منهم : أبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي وأبو زكريا يحي بن أبي بكر ،وأبو سليمان داوود ابن هارون ،خلف مجموعة من المؤلفات أشهرها "عقيدة نفوسة" و" كتاب الاحكام" و" كتاب الصوم " و" كتاب النكاح" و" كتاب الوضع". ينظر: معجم أعلام الإباضية، المرجع السابق، ج4، ص ص 957–958.

4–أبي عبد الله محمد بن عمر بن أبي ستة: هو محمد بن عمر بن محمد بن أحمد بن أبي القاسم بن أي ستة القصبي السدويكشي ولد سنة 1022هـ/1614– بجربة أخذ العلم عن والده وعن عمه، حفظ القران الكريم ولصل تعليمه بجامع الازهر سنة 1631م استقرا بها ثمان وعشرين سنة متعلما ثم معلما بالمدرسة الإباضية بالقاهرة ثم مدرساً بجامع الازهر عاد من القاهرة سنة 1658موترأس حلقة العزابة بعد وفاة شيخه عبد الله ين سعيد السدويكشي واصل رسالته التعليمية متنقلا بين مساجد الجزيرة، من أشهر مؤلفاته عبارة عن حواشي لأمهات الكتب الإباضية منها: "حاشية على كتاب قواعد الإسلام" و"حاشية على كتاب الوضع في الأصول والفقه" و"حاشية على كتاب مسند الربيع بن حبيب في الحديث" و" حاشية على كتاب البيوع" وله العديد من الأجوبة الفقهية. توفي سنة 1088هـ/1677م بمسقط رأسه. ينظر: معجم أعلام الإباضية، المرجع السابق، ج4، ص ص 815–817.

5–يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ص 183.

6–معجم أعلام الإباضية، ج4، ص 842.

القالص"[1]. وقد ترك الشيخ في هذا العلم ما يربو عن عشرين كتابًا[2]. كما برز في تأليف الفقه إبراهيم بن حفار القراري (و.1890- ت.1954م) في منظومة الحيض والنفاس ومنظومة الصيام وغيرها.

-**التفسير وعلومه:** أولى علماء المنطقة ومنهم الميزابيون اهتمامًا بالغًا لعلم التفسير فألفوا فيها واشتغلوا بتدريسه ومُدَارَستِه، فقد ألف الشيخ إبراهيم بن بيحمان (عبد الرحمان) كتاب سماه "أصداف الذر وأكمام الزهر الموضوعة على سورة العصر" تشمل تفسير سورة النور والعصر والفاتحة وكتاب "حاشية على تفسير أنوار التنزيل وأسباب التأويل" و"شرح موازين القسط" لأبي مهدي عيسى بن إسماعيل[3]، ومما ألفه الشيخ أبو يعقوب يوسف بن عدون في هذا المضمار" شرح البائية في الحكم والمواعظ "لأبي نصر فتح بن نوح وشرح "على الدعائم إلى الرضاع"[4]. كما ألف من بعد العلامة القُطب اطفيش "هميان الزاد إلى دار الميعاد" عام 1865م وطبع في زنجبار عام 1888م في 14 مجلداً، و" تيسير التفسير"، ومما ألفه الشيخ يوسف بن بكير حمو واعلي العطفاوي في علوم التفسير (و.1887-ت.1984) كتباً في تفسير القرآن الكريم وشرح كتاب " قواعد الإسلام" [5].

-**الحديث الشريف والسيرة:** لم يغفل علماء المنطقة التأليف في الحديث الشريف والسيرة العطرة، والسمة البارزة أنهم اهتموا به تأليفًا وتدريسًا وذلك لاهتمامهم بالفتوى والقضاء، ومن الذين ألفوا في هذا المجال عبد العزيز الثميني في " مختصر حواشي

1-مصطفى بن الناصر وينتن، المرجع السابق، ص ص 73-74.

2-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.2، ص ص 181-182.

3-معجم أعلام الإباضية، ج2، ص 23.

4-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.2، ص 111.

5-قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج، المرجع السابق، ص 179.

مسند الربيع ابن حبيب"[1] والشيخ إبراهيم بن بيحمان في "مجموع قصائد في معجزات الرسول وسيرته" ونذكر هنا أيضًا معجزات الرسول للشيخ أبو يعقوب بن يوسف عدون ولعل أكثر من ألف في هذا العلم هو قُطب الأئمة الشيخ اطفيش، في" كتاب ترتيب الجامع الصحيح " و"وفاء الضمانة لأداء الأمانة" في ثلاث مجلدات؛ طبع الجزء الأول سنة 1889 م بالمطبعة البارونية بمصر و"جامع الشمل في حديث خير الرسل" وطبع بنفس المطبعة سنة 1887 م، و"الغسول من أسماء الرسول"، و"شرح نونية المديح" وثلاثة قصائد في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرته؛ و"حاشية على مسند الربيع ابن حبيب"[2].

-**التوحيد وعلم الكلام والفلسفة:** أما التوحيد وعلم الكلام والفلسفة فهي العلوم التي برع فيها العلماء خلال هذه الفترة الزمنية، خلف فيها الشيخ الثميني كتاب " معالم الدين" في الفلسفة الكلامية وأصول الدين و"عقد الجواهر من بحر القناطر" في الفلسفة والأخلاق لم تجمع معارف هذه العلوم في كتب بل نجدها عبارة عن ردود للدفاع عن المشككين في الإباضية كرد على طاعن من مزونة للشيخ محمد بن الحاج أبي القاسم الغرداوي المصعبي المعروف باسم حمو والحاج (و.1635-ت.1716) بغرداية[3] وألف في القرن الموالي الشيخ اطفيش تأليف كثيرة في هذا العلم منها:" كتاب شرح عقيدة التوحيد" لأبي حفص عمرو بن جميع و" فتح الباب للطلاب باذن الملك الوهاب"، و" الحجة في بيان المحجة في توحيد بلا تقليد" و"حاشية القناطر"

1-هو الربيع بن عمر الأزدي الفراهيدي البصري ولد بإحدى قرى السهل الساحلي بودام في عمان سنة 75 هـ، نشأ بين عمان والبصرة وكان كثير التردد على مجالس العلم وحلقات الوعظ والتعليم بالبصرة تتلمذ على يد جابر بن زيد وبعد نبوغه أسندت له مهمة التدريس فكوّن جيلاً من العلماء توفي سنة 175هـ. ينظر: يوسف بن بكير أوعوشت، رجال خالدون في ذاكرة الإسلام، المطبعة العربية، غرداية، 1994م، ص 43.

2-قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج، المرجع السابق، ص ص 152-175.

3-معجم أعلام الإباضية، ج4، ص 760.

للشيخ إسماعيل الجيطالي[1] و"ازهاق الباطل بالعلم الهاطل"، و"إزالة الإعتراض عن محقي آل ايباض" وغيرها كثير. كما نجد تآليف الشيخ محمد بن سليمان بن صالح بن دريسو في كتاب" نظم عقيدة التوحيد" لعمرو بن جميع في 198 بيتاً، ومؤلف آخر بعنوان "البراهين القاصفة لتنويهات متتبعي الفلاسفة والقول الوجيز في كلام الله العزيز "[2].

-**اللغة العربية وعلومها:** لقد خص العلماء الميزابيون اللغة العربية باهتمام بالغ وبارز اذ تظم خزائن الوادي العديد من القصائد، والنظم، والأراجيز، فالمخطوطات اللغوية والأدبية بمكتبات غرداية يفوق عددها خمسة آلاف مخطوط أي ما نسبته ثلاث وثلاثين 33٪ [3] ؛ ومن أهم مؤلفات هذا العلم نجد كتاب "أهمية علم النحو" للثميني وأول تأليف للقُطب اطفيش كان " قصيدة الغريب" نظم مثن مغنى اللبيب "المغني" لابن هشام أرجوزة تحتوي على نحو 5000 بيت في النحو، و"بيان البيان في علم البيان وربيع البديع في علم البديع والكافي في التصريف" ، و" شرح لامية الأفعال" لابن مالك وكتاب "الرسم في تعليم الخط"، و"إيضاح الدليل إلى علم الخليل"[4].

وفي الأدب والشعر نجد الكثير من القصائد التي ألفت في هذه الفترة التي اتسمت بطابعها الديني والاجتماعي والثوري؛ كديوان نظم قصائد القُطب والقصيدة

1-إسماعيل بن موسى الجيطالي (ت.750هـ/1346م) عالم جليل ولد بجبل نفوسة تلقى علومه الأولى على يد العالمين أبو موسى عيسى ابن عيسى الطرميسي وأبي ساكن عامر الشماخي، ونتيجة جرأته في قول كلمة الحق تعرض لعدة ضغوطات ببلدته ، توجه بعد ذلك الى جزيرة جربة مدرسا بها، لقب بفيلسوف الإسلام خلف عدداً من المؤلفات أشهرها: "قناطر الخيرات" وهي بمثابة موسوعة فقهية وأخلاقية، وكتاب "الحساب وقسم الفرائض" و"شرح نونية أبي نصر في أصول الدين" و "قواعد الإسلام" وتذكرة النسيان وأمان حوادث الزمان" وغيرها من المؤلفات، توفي بنفس الجزيرة .ينظر: معجم أعلام الإباضية ،المرجع السابق،ج2، ص ص 112-114.

2-قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج، المرجع السابق، ص 175.

3-عاشور السرقمة، المخطوطات الأدبية بمكتبات وخزائن غرداية، واقعها وأهم أعلامها، الملتقى الوطني الثاني حول التراث العربي المخطوط بالجنوب الجزائري واقعه واعلامه، جامعة قاصدي مرباح ، ورقلة،2015م ص4.

4-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.2، ص 185.

الحجازية[1]، كما كان الشاعر قدور بن لخضر بن بيتور الذي ولد عام 1856م من أبرز شعراء الشعر الملحون في هذه الفترة، وله العديد من القصائد في الأخلاق والمدح وأشعار في الحكمة والصبر نذكر من بين قصائده:

صَبَرْنِي يَاقَلْبِي عَلَى هُمُومْ الزَمَانْ...وَلِلي مَاهُو صَبَارْ خَشْ بْحَرْ الذْنُوبْ

المَكْتُوبَـــة لِلْعَبدْ تَلْحْقُو وَيْن كَانْ .... تَقْدِير العَالِي مَا يْفِكْ مِنُو هْرُوبْ

والشاعر سيدي أحمد بن الحرمة، المولود بمدينة بريان سنة 1835م ولما بلغ سن الرابع عشر انتقل إلى الأغواط لمواصلة تعليمه على يد علمائها وفقهائها ومشائخها من بينهم الحاج بشير مقدم القادرية بالأغواط، انتشر شعره إلى باقي مناطق الجنوب واصفاً ذلك في احدى قصائده:

بِيَا مْحَبْتُو بِرَابِي حَوَاسْ.... سَمْعُوا امْدَايْحِي بَدْوِي أو دَشْرِة

خَطْ الجَرِيدْ عَمْرُو مِنِي كُرَاسْ...وَالأغواط شَيْعُو مَدْحِي لِلظَهْرَة

وكان شعره في نفس الوقت وسيلة قوية ومحكمة في نشر التربية الدينية والإجتماعية في ذلك العهد، كان يحب البادية وله إتصالات مع مقدمي الطريقة القادرية خارج الوطن وخصوصًا بمدينة نفطة التونسية، من أهم قصائده الدينية قوله:

الْفْ صْلاَةْ عَلِيكْ يَا أحْمَد بُوعْمَامَة...وَالْف اسْلاَمْ عَلِيكْ يَا نَبِينَا الطَاهِر

اشْفَع فِينَا يَا اشْفِيع يَومْ القِيَامَة .... لا تَهْدَانَا يَا الهَاشْمِي لِلْمَعَايِرْ

بَعْتِكْ رَبِي جِيْتْ لِلْعَرَبْ وَالعَجَامَا...مِنْ نُورِكْ الأَنْوَارْ شَمْسْ واقْمَر زَاهِر

1-قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج، المرجع السابق، ص 152.

ترك عدة قصائد ومدائح شعبية في شتى المواضيع، توفي عام 1924م بمدينة بريان[1]، كما ترك الشاعر صالح بن قاسم بن الشيخ المعروف باسم صالح الغرداوي(حي في 1280هـ/1864م) قصائد شعرية جاء في إحداها:

طَالَ وَهْجِي بِوَهْجَتِي وَبُكاءِ...مِنْ مُفَاقَدْتِي مَصَابِحُ الظُّلْمَاءِ

مَادَامَتْ الدُنْيَا تَدُومُ صَلاتِهِ...فِي كُلِّ يَومٍ بُكْرَةٍ وَمَسَاءِ[2]

-**التاريخ والسير والتراجم والرحلات:** لم يغفل علماء المنطقة هذا الجانب، وقد تنوعت كتبهم في هذه العلوم، وأبرزها تقييد في الأنساب لأصول بعض العائلات في بريان لابن نجمة[3] والرحلة الحجازية للشيخ إبراهيم بن بيحمان نثرًا ونظمًا سنة 1897هـ، كما ألف الشيخ أبو يعقوب يوسف حمو بن عدون تقييدات لأحداث وقعت بين 1698-1836 م، وقد ترك قُطب الأئمة تأليف بعنوان "الرسالة الشافية بعض تواريخ وادي ميزاب" التي طبعت سنة 1882م، وكتاب رسالة موسعة في تاريخ وادي ميزاب و"الإمكان في ما جاز أن يكون وكان" المطبوع سنة 1887م[4]. أما الشيخ حمو بن باحمد بابا وموسى فقد ترك رسالة في "مشاهد الصالحين في وادي ميزاب" و"سيرة العزابة"[5]؛ ومؤلف "تاريخنا على بدع القرارة" للشيخ محمد بن سليمان شتيوي سنة 1884، ويعتبر مخطوط "تقييد وبيان من عمر في واد مزاب" لصاحبه أحمد بن الخيذر بن يوسف المليانى من بين أقدم المؤلفات والتراجم التي كتبت حول المنطقة

1-عمار بن الحاج سعد مطلق، ديوان الشاعر أحمد بن الحرمة، دار سي العربي بن عكنون، الجزائر،2008، ص ص 45-46.

2-عاشور السرقمة ، المرجع السابق، ص 7.

3-أحمد بن الخيذر المليانى، المصدر السابق، ص3.

4-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.2، ص ص 110-186.

5-قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج، المرجع السابق، ص ص 177-178.

و" تاريخ أولاد سيدي يحيى في صحراء بريان" لنفس المؤلف، وتقييدات لأحداث وقعت بداية القرن التاسع عشر بالمكان.

-**التوثيق والتقييد:** إهتم الميزابيون بهذا المجال نظرًا لحاجتهم إليه في كتابة المواثيق والأرسام؛ لذلك وجدت تقاليد ومواثيق عديدة بالمنطقة منعت أخبارها من الزوال وتحتفظ بها خزائن ومكتبات الوادي، وقد أشار إلى ذلك العطفاوي قاسم بن أيوب حين قال: "...ويكتبون عندكم الرسوم والوصايا من بيع وشراء ونكاح وطلاق ..." [1] بالإضافة إلى مواثيق وعقود الصلح وحل الخلافات بين الأهلي من خلال المحكمة الشرعية الإباضية والمحكمة الشرعية المالكية التي تضمنت أخباراً محليةً مهمة.

-**الفلك والحساب** : تحتوي الخزائن الميزابية على الكتب الفلكية؛ وهو ما يفسر اهتمامهم بهذا العلم رغم الجمود الفكري الذي ميز المنطقة في أحد أزمنتها التاريخية ومع النهضة الإصلاحية والتعليمية التي مست المنطقة بداية القرن الثامن عشر ظهرت عديد التأليف منها ما خص علم الفلك والحساب كـ: كتاب "الحساب الفلكي والجمع على توالي الأعداد"[2]؛ و"مطلع الملك في فن الفلك" أو "مسلك الفلك" و"شرح للرسالة الفتحية في الأعمال الجيبية" لبسط المرديني و"شرح القلصادي"، و"شرح كشف الأسرار عن علم حروف الغبار في الحساب".

وما يلاحظ على مخطوطات وكتب هذه المكتبات والخزائن هو أنه توجد عليها ما يعرف بظاهرة "الشرح على الشرح"، فقد شاهدنا عدة شروح على كتاب أومتن واحد أو شرح على شرح، على مختلف جهات الورقة في الأعلى أو الأسفل أو على الجانبين وأخدت بعض الكتب شهرتها رغم أنها شرح على شرح بمعنى أنها قدمت تبسيطاً على ما يُشْكلُ فهمه للطلبة والدارسين لها.

1-قاسم بن أيوب العطفاوي، المصدر السابق، ص 57.

2-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.2، ص 109.

4-المكتبات والخزائن : لقد ساعدت حركة التأليف والنسخ وشراء الكتب في إيجاد الكثير من أمهات الكتب، سواء المنسوخة أو المؤلفة عبر فترات زمنية طويلة وازدهار حركة إقتناء الكتب وتبادلها بين علماء المغرب والمشرق بشكل ملفت للنظر خلال القرن التاسع عشر، وهي الحالة التي وصفها الرحالة عمر بن ادريس التنلاني ما وجده من اهتمام الإباضين بالخزائن والمكتبات إذ يقول"...وعندهم خزائن من كتب طالعت البعض منها..."[1]؛ ولم يكن من اليسير الحصول على الكتب المشرقية في شمال إفريقيا، كما لم يتيسر للجميع فرصة نسخ الكتب وتداولها بشكل موسّع، ورغم ذلك فقد توفر الإيمان بالمبدأ والإرادة والعزم الكبيرين عند الكثير من العلماء الأعلام وقد بذل بعضهم في سبيل تحقيق ذلك الغالي والنفيس؛ وهو ما أدى مع مرور الزمن إلى وجود عددٍ كبيرٍ من المكتبات والخزائن المحتوية على المخطوطات والنفائس وأمهات الكتب [2].

لقد كانت بمثابة الوعاء المعرفي للكثير من جوانب الفكر الإباضي بحكم تجذره لدى الجماعة بمنطقة وادي ميزاب منذ قرون، فمخطوطات التراث الإباضي لا توجد في كل مكان، بل في الغالب تتواجد في المناطق الآهلة بالإباضية مثل وادي ميزاب في الجزائر؛ وجزيرة جربة في تونس وجبل نفوسة في ليبيا وسلطنة عمان، وما يمكن الإشارة إليه أن لكل خزانة خصوصيتها وهي موزعة عبر قرى وادي ميزاب ويختلف عددها ومحتواها من قرية إلى أخرى، ففي هذه الفترة تعددت المؤلفات في العلوم

1-ادريس بن عمر بن عبد القادر التنلاني، المصدر السابق، ص2.

2-يحيى بن بهون حاج امحمد، تجربتي مع التراث الجزائري، جمعاً وتحقيقاً ودراسةً تحقيق حاشية سليمان الجربي نموذجاً، الملتقى الوطني الثاني حول التراث العربي المخطوط بالجنوب الجزائري، واقعه واعلامه، جامعة قاصدي مرباح ، ورقلة،2015م، ص 2.

الشرعية والعقلية وراجت حركة النساخة وانتشرت خزائن الكتب الخاصة والعامة ورصدت لها أوقاف يعود بيعها على ما يضمن حفظها وصيانتها[1].

وتشمل مخطوطات وكتب كثيرة ومتنوعة المواضيع ومنها ما هو خاص لأشخاص عن طريق الإرث أباً عن جد؛ ومنها ما هو ملك لمكتبات تابعة لمساجد القرى والكتب والخزائن التي وجدت فيها بدور التلاميذ والطلبة أخرى للمعاهد ومدارس وقد كان لأغلب علماء الفترة خزانة أو إثنين جمعوا بها ما وقع تحت أيديهم أو ما ألفوه وأشهر هذه الخزانات هي:

-مكتبة الإستقامة ببني يزقن، ومكتبة الشيخ عمي سعيد، وخزانة الشيخ محمد بن سليمان بن ادريسو، وخزانة الشيخ محمد بن عيسى ازبار، فهي حافظة للتراث الثقافي والحضاري للإباضية بالمنطقة، وتدل الإحصائيات على وجود كم هائل منها يتجاوز المئة 100 خزانة؛ ولا ندري كم كان عددها خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر منها العامة وكالتي تكون تابعة لمكتبات المساجد.

وقد ساعدت حركة الطلبة المستمرة من الوادي إلى البلاد المشرقية والمغربية في جلب أمهات الكتب منها، فقد كان شقيق إبراهيم اطفيش مولعًا باقتناء الكتب ونسخها وقد جلب الكثير منها من عمان ومصر إلى واد ميزاب[2]؛ وهو من تلاميذ عبد العزيز الثميني ارتحل إلى المشرق وبقي في الأزهر أربع سنوات، وتعلم فيها الكيمياء.

وأقدم خزائن الكتب الموجودة على مستوى الوادي يرجع تاريخ نشأتها إلى القرن العاشر هجري وهي:

1-يحيى بوراس، الحياة الثقافية في منطقة ميزاب خلال العصرين الوسيط والحديث، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع 17 المركز الجامعي غرداية، 2012، ص 138.

2-مصطفى بن الناصر وينتن، المرجع السابق، ص 46.

-مكتبة دار التلاميذ(ايروان) بغرداية : ويعود فضل نشأتها الى الشيخ سعيد بن علي الجربي (ت.927هـ) عندما هاجر من جربة واستوطن ميزاب وأشرف على نهضة علمية أتت ثمارا بعد سنوات من العطاء، وترك الكثير من نفائس الكتب التي يمتلكها في خزانة دار التلاميذ بغرداية، وتعتبر مكتبة ايروان للمسجد الكبير من أقدم المكتبات بالمدينة وتكمن أهميتها في كونها تضم عدداً ضخماً من المخطوطات؛ بحيث تضم 1303 مخطوطاً، ويعود أقدم مخطوط بها إلى القرن التاسع الهجري (أواخر شعبان سنة 889هـ) وهو كتاب ديوان الاشياخ الذي ألفه مجموعة من المشايخ بجبل نفوسة خلال القرن الخامس هجري، وهي بذلك تعتبر مبادرة مبكرة للمكتبات العامة بوادي ميزاب.

-خزانة الشيخ أحمد بن موسى الشهير بالشيخ الميغر ببلدة العطف " حي سنة 970هـ" فقد ترك خزانة تحوي نفائس الكتب في جميع الفنون النقلية والعقلية.

-خزانة الشيخ الحاج محمد بن سعيد؛ الشهير بالشيخ بالحاج ببني يزقن " ق.10هـ" تشير بعض التقاييد إلى أنه خلف خزانة كتب، وقد عثر على كتب عديدة نسخها خلال القرن 10هـ سواء في ميزاب أو في جربة عندما توجه للدراسة بها[1].

-مكتبة الإستقامة: تقع في إحدى أزقة سوق بني يزقن؛ وتظم نفائس كتب عبد العزيز الثميني وممن عاصروه من العلماء، تتكون المكتبة من خزانتين: الأولى هي خزانة عائلة الثميني والتي تتشكل من عدة خزائن لعلماء من عائلة الثميني وهي:

أ-خزانة ضياء الدين الشيخ عبد العزيز الثميني.

ب-خزانة الشيخ إبراهيم بن بحمان.

1-جهود مؤسسة الشيخ عمي سعيد بغرداية وتجربتها في حماية التراث المخطوط، د.ت، د.ط، ص 6.

ج-خزانة الشيخ محمد بن صالح الثميني، ومكتبة ثانية لبعض الخواص، وتكتسي المكتبة أهمية بالغة لاحتوائها على نوادر المخطوطات لأشهر عالمين عبد العزيز الثميني والشيخ اطفيش[1].

-مكتبة الشيخ آزبار: من المكتبات الغنية بنفيس الكتب، فقد إستفاد القُطب من الكتب التي تركها ممن سبقوه اقتناء وتأليفًا واستطاع أن يستفيد منها أكثر لما صاهره وتزوج ابنته[2] .

-مكتبة قُطب الأئمة الشيخ اطفيش: مكتبة كبيرة تحتوي على نوادر ونفائس الكتب والمخطوطات التي جمعها خلال حياته العلمية [3]، فقد ضم إليها ما وجده من تأليف في المكتبات التي سبقت عهده أو التي عاصرته بعد أن اطلع على مكتبة شيخه عمر بن الحاج سعيد ومكتبة الشيخ عبد العزيز الثميني، ومكتبة أخيه الحاج إبراهيم ومكتبة دار التلاميذ بغرداية[4] وغيرها من المكتبات داخل وخارج الوطن، وحين سنحت له الفرصة جلب منها ما رآه أصلح له وللجماعة. وتعد مكتبة القُطب أغنى مكتبة بالوادي حيث تحتوي على 968 وحدة والمقصود هنا ما بين دفتي الجلدة أو الغلاف "سفر" بغض النظر عن عدد العناوين التي تكون داخل هذه الوحدة، وترجع أهمية المكتبة الى الروافد التي استقت منها وإلى تنوع الفنون التي تحويها وإلى ما تضمنه من انتاجه

1-زهير بابا وإسماعيل، حماية خزائن المخطوطات في وادي مزاب بغرداية وفهرستها، الملتقى الوطني الثاني حول التراث العربي المخطوط بالجنوب الجزائري، واقعه وأعلامه، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة،2015م ص 2.

2-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.4، ص ص 211-212.

2-أبو القاسم سعد الله، على خطى المسلمين حراك في التناقض، ط.1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر،2009، ص182.

4-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.4، ص 211-212.

العلمي الغزير الذي يتنوع بين تأليف مطولة ومختصرات وشرح حواشي، فضلاً عن بعض المؤلفات التي خرجت من الخزانة ولم تعد أو تلك التي ضاعت [1].

-خزانة الشيخ صالح بن كاسي الغرداوي: وهي إحدى الخزائن المكونة لمكتبة الخزائن الثلاث بغرداية، ويعود فضل الإهتمام بها وإنشائها إلى الشيخ صالح بن كاسي الغرداوي الذي كان شيخ العزابة بالمدينة (ت.1882م)، تضم مجموعة من الكتب الفريدة والوثائق المهمة[2].

والملاحظ هو وجود بعض الوثائق والمخطوطات الهامة التي ألفها وتركها علماء المالكية دون أن يؤسسوا لها نظامًا لحفظها من عوامل الزمن والإنسان التي أتت عليها وأتلفت أغلبها ولم تصل إلينا إلاّ في حصة ضئيلة، وقد وجدت في دواوين وكراريس قصائد وأزجال لشعراء مجهولين.

ويبلغ مجموع المخطوطات بهذه المكتبات ما يفوق اثنا عشر ألف مخطوط (12000) في شتى المعارف والعلوم، وخصوصاً في علوم اللغة العربية من فقه وحديث، لغة، تاريخ، ومتون، وشروح، ومختصرات، إضافة للرسائل والأجوبة والردود المتنوعة.

ولا نعرف على وجه الدقة كم كان عدد المكتبات والخزائن الخاصة والعامة خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، ولا كم كانت تضم من المخطوطات والكتب، وما تم نسخه وجلبه من خارج الوادي؟ كما أن هناك مكتبات خاصة لم تفتح أبوابها حتى الأن رغم أنها تعود إلى القرنين الميلاديين المذكورين؛ ولا نعرف كم فيها من الكتب في أصناف شتى من العلوم والمعارف ولكننا نقدرها بأنها مهمة ومتنوعة وكثيرة.

1-زهير بابا وإسماعيل، المرجع السابق، ص 6.

2-نفسه ص ص 8-9.

5-الحواضر الثقافية:

لقد انتشرت بالوادي عدة مراكز ثقافية كانت بمثابة الإشعاع الذي انبعث منه نور الحركة الإصلاحية والتعليمية خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وبعض هذه الحواضر شكلت محور جذب معرفي داخل المنطقة وخارجها ومن أهمها نذكر:

1 -حاضرة بني يزڤن: تعتبر المدينة من أهم وأنشط حواضر الثقافة والعلم وأغناها بالكتب نظرًا لكثرة العلماء الذين ولدوا بها أو تخرجوا من معاهدها، وتركوا أثارهم التربوية والإجتماعية في الوادي وخارجه، فحاضرة بني يزڤن اشتهرت بريادة وادي ميزاب في المجال العلمي والتربوي لمدارسها ومعاهدها، فالمدينة كانت بمثابة النواة الأولى للحركة الإصلاحية والتعليمية التي بدأت مع الشيخ يحيى الأفضلي وعبد العزيز ضياء الدين الثميني1718-1808م، اللذان حاربا البدع الضارة والجهل والتعصب المذهبي وكانا يدعوان إلى الوئام والوحدة الإسلامية والمعرفة العلمية الصحيحة، فاتخذا من مساجد بني يزڤن منبراً لهذه الدعوة الإسلامية الإصلاحية، وأمست الأسئلة تنهال عليه من الجزائر والعالم العربي الإسلامي، ومنها خرجت الردود على المسائل الفقهية والمتعددة، وبذات الحاضرة ترعرع ووشب عالم جليل تخطت سمعته العلمية حدود الوطن، إنه قُطب الأئمة محمد بن يوسف اطفيش[1]، وغيرهم ممن خلفوا أثاراً ومآثر على مختلف الأصعدة، فأضحت بني يزڤن احدى المحطات العلمية المهمة التي يقصدها الطلبة والأعيان من أهل المنطقة وخارجها للإستفادة من علمها ومعاهدها وتجاربها[2].

بعد النصف الثاني من القرن الثامن عشر والتاسع عشر، وبعدما انتشرت بها حلقات التدريس أقيمت بها معاهد لتدريس مختلف العلوم النقلية والعقلية والعلوم العربية

1-قاسم بن أحمد السيخ بالحاج، المرجع السابق، ص ص115-117.

2-نفسه ص 158.

وغيرها[1]، وفي وسط هذه الظروف كانت ولادة ثلة من العلماء الأجلاء في الشريعة الإسلامية، ألفوا المئات من المجلدات وبالأخص في التفسير والشرعيات، كالنيل للشيخ عبد العزيز الثميني وشرحه في مجلدات ضخمة لقُطب الأئمة الشيخ اطفيش الذي أصبح من المراجع الهامة في العالم الإسلامي، ومؤلف الكثير من الكتب الإباضية التي تهافت عليها الطلبة من كل حدب وصوب[2]؛ رغم محاولة فرنسا ثني عزيمة القُطب وإيقاف هذا التوافد الطلابي إلى بني يزقن وتحويلهم إلى مدارسه وصبغهم بالسواد وإبعادهم عن أسباب العلم العربي والتنوير[3].

2-حاضرة غرداية: هي مدينة ذات أبعاد حضارية وإستراتيجية وهي القلب النابض للوادي في المجالات السياسية والإجتماعية والاقتصادية والثقافية، فكانت نقطة التقاء لأهم العلماء وبها أعلى هيئة دينية تشرف على تسيير أمور الإباضين في الوادي.

لقد ساعد القرب الجغرافي بين مدينة بني يزقن وغرداية من استفادة هذه الأخيرة من النشاط الثقافي الذي تميزت به بني يزقن، وظهرت بها المساجد والزوايا والمدارس بجانب ظهور بعض الشخصيات والعلماء الذين تضلعوا في مجال العلوم العربية والتعليم، الفقه والشريعة ومختلف المعارف، وتخرجوا من كتاتيبها ومحاضرها الكثيرة من العلماء وأشهرهم من حيث الأثر نذكر منهم بابكر بن الحاج مسعود والشيخ حمو بن باحمد بابا وموسى ومنصور بن الطيب والشيخ بن زيان بوحميدة.

3-حاضرة القرارة: لقد شكلت القرارة منذ القديم محطة التقاء العلماء المفكرين نبغ فيها عدد من العلماء الذين خلفوا آثارهم العلمية والتربوية والإجتماعية؛ وكانت مدارسهم ومساجدهم مزارًا للكثير من الطلبة من المدينة وخارجها للتزود من علومها فكانت جهودهم واضحة في حقل العلم وإصلاح المجتمع، وقد اشتهرت المدينة بمساجدها

1-حمو محمد بن عيسى النوري، المرجع السابق، ص 61.

2-نفسه ص ص 61-62.

3-محمد علي دبوز، المرجع السابق،ج1، ص ص 26-27.

التي تعتبر الفضاء الثقافي فاستقبلت على مراحل الطلبة والدارسين[1]، تخرج منها علماء الوادي الذين كان لهم ضلع في العلوم والمعارف السائدة في تلك الفترة، ومن بين المساجد نذكر المسجد الكبير الخاص بالإباضية، والجامع المالكي العتيق، وجامع الشرفاء إذ لعبت دورًا بارزًا وهامًا في تثقيف العقول وتهذيب النفوس وتربية المجتمع طيلة العقود الماضية، ومن أشهر علماء القرارة كل من الشيخ الحاج عمر بن يحيى المليكي والشيخ ولحاج محمد بن الحاج قاسم بن الشيخ بالحاج القراري[2]، والشيخ محمد الطاهر بن عمارة شوشان، ومحمد بن سليمان شتيوي؛ ولكل من هؤلاء كتب وتآليف معتبرة إشتهرت بين المثقفين والمهتمين منهم بالقضايا الفكرية، وقد ساعد موقع المدينة القريب من منطقة العلية بتقرت، ومدن الجلفة وحركة البدو المستمرة على القرارة في ثراء وتنوع مصادرها المعرفية، بالإضافة الحركة الثقافية المتبادلة بين المدينة وبقية مدن الوادي خاصة مع الربع الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي.

وما يمكن استخلاصه من هذا الفصل هو انتشار التعليم العربي الإسلامي بوادي ميزاب كغيره من المناطق الأخرى التي سادها هذا التعليم وكان يتم عبر المساجد والمحاضر؛ ثم تطور ليشمل المعاهد المختصة التي اشتهر بالتدريس فيها نخبة من العلماء الأجلاء فرفعوا راية التعليم والإصلاح في نفس الوقت مواجهين ومجابهين واقعًا آمن أغلبه بالبدع واستأنس حياة الجهل والتخلف، وعلى رأسهم الشيح يحي الأفضلي والشيخ عبد العزيز الثميني، ومنصور بن الطيب، والشيخ محمد بن يوسف اطفيش متحدين مجتمعهم والإستعمار وإيفاد الطلبة من أجل مزاولة دراستهم خارج المنطقة والوطن، فاطلعوا واستنسخوا أمهات الكتب وعادوا بها إلى الوادي لإنعاش حركة التأليف التي شملت العلوم الدينية والعربية والتراجم والسير والتاريخ والتقييدات؛ هذه الحركة التي كانت ميزة القرن التاسع عشر، فامتلأت المكتبات

1-حماني أحمد التيجاني، المرجع السابق، ص 32.

2-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.2، ص ص 190-192.

والخزانات بألاف العناوين والمخطوطات، كما نَشِّطت من حركة المطالعة والإستزادة من بحر العلوم. ورغم انعزال الوادي إلا أنه وجدت به بعض الحواضر الثقافية والعلمية كحاضرة بني يزقن بعلمائها ومعاهدها ومكتباتها التي وفد إليها الكثير من الطلبة داخل الوادي خارجه، وكانت غردايـة مركز إشعاع مع القرارة استقُطب إليها الكثير من طلبة العلم.

الفصل الثانـي

التعليم الفرنسي الإستعماري بمنطقة وادي ميزاب

1- التعليم الفرنسي الإستعماري بمنطقة وادي ميزاب

2- مدارس الأباء البيض

3- مدارس التعليم العام

4- مدارس التكوين المهني

التعليم الفرنسي الإستعماري بمنطقة وادي ميزاب

1-التعليم الفرنسي الإستعماري بمنطقة وادي ميزاب :

لقد حاول الفرنسيون منذ احتلال البلاد إلى خدمة مصالحهم على مختلف الأصعدة، فقد كانت المدرسة أحد الوسائل لذلك من أجل إبعاد الجزائريين عن أصولهم وتراثهم وتاريخهم، وادخالهم في بوتقة الفرنسة بالدبدبة والجاذبية في النهاية[1]، بعد أن قضت على التعليم الأهلي الذي كان موجودا قبل الاحتلال ومحاولة إنشاء مدارس تصبغ بها المتمدرسين بصبغة المسيحية وسوداء خدمة لأغراضها دون جهد، فبدأت في إعداد الدراسات واللجان التي أعدت تقارير حول السبل المؤدية إلى ذلك[2]، مقابل تحريم فتح المدارس العربية للعلوم وحجروا على علماء الوعظ في المساجد[3]، لم تنتظر السلطات الفرنسية كثيراً بعد احتلالها لميزاب سنة 1882م لتفتح بعد أقل من أربعة سنوات مدارسها، ويذكر Zeys في كتابه Législation Mozabite : جلبت فرنسا معها الحضارة والتطور لهذا البلد الصغير وأسسنا المدارس لهم وأخذوا لغتنا بسرعة [4] ولكن هذه الحضارة التي تحدث عنها نعتقد بل نجزم أنّها أردت مسح أخرى عريقة بفتحها لمدارسها وغلقها لمدارسهم، والتي تخرج منها علماء أجلاء؛ أمثال الشيخ يحي الأفضلي والشيخ عبد العزيز ضياء الدين الثميني، وقُطب الأئمة الشيخ امحمد بن يوسف اطفيش، ومنصور بن الطيب الزناخري، ومحمد بن سليمان شتيوي وغيرهم. هذه الضبابية تضاف إليها مخلفات الإحتلال جعلت الأهالي يعزفون عن إرسال أبنائهم إلى المدرس الفرنسية.

1-أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج3، ص 322.

2-نفسه ص ص 315-318.

3-محمد علي دبوز، المرجع السابق، ص ص 27-28.

4 - Zeys(Ernest), Législation Mozabite .P54

تعد الفترة الإستعمارية الممتدة من 1870 – 1892 م فترة ظلام وظلم أكبر مما سبقه من سنوات الإستعمار، فقد تم القضاء على ما تبقى من مدارس ولم ينشؤوا لها بديل وفرضهم ضرائب جديدة واقتطعوا أخصب الأراضي للمعمرين؛ وسنوا قانون الأهالي (الانديجينا)[1] وظلوا معاندين على شكاوى الجزائريين في مختلف المجالات وخاصة في ميدان القضاء الإسلامي والتعليم العربي[2]، زيادة إلى مخلفات الجفاف والأوبئة التي فتكت بالآلاف منهم، وكنتيجة للقضاء على التعليم العربي الإسلامي في الجزائر وجد في سنة 1882 م ما بين ثلاث عشر(13) وست عشرة(16) مدرسة في كامل القطر؛ ولولا الزوايا والمساجد البعيدة عن عين الإستعمار في بعض جهات الوطن واعتماد الجزائريين على أنفسهم في تنوير أبنائهم وحياتهم لتعرضت البلاد إلى أبشع أنواع الجهل، ومن هذه المناطق هي وادي ميزاب الذي بقي على تلك الحال إلى غاية سنة 1881م ، أين أقرت الحكومة بنشر التعليم لأبناء الجزائريين وجعله إجباريًا[3] ثم سنة بعد ذلك قررت إلحاق ميزاب بأراضيها تحديدا في 30 نوفمبر 1882[4]، بحيث شرعت في فتح مدارسها، فبنيت مدرسة غرداية الفرنسية من 1886-1889 في إطار الإصلاحات التي قامت بها الحكومة في مجال التعليم بفرنسا أو بالجزائر؛ هذه الإصلاحات التي سعى إلى تحقيقها وزير التعليم العمومي الفرنسي جول فيري "Jules ferry" بدءا من سنة 1880م[5]، ففي 23 فيفري من عام

1-الانديجينا:Code de L'indigénat : مجموعة من القوانين التي أصدرتها فرنسا سنة 1881م لقهر وردع الجزائريين المسلمين(الاندجين)، حالة كون الجزائري مستعمرا مقهوراً وقد أطلقته فرنسا على سكان الجزائر عقب الإحتلال. ينظر: أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي،ج9،ص11. وكذا:
Maurice Wahl, Op.Cit.P183.

2-أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج3، ص 341.

3-أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 94.

4- Garrot (Henri) histoire général de l' Algérie imp. p.Crescenzo ,Alger ,1901,PP998-999

5-محمد الطاهر واعلي، التعليم التبشيري في الجزائر من 1830-1904، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1988م-1989م ص 114.

1885 م-8جمادى الأولى1302هـ. فتحت السلطات الفرنسية بواسطة قائدها في المدينة أول مدرسة رسمية في بيت مخصص لضيوف غرداية[1]، حيث طلب من القائد جمع ستين(60) تلميذا ، بينما يرى حمو محمد النوري أن فتح أول مدرسة رسمية في غرداية كان متأخرا عند سنة 1892م[2]، وأول معلم درس فيها وهو عمر بن باحمد بالولو وذلك من سنة 1892إلى سنة1900 م؛ وفتحت بعد ذلك المدرسة الرسمية ببني يزقن في 15 أكتوبر 1892م- 23 ربيع الأول1310هـ.

فرض على الأطفال من سن ست (6) سنوات فما فوق التوجه إلى المدارس وأمرت كل رئيس عشيرة أن يرافق بنفسه يوم الدخول المدرسي تلاميذ العشيرة المسجلين في ذلك الموسم[3]، حتى يتم تسجيلهم وإحصائهم والتعرف عليهم.

-رد فعل الأهالي:

لقد رفض الأهالي هذا النظام التعليمي الجديد منذ البداية وذلك بمنع إرسال أبنائهم إلى هذه المدارس خلال السنوات الأولى من فتح أبوابها واعتبروا أن القصد من ذلك هو نشر الكفر، وإبعاد الأطفال عن الدين الإسلامي واللغة العربية، وبالتالي غرس المسيحية في هذه الربوع، ولذلك لجأ الميزابيون إلى تعويض أبنائهم بأطفال السود واليهود مقابل دفع المال لهم، وأُعْتُبِرِ الذي لا يرسل أبناءه إلى المدرسة من فئة الأغنياء[4]. ونظرا للأساليب العديدة التي سلكتها فرنسا منها التهديد والإغراء بالغذاء والمال وبدافع الفاقة بعث بعض بدو أبنائهم إلى هذه المدارس للتعليم[5]، ونتيجة لرد فعل الأهلي على هذا النظام التعليمي الجديد، فقد إضطر البعض منهم لإرسال أبنائهم

1-Ghardaïa, école des père blancs, 1884-1976, P2.

2-حمو محمد بن عيسى النوري، المرجع السابق، ص 140.

3-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.2، ص ص 163-164.

4-Abrous (dahbia) Op.Cit. P P 94-95.

5-حمو محمد بن عيسى النوري، المرجع السابق، ص 140

إلى الشمال أو تهريبهم عند أحد أصدقاء العائلة؛ ولا يعودون إلا في سن الرابعة عشر (14) أو في سن الخامسة عشر (15) سنة[1] لذلك فرضت السلطات الفرنسية رخصة على الأطفال.

لكن هذا الرفض تغير مع الوقت بعد فتح العديد من المدارس بالوادي حين تفطنوا إلى أهمية التعليم الفرنسي المرتبط بالتشغيل في المكاتب الرسمية والمصالح العمومية في وادي ميزاب، وحاجة أبنائهم للدخول إلى معترك الحياة العملية الواسعة التي تشمل مجالات الإدارة، والتجارة، والصناعة، والطب وغيرها من المجلات الحيوية. ونظرًا للحركة المستمرة لبني ميزاب باتجاه الشمال، إكتشفوا ضعف تحصيل أبنائهم في هذه المدارس مقارنة بأبناء الشمال فطالبوا برفع مستواها وتحسين آدائها لمواكبة مدارس الشمال للحصول علة مردودية جيدة، لكن فرنسا لم تعجبها هذه المطالب وبدل ذلك أبقت الحال على ما هو حتى لا يتمكن الأبناء والأجيال من الحصول العلم والتعليم الجيد والممتاز[2]، وتتراوح أعمار الأطفال الملتحقين بهذه المدارس ما بين ست سنوات (6) وثلاث عشر سنة (13) في العادة.

والمواد التي تدرس بها هي اللغة الفرنسية التي تأخذ ثلاثة أرباع الوقت وخمسة عشر(15) ساعة أسبوعيا، ثم مادة الحساب والرسم، والأشكال الهندسية والعربية الدارجة تقدر حصتها بساعتين أسبوعيا فقط في الأطوار الثلاثة، بالإضافة إلى الأعمال اليدوية والزراعية والتطبيقية والمعارف العامة كالصحة، الإقتصاد المنزلي، مبادئ العلوم التربية الأخلاقية، التاريخ والجغرافيا، والإدارة ؛ وهو البرنامج الذي يشبه إلى حد كبير ما يتم تعليمه في مدارس الآباء البيض، وتعلم اللغة الفرنسية كان لها نصيب الأسد ويتم تعليم باقي العلوم لهم بهذه اللغة.

1-طلب أحد الأولياء رخصة من قائد الملحقة العسكرية بغرداية لتتخلى مدرسة الآباء على أحد التلاميذ بدعوى دراسته في الشمال لفقره.

2-قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج، المرجع السابق، ص 81.

هـذه العلـوم فـي الأسـاس هـي سـطحية، تهـدف إلـى إعـداد الأطفـال للعمـل فـي الحقـول والورشـات ولـيس للوظـائف العامـة؛ وكـان يجـب أن تعطـى لـه بالفرنسـية ليشـعر بما قامت به فرنسا من أجل الجزائر وبالتالي التأثير عليه وربطه بفرنسا[1].

2-مدارس الآباء البيض [2] :

يعتبـر التبشـير والإسـتعمار توأمـان علـى ملـة واحـدة، هـدفهما محـق الإسـلام وتشـويه حقائقـه [3] ، لقـد اشـتد نشـاط التبشـير والمبشـرين بالجزائـر فـي عهـد الكاردينـال لا فيجـري(Lavigerie)(1868-1892)[4] ، بعـد الجفـاف الشـامل الـذي أعقبتـه مجاعـة هائلـة مـات فيهـا خلـق كبيـر؛ ومـن نجـوا منهـا فتكـت بهـم الأمـراض

1-أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج3، ص ص 426-427.

2-الآبـاء البـيض: كـان أول مـن تطـوع فـي هـذه الفرقـة الجديـدة ثلاثـة مـن رجـال الديـن بالمدرسـة الاكليركيـة بالقبـة بمدينـة الجزائـر، وقـد وجـه إليهـا لا فيجـري يـوم 10 مـاي 1869م نـداء إلـى كـل المـدارس الإكليركيـة بفرنسـا يحثهـا علـى الانضـمام إلـى هـذه الفرقـة لمقاومـة الـدين الإسـلامي. يختلفـون عـن غيـرهم مـن المبشـرين فـي ملبسـهم الـذي هـو نفـس لبـاس الجزائـري أو قريـب منـه والمتمثـل فـي البرنـوس والعمامـة، وذلـك لكـي يتشـبهوا بالأئمـة المسـلمين ويربحـوا ثقـة الأهـالي وحتـى طعـامهم لا يختلـف عـنهم ولا حتـى عـن لغـتهم ولهجـات أهـل الـبلاد، وتبنـوا فـي بعـض الأحيـان عـاداتهم وتقاليـدهم ويعتبـر تأسيسـها انطلاقـة كبيـرة فـي الميـدان التبشـيري وذروة هامـة بلغهـا التبشـير فـي الجزائـر، بـل وفـي افريقيـا وبفضـلها تمكـن لا فيجـري مـن تأسـيس عـدة مراكـز تبشـيرية فـي كـل أنحـاء الـبلاد، بـل وفـي افريقيـا. وكـل الاسـاليب الآنفـة الـذكر كـان الهـدف منهـا هـو التغلغـل وسـط الشـعب الجزائـري، بهـدف الوصـول بـه فـي نهايـة المطـاف إلى ترك دينه واعتناق النصرانية. ينظر: محمد الطاهر واعلي، المرجع السابق، ص 172.

3-حمو محمد عيسى النوري، المرجع السابق، ص 135.

4-لا فيجـري: ولـد شـارل أنطـوان مارسـيل لافيجـري فـي 31 مـارس1825م، بمدينـة ويـر قـرب بـايون علـى سـفوح جبـال البرينـي بفرنسـا، أظهـر منـذ صـباه مـيلاً دينيـاً؛ لـذلك ادخلـه والـده إلـى أحـد معاهـد الدعايـة التنصـيرية. تـدرج فـي المناصـب الدينيـة وتعمـق فـي الدراسـات المسـيحية، أصـبح مـديراً لجمعيـة مـدارس الشـرق سـنة 1861م ، ومنـذ ذلـك التـاريخ بـدأ نشـاطه التنصـيري فـي المشـرق والمغـرب وافريقيـا لمـدة ثلاثـين سـنة رقـي سـنة 1882م إلـى كاردينـال اسـتعمل عـدة خطـط وأسـاليب للتنصـير فـي الصـحراء مـن بينهـا: انشـاء فـرق إخـوان الصـحراء، والاعتمـاد علـى مسـألة محاربة الرق، انشاء سكة حديدية عابرة للصحراء. توفي عام 1829م.ينظر:

Baunard(Mgr),Le Cardinal Lavigerie, Librairie ch.Poussielgue,Paris1896,PP2-10

والأوبئة كالكوليرا والتيفويد[1] ومات ما يفوق 300.000 من الأهالي[2] حينها وجدوا الظرف مناسباً للإستثمار في عقول الجزائريين ومساومتهم في عقيدتهم، على شاكلة مثلهم "الخبز مقابل التنصير" ليتغلغلوا بعدها إلى أبعد مناطق البلاد، ولم يكن هذا التعليم التبشيري الموجه للجزائر منتشرًا على كامل أرجاء البلاد وأسسوا مدراسهم على جهات معينة؛ كمنطقة القبائل ومنطقة الأوراس، ومنطقة وادي ميزاب، ومنطقة الهقار وكان من بين مهامهم الرئيسية ما يلي:

1-التنصير.

2-التمدين.

3-العلاج.

4-التعليم.

5-التهذيب [3]. ومن بين القواعد الثلاث التي وضعها لا فيجري لهذه الفرقة التي اعتمدت عليها فيما بعد ما يلي:

أ-على الآباء البيض أن يتحلوا بالصبر والحذر لبلوغ الأهداف.

ب-أن يكون شعارهم المحبة والتكتل للوصول إلى الغاية المرجوة [4].

واستندوا في اختيارهم لسكان المناطق الآنفة الذكر على حجتين هما: الأصل واللغة.

-بالنسبة للأصل، سكان هذه المناطق راجت بينهم مقولة مفادها أن الأمازيغ هم السكان الأصلين للجزائر وبالتالي فهم ليسوا عرباً، وهذا أحد العوامل التي تسهل عملية فصلهم عن باقي المناطق وتنصيرهم بسرعة.

1-خديجة بقطاش، الحركة التبشيرية في الجزائر1830-1871، الجزائر ،1977، ص ص 105-109.

2-شارل روبير آجيرون، المرجع السابق، ص 68.

3-محمد الطاهر واعلي، المرجع السابق، ص148.

4-خديجة بقطاش، المرجع السابق، ص130.

-وبالنسبة للغة، لاحظ المبشرون بأن تعامل هؤلاء السكان فيما بينهم لا يتم باللغة العربية، وهذا أيضاً عامل أخر يمكن أن يستغل لإبعاد سكان هذه الجهات، ومن بينهم سكان وادي ميزاب عن اللغة العربية دون صعوبة [1] .

وعند وصولهم إلى المنطقة وتحديداً مدينة غرداية حاولوا منذ الوهلة الأولى أن يثبتوا أقدامهم بالمكان، بحيث ترجع المحاولات الأولى للتنصيب إلى سنة 1872 م حين أرادوا شراء قطعة أرض ومسكن في سفح مدينة مليكة، لكن الأعيان بعثوا بشكاوي للسلطات العليا ما جعلهم يؤجلون تنصيبهم إلى أن تسمح الظروف لذلك فحولوا وجهتهم إلى مدينة متليلي أين تم فتح مركز بها عام 1874[2]؛ فيما يرى بكير سعيد أنه تم فتح مقر لهم في أول الأمر بمدينة متليلي التي استقروا بها في 3 مارس 1883-23 ربيع الثاني1300هـ. ثم تحولوا منها إلى غرداية مرة أخرى بعد الضم في 15 جانفي 1884م-16ربيع الأول1301هـ. بعدما إكْتَـرَوْا من اليهودي إسحاق بن داوود في حيهم الواقع بالجهة الغربية من المدينة، أين بدأوا نشاطهم في 24 جانفي 1884م[3]-25 ربيع الأول 1301هـ.. وبسبب عدم استقرار أوضاعهم في المكان لم يتمكنوا من مزاولة نشاطهم ثم انتقلوا إلى بيت جديد في3 فيفري1897[4]- 1رمضان1314هـ.

إهتمام الآباء البيض في البداية عند حلولهم بغرداية هو التعليم، إذ تمثل المدرسة الدعامة الأساسية في العمل التبشيري إلى جانب الكنيسة والمستوصف والخدمات الخيرية، التي يستتر ورائها المبشرين لبلوغ مأربهم التنصيرية [5]، ويعد من أخطر الميادين التي تستغل في العمل التبشيري، وذلك لعدة أسباب منها:

1-محمد الطاهر واعلي، المرجع السابق، ص ص 42-43.

2-Abrous (D), Op.Cit .P 8.

3-Ghardaïa, école des père blancs, P 1.

4-Ibid , PP 1-2.

5-محمد الطاهر واعلي، المرجع السابق، ص 40.

-سهولة التأثير على الأطفال باستعمال المغريات المتنوعة.

-القضاء على لغة أجدادهم -لغة القرآن- مما يعزلهم عن هذا الدين ويبعدهم عنه.

-تكوين جيل من المتنصرين يكون بمثابة غرس لبذور المسيحية الجديدة في البلاد.

-أحد وسائل التقرب من الأهالي عن طريق أطفالهم.

وقد اختاروا إقامة مدارسهم في حي الفقراء بغرداية، وذلك عندما يبدأ التأثير على السكان يؤتي ثماره تنتقل المدرسة إلى حي الأغنياء، لأنهم إذا سيطروا على الأغنياء يستطيعون السيطرة على كامل السكان[1]. ففي بداية الأمر حوّل الآباء البيض مسكنهم إلى قسم للتدريس في 23 جانفي 1884 م، بحيث استقبل في بدايته خمسة عشر (15) طفلاً من أبناء اليهود والعرب ليبلغ عددهم عشرين(20) تلميذًا في 24 جانفي وبعد مدة قصيرة إلتحق أبناء الميزابيين؛ ليرتفع العدد إلى مئة (100) تلميذاً بعد حوالي عشر سنوات (10)، ومن يحضرون بصفة مستمرة كان عددهم خمس وسبعين (75) تلميذًا[2].

يتم تعليم الأطفال بعض الفنون والعلوم المعروفة آنذاك، إلا أن الخدمات التعليمية التي قدمها المبشرون لأبناء الجزائريين كانت تهدف إلى تحقيق غاية واحدة هي تنصير الأطفال الذين يؤمون مدارسهم، ومّا البرامج التعليمية التي طبقوها في مدارسهم سوى احدى الوسائل التي سعوا بواسطتها إلى تحقيق ذلك الغرض فهمهم الوحيد كان الدعاية الدينية (التبشيرية)[3]، ويتم توزيع الأطفال حسب أعمارهم إلى ثلاث فئات، فئة الكبار في السن، وفئة المتوسطين في السن وفئة صغار السن، وحسب هذا التقويم تم ضبط برامج خاصة لكل فئة، لتعليمهم مبادئ اللغة الفرنسية وذلك على النحو الاتي:

1-محمد الطاهر واعلي، المرجع السابق، ص 93.

2-Ghardaïa, école des père blancs, P 3.

3-محمد الطاهر واعلي، المرجع السابق، ص 139.

أ–فئة الصغار يتعلمون الحروف الأبجدية.

ب–فئة المتوسطين يتعلمون المبادئ الأولى للنحو والحساب.

ج–فئة الكبار برنامج دراساتهم شبيه بما يطبق في المدارس الحكومية.

أما الحجم الزمني للدراسة فيقع في حدود ثمانية (8) ساعات في اليوم أربعة منها تخصص لتلقي الدروس والأربعة الأخرى للمطالعة والمراجعة[1].

لم يغفل لا فيجري عند تأسيسه لفرقة الآباء البيض عن ضم بعض الأخوات إليها بعد أن أنشأ في سبتمبر 1869م فرقة الأخوات البيض، فوجه اهتمامها للتأثير عليها؛ فالمرأة في– نظره – مدار الحياة الإجتماعية والوصول إليها يعني الوصول إلى الأسرة كلها، لذلك حملهن مسؤولية التبشير في الوسط النسائي عن طريق التطبيب والتعليم والخدمات الخيرية[2].

يرجع وصول الأخوات البيض مدينة غرداية إلى 27 ديسمبر 1892 م– 7جمادى الثانية1310هـ، وهن الأم جوزيفين "Joséphine" والأخت لويز "louise" الأخت كلوتيد "Clotide" والأخت من كنيسة القديس لوك "St.Luc"، وقد أقمن في البداية في بيت صغير بغرداية وبدأن بشكل مباشر لنواة عيادة في 21 جانفي 1893 م–3 رجب1310هـ ثم أقمن في جناح تابع لمستشفى القديسة سانت مادلين[3]. في حين استقر الآباء البيض في ضاية بن ضحوة عام 1892 م بواسطة النائب الرسولي للصحراء والسودان الأسقف تولوث "Toulotte" (1871–1897م)[4] وقام بشراء قطعة أرض مساحتها 1,5 هكتار وجعلها منزل للراحة مع حديقة نباتية

1–محمد الطاهر واعلي، المرجع السابق، ص 142.

2–خديجة بقطاش ،المرجع السابق، ص 129.

3–وكان يقع مقره عند مركز الوثائق الصحراوية الأن.

4–قام المبشر تولوت(toulote) بتكليف من لافيجري(Lavigerie) بوضع مطبوعه للتربية الدينية باللغة العربية جمع فيها صورا من القران ونصوصا من الانجيل، تتناول مواضيع مشتركة بين الديانتين الإسلامية والمسيحية وهذا عندما أدخلت اللغة العربية كمادة دراسية في المدارس العمومية الموجهة للجزائريين. ينظر: محمد طاهر واعلي، المرجع السابق، ص152.

وأخرى للإختبار، وجعلها مركز للمسيحية الناشئة وقام بمنحها لأسرتين فقيرتين من العبيد[1]، هذا المسكن الذي كان في حقيقة الأمر مكان إقامة ومنسكً للعبادة، وقد خصص بعض من وقته لإستمالة الأطفال إلى الدين المسيحي بترغيبه لهم، وهناك كان يحاول إصطياد الأطفال والتأثير عليهم من خلال حديثه لهم عن الدين المسيحي[2]؛ وبعده قام خليفته الأسقف غيرين(Guérin) بإعادة تنظيم مركز غردايـة وذلك بإلغاء المركز الجديد بضاية بن ضحوة حيث غادر المنصرين السود الذين كانوا به إلى معهد "طيبار"(Thibar) بتونس[3] .

أ-رد فعل الأهالي:

لم يكن استقرار الآباء البيض سهلاً بوادي ميزاب في البداية حيث واجهوا عدة صعوبات خلال تنصيبهم بالمنطقة، وأول ما واجههم هو رفض الأهالي لهم ولوجودهم وخصوصًا من طرف الهيئة العرفية، فقد وقف قُطب الأئمة الشيخ اطفيش موقفا معارضًا ضد حركة التبشير وتعددت مواقفه اتجاه هذا الموضوع؛ فعندما إكترى الآباء البيض داراً في مدينة بني يزڤن أمر بسد بابها، إذ هم باتوا فيها فمنعوا أبنائهم من الإلتحاق بهذا هذه المدارس التبشيرية المسيحية؛ لذلك نجد الأب قريزي "Grisey" يشتكي من مغادرة التلاميذ لمدرسته سنة 1896 م والتحاقهم بالمدارس، ولم تكن مدرسة قريزي مدرسة بأتم معنى الكلمة بل كانت مجرد بيت يستقبل فيها عدد من التلاميذ.

ب-موقف السلطات الفرنسية:

1-Michel (Gagnon), Aperçu sur L'histoire de la Mission de Sahara fascicule, 1 Mgr louloutte Anatole (1891-1897) Laghouat (Algérie) 2000, P 9.

2-louis (David), L'ascèse au m'zab, Revue Grand lacs, Revue Mensuelle des missionnaires D'Afrique édition 1, 53éme Année N°5-6 1er mars 1937, Paris, P P 418-419.

3-Michel Gagnon, Aperçu sur l'histoire de la Mission Au Sahara, Fascicule 1, Mgr Hacquard augustin (1897-1901), Laghouat, Algerie,2000, P12.

لقد تمثل رد فعل السلطات الفرنسية التي طبقت نظامها العسكري على الجنوب رغم تسلم المدنيين لمقاليد الحكم في شمال البلاد بعد سنة 1870م فقد كانت تتخوف من رد فعل غير متوقع من قبل السكان، وخاصة أن بعض بنود إتفاقية 1853م قد منحت سكان المنطقة حرية إدراة شؤونهم الداخلية مع عدم التدخل فيها؛ كما أن التعليم السائد هو التعليم العربي الإسلامي بمعنى أنَّ إختراق هذا النظام التعليمي المتجذر في المجتمع، قد يحدث بلبلة وفوضى ورد فعل قد لا تعرف نتائجه بالنسبة للسلطات الفرنسية، بالإضافة إلى أن لهيب المقاومات لم تخمد نيرانها بعد، وقد تزامن ذلك مع السنوات الأولى لمقاومة الشيخ بوعمامة، وقد شملت ميادين نشاطهم المجالات الآتية:

3-مدارس التعليم العام :

يعتبر التعليم التبشيري العمومي في الجزائر الجناح الثاني في التعليم العمومي الفرنسي العلماني(L'enseigne public laique) ويقع التعليم التبشيري العمومي تحت إشراف وزارة التعليم العمومي الفرنسي، إلاّ أن الإدارة وأسلوب التدريس كان من اختصاص رجال الدين المسيحي، وقد اهتمت به أغلب الجمعيات التبشيرية الفرنسية التي أنشأت فروعا لها في الجزائر[1].

لقد أنشأ الآباء مدارس للتعليم العام ومدارس للتكوين المهني، فالتعليم كان همهم الوحيد، ورغم وجودهم حديثًا وعدم استقرارهم جيدًا، سرعان ما حوّلوا منزلهم إلى قسم في 23 جانفي 1884م- 24 ربيع الأول1301هـ، إستقبل في بداية الأمر خمسة عشر15 طفلاً من اليهود والعرب ليبلغ عددهم عشرين(20) تلميذًا في 24 جانفي؛ وفي شهر مارس بدأوا يتوافدون عليه واحدا واحدا.

لقد كانت البدايات الأولى للتعليم صعبة جدًا، بحيث عارضت السلطات الفرنسية فتح مدرسة الآباء البيض بعدما رغب القائد "ديدييه" فتح مدرسة خاصة به

1-محمد الطاهر واعلي، المرجع السابق، ص104.

كما حاولت الهيئات العرفية المتمثلة في "هيئة العزابة" و"الشيخ اطفيش" تحويل المزابيين عن مدرسة الآباء، معتبرين هذه المدارس محرمة وكل من يتصل بها يعتبر من المنبوذين، وبعد تغيير القائد في أفريل 1886م أعطيت الموافقة على بناء المنزل الجديد ببابا صالح في 1 جويلية 1886م-29 رمضان1303هـ. واستقروا به في 3 فيفري 1887م-9 جمادى الأول 1304هـ. وأثناء هذه الفترة عرفت مدرسة الآباء شجارات يومية بين التلاميذ اليهود والمزابيين، تصل حد الضرب. وكان التلاميذ اليهود يتبعون سياسة إخلاء مدرسة البلدية، والذهاب إلى مدرسة الآباء لعزل التلاميذ المسلمين.

لقد مرت سنوات التعليم في مرحلها الأولى صعبة مع احدى وخمسين 51 تلميذًا وبعد عشرة(10) سنوات بلغ عددهم حوالي مئة 100 تلميذ، لكن المواظبين على الحضور يوميًا لا يتعدون خمسة وسبعين 75 تلميذًا، ولكن هذا الرقم لا يمثل حقيقة الملتحقين بالمدرسة نظرا لعدم تقييد وتساهل الآباء في حضور التلاميذ؛ حتى لا ينفرون منهم، وفي أكتوبر من سنة 1896م إشتكى الأب" قريزي" من مغادرة التلاميذ من مدرسته والالتحاق بالمدرسة البلدية، وفي سنة 1897م بلغ عدد التلاميذ ثلاثين(30) تلميذًا فقط لرفض تأهيل اليهود للدراسة في المدرسة، نظرًا للمناوشات التي تحصل بينهم وبين أبناء المزابيين الذين كان عدد أبنائهم المتمدرسين أكثر من أبناء الأهالي الآخرين، والجدول الآتي يبرز تطور عدد التلاميذ بمدرسة الآباء البيض من سنة 1884 م إلى سنة 1900[1] :

1-الأرشيف الغير مصنف بمكتبة البحث بالمركز الثقافي للوثائق الصحراوية يحتوي على مجموعة وثائق مكتوبة على علبة الأرشيف:

Ghardaïa école des pères blancs 1848-1876.

السنوات	عدد التلاميذ	العدد الذي يتردد باستمرار
23 جانفي 1884م	15	
24 جانفي إلى أفريل 1884م	20	
مارس 1890م	50	
ديسمبر 1891م	69	
ديسمبر 1894م	100 – 90	70–75
1895م	119	
1897 إلى نهاية العام الدراسي	30	
بداية موسم 1900م	40	

نلاحظ من خلال الجدول ضعف توافد التلاميذ على هذه المدارس خلال السنوات الأولى وذلك راجع إلى جملة من الأسباب أبرزها:

1-صعوبة إقناع الجزائريين بإيفاد أبنائهم إلى هذه المدارس خاصة إذا وقفوا على النوايا الحقيقية، لذلك والتي يخفونها من خلال التودد إلى السكان والأطفال خاصة.

ب-وجود كوكبة من العلماء الأجلاء الذين شكلوا سداً منيعاً أمام هجماتهم ومراوغاتهم العديدة، وبفضل أثارهم وأفكارهم الإسلامية استطاعوا بشكل كبير من منع الأسر لارتياد أبنائها لها.

2-التنظيم العائلي والإجتماعي لهؤلاء السكان الذي يتميز بتضامن وارتباط الفرد بعائلته وقريته ودينه، وبذلك لم يسمح لهم بالتنصير.

3-وجود عدد كبير من أبناء العرب في البادية وعدم استقرارهم بشكل دائم في الحضر.

ولكن مع تسعينيات القرن التاسع عشر بدأ التوافد عليها بشكل ملفت ولكنه بقي محتشم، إذ سجلت سنتي 1894و1895 توافد أكثر من 120 تلميذ، وربما يرجع ذلك إلى:

أ-أسلوب والتودد والتقرب من الأطفال وعائلاتهم وخصوصا الفقيرة والتأثير عليها بإرسال أبنائها الى مدارسها.

ب-إتباع أسلوب المكافئات والإغراء لجلب أكبر عدد ممكن من الأطفال والعمل على إبقائهم مدة أطول حتى يتمكن منهم التنصير.

لم يكن أمر التحاق البنات بهذه المدارس التبشيرية سهلاً بالنظر إلى طبيعة وخصوصية المجتمع، وكل ما استطعن تقديمه لهن لا يعدو أن يكون مبادئ في الحساب والقراءة والخط في نطاق ضيق، وحسب ما يسمح به الوقت المتبقي من التعليم الحرفي لهن[1].

4-مدارس التكوين المهني:

لإحداث تغيير في بنية المجتمع سعى المبشرين نحو تكوين جيل من النصارى ينبذ أفراده ماضيهم الإسلامي، وينسلخون من ثقافتهم ويندمجون روحياً في الثقافة الفرنسية المسيحية بمختلف الأساليب، ويهتم التعليم المهني بإكساب الأطفال بعض المهن التي كانت سائدة في ذلك الوقت؛ وكثيراً ما كان يستجيب لخصوصيات كل منطقة[2]؛ لذلك سارعوا منذ حلولهم بمنطقة وادي ميزاب إلى فتح مدارس للتكوين المهني لتعليم الأطفال بعض المهن منها ما هو موجه للذكور تحت إشرافهم، وأخر موجه للإناث تحت إشراف الأخوات، وهو تعليم لا يحتاج إلى ثقافة عالية في اللغة الفرنسية، كما أن التعليم به لا يعرف سن محددة، بالإضافة إلى أن العمل اليدوي تغريهم للحضور إلى مدارسهم، ومن أجل اكتساب مهنة وحرفة تمكن البعض منهم من الحصول على عمل سواءً لدى السلطات الفرنسية أو في الحضر في مختلف المجلات فبالنسبة للتكوين المهني الموجه للذكور يغلب عليه الطابع الزراعي، وكل ما يحتاج اليه المزارع من معارف في ميدان النجارة والحدادة والاسكافية، والبناء والزراعة وتربية الحيوانات[3] .

وفيما يخص الإناث فالأمر مختلف بحيث واجهت الأخوات صعوبات كبيرة لجلب البنات إلى مدارسهن، فعندما استقرت الأخوات البيض في الأول بغرداية، كان

1-محمد الطاهر واعلي، المرجع السابق، ص ص 146- 153.

2-نفسه ص131.

3-نفسه ص 131.

ذلك في بيت صغير بشارع العفافرة خلال شهر جانفي 1893م-16 جمادى الثانية1310هـ، جمعن بعض بنات الحي لانطلاق معمل للخياطة في مسكن لا يبعد سوى أمتار من إقامتهن كان يستقل في البداية حوالي أربعين (40) فتاة أغلبهن من المذابيح، يتعلمن فيه بعض الحرف التي لا يستغني أي بيت جزائري عنها مثل الغزل وأشغال الصوف والنسيج (صناعة الزرابي)[1] والخياطة باستخدام إبرة اليد والترقيع.

-المهام الطبية:

إنّ استخدام العلاج في التبشير مهم من حيث سهولة الإتصال بالمرضى والتأثير عليهم سواء عن طريق علاجهم أو رعايتهم أو تمريضهم، وقد اتبعوا طريقتين في ذلك:

-إستقدام المواطنين إلى المستشفيات التي أقاموها لهذا الغرض.

-علاج المرضى منهم والجرحى في الحوادث المختلفة في منازلهم وأماكن عملهم [2].

لذلك أولى الآباء والأخوات البيض عناية خاصة بالمهام الطبية، فالآباء يقومون بالمهام في مؤسساتهم المختصة ويستقبلون المرضى الذين يتقدمون إليهم، أما الأخوات البيض فقد شاركن في هذه المهام باتخاذهن من إحدى مساكنهن عيادة طبية، أما البعض منهن فيتخصصن في مهام محاربة المرض في بعض الأماكن، أو قد يكن ممرضات للأهالي من خلال المشاركة في عملية التمريض[3]؛ ففي27 ديسمبر1892م-7جمادى الثانية1310هـ. بدأن بشكل مباشر تأسيس لنواة عيادة في 21 جانفي 1893م-3رجب1310هـ. والتي استمرت مدة عامين تبعا لاستقرارهن في ذلك الشارع.

1-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.2، ص165. يذكر الأستاذ محمد الطاهر واعلي في رسالته أن أول مدرسة فتحت للصناعة النسيجية (الزرابي) كانت ببسكرة ، ثم تلتها مدارس أخرى مماثلة في الأغواط والمنيعة.

2-محمد الطاهر واعلي، المرجع السابق، ص84.

3-Esnault (P): L'assistance Médicale indigène au Sahara, revue grand lacs Revue mensuelle des missionnaires d'Afrique Edition 1, 53éme année , N° 5-6, 1er mars 1937, Paris, P 356.

أنشأ الآباء البيض في سنة 1895م مستشفى مدنيًا أهليًا يستقبل بالإتفاق مع الولاية العامة الأهالي والمدنيين الأوروبيين، وهو مستشفى القديسة مادلين في حي تيضفت، ليقمن الأخوات في جناح غير تام مخصص لهن في ذلك المستشفى في 22 أكتوبر 1894م-21ربيع الثاني1312هـ حيث تكفلت بالعلاج به خمسة أخوات بيض[1].

وقد أظهر المبشرون خلال عملهم في التطبيب كل الخصال الخلقية الحميدة كالطيبة والرأفة والشفقة والتسامح ومحبة الناس والإهتمام بصحتهم، وإظهار اهتمام زائد بذلك للتأثير عليهم نفسيا، وكلها صفات لها مفعولها للتعلق بالمبشرين في أخر الأمر ولتصحيح أفكار السكان المسبقة عنهم، وتغيير نظرتهم تجاههم أو اتجاه الفرنسين عموماً والوصول إلى ما سطروه من مخططاتهم التبشيرية.

وخلاصة هذا الفصل، لقد حاولت الإدارة الفرنسية تجهيل أبناء المجتمع من خلال وضع برامج لهم هي أقرب إلى برامج سطحية، لا ترقى إلى المستوى الذي يليق بهم ولا بتلك الموضوعة لأبناء المعمرين[2]؛ كما قاموا بمحاربة التعليم العربي الإسلامي وضيقوا على أصحابه ومرتديه محاولين صدهم عنه، وترغيبهم في التعليم الجديد بفتح مدارس وتقديم تحفيزات لمن يلتحق بها كأحد الوسائل من أجل إبعاد الجزائريين عن أصولهم وتراثهم وتاريخهم وإدخالهم في بوتقة الفرنسة بالدبدبة والجاذبية في النهاية، بعد أن قضت على التعليم الأهلي الذي كان موجودًا قبل الاحتلال وحاولت إنشاء مدارس تصبغ بها المتمدرسين بصبغة المسيحية، وهي بذلك تلتقي مع أهداف المبشرين(الآباء والأخوات البيض) الذين لم يكونوا يهدفون إلى التعليم والتثقيف، بقدر ما كانت تهدف إلى التنصير والإدماج وإخراج الأطفال من دينهم

1- Michel (G), Op.Cit .P 10.

2-أنشأت السلطات الفرنسية نوعين من الشهادة الإبتدائية في الجزائر: أحدهما مخصصة لأبناء الفرنسيين المقيمين بالجزائر، والثانية خاصة بأبناء الجزائريين. وتختلف الشهادتان عن بعضهما باختلاف مقرراتهما، فالأولى مقرراتها جيدة وممتازة عن الثانية. ينظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، ص ص292 -300.

الإسلامي وإبعادهم عن لغتهم العربية فسخروا مدارسهم وبثوا سموم ثقافتهم المسيحية التنصيرية، ومهامهم الطبية ولم يغفلوا عن فتح مدارس للتكوين والتعليم لمختلف الفئات العمرية، مركزين العمل على فئة الأطفال؛ وحتى الفتيات أصبح بإمكانهن مزاولة دراستهن وتكوينهن في الأشغال اليدوية المتنوعة وفنون التدبير المنزلي.

الفصل الثالث

العلاقات الثقافية بين الوادي والمناطق الأخرى

1-العلاقات الثقافية بين الوادي والمناطق الداخلية

2-العلاقات الثقافية بين الوادي والمناطق الإباضية

3-العلاقات الثقافية بين الوادي والمناطق العربية

4-نتائج العلاقـــــات الثقافيـــــة

العلاقات الثقافية بين الوادي والمناطق الأخرى

قويت الروابط الثقافية بين ميزاب ومواطن الإباضية بفضل النشاط الثقافي الذي تولد عن طريق الحركة الإصلاحية والتعليمية خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين بالوادي، وأضحت منطقة ميزاب مركز إشعاع يستقُطب علماء من خارجه فتوالت عليه زيارات العلماء من ورقلة ووادي ريغ، ومن بعض حواضر بلاد المغرب كمدينة جربة وفاس[1]، والبلاد العربية كعمان، مصر، كما اهتموا بتحصيل علوم عصرهم من خارج الوادي وقطعوا المسافات الطويلة سعياً للعلم وتحملوا في ذلك المشاق ولازموا كبار علماء هذه الأقطار بعض الوقت، مع التفتح على العالم الإسلامي والتواصل مع التيارات الفكرية والثقافية السائدة به في ذلك الوقت.

ولكننا لم نتمكن من الاطلاع ومعرفة طبيعة إذا ما كان هناك علاقات ثقافية وتبادلات علمية بين يهود المنطقة، ويهود المناطق المجاورة والشمالية وفيما تمثلت؟ وهل شملت هذه الاتصالات الثقافية اليهود المتواجدين خارج حدود الجزائر، أم أنهم لم يهتموا بهذا الأمر كونهم أقلية، أو لبعد المكان عن الحواضر الشمالية التي كان بها عدد كبير منهم؟ وفي ماذا تمثلت مؤلفاتهم؟ وفيما كتبوا؟ ومن هم أشهر علمائهم داخل منطقة وادي ميزاب والمدن الجنوبية المجاورة؟. يقول المؤرخ فوزي سعد الله في كتابه يهود الجزائر: " الثقافة والفنون اليهودية في الجزائر لم تكن حتى الاستقلال سوى جزائرية..."[2]، وهو حال يهود المنطقة الذين لم يتركوا أثارهم الثقافية ولم تشر المصادر التاريخية إلى أهم علمائهم ومفكريهم وعلاقاتهم الثقافية خصوصاً بالوسط الذي عاشوا فيه وقد وجدت بأحد المعابد الخاصة بهم نسخ قديمة من سفر التوراة قُدِرَ عددها بـ سبعين نسخة غير أن بعضها مهترئاً[3]، فمتى تقرأ هذه المخطوطات، ومن

1-يحي بوراس، المرجع السابق، ص 138.

2-فوزي سعد الله، المرجع السابق، ص140.

3-Coyne, Op.Cit.P19.

كان يحضر جلسات قرأتها؟ هل هم العوام من اليهود أم من العلماء؟ أم من أهل دينهم؟ كلها أسئلة تحتاج إلى بحث دقيق للوقوف على الحقيقة، كما أنّ بعضها أقيمت لها احتفالات دفن مثل الأشخاص صحبها توزيع للصدقات، بعد أن تم دفنها في ثلاثة قبور مختلفة في المقبرة اليهودية[1] ؛ ويقصد أغلبهم المعبد يوميا لتلاوة قصائد البوكاشوت[2] Boqqachot .

لقد كانت هذه العبادات والتي هي جزء من الثقافة التقليدية اليهودية تتم بطريقة عتيقة، ومع نهاية القرن التاسع عشر بدأت سياسة الإدماج تعطي ثمارها داخل الطائفة اليهودية في الميدان الأدبي والفكري، وبرز جيل نشأ في ظل قانون كريميو أصبح يفكر ويكتب بالفرنسية، وتعيين حبر جديد بالمنطقة ما جعل القطيعة تتسع شيئا فشيئا عن العالم الشرقي والمسلمين والعرب وتحديدًا في الشمال[3]، مع تبني الشعائر المتبعة في التل، ورغم ذلك فهي أقل تأثرا في المنطقة بحكم البعد الجغرافي.

1-العلاقات الثقافية بين الوادي والمناطق الداخلية:

لم تشر الكتابات التاريخية إلى نوع وطبيعة العلاقات الثقافية خلال هذه المدة الزمنية بين الوادي وبقية المناطق الجزائرية، فشابها نوع من الغموض والضبابية باستثناء المسائل والرسائل المتبادلة بين إباضية الوادي وإباضية ورجلان، والمدن التي تتواجد فيها الجماعة عبر مختلف مدن البلاد، من خلال مراسلات وشكاوى تتعلق بتنظيم أمورهم هناك؛ وربما احتوت على فتاوى ومسائل دينية.

1- Coyne, Op.Cit.P19. Et:Marcel Mercier, Op.Cit.,P127.

2-البوكاشوت (باقاشوت): مجموعة تراتيل دينية تتلى أيام السبت والأعياد، تؤدى عند الفجر في البيعة أو في البيت بصفتها صلاة فردية أو مجرد تأمل، وهي تنتمي الى الشعر الغنائي وموضوعها يدور حول الدعوة الى التوبة وعظمة الله وينتمي هذا النوع الى الشعر الغنائي. ينظر: حاييم الزعفراني، المرجع السابق، ص 189.

3-فوزي سعد الله، المرجع السابق، ص 154.

لقد ربط بعض علماء الإباضية علاقات طيبة مع إخوانهم المالكية سواء في الوادي أو خارجه، وكانت للحوارات والمناقشات دور بارز في عملية التواصل الحضاري والتبادل المعرفي، فقد كان الشيخ عبد العزيز الثميني رمزاً للتواصل الثقافي بين علماء المنطقة، وقد نقل لنا أحمد بن الخيذر بن يوسف الملياني وصفًا رائعاً للتبادل الثقافي بين الإباضية والمالكية عند بداية القرن التاسع عشر، حيث يقول: "... وسمعت بالشيخ عبد العزيز بن ابراهيم الثميني في يسقن فتوجهت لزيارته وكان عالما جليلا فأقمت عنده مدة أيام وتكرم عليا بقصيدته النونية وحفظتها من ذلك ... وأعطاني تاليفه الورد البسام وكتاب التاج وحقوق الأزواج..." [1]، فكان ممن يدعون إلى الوحدة الإسلامية الإصلاحية، ونبذ التفرقة والصراع بين الاخوة الساكنة بمراسلاته ومكاتبته لعلماء الطرفين، إذ ننقل له كلاماً لنبد الفرقة بين الإخوة المسلمين ونبذ الفرقة دون تصحيح للأخطاؤ الإملائيو والنحوية، حيث يقول ذات المؤلف"... فاردت ان اسئله على بعض الوقائع فاعطاني رسم بخط يده يقول بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه القايل من وجد منكم منكرا فليغيره بيده او بلسانه او بقلبه وذلك اضعف الايمان وبعد فهذا جواب الى جماعة المسلمين من المالكية و الإباضية السلام عليكم ورحمة الله وبركاته لا يخفى عليكم بان الله تعالى قال كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتومنون بالله واراكم تركتم كتاب الله وراء ظهوركم كانكم لا تعلمون وانكم تعلمون ما جرى في السنين الماضية من التنافس والقتل بين إخواننا... والله امرنا بالتعاون على البر والتقوى ولو بالكلام الحسن.. ولسنا نختار مذهب على مذهب واما الخلاف الواقع بيننا فهو ضعيف في الفروع فقط وليس منه شيئ في الاصول ولا ضرر فيه للدين ونوكد عليكم ايها المسلمين من الإباضية والمالكية ان تاخذوا با يد بعضكم بعضا في السراء والضراء واسئالوا الله من فضله ان يصلح جماعاتكم وان استطعتم ان تصلحوا

1-محمد بن الخيذر بن يوسف الملياني، المصدر السابق، ص7.

ذات البين فلكم اجراعظيم في ذلك والذي اوصيكم به تقوى الله سرا وعلانية واتباع الشرع العزيز... نسئل الله السلام والعافية لنا ولكم والتوفيق الى اقوم طريق..."[1].

إن مثل هذه اللقاءات والتبادلات العلمية الحاصلة بالوادي -رغم قلتها- أين يتذاكرون فيها ويناقشون ويتسألون عن مختلف المسائل، ويتبادلون الفتاوى والتآليف ويتسألون ويدعون إلى الوحدة ونبذ التفرقة بين الإخوة الساكنة بالدليل القاطع من القرآن الكريم والحديث الشريف وحوادث الزمن، ولا شك أن كل منهم أثر في الأخر بطريقة أو بأخرى، ومثل هذه اللقاءات حجبتها أقلام الأوروبين الذين اهتموا بكتابة تاريخ المنطقة.

هذا الإمام - فضلا عن تضلّعه في الأصول والفروع - كان جامعًا لتاريخ العرب والمسلمين عليما بأيامهم ومآثرهم، خبيراً بفرق الإسلام والمسلمين والذي قضى جلّ حياته الزاخرة في الإصلاح والتربية والتأليف، والعلم، والأدب وحريصًا على فكرة وحدة أبناء المنطقة أكثر من أي شيء أخر، ولم يبخل بتأليفه ونصائحه ومكاتباته لأهل المنطقة للإصلاح والوحدة وما فيه الخير بأسلوب راقي ومقنع ، ونجده -رغم قلة مراسلاته- يوجه رسالة إلى الداي محمد عثمان باشا (1766م-1791م) يمدحه فيها لانتصاره على الإسبان في حملتهم على الجزائر عام 1775م، وقد أرفق الرسالة بقصيدة تقع في خمسة وتسعين بيتاً يقول في مطلعها:

إِنِّ طَيْفاً زَارَنِي فِي المَنَامِ ... مِنْ رَشِيقَ القَدِ بَدْرِ التَمَامِ[2]

وأتاحت فرصة مرور الرحالة ادريس بن عمر بن عبد القادر التتلاني في طريقه للحج بداية القرن التاسع عشر ميلادي، الاجتماع والإلتقاء ببعض العلماء وتبادل الآراء معهم فتحدث عن أعيانها وعلمائها، فاستغل التتلاني تواجده هناك وكان من

1-محمد بن الخيذر بن يوسف المليانى، المصدر السابق، ص ص7-11.

2-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.4، ص ص127-128.

بين الذين التقى بهم كما يقول: "...اجتمعت مع فقهائهم وتفاوضت معهم...وسالت كبير فقهائهم وهو الحاج إبراهيم بن بحمان الغرداوى...تكلمت في شى منها مع أحد فقهائهم يسمى الشيخ باعمور..."[1].

وحضر الشيخ الطاهر عمارة شوشان دروس الشيخ بيوض إبراهيم وجمعته علاقات ثقافية وعلمية، بعدد من علماء زمانه كالقُطب اطفيش، والأمام محمد بن شتيوي والعالم الشيخ عبد الرحمان النايلي من مدينة مسعد، واتصالاته المستمرة مع علماء العلية(تقرت) وكانت له معهم مناظرات في تبادل الآراء حول بعض المسائل الدينية الفقهية [2].

وسبقت أشعار الشيخ أحمد بن الحرمة شهرته وطارت بها إلى المناطق المجاورة، ونتيجة زيارته الكثيرة لمدينة القرارة فقد جمعته علاقات وثيقة بأعيانها وعلمائها، وانتشر شعره بينهم وحفظه أهلها، وقد اعتبرته أسرة آل بهون شاعرها لمدائحها لهم، وكثير مع عقد الندوات والاسمار الكثيرة ليسمعهم شعره الذي ينشدهم عليهم في ألحان جميلة، وكان أعيان القرارة يعجبون بشعره فيطلبون منه أن ينظم لهم بعضا منه [3]، وقد خلف الشاعر أحمد بن الحرمة عدة قصائد، منها ما قصد به الشاعر التعبير عن تذمره من الأوضاع السياسية وفساد الزمان، واحتلال فرنسا لوادي ميزاب عام 1882م و يعبر عن ذلك حين يقول:

حَسْرَاهْ يَـالدُّنْيـــا ضَاقَــتْ الَارْوَاحْ ...صَـدُوا ارْفَايْقِي وَابْقِيــتْ أنَايَا

عَــادْ الزَّمَانْ يَتقَلَّبْ كِـــــي الَارْيَاحْ ... الاحْبَابْ تَتْفَرَّقْ عَنْ جَالْ اوقِيَا

وَجْهَ الْحَبِيبْ ضَرْوَك اتْبَاعْ ابْلاَرْبَاحْ ... يَتْحَاسْبُــو عَلَــى حَاجَة دُونِيًا

1-ادريس بن عمر بن عبد القادر التنلاني، المصدر السابق، ص 2.

2-حماني أحمد التيجاني، المرجع السابق، ص ص 189-190.

3-محمد علي دبوز، المرجع السابق، ص186.

كَانُـــوا اقبِيلْ فَالدِّنْيَا نَاسْ امْـــلَاحْ...رَحْلُـــوا اغْدَاوْ خَلُـــوها مَحْكِيًا[1]

هـذا وقـد انتشـرت أشـعاره بشـكل كبيـر فـي الجنـوب الجزائـري كـوادي ريـغ، طولقـة الأغواط، ورقلة، وحتى إلى توات، وعَبَّر عن ذلك حين قال في إحدى قصائده:

بِيَا امْحَبْتُو بِرْبَابِي حَـــوَاسْ... سَمْعُوا امْدَايْحِي بَدْوِي أودَشْرَة

خَطْ الجِرِيْد عَمْرُو مِنِي كُرَاس... والأغواط شَيْعُو مَدْحِي لِلظَهْرَة

صـيته هـذا جعلـه يحتـك بشـعراء هـذه المـدن، كمـا أن شـعره كـان معروفـاً ومتـداولاً فـي مـدن أخـرى كتيـارت، وسـيدي بلعبـاس وتلمسـان، وجمعتـه علاقـات مـع بعـض الشـعراء كالشـاعر سـيدي لخضـر بـن اخلـوف، والشـاعر محمـد بلخيـر شـاعر الشـيخ بوعمامـة والشـاعر الحـاج عيسـى وبـوراس بتجديـد، وعبـد الله بـن كريـو وعـن علاقاتـه بهـم يقـول فـي إحدى قصائده:

سَلْمُوا لِثلاَثَة أجْوارْ عـرَبْ أهْلاِل... مُحَاد وُلـْـد بِلخِير شِيخ بِرْضِينِي

لَخْضَر افْصِيحْ مَالُو أشْبِيه يامْثَال.... فـِي تَاجْدِيدِة بُورَاس فَايِت ايْغَنِي[2] .

لم تكن الأسفار الثقافية بين المشايخ كثيرة في المنطقة، خلال القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر الميلاديين، إلا أن الشيخ اطفيش خلق عهداً جديداً خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر بكثرة تنقلاته بين مدن الوادي لاسيما بريان والقرارة؛ مستنهضًا الهمم ومنورا الجميع لما فيه صلاحهم [3]. وقد مر بالعديد من المدن الشمالية خلال حجته الثانية سنة 1303هـ/

1-محمد علي دبوز، المرجع السابق، ص188.

2-مطلـق عمـار بـن الحـاج سـعد، ديـوان الشـاعر الفحـل الشـيخ أحمـد بـن الحرمـة البريـاني(1835م-1924م) دار سـي العربي بن عكنون، الجزائر،2008. ص ص 16-19.

3-بكيـر بـن سـعيد اوعوشـت، قُطـب الأئمـة العلامـة محمـد بـن يوسـف اطفـيش"حياتـه آثـاره الفكريـة، جهـاده"، المطبعـة العربية، الجزائر، 1989، ص 113.

1886م في الأغواط، الجلفة، المدية، البليـدة والجزائر وقسنطينة[1]، بحيث استغل أعلام هذه المدن الزيارة فاسحين له المجال للوعظ والإرشاد داعيًا المسلمين إلى الوحدة، والوقوف ضد أعداء الإسلام الذين يريدون وَأْدَهُ بالبدع الضارة والجهل[2]، وقد كانت لإبراهيم بن بيحمان الثميني علاقات وثيقة بعلماء الجزائر[3]، لكن المصادر والمراجع لم تُفَصَل في طبيعته هذه العلاقة ولا في أسماء العلماء الذين تواصل معهم.

وكان الشيخ اطفيش صديق العالم عبد القادر المجاوي[4] وكان أحد المتخرجين عليه في مدرستي قسنطينة والجزائر الشرعيتين[5] وكانت بينهما مكاتبات ومراسلات فقد أرسل القُطب بعض تلاميذه للدراسة عند الشيخ المجاوي تثمينًا وتمتينًا لروابط الصداقة بينهما[6]، وجمعته أخرى مع الشيخ المولود بن الموهوب شيخ قسنطينة وقاضيها[7]، بحيث كان يستفتيه فيما يَشْكُل عليه من

1-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.4، ص 212.

2-بكير بن سعيد اوعوشت، المرجع السابق، ص114.

3-معجم أعلام الإباضية، ج2، ص23.

4-الشيخ المجاوي: هو العلامة عبد القادر بن عبد الله بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الجليل المجاوي ، نسبة إلى مجاواة إحدى قرى شمال المغرب الأقصى، ولد بتلمسان سنة 1848م وكانت عائلته من العائلات التي هاجرت مرغمة الى المغرب غداة سقوط تلمسان في ايدي قوات الإستعمار كان والده محمد بن عبد الله المجاوي مدرساً بجامع القرويين بالمغرب الأقصى، أين أكمل دراسته عنده ، ثم راجع إلى الجزائر فدخلها مابين سنتي 1896و1870 واختار مدينة قسنطينة للاستقرار وعين مدرسا في المدرسة الشرعية الفرنسية، وقد تتلمذ للشيخ أجيال من التلاميذ وطلاب العلم فتخرج على يديه الكثير من العلماء والقضاة خلال الثلث الأخير من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، من أهم مؤلفاته نذكر:"ارشاد المتعلمين" و" شرح جمل الخونجي" و"الدرر النحوية على المنظومة الشبراوية " و" نزهة الطرف في المعاني والصرف" و" القواعد الكلامية واللمع في نظم البدع ". ينظر: بعلي حفناوي، الرحلات الحجازية المغاربية: المغاربة الاعلام في البلد الحرام، در اليازوري للنشر والتوزيع الأردن،2016، ص ص475- 476، وكذا: يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة بالجزائر المحروسة ج.1، ط.1 دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995م، ص 308.

5-بعلي حفناوي، المرجع السابق، ص477.

6-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.4، ص 213 .

7-الشيخ مولود بن الموهوب : هو مولود بن محمد السعيد بن الشيخ المدني بن العربي بن مسعود الموهوب كان حي ما بين 1866م إلى 1930م ، أديب ومصلح اجتماعي ولد بقسنطينة ، درس اللغة العربية والتوحيد والنحو ومع حلول الشيخ عبد القادر المجاوي بقسنطينة سنة 1886م لازمه لبن الموهوب اتنثى عشرة سنة فأجازه واذن له بالتدريس والوعظ ولازمه في المدرسة الرسمية الكتانية التي وظف بها كمدرس سنة 1895م. تولى الإفتاء=

المسائل الدينية[1] وقد تردد الشيح عمارة الطاهر شوشان على مقر الزاوية التيجانية تماسين بتقرت والعلية لأجل تدريس الطلبة [2].

=والتدريس في الجامع الكبير سنة 1895م ، له عدة تصانيف من بينها : " مختصر الكافي في العروض" و" نظم الاجرومية"و" شرح منظومة التوحيد للمجاوري" توفي ابن الموهوب سنة 1939م ودفن بمسقط رأسه بعدما ترك تراثاً فكرياً وأدبياً وتاريخيا مهماً. ينظر: خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج.7. ط.15 ، ص 333.

1-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.4، ص 213

لقد وجدت بالمنطقة عدة طرق صوفية وعلى رأسها الطريقة القادرية[1] والشيخية[2] والرحمانية، والتيجانية[3]، والطيبية[4] وغيرها من الطرق، وكانت ممثلة

1-الطريقة القادرية: تنسب القادرية الى الشيخ سيدي محي الدين أبو محمد عبد القادر الجيلاني بن أبو صالح موسى الحساني ، ولد بجيلان قرب بغداد عام 471هـ/1078م وتوفى عن عمر التسعين عاما سنة 561هت/1166م،وهو من مبار الزهاد والمتصوفة ويطلق غليه سلطان الأولياء وقُطب الأقطاب والغوث ويلقبونه أتباعه بمولى بغداد ، وله عدة مؤلفات منها "لطائف الأنوار" خلف عشرة أولاد ساهموا في نشر الطريقة القادرية إلى عدة جهات منها دول المغرب ، حيث نشرها هناك الغوث سيدي أبي مدين شعيب دفين تلمسان سنة 589هـ/1174م ، بعد أن التقى بالشيخ عبد القادر الجيلاني بمكة عمت مختلف التراب الوطني فحسب إحصاء 1882م أن للطريقة 29 زاوية و286 مقدم و14.574 مريد دخلت القادرية في صراعات عقائدية مع التيجانية مع بداية الإحتلال الفرنسي للبلاد وانتقل هذا الصراع إلى غرب افريقيا. ينظر: لوثروب ستودار، حاضرة العالم الإسلامي، ج 2 ، ط.4 تر.عجاج نويهض، تع. شكيب أرسلان، دار الفكر، القاهرة، 1973م ص، ص395-396. وكذا: بن يوسف تلمساني، الطريقة التيجانية وموقفها من الحكم المركزي بالجزائر، شهادة ماجستير، جامعة الجزائر ،1997 /1998م ص ص47-48. وكذا:

Rinn, Marabouts et Khouans,PP173-190.

2-الشيخية : تنسب الطريقة الى (سيدي الشيخ) وهو عبد القادر بن محمد بن سليمان بن أبي سماحة البكري(1533 -1615م) ترجع أصولها الصوفية إلى عدة طرق منها القادرية والشاذلية والطيبية والصديقية وبعدما أخذ عن عدة شيوخ استقر سيدي الشيخ بحاسي الأبيض وأسس هناك زاويته الأم، خلف الكثير من الأبناء ذاع طريقته في غرب ووسط الجنوب والهضاب العليا، وامتد نفوذه إلى المغرب الأقصى توجد له عدة زوايا بالمنطقة. كتب عدة أذكار ورسائل وقصيدته " الياقوتة الحمراء". ينظر: عبد الحكيم مرتاض، الطرق الصوفية بالجزائر في العهد العثماني(1246-924هـ/1518-1830) تأثيراتها الثقافية والسياسية، رسالة دكتوراه، جامعة وهران،2015-2016ص38. وكذا:

- Rinn, Marabouts et Khouans , PP352-368.

3-التيجانية : من أشهر الطرق الصوفية في الجزائر وخارجها، أسسها أحمد بن محمد بن المختار التيجاني ولد بعين ماضي سنة 1737م ،تلقى العلوم الدينة الأولية بمسقط رأسه ثم ارتحل إلى المغرب الأقصى لينهل من المعارف والكتب الصوفية بجامع القرويين التقى بعدة مشايخ هناك،عاد بعدها إلى بلدة الأبيض سيدي الشيخ مدرساً بها لبضع سنين ثم تلمسان وعدة بلدان عربية أسس زاويته الام بعين ماضي وعدة فروع في مدن أخرى امتدت من تونس إلى المغرب و بعض بلدان افريقيا كالسينغال والنيجر، والكونغو ، وغينيا، والصحراء الكبرى ومصر. وللطريقة التيجانية أذكارها الخاصة بها. ينظر: بن يوسف تلمساني، المرجع السابق، ص ص60-69. وكذا:

- Rinn, Marabouts et Khouans,P4126-420.

4-الطيبية : من الطرق المنتشرة في الجهة الغربية والجنوبية من البلاد مؤسسها الشيخ عبد الله الشريف من قبيلة بني عروس من جبل علام بالمغرب الأقصى، أسس زاويته بوزان، توفي في (1089هـ/1679م) انتشرت الطريقة انتشاراً واسعاً في الجزائر خلال عهد خلفه، بحيث بلغ عدد أتباعها في إحصاء 1882م 15744 مريد و301 مقدم و20 زاوية. ينظر: بن يوسف تلمساني، المرجع السابق، ص 48.

بمقدميها[1] الذين تكفلوا بجعلها مراكز إشعاع علمي بالإضافة إلى وظيفتها الأصلية المتمثلة في تلقين الطريقة لأورادها، فحافظوا على تعاليم الإسلام بالذكر والإكثار من الصلوات وغير ذلك من الأدعية والقراءات، وتبادل الشعر الإخواني في مناسبات إجتماعية معينة وتدور بينهم الإخوانيات في شكل مدائح[2] ، وهي مناسبة لكي يتعرفوا على أوراد[3] الطرق الأخرى كل هذا وغيره يتم تناوله فيما بينهم في الزوايا أو المساجد، أو أثناء حلول بعض الشعراء والعلماء من المنتسبين للطرق الصوفية الأخرى؛ أثناء إقامتهم بالمنطقة أو مرورها بها والإستراحة بها لأيام قصد إكمال السير إلى وجهة أخرى؛ لعبت هذه الزوايا الفرعية بالمنطقة دوراً بارزاً في الميدانين التعليمي والاجتماعي والثقافي، ولكن لم نتكمن من التعرف أكثر على هذه الثقافية الشعبية والأجواء الشعرية الإجتماعية والدينية، التي كانت سائدة في المنطقة، ولم تحفظ لنا أوراق الكتب تفاصيلها، إلا ما جاء مبثورا متفرقاً وما يتناقله ويتداوله مريدي وأتباع هذه الطرق إلى الآن .

ولا يسعنا هنا أن نذكر جميع التفاعل والتبادل العلمي الذي كان حاصلاً بين العلماء وخصوصاً الإباضين منهم، فكانوا لا يلبثون أن يقيموا في مدينة حتى يتحركوا إلى أخرى من أجل التدريس والتنوير، ولم تثني المشاكل والإنقسامات الحاصلة بين هذه القرى : بني يزقن، مليكة، غرداية، العطف، بنورة، وحتى القرارة وبريان البعيدتان عن مجرى الوادي، من فترة إلى أخرى من عزيمة الطلبة للتنقل بين هذه الحواضر

1-المقدم : هو ممثل الشيخ أو الخليفة في الزاوية أو المنطقة المنتدب لها ،فهو بمثابة مدير وحدة يعمل على نشر الطريقة وكسب المريدين ،ويواخي ويصلح ذات بينهم مرضاة لله تعالى وأن يعاملهم بالرفق والتيسير بينهم ويلقن الورد. ينظر: أبي بكر عتيق ابن العالم خضر التيجاني، مجموعة افادة المريد، ط.2، مكتبة مضوى ،1971م ص ص 95-101. وكذا: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4 ، ص 95.

2-أبو القاسم سعد الله ،المرجع السابق،ج8، ص279.

3-الأوراد : هي أذكار راتبة يرتبط بعضها بطرق معينة دون غيرها (مثل صلاة الفاتح في التيجانية) وتوجد أوراد تستعمل في أكثر من طريقة ولكنها تختلف ما بين طريقة وأخرى من حيث طقوس تلقينها وتوقيتها وكيفيتها وشروطها. ينظر: عبد الحكيم مرتاض، المرجع السابق، ص23.

واستغلال أبناء البادية تواجدهم المؤقت في الحضر؛ لأجل التعليم لفترة محددة قبل العودة إلى بواديهم، وكل هؤلاء الطلبة غرضهم واحد وهو الأخذ والتفقه والظفر وحجز مكان عند أشهر العلماء الذين عرفتهم المنطقة خلال القرنيين محل دراستنا.

2-العلاقات الثقافية بين الوادي والمناطق الإباضية:

عرفت الحركة الثقافية بين الوادي والمناطق الإباضية انتعاشا تركت بصماتها جلية في نواحي الحياة المختلفة للمجتمع الميزابي، وقد ساعدت في ذلك عدة عوامل من بينها:

-العلاقات الأخوية والتاريخية.

-الوحدة المذهبية [1].

-الصلة القديمة بين الإباضية في المشرق والمغرب العربي، والملاحظ عنها أنها علاقة وطيدة [2].

أ-العلاقات الثقافية بين تونس(جربة) وميزاب: شكلت تونس مقصد الكثير من الطلبة والعلماء بالمنطقة لعدة اعتبارات منها:

-لقد كانت تونس بوابة الشرق لمن يريد التوجه إليه.

-الإرتباط المذهبي بين الوادي وتونس وتحديداً جزيرة جربة.

-أهمية تونس التجارية.

-الأهمية الإستراتيجية لتونس بالنسبة للمنطقة، فقد شكلت مكاناً آمناً للاستقرار أيام المحن، وبعد فشل المقاومات الشعبية حيث توجه إليها أنصار زعمائها أو المرور منها إلى الحج والعمرة والهجرة نحو المشرق[3].

1-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،ج5، ص495.

2-مصطفى وينتن، المرجع السابق، ص 53.

3-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5، ص ص489-490.

أهم ما ميز العلاقة الثقافية هو التواصل المستمر لبعثات الطلبة من وإلى جربة وإنتقال الطلبة وسعيهم وراء الإستفادة والأخذ عن أي عالم يظهر في جربة أو ميزاب، إما رغبة في الإستزادة وإحاطة بقدر ممكن من المعرفة، وإما لأنَّ أوطانهم لا يتوفَّر فيها من العلماء من يتفرغ للتعليم مثل ما يتوفَّر في الوطن المنتقل إليه، وانتقال العلماء إلى ميزاب والعكس خاصة القيروان وتونس العاصمة وجربة. وقد وجد الجزائريون في جامع الزيتونة[1] مورداً عذبًا في الوقت الذي افتقدوا إلى معلم حضاري مثله ببلادهم[2] فيجد الطلاب من الإمكانيات ما يُعَينُهم ويشجعهم على قضاء فترة في الأخذ والإستزادة فمساجد ميزاب بجانبها بيوتات تكون مأوى للطلبة ،وفي جربة نجد المسجد الكبير في حومة الحشان ومساجد واد الزبيب وغيرهما.

ومن بين العلماء الذين تركوا بصماتهم في التبادل بين المكانين نذكر على سبيل المثال الشيخ أبا سليمان داود بن إبراهيم التلاتي[3]، فقد قصد الشيخ أبا مهدي

1-جامع الزيتونة : مسجد إذا بدا لك تبلج نوره الجامع روض العبادة بستان علوم زهر دوحاتها الفتح وثمارها الافاضة ومن أحسن الجوامع واتقنها وأكثرها اشراقاً، أنشئ جامع الزيتونة عام 114هـ/732م ، وهو ثاني الجوامع التي رفعت بإفريقيا لإعلاء كلمة الله بعد جامع عقبة بن نافع بالقيروان، وقد اختلفت الروايات فيما يخص تسميته :منها أن الجامع بني في موضع كان مشجرا بالزياتين قطعت كلها ولم تبق الا زيتونة واحدة في وسط الجامع فسمي بها ومنها أن المسلمين عند فتحهم لقرطاجنة وجدوا زيتونة منفردة في موضع المسجد فقالوا هذه تومس وسمي المسجد بجامع الزيتونة. ومنها رواية تزعم أن الجامع شيد بالقرب من كنيسة قديمة كانت تضم رفات القديسة أوليف يعني الزيتونة ومنها جاءت تسمية الجامع الأعظم بجامع الزيتونة كان في أحد فتراته المعهد التعليمي المغرب العربي بلا منازع تخرج منه نخبة من العلماء الذين قصدوه من المشرق والمغرب العربي للتبحر والأخذ عن مشايخه في مختلف العلوم النقلية والعقلية. ينظر: أبي عبد الله محمد بن محمد الاندلسي، الحلل السندسية في الاخبار التونسية، ط.1 ، مطبعة الدولة التونسية ،1287هـ ، ص ص 315-316. وكذا: محمد العزيز ابن عاشور، جامع الزيتونة المعلم ورجاله دار سراس للنشر، تونس، 2001م، ص ص 10 ،12.

2-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5 ، ص 491.

3-أبو سليمان داود بن إبراهيم التلاتي: هو داود بن إبراهيم التلاتلي أبو سليمان الجربي العلامة المحقق ينسب إلى حومة تلات في جربة رحل إلى جبل نفوسة درس على يد الشيخ أبو القاسم بن يونس السدويكشي، ومن شيوخه بجربة العلامة أبو يحي زريا بن إبراهيم درس علوم المنطق والبيان والعقيدة والتوحيد رحل إلى مصر والتقى بها علي بن إبراهيم الكيلاني بلدًا ومنشأً والمصري دارًا وسكنًا، وقرأ عليه ايساغوجي لأثير الدين الأبهري في المنطق ،ثم عاد إلى جربة إلا أنه لم يستقر بها وارتحل سنة 1554م إلى وادي ميزاب فأخذ عن العلامة عيسى بن إسماعيل المليكي الميزابي ، وعن الشيخ سعيد بن علي الخيري الجربي بغرداية، ثم عاد إلى الجزيرة وتصدر=

عيسى بن إسماعيل المصعبي المليكي، وقد تتلمذ الشيخ أبو مهدي المصعبي على يد الشيخ أبي سعيد الجربي المعروف بالشيخ عمي سعيد. والشيخ يحي بن صالح الأفضلي من بني يزقن الذي أخذ العلم عن الشيخ أمحمد بن يوسف المصعبي بعد أن استقر بجزيرة بجربة، واختار الشيخ أبو يعقوب يوسف بن محمد الجزيرة ليأخذ حظه من التعلم والعلم على يد الشيخ سعيد بن يحيى الجادوي[1]، والشيخ سليمان بن محمد الباروني[2]، وعن عمر بن علي السدويشكي[3]، ومنها سافر إلى تونس سنة 1701م، وبعدما توجه منها نحو مصر للتزود والدراسة على مشايخها عاد إلى تونس سنة 1740م، أصبح مفتي جربة ورئيس مجلس الحكم فيها[4]. وكان مقر نشاطه بجامع

=للتدريس ثم رئيسا لمجلس العزابة تصدى لدرغوت باشا عنما طعن في عزابة جربة ، فأخذ درغوث الشيخ وسجنه نحو شهر ثم قتله سنة 1560م . من أشهر مؤلفاته: "شرح عقيدة التوحيد لابي حفص عمرو بن جميع الجربي" و"شرح متن الاجرومية " و"شرح على متن ايساغوجي". ينظر: محمد محفوظ، المرجع السابق، ج 1. ص ص177-180.

1-سعيد بن يحيى الجادوي: هو سعيد بن يحيى الجادوي الأجميي (أبو عثمان) كان حي بين 1692م-1734م أبرز مؤلفاته كانت عبارة عن فتاوى ورسائل. ينظر: معجم أعلام الإباضية، ج3، ص ص384-385.

2-سليمان بن محمد الباروني: هو سليمان باشا بن عبد الله بن يحي الباروني الطرابلسي زعيم سياسي مجاهد ولد في جادو بجبل نفوسة بطرابلس الغرب من عائلة البارونيين ، أخذ علومه الأولى على يد والده الشيخ عبد الله الباروني، ثم انتقل لمزاوله تعليمه إلى تونس ومصر والجزائر وتحديداً إلى وادي ميزاب سنة 1895م لدراسة العلوم الشرعية بمعهد القُطب اطفيش ببني يزقن، وعندما عاد إلى وطنه انتقد سياسة الدولة العثمانية بها فابعد منها إلى مصر، وأختير بعد اعلان الدستور العثماني عام 1908م نائب طرابلس في مجلس المبعوثين بالاستانة ، واجه الاعتداء الإيطالي لبلده ، وله مواقف سياسية صريحة وواضحة في هذا الشأن عاش مجاهدا بأفكاره وأرائه وتجول في الكثير من البلاد العربية ، أسس جريدة "الأسد الإسلامي" سنة 1906م و" جريدة الباروني" سنة 1913م أسس مطبعة الأزهار البارونية سنة 1906م، ترك عدة مؤلفات من بينها: كتاب " تعليقات على سلم العامة والمبتدئين " و "مختصر تاريخ العائلة البارونية" و كتاب "الازهار الرياضية في أيمة وملوك الإباضية " أصيب الحمى الملاريا توفي نتيجتها في الهند عند ذهابه للعلاج منها عام 1940م. ينظر: مجموعة مؤلفين، معجم أعلام الإباضية ،ج3 ص ص426-430.

3-عمر بن علي السدويشكي: هو عمر بن علي بن ويران السدويكشي (أبو حفص) من مشايخ جربة درس في جبل نفوسة ،وأخذ العلم عن الشيخ محمد بن زكرياء الباروني، من بين مؤلفاته:" كتاب مناسك الحج" و " العقيدة المباركة" و " حاشية على كتاب البيوع من كتاب الايضاح " و"حاشية على كتاب النكاح". ينظر: معجم أعلام الإباضية،ج3 ص ص 654-646.

4-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.4، ص 119.

الشيخ أبي مسور بأجيم ومن أبرز علماء المنطقة الذين زاروا تونس الخضراء أو مروا بها نذكر: القُطب اطفيش فخلال رحلته الحجازية الثانية إلى الحج سنة 1886م وأثناء إقامته بمدينة تونس إلتقى بعلماء جامع الزيتونة، بعدها عرج نحو زيارة مشائخ جزيرة جربة.

وقد ذكر الشيخ اطفيش معرفة بعض أعلامها له بقوله:"...وان لم تعرف الإباضية فقد عرفهم إبراهيم الرياحي التونسي[1] الفقيه، إذ اعترف بالخير لمؤلف هذه الرسالة..."[2]، ومن بين طلبة وتلاميذ الشيخ أطفيش في ميزاب من جربة نذكر: رمضان بن يحي اللينى[3]، الشيخ سعيد بن علي بن تعاريت[4]، الشيخ أمحمد

1-هو إبراهيم بن عبد القادر بن أحمد الرياحي الطرابلسي الأصل ولد علم 1180هـ/1767م بتستور؛ حفظ القران الكريم بها ثم توجه الى تونس لمواصلة تعليمه سكن بحوانيت مدرسة عاشور ثم مدرسة بير الحجاز ثم درس على يد علماء جامع الزيتونة مثل صالح الكواش، حسن محجوب، إسماعيل التميمي..الخ، وأخذ عدة اجازات من علماء عصره أخذ التصوف عن شيخ الطريقة الشاذلية، الشيخ البشير بن عبد الرحمن الونيسي الزواوي نزيل تونس ،ثم أخذ الطريقة التيجانية بتونس، بعدها انتصب للتدريس بجامع الزيتونة، وفي سنة 1218هـ/1803 أنتخبه حمود باشا سفيرا بالمغرب الأقصى لطلب الميرة جراء المجاعة التي عرفتها بتونس أدى فريضة الحج عدة مرات ، كما سافر إلى إسطنبول رفقة السلك الدبلوماسي، كان أول المدرسين بجامع يوسف عندما تم بناؤه سنة 1814م، توفى سنة 1266هـ/1850م بمرض الكوليرا . ترك عدة مؤلفات من أهمها "أجوبة عن مسائل علمية" والرسائل وهي في قدر مجلد تشمل مواضيع عديدة حول الفقه وأوراد الطريقة التيجانية وحواشي لشروح ونظم شعرية. ينظر: علي محمد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ج.1 ، دار الكتاب العلمية، بيروت، 2002م ، ص ص 554- 556 . وكذا: خير الدين الزركلي، المرجع السابق،ج 1، ط.7، 1986، ص 48.

2-محمد بن يوسف اطفيش، إن لم تعرف الإباضية يا عقبي ، ص11.

3-رمضان بن يحي اللينى : ولد عام 1868م من علماء جربة ، حفظ القران وهو كفيف أخذ العلم عن الشيخ صالح المعدى، درس بجامع الزيتونة مدة عامين ثم توجه إلى مصر للإستزادة ورحل بعده إلى معهد القُطب متعلما ومساعداً له في تدريس الحساب والفرائض، ثم عاد إلى جربة ليدرس بعد ذلك في ليبيا، ليعود إلى مدينة تونس مدرسا بالمدرسة الإباضية المعروفة بالهنتاني بالعاصمة، ساهم في نشر وطبع التراث الإسلامي ، توفي سنة 1947م.ينظر: معجم أعلام الإباضية ،ج2، ص 307.

4-سعيد بن علي ابن تعاريت (و. 1872-ت.1936م) هو سعيد بن علي ابن تعاريت الجربي الإباضي ولد ونشأ بجربة تعلم بجامع الزيتونة سنة 1889م قضى بها ست سنوات إشتغل في الاشهاد لكتابة العقود ثم توجه إلى يفرن بجبل نفوسة سنة 1896م، حيث أخذ هناك عن شيخه عبد الله الباروني وهناك ألف كتاب" المسلك المحمود في معرفة الردود"، توجه بعد ذلك إلى وادي ميزاب سنة 1898م أين درس عند القُطب ثمانية أشهر. رجع سنة 1899م إلى تونس حيث استقر للوعظ والتدريس. ينظر: معجم أعلام الإباضية،ج3، ص 371.

بن الحاج يوسف بن سعيد. وقد كانت للشاعر البرياني أحمد بن الحرمة روابط بمقدمي الطريقة القادرية خارج الوطن وبالتحديد بمدينة نفطة التونسية، حيث جمعته إتصالات وعلاقات ثقافية دينية مع مقدم الطريقة هناك الهاشمي بن سيدي إبراهيم بن أحمد دفين وادي سوف [1].

كما شكل تبادل الوفود والزيارات بين ميزاب وجربة، وخاصة العلماء وطلبة العلم حيوية لما يقع فيها من دروس ووعظ وفتوى. فَبُعِث الطلبة لمواصلة مشوارهم العلمي والعملي، والإستفادة من بعض مؤلفات جربة[2]، واشتمال الحلقات على أعداد من أبناء الجزيرة ،وهو الأمر الذي ساعد في استنساخ المخطوطات والكتب والتعاون على نشر ما هو علمي وديني منها[3]، ومن نتائج ذلك أن طبعت المطبعة العلمية الحجرية بحاضرة تونس عام 1321هـ كتاب "إن لم تعرف الإباضية ياعقبي" للشيخ القُطب وغيرها من كتب الإباضية.

وشكل هذا التوافد على تونس وتحديداً الجزيرة، خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر والقرن التاسع النواة الأولى للبعثات الميزابية عليها، والتي قادها فيما بعد الشيخ أبو اليقظان وإبراهيم بيوض[4]؛ ومجموعة من العلماء الاجلاء.

ب-العلاقات الثقافية بين ميزاب وسلطنة عمان وزنجبار:

1-مع سلطنة عمان:

لقد كانت العلاقات الميزابية العمانية علاقات متينة ووطيدة بحكم الوحدة المذهبية والعلاقة القديمة بينهما، وتعد مراسلات الشيخ ابن بِحمان بمثابة جسور وثيقة

1-عمار بن الحاج سعد مطلق، المرجع السابق، ص 17.

2-قاسم بن احمد الشيخ بالحاج، المرجع السابق، ص159.

3-إبراهيم محمد طلاي، العلاقة بين سكان جربة ووادي ميزاب، الأيام الدراسية مؤسسة الشيخ عمي سعيد ، ص ص5-6 .

4-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،ج5، ص491.

بعلمـاء عمـان [1]، ومنهـا مراسـلاته إمـام السـلطنة سـليمان بـن عبـد الله الإسـماعيلي[2] وتتمثـل فـي نـص " قصـيدة الكاشِـفَةُ الهَـمِّ البَـاتِرَةُ الغَـمِّ "؛ وهـي فـي مـدح أهـل عُمـان وبخاصة الأمام حيث يقول في أبياتها:

لَعَمرِي لَنِعمَ القَّومِ قـّد نَزَلـُـوا ... كَرِيـمُونِ مَرضِيّونَ أهلُ المَفَاخِرِ

هَوَ الظّلُ لِلأَنام والبَدرُ بِالدّجَى... هـُـوَ الفَلَكُ العَالِي وَقُطب النّوَائِر

هُوَ الوَجهُ للنّهجِ القّوِيمِ هُوَ الحَشَى...هـُـوَ الـرُوحُ حَقّا وَهُوَ طَبنُ[3]

وحـافظ الشـيخ بحمـان علـى المراسـلة بـين الـوادي والسـلطنة، وتجـددت معهـا علاقـات التواصـل بـين هـذين الـرجلين، إذ بينهـا وبـين الرسـالة الأولـى فـارق زمنـي يقـارب خمسـة وعشـرين سـنة. وقـد جـاءت هـذه الرسـالة ردًا علـى جـواب جـاءه مـن سـليمان بـن ناصـر الـذي قصـد الحجـاز قادمًـا مـن عُمـان لأداء فريضـة الحـج، فـالتقى بأحـد المـزابيين فأهـدى إليـه قصـيدة يمـدح فيهـا إخوانـه مـن إباضـية نفوسـة (بليبيـا) ، وجربـة (بتـونس) ومـزاب (بـالجزائر)؛ وفـي ذلـك يقـول ابـن بِحمـان عـن مناسـبة الرسـالة: "..هَـذَا وَلَمَّـا اهـتَمَّ بِشَـأنِ الإسـلاَمِ وَالمُسـلِمِينَ، نُـورُ الـدِّينِ وَضِـيَاءُ العَـالَمِينَ العَـالِمُ الفَاضِـلُ ... الشَـيخِ سُـلَيمَان بـن نَاصِـرِ بـن سُـلَيمَانِ بـن عَبـد الله الإسـماعِيلِي، العُمَـانِي الـوَهبِي الإباضـي، شَـيخِ أَهـلِ

1-عمـان: عّمـان بضـم أولـه وتخفيـف ثانيـه واخـره نـون، دولـة عربيـة علـى سـاحل بحـر الـيمن والهنـد تقـع إلـى الجنـوب الشـرقي مـن الجزيـرة العربيـة، تمتـد مـن حـدود قطـر إلـى حـدود حضـرموت، تشـتمل علـى بلـدان كثيـرة ذات نخـل وزرع حرهـا شـديد، أهلهـا اباضـية، عرفـت باسـم الغبـراء، سـكنتها أقـوام مـن العـرب البائـدة ثـم نزلتهـا بعـد ذلـك قبيلـة عمـان القحطانيـة التـي أعطـت اسـمها للـبلاد فـدعيت بـبلاد عمـان، أهـم مـدنها مسـقط، المطـرح، صـور، صـحار، نـزوة الرسـتاق صـلالة سـمائل، أشـهر جبالهـا الجبـل الأخضـر، وجبـل الكـور، وجبـال الحـدان، أهـم أوديتهـا وادي القريـات وادي عنـدام، ووادي حلفـين، ووادي الطـائيين، ووادي الأبـيض، منـاخ عمـان طيـب حـار صـيفاً. ينظـر: سـالم بـن حمـود بـن شـامس السـيابي عمـان عبـر التـاريخ ،ج.1ط.5،وزارة التـراث القـومي والثقافـة ، سـلطنة عمـان، 2001، ص 41-50.

2-معجم أعلام الإباضية، ج2، ص 23.

3-يحـي حـاج امحمـد بـن بهـون، قـراءة فـي مراسـلات الشـيخ إبـراهيم بـن بحمـان الثمينـي الـى الشـيخ سـليمان بـن ناصـر العمـاني ، أعمـال الملتقـى العلمـي الثـامن، التواصـل الحضـاري العمـاني المغـاربي فـي العصـر الحـديث، المركـز الجامعي بغرداية،2011م ص 18.

الطَّرِيقَـةِ المُسـتَقِيمَةِ، وَقُـدوَةِ المِلَّـة المُسـتَبِينَةِ، الـذِّي سَـادَ وَفَـازَ، وَعَـمَّ أَهـلَ زَمَانِـهِ وَحَـازَ، بَعـثَ فِـي شَـأنِ ذَلِـكَ لإخوَانِـهِ مِـن نَفُوسَـةَ وَجِربَـةَ وَالمُصـعَبِّينَ، طِرسًـا مُحتَوِيًـا عَلَـى نَظـمٍ عَجِيـبٍ وَثَنَـاءٍ وَتمجِيـدٍ وَالتَّمسُّـكِ بِالـدِّينِ، وقـد تسـلم تلـك القصـيدة الشـيخ يوسـف بـن محمـد بن سعيد الذي كافأ السلطان سليمان بمدحه هو الآخر بقصيدة من نظمه [1].

وخـلال هـذه الفتـرة تـم تبـادل البعثـات الطلابيـة بـين ميـزاب وعمـان، فقـد ضـم معهـد القُطـب اطفـيش علـى عـدد معتبـر مـن الطـلاب العمـانيين الـذين قصـدوه للإسـتزادة مـن علمــه، كمــا اســتمرت المكاتبــات والمراســلات بينهمــا فــي المســائل الإجتماعيــة والدينيــة والإقتصـادية؛ بحيـث كاتـب وراسـل السـلطان بـرغش الـذي كـان يـدفع لـه منحـة شهريـــــة ويشـارك فـي حركـة النهضـة بطبـع مؤلفـات الإباضـية، وتلقـى الشـيخ اطفـيش سـنة 1881م نسـخة مـن بيـان الشـرع لمحمـد بـن إبــراهيم الكنـدي العمـاني(ق.5هـ) الـذي يحتـوي علـى واحـدا وسـبعين مجلـداً؛ وأخـرى مـن قـاموس الشـريعة لجميـل بـن خمـيس السـعدي الـذي يحتوي على اثنين وتسعين مجلدا [2].

2-مع سلطنة زنجبار:

مـن أبـرز العلمـاء الـذين كـان لهـم الأثـر الكبيـر فـي توطيـد العلاقـات بـين زنجبـار[3] ووادي ميـزاب: الشـيخ امحمـد اطفـيش وهـو أحـد أعمـدة النهضـة الإباضـية فكريـاً وسياسـياً

1-يحي حاج امحمد بن بهون، المرجع السابق، ص20.

2-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.4، ص ص 210-211.

3-زنجبـار: زنجبـار كلمـة فارسـية تعنـي زنـج ،بـار أي سـاحل الـزنج ، بـر الـزنج ويقـال لهـا باللغـة السـواحلية "انغوجـاء" مركبـة مـن كلمتـين ومعنـى أنغـو بالعربيـة المنسـف وجـاء امـتلأ ، تقـع فـي المحـيط الهنـدي وتبعـد عـن البـر الافريقـي مسـافة خمسـة وعشـرين مـيلا ونحـو 2200 ميـل عـن مسـقط ، مـن أهـم مـدنها مقديشـو، الجزيـرة الخضـراء، وكلـوة وبمبـا تحـيط بهـا عـدة جـزر ، سـكانها مـن العـرب وخصوصـا العمـانيون، والهنـود والسـواحلية. أشـهر أنهارهـا نهـر مـويرا تشـتهر بزراعـة القرنفـل والنارجيـل، تكالبـت علـى احتلالهـا كـل مـن ألمانيـا وإيطاليـا وانكلتـرا التـي وضـعتها تحـت حمايتهـا سـنة 1890م لتنـال اسـتقلالها عـام 1963م واتحـدت مـع طانجانيقـا سـنة 1964م لتشـكلا معـا دولـة طانزانيـا. ينظـر: سـعيد بـن علـي المغيـري ، جهينـة الأخبـار فـي تـاريخ زنجبـار، تـح. محمـد علـي الصـلابي، ط.4، وزارة التـراث القـومي والثقافة سلطنة عمان،2001م ، ص ص 83-88.

فكان على إتصال بسلاطين زنجبار وأئمة عمان، يمدهم بالنصح والفتاوى، ويشجعهم على الوحدة والتصدي لهيمنة الانكليز[1]، ومع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين الميلادي وصلت رسالة من سليمان بن ناصر من زنجبار إلى الشيخ اطفيش يخبره فيها بشرائه مطبعة لطبع ما تبقى من كتاب شرح النيل وشفاء العليل، وغيرها من كتب الإباضية بالقاهرة [2]، كما وصله نيشان من السلطان محمود سلطان زنجبار[3] وقد تسلمه الشيخ يوم 15 مارس 1902م بواسطة كومندان ملحقة غردايـة ، كما تم طبع كتاب "هميان الزاد" بالمطبعة السلطانية بزنجبار. وزاره وفد من مشايخها وعلمائها سنة 1877م [4].

ج-العلاقات الثقافية بين ميزاب وجبل نفوسة (ليبيا):

يعتبر جبل نفوسة [5] من أقدم المواطن التي توجد بها الإباضية في شمال إفريقيا، وقد جمعت علاقات ثقافية وأخوية بين الوادي وجبل نفوسة منذ القدم، لم نتحصل على مايشفي غليلنا منها خلال فترتنا المدروسة، خلال هذه الفترة فقد وصف العالم عبد الله بن يحي الباروني (و.1263هـ/1820م-ت.1332هـ/1914م) الشيخ

1-أمل غزال، تاريخ العرب الحديث بين التقسيم الإقليمي والتهميش المذهبي والاثني الإباضية مثالاً، التاريخ العربي وتاريخ العرب كيف كتب وكيف يكتب؟ المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، جمع المؤتمر السنوي للدراسات التاريخية، ط.1، بيروت 2016، ص348.

2-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.4،ص 213.

3-محمد بن يوسف اطفيش، المصدر السابق، ص30.

4-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.4،ص 313.

5-جبل عالي منيف، يمتد على شكل قوس أو هلال يبلغ طوله مائتي كيلومتر، يشمل على عدة مدن نالوت وفساطو وشروس، فرسطاء، ويفرن، وجادو وغريان وترهونة، ومسلاتة، وفيه مياه جارية وكروم وأعناب وتين والشعير، سكنته عدة قبائل أشهرها قبيلة نفوسة من أكبر قبائل البربر، يمتاز بتكامل طبيعي واقتصادي سكانه اباضية ويوجد به عدة أودية منها: وادي لالوت وولدي اكراين، ووادي جلازن.ينظر: أبي القاسم بن حوقل النصيبي ابن حوقل، المصدر السابق، ص 92، وكذا: ينظر: مسعود مزهودي، جبل نفوسة في العصر الإسلامي الوسيط (21-442هـ)(1053-642م) ، نشر وتوزيع مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، سلطنة عمان، ط.1، 2010، ص ص29-33.

اطفيش المجدد، إذ يقول عن ذلك:"...الشيخ عبد الله بن يحي اذ جعلني المجدد نسأل الله تصديق قوله وبارك له إذ قال في قصيدة له:

العُلَمَا انْجُـــمُ وَهُوَ بَدْرُهُم ... شَرْقـــًا وغرْبًا وَهَذَا القَــولُ مُسْتَنَدُ

فَانَهُ حُجَةٌ فِي الأرض قَائِمَة ... بِشَرطِ انْ يَنْتَهِي فِـي عَصرِهِ المُّدَدُ

يَكْفِيكَ عَنْ فَضْلِهِ خَيْرُ تَأَلِفُهُ... لَمْ يَاتِ شَخْصٌ بِهَا فِي عَصْرِنَا وَيْدُ[1] .

استغل القطب اطفيش كغيرها من العلماء مروره بليبيا لأداء فريضة الحج سنة 1886م، بعد أن توقف بمدينة طرابلس فالتقى بعلماء وأعيانها، وكان من بين الحاضرين بحسب لويس دافيد بعض رجال الدين القساوسة[2].

وقدم سليمان الباروني النفوسي إلى وادي ميزاب أول مرة سنة 1895م وبقي ثلاث سنوات يدرس بمعهد القُطب، ونزل ضيفاً في دار الحاج عيسى بن سليمان قائد البلدة آنذاك [3] ولكننا لم نتعرف على العلوم والكتب التي قرأها ودرسها، ولا العلماء الذين التقى بهم وتناقش معهم في مسائل متنوعة؟ ولا ماهي المدن التي زارها من غير بني يزقن وغيره كثير ممن اختاروا معهده لمواصلة دراستهم العليا به، وقد شكلت المراسلات في مجالات عديدة خصوصا الدينية منها والإجتماعية أهم صور هذا التواصل الثقافي بينهما.

3-العلاقات الثقافية بين الوادي والمناطق العربية:

نتيجة حركة بعض العلماء والطلبة المستمرة تجاه البلدان المشرقية – ولو بشكل محتشم– توطدت العلاقات الثقافية بين الوادي وهذه البلدان، وقد رحل طلبة العلم من المنطقة إلى المشرق منذ وقت مبكر، وكانوا حريصين على تخير الرجال والإكثار منهم واختيار أفضل العلماء للدراسة عندهم، وعلى رأس هذه البلاد المشرقية نجد :

1-محمد بن يوسف اطفيش، إن لم تعرف الإباضية ياعقبي، ص 12.

2 -Louis David,Un Savant au Mzab Le Cheikh Atfych (1825-1914),eBox editions,P11

3- يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.4، ص210.

1-مصر: إستقبلت مصر منذ منتصف القرن الثامن عشر أعداداً من الشيوخ والطلبة المزابيين، فقد انتقل إليها الكثير من الطلبة من الوادي لمزاولة أو لإكمال دراستهم العليا خاصة في مجال علوم اللغة العربية، والمنطق، والعلوم الطبيعية، والرياضيات فمعظمهم كانوا يقيمون بحي الأزهر الشريف أو بوكالة الجاموس[1]؛ وهي مدرسة للإباضية في القاهرة ،ولهم رواق يسمى رواق السعد التفتازاني[2]، وبرواق المغاربة، وقد أعجب الميزابيون كغيرهم من الجزائريين إعجابًا خاصاً بمصر، وذلك للأسباب الاتية:

-تعتبر مصر وجهة العلم والحضارة لمن أراد أن يتفقه في بحر العلوم عليه بزيارتها فقد كانوا يعرفونها أكثر من أي بلد عربي أخر لوقوعها في طريق الحج[3] .

-موقعها الإستراتيجي المهم في المشرق العربي.

-وجود الجامع الأزهر الشريف[4] أشهر الجوامع التعليمية في البلاد العربية.

1-وكالة الجاموس: هي محل إقامة الطلبة الراغبين في مواصلة علومهم بمصر إضافة الى إيواء الحجيج عند ذهابهم أو عودتهم من البيت الحرام. ينظر: إبراهيم بن بحمان المصعبي، رحلة المصعبي، تح وتع. حاج امحمد يحي بن بهون، ط.1 ، المطبعة العالمية،غرداية،2006، ص63.

2-مسعود بن عمر التفتازاني المعروف بسعد الدين، صاحب التصانيف المشهورة ، ولد بتفتازان سنة 722هـ/1322م أخذ العلم على أكابر أهل العلم في عصره أظهر تفوق كبير في النحو والصرف والمنطق والبيان والأصول والتفسير والكثير من العلوم حتى طار صيته حتى قصده الطلبة للأخذ عنه ،بدأ رحلة التأليف في سن مبكرة اذ ألف الزنجانية في سن ست عشرة سنة أشهر مؤلفاته : "رسالة الإرشاد" و"المقاصد" و"مفتاح الفقه" و" تهذيب الكلام" و"حاشية الكشاف" وغيرها من المؤلفات ، توفي في محرم 792هـ /1389م.ينظر: محمد بن علي الشوكاني، البدر= =الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع،ج2، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة ،د.ت، ص ص 303-304. وكذا: ومحمد بن يوسف اطفيش، المصدر السابق، ص28.

3-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5 ، ص 496.

4-الجامع الازهر : أعرق الجوامع الإسلامية، تم بناؤه في زمن الفاطمين بنى بعد مدة من تأسيس القاهرة المعزية الفاطمية ، بدأ في إنشائه سنة 359هـ، افتتحه القائد جوهر الصقلي بصلاة الجمعة به في 7 رمضان سنة 361هـ/21 جويلية 972م ، يقع جنوب شرق مدينة القاهرة ، أدى عدة وظائف دينية وتنظيمية وثقافية وعلمية ، بدأ يكتسب الطابع العلمي له بعد ثلاثة أعوام من انشائه ، فهو أقدم جامعة علمية إسلامية واشهرها، فهو محجة ومقصد علمي لابد منه لمن يودون التزود على يد شيوخة من المعارف ، لذلك ظل لعدة قرون كعبة المسلمين الثقافية ، فهو مفتوح الأبواب للطلاب المسلمين الذين يطلبون العلم والمعرفة في كافة التخصصات، حيث استمرت الدراسة فيه منذ انشائه إلى الأن بدون انقطاع تقريباً، درست به نخبة من العلماء والمثقفين، والطلاب، من أهم=

– كانت مصر طريقا رئيسية تربط المشرق بالمغرب، وملتقى يجمع مختلف الفئات إليه من التجار والحجيج وطلاب العلم.

–توفر أسباب الإقامة والإستزادة من مراكزها العلمية، فقد كان للطلبة الإباضين من مختلف المناطق خانٌ (محل إقامة) يؤويهم، وهو الأمر الذي ساعدهم على انتظام أحوالهم، وكوّنوا بها مكتبة عامرة بالمخطوطات غزيرة بالمصنفات وأمهات الكتب في شتى العلوم، وصارت موقوفة للدارسين والباحثين المقيمين بها.

لهذه الاسباب استقبلت مصر عدداً معتبراً من علماء المنطقة منذ القديم، يذكر الشيخ اطفيش أن الشيخ عبد الله بن عيسى قرأ في مصر واشترى كتباً [1]، وجاءها الشيخ أبو يعقوب يوسف بن محمد (ولد عام1669م بمدينة مليكة) قادماً من جربة التونسية عام 1718م أين حضر دروس الأزهر[2] للنيل من بحر معارفها. والشيخ أبو زكريا يحي بن صالح الأفضلي المعروف "بعمي يحي" باعث النهضة الإصلاحية بوادي ميزاب والذي رحل إليها مع النصف الثاني من القرن الثامن عشر، أين لازم دروس المدرسة الإباضية ودروس جامع الأزهر، إلى جانب نسخه لنفائس الكتب هناك[3]، وتزّاسل الشيخ عبد العزيز الثميني مع شيخه عمرو بن رمضان التلاتي حين كان هذا الأخير ينهال من علوم مصر، وبهذه الديار حل الشيخ أبو يعقوب يوسف بن حمو بن عدون أثناء رجوعه من الحج سنة 1791م، حيث أقام فيها أربع سنوات

=مظاهر الحياة العلمية به : المناقشات العلمية الحرة ، والاجازات الدراسية والدرجات الفخرية، ونظام المعيدين والأساتذة الزائرين، وقد أدى تحوله من جامع إلى جامعة إلى انشاء العديد من الاروقة لاستقبال الدارسين الوافدين إليه من مختلف بلاد العالم الإسلامي، لذلك يعتبر من أقدم الجامعات الدينية في العالم. ينظر: محمد كمال السيد محمد، الأزهر جامعا وجامعة أو مصر في ألف عام، الهيئة العليا لشؤون المطابع الاميرية، مصر،1986م، ص ص8–12.

1–محمد بن يوسف اطفيش، المصدر السابق، ص 30.

2–يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط. 4، ص 119.

3–معجم أعلام الإباضية، ج4 ، ص 966.

وحضر دروس كبار العلماء بالأزهر، وينسخ الكتب القيمة من بينها كتاب " نزهة الأديب وريحانة اللبيب" لعمرو بن رمضان التلاتي[1].

وقد قصد الشيخ إسماعيل بن زيان(و.1803م-ت.1901م) مصر بعد رجوعه من البقاع المقدسة، حيث استقر به المقام لمواصلة دراسته في الجامع الأزهر الشريف مدة اثنتا عشرة سنة، وكان من بين أساتذته الشيخ والعلامة عايش[2].

كما حضر صالح بن عمر بن داود لعلي(و:1870م-ت.1928م) دروس الأزهر الشريف بالقاهرة عند مروره بها إلى الحج[3]، واستغل الطلبة فرصة تنقلهم من الوادي إلى مصر في ربط أواصر التبادل الثقافي من خلال تبادل الأفكار، والآراء والمسائل ونسخ ما يمكن ويصلح نسخه من أمهات الكتب هناك، واستكشاف ما ظل مغموراً بها من كتب متنوعة، وساهموا في تنشيط الساحة الثقافية والفكرية في مصر وتونس والجزائر. ومن أبرز هؤلاء العلماء نذكر الشيخ اطفيش فأثناء رحلتيه إلى الحج للمرة الثانية سنة 1887م، عرج نحو زيارة الأزهر الشريف، وكانت له مكاتبات مع

1-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط.4، ص 129.

2-جمعية أعيان عرش للماية، المرجع السابق، ص26.

3-معجم أعلام الإباضية، ج 3 ، ص 475.

علمـاء عصـره كالعـالم محمـد عبـده[1]، وعبـد الله البـاروني[2]، وغيـرهم ومـع بعـض مراكـز العلـم واسـتخدم طلبتـه فـي ذلـك الـذين ارتحلـوا إلـى هـذه المراكـز لمواصـلة تعلـيمهم وبقـاء الواسـطة بينـه وبينـهم كمـا طبعـت كتبـه فـي مصـر والـبلاد المشـرقية[3]؛ وعـن ذلـك يقـول القُطـب اطفـيش :" ...فهـم الـذين كتـبهم المطبوعـة عنـد علمـاء مصـر كلمـا طبـع كتاب من كتب الإباضية اخذوا منه نسخة كما هو المعتاد مع غير الإباضية..."[4] .

2-الحجـــاز: إن زيـارة البيـت العتيـق ركـن مـن أركـان الإسـلام لمـن اسـتطاع إليـه سـبيلاً وقـد أقـدم السـكان علـى تلبيـة هـذه الـدعوة الغاليـة اسـتجابة لقولـه تعـالى:﴿ وَأَذِّن فِـي النَّـاسِ بِـالحَجِّ يَـأْتُوكَ رِجَـالاً وَعَلَـى كُـلِّ ضَـامِرٍ يَـأْتِينَ مِـنْ كُـلِّ فَـجٍ عَمِيـقٍ لِيَشْـهَدُوا مَنَـافِعَ لَهُـمْ وَيَـذْكُرُوا اسْـمَ اللهَ فَـي أيَـامٍ مَعْلُومَـاتٍ﴾[5]، إلا أن هـذه الزيـارات لـم تكـن تحمـل بـين طياتهـا

1-محمد عبده : ولد الأمام محمد عبده ونشأ في قرية محلة نصر بالبحيرة بمصر، وبعدما أتّم تعليم القراءة والكتابة عند سن العاشرة حفظ القران الكريم في سن الثانية عشر، وفي سنة 1862م التحق بالجامع الاحمدي بطنطا فأتم فنون التجويد، وفي سنة 1864 جلس في دروس العلم بذات المسجد قضى فيه ما يزيد عن أربعة سنين في تنويع معارفه الفكرية والتصوفية ، ثم دّرس بالأزهر ، حضر دروس جمال الدين الافغاني به، كان من دعاة الإصلاح ومكافحة التخلف والجمود الفكري ، لذلك أبقته انكلترا حبيساً في قريته محلة نصر، دافع طوال حياته على وحدة الوطن والاخاء بين الناس والحرية والإصلاح على مختلف نواحي الحياة ونتيجة ذلك نفي فسافر الى سوريا عام 1883م، ثم سافر إلى فرنسا وأسس مع جمال الدين الافغاني جريد "العروة الوثقى"، كما ألف "جمعية مسلمي الهند ومصر والمغرب وسوريا" وإيقاظهم من غفلتهم واعلامهم بالأخطاء المحدقة بهم، سافر إلى عدة دول عربية، عين سنة 1894 عضو مجلس إدارة الازهر، فمفتياً للديار المصرية وعضو مجلس شورى القوانين وظل يجاهد في سبيل الإصلاح والرقي خلف عدة مؤلفات من بينها : رسالة التوحيد ونقل إلى العربية رسالة الرد على الدهريين وشرح كتاب البلاغة ومقامات بديع الزمان الهمداني وعدة كتب في الفلسفة والتصوف من بينها "حاشية على شرح الجلال الدواني للعقائد العضدية" عام 1875م ، وبعض المقالات في جريدة الاهرام، الوقائع المصرية، والعروة الوثقى . توفي في 11 جويلية 1905م ينظر: أحمد تيمور باشا، أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث، دار الافاق العربية، مصر 2002 ص ص 143-170.

2-عبد الله الباروني : عبد الله بن يحي الباروني النفوسي من علماء الإباضية ولد بجادو عام 1820م، تلقى العلم على مشايخ تونس كما أخذ العلم على علماء الازهر ، كان أحد قادة الإصلاح الاجتماعي ، ترك عدة مؤلفات من بينها : " سلم العامة والمبتدئين الى معرفة أيمة الدين " و قصائد عدة ، توفى عام 1914م . ينظر: خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج4، ص145.

3-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 3، ص ص 268-272.

4-محمد بن يوسف اطفيش، إن لم تعرف الإباضية ياعقبي، ص29.

5-سورة الحج، الاية 27-28.

البعد الديني والزيارة فقط، كانت الرحلة في طلب العلم أمرا لابد منه لاكتساب الفوائد، والكمال بلقاء المشايخ فأُعْتُبِرت الحجاز موطناً للإستزادة من العلوم الشرعية، والتبحر فيها وفرصة للقاء العلماء. ورغم ذلك لم تشكل العلاقات الثقافية اهتمامًا كبيرًا بين علماء المنطقة وعلماء الحجاز وذلك لعدة اعتبارات:

-إرتبط الوافدين إلى الحجاز ارتباطًا روحيًا أكثر من أي جانب وغرض أخر.

-يتطلب أداء فريضة الحج على الوجه الأكمل إستعدادًا ماديا ونفسياً، لا يتوفر لكل الناس في كل الأوقات.

-البعد الجغرافي بين المكانين، حيث تعتبر أراضي الحجاز والمغرب العربي وخصوصًا منطقة وادي ميزاب، من أطول المسافات التي يستغرقها الذاهبون إلى البقاع، ففي الغالب تستغرق الرحلة منها إلى البقاع المقدسة ذهاباً أكثر من ثلاثة أشهر، وثلاثة أشهر عند العودة[1]، إذ يتطلب ذلك قطع العديد من القفار والفيافي برًا وبحرًا.

-أخطار الطريق التي تعترض طريق القاصدين البيت الحرام بِرُا، فقد كانت محفوفة بالمخاطر من قبل اللصوص وقطاع الطرق، حتى أنها تؤثر على صِحَاحِ الأجسام وتذيب شحوم سمان الإبل، لطولها وصعوبة مراحلها ولندرة الماء وفقدانه في جهات [2]، وعبر إبراهيم بن بحمان عما يلاقيه المسافر في هذه الطريق بقوله:

فَجْرُ ذُيُولِ اَلسَيْلِ بَعْدَ صَبِيحَة ... عَلَينَا فَصِرْنَا هَارِبِينَ بِلاَ رَيٌا

نَجٌوْنَا وَرَبُ البَيْتِ مَنْ بَأْسِ شَرِهِ ... بِعَوْنِ عَظِيمِ الفَضْلِ لِلخَلْقِ بَارِيًا

فَضَرْبُ بِأَرْضِ قِطْعَةِ مِنْ جَهَنَمَ... عَلَى كُلٌ مُوسَع وَلَوْ كَانَ دَانِيًا

1-تستغرق عادة الرحلة إلى الحجاز مئة وعشرين يوماً ذهابا، في حين تستغرق ثلاثة أشهر عند العودة، أي أقل مدة من الذهاب ذلك لأن الحاج يسرع في عودته إلى وطنه شوقا إلى أهله وأقاربه، بالإضافة إلى أنه يكون قد اكتسب خبرة ومعرفة بالطريق بعد الذهاب.

2-إبراهيم بن بحمان المصعبي، المصدر السابق ، ص50.

مُكَيِّف بِمُقْتَر ذِي ضَنْكِ مَعِيشَة...عَلِيلاً ضَعِيفَ الجِسمِ بالهُمِ كَاسِيًا[1]

وكما لا تخلو الرحلة من المصاعب لمن يسافر على ظهر السفن بحرًا.

-رغبة الإنسان في المنطقة في السعي لإشباع رغبته من المعرفة من مراكز الإشعاع الروحي والفكري، تلك المراكز التي كان يتصدرها قُطب مكة [2] (البيت الحرام) ﴿إِنَّ أَوَلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ [3].

-لم يهتم معظم من توجه إلى الحجاز بتدوين ووصف رحلاتهم وملاحظاتهم ولقاءاتهم سواء من عامة الناس أو من العلماء، إلّا عدد قليل من الأخيرين، ورغم ذلك فزيارة المقصد الأكبر هو سر المطالب الجليلة، ورؤية الحرمين الشريفين هو منية الساكنة.

لقد كانت مناسبة الحج إلى بيت الله الحرام فرصة لتلاقي العلماء الأعلام من مشارق الأرض ومغاربها، ولتعميق أواصر الصِّلة وتبادل الرأي والمشورة، وكذا تبادل الكتب والمراجع العلمية، وإقامة المناظرات العلمية وطلب الفتوى إلى غير ذلك. لذلك فقد قصد بعض المشائخ والعلماء الحجاز غير مُفوِتين الفرصة للالتقاء بأعلامها وعلمائها فهي تمثل تجربة روحية رحلية علمية وتعليمية سلوكية تهذيبية، لذلك كان الحج لفقيه أو عالم مرتبطًا بعد أداء الفريضة أن يأخذ على شيوخ مكة والمدينة، وعلى شيوخ البلدان التي يعبرونها فيأخذون الإجازة والرواية[4]، فقد رحل إلى الحجاز إبراهيم بن بحمان الثميني(ت.1817م) من علماء بني يزقن البارزين، ويعتبر كتابه (مختصر المناسك ومهذب المسالك) من الكتب المهمة التي لها صلة وثيقة برحلته الحجازية وقد تضمن بردته وشوقه إلى البيت الحرام فيقول فيها:

إنِّي رَأيتُ خَيَالَ البَيتِ والحَرمَ ... في ليلةٍ من لَيالِ الأشهُرِ الحُـرُمِ

1- إبراهيم بن بحمان المصعبي، المصدر السابق، ص 83.

2-عبد الهادي التازي، رحلة الرحلات مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة، ج.1، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي الرياض،2005 ص 25.

3-سورة آل عمران : الآية 95-96.

4-بعلي حفناوي، المرجع السابق، ص445.

بِتُ لذَاكَ الخَيالِ سَاهِرًا بِهَـو ... والجِسمُ في سقمٍ والقَلبُ في ضَرمِ

مَا لاَحَ بَدرُ وما غَنَّت مُطوّقَةٌ... وَحَنَّ صَبٌ إِلَـى الطّواف بالحَرمِ

وَرَن قَلبِـي بِمَا قَد قُلتُه وَجِمًا...إنـي رَأَيتُ خَيَالَ البَيتِ ذِي الحُرَمِ[1] .

وفـي كتابـه مختصـر المناسـك هـو فـي الأصـل شـرح علـى كتـاب مناسـك الحـج للشـيخ بـن موسـى الجيطـالي، وقـام بتهذيبـه واختصـاره لينتفـع بـه القاصـدين لبيـت الله الحرام.

وتعـد رحلـة المصـعبي مـن أبـدع الـرحلات الحجازيـة فـي تلـك المرحلـة، وقـد ضـمت معلومـات مهمـة وفوائـد وتقييـدات، كمـا أضـافت لأدب الرحلـة عنـد المغاربـة معـاني جديـدة وكشـفت النقـاب علـى أحـداث تاريخيـة مهمـة عاشـها العـالم الإسـلامي أنـداك وسـجل فيهـا مراحـل رحلتـه بـاليوم والشـهر[2]، فهـي مـن المصـادر المهمـة للتعـرف علـى أوضـاع الجزائـر وبلـدان تـونس وليبيـا ومصـر والحجـاز نهايـة القـرن الثـامن عشـر المـيلادي، فهـي تصـف الواقـع السياسـي والإجتمـاعي والإقتصـادي، وتوضـح بشـكل دقيـق للجغرافيـا والمسالك ونقاط الماء والعمران[3].

ومـن أبـرز العلمـاء الـذين أرسـوا لعلاقـات ثقافيـة واضـحة المعـالم بـين المكـانين؛ نـذكر الشـيخ اطفـيش، فأثنـاء رحلتـه الأولـى إلـى الحـج عـام 1290هـ/ 1873م، مكـث فـي المدينـة عامًـا دَرَس فيـه كتـاب "السنوسـية فـي عقائـد المالكيـة"، ودوّن خـلال ذلـك معظـم ملاحظاتـه ولقاءاتـه مـع الشخصـيات والعلمـاء، وألـف فـي مكـة ولعلمائهـا كتابـه الشـهير فـي المنطـق: " إيضـاح المنطـق فـي بـلاد المشـرق" [4]، كمـا التقـى بعـض علمـاء مكـة

1-إبراهيم بن بحمان المصعبي، المصدر السابق، ص، ص 90-100.

2-بعلي حفناوي، المرجع السابق، ص ص 455-456.

3-إبراهيم بن بحمان المصعبي، المصدر السابق، ص 57.

4-بعلي حفناوي، المرجع السابق، ص454.

والمدينة ومن بينهم أحمد زيني دحلان[1]، ومحمد سليمان حسب الله[2]، ومحمد حقي بن علي بن إبراهيم[3] يذكر القُطب اطفيش ذلك:" ...فقد عرفهم الشيخ إبراهيم حقى العالم التركي المؤلف اذ خدمني في المسجد الحرام حتى حسدني اهل مكة ...وطلبني أن اعطيه حكمة في علم الجدول"[4]، ويقول أيضا في جوابه للعقبي :"...وان لم تعرف الإباضية فقد عرفهم دحلان وحسبي الله الشافعيان الحاضر احدهما في اقراءي في المسجد الحرام تاليف السنوسي في التوحيد بحواشيه وابحاثه وشروحه لجماعة في ابهة عظيمة من اهل عمان ومضاب واهل الجبل.."[5] وغيرهم كثير.

وفي رحلته الثانية إلى هناك سنة 1303هـ/ 1886م، نزل بالمدينة المنورة هو ومن معه من الطلبة ضيوفًا على دليل القطر الجزائري الشيخ حمزة الرفاعي[6] في

1-أحمد زيني دحلان: فقيه مكي ومؤرخ ولد بمكة عام 1817م، تولى الإفتاء والتدريس وفي أيامه أنشئت أول مطبعة فطبع فيها بعض كتبه، ترك عدة تصانيف منها " الفتوحات الإسلامية " و "الجداول المرضية في تاريخ الدول الإسلامية" و"خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام" و" الفتح المتين في فضائل الخلفاء الراشدين وأهل البيت الطاهرين" و "السيرة النبوية "و "رسالة في الرد على الوهابية" ، توفي في المدينة عام 1886م . ينظر: خير الدين الزركلي، المرجع السابق،ج. 1 ، ط.7 ، ص ص 129-130. وكذا: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ج 3، ص 267.

2-محمد سليمان حسب الله : فقيه شافعي ولد بمكة عام 1828م ،له عدة تصانيف منها "الرياض البديعة في أصول الدين و بعض فروع الشريعة" و "حاشية على مناسك الحج للخطيب الشربيني" توفى عام 1917م. أنظر : خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج6،ط.15 ، 2002، ص 152.

3-محمد حقي بن علي بن إبراهيم النازلي: فاضل متصوف من علماء ايدين حي سنة 1884م لد عدة مؤلفات من بينها: " السنوحات المكية في آداب التجارة" و "أسباب القوة في أداب الأكل والشرب" و "أحكام المذاهب في أطوار اللحى والشوارب " و" تنبيه الرسول على تقصير الذيول" و "طب القران" و" رسالة في أحاديث المغفرة " توفي بمكة. ينظر: خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج6،ط.15 ، 2002، ص 108.

4-محمد بن يوسف اطفيش، إن لم تعرف الإباضية ياعقبي، ص ص10-11.

5-نفسه ص ص 10-11.

6-الشيخ حمزة الرفاعي : هو دلالة القطر الجزائري ، لقد كانت الدولة العثمانية تعين أدلاء لوفود حجاج ضيوف الرحمان للقيام بمصالحهم والسهر على راحتهم وتوفير أسباب الزيارة المريحة لتلك المأثر الشريفة مدة اقامتهم وترحالهم. وبعد وفاة دلالة القطر الجزائري السيد أحمد السّمهُودي ال تقرير الجزائر رسميا إرثا لبناته لأنه لم يخلف ولد ذكراً، فوكلن أحد أقاربهن للقيام بشؤون الحجيج وبعد وفاة بنات السّمهُودي انحصر إرثه في إبنته الشريفة فاطمة جدة والدة الشيخ حمزة الرفاعي وبعد وفاته ألت دلالة القطر الجزائري إلى لورثته من الأولاد الذكور ومنهم أحمد بن حمزة الرفاعي المدني موطناً واخوته. وأثناء زيارة الحاج اطفيش للبقاع المقدسة ونزوله بالمدينة أقام عند=

داره القريبة من المسجد النبوي، وقد سمح له مفتي المدينة المنورة محمد بالي الحنفي بإلقاء دروس بالمسجد النبوي لمدة ثلاثة أيام[1]، وقد أهداه أحد علماء الحرم على كتاب الصحاح الستة وموطأ الإمام مالك [2]. وقد كتب فيها " قصيدته الحجازية " من مئتان واثنان وثلاثون بيتاً يقول فيها:

هَجَرنَا مَسَاقِطَ الرّؤوسِ ومَا نـرَى...سِوَى الحَجِّ أنّ الحَجِّ قَد حَانَ أَن يُرَى

وَغيَـرَ اعتِمـارٍ وَالـزِّيارَةَ للنّبِي...عَلَيـهِ الصّلاَةُ وَالسّـلاَمُ زَهَـا الثّـرَى

فَلِلّـهِ حمـدٌ حَمدُ فَانٍ لِذَي البَقـَا... وَحَمـدُ فَقِيـرٍ لِلغَنّـي عَـنِ الوَرَى

فَـوَاهًا وَلَكِـن تَسَتّرت السّـمَا ... فَأَطمَاعُنا فـي اللهِ إذ نُـورُهُ وَرَى [3]

وقد ذكر في رحلته مسالك الذهاب والإياب[4]، وأهم المدن التي نزل بها وزارها والمعالم التاريخية التي شاهدها، والناس الذين اجتمع بهم وخصوصا لقاءاته بالعلماء والأعلام في كل مدينة توقف بها ومرحلة. لقد قدمت هذه الرحلة الحجازية إضافة جديدة من المعلومات الجغرافية القيمة في تاريخ الكشف الجغرافي، وتحديد المعالم بين ميزاب والحجاز.

=الشيخ حمزة الرفاعي بداره بباب المجيدي القريبة من المسجد النبوي الشريف. يروي الشيخ أحمد بن حمزة الرفاعي كيف سمح للقُطب اطفيش من القاء درسه بالمسجد النبوي ومسألة القاء الشيخ اطفيش دروسه تبركاً من تفسير القرآن العظيم بالمسجد النبوي المتعارف عليه أنه لا يسمح لأي عالم قادم من الخارج أن يلقي درساً في المسجد النبوي إلا بعد صدور الاذن له من مفتي المدينة المنورة حينذاك فذهب الشيخ حمزة إلى الرفاعي لفضيلة مفتي المدينة المنورة العلامة الشيخ محمد بالي المدني لطلب الإذن للشيخ اطفيش، ولما عرف أنه إباضي المذهب رفض ذلك ولكن الشيخ حمزة قال للمفتي : عندي ملحوظة وهي إذا استحسن نظر فضيلتكم عينوا خلف درسه علماء إذا ظهر منه مخالفة بما جاء به القرآن والسنة يمنعوه حالاً، فوافق المفتي على طلبه وأذن للشيخ اطفيش بإلقاء دروسه بالمسجد النبوي مدة ثلاثة أيام دون أن يعترض عليه أحد. ينظر: محمد بن يوسف اطفيش، رحلة القُطب، تح. حاج امحمد يحي بن بهون ط.1 المطبعة العالمية، غرداية 2007، ص ص44-46.

1-محمد بن يوسف اطفيش، المصدر السابق، ص ص 09-10.

2-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط. 4، ص212.

3-محمد بن يوسف اطفيش، رحلة القُطب ، ص 62.

4-رشيد حيدرة ، مسائل التحقيقية في بيان التحفة الاجرومية (للشيخ امحمد بن يوسف اطفيش)، رسالة ماجستير جامعة السانيا، وهران،2013، ص11.

3-الدولة العثمانيـــة (تركيا):

لقـد كانـت للشـيخ اطفـيش إتصـالات بالخلافـة العثمانيـة أيـام عبـد الحميـد الثـاني 1876م-1909 م، إذ كـان يـرى فـي حكـم العثمـانيين رمـزاً للحكـم الإسـلامي البـاقي إلـى عهـده[1] ، وكـان يسـانده علـى فكـرة الجامعـة الإسـلامية، محـذراً إيّـاهُ مـن نيـات الـدول النصـرانية للـدخول بطريقـة مشـروع سـكة حديـد الحجـاز إلـى الـبلاد المقدسـة، وقـد أهـدى إيـه السـلطان عبـد الحميـد الثـاني نيشـاناً، وهـو مـا يـذكره فـي كتابـه " إن لـم تعـرف الإباضـية يـاعقبي :"... وأن لهـم ولمؤلـف هـذه الأوراق اتصـالا بسـلطان القسـطنطينية... فهم قـوم المؤلـف لهـذه الورقـات امحمـد بـن الحـاج يوسـف اطفـيش الـذي جـاءه نيشـان مـن السـلطان الكبيـر سـلطان اصـطنبول صـاحب القسـطنطينية..."[2] ، وربمـا هـو النيشـان الـذى أشـار إليـه المؤلـف يوسـف بـن بكيـر الحـاج سـعيد فـي كتابـه تـاريخ بنـي مـزاب :"...أهـدى إليـه السـلطان العثمـاني عبـد الحميـد الثـاني نيشـانا عنـدما حـل "لغـز المـاء" فـي مسـابقة وقعـت بـين معاصـريه مـن العلمـاء فقـال رجـال الاكاديميـة الفرنسـية : " نحـن أحـق وأولى من تركيا في تكريم الشيخ اطفيش..."[3] .

وخـلال الحـرب التـي وقعـت بـين الدولـة العثمانيـة واليونـان مـع السـنوات الأخيـرة للقـرن التاسـع عشـر المـيلادي كـان يـأمر طلابـه بالـدعاء لنصـرة الدولـة العثمانيـة[4] فالأوضـاع السياسـية كانـت أحـد الأسـباب التـي دفعـت إباضـية منطقـة وادي ميـزاب علـى الانفتـاح علـى فكـرة الوحـدة الإسـلامية، كنـوع مـن المقاومـة للإسـتعمار، وظلـوا حتـى أواخـر الحـرب العالميـة الأولـى يـأملون بنصـر عثمـاني علـى القـوى الأوروبيـة يُعِيـد إلـيهم استقلالهم [5].

1-مصطفى بن الناصر وينتن، المرجع السابق، ص 53.

2-محمد بن يوسف اطفيش، المصدر السابق، ص29.

3-يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط. 4، ص214.

4-أمل غزال، المرجع السابق، ص348.

5-نفسه ص349.

ورغم أن شعر ابن الحرمة كان في المدائح النبوية وغيرها من المواعظ، لكنه ترك قصيدتان في حروب الدولة العثمانية مع روسيا والبلقان معبراً عن تحمسه للدولة العلية والخلافة الإسلامية داعياً لها بالنصر، ومعتزاً بها وبأبطالها في الحروب التي خاضتها نهاية القرن التاسع عشر الميلادي ضد الدول الغربية كأدهم باشا [1]. ولكن لم تذكر المصادر التاريخية نوع وطبيعة هذه العلاقة الثقافية بين الوادي والدولة العثمانية؟ وفي ماذا تمثلت؟ ومع من كانت؟ ومتى بدأت تحديداً؟.

4- نتائج العلاقـــــات الثقافيـــــة:

-إزدهار واتساع حركة استنساخ الكتب والمخطوطات التي يصطحبها معهم العلماء والحجاج والطلبة من البلاد المشرقية أو المغربية، للاستئناس وللقيام أحياننا بالمقارنات والمفارقات والمنافسة على الزيادات وإضافة المعلومات التي لم يذكرها السابقون.

-استمرار العلاقات بين علماء المنطقة وعلماء المدن الشمالية للبلاد؛ فالبرغم من بعدها عن المراكز العمرانية والحضارية، ووقوعها في الصحراء، إلا أنها لم تكن بمنأى عن مسرح التفاعلات الثقافية الحاصلة في الجزائر وخارجها، ولو بشكل قليل تاركة بصماتها القوية في ذلك.

-إنّ المراسلات التي كانت بين شيوخ وعلماء المنطقة ونظرائهم من البلاد العربية والإسلامية على تنوع موضوعاتها واختلاف أصحابها، تعكس جوانب خفيّة من تاريخ الأدب الجزائري المحلي الحديث والمعاصر، كما تعكس ما لها من قيمة وأهمية خاصة وأنها قدمت إضافة للثقافة والأدب الجزائري، وهي فوق ذلك تعبير صادق للتواصل الفعلي والعفوي وتحمل تفاصيل هامة ليس فقط حول العلاقات بين الأفراد بل تقدم صورة واضحة حول الرؤى والقضايا المختلفة ؛ فهي جديرة بالتعمق أكثر بالبحث والدراسة من طرف أهل الإختصاص للغوص في تاريخ هذه العلاقات الثقافية، وتتبع أثارها داخليًا وخارجيًا.

1-محمد علي دبوز، المرجع السابق، ص186.

-إثـراء الرصـيد الثقـافي المحلـي بثقافـة جديـدة خصوصـا المشـرقية منهـا، حتـى وإن تباعـدت الأمصـار وطالـت المسـافات بيـنهم، فأغلـب العلمـاء والطلبـة أبقـوا علـى التواصـل مـع كـل مـن تعرفـوا علـيهم خـلال رحلـتهم أو مـدة إقـامتهم بمعاهـد أو مسـاجد هـذه البلـدان فحـدثت بيـنهم المراسـلات المتنوعـة، وتبـادل الكتـب وطبعهـا؛ حيـث تحتـوي مكتبـات الـوادي بالعديـد مـن المؤلفـات مـن خـارج المنطقـة، وهـو مـا يعبـر عـن هـذا التوصـل العلمـي الذي كان يربط المنطقة بغيرها من الحواضر العلمية.

-لقـد أوجـدت هـذه العلاقـات الثقافيـة فرصـة لخلـق أجـواء التواصـل الإنسـاني الهـادف بـين المشـرق الإسـلامي ومغربـه خاصـة، لمـا كانـت بيـد العلمـاء. كمـا نلمـس صـدى هـذه العلاقات في أمر المعاملات التجارية.

-لقـد شـكلت الـرحلات الحجازيـة -علـى نـدرتها- إحـدى حلقـات التواصـل الهـادف بـين المشـرق والمغـرب الإسـلامي (وادي ميـزاب بـالجنوب)، عنـد التقـائهم فـي الحجـاز ومصـر وتـونس وليبيـا بعلمـائهم. وكانـت فـي نفـس الوقـت عونـاً كبيـراً باعتبـار أنهـا مـن أهـم المصـادر المحليـة، بتأكيـد الوقـائع عـن طريـق المشـاهدة والمعاينـة؛ وتقيـد الأحـداث وترسـيم معـالم جغرافيـا البلـدان بـين القطـرين الشـرقي والمغربـي، وخصوصـاً فـي كتابـة تـاريخ مكـة والمسـجد الحـرام والكعبـة ومـا يتصـل بهـا؛ وبـذلوا جهـدهم للإسـهام فـي كتابـة تـاريخ تلـك البقـاع لـيس مـن الناحيـة العمرانيـة، ولكـن كـذلك مـن الناحيـة الإجتماعيـة والسياسـية والثقافيـة. وقـد سـاهم أصـحاب الـرحلات المنطلقـة مـن الـوادي فـي توسـيع مـداركنا حـول مجتمعـات المشـرق والمغـرب بفضـل مـا نقلـوه مـن معلومـات عـن طريـق مجاورتهم للعلماء والمشايخ.

-سـاهمت حركـة الطلبـة مـن الـوادي إلـى الـبلاد العربيـة ومـن هـذه الأخيـرة إلـى الـوادي فـي إبـراز شـكل المجـالس العلميـة المنعقـدة فـي المعاهـد والمسـاجد والمـدارس، كمـا فـتح بعـض أعيـان المنطقـة بيـوتهم ومكتبـاتهم الخاصـة أمـام طلبـة العلـم، ومـا ميـز هـذه الحلقـات الطلابية هو أنها طغت عليها مواضيع العلوم الشرعية.

-لم يقتصر التواصل بين العلماء على تبادل الكتب والرسائل، بل كانت فرصة لتعبيد الطريق لما يعرف بـ "البعثات الطلابية العلمية"؛ والتي بدأت مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وتوفير ظروف إقامتهم في أهم الجوامع، كالجامع الأزهر بمصر، وجامع الزيتونة بتونس، والحرم المكي حيث المسجد النبوي الشريف.

-لقد وقفت الثقافة المحلية وعلى رأسها علمائها الأجلاء والمشرفين على الطرق الصوفية ومقدميها في وجه المد الفرنسي الثقافي، وخصوصا النشاط التبشيري المتمثل في جمعية الآباء البيض.

وخلاصة الفصل الرابع، لقد ارتبط الوادي ثقافيًا وعلميًا بعض المدن الجنوبية كوادي ريغ وورقلة والمناطق الشمالية كالجزائر وقسنطينة وتفاعل مع علمائها في مسائل وأجوبة فقهية، هذه العلاقة الثقافية كانت أكثر حيوية مع البلاد المغاربية كجربة، وجبل نفوسة والبلاد العربية وعمان وزنجبار، وأمام موجة التيارات الفكرية الجديدة التي ظهرت في القرن التاسع عشر، حاول علماء المنطقة التفاعل معها، فانفتحوا على تركيا ومصر والحجاز ناقلين فكرهم وآرائهم وجالبين منها أشهر وأهم الكتب المنوعة.

لقد انعكست الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية على الحياة الثقافية والتي ميزت المنطقة خلال القرن والنصف قرن، بالجمود واستهلاك ما كان قديماً، والتشبث به ورفض كل ما هو جديد؛ بحجة معارضته للدين والأعراف والتقاليد، فتوقف العقل عن الانتاج والإبداع ونسجت أفات الجهل والظلم والعصبية خيوطها على المجتمع مدة طويلة وتحكم في زمام الأمور شيوخ امتزج رأيهم برأي العشيرة والقبيلة الضيقة برأي الدين والسلطة، إلى أن لُّحَ صبح مشرق أطلت معه كوكبة من العلماء الأجلاء الذين رفعوا راية تنوير العقول وإصلاح الأحوال العامة للساكنة، وفتح باب الاجتهاد ونبد التقليد والدعوة إلى إصلاح كامل للمجتمع لتخليصه من حالة الفوضى والجهل التي سادته طيلة قرن ونصف القرن من الزمن.

إن مسيرة التعليم في وادي ميزاب تعود إلى قرون ماضية حين تواصل عطاء وزيارة الكثير من العلماء للمنطقة لإحياء العلوم والعقول، فاتخذوا من المساجد والمحاضر مكانًا لتلقين الصبيان مبادئ العلوم الدينية الأولية وفق المذهب الإباضي والمالكي، ولم يدخر العلماء والمشايخ جهدًا ولا وقتاً للحفاظ على قبس العلم ونوره والعمل على إشاعته بين الناس في كل الأوقات، وتحت أي ظرف لتلقي كل أفراد المجتمع نصيبهم من العلوم الشرعية بما يسمح لهم بمعرفة ما لم يسع جهله من الدين من الفرائض والواجبات والحقوق وحدود الله تعالى والأوامر والنواهي ومحاربة الجهل في الدين نهائياً، ثم يتدرج الطلبة إلى الدراسة المتخصصة التي تشمل حلقة "ايروان" والمعاهد، حيث ركزت على تثقيف شرائح المجتمع ممن فاتته فرصة التعليم، وفتح حلقات العلم في المساجد لكل من يريد أن يتزود أو يستفيد من العلوم في أطراف اليوم من الصباح الباكر إلى أطراف النهار؛ بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء كل يوم عدا يوم الخميس، وقد إستمر المشايخ يدرسون فنون الشريعة واللغة ومبادئ الكتابة والقراءة وعلوم التوحيد والفقه في المحاضر التابعة للمساجد والزوايا، وقد تداول عدة علماء ومشايخ على ذلك ترك بعضهم أثارهم العميقة لازالت أثارها باقية حتى الآن؛ وعلى رأسهم الشيخ يحي الأفضلي والشيخ عبد العزيز ضياء الدين الثميني، وقُطب الأئمة الشيخ امحمد بن يوسف اطفيش ومنصور بن الطيب الزناخري، ومحمد بن سليمان شتيوي وغيرهم، ومع هؤلاء انتعش النشاط العلمي، وألفوا في علوم شتى خصوصا العلوم الدينية والعلوم العربية، كتباً تعدت حدود الوادي أصبح البعض منها عُمدة المذهب الإباضي، وتركوا مؤلفات كثيرة من أسئلة وأجوبة، ومخطوطات عن أحوال المنطقة، فامتلأت خزائن المساجد والمعاهد والعائلات.

هذا الوضع الثقافي أقلق فرنسا، وتخوفت من ظهور ثائرين جدد عليها، فشددت الرقابة على نشاط المشايخ وعلى أسهم الشيخ اطفيش للحد من إرتياد المحاضر والمعاهد أنشأت مدارسها النظامية بدءً من سنة 1892م، ولمساندة هذه الفكرة الفرنسية

ظهر نشاط تنصيري تعليمي للآباء البيض؛ أين فتحوا أبوابهم أمام الأطفال وبأسلوب الإغراء وفتح مراكز تمهنية أخرى للكبار، ورغم هذا النشاط التعليمي المضاد تمسَّك أبناء المجتمع بأصالتهم، وبقوا محافظين على تعاليمهم الدينية ولم يلتحقوا بهذه المدارس إلا بصورة محتشمة، ونتيجة النشاط الثقافي الذي شهدته المنطقة خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر بدأت تتعزز أواصر العلاقات الثقافية بين الوادي والبلاد العربية والإسلامية من أجل وحدة إسلامية أصيلة ومعاصرة، أثرث الرصيد الثقافي المحلي بثقافة جديدة خصوصاً المشرقية، وازدهرت معها حركة التأليف واستنساخ الكتب المنوعة.

الخـــــاتمـــة

الخاتمـــــــة

مـن خـلال مـا تقـدم فـي هـذه الاطروحـة مـن عـرض للبعـد التـاريخي الممتـد إلـى فتـرات قديمـة تـدل عليهـا أثارهـا المتمثلـة فـي بقايـا قصـور منـدثرة وأخـرى باقيـة مأهولـة كـان أولهـا قصـر العطـف 1012م، توالـت بعـدها حركـة تأسـيس القـرى عبـر فتـرات ليسـت بالبعيـدة إضـافة إلـى توضـيح خصـائص وادي ميـزاب الجغرافيـة الصـحراوية، ومـا تعلـق بالحيـاة الاقتصـادية والتركيـز علـى غراسـة النخيـل وتطـويره بوسـائل تقليديـة، وإصـرار كبيـر علـى اسـتخراج الميـاه مـن بـاطن الأرض والتـي شـكلت فيمـا بعـد مصـادر أخـرى لتنـوع الصـناعة الحرفيـة، كـل هـذا سـاهم مـع مـرور الوقـت فـي تنشـيط الخطـوط التجاريـة العموديـة والافقيـة وممـا تقـدم مـن أبـواب وفصـول الاطروحـة نسـتطيع أن نحـدد أهـم النتـائج التي خَلُصَت إليها الدراسة في النقاط التالية:

1-أهميـة منطقـة وادي ميـزاب الحضـارية وامتـداده إلـى فتـرات غـابرة تـدل عليـه شـواهده الاثريـة المنـدثرة وكـذا القائمـة، والتـي تجـاوزت العشـرة قـرون، وقـد سـكنتها قبـل هـذا التـاريخ مجموعـات مـن المعتزلـة لا نعـرف عـنهم ولا عـن أوضـاعهم الكثيـر، وتظـل حيـاتهم وعلاقـتهم مـع بـاقي معتزلـة الجزائـر والمغـرب العربـي وحتـى المشـرق غامضـة، وكيـف وصـلوا وعاشـوا فـي أحضـان هـذا المكـان الصـحراوي المنعـزل؟ ولمـاذا تـم اختيـاره عـن بـاقي منـاطق الصـحراء والجزائـر؟ فـي حـين أنـه توجـد أمـاكن محصـنة ومنعزلـة عـن بـاقي مدن البلاد.

2-قصـدت فـي تحديـد فتـرة دراسـتي أوضـاع منطقـة وادي ميـزاب فـي القـرنيين الثـامن عشـر والتاسـع عشـر الميلاديـين جمـع التـراث الأدبـي والفكـري المتنـاثر هنـا وهنـاك وتسـليط الضـوء علـى مـا كـان يجـري فـي هـذا المكـان الصـحراوي مـن نشـاط اقتصـادي اجتمـاعي وثقـافي قبـل وقـوع المنطقـة تحـت قبضـة الإسـتعمار الفرنسـي منـذ منتصـف القرن التاسع عشر تمهيدا لاحتلال ما تبقى من المدن الجنوبية الشرقية والغربية.

3-رغم وقوع المنطقة في قفار خالية وشبه منعدمة لمصادر العيش إلا أن أهلها استطاعوا تنظيم أنفسهم لتذليل الصعاب والمعوقات وفق تعاليمهم الإسلامية وتقاليدهم الموروثة، حيث تمكنوا من أن يُطوِعُوا الصحراء وفق مقتضيات حاجاتهم الضرورية فانتزعوا منها دون تبذير ولا اسراف ما يلزمهم لتخطيط مدنهم وبناء منازلهم وحفر أراضيهم لسقي مزروعاتهم بوسائل تقليدية لكنها شاقة، كل ذلك في ظل حياة هادئة ومنعزلة.

4-يعتبر الماء والنخيل العنصران الاساسيان في الحياة، فقد استغل سكان المنطقة كل قطرة ماء، سواء الذي يجلبونه من الآبار أو الناتج عن الأمطار وسيول الأودية ووضعوا لها اسلوباً فريداً من نوعه لحفظها وتقسيمها بالتساوي على الجميع. محققاً شبه اكتفاء ذاتي للمنطقة ورابطة اجتماعية وظاهرة حضارية باعتباره المصدر الوحيد للري فمياه النظام له قيمة كبيرة عند السكان.

5-توجد أغلب الأراضي الزراعية في مجاري الأودية أو بالقرب منها، وتتشكل تربتها من الرمال التي تحملها سيول الوديان والشعاب، وتمثل المساحة المزروعة نسبة ضئيلة من المساحة العامة للمنطقة، لذلك كانت أنسب المزروعات الملائمة لهذا المناخ الصحراوي الجاف هي النخيل، فازداد الاهتمام بزراعتها والعناية بها والتنويع منها ومن غلاته كونها أحد السلع المهمة في المبادلات التجارية.

6-وقوع المنطقة في موقع استراتيجي وسط الصحراء مكنَّها من أن تكون نقطة تقاطع والتقاء للكثير من القوافل التجارية العابرة للصحراء أو المتجهة إلى الشمال، فربطوا الجزائر بمنتجات بلاد السودان، وزوّدوا بلاد الصحراء بالمنتجات الشمالية والأوروبية الامر الذي جعل أسواق المنطقة والمجاورة لها تنتعش.

7-تميزت الصناعة بطابعها التقليدي والحرفي الذي وفر للسكان ما يحتاجونه من مستلزماتهم اليومية؛ كالألبسة والحلي والأدوات المنزلية، المستخرجة من مشتقات

النخيل والمستعملة أيضا في البناء وصناعة الفخار والجلود والحدادة وغيرها، وقد تميزت ببعدها عن الفنيات والزخرفة الجمالية.

8-بدأت تفقد المنطقة دورها الاقتصادي بأقاليم الصحراء مع التفات العالم إلى ظاهرة منع تجارة العبيد والتكالب الأوروبي على احتلال بلدان شرق وغرب افريقيا تدريجيا مع الربع الأخير من القرن التاسع عشر، أين بدأ النشاط التجاري للمنطقة يقل بعد أن وقعت تحت السيطرة العسكرية الفرنسية التي تحكمت في مداخيل هذا الجانب، وعليه لم تعد الكثير من القوافل تتجه إلى بلاد السودان، بل تتوقف عند حدودها وتكتفي بالتعامل مع الأسواق المجاورة.

9-كانت المعاملات في الأسواق بالمنطقة لا تختلف عن المعاملات السائدة في أسواق المناطق المجاورة في هذه الفترة الزمنية، إذ كان يستعمل في ميدان قياس الطول الشبر والذراع والقدم ...الخ، وفي الاوزان يستعمل المثقال والرطل؛ وفي الكيل استعملوا المد والصاع والقروي والمزود، والقنطار وغيره، ولأن المنطقة كانت من المدن التجارية المهمة، فقد تداولت بها بعض العملات كالدينار والدرهم والدورو والمحبوب والموزونة وغيرها.

10-مع مرحلة الحكم العسكري للوادي من طرف ضباط عسكريين تمكنوا من شَّل الحركة التجارية بتشديد الرقابة على القوافل التجارية، وعلى إثر ذلك تحوّل الكثير من التجار إلى مزاولة مهن أخرى والسكن بالحضر.

11-خلق هذا التشديد الفرنسي في مراقبة هذه الحركة ضيق في العيش والرزق للكثير من العائلات التي تسترزق منها ما دفع البعض منها أن يَنظم إلى حركة "المدقنات" لكسب العيش بطرق غير مشروعة، والبعض اضطر للسفر إلى مدن الشمال أو الخارج لطلب الرزق.

12-رغم أن المكان صحراويٌّ جاف يبدو للكثيرين بأن الحياة تستحيل فيه، إلاّ أنه ضَّم منذ قرون ماضية أجناساً بشرية مختلفة توجهت صوبه واستقرت به، بل وفضلته على أماكن أُخرى فتوافدت عليه عناصر من خارج البلاد ومن بلاد جنوب الصحراء ومن يهود جربة، فتجانست هذه العناصر مع بعضها البعض في المجال الاقتصادي وأثرت فيما بينها اجتماعياً، شكَّلت مجتمعاً يبدو في الظاهر واحداً يجمعه المكان واللغة العربية، والدين إذا ما استثنيَ اليهود.

13-تبيَّن من خلال البحث وفترته الزمنية مدى التعايش بين المسلمين وغير المسلمين بحيث عاش الطرفان في كنف الوفاق والاحترام، داخل المدينة الواحدة والقرية الواحدة وتميزهم بقدرٍ عال من الحكمة المطلوبة، في بناء مجتمع متكامل ومتضافر الجهود لبناء حضارة انسانية، وهذا ما تدل عليه مدينة غرداية التي تضم في محيطها العمراني كل رموز الديانات والمذاهب والثقافات المتنوعة (المساجد الإسلامية بمختلف مذاهبها المعبد اليهودي، والكنيسة المسيحية) ناهيك عن الأحياء السكنية لكل هذه الفئات. فقد استطاعوا أن يتعايشوا أغلب الأوقات مع بعضهم البعض بسلام؛ فاتسع قلب المكان للجميع دون حرج، مفندين رأي القائلين بأن المكان لجماعة دون سواها وهو الرأي الذي استغلته فرنسا لاحتلاله وتمرير مشاريعها العسكرية والتّوسعية.

14-يعد اتفاق الحماية أو معاهدة الحماية بين الفرنسيين والميزابيين29أفريل 1853م-20رجب1269هـ. الأول من نوعه في الجزائر خلال الفترة الحديثة والمعاصرة، فلم تحتلها مباشرة خوفًا من رد فعل غير محتمل للأهالي، وذلك لتزامن وتواصل المقاومة الشعبية، فبدأت بالاتفاق معهم تمهيداً لاحتلالها عسكرياً، بعد أن احتلت بعض المدن الجنوبية المجاورة كالأغواط، ووادي ريغ، ووادي سوف، ورقلة.

15-لقد اختلفت الآراء حول موقف السكان من المقاومة الشعبية ومساندتها ومن الإستعمار، فالمنطقة كانت من بين المراكز المهمة لدعم الزعامات المقاومة، بعد أن

فتحوا أسواقهم لهم رغم اشتراط فرنسا على الميزابيين غلق أسواقهم أمام الثّوار، وهو أحد أهم بنود المعاهدة، لكنهم لم يلتزموا بذلك مفضلين الوقوف مع الزعماء والثّوار وأمدوهم بالسلاح والبارود ومختلف السلع رغم علمهم بما سيلحق بهم، هذه المخالفة كانت أحد أسباب الضم العسكري للمنطقة.

16-إن عدم الاستقرار السياسي بوادي ميزاب قبل المعاهدة وبعدها وانقسام السّاكنة إلى صفين شرقي وغربي، ساعد فرنسا على التدخل شيئاً فشيئا في شؤون الوادي بالإضافة إلى الصراعات المحلية بين عروش المدن من اباضيةٍ ومالكيةٍ، وحدوث تكتلات عصبية بينهما في بعض الأحيان عندما تستدعي الظروف ذلك، وهي الأوضاع التي شجعتها واستثمرت فيها فرنسا خدمةً مصالحها؛ حين تدخلت في تعيين قُوَّادٍ وعزل آخرين وبثِّ أفضلية وأسبقية جماعة على أخرى، لإضعاف الوحدة المحلية تمهيداً لاحتلال باقي المناطق المجاورة.

17-توافدت على المنطقة عدة رحلات استكشافية أوروبية وخصوصاً الفرنسية، حيث قدمت وصفًا دقيقًا لأوضاعها، كانت أخباراً وتقاريراً في الظاهر، ومعلومات تجسسية واستكشافية في الباطن، كشفت عن مدى قدرة هذا الشعب على مقاومة المستعمر واحتضان عناصر المقاومة الشعبية، بالإضافة إلى قيامه بمسح شامل لسطح الأرض ودراسة مكوناته دراسة شاملة ودقيقة؛ لتسهيل توسعه العسكري نحو باقي مناطق الجنوب، والتي لم تُحتل بَعْدُ؛ فكانت تقاريراً عسكريةً وفي نفس الوقت عين تنظر بها إلى باقي دول جنوب الصحراء وافريقيا لاستعمارها حينما تحين الفرصة.

18-إنَّ ما قامت به الادارة الفرنسية منذ إلحاق وادي ميزاب سنة 1883م من مشاريع شملت تطوير الاقتصاد بمختلف نشاطاته وتسهيل الحياة الإجتماعية، وتدليل الصعاب وشق الطرقات، قد يتراءى للبعض على أنها من الانجازات الكبيرة التي جاءت بها للمنطقة رافقتها حِيَلٌ بشعةٌ وأعمالٌ قذرة؛ بدءً بزرع روح الكراهية بينهم وغرس فكرة

الأسبقية في المكان لجماعة دون الأخرى، وأن هناك جماعة أحسن من الأخرى، وهو دليل كافٍ على دناءة الأفكار الفرنسية التي لطالما تباهت بها لتتوير عقول الجزائريين، هذه المشاريع رافقتها عمليات تهجير وتفقير لعدد كبير من أبناء المنطقة بعدما افتكت منهم مصادر رزقهم وحوّلتهم إلى خدّام عندها، تحكمت في مصدر غذائهم بعد أن كانوا أحد موارد الغداء والرزق للكثير من بني جلدتهم، وقد ساعدها في ذلك التقارير شبه اليومية التي كان يبعثها المكتب العربي بالأغواط لملحقه بغرداية والعكس، كما كانت في نفس الوقت سبباً في الحدّ من حماس المساندين للثّوار.

19-هذه المشاريع التي أنجزتها في الأساس لم تكن من أجل تنمية المنطقة وتحسين الأوضاع، بل من أجل تسهيل الحياة للأجانب والفرنسين خلال إقامتهم أو مرورهم بباقي مدن الجنوب سواء الشرقي أو الغربي، وربط هذه الأطراف ببعضها البعض ومع مدن الشمال خدمة لفرنسا اقتصادياً في الجزائر وفي إفريقيا بصفة عامة.

20-إرهاق كاهل الأهالي بضرائب ثقيلة دون مراعاة للحالة الاجتماعية للسّاكنة، ما جعل البعض يختار حياة الترحال والهروب من مكان إلى آخر، والبعض الآخر اضطر إلى بيع ما يملك أو يقع رهينة الديون دون أن يستطيع تسديدها؛ فيبيع كل ما يملك حتى برنوسه وبندقيته وأشيائه الخاصة، هذه سياسة التفقير الفرنسية أفقرت أبناء المنطقة حملت معها تعقيدات حياتية لهم، تفاقمت معها حالات الجوع والجهل والظلم والاستعباد.

21-لم تحض المرأة بقدر كبير من التعليم والتثقيف، وما تعلمته كان يكفي فقط للقيام بواجباتها الدينية، وبقيت على نفس الحال إلى نهاية القرن التاسع عشر، إلا أن نشطت الحركة الإصلاحية فقدمت مجهودات معتبرة لتنويرها وتعليمها، ومنع وصول الأفكار الأوربية إليها، بعد أن فتحت فرنسا والمبشرين مدارسهم ومراكزهم لهذا الغرض.

22–لم يختلط اليهود مع السكان إلاَّ في حالات نادرة، واستطاعوا التعايش مع السكان إلى حد ما، ولم يسجل التاريخ حوادث صِدَام وشجار بينهم؛ وقد تأثروا بالمحيط الذي عاشوا فيه اقتصادياً واجتماعياً مع المحافظة على تقاليدهم وشعائرهم الخاصة بهم.

23–تمكن المجتمع من ضمان الاستقرار في وادي ميزاب لأفراده، بعد أن سن مجموعة من القوانين العرفية لترشده إلى القيم الإنسانية في جو من التضامن والتعاون للتغلب على الصعاب والمحن، ولولا هذه القيم الإنسانية لاربما لم تشيد كل هذه المنشات العمرانية على مدى سنوات وقرون من العمل الجماعي الدؤوب بها.

24–محاربة النظام التعليمي العربي الإسلامي وتضييق الخناق عليه وبذل مجهودات كبيرة من أجل جذب أكبر عدد ممكن من الأبناء لمدارسها، قصد تعليم اللغة الفرنسية وخلق جيل جديد يتعامل ويتواصل معها دون تعقيد، وتنصير البعض الآخر ممّن يعانون الفقر والجوع بأسلوب الاغراء والقرب من المرأة، وفتح مراكز لتلقين بعض المهن الجديدة قصد تحضير يد عاملة تساعد في انجاز مشاريعها.

25–هدفت فرنسا من سياسة التضييق على النظام العربي الإسلامي إلى محاربة العربية من جهة، والحدّ من انتشار أفكار الجامعة العربية التي كان يدعو إليها رجال الاصلاح وعلى رأسهم الشيخ اطفيش، لترسيخ قيم الحضارة الأوروبية داخل المجتمع وإبعاده عن مقوماته الدينية والوطنية.

26–لم تعط النهضة الإصلاحية ثمارها إلا بعد مرور أكثر من القرن، بعد أن صادفت مسيرتها عدة عراقيل اجتماعية وسياسية، جعلتها لا تعطي نتائجها إلا بعد الفترة المذكورة.

27–تفاعل علماء المنطقة مع علماء البلاد العربية لأجل ربط علاقات ثقافية سواء في جبل نفوسة، أو عمان، أو زنجبار، أو تونس، أو مصر، أو الحجاز وحتى مع الدولة العثمانية لمحاربة الإستعمار، وأفكاره الهدامة للمجتمعات وكشف مخططاته الفاسدة

وسياسته المقيتة، والدعوة إلى وحدة إسلامية أصيلة ومعاصرة وايقاظ الوعي لدى الجماهير، بالإضافة إلى ارسال طلبتها لاستكمال دراستهم في جامعات ومعاهد هذه البلاد.

28-لم تولي السلطات الفرنسية اهتماما كبيراً للشأن الثقافي ولا حتى الكتاب الأجانب الذين كتبوا عن المنطقة في الجانب الثقافي، وعن التفاعل الذي كان حاصلاً-رغم قلته- وأهملوا هذا الجانب، وركزت على دراسة المنطقة من الناحية الاقتصادية والطبيعية خدمة لأغراضها ومصالحها، وعلى الجانب الاجتماعي مستغلة ذلك لإبراز فئة على الأخرى وإيثاره النعرات القبلية، وبث سياستها المقيتة فرق تسد. ولم تهتم

29-لقد تركت الهجرة إلى مختلف الجهات الداخلية والخارجية أثارها الاقتصادية والإجتماعية، فقد استفاد أهل المنطقة منذ تاريخ هجرتهم المبكرة إلى هذه المناطق من خيراتها، ومزاولة مختلف الأنشطة وخصوصاً التجارية في الحمامات، والمخابز ومطاحن الدقيق ...الخ ، وتحويل ما يمكن تحويله من سلع ومنتوجات، ورغم 02انعزالهم وحفاظهم على جماعتهم، تمكنوا من تأسيس أسر أخرى هناك.

30-لازال يحمل أرشيف ووثائق المحكمة الشرعية الإباضية والمالكية، في رفوفهما وبين صفحاتهما الكثير من الأحوال والأخبار عن الوضعية الاقتصادية والاجتماعية والوقف والعلاقات والمعاملات بين الساكنة؛ باعتبارها مادة محلية أولية تاريخية لم تستغل بعد بشكل وافي ومفيد لإبراز جوانب خفية عن مجتمع في المنطقة.

وفي نهاية هذه الخاتمة لابد من تسجيل بعض التوصيات والمقترحات:

-يجب إحصاء كامل للخزائن العائلية والتَّعرف على أصحاب المخطوطات والوثائق الأرشيفية، وضمهم إلى المكتبات الحديثة، وتكوينهم على الأساليب والطرق الحديثة للمحافظة على المخطوطات.

-معرفة الأثار الاجتماعية والثقافية الناتجة عن حركة القوافل التجارية تجاه بلاد السودان التي خلقت جواً من الترابط بين أبناء المنطقة وهذه البلدان، والتي لاتزال أثارها واضحة ولكنها غامضة ومنسية من أغوار الماضي.

-تسليط الضوء على جوانب دقيقة من حياة السُّود في المنطقة، كونهم يشكلون فئة معتبرة من السكان.

-إعطاء عناية خاصة للآبار والسواقي الموجودة في المنطقة، والتي شكلت عصب الحياة بحيث فاق عددها الألف؛ وهي الآن مهددة بالزوال، لذلك يجب ترميمها وإعادة حفرها والحدّ من عملية ردمها، وإحصاء النخيل ومعرفة أصنافه وأنواعه والتعرف على المجلوب من المناطق المجاورة، والحد من قطعه وتشجيع غراسته.

-انشاء مركز يهتم بالدراسات الصحراوية، لإبراز كل الجوانب الدقيقة من حياة السكان عبر مختلف الفترات الزمنية، وعلاقاته مع المناطق المجاورة القريبة منها والبعيدة خصوصاً الجنوب الكبير ودول الساحل الصحراوي.

-ترميم بقايا أثار القصور المنتشرة عبر الوادي والآثار، وإعطائها العناية اللازمة من طرف المختصين والأثرين؛ كونها تمثل تحفاً حضارية على الهواء ومعالم سياحية متميزة بما حَوَتْه جدرانها أسرار من سكنوا بها أو مروا بها، لمعرفة أوضاع المنطقة قبل القرن الرابع الهجري.

-الاهتمام بالجانب السياحي للمنطقة، كونها احدى أهم الواحات الجنوبية الشرقية التي يقصدها السياح من داخل وخارج الجزائر،لأصالة أماكنها وتنوع عاداتها وتقاليدها وكرم أهلها وفساحة أجنتها، وابداع حرفها اليدوية الأصيلة، كلها مكونات ومقومات بإمكانها الرقي بالقطاع السياحي.

-ترتيب ودراسة أرشيف الولاية الذي يحوي على وثائق جدٌّ مهمة، تخص المنطقة وعلاقاتها مع مدن الواحات خلال الفترة الاستعمارية، ووضعها في متناول الأقلام الجادة.

إنَّ ما توقفنا عليه في دراستنا للموضوع ليس كافياً لإبراز جميع تفاصيل الحياة بمختلف تشابُكَتِها، فالمنطقة لاتزال بكراً في الدراسات التاريخية؛ كونها تتوسط الصحراء وهي نقطة التقاء مهمة بين الشمال والجنوب، وقد تركت أثاراً كثيرة تحتاج إلى المزيد من التحقيق والدراسة والتعمق فيها، وهذه الدراسة هي استمرار لبداية البحث في التاريخ المحلي من مختلف نواحيه لجميع السّاكنة دون استثناء، فنأمل لمن يأتي بعدنا أن يستكمل البحث والتنقيب، ويلحق ما أهملناه ويصلح ما أغفلناه ونرجو أن تكون هذه الدراسة بادرةً لدراساتٍ علميةٍ مستقبليةٍ لهذا الفضاء الرّحب، في موضوعات مختلفة لفهم أدق وأعمق وأوضح لتاريخنا واستشرافاً لمستقبلنا بعيون ثاقبة متبصرة واعية ان شاء الله.

الملاحق

-وثائـــق ورسائـــل أرشيفية.

-عقـــــود.

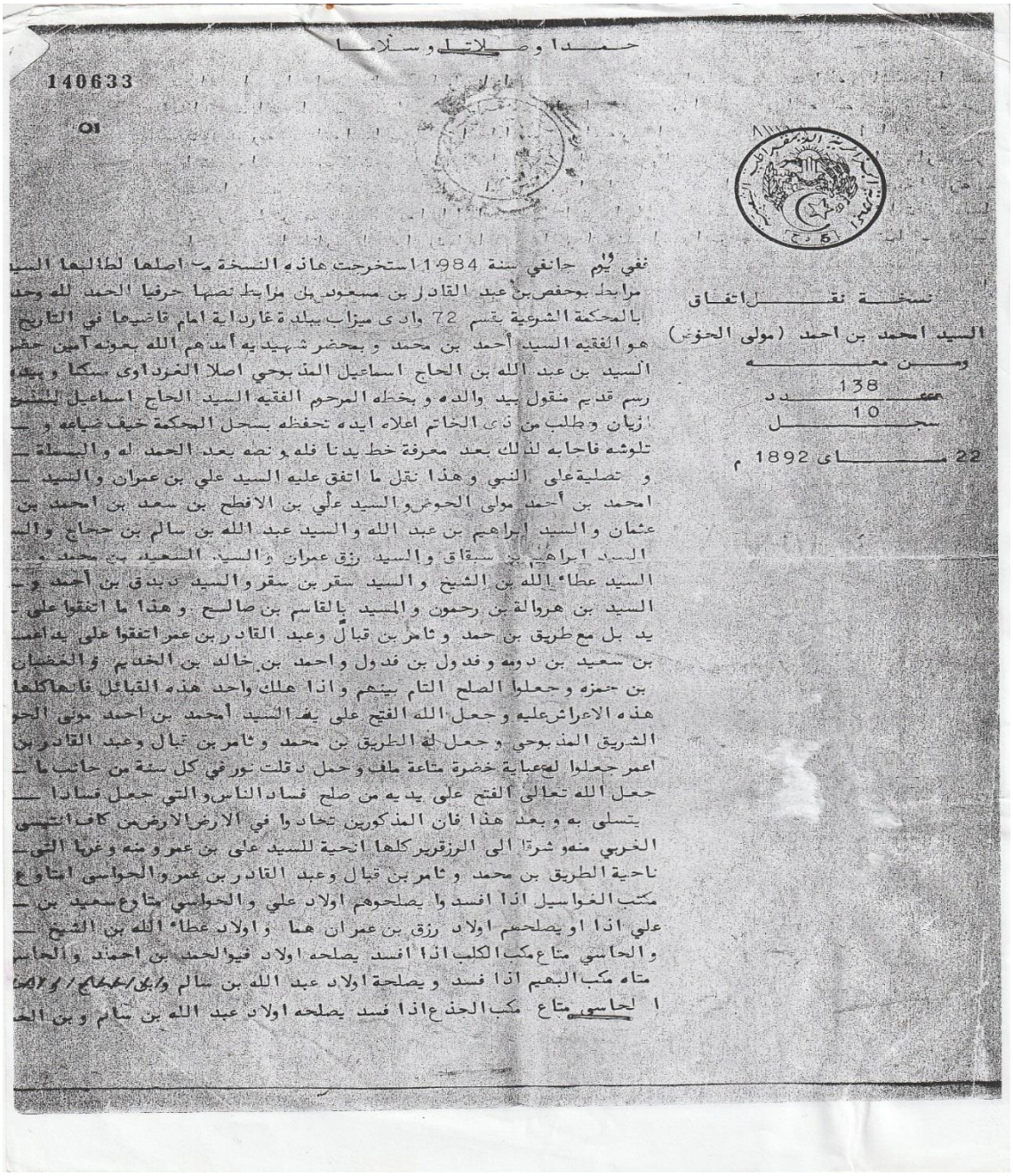
-قصائـــــد شعرية

-خرائـــــط

ملحق رقم 01: وثيقة توضح سكان غرداية الأصلين حسب تقسيم الأحجار بسوق غرداية سنة 07 أوت 1898.



ملحق رقم 02: وثيقة الصلح الذي تم بين القبائل المتنازعة حول مشاكل الآبار بالمنطقة وماجاورها.



حمدا وصلاتا وسلاما

140633

01

نسخة نقل اتفاق
السيد احمد بن احمد (مولى الحوض)
ومن معه
عدد 138
سجل 10
22 ماي 1892 م

نفي يوم جانفي سنة 1984 استخرجت هاذه النسخة من اصلها لطالبها السيد
مرابط بوحفص بن عبد القادر بن مسعود بن مرابط نصها حرفيا الحمد لله وحد
بالمحكمة الشرعية بقسم 72 وادي ميزاب ببلدة غارداية امام قاضيها في التاريخ
هو الفقيه السيد أحمد بن محمد و بحضر شهيديه أمدهم الله بعونه آمين حض
السيد بن عبد الله بن الحاج اسماعيل المذبوحي اصلا الغرداوي سكنا و بيد
رسم قديم منقول بيد والده و بخطه المرحوم الفقيه السيد الحاج اسماعيل المشر
أزيان وطلب من ذي الخاتم اعلاه ايده تحفظه بسجل المحكمة خيف ضياعه و
تلوشه فاجابه لذلك بعد معرفة خط يدنا فله و نصه بعد الحمد له والصلاة
و تصلية على النبي وهذا نقل ما اتفق عليه السيد علي بن عمران والسيد
احمد بن أحمد مولى الحوض والسيد علي بن الافطح بن سعد بن احمد بن
عثمان والسيد ابراهيم بن عبد الله والسيد عبد الله بن سالم بن حجاج والسيد
السيد ابراهيم بن سبقاق والسيد رزق عمران والسيد السعيد بن محمد
السيد عطاء الله بن الشيخ والسيد سقر بن سقر والسيد دبدق بن أحمد و
السيد بن هروالة بن رحمون والسيد بالقاسم بن صالح وهذا ما اتفقوا على
يد بل مع طريق بن حمد و ثامر بن قبال وعبد القادر بن عمر اتفقوا على يد اعم
بن سعيد بن دومه و فدول بن فدول واحمد بن خالد بن الخديم والغضبان
بن حمزه وجعلوا الصلح التام بينهم واذا هلك واحد هذه القبائل فاتحاكلها
هذه الاعراش عليه وجعل الله الفتح على يد السيد أحمد بن احمد مولى الحو
الشريق المذبوحي وجعل له الطريق بن محمد و ثامر بن قبال وعبد القادر بن
اعمر جعلوا له عباية خضرة متاعة ملف وحمل دقلت نور في كل سنة من حاسب ما
جعل الله تعالى الفتح على يديه من صلح فساد الناس والتي جعل فسادا
يتسلى به وبعد هذا فان المذكورين تحادوا في الارض الارض من كاف التيسي
الغربي منه وشرقا الى الرزقرير كلها ناحية للسيد علي بن عمر ومنه وغربا التي
ناحية الطريق بن محمد و ثامر بن قبال وعبد القادر بن عمر والحواسي متاع
مكتب الغواسيل اذا افسدوا يصلحوهم اولاد علي والحواسي متاع سعيد بن
علي اذا او يصلحهم اولاد رزق بن عمران هما واولاد عطاء الله بن الشيخ
والحاسي متاع مكب الكلب اذا افسد يصلحه اولاد فيوالحمد بن احمد والحاسي
متاه مكب البهيم اذا فسد و يصلحه اولاد عبد الله بن سالم وابن الحجاج و
الحاسي متاع مكب الجذع اذا فسد يصلحه اولاد عبد الله بن سالم و بن الحـ

بن الحجاج و الحاسي متاع مكب الرال اذا افسده يصلحه اولاد ابراهيم بن عبد الله وكاتب هذا
التفاق عبد الرحمان بن عبد الغني سنة 800 ثمانيمائة من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم و نقله من
بعده عبد ربه سبحانه اسماعيل بن زيان اوايل شهر الله ربيع الاول سنة 1291 واحد و تسعون
و مائتين و الف هجرية انتهى نص الوثيقة المذكورة كما نقلت حرفا بحرف بلا زيادة ولا نقصان بتاريخ يوم
24 شوال سنة 1309 تسع و ثلاثمائة و الف هجرية الموافق ليوم 22 ماى سنة 1892 مسيحية احلاته
ثلاثة غرنك بالترجمة مقبوضة و به ابوا القاسم بن التاوتي نائبا على العدل اهـ يليه الامضاء انتهى نقلها
مماثلا لأصلها للتاريخ اعلاه اجرتها بالبحث والقرطاس تسعة دنانير وخمسة وعشرون سنتيما قبضت
بتوصيل عـ 457 803 ـدد .
وشطب على اربع كلمات لا عمل بهم

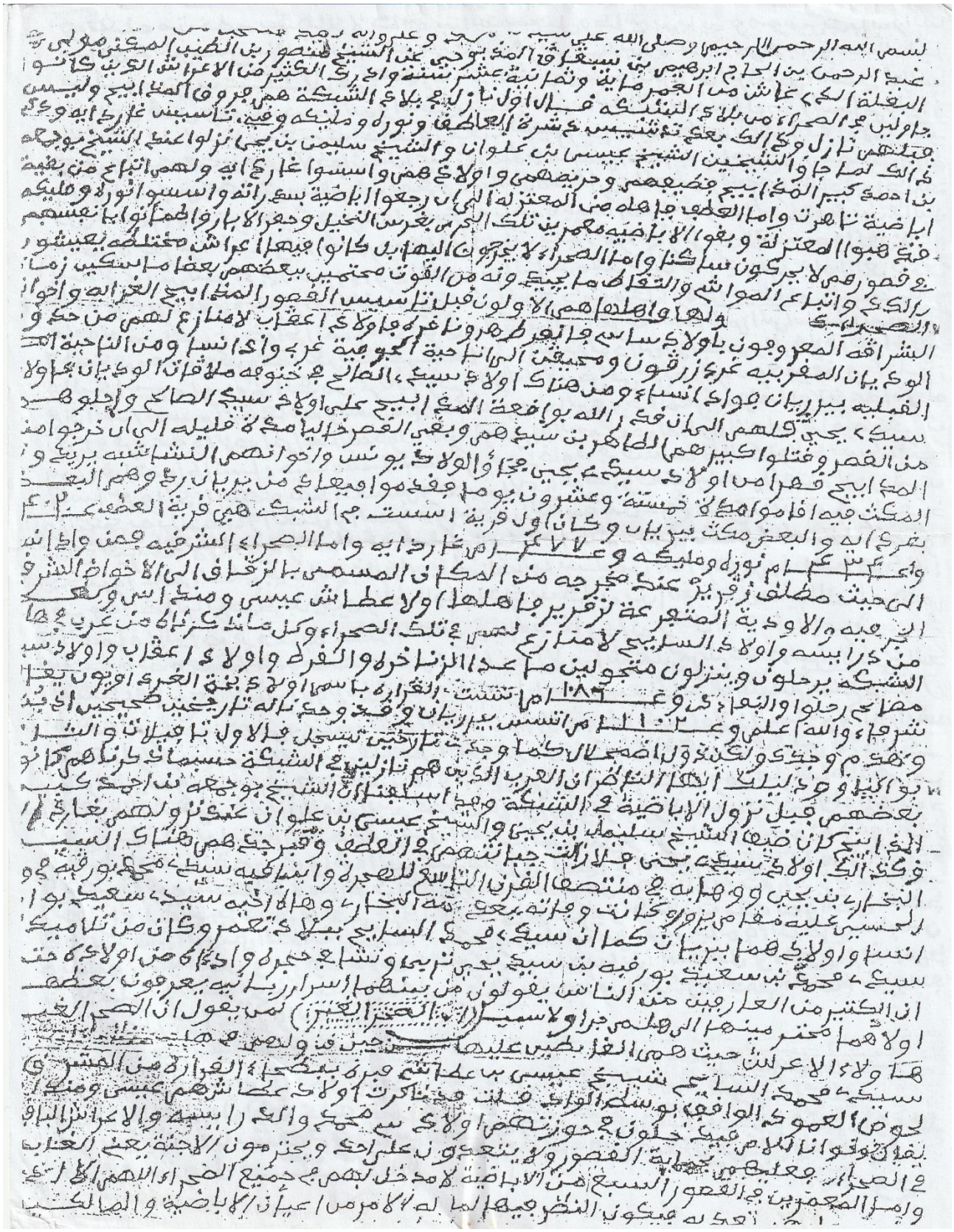
ملحق رقم 03: قرار لويس تيرمان لأهل وادي ميزاب في الأول من نوفمبر 1882م لضم المنطقة عسكرياً.



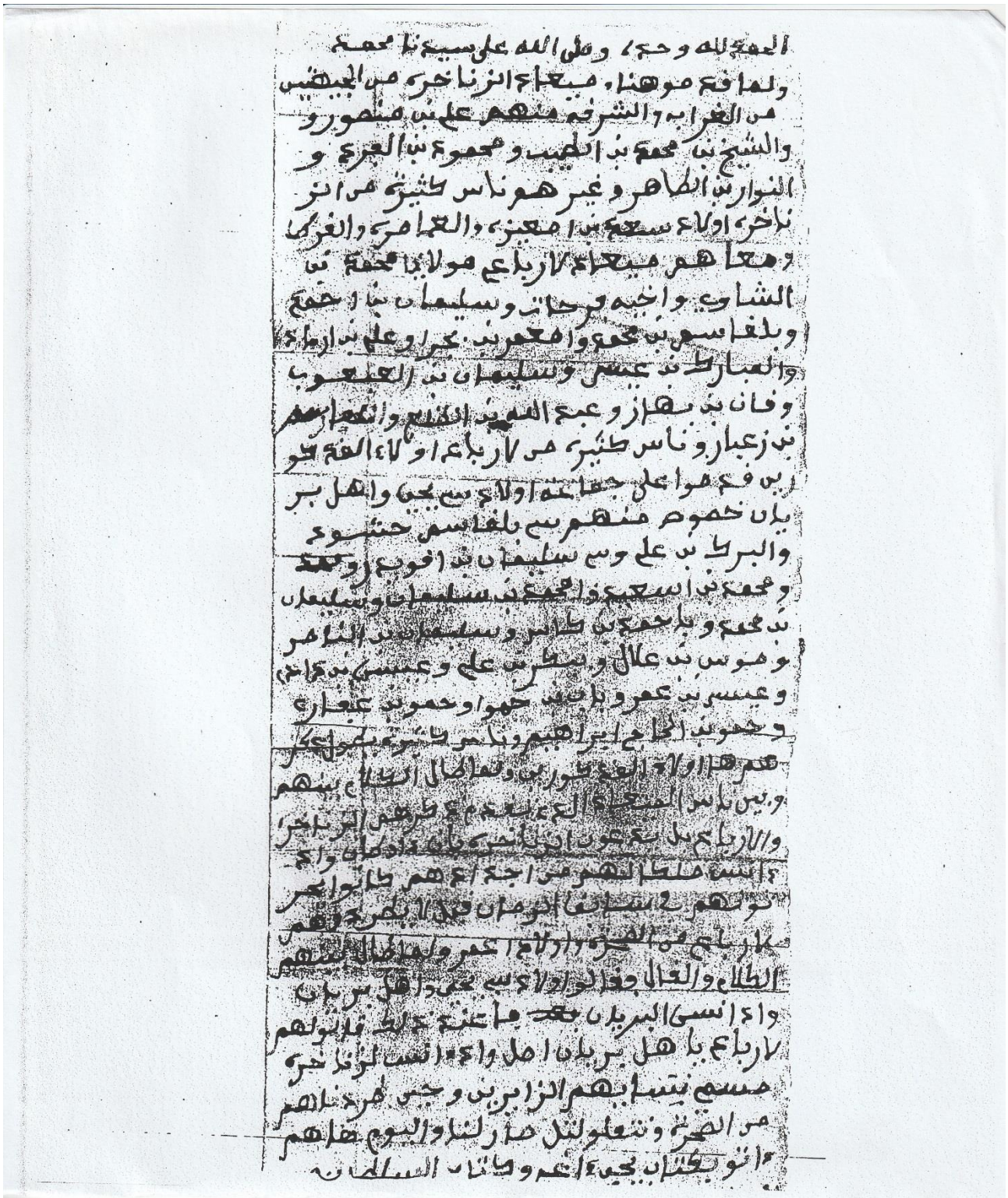


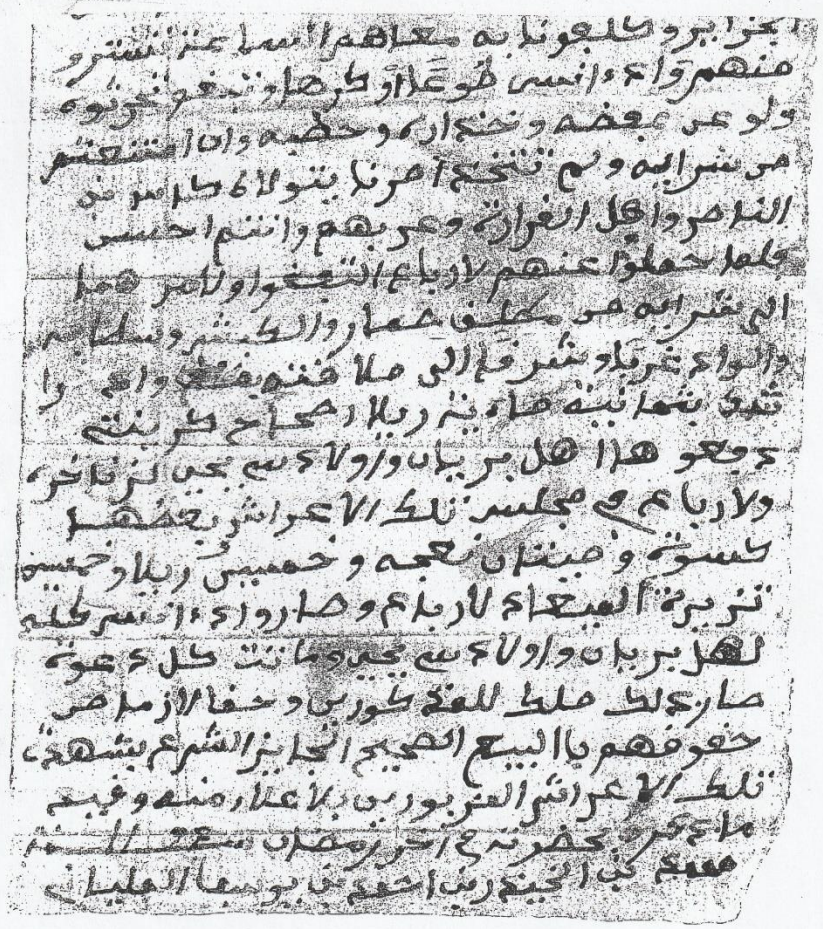
المصدر: كتاب عيسى النوري، نبذة من حياة الميزاليين.

ملحق رقم 04: وثيقة الصلح الذي وقع بين الإباضية والمالكية في 02 صفر 1185هـ في جامع غرداية.

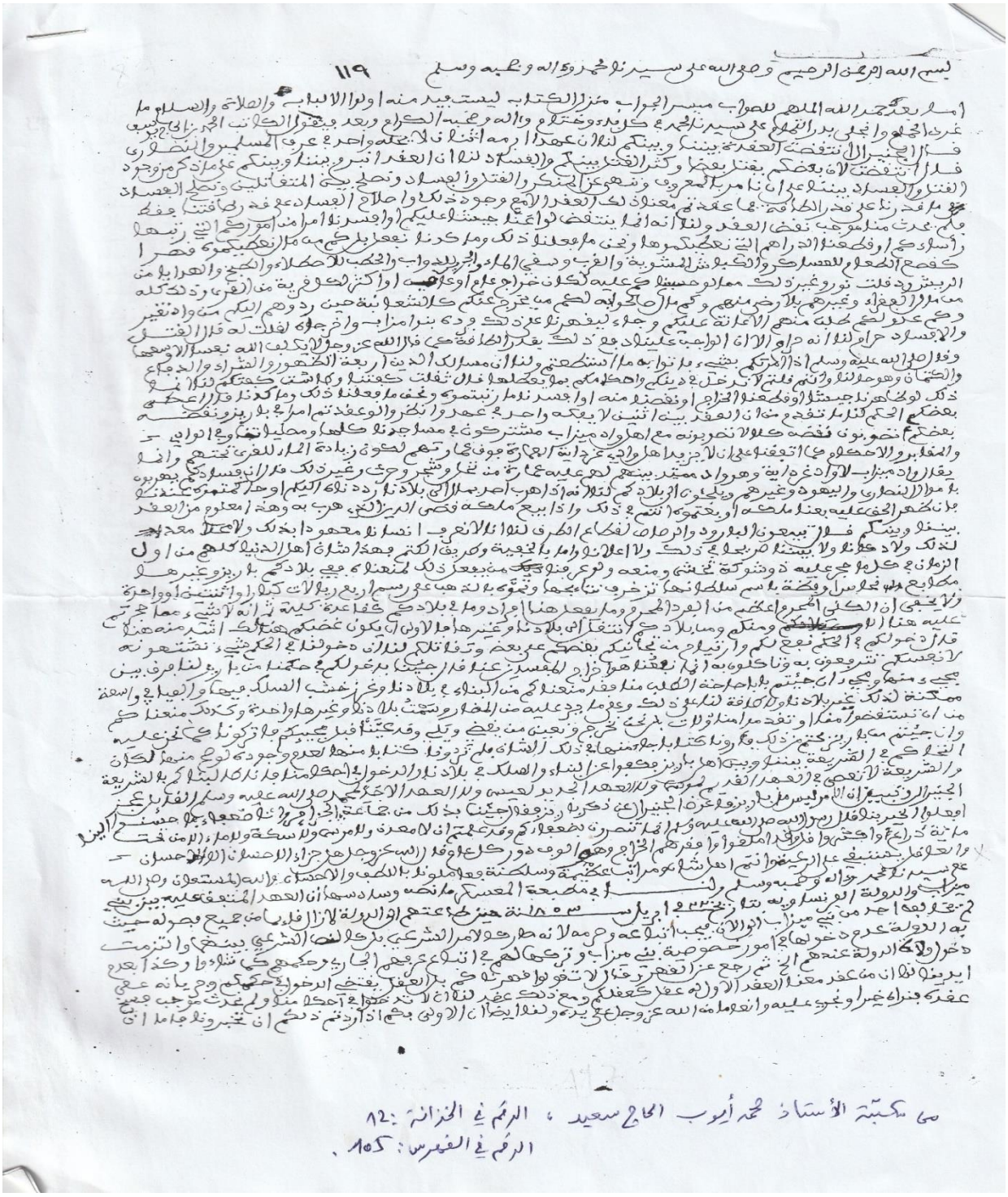


ملحق رقم 05: وثيقة الصلح بين الأرباع والزناخرة من جهة وأهل بريان من جهة أخرى، حول واد النسا، كتبت بخط محمد بن الخيدر بن أحمد بن يوسف الملياني، آخر رمضان 1194/ 1780





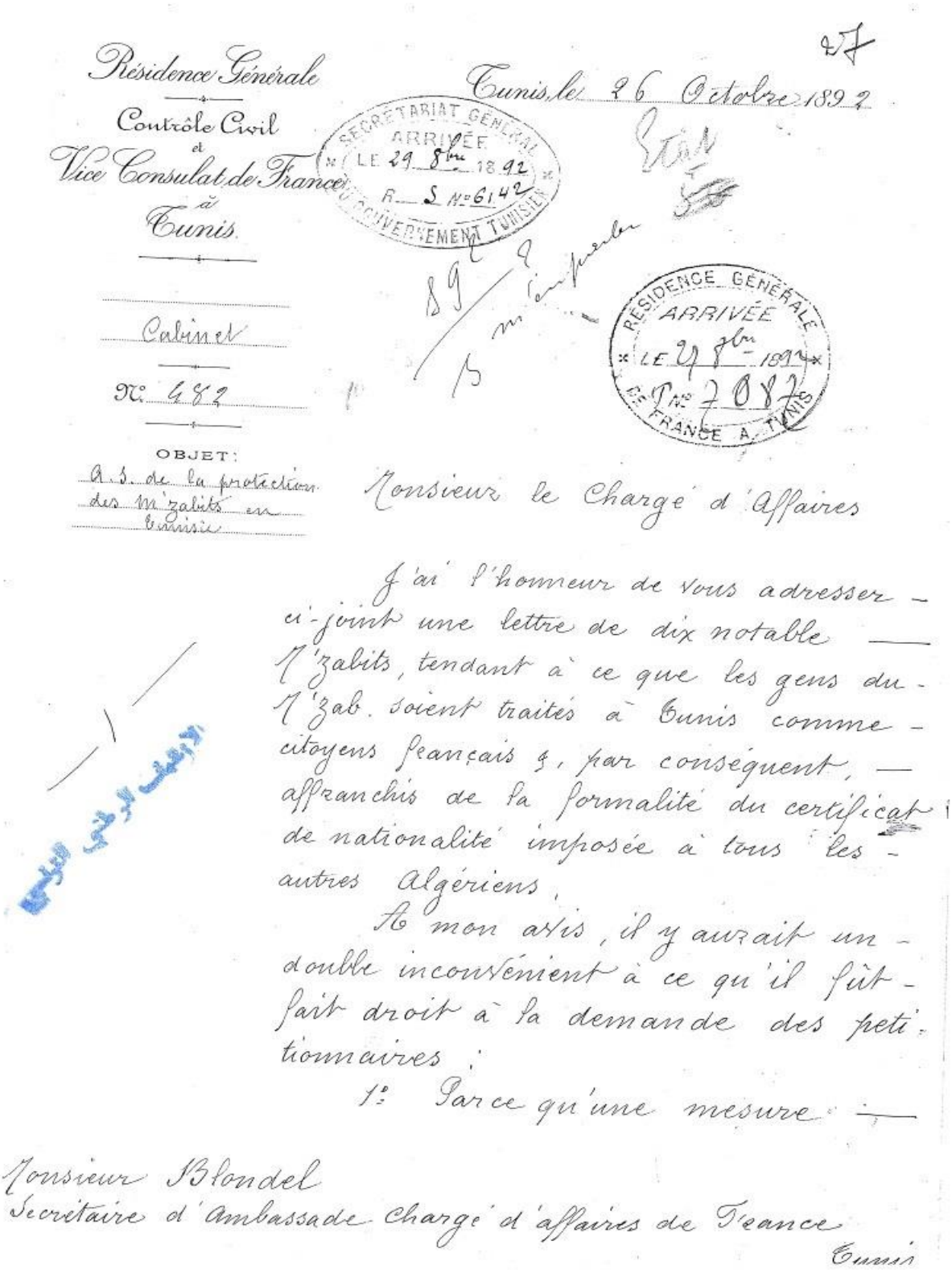
ملحق رقم 06: رسالة اعتراض للشيخ امحمد طفيش على إلحاق المنطقة عسكريا.





المصدر: مكتبة الأستاذ محمد أيوب الحاج عيسى، رقم الخزانة: 12، رقم الفهرس: 105

ملحق رقم 07: إجراءات حماية الجماعة الميزابية في تونس.



Résidence Générale
Contrôle Civil
et
Vice Consulat de France
à
Tunis

Cabinet

N° 482

OBJET:
A.S. de la protection des M'zabits en Tunisie

Tunis, le 26 Octobre 1892

257

SECRETARIAT GÉNÉRAL DU GOUVERNEMENT TUNISIEN
ARRIVÉE
LE 29 8bre 1892
R. S N°6142

RÉSIDENCE GÉNÉRALE DE FRANCE A TUNIS
ARRIVÉE
LE 29 8bre 1892
N° 2087

Monsieur le Chargé d'Affaires

J'ai l'honneur de vous adresser ci-joint une lettre de dix notables M'zabits, tendant à ce que les gens du M'zab soient traités à Tunis comme citoyens français et, par conséquent, affranchis de la formalité du certificat de nationalité imposée à tous les autres Algériens.

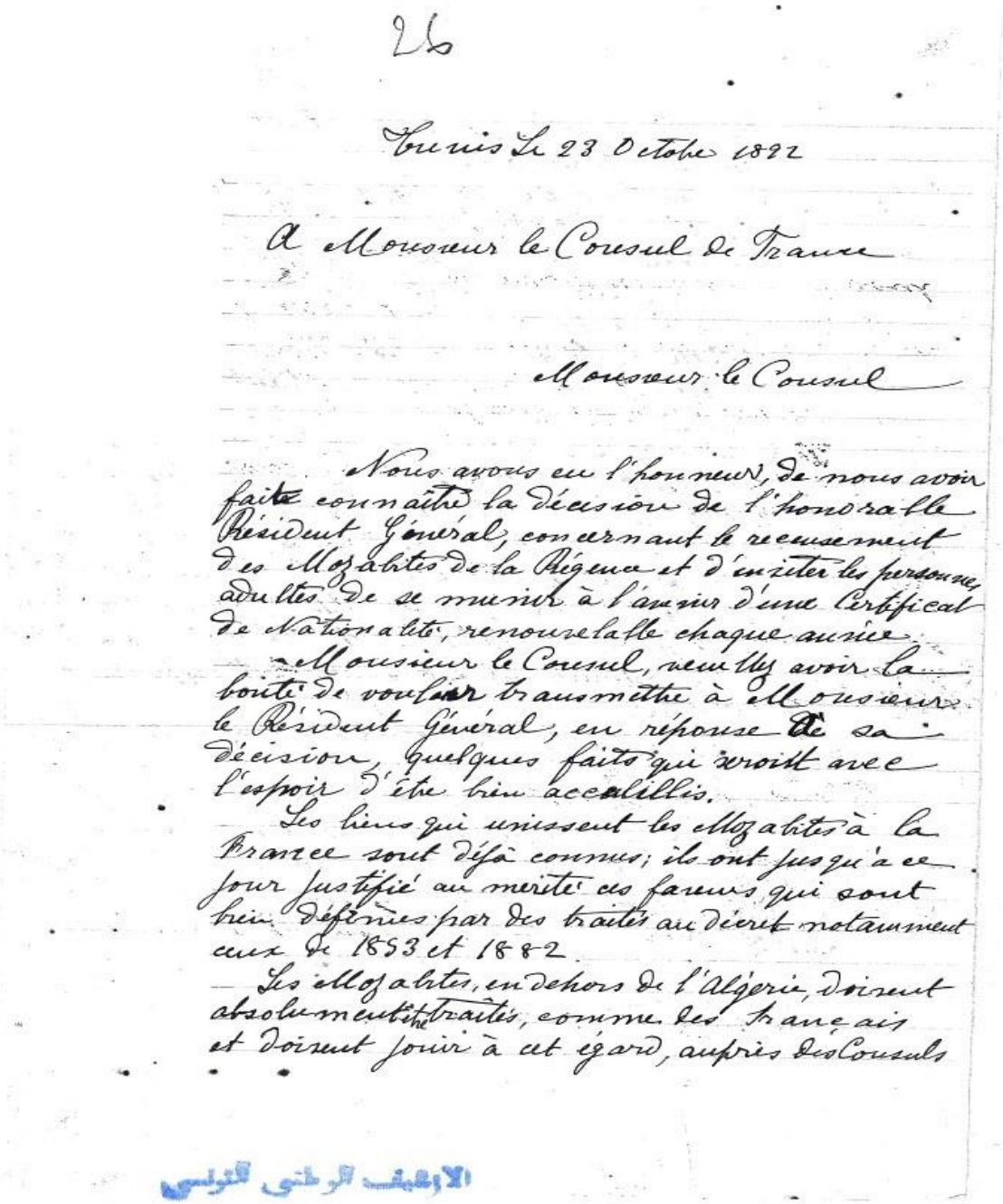
A mon avis, il y aurait un double inconvénient à ce qu'il fut fait droit à la demande des pétitionnaires:

1° Parce qu'une mesure

Monsieur Blondel
Secrétaire d'Ambassade Chargé d'affaires de France
Tunis

المصدر: الأرشيف الوطني التونسي.

ملحق رقم 08: توضيح المقيم العام بتونس حول إحصائيات الميزابين وطلب بطاقة مقيم.



26

Tunis Le 23 Octobre 1892

A Monsieur le Consul de France

Monsieur le Consul

Nous avons eu l'honneur, de nous avoir faites connaître la décision de l'honorable Résident Général, concernant le recensement des Mozabites de la Régence et d'inviter les personnes adultes de se munir à l'avenir d'une Certificat de Nationalité, renouvelable chaque année.

Monsieur le Consul, veuillez avoir la bonté de vouloir transmettre à Monsieur le Résident Général, en réponse de sa décision, quelques faits qui croit avec l'espoir d'être bien accueillis.

Les liens qui unissent les Mozabites à la France sont déjà connus; ils ont jusqu'à ce jour justifié au mérite ces faveurs qui sont bien définies par des traités ou décret notamment ceux de 1853 et 1882.

Les Mozabites, en dehors de l'Algérie, doivent absolument être traités, comme des Français et doivent jouir à cet égard, auprès des Consuls

الأرشيف الوطني التونسي

les mêmes charges et les mêmes privilèges que les Français.

En Tunisie, les Mozabites se font inscrire au Consulat et ne retirent aucune carte de protection, comme les Français, et ils n'ont jamais été assimilés aux autres sujets aux protégés Français.

Cette carte de protection amoindrit nos droits et nos privilèges, d'autant plus, il semble qui si elle n'était pas renouvelée, le Mozabite perdrait ses droits à la protection Consulaire.

Avant l'occupation française, Monsieur Roustan, alors chargé des affaires de France à Tunis avait demandé à tous ses sujets d'avoir à se mettre en règle avec la Chancellerie il a cependant, fait espection pour les Mozabites qui n'ont pas été astreint à cette formalité

D'ailleurs, elle est extrêmement difficile à adopter.

En effet, la plus part des Mozabites de Tunis sont mariés et domiciliés de droit au Mzab leur absence ne peut durer tout au plus un an la ville de Tunis n'est pour eux qu'une étape et la dernière pour le travail

Il n'y a, à Tunis, que cinq familles Mozabites, tout le reste est au patron. Dirigeant un capital provenant du Mzab ou ouvrier, cette classe est la plus nombreuse;

Les ouvriers et les patrons quand ils quittent

irlèges

it inscrire
carte de
ls n'ont
ujets

nos
s, il semble
le Mozabite
Consulaire
Monsieur
France
sujets
Chancellera
Mozabites
formalité
cile à

ts de Tunis
ne Mozab
ne plus
ux eux
le travail
meilles
tion.
ne Mozab
is nom

ls feuilleter

leur pays, pour obtenir le permis, présentent aux Caïds, une caution et un mandataire, pour la garantie de l'impôt qu'ils doivent payer à l'Etat ou à la Corporation, ce dernier dispose de la fortune du patron, la la caution paie pour l'ouvrier.

Les Mozabites de Tunis, sauf les cinq familles de la Ville de Tunis, ne restent dans cette localité que quelques mois et rarement deux ans.

Si Monsieur le Résident Général, désire connaître, le nombre, et leurs noms, des Mozabites de Tunis, nous sommes prêts à remettre, entre vos mains, Monsieur le Consul de France la liste des Mozabites, cette liste se renouvellera tous les ans ou tous les six mois.

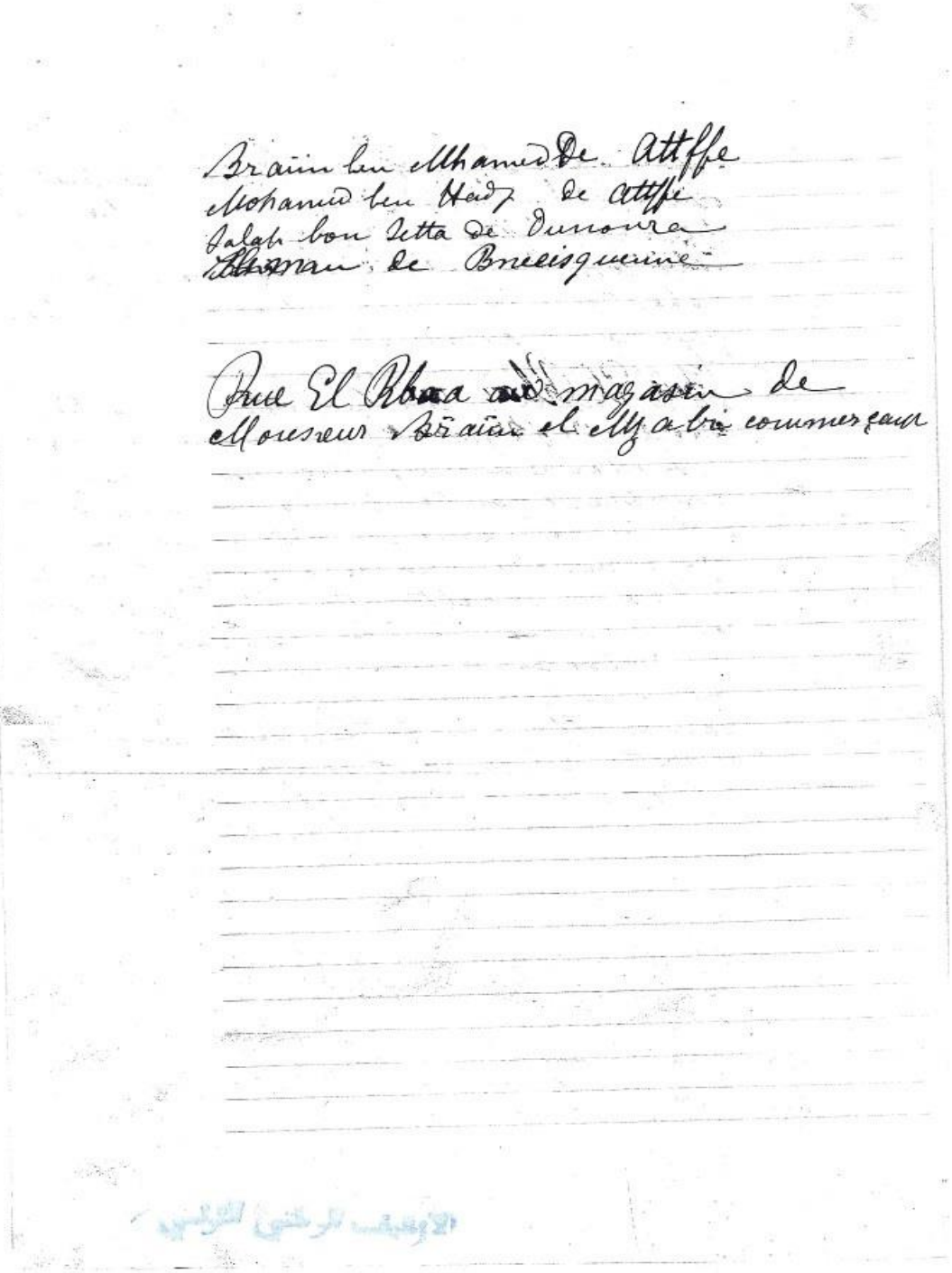
Telles sont les causes, pour les quelles nous ne pouvons déférer aux communications de Monsieur le Résident, avant de le mettre au courant de notre situation.

Nous vous prions, Monsieur le Consul de vouloir bien être auprès de lui l'Interprète de nos sentiments les plus respectueux et nous croire

Bakir ben Soliman de Grara
Jassem ben Ali de Grara
Hadj Moussa de Bariane
Issa ben Salah de Bariane
Hadj Aïssa de Ghardaïa
Youssef Allonde de Ghardaïa

L. S. P.

الأرشيف الوطني التونسي



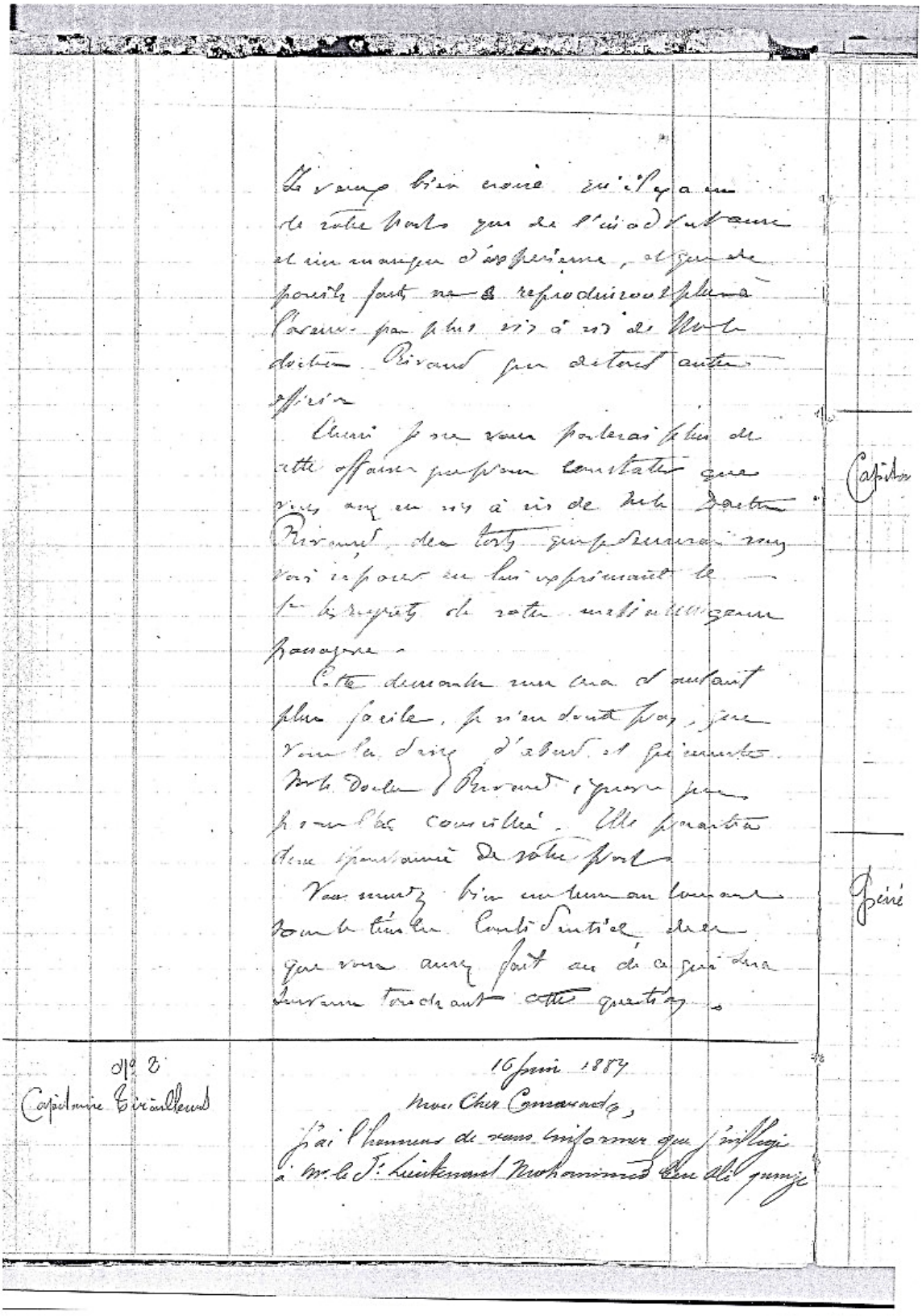
Brahim ben Mhamed de Attffe
Mohamed ben Hadj de Attffe
Salah bon Zetta de Dimoura
Rahman de Bneisguenine

Rue El Rhaa magasin de
Monsieur Brāim el Mzabi commerçant

الأرشيف الوطني التونسي

المصدر: الأرشيف الوطني التونسي.

ملحق رقم 09: وثيقة تبين سجل الوالدات والوفيات بالمكتب العربي بغرداية 1889.



Le temps bien court qu'il y a eu de votre part pour de l'indifférence et un manque d'empressement, et que je pourrais faire ne me reproduiront plus à l'avenir par plus ni à moi de votre dévoué Bivaud pour de tout autre affaire

Aussi je ne vous parlerai plus de cette affaire pour me constater que vous avez eu vis à vis de moi Bivaud des torts qui me feront vous inspirer un peu inspirant le — le respect de votre supérieur hiérarchique.

Cette demande me sera d'autant plus facile, je n'en doute pas, que vous la devez d'abord et principalement à Mr le Docteur Bivaud, qui vous a toujours conseillé. Elle garantira une ignorance de votre part

Vous serez bien entendu au courant de tout ce qui concerne votre service et que vous aurez soin de me rendre compte de tout ce qui se passera durant votre quarantaine.

Capitaine

Génie

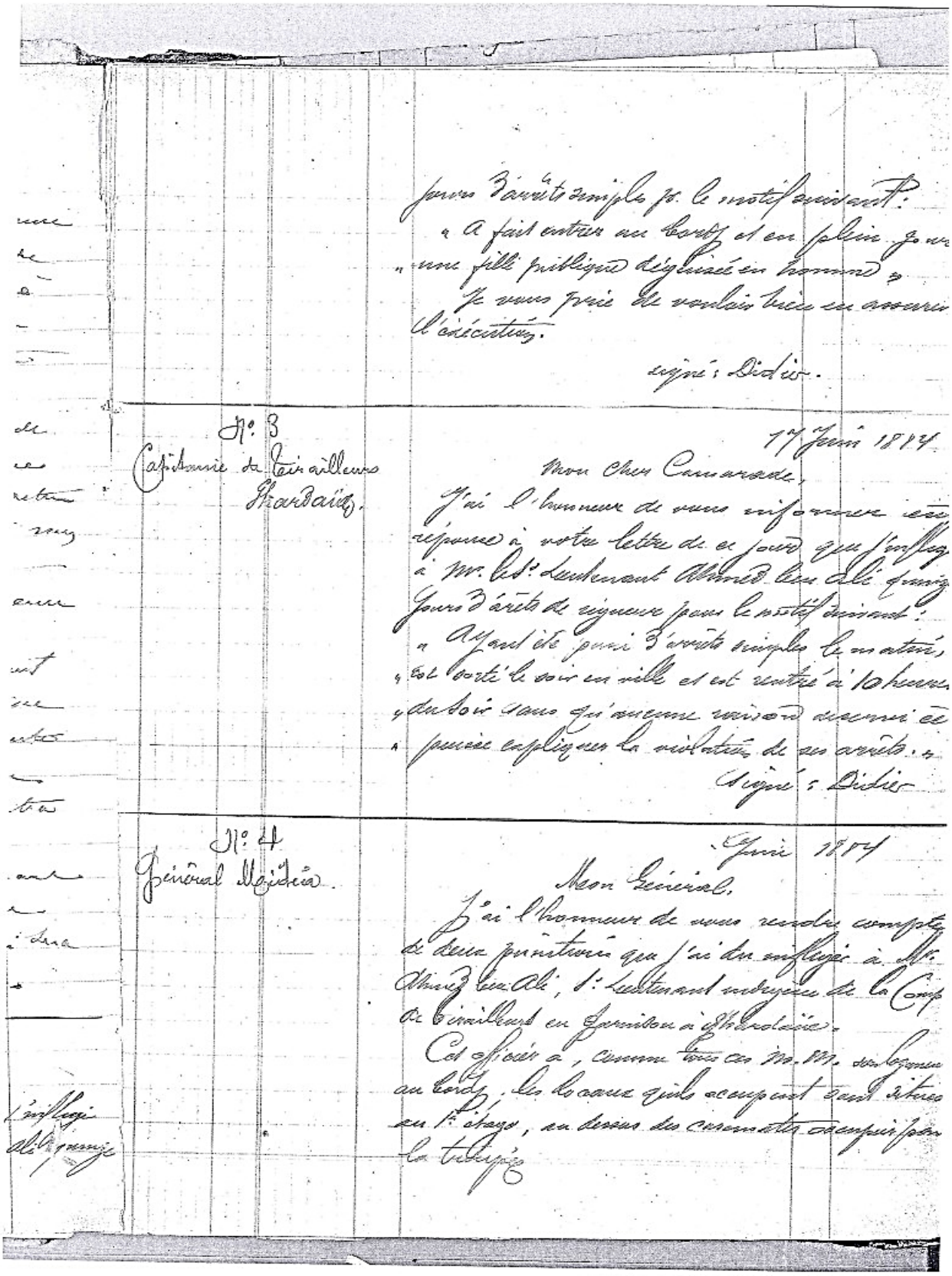
N° 8

Capitaine Bivaud

16 juin 1887

Mon Cher Commandant,

J'ai l'honneur de vous informer que j'ai délégué à Mr le Lieutenant Mohammed Ben Ali [illegible]



jours d'arrêt simple par le motif suivant :

« A fait entrer au bord et en plein jour une fille publique déguisée en homme »

Je vous prie de vouloir bien en assurer l'exécution.

signé : Didier.

N° 3

Capitaine de Tirailleurs Skandaïtes.

17 Juin 1804

Mon Cher Camarade,

J'ai l'honneur de vous informer en réponse à votre lettre de ce jour que j'infligé à M. le Lieutenant Ahmed ben Ali quinze jours d'arrêts de rigueur pour le motif suivant :

« Ayant été puni d'arrêts simples le matin, a été sorti le soir en ville et est rentré à 10 heures du soir sans qu'aucune raison ait été jamais expliquer la violation de cet arrêt. »

signé : Didier

N° 4

Général Majidien.

Juin 1804

Mon Général,

J'ai l'honneur de vous rendre compte de deux punitions que j'ai infligé à M. Ahmed ben Ali, Lieutenant indigène de la Comp de Tirailleurs en Garnison à Ghadaïdie.

Cet officier a, comme tous ses M.M. du logement au bord, les bagages qu'ils accompagnent sont situés au 1er étage, au dessus des casemates occupées par la troupe.

j'infligé deux jours

المصدر: أرشيف الوثائق الخاص بولاية غرداية.

ملحق رقم 10: أوراق من مخطوط تقييد وبيان من عمر في واد امزاب.

المصدر: نسخة بحوزتي.

ملحق رقم 11: الصفحة 19 من الطبعة الحجرية لمؤلف المحظوظ محمد بن يوسف أطفيش: "الرسالة الشافية".



المصدر: نسخة بحوزتي.

الملحـق رقـم 12:وقـف وحـبس نسـخة مـن مخطـوط النيـل للشـيخ عبـد العزيـز الثمينـي بيـد بهون بن الحاج سعيد بن أيوب.



المصدر: نسخة بحوزتي.

معاليها من الاخلاق الجميلة وجانبي الهمة لا يبالي بما تدعوه اليه
ويجهل فوق جهل الجاهلين ويخلع ربقة الهارفين فلذوذ ايها
العبد صلاحا وجسادا او رضى او سخطا او فرحا او بعدا او سعادة
او شقاوة او نعيما وجحيما واذا حكم لك ام عليه بالشرع فان كان
ماموراً به فبادر اليه فانه من الرحمان فان خشيته وقوعه على جهة
منهية لا يقاعه كذلك عليك فاجتنبه واستغفر ربك الا ان استغفارك لم
يوجب ترك الاستغفار ومن ثم قيل اعمال وان خفت العجب مستغفر
فان ترك العمل للخوف منه من مكايد الشيطان وان كان الحاكم منهيا
عنه فاياك منه فانه من الشيطان فان ملت اليه فاستغفر فان لم
تحدث الامارة بالسوء مجاهدتها وجوبا فان جعلت جنته على
الفور فان لم تقلع فمستدرجا فاذا وكسل عن تذكرها في اوقات الذات وجاة
الغفوات او لفتوك عجب مفترك واذكر سعة رحمته واعرض
عليها التوبة وحاسبها وهو النفوذ كما مر وتخوف بالله فالاقلاع
والعزم على عدم العود والتذارك بممكن وان تشككت في الحاكم
اماموراً به او منهياً عنه فامسك وكل وارفع رغبتك الى الله تعالى
واراداته وهو الخالق لكسب العبد فذلك له فقرة تعلم له لا
للابكم وهي الاستكلاعة وهي مع الجعل لا قبله ولا يجعله
حالة الخالق لا مكتسب والعبد مكتسب لا خالق فلا تعلم فقرته
للضدين بيني حال على الصحيح والعجز صفة وجودية تقابل القدرة
تقابل التضادين العدم والملكة ورجح قوم التوكل واخرون الكسب
الاكتساب والمختار الاختلاف باختلاف الناس ومن ثم اراحة قوم
التجريد مع داعية الاسباب شهوة خفية وسلوك الاسباب مع
مع داعية التجريد انحطاط عن الفترة العلية وقد اتى الشيخان
بالكرام جانب الله تعالى في صورة الاسباب والكسل والتماهل في صورة
التوكل والموفق يبحث عن هذين الامرين ويعلم انه لا يكون الا ما

يريد

يريد الله سبحانه وتعالى وهذا ما تيسر لنا جمعه فكان ولله الحمد
مختصراً منقوناً بجواهر المسائل رحيقاً جعلنا الله به واشياعنا
واحبابنا واخواننا جامع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقاً اللهم يا ذا الفضل
العظيم تفضل علينا بالعفو وبما تشاء من النعيم وصل الله
على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً والحمد
لله رب العالمين

انتهى مسوداً ومصححاً من
خطه فكه المولى رحمه الله
ورضي عنه ونفعنا بعلومه
آمين يا رب العالمين
على صاحبه افضل السلام
واتم التحية على صاحبه متمماً
وقت الظهيرة يوم الجمعة
لثلاث بقين من المحرم ختمه
المحتاج الى ربه يوسف بن الحاج اسمعيل
ابن باب بن ايوب بن موسى بن يحيى
اللهم ارزقني حفظه والعمل بما فيه
واغفر لي ولجميع المسلمين والمسلمات

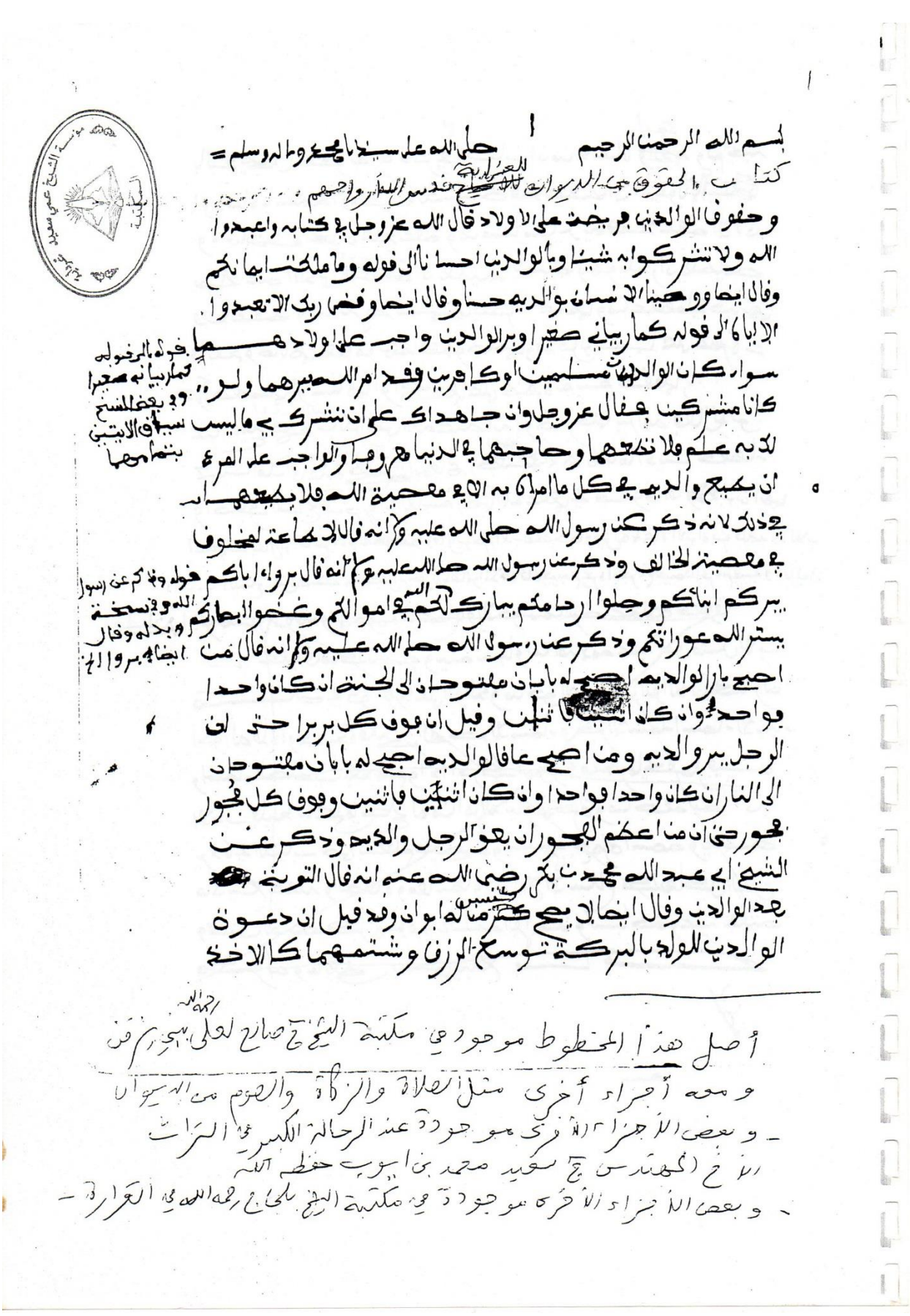
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً والحمد لله رب العالمين

الملحق رقم 13: وقف وحبس نسخة من كتاب النيل



المصدر: نسخة بحوزتي.

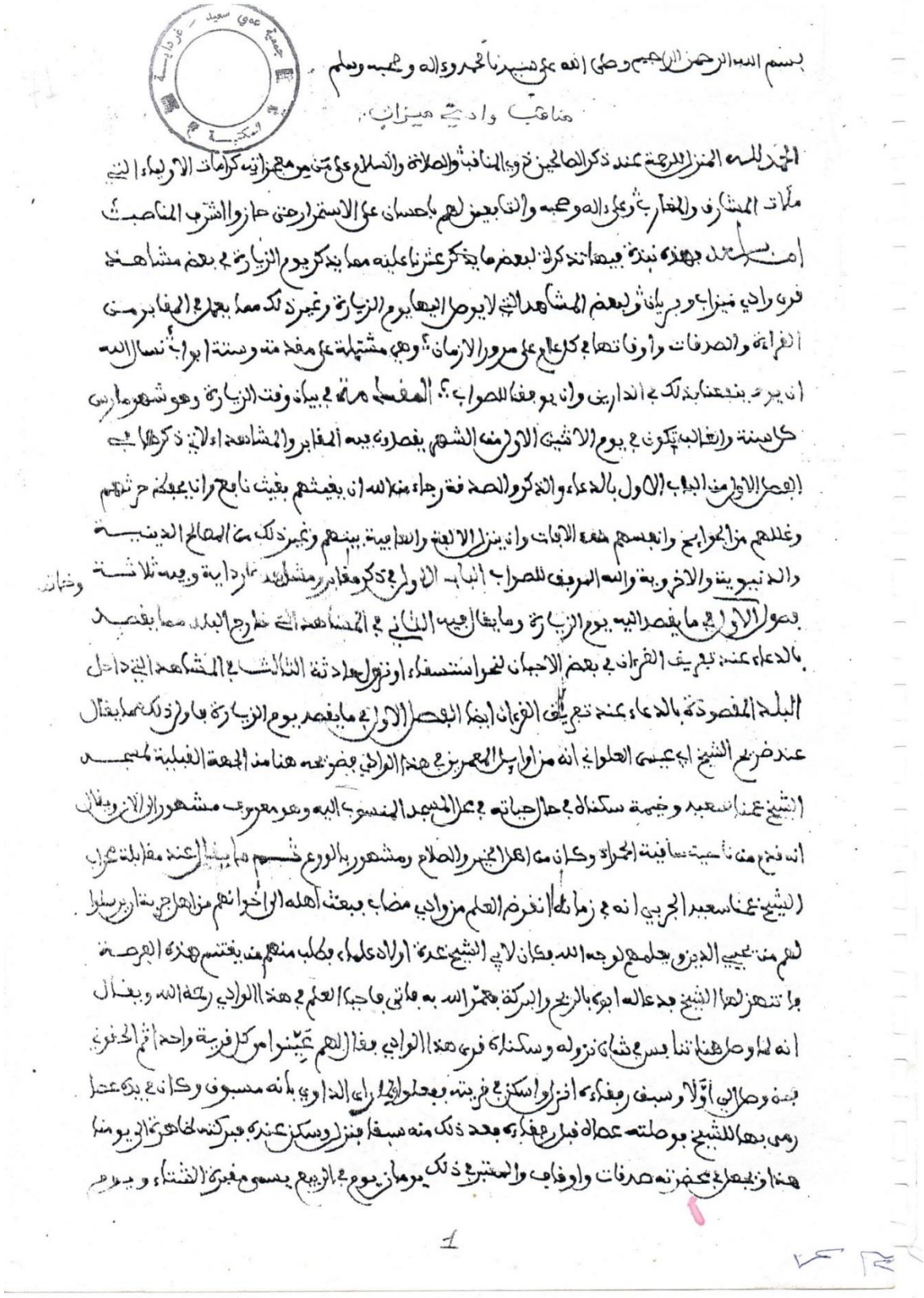
الملحق رقم 14: صفحة من كتاب الحقوق من الديوان للعزابة



بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم =
كتاب الحقوق من الديوان للعزابة للشيخ قدس الله سره ورحمهم
وحقوق الوالدين فريضة على الأولاد قال الله عز وجل في كتابه واعبدوا
الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا الى قوله وما ملكت ايمانكم
وقال ايضا ووصينا الانسان بوالديه حسنا وقال ايضا وقضى ربك الا تعبدوا
الا اياه الى قوله كما ربياني صغيرا وبر الوالدين واجب على الولد هما
سواء كان الوالدان مسلمين او كافرين وقد امر الصغير هما ولو
كانا مشركين فقال عز وجل وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس
لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا والواجب على المرء
ان يطيع والديه في كل ما امراه به الا في معصية الله فلا يطيعهما
في ذلك لانه ذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا طاعة لمخلوق
في معصية الخالق وذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال بروا اباكم
يبركم ابناؤكم وعفوا تعف نساؤكم وذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من
اصبح بارا لوالديه اصبح له بابان مفتوحان الى الجنة ان كان واحدا
فواحدا وان كان اثنين فاثنان وقيل ان عقوق كل بر احتى ان
الرجل يبر والديه ومن اصبح عاقا لوالديه اصبح له بابان مفتوحان
الى النار ان كان واحدا فواحدا وان كان اثنين فاثنين وعقوق كل فجور
فجور حتى ان من اعظم الفجور ان يعق الرجل والديه وذكر عن
الشيخ ابي عبد الله محمد بن بكر رضي الله عنه انه قال التوبة
عند الوالدين وقال ايضا لا يمحو كفر مثله ابوان وقد قيل ان دعوة
الوالدين للولد بالبركة توسع الرزق وشتمهما كالاخذ

أصل هذا المخطوط موجود في مكتبة الشيخ صالح لعلي بهجرة ورقن
ومعه أجزاء أخرى مثل الصلاة والزكاة والصوم من الديوان
- وبعض الأجزاء الأخرى موجودة عند الحاجة الكبير في التراث
الشيخ الحاج سعيد محمد بن ايوب حفظه الله
- وبعض الأجزاء الأخرى موجودة في مكتبة الشيخ الحاج رحمه الله في العزابة -

الملحق رقم 15: ورقة من مخطوط مناقب وادي ميزاب



بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

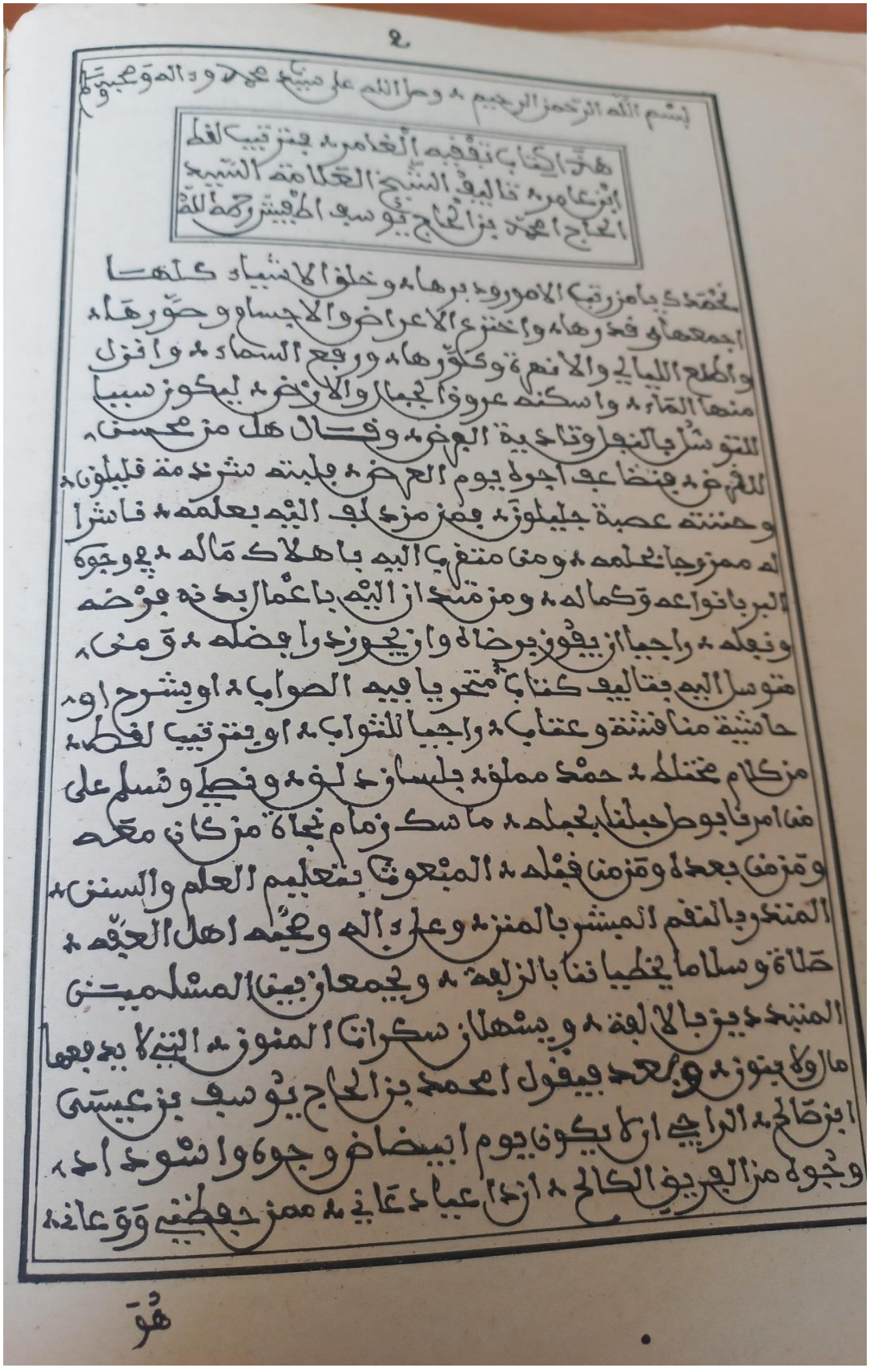
مناقب وادي ميزاب

الحمد لله المنزل الرحمة عند ذكر الصالحين ذوي المناقب والصلاة والسلام على من ظهر معجزاته كرامات الأولياء التي ملأت المشارق والمغارب وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان على الاستمرار حتى حازوا أشرف المناصب أما بعد فهذه نبذة فيها تذكرة لبعض ما يذكر عثرنا عليه مما يذكر يوم الزيارة في بعض مشاهد قرى وادي ميزاب وبربان وبعض المشاهد التي لا يزار إليها يوم الزيارة وغير ذلك مما يعلم في المقابر من القراءة والصدقات وأوقاتها على كل عام على مرور الأزمان وهي مشتملة على مقدمة وستة أبواب نسأل الله أن ينفع بها عباده المتدينين وأن يوفقنا للصواب. المقدمة وهي في بيان وقت الزيارة وهو شهر مارس كل سنة والغالب تكون في يوم الاثنين الأول من الشهر يقصدون فيه المقابر والمشاهد الآتي ذكرها في الفصل الأول من الباب الأول بالدعاء والذكر والصدقة رجاء من الله أن يفيئهم بفيئ نافع وأن يجعلكم حرثهم وغلتهم من الجوائح وأن يعصمهم من الآفات وأن ينزل الألفة والمحبة بينهم وغير ذلك من المصالح الدينية والدنيوية والأخروية والله الموفق للصواب الباب الأول في ذكر مقابر ومشاهد عارداية وفيه ثلاثة فصول الأول في ما يقصد إليه يوم الزيارة وما يقال فيه الثاني في المشاهد التي خارج البلد مما يقصد بالدعاء عند تكريف القرآن في بعض الأحيان لنحو استسقاء أو نزول جادة الثالث في المشاهد التي داخل البلدة المقصودة بالدعاء عند تتبع بقي القرآن أيضا الفصل الأول في ما يقصد يوم الزيارة وما وراء ذلك مما يقال عند ضريح الشيخ أبي عيسى الحلواني أنه من أوائل المعمرين في هذا الوادي بضريحه هنا من الجهة القبلية لمسجد الشيخ عمر أسعيد وخيمة سكناه في حال حياته في محل المسجد المنسوب إليه وهو معروف مشهور إلى الآن ويقال أنه قدم من ناحية سانية الحمراء وكان من أهل الخير والصلاح ومشهور بالورع شم مما يقال عند مقابلة محراب الشيخ محمد أسعيد الجربي أنه في زمانه انفرد العلم من وادي مضاب بعثت أهله الأخيار أنهم من أهل جربة أرسلوا لهم من يعيي الدين يعلمهم لوجه الله فكان لأبي الشيخ عمر أولاد علماء فكل منهم من يقتبس هذه الفرصة وانتهز لها الشيخ فدعا له أبوه بالربح والبركة بعمر الله به فإني فاجيا العلم في هذا الوادي رحمه الله ويقال أنه لما وصل هنا تنا بسر في شأن نزوله وسكناه قرى هذا الوادي فقال لهم تيسروا من كل قرية واحد ثم الخبر فيه وصل إلى أولاد سيف وفقاء أخبروا أسكن في قريته فجعلوا يراجع الداعي بأنه مسبوق وكان في يده عصا رمى بها للشيخ بوصلته عصاه قبل رفقاء بعد ذلك منه سيفا فنزل وسكن عنده فبركته لحاضرة الربوة هذا وبجعل في محضرته صدقات وأوقاف والمعتبر في ذلك يوم ما من يوم في الربيع يسمى مغبرة الشتاء ويوم

1

المصدر: مكتبة جمعية عمي سعيد، غرداية

الملحق رقم 16: ورقة من مخطوط تفقيه الغامر بترتيب لغط ابن عامر



بسم الله الرحمن الرحيم ... وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

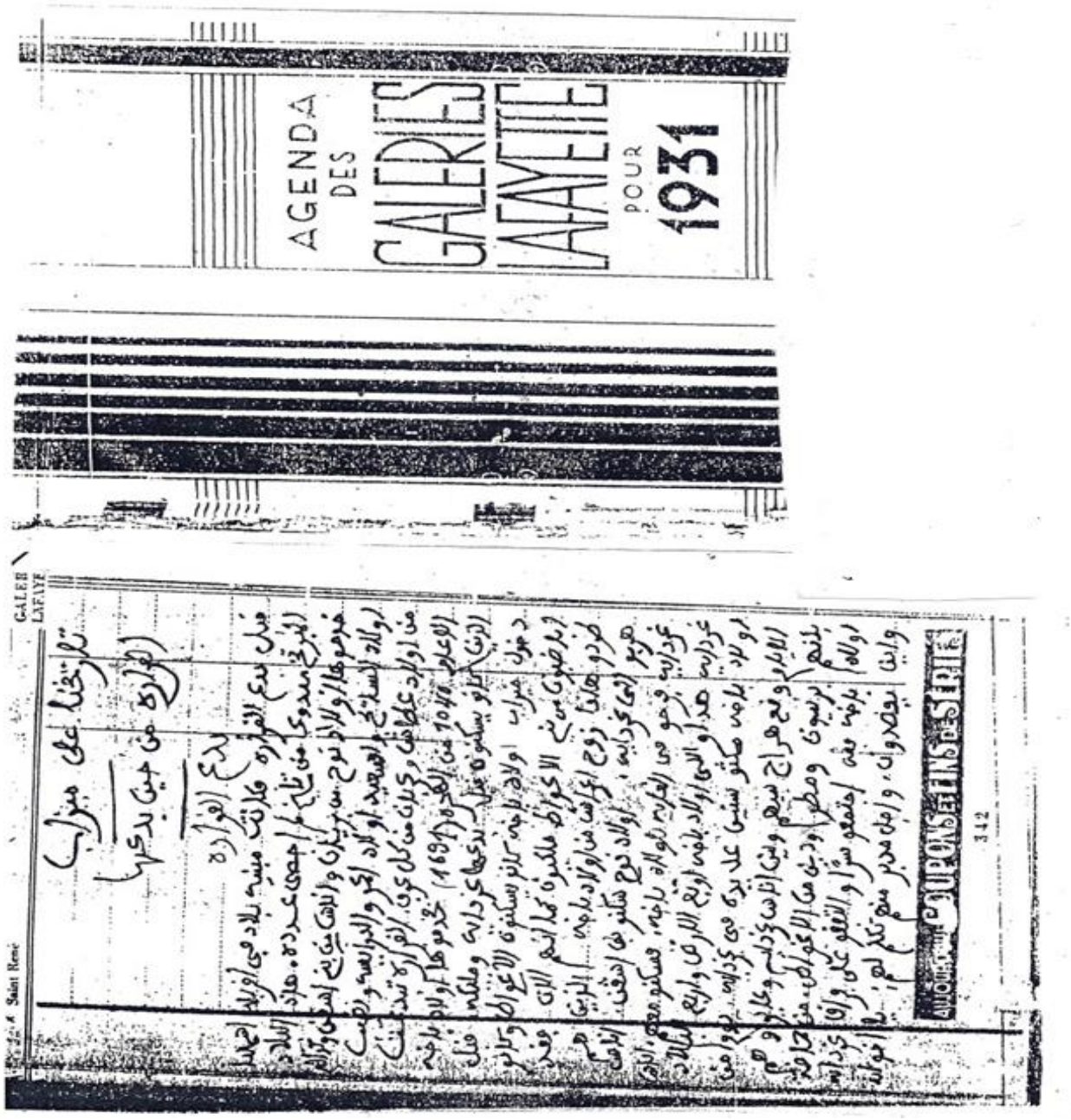
هذا كتاب تفقيه الغامر بترتيب لغط
ابن عامر تاليف الشيخ العلامة الشيخ
الحاج احمد بن الحاج يوسف الحفيش رحمه الله

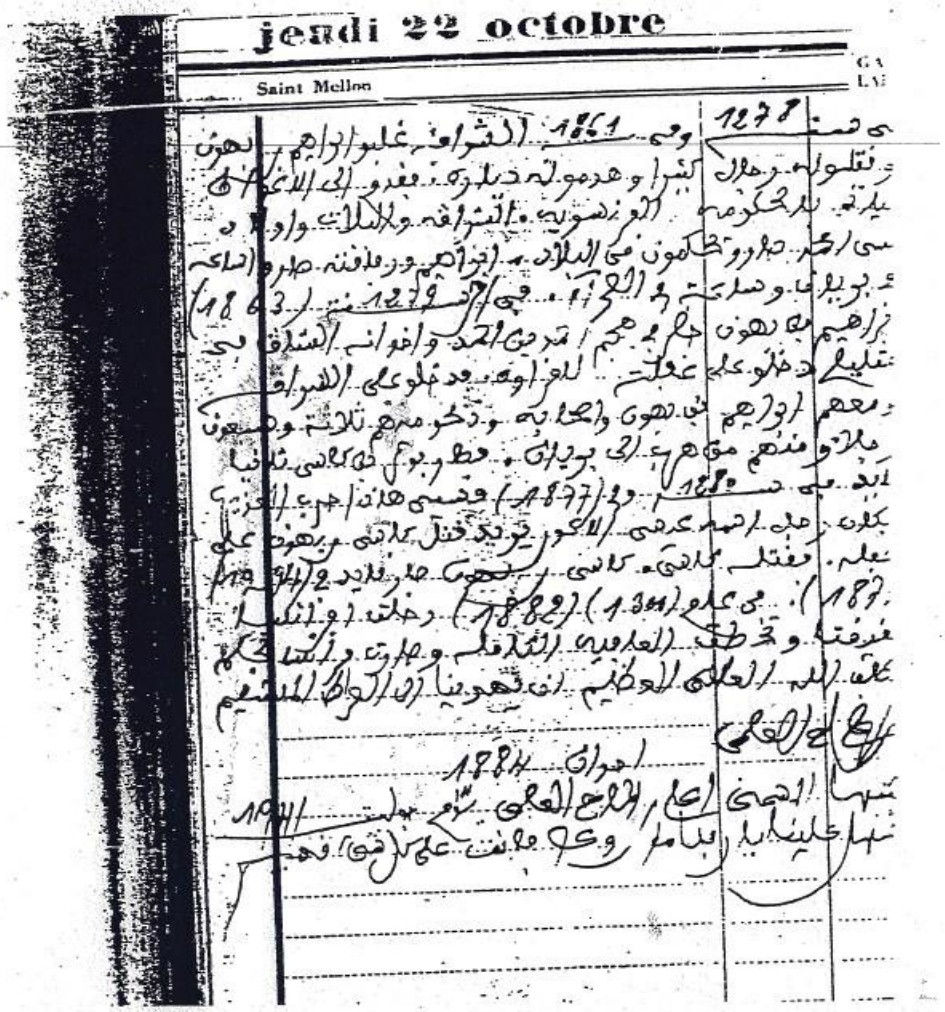
نحمدك يا من رتب الامور وبرهانه وخلق الاشياء كلها
اجمعها وقدرها واخترع الاعراض والاجسام وصورها
واطلع الليالي والانهر وكورها ورفع السماء وانزل
منها الماء واسكنه عروق الجبال والارض ليكون سببا
للتوسل بالنبل وتادية البرض وقال هل من محسن
للارض فتضاعف اجره يوم العرض قليلته مثرة منه قليلون
وحسنته عصبة جليلون فمن مزلف اليه بعلمه فاشرا
له ممزوجا بعلمه ومن متغرب اليه باهلاك ماله في وجوه
البر بانواعه وكماله ومن متحاز اليه باعمال بدنه فرضه
ونفله واجبا ان يفوز برضاه وان يحوز افضله ومن
متوسل اليه بتاليف كتاب متحريا فيه الصواب او بشرح او
حاشية منافسة وعتاب واجبا للثواب او بترتيب لغطه
من كلام مختلط حمدا مملوءا بلسان لغوه ونطق وسلم على
من امرنا بوطء حبلنا بحبله ماسك زمام نجاة من كان معه
ومن منا بعده ومن منا قبله المبعوث بتعليم العلم والسنن
المنذر والمنعم المبشر بالمنن وعلى اله وصحبه اهل العفة
صلاة وسلاما يحيانا بالزلفة ويجمعان بيننا المسلمين
المتبعين بالالفة ويسهلان سكرات الموت التي لا بد فيها
من الفوت وبعد فيقول احمد بن الحاج يوسف بن عيسى
ابن صالح الرايح ان اكون يوم ابيض وجوه واسود اعداه
وجوه من الفريق الكالح ان اعياه غاني ممن جعلني وعاه

هو

المصدر: أرشيف المركز الثقافي للوثائق الصحراوية للآباء البيض بغرداية.

ملحق رقم 17: أوراق من مخطوط "القرارة من حين بدعها" لمحمد بن علي الشريف الحسيني (محمد بن شتيوي).

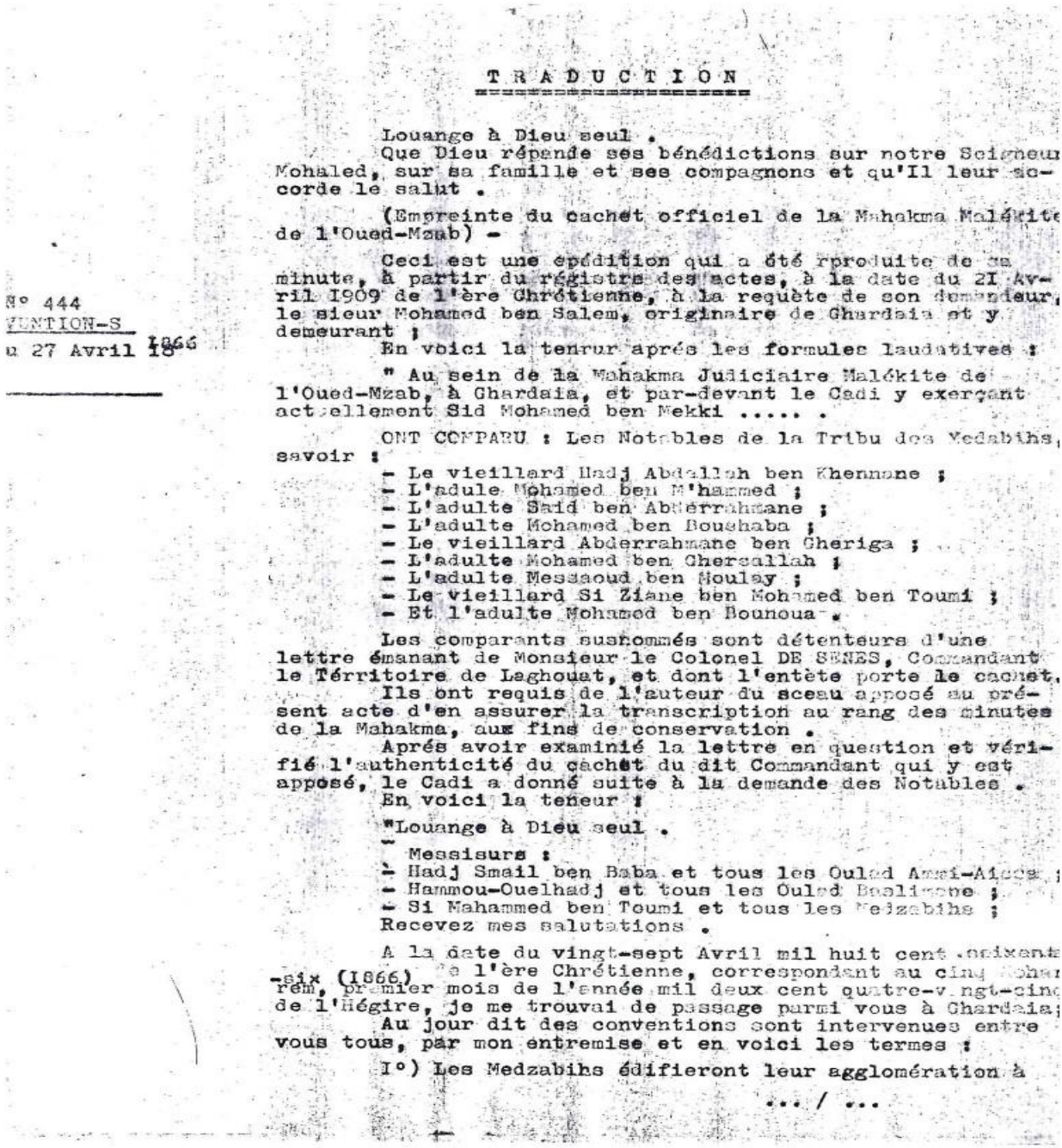



jeudi 22 octobre

Saint Mellon

المصدر: نسخة بحوزتي.

ملحق رقم 18:رسالة دوسينيس إلى الحاكم العام بالمدية بخصوص ترحيل المذابيح من غرداية إلى ضاية بن ضحوة.



N° 444
YUNTION-S
u 27 Avril 1866

T R A D U C T I O N

Louange à Dieu seul .
Que Dieu répande ses bénédictions sur notre Seigneur Mohaled, sur sa famille et ses compagnons et qu'Il leur accorde le salut .

(Empreinte du cachet officiel de la Mahakma Malékite de l'Oued-Mzab) -

Ceci est une expédition qui a été rproduite de sa minute, à partir du régistre des actes, à la date du 21 Avril 1909 de l'ère Chrétienne, à la requête de son demandeur, le sieur Mohamed ben Salem, originaire de Ghardaia et y demeurant ;
En voici la tenrur aprés les formules laudatives :

" Au sein de la Mahakma Judiciaire Malékite de l'Oued-Mzab, à Ghardaia, et par-devant le Cadi y exerçant actuellement Sid Mohamed ben Mekki ..... .

ONT COMPARU : Les Notables de la Tribu des Medabihs, savoir :
- Le vieillard Hadj Abdallah ben Khennane ;
- L'adule Mohamed ben M'hammed ;
- L'adulte Said ben Abderrahmane ;
- L'adulte Mohamed ben Boushaba ;
- Le vieillard Abderrahmane ben Cheriga ;
- L'adulte Mohamed ben Chersallah ;
- L'adulte Messaoud ben Moulay ;
- Le vieillard Si Ziane ben Mohamed ben Toumi ;
- Et l'adulte Mohamed ben Bounoua .

Les comparants susnommés sont détenteurs d'une lettre émanant de Monsieur le Colonel DE SENES, Commandant le Térritoire de Laghouat, et dont l'entète porte le cachet.
Ils ont requis de l'auteur du sceau apposé au présent acte d'en assurer la transcription au rang des minutes de la Mahakma, aux fins de conservation .
Aprés avoir examinié la lettre en question et vérifié l'authenticité du cachet du dit Commandant qui y est apposé, le Cadi a donné suite à la demande des Notables .
En voici la teneur :

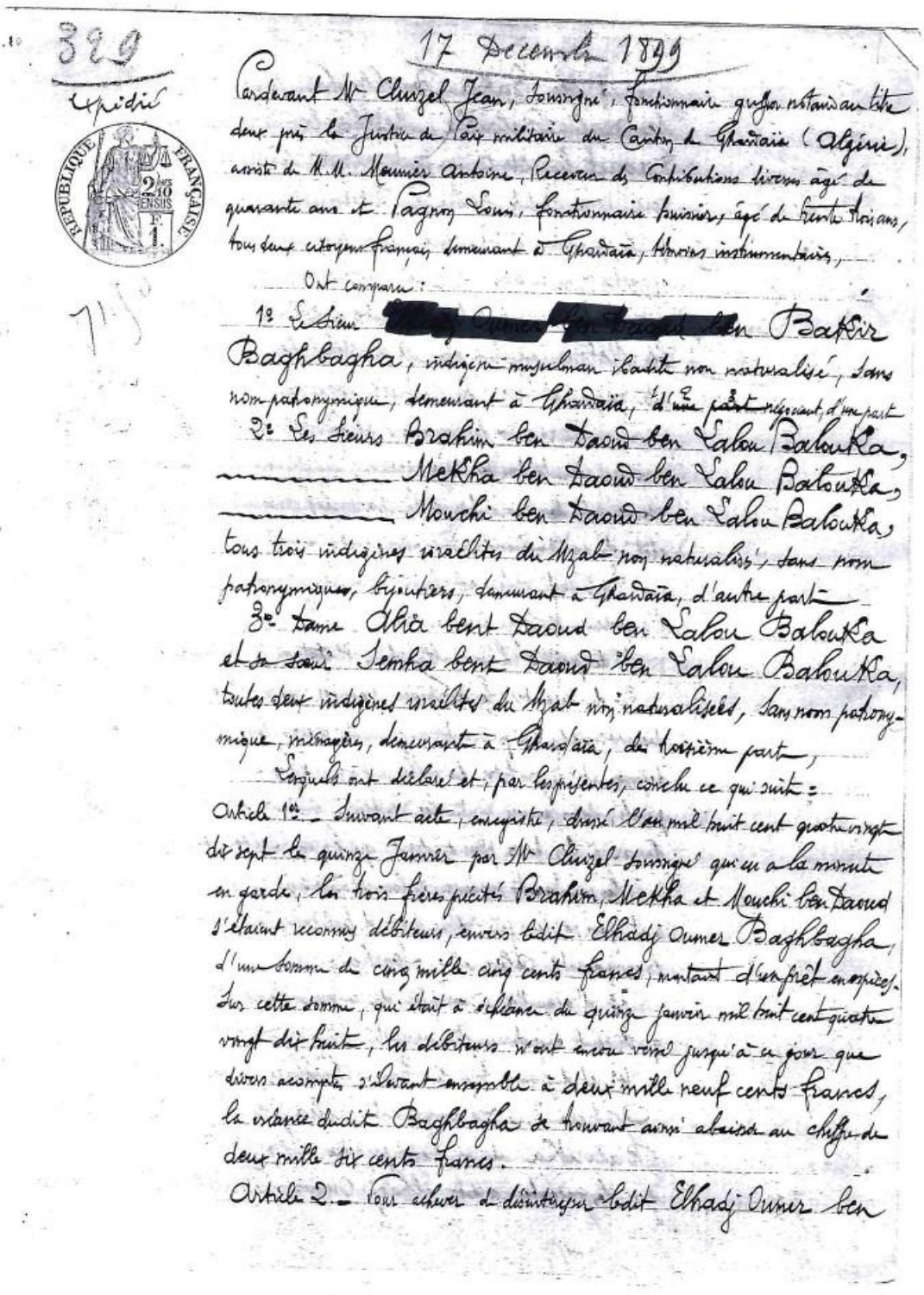
"Louange à Dieu seul .
-
Messieurs :
- Hadj Smail ben Baba et tous les Oulad Amri-Aissa ;
- Hammou-Ouelhadj et tous les Oulad Baslimane ;
- Si Mahammed ben Toumi et tous les Medzabihs ;
Recevez mes salutations .

A la date du vingt-sept Avril mil huit cent soixante-six (1866) de l'ère Chrétienne, correspondant au cinq Chaoual, premier mois de l'année mil deux cent quatre-vingt-cinq de l'Hégire, je me trouvai de passage parmi vous à Ghardaia;
Au jour dit des conventions sont intervenues entre vous tous, par mon entremise et en voici les termes :
I°) Les Medzabihs édifieront leur agglomération à

... / ...

المصدر: نسخة بحوزتي.

ملحق رقم 19: وثيقة اعتراف بالدين لثلاث يهود من غرداية والحاج عمر بغباغة.



389

Expédié

17 Décembre 1899

Par devant Me Cluzel Jean, soussigné, fonctionnaire greffier notaire au titre des près la Justice de Paix militaire du Canton de Ghardaïa (Algérie), assisté de MM. Mannier Antoine, Receveur des Contributions diverses âgé de quarante ans et Lagny Louis, fonctionnaire stagiaire, âgé de trente trois ans, tous deux citoyens français demeurant à Ghardaïa, témoins instrumentaires,

Ont comparu :

1° Le sieur [redacted] ben Bakir Baghbagha, indigène musulman Chaâbi non naturalisé, sans nom patronymique, demeurant à Ghardaïa, d'une part résidant d'une part

2° Les sieurs Brahim ben Daoud ben Salou Baloukka,
Mekka ben Daoud ben Salou Baloukka,
Mouchi ben Daoud ben Salou Baloukka,
tous trois indigènes israélites du Mzab non naturalisés, sans nom patronymique, bijoutiers, demeurant à Ghardaïa, d'autre part

3° dame Ahia bent Daoud ben Salou Baloukka et sa soeur Semha bent Daoud ben Salou Baloukka, toutes deux indigènes israélites du Mzab non naturalisées, sans nom patronymique, ménagères, demeurant à Ghardaïa, de troisième part,

Lesquels ont déclaré et, par les présentes, conclu ce qui suit :

Article 1er. Suivant acte enregistré, dressé l'an mil huit cent quatre vingt dix sept le quinze Janvier par Me Cluzel soussigné qui en a la minute en garde, les trois frères précités Brahim, Mekka et Mouchi ben Daoud s'étaient reconnus débiteurs envers dudit Elhadj Oumer Baghbagha d'une somme de cinq mille cinq cents francs, montant d'un prêt en espèces. Sur cette somme, qui était à échéance du quinze janvier mil huit cent quatre vingt dix huit, les débiteurs n'ont encore versé jusqu'à ce jour que divers acomptes s'élevant ensemble à deux mille neuf cents francs, la créance dudit Baghbagha se trouvant ainsi abaissé au chiffre de deux mille six cents francs.

Article 2. Pour achever de désintéresser dudit Elhadj Oumer ben

Daoud ben Bakir Baghbagha, ledit Brahim ben Daoud ben Salou Balouka, Mekhia ben Daoud et Mouchi ben Daoud lui cèdent en toute propriété et jouissance à compter de ce jour, pour ladite somme de Deux mille six cents francs, une maison qu'ils possèdent à Ghardaïa dans le quartier juif. Cet immeuble, qui leur appartient en indivis, comprend un bâtiment d'habitation et une boutique dite [redacted] l'ouest par la maison de Brahim ben Mekha, au Sud par celle de Mihir ben Israel, à l'Est par la rue dite Zegag el Hadi sur laquelle ouvre la boutique précitée et au Nord par une autre rue non dénommée; il est en outre vendu tel qu'il se poursuit et comporte, avec toutes ses appartenances et dépendances, sans aucune exception ni réserve et sans garantie de la part des vendeurs soit pour bon ou mauvais état de constructions soit pour mitoyenneté.

La présente vente est faite sous les charges et conditions suivantes que l'acquéreur s'oblige à exécuter :

1° de prendre l'immeuble dans l'état où il se trouve actuellement ;

2° de supporter les servitudes passives apparentes ou occultes, continues ou discontinues, qui peuvent ou pourront grever ledit bien, sauf à lui à s'en défendre et à profiter de celles actives, s'il en existe, le tout à ses risques et périls, sans recours contre les vendeurs et sans que la présente clause puisse donner à des tiers plus de droit qu'il n'en résulterait pour eux ;

Les ~~comparants~~ vendeurs déclarent à ce sujet que l'immeuble dont s'agit a été grevé par leur père d'un droit d'habitation au profit de leurs deux sœurs, les comparantes Alia et Semha ;

3° d'acquitter à compter de ce jour les contributions et impositions auxquelles peut ou pourra être assujetti cet immeuble ;

4° et de payer tous les frais et honoraires des présentes et de leurs suites.

Article 3.- La comparante Alia bent Daoud ben Salou Balouka et sa sœur précitée Semha bent Daoud cèdent par les présentes, audit Elhadj Ouma Baghbagha, tous les droits

d'usufruit partiel qu'elle leur avait légués sur l'immeuble dont il s'agit. Cette cession, qui sortira, à dater de ce jour, son plein et entier effet, est faite à la somme de quatre cents francs payé sur le champ aux venderesses, en la vue de Me Chuzel soussigné, en quatre billets de cent francs de la Banque d'Algérie. dont quittance définitive et sans réserve aucune. Les frais de la présente cession sont supportés par l'acquéreur

Article 4. - La dudite créance du sieur Elhadj Oumar Baghbagha se trouve éteinte par les acomptes versés jusqu'à ce jour et le prix de vente des droits de propriété desdits débiteurs sur l'immeuble susrelaté.

Article 5. - Cette créance étant la seule que possédât à ce jour sus-dit Baghbagha, les dits frères Brahim ben Daoud, Mekha et Mouchi sont constitués par les présentes, libres envers lui de tout engagement quelqu'il soit.

Article 6. - Lesdits Brahim ben Daoud, Mekha et Mouchi, et leurs sœurs précitées Alia et Semha déclarent que l'immeuble dont il s'agit leur est échu par voie d'héritage, qu'ils en étaient seuls propriétaires et que par les présentes ils en transmettent la pleine propriété et jouissance audit Elhadj Oumar Baghbagha, lequel de son côté ne reste redevable de quoi que ce soit envers l'un ou l'une quelconque d'entre eux.

Article 7. - Une expédition du présent contrat sera transcrite au Bureau des Hypothèques de Blida et les vendeurs et venderesses s'obligent solidairement à rapporter mainlevée et certificat de radiation de toutes les inscriptions et autres charges dont l'existence serait révélée.

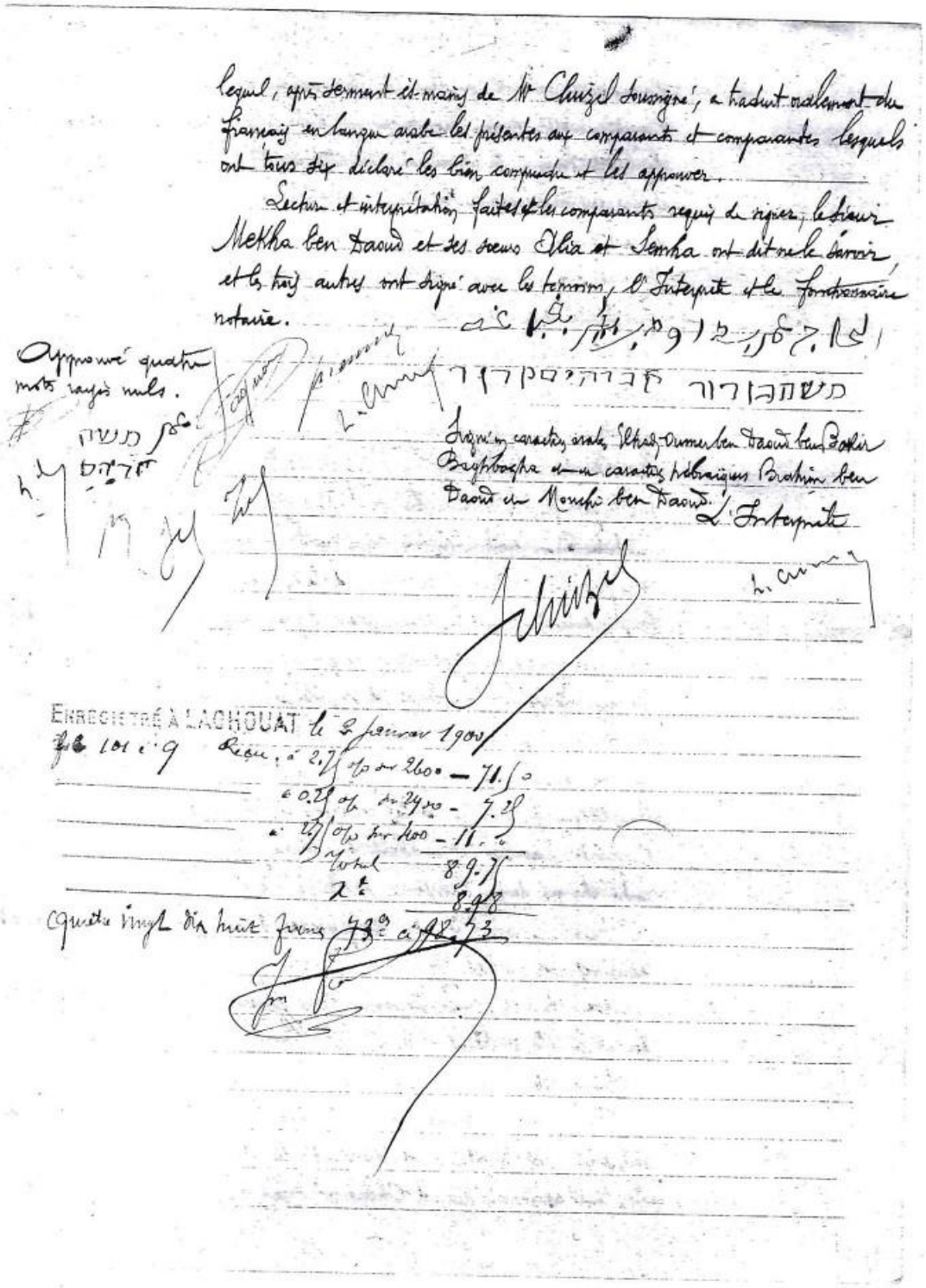
Article 8. - Pour l'exécution des présentes, domicile est élu en les demeures respectives des parties.

Avant de clore, le fonctionnaire notaire soussigné a donné lecture aux parties des articles 12 et 13 de la loi du 23 Août 1871.

Dont acte.

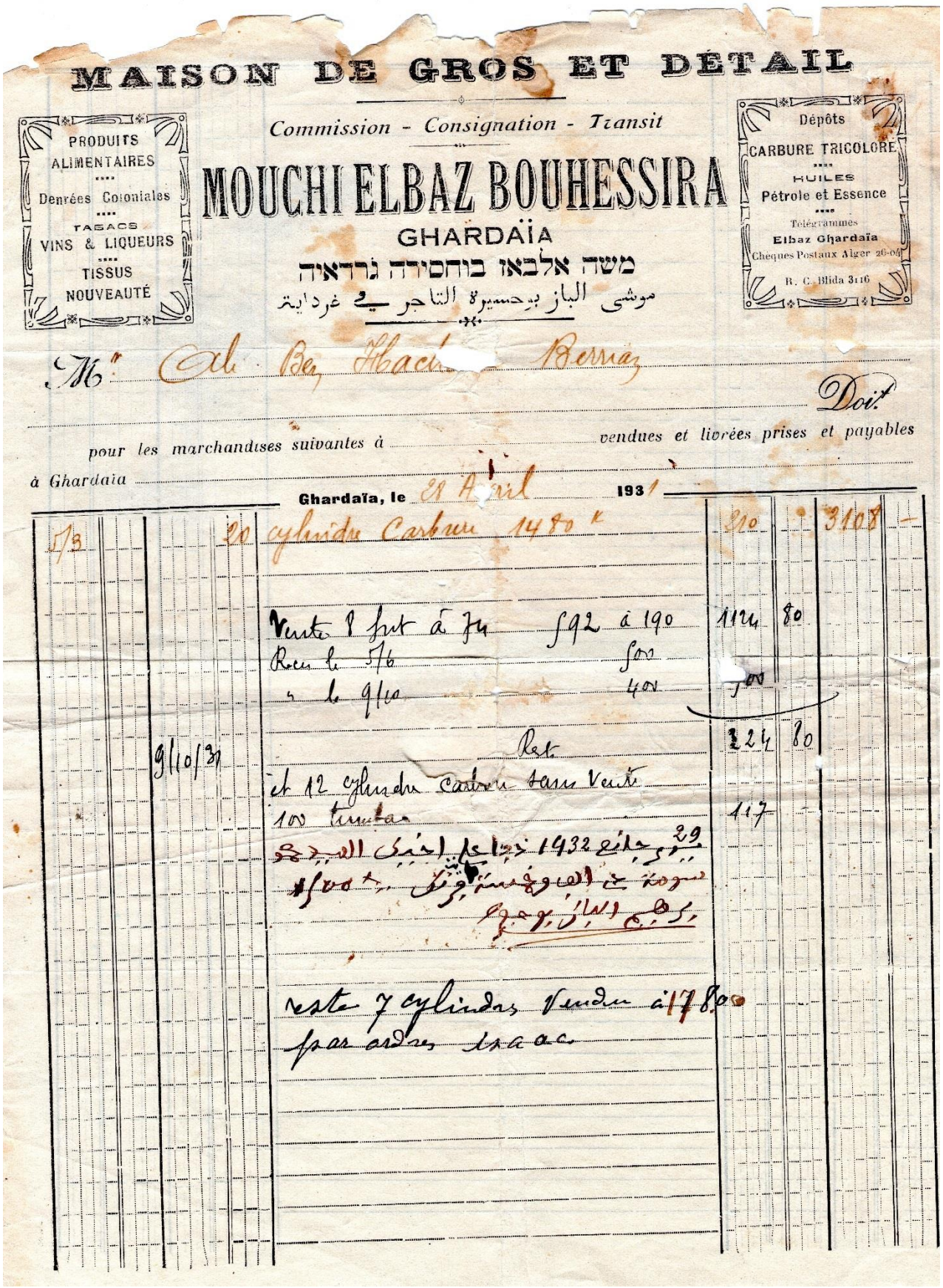
Fait et clos à Ghardaïa en l'étude de Me Chuzel soussigné l'an mil huit cent quatre vingt dix neuf le douze Décembre. Les dites parties dénommées

En l'assistance de M. Chenevat Léon, Interprète militaire à Ghardaïa,



المصدر: أرشيف المحكمة الشرعية الإباضية بغرداية.

الملحق رقم 20 : وثيقة تجارية لعائلة الباز بوحسيرة اليهودية بغرداية



MAISON DE GROS ET DÉTAIL

Commission - Consignation - Transit

MOUCHI ELBAZ BOUHESSIRA

GHARDAÏA

משה אלבאז בוחסירה גרדאיה

موشى الباز بوحسيرة التاجر في غرداية

PRODUITS ALIMENTAIRES
Denrées Coloniales
TABACS
VINS & LIQUEURS
TISSUS
NOUVEAUTÉ

Dépôts
CARBURE TRICOLORE
HUILES
Pétrole et Essence
Télégrammes
Elbaz Ghardaïa
Chèques Postaux Alger 26-04
R. C. Blida 3116

M. Ali Ben Hacé... Berraz — Doit

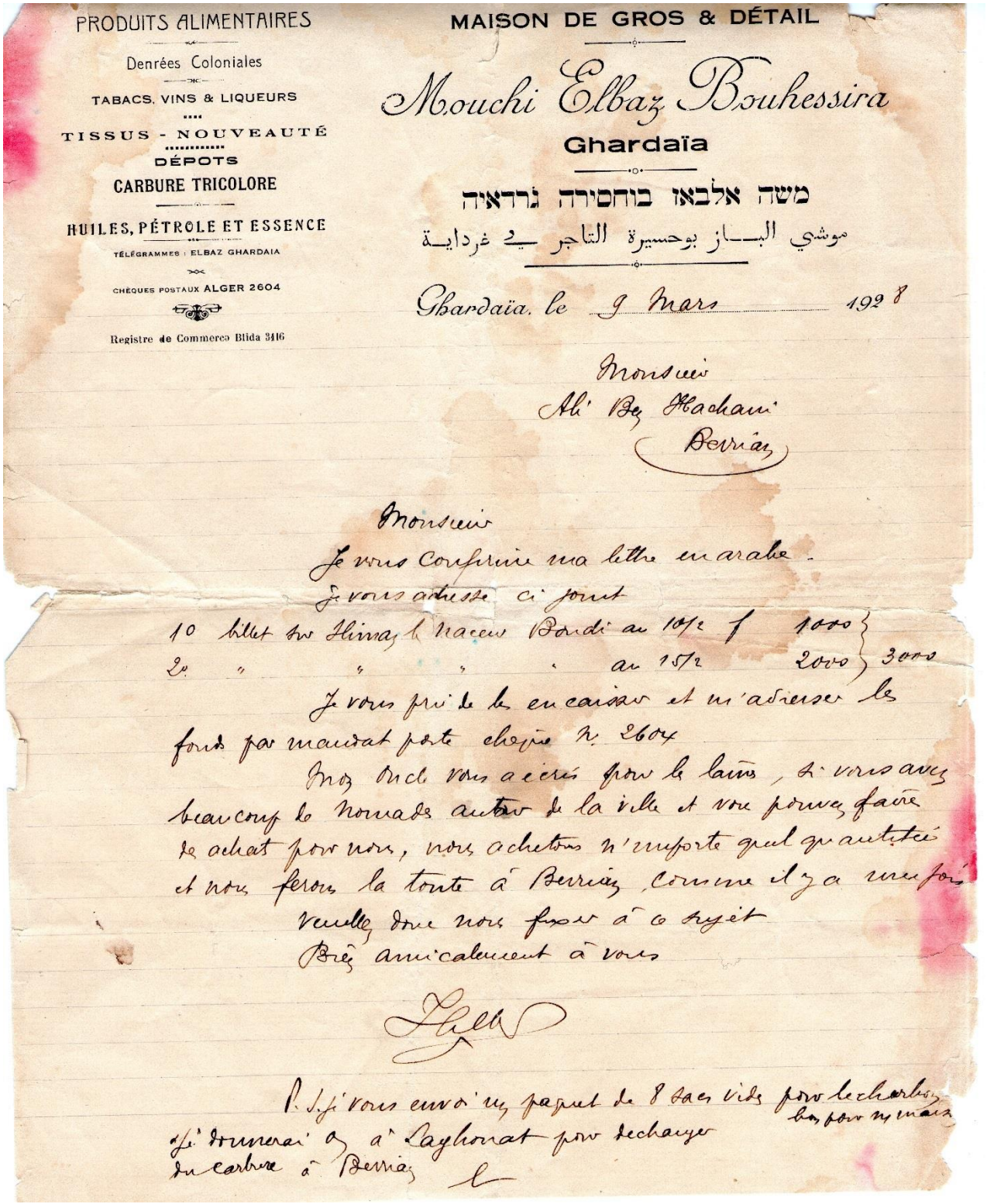
pour les marchandises suivantes à ... vendues et livrées prises et payables à Ghardaia

Ghardaïa, le 28 Avril 1931

5/8	20	cylindre Carbure 1480 k		210	3108 —
		Vente 1 fut à 74	92 à 190	1124	80
		Reçu le 5/10	50		
		» le 9/10	40	100	
			Rst	124	80
	9/10/31	et 12 cylindre Carbure sans Vente			
		10 tuntas		117	—
		29 جوان 1932 ذبحنا اخذي الدجاج			
		1500 ...			
		reste 7 cylindres Vendu à 1780			
		par ordre Isaac			

المصدر : نسخة بحوزتي.

الملحق رقم 21 : وثيقة تجارية لتجارة الجملة والتجزئة لعائلة الباز بوحسيرة اليهودية بغرداية



PRODUITS ALIMENTAIRES

Denrées Coloniales

TABACS, VINS & LIQUEURS

TISSUS - NOUVEAUTÉ

DÉPOTS

CARBURE TRICOLORE

HUILES, PÉTROLE ET ESSENCE

TÉLÉGRAMMES : ELBAZ GHARDAIA

CHÈQUES POSTAUX ALGER 2604

Registre de Commerce Blida 3416

MAISON DE GROS & DÉTAIL

Mouchi Elbaz Bouhessira

Ghardaïa

משה אלבאז בוחסירה גרדאיה

موشي البـــاز بوحسيرة التاجر بـ غردايـة

Ghardaïa, le 9 Mars 1928

Monsieur
Ali Bey Hachani
Berriane

Monsieur

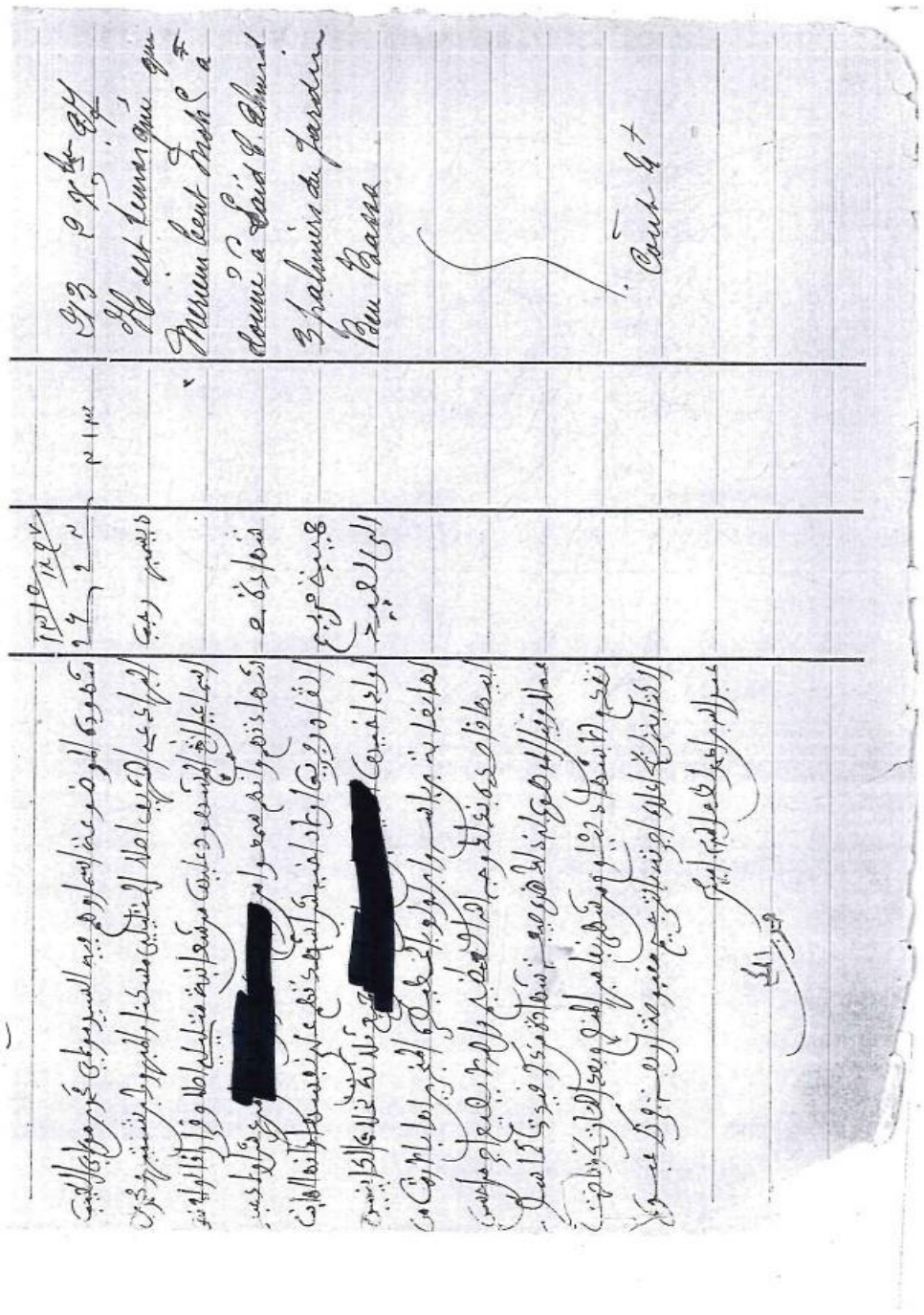
Je vous confirme ma lettre en arabe.
Je vous adresse ci joint
10 billet sur Ilimaz à raison Bordj au 10/2 f 1000
20 " " " " au 15/2 2000 } 3000
Je vous prie de les encaisser et m'adresser les fonds par mandat poste chèque N. 2604
Nous avons vu pour le laine, si vous avez beaucoup de nomades autour de la ville et vous pouvez faire le achat pour nous, nous achetons n'importe quel quantité et nous ferons la toute à Berriane comme il y a une fois
Veuille donc nous faire à ce sujet
Bien amicalement à vous

Elbaz

P.S. Si vous envoyez un paquet de 8 sacs vides pour le charbon, bon pour mes maïs
Si j'trouverai ça à Laghouat pour le charge
du carbure à Berriane

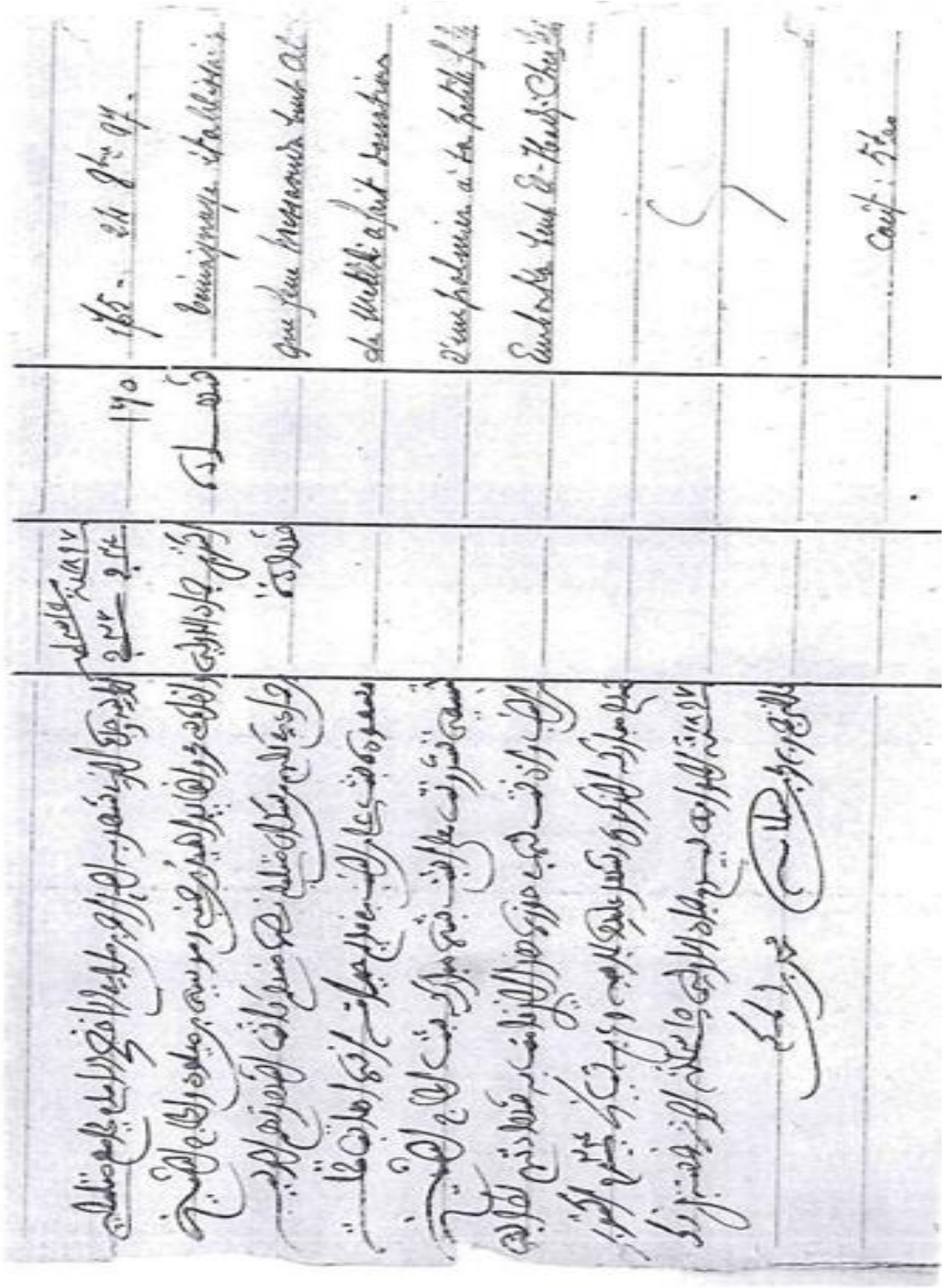
المصدر : نسخة بحوزتي.

ملحق رقم 22: هبة سيدة لإبن أخيها.



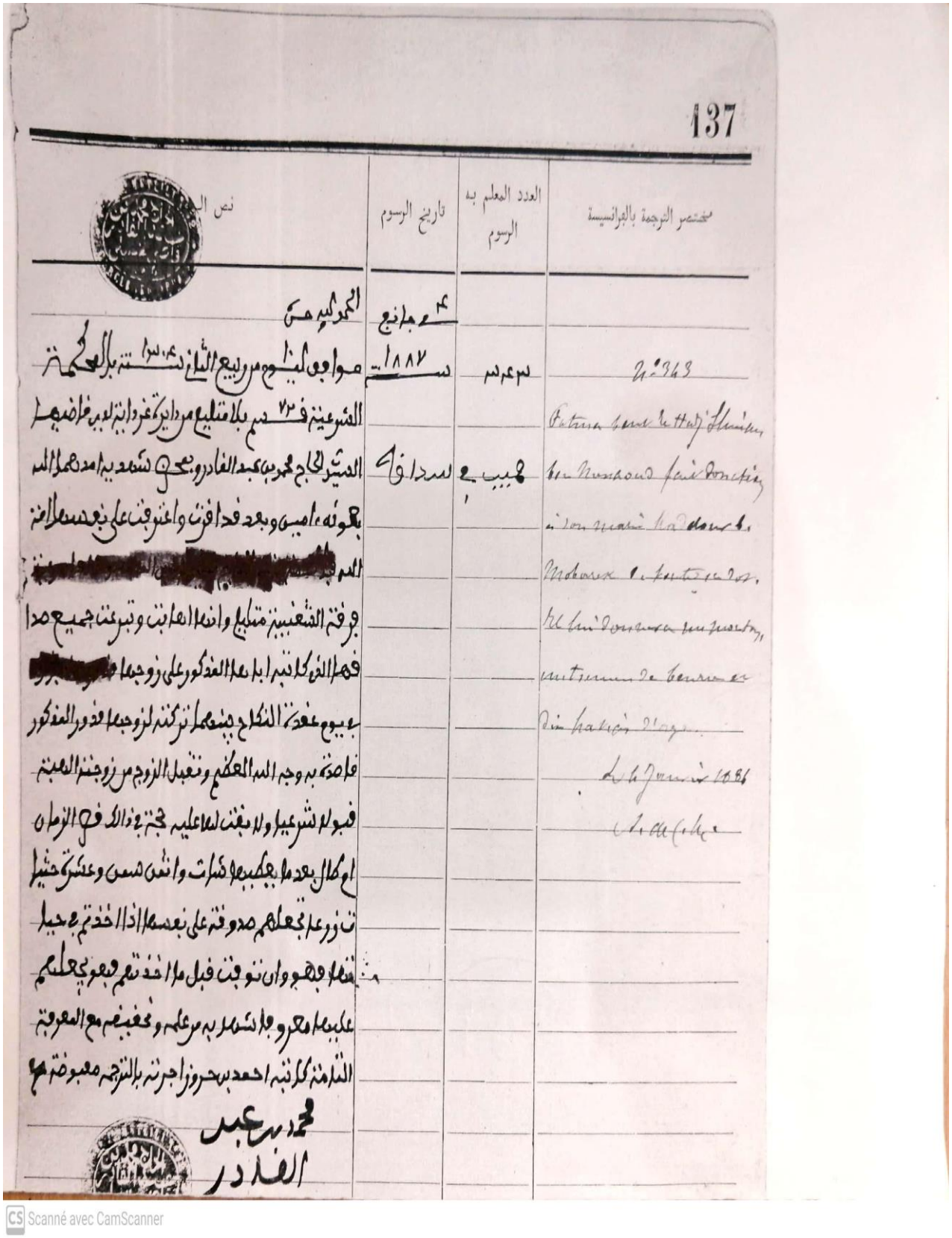
المصدر: أرشيف المحكمة الشرعية الإباضية بغرداية.

ملحق رقم 23: هبة جدة لحفيدتها.



المصدر: أرشيف المحكمة الشرعية الإباضية بغرداية.

ملحق رقم 24: هبة صداق زوجة لزوجها.



137

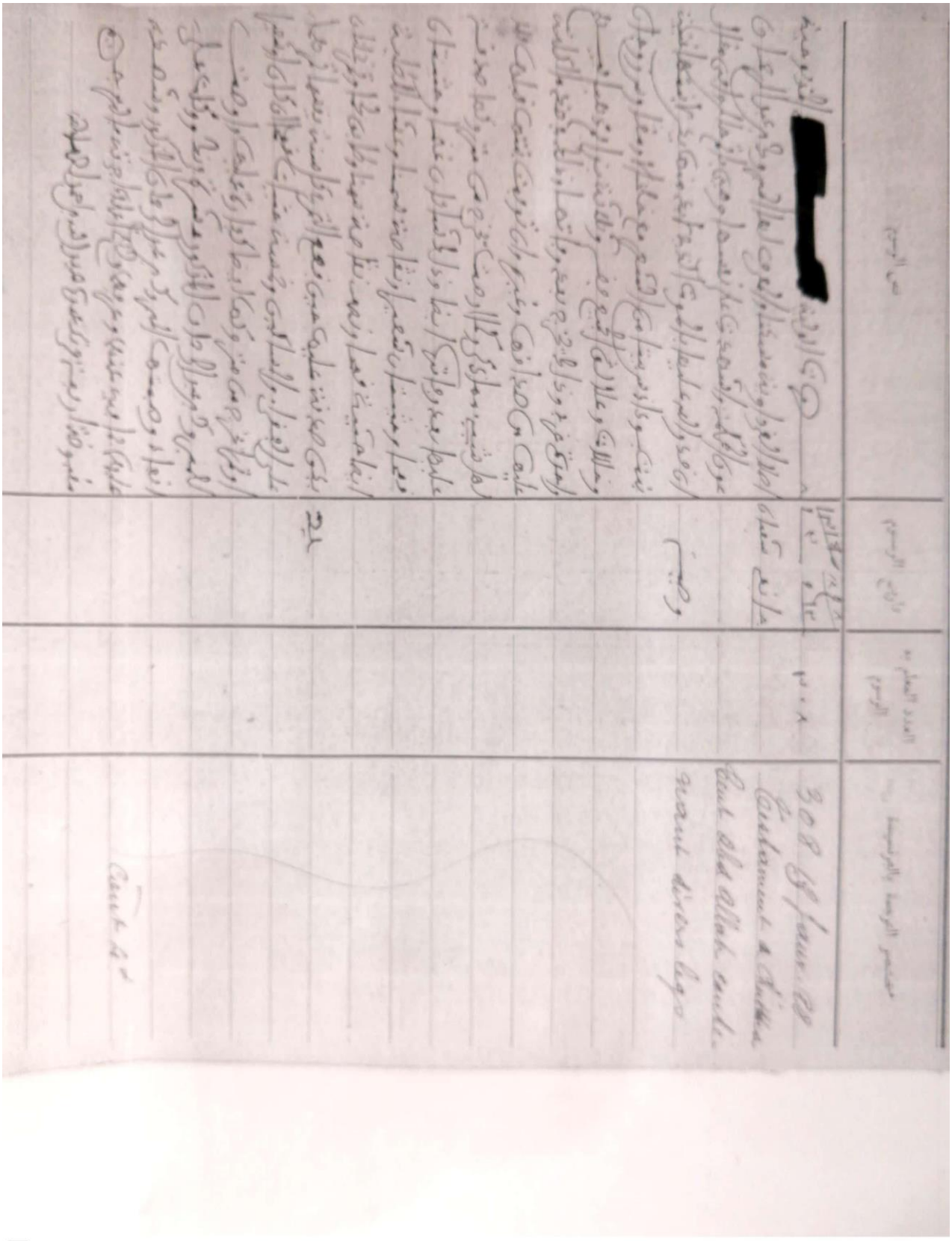
نص	تاريخ الرسوم	العدد المعلم به الرسوم	مختصر الترجمة بالفرنسية
الكمركيه حق	٤ جانفي		
موافق ليوم من ربيع الثاني سنة ١٣٠٤ بالمحكمة الشرعية ف ٧٣ سم بلا متليع من دايرة غرداية لدى فاضيها السيد الحاج محمد بن عبد القادر وبحضور شهوده امين وبعد فداقت واعترفت على نفسها انه [redacted] بوقة الشعشبية متليع وانها العارات وتبرعت جميع حدا فهما الذي كاتبه ابنها المذكور على زوجها [redacted] بيوم عقدة النكاح بينهما تركته لزوجها المذكور فاصدته به وجه الله المعظم وتقبل الزوج من زوجته الهبة فبول شرعيا ولا بقت لها عليه حجة بذالك في الزمان او مال بعدما يكتبها شرات واثنين شمن وعشرة حشيا ت وزعا بحضرهم صدوقة على نفسها اذا اخذتم في حيل فيها فهو وان توفت قبل ما اخذتم فهو في حلهم عليها محرو فاشهد به من علمه وخفيض مع المعرفة التامة كاتبه احمد بن حرز اجرته بالترجمة معبوضة مع	١٨٨٧	٣٤٣	2e 343 Retrait sur le Kadi d'Ghardaia Un Mandat fait Donation à son épouse Kaddour Mebarek Fontaine Dos. Ce lui donne en toute entière propriété Un Jardin d'Oasis. Le 6 Janvier 1886 Traduite

محمد بن عبد القادر

Scanné avec CamScanner

المصدر: أرشيف المحكمة الشرعية الإباضية بغرداية.

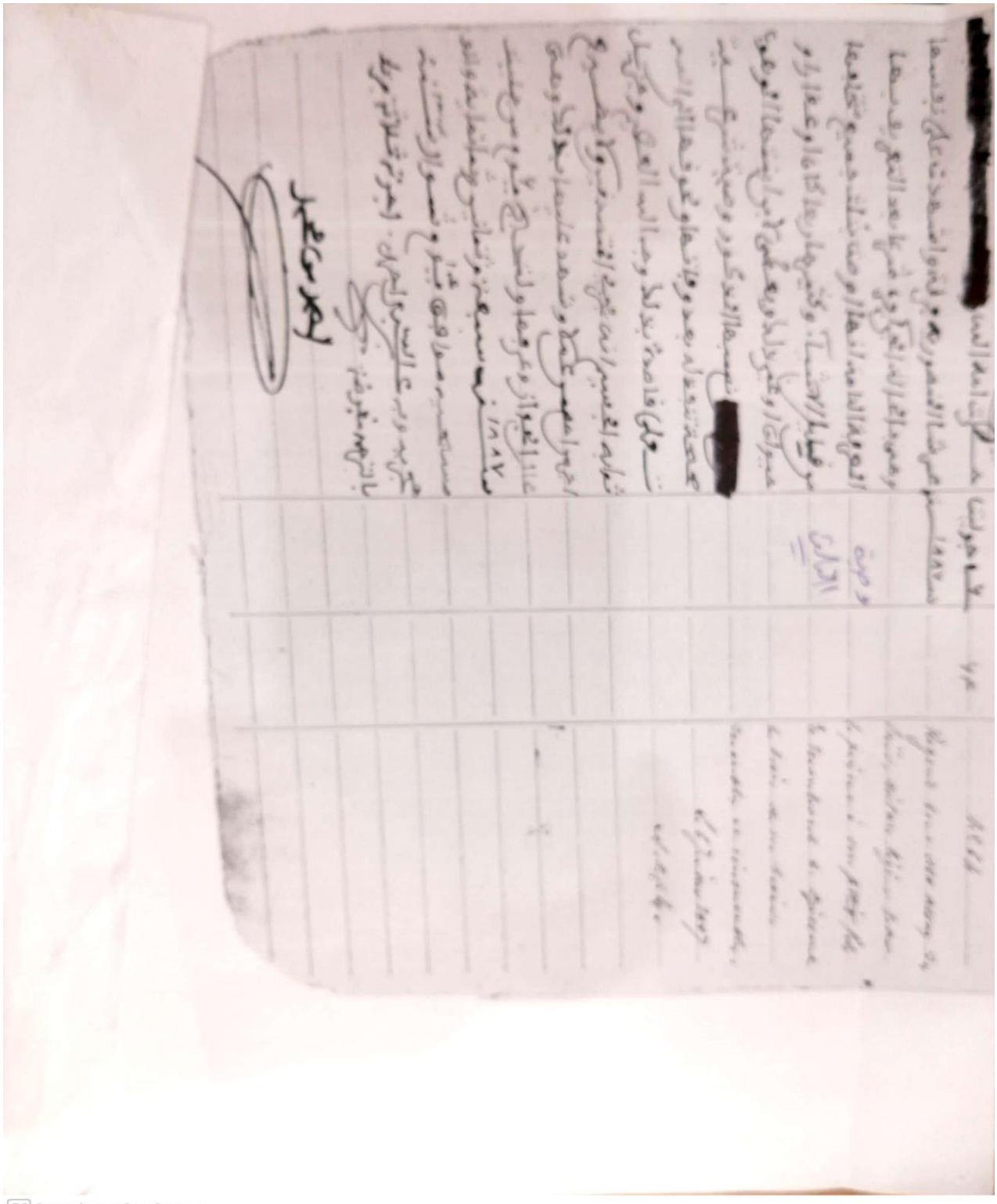
ملحق رقم 25: وصية حلي بعد وفاة أم لابنتها.



Scanné avec CamScanner

المصدر: أرشيف المحكمة الشرعية الإباضية بغرداية.

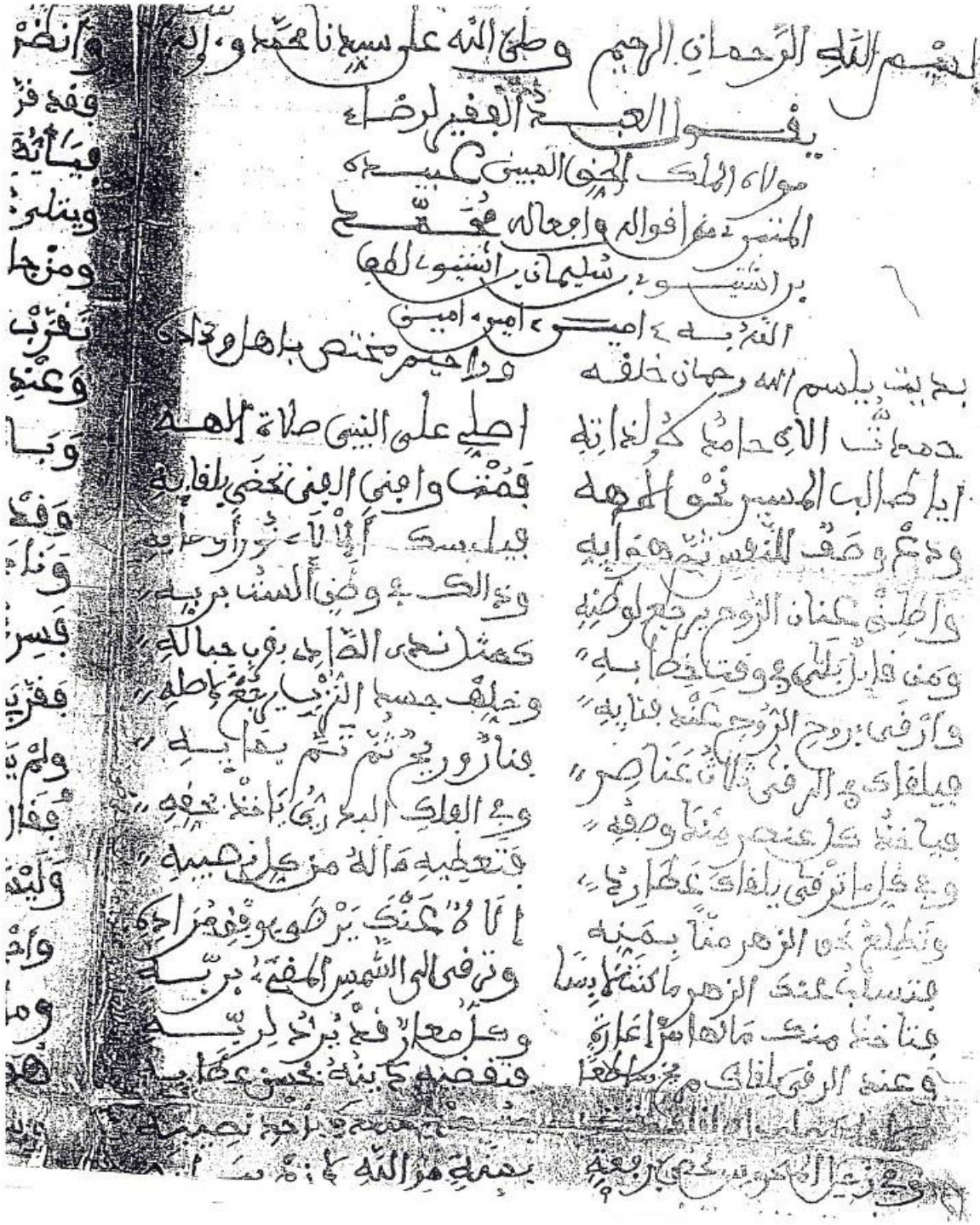
ملحق رقم 26: وصية ثلث من جدة لحفيدها.



CS Scanné avec CamScanner

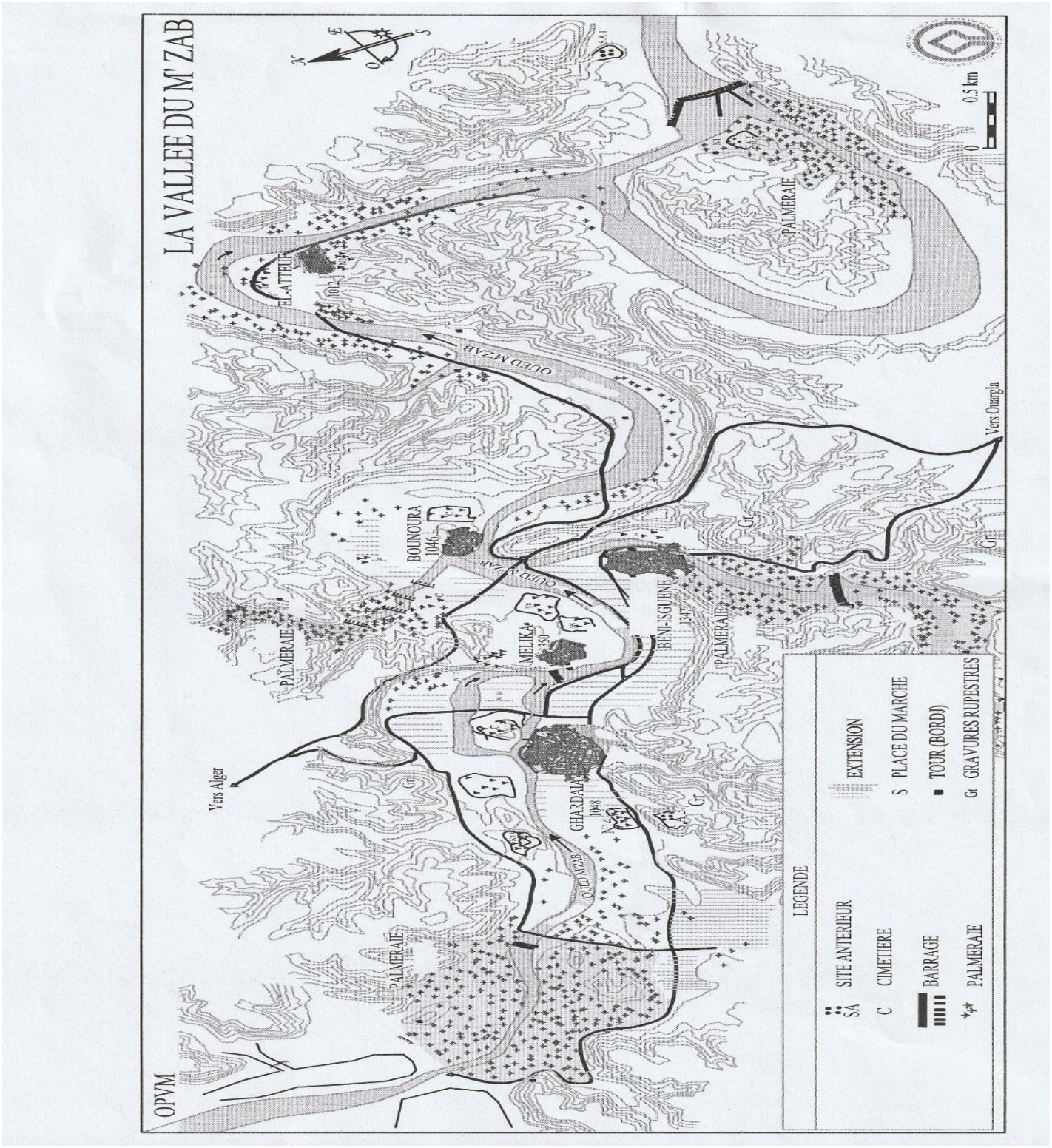
المصدر: أرشيف المحكمة الشرعية الإباضية بغرداية.

ملحق رقم 27: بعض من الأبيات الشعرية التي جاءت في قصيدة الصراب لمحمد بن علي بن الشريف الحسني.



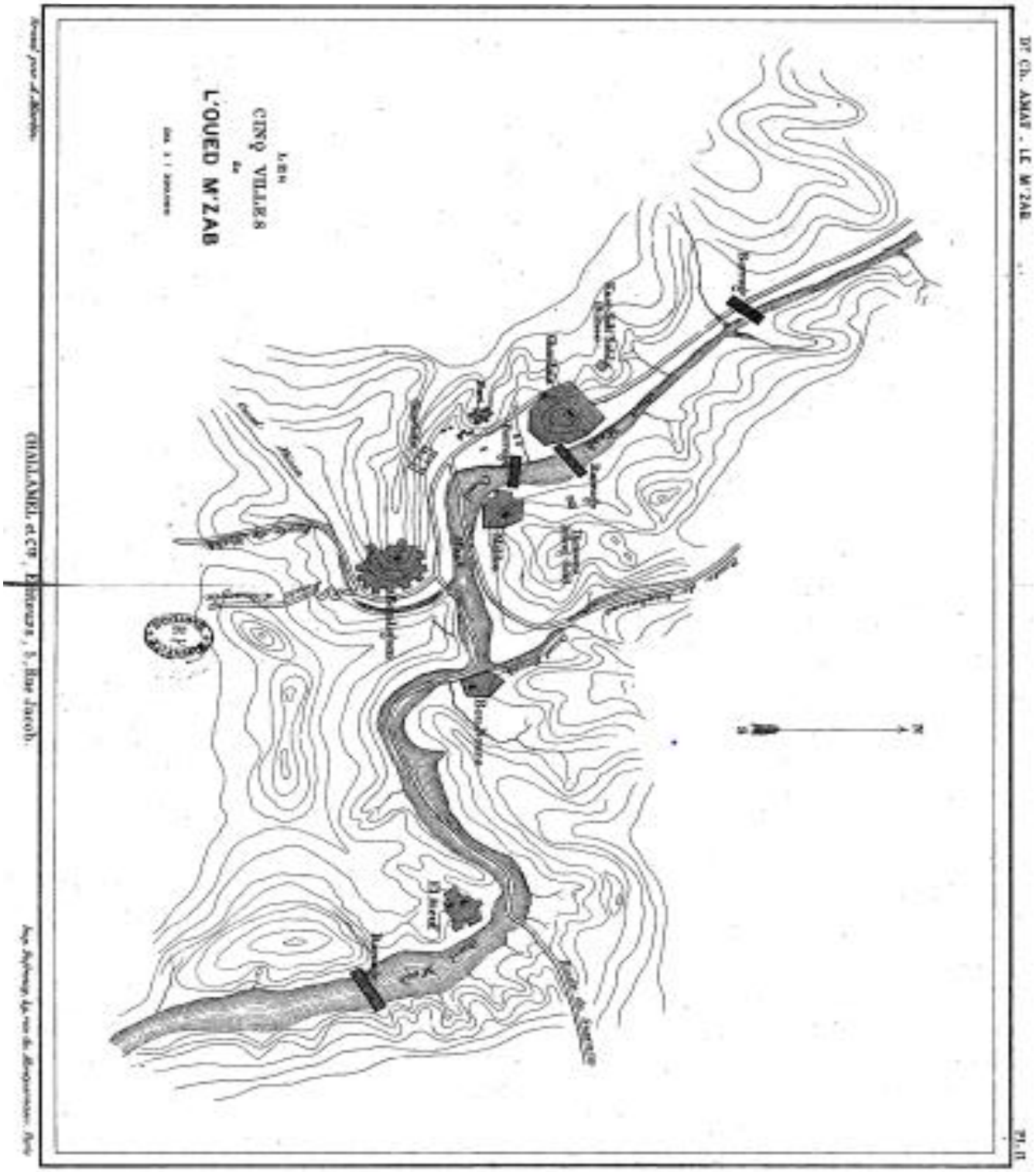
المصدر: نسخة بحوزتي.

الملحق رقم 28: المدن الخمسة بمنطقة وادي ميزاب.



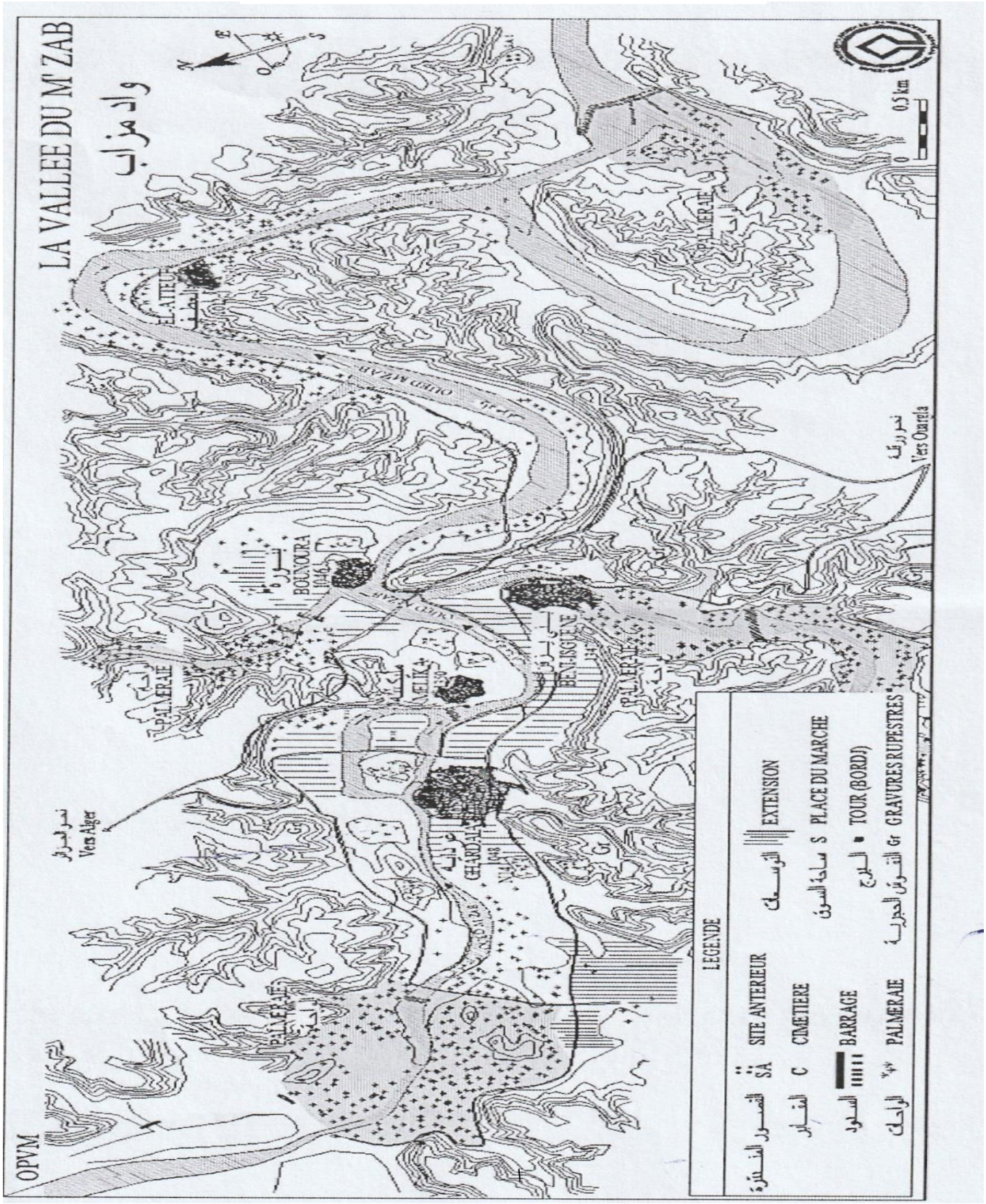
المصدر: ديوان حماية وادي ميزاب.

الملحق رقم 29: المدن الخمسة بالمنطقة



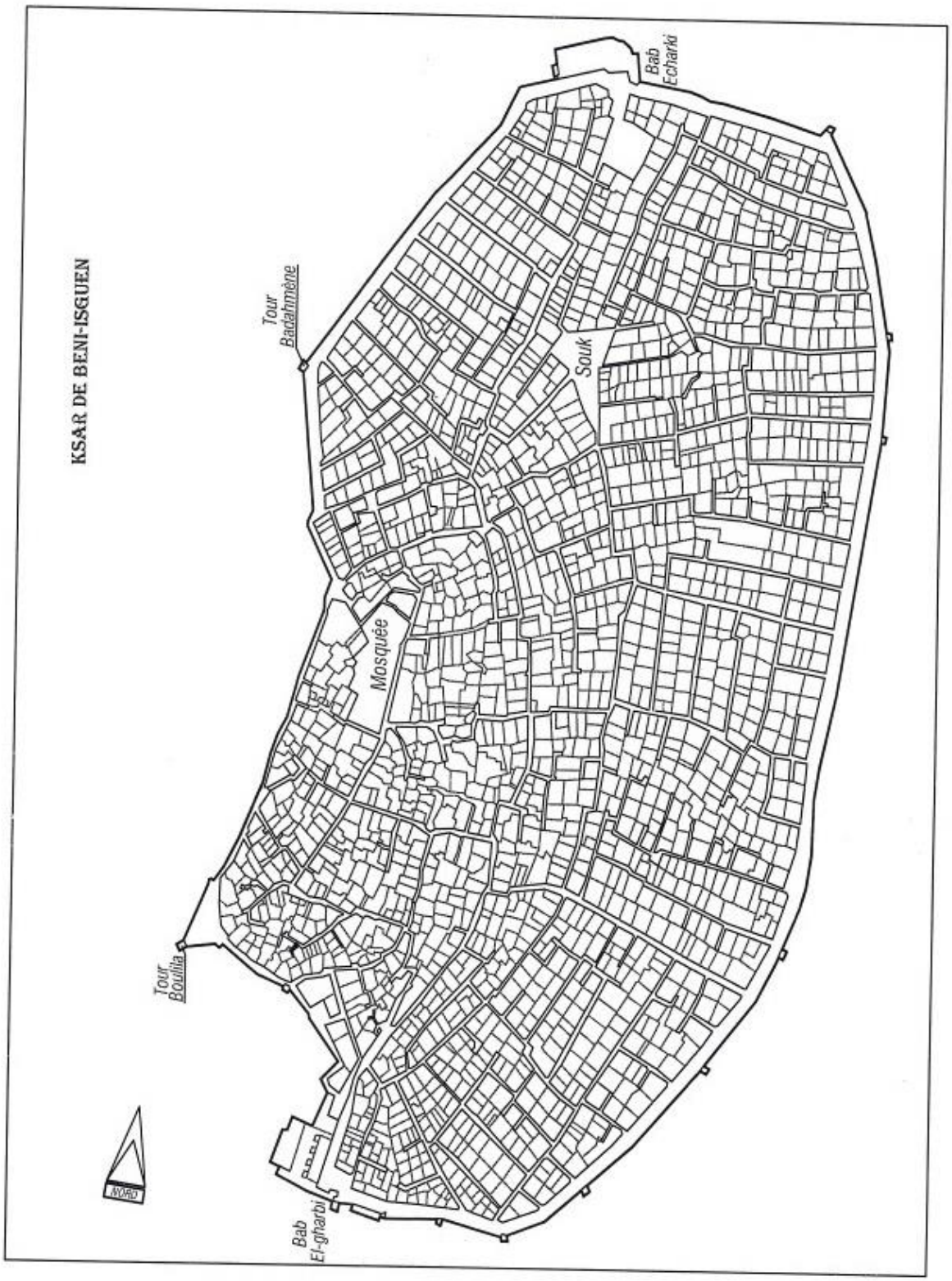
المصدر: Charle Amet Le mzab et les mezabits:

الملحق رقم 30: المعالم العمرانية لمدن المنطقة.



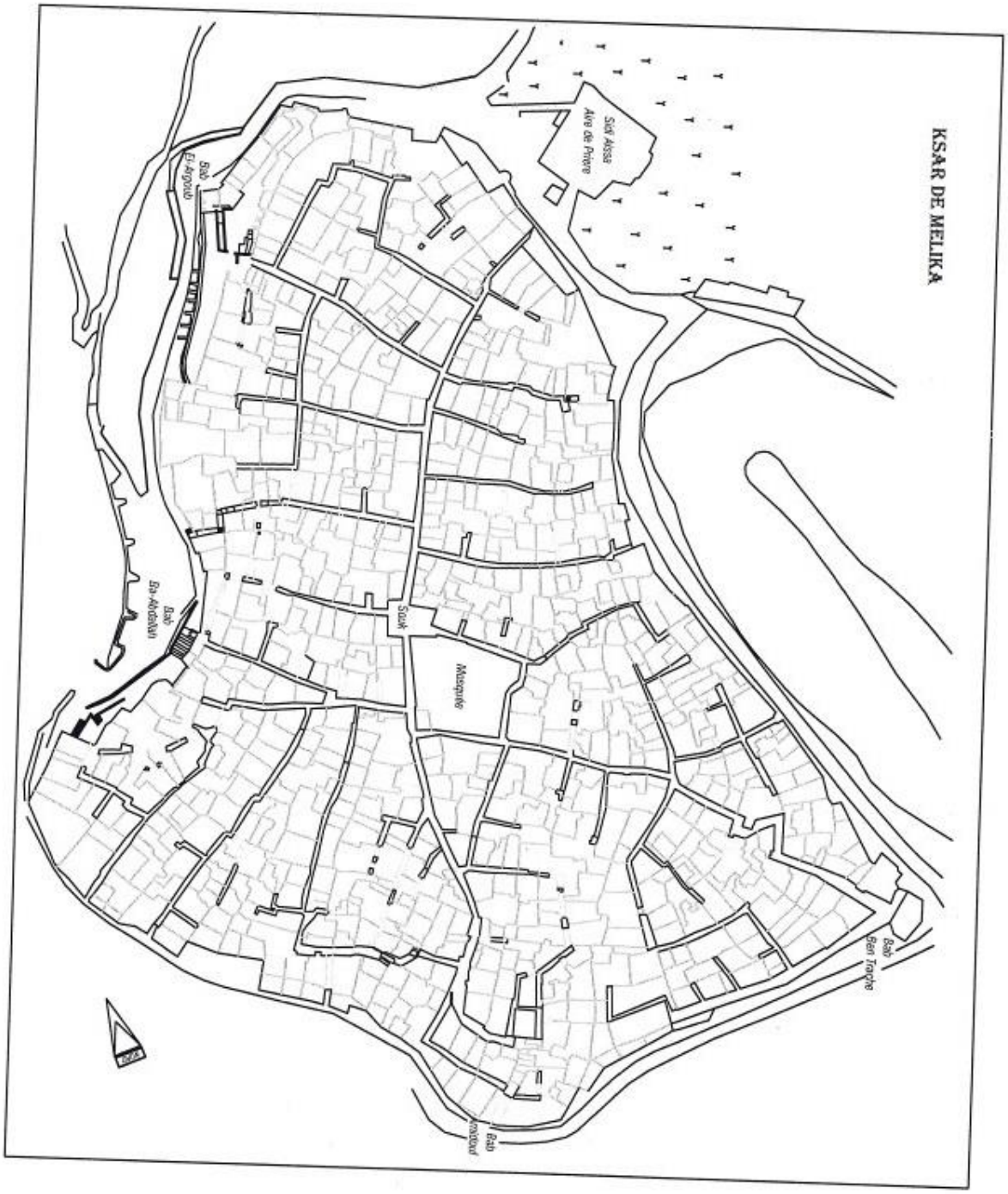
المصدر: ديوان حماية وادي ميزاب.

الملحق رقم 31: قصر بن يزقن.



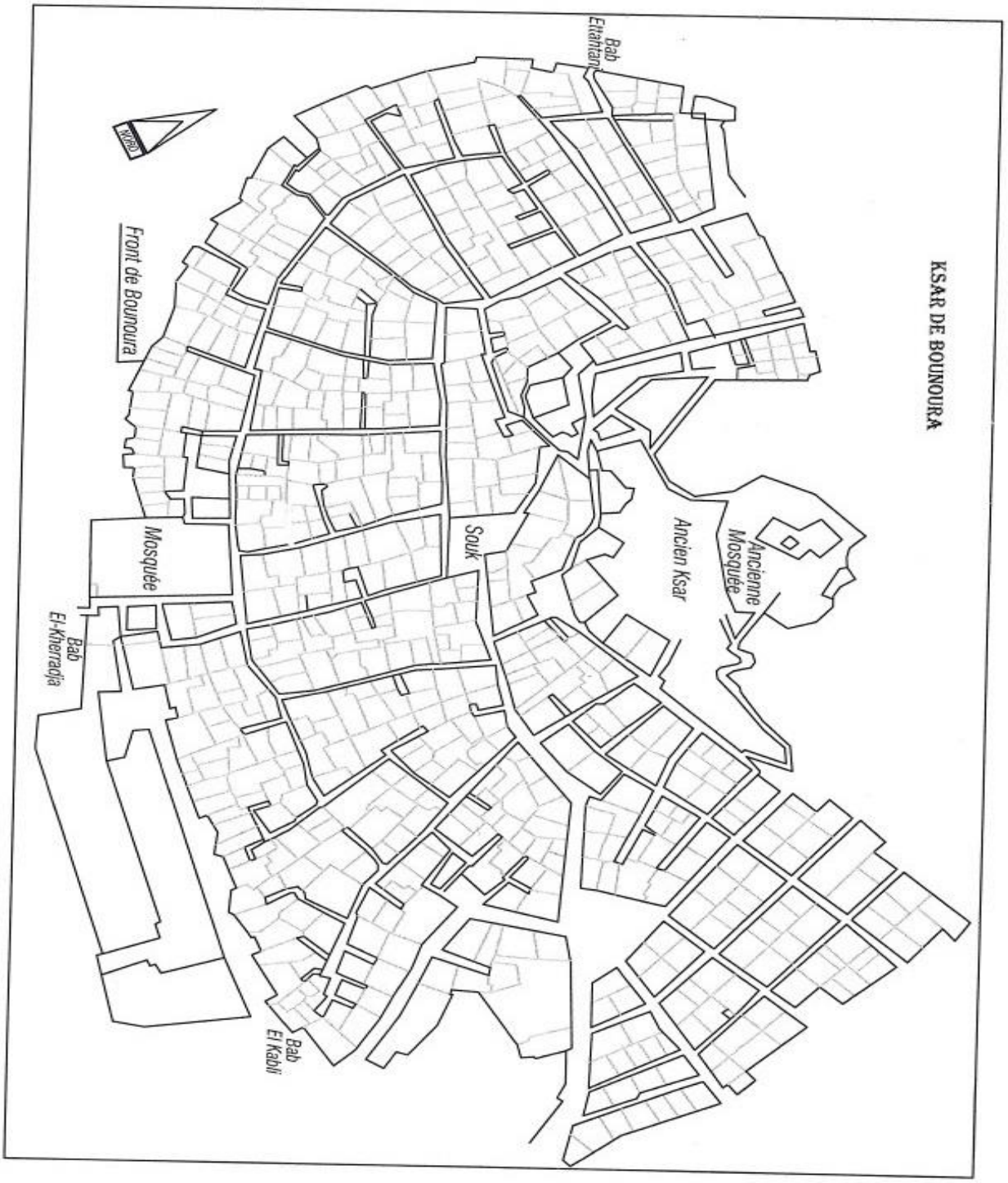
المصدر: ديوان حماية وادي ميزاب.

الملحق رقم 32: قصر مليكة.



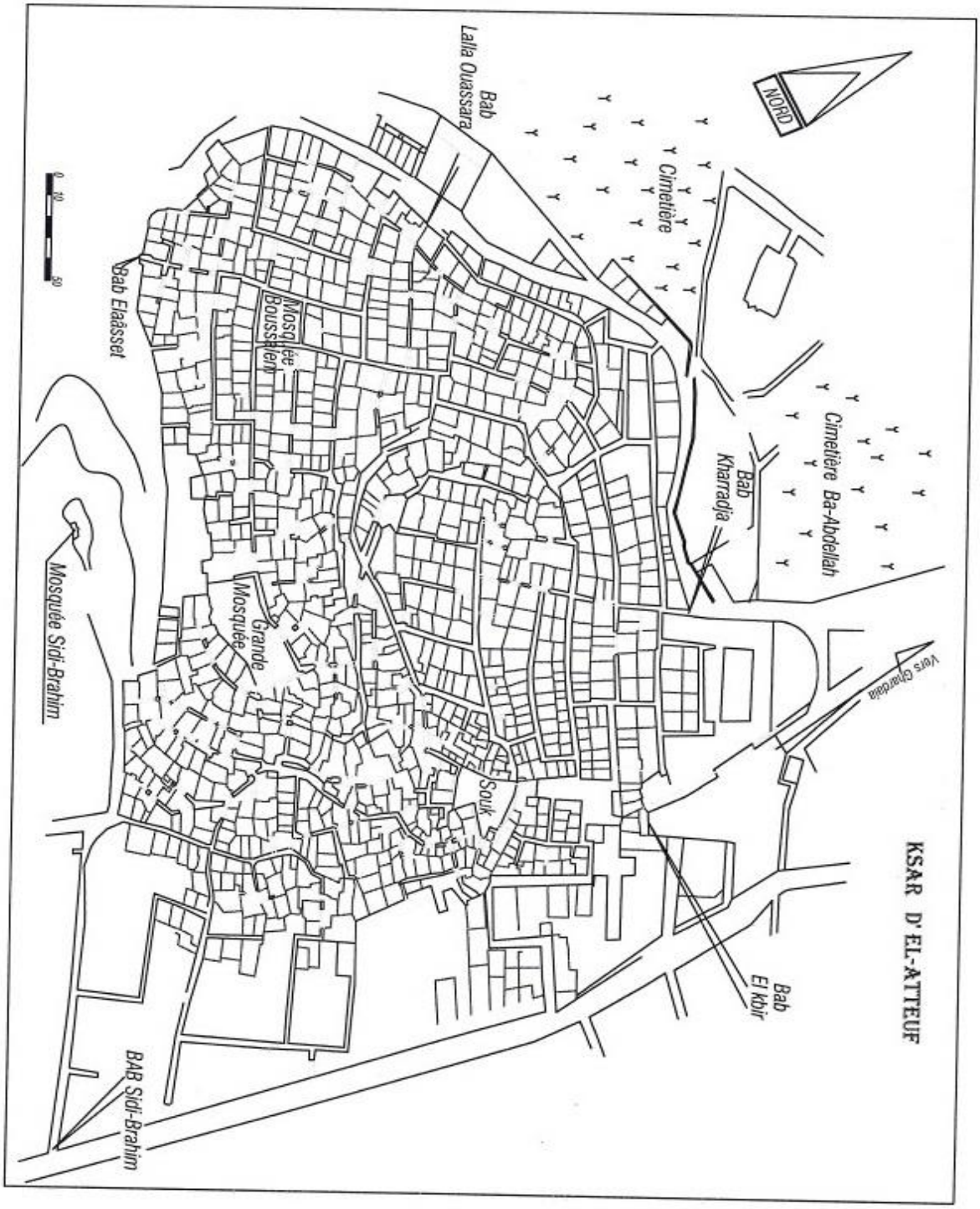
المصدر: ديوان حماية وادي ميزاب.

ملحق رقم 33: قصر بونورة.



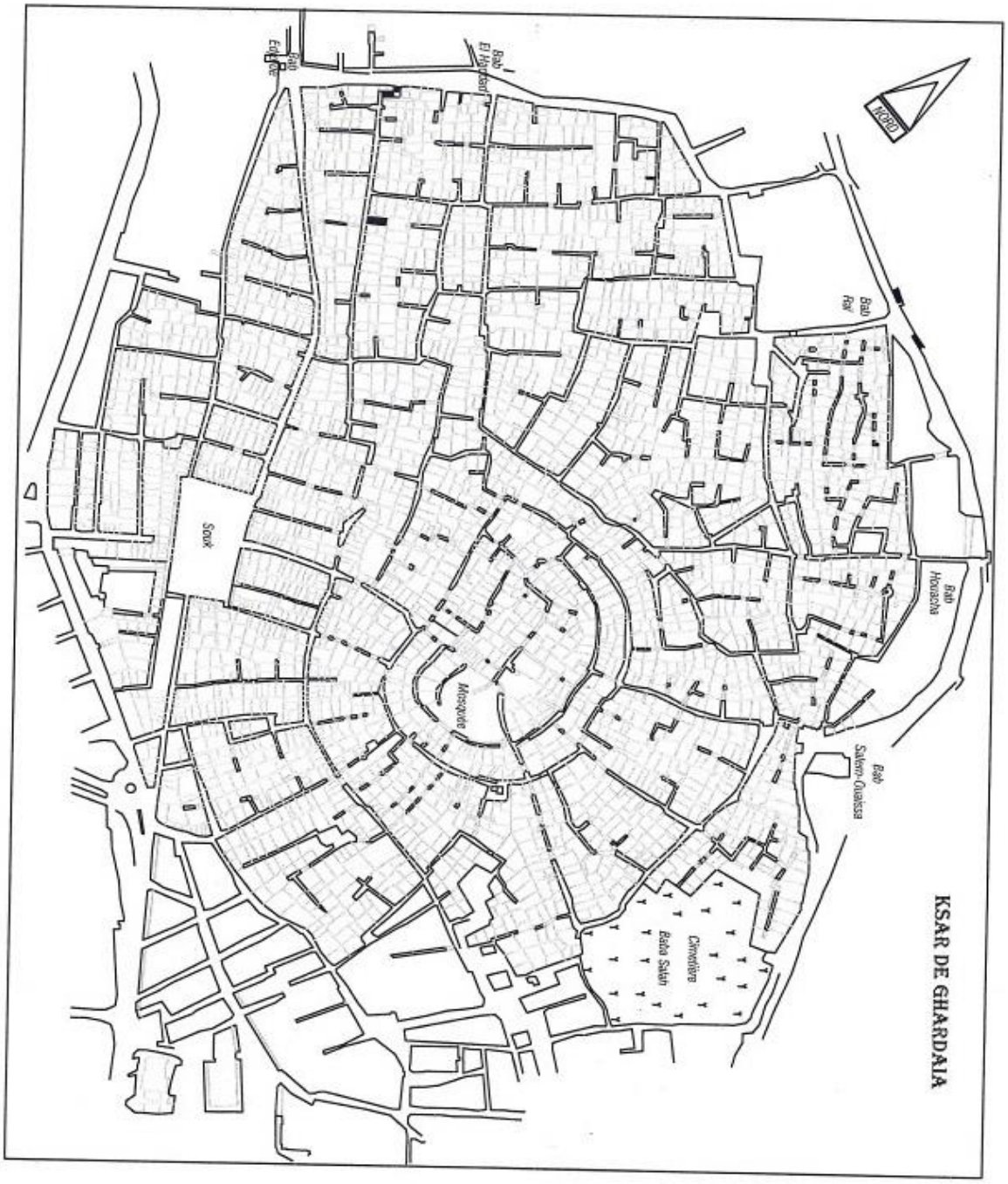
المصدر: ديوان حماية ترقية وادي ميزاب.

الملحق رقم 34: قصر العطف.



المصدر: ديوان حماية ترقية وادي ميزاب.

ملحق رقم 35: قصر غرداية



المصدر: ديوان حماية ترقية وادي ميزاب.

ملحق رقم 36: قصر القرارة.



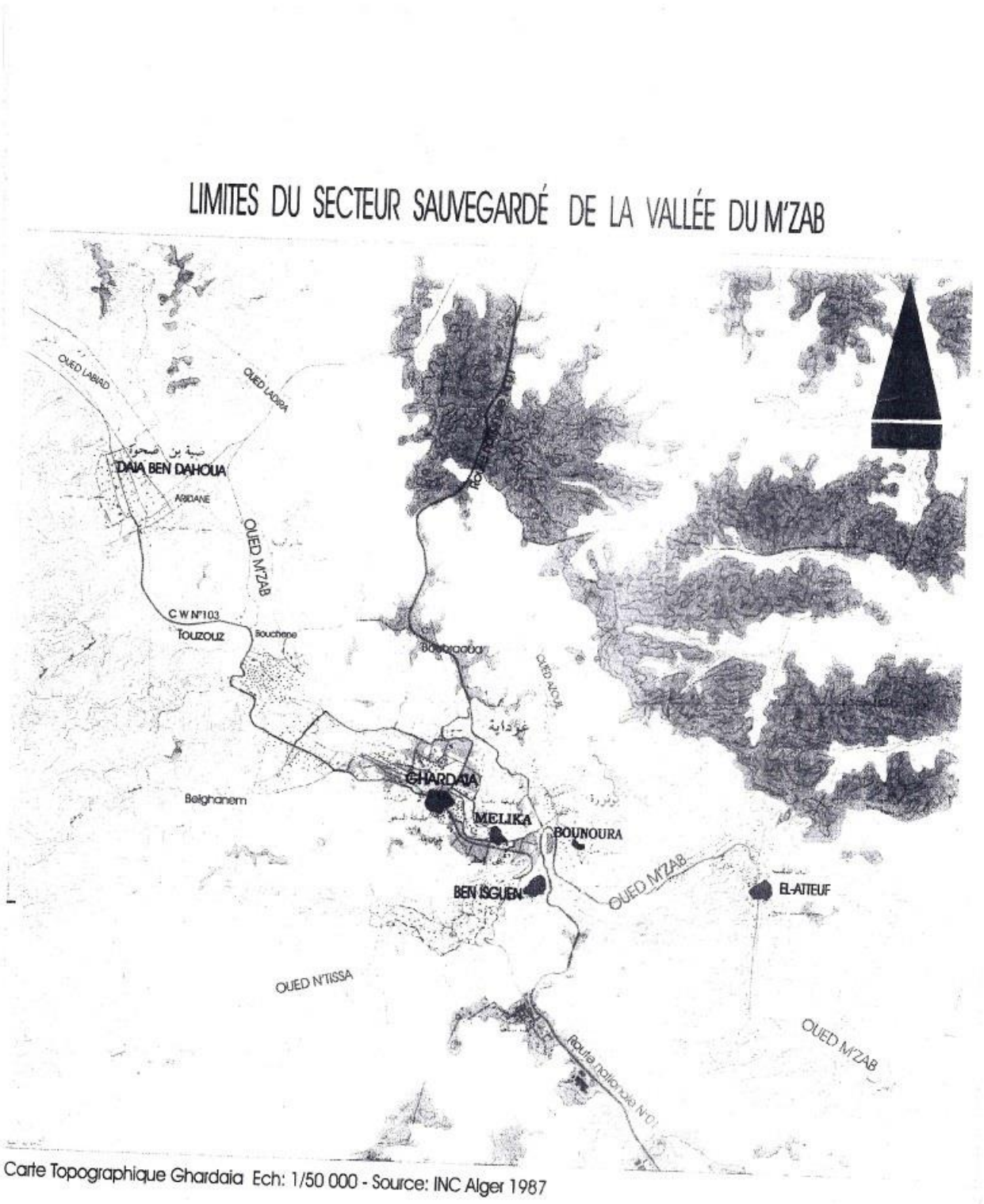
المصدر: ديوان حماية ترقية وادي ميزاب.

ملحق رقم 37: قصر بريان.



المصدر: ديوان حماية ترقية وادي ميزاب.

ملحق رقم 38: حدود منطقة واد ميزاب.



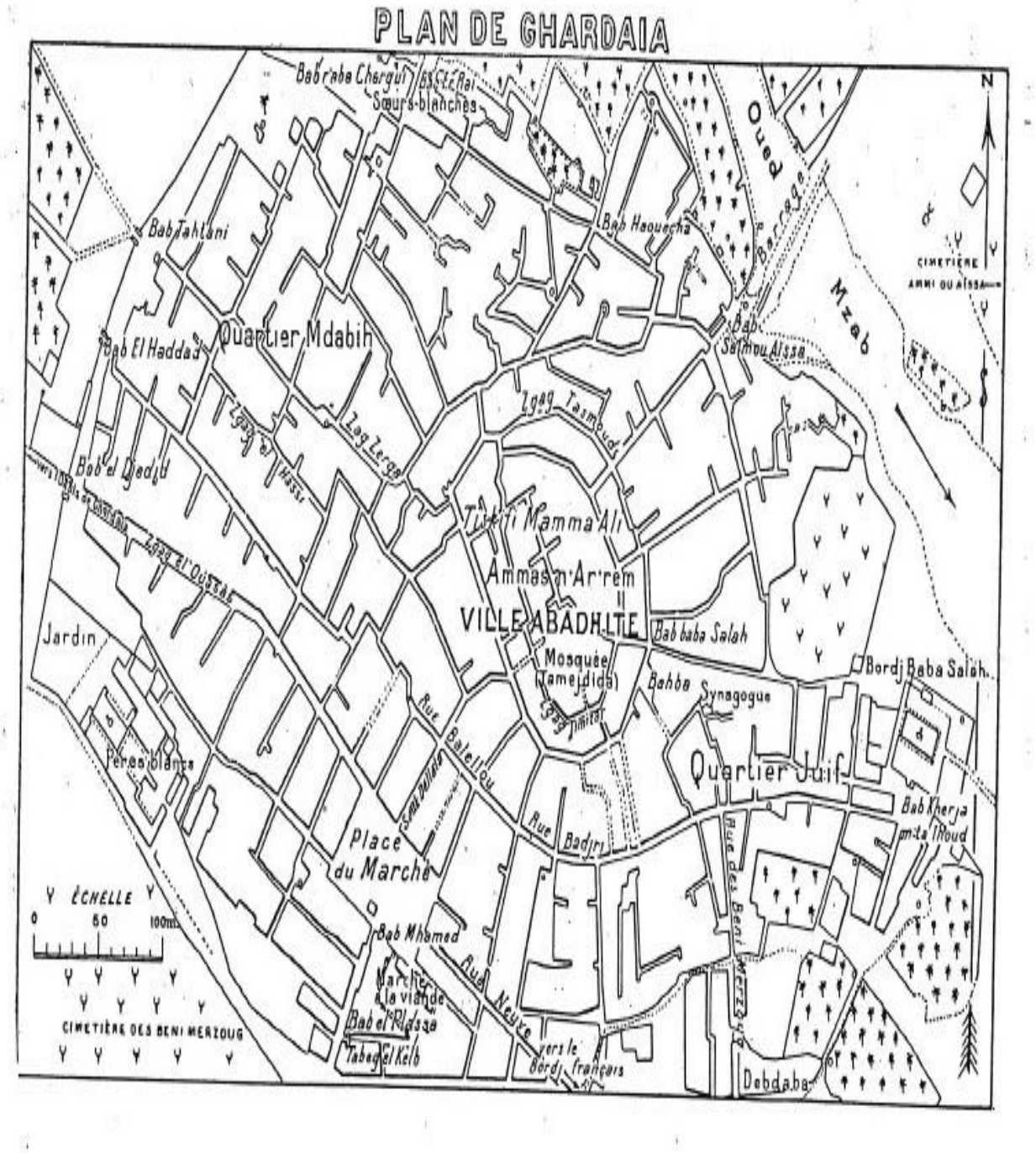
المصدر: Carte Topographique Ghardaia Ech : 1/50 000-source : INC Alger 1987.

ملحق رقم 39: الشبكة الهيدروجينية لمنطقة وادي ميزاب.



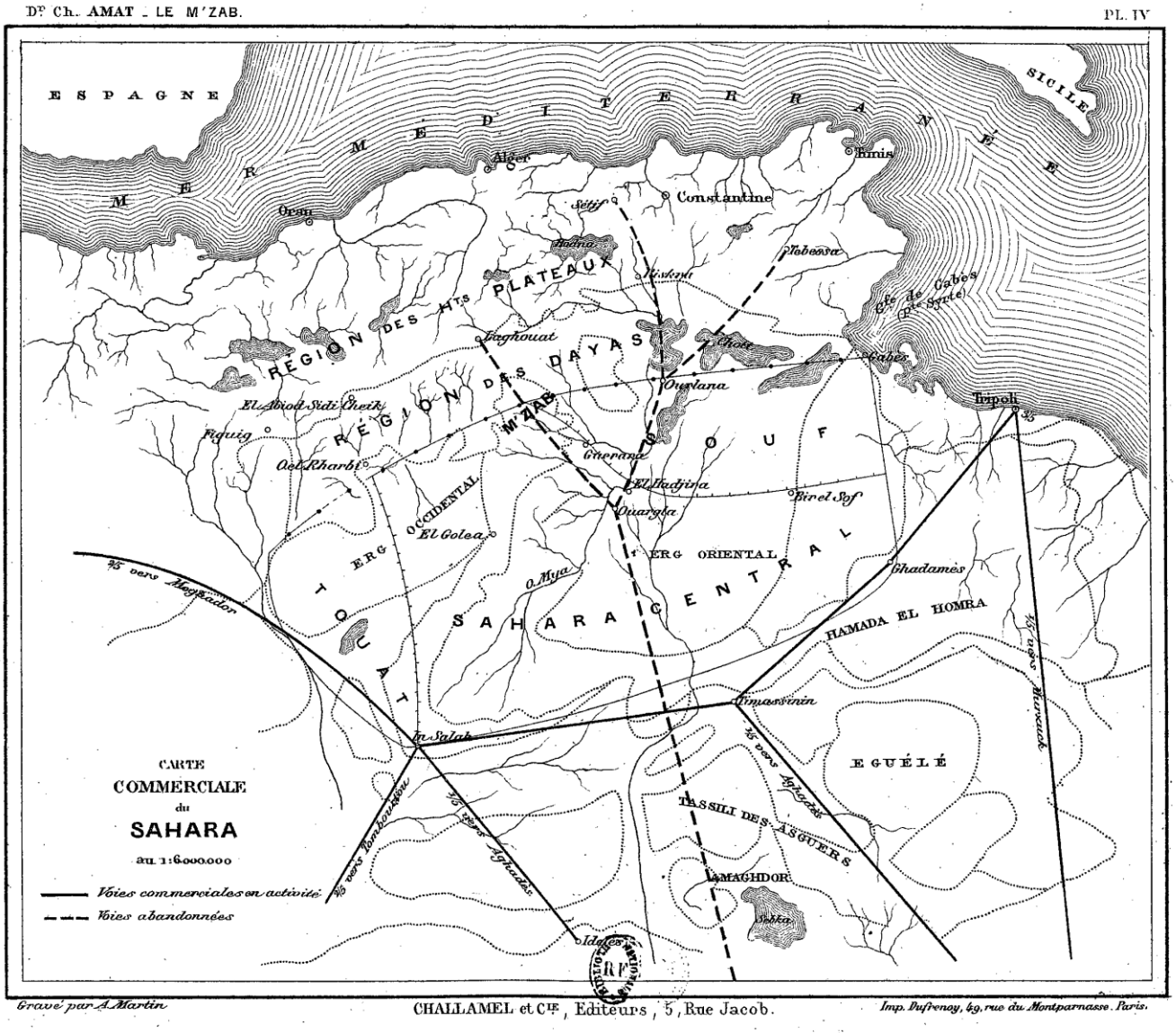
المصدر Charle Amat,Le Mzab et Le Mozabite.

ملحق رقم 40: مخطط مدينة غرداية سنة (1341هـ/ 1922م) حيث يظهر الحي اليهودي وأحياء أخرى بالمدينة.



المصدر: Marcel Mercier,La Civilisation Urbaine Au Mzab.

ملحق رقم 41 : الخطوط التجارية بالجزائر وميزاب



المصدر: Charle Amat, Le Mzab et les mozabit

البيبليـــــوغرافيـــــا

1-القرآن

2-الحديث الشريف

3-الوثائق

أ-الوثائق الارشيفية

ب-الوثائق المنشورة

ج-الوثائق المحلية

4-المخطوطات

أ-المخطوطات غير المحققة

ب-المخطوطات المحققة والمنشورة

5-الكتب بالعربية

6-الكتب بالفرنسية

7-الرسائل الجامعية

8-المقالات

9-المعاجم

10-اللقاءات

1-القرآن

2-الحديث الشريف

-حديث رواه أحمد وأبو داوود والترمذي وابن ماجة عن عائشة رضي الله عنها.

-حديث رواه البخاري، ينظر: ابن القيم الجوزية، الطب النبوي، حديث رواه البخاري دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 1957م .

-حديث شريف، رواه الترمذي، في سننه.

-حديث شريف، رواه النسائي، في سننه.

3-الوثائق

أ-الوثائق الأرشيفية

الأرشيف الوطني التونسي(A.N.T)

-رسالة المقيم العام الفرنسي بتونس بتاريخ23 أكتوبر111892: S.A.C D

-مراسلة من المراقب المدني إلى المقيم العام بتونس بتاريخ 11-02-1898.

-A.N.T.SerieA,C.277,D/2.

-A.N.T,Série A .Carton 278 D 11ème 1899/1922, Administration Général d'Algérie Corporation mzabes.

-A.N.T , Série A .Carton 0001 D 17/1-14/3 , Administration Général d'Algérie Corporation mzabes.

-أرشيف المؤسسات العمومية

-وثائق أرشيف ولاية غرداية:

-الأرشيف التاريخي الولائي الخاص بالفترة الإستعمارية، البلدية الأهلية بغرداية سجل الوفيات رقم 19 لسنة 1892م، وسجل رقم 23 لسنة 1897م، سجلت بها حالات وفاة الأجانب من الأوربيين فقط القاطنين بوادي ميزاب.

-الأرشيف التاريخي الولائي الخاص بالفترة الإستعمارية، البلدية الاهلية بغرداية، سجل عقود الزواج رقم 10 لسنة 1893م.

-الأرشيف الغير مصنف بمكتبة البحث بالمركز الثقافي للوثائق الصحراوية يحتوي كراس مكتوب باليد للأب لويس دافيد يحتوي على المئات من الأمثال الشعبية التي قيدها ونقلها عن أحد شيوخ جماعة بني مرزوق، وهو كفيف من 1902-1913 مرقم تحت عنوان:

David (Louis), Arabe dialectal, 1902-1913 .

David (Louis), Un Savant au Mzab Le Cheikh Atfych(1825-1914),eBox editions.

David (Louis), Mechaikh du m'zab, Centre Culturel et de Documentaion Saharienne(C.C.D.S),Ghardaïa,S.D.

David (Louis), Les Médabih, Centre Culturel et de Documentaion Saharienne,Ghardaïa,S.D.

-الأرشيف بالفرنسية

-أرشيف المركز الثقافي للوثائق الصحراوية للآباء البيض بغرداية:

-Centre Culturel et de Documentaion Saharienne,Ghardaïa.

-Document algérienne, série monographie, le mzab, N016-30,1955

-Ghardaïa, école des père blancs, 1884-1976.

- Marignac (le chef de Bataillon) Requêt des Israélistes du Mzab,1906.

ج-الوثائق المحلية:

-طلب أحد الأولياء رخصة من قائد الملحقة العسكرية بغرداية لتتخلى مدرسة الأباء على أحد التلاميذ بدعوى دراسته في الشمال لفقره، نسخة بحوزتي

-وثيقة بيع سلع القماش والخمور للسيد موشى الباز بوحسيرة، نسخة بحوزتي.

-وثيقة الحاكم العام بوادي ميزاب بتاريخ 7 أوت1898 م، نسخة بحوزتي.

-وثيقة الصلح بين الإباضية والمالكية، 2 صفر 1185هـ ، نسخة بحوزتي.

-وثيقة بيع السيد أحمد بن عطية 27 جوان 1898، نسخة بحوزتي.

-وثيقة بين الأرباع والزناخرة من جهة وأهل بريان من جهة أخرى حول ملكية واد النساء آخر رمضان 1194هـ ، نسخة بحوزتي.

-وثيقة عقد الصلح الذي وقع بين الإباضية والمالكية في 2 صفر 1185 هـ بجامع غرداية، نسخة بحوزتي.

<u>وثائق المحاكم الشرعية</u>

-وثيقة مسجلة بالمحكمة الشرعية المالكية، سجل رقم 2 ، وصية الثلث بتاريخ 6 جويلية 1887م ، نسخة بحوزتي.

-وثيقة مسجلة بالمحكمة الشرعية المالكية، سجل رقم 2، عقد هبة صداق بتاريخ 2 جانفي 1887م، نسخة بحوزتي.

-وثيقة اتفاق صلح بين القبائل المتنازعة حول الآبار، نسخة نقل السيد امحمد بن احمد (مولى الحوض) عدد138سجل10 المحكمة الشرعية قسم 72، يوم22 ماي1898 نسخة بحوزتي .

4-المخطوطات:

أ-المخطوطات غير المحققة:

-التنلاني عبد الرحمان بن دريس عمر، رحلة السيد ادريس بن عمر بن عبد القادر مخطوط خزانة الشيخ سيدي عبد الله البلبالي بكوسام بأدرار، نسخة بحوزتي.

-الثميني عبد العزيز بن الحاج، كتاب النيل، مخطوط، بخط الناسخ بهون بن الحاج سعيد لبن باب بن ايوب بن موسى بن يحي، نسخة بحوزتي .

-العطفاوي بايوب بن قاسم، رسالة مغنية، مخطوط، نسخة بحوزتي.

-شتيوي محمد بن سليمان، تاريخنا على بدع القرارة، نسخة بحوزتي.

-اطفيش محمد بن يوسف، الرسالة الشافية، مخطوط، د. ت، نسخة بحوزتي .

-اطفيش محمد بن يوسف، مختصر عمارة الأرض، مخطوط، د.ت، نسخة بحوزتي.

-اطفيش محمد بن يوسف، إن لم تعرف الإباضية ياعقبي، مخطوط، مكتبة عمي سعيد رقم7549 المطبعة العلمية الحجرية، تونس،1321هـ، نسخة بحوزتي .
-اطفيش محمد بن يوسف، تفقيه الغامر بترتيب لغط ابن عامر(1319هـ/1901م) نسخة بحوزتي.
-مطياز إبراهيم بن بنوح، تاريخ مزاب، مخطوط، د. ت، نسخة بحوزتي .
-مؤلف مجهول، مناقب وادي ميزاب، مخطوط، مكتبة عمي سعيد، خ. ص71 غرداية، د. ت، نسخة بحوزتي

ب-المخطوطات المحققة والمنشورة

- أعزام ابراهيم بن صالح بابا حمو، غصن البان في تاريخ ورجلان، دراسة وتحقيق إبراهيم بن بكير بحاز وسليمان بن محمد بومعقل، ط.1، دار العالمية، غرداية الجزائر، 2013.
-الأغواطي الحاج بن الدين، رحلة الأغواطي، تر. وتح. سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ط. خ، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.
-الشويهد عبد الله محمد بن الحاج يوسف، قانون مدينة الجزائر. تح. نصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، ط. 2 ، 2006.
-العياشي أبو سالم عبد الله بن محمد، الرحلة العياشية، ج 1، تح وتق. سعيد الفاضلي و د. سليمان القرشي، ط.1، دار السويدي للنشر والتوزيع، الامارات العربية المتحدة، 2006.
-المغيري سعيد بن علي، جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار، تح. محمد علي الصلابي، ط.4 وزارة التراث القومي والثقافة سلطنة عمان، 2001 م.
-الملياني محمد بن الخيذر بن محمد بن احمد بن يوسف، تقييد وبيان من عمر في وادي ميزاب 1808م، مخطوط بحوزتي.

-بـن بحمـان إبـراهيم المصعبـــــي، رحلـة المصـعبي، تـح وتـع. حـاج امحمـد يحـي بـن بهون، ط.1 المطبعة العالمية، غرداية،2006.

5-الكتب بالعربية:

-المصادر:

-الحـاج محمـد عمـر بـن عيسـى بـن بـراهيم، مـذكرات ووثـائق رسـمية عـن وادي ميـزاب مـن الناحيـة الدينيـة والسياسـية والإجتماعيـة مـن سـنة 1853 إلـى سـنة 1951 ، مطبعـة النهضة، تونس، 1951.

-الأندلسـي أبـي عبـد الله محمـد بـن محمـد، الحلـل السندسـية فـي الاخبـار التونسـية، ط.1 مطبعة الدولة التونسية ،1287هـ .

-الأنصـاري ابـن هاشـم، مغنـي اللبيـب عـن كتـاب الاعاريـب ، تـح. محمـد محـي الـدين عبد الحميد ج.1، المكتبة العصرية، بيروت،1991م.

-الـدرجيني الشـيخ أبـي العبـاس أحمـد بـن سـعيد، طبقـات المشـايخ بـالمغرب، تـح: إبـراهيم طلاي، ج1، ط.2، د.ت.

-الـدينوري أبـي محمـد عبـد الله بـن قتيبـة، الانـواء فـي مواسـم العـرب، دار الشـؤون الثقافـة العامة وزارة الثقافة والإعلام، العراق،1988.

-الشـوكاني محمـد بـن علـي، البـدر الطـالع بمحاسـن مـن بعـد القـرن السـابع، ج2، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت.

-الزهـــار محمـــد شـــريف، مـــذكرات نقيـــب الإشـــراف، تـــح. توفيـــق المـــدني، ط.2 الجزائر ،1980.

-العشـماوي أحمـد بـن محمـد، السلسـلة الوافيـة والياقوتـة الصـافية فـي أنسـاب أهـل البيـت المطهر أهله، المطبعة التلمسانية الخلدونية، الجزائر، 1961.

-الفـرسطائي أبـي العبـاس أحمـد أحمـد بـن محمـد النفوسـي، القسـمة وأصـول الأرضـين تـح . بكيـر بـن محمـد والشـيخ بالحـاج ومحمـد صـالح ناصـر، ط.2، جمعيـة التـراث القرارة، الجزائر، 1997.

-الـوزان الحسـن بـن محمـد، وصـف افريقيـا، تـر. محمـد حجـي ومحمـد الأخضـر، ط.2 دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983.

-بليـدي إبـراهيم بـن أيـوب، إعطـاء الضـوء للصـحراء، المطبعـة الجديـدة يـزور يقـيس سكيكدة، قسنطينة، 1903.

-ابـن حوقـل أبـي القاسـم النصـيبي، صـورة الأرض، منشـورات دار مكتبـة الحيـاة لبنان،1992م .

-ابـن خلـدون عبـد الرحمـان، كتـاب العبـر وديـوان المبتـدأ والخبـر فـي أيـام العـرب والعجـم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ط1، دار ابن حزم، لبنان،2011.

-ابـن خلـدون عبـد الرحمـان، المقدمـة، تـح، تـق، تـع. عبـد السـلام الشـداي، ج1، ج2 وزارة الثقافة، 2006.

-سبنسـر ولـيم ، الجزائـر فـي عهـد ريـاس البحـر، تـع. وتـق: عبـد القـادر زباديـة، دار القصبة للنشر، الجزائر،2006.

-بـن سـحنون محمـد، آداب المعلمـين، مراجعـة وتـع. محمـد العروسـي المطـوي، دار الكتب الشرقية ط.2، تونس ،1972م.

-بـن هطـال أحمـد التلمسـاني، رحلـة محمـد الكبيـر بـاي الغـرب الجزائـري إلـى الجنـوب الصحراوي الجزائري، تح وتق: محمد بن عبد الكريم، عالم الكتب، القاهرة، 1969.

-عـرف أهـل القـرارة فـي القصـر وخارجـه وفـي السـيل والواحـة، تـق: هيئـة أمنـاء القصـر 2009.

6-الكتب بالفرنسية

المصادر :

-Amat Charles, le Mzab et les mozabites, Challamel Et Cie, Editeur Paris,1888.
-Aucapitaine (Baron.Henri), les beni m'zab, analyse des voyages.1898.
-Baunard(Mgr),le cardinal lavigerie, librairie ch.poussielgue,paris1896.
-Choisy Auguste, le Sahara souvenirs d'un Mission à Goléah, E. plon et c^{ie}, imprimeurs paris, 1881.
-Coudray (A), Ghardaïa, In Bulletin de la société de géographie d'Alger, imprimerie Charles zamith, Alger, 1897.
-Coyne (André), Le Mzab, Adolphe Jourdan, Alger,1879.
-Coyne (André), Une Ghazzia Dans Le Grand Sahara, Adolphe Jourdan, Alger,1881.
-Daumas (Eugène), Le grand désert, ou Itinéraire d'une caravane du Sahara au pays des négres, imprimerie et libraires centrale de napoléon, paris,1848.
-Daumas (Eugène),Le Sahara algérien ,études géographiques, statistiques et historiques on sur la région au sud des établissements français en Algérie ,langois et leclercq,paris ,1845
-Daumas (Eugène), Mœurs et Coutume de l'Algérie, tel-Kabili-Sahara, 2eme Edition librairie de l'Hachette et ^{Cie}. Paris, 1855.
-Duveyrier (Henri), Coup d'œil sur le pays des beni-m'zab et sur celui du chaanbe occidentaux : In Revue algérienne et coloniale, Tom II, librairie de L. Hachette et ^{Cie}, Paris, 1860.
-Elie de la primaudaie(F),Le commerce et la navigation de l'Algérie avant la conquête française In: Revue algérienne et colonaile,T3,Librairie de L.hachette et ^{Cie}, Paris, 1860.
-Foucher Victor, Les Bureaux arabes en Algérie, Librairie internationale de L'agriculture et de la colonisation, Paris,1858.
-Garrot (Henri) Histoire général de l'Algérie, Imprimerie p.Crescenzo, Alger ,1901.

-Garrot (Henri) Les juifs algériens : leurs origines, librairie louis Relin ,Alger,1898.

-Jules labbe, Un moi dans le sahara,Imprimerie et lithographie,lille,1865.

-Hess jean, L'extrême sud algérien et le touât: In analyse de géographie T.6 N° 26 1897.

-Hurabielle jean (abbé), Au Pays tlea Biskra et les oasis entérinement auguStin challamel, éditeur, Paris, 1899.

-Lespés (René) Quelques documents sur la corporation des mozabites dans les premiers temps de la conquête, In : R.A, Vol.66,1925.

-Mac Cartly (oscar), Géographie économique et politique de l'Alger imprimerie librairie, 1858.

-Villot(le Lieutenant-Colonel) Mœurs Coutumes Et Institutions des Indigènes de l'algérie,Troisieme edition,Librairie Adolphe Jourdan,Alger,1888.

-Masqueray (Emil), Formation des cités chez les populations sédentaires de l'Algérie (kabil, chaouia, beni mezab), Ernest leroux, Paris, 1886.

-Maurice wahl, L'Algérie, 4.E. Félix Alcan, Paris,1903.

Mercier (Ernest), la France dans le Sahara et au soudan, Ernest Leroux, Paris, 1889.

-Mouliéras Auguste, Les beni-isguen(MZAB),Essai sur leur dialecte et leurs traditions populaires,Imprimerie fouque et cie prtit fanal,Oran,1895.

-Motylinski (calassanti adolphe) Notes Historiques sur le mzab, Guerrara depuis Sa Fondation, Adolphe Jourdan, 1885.

-Napheguji (G), Ghardaïa minety pays among the b'ni mouzab, Putnam Publicherc , New York, 1871.

-Narcisse faucon, Livre d'or de l'Algérie tome 1, challamen, Paris, 1889.

-Num Broc, Les français face à l'inconue saharienne, géographique explorateur.

-Paul solleillet, l'Afrique occidentale, l'Algérie, m'zab Tidikelt, imprimerie de f.seguine aime, 1877.

-Paul solleillet, Avenir de la France en l'Afrique, challamelaine, Paris, 1876.

-Paul Solleillet, Voyage de paul Solleillet (D'Alger à l'oasis d'in-Saleh-Alger), typographie et lithographir, A. Jourdan, Alger, 1875.
-Peyronnet(R) Livre D'or des officiers Des Affaires Indigènes 1830-1930,T.1.imp.P.et G.soubiron,Alger,1930.
-Rinn (louis), Les marabouts, khouans, étude sur l'islam en Algérie, Adolf Jourdan, Alger, 1884.
- Rinn(louis), Nos Frontières Saharienne, Adolph Jourdan, Librairie, Alger.
-Rinn (basset), étude sur la zanatia du m'zab, de Ouargla et de l'oued righ ernest leroux, Paris, 1893.
-Robin (commandant), Le Mzab et son Annexion à la France, Adolphe Jourdan, Alger,1884.
-Shaler (William),Esquisse de l'état d'Alger, éditions 8
-Trumelet (corneille), Les français dans le désert, Garnier frères édition, Paris, 1863.
-Trumelet (corneille), مes français dans le désert, Challamel ainé, Paris, 1885.
-Venture de paradis Jean-michel, Tunis et Alger au XVIIIe siècle , sindbad, Paris, 1983.
-Ville(M) Exploration Géologique Du Beni Mzab, Du Sahara, Imp. National, Paris,1867.

<u>-الرسائل:</u>

-De Sonis Louis Gaston(lieutenant colonele) (Subdivision de Médéa-Cercle de Laghouat, Affaires Arabes, N° 254, 5 février 1866.

<u>المراجع:</u>

-البكر عبد الجبار، نخلة التمر ماضيها وحاضرها، مطبعة العاتي، بغداد، 1972.

-البكري عبد الرحمان، فتاوى، ج. 1، ط1، المطبعة العربية، 2003.

-التازي عبد الهادي، رحلة الرحلات مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة، ج.1، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، الرياض،2005.

-التيجاني حماني أحمد، ومضات من تاريخ القرارة الثقافي والسياسي الثوري، دار صبحي للطباعة والنشر، ط.1، 2013.

-الخليلي جعفر، التّمور قديما وحديث، مطبعة المعارف، بغداد، 1956.

-الخطيب عبد اللطيف بن محمد، متن ألفية ابن مالك، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع ط.1، الكويت ،2006 م.

-أجيرون شارل روبير، تاريخ الجزائر المعاصرة، تر.عيسى عصفور،ط.1، منشورات عويدات بيروت -باريس ،1982م.

-الحاج سعيد يوسف بن بكير، تاريخ بني ميزاب، دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، ط.2، المطبعة العربية، غرداية،2005.

-الحاج سعيد يوسف بن بكير، تاريخ بني ميزاب، دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية ط.4 المطبعة العربية، غرداية، 2016.

-الحاج أيوب إبراهيم بن يحي، الشيخ القرادي، تحقيق. يحي بن بهون حاج امحمد ط.1، الطباعة العالمية،2010.

-الذيب سامي عوض أبو ساحلية، ختان الذكور والإناث عند اليهود والمسيحيين والمسلمين، تق. نوال السعداوي، مركز القانون العربي والإسلامي، دار رياض الرّيس بيروت، 2000.

-الزبيري محمد العربي، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، الوكالة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر،1972.

-الزعفراني حاييم، ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب، تر. أحمد شحلان، عبد الغني أبو العزم ط.1 الرباط ،1987.

-السيابي، سالم بن حمود بن شامس عمان عبر التاريخ، ج.1ط.5، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 2001.

-السيد محمد محمد كمال، الأزهر جامعا وجامعة أو مصر في ألف عام، الهيئة العليا لشؤون المطابع الاميرية، مصر ،1986م.

-العربي اسماعبل، الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

-بن العنتري محمد الصالح، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على اوطانهم او تاريخ قسنطينة، مراجعة وتق. و تع. يحي بوعزيز، ط.2 دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر ،2007.

-العوامر ابراهيم بن محمد الساسي، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، تونس، 1977.

-القرادي أيوب بن ابراهيم، رسالة في بعض أعراف وعادات وادي ميزاب، تق. تح. الحاج امحمد يحي، جمعية النهضة العطف، الجزائر، الطبعة الأولى، 2009.

-الكعاك عثمان، البربر، أعده للنشر تامغناست، د.ط، د.ت.

-الماجري عبد الكريم، هجرة الجزائريين والطرابلسية والمغاربة الجواونة إلى تونس 1831-1937، الشركة التونسية للنشر، ط.1، 2010.

-المدني أحمد توفيق، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، دار البصائر الجزائر ،2009.

-الهاشمي رضا جواد، تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن 19، مؤسسة الفليج للطباعة والنشر، بغداد، 1984.

-أوجين فايست، تاريخ بايات قسنطينة في العهد التركي 1792-1873، تر. صالح نور تق.عبد الرحمان شيبان،ط.1، دار قرطبة للنشر والتوزيع،الجزائر2010.

-أوعوشت بكير بن سعيد، قُطب الأئمة العلامة محمد بن يوسف اطفيش "حياته آثاره الفكرية، جهاده"، المطبعة العربية، الجزائر، 1989.

-أوعوشت بكير بن سعيد، رجال خالدون في ذاكرة الإسلام، المطبعة العربية، غرداية 1994م.

-أوعوشت بكير بن سعيد، وادي ميزاب في ظل الحضارة الإسلامية، المطبعة العربية غرداية،1991.

-أوعوشت بكير بن سعيد، ميزاب يتكلم تاريخيا وعقائديا واجتماعيا، المطبعة العربية غرداية ،1993.

-بافار كلود، أضواء على ميزاب، مطبعة دلرواس، فرنسا ،1947م. ملاحظة: الكتاب غير مرقم.

-بالحاج قاسم بن أحمد الشيخ، معالم النهضة الإصلاحية عند الإباضية، 1157هـ - 1744م إلى 1832هـ - 1962م، جمعية التراث القرارة المطبعة العربية، الجزائر 2011.

-بصير عبد المغيث مصطفى، الفقيه عبد الواحد بن عاشر (990هـ- 1040هـ) حياته وآثاره الفقهية، ط.1 منشورات وزارة الأوقاف والفنون الإسلامية المملكة المغربية 2007م.

-بعمارة عيسى، اتفاقيات المجالس العامة لميزاب 1405-1928، دار الشهاب، باتنة 1982-1983.

-بقطاش خديجة، الحركة التبشيرية في الجزائر 1830-1871، الجزائر ،1977.

-بوعزيز يحي، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، دار البصائر للنشر والتوزيع، ط خ 2009.

-بوعزيز يحي، طرق القوافل المحروسة التجارية بالصحراء الكبرى كما وجدها الاوربيون خلال القرن التاسع عشر، دار هومة للطباعة للنشر والتوزيع الجزائر ،2004.

-بوحوش عمار، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، دار الغرب الإسلامي، ط.1 بيروت،1997.

-بوفيل، تجارة الذهب وسكان المغرب العربي، تر، د.عبد الهادي أبو لقمة، د. محمد عزيز،ط.2، منشورات جامعة قاريونسرا، ليبيا،1988م.

-بيشي عبد الحليم، تطور الثورة الجزائرية في ناحية غرداية، دار زمورة للنشر التوزيع ط.خ الجزائر.

-تيمور أحمد باشا، أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث، دار الأفاق العربية مصر 2002.

-جمعية أعيان عرش للماية، مدونة أشغال الملتقى الأول لتاريخ منطقة للماية وعرش المذابيح، جويلية 1898م.

-حسن محمد، الجغرافيا التاريخية لإفريقية من القرن الأول إلى القرن التاسع هـ، ط.1 دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا، 2004.

-حفناوي بعلي، الرحلات الحجازية المغاربية: المغاربة الأعلام في البلد الحرام، در اليازوري للنشر والتوزيع، الأردن،2016.

-حمدان محمد عبد الله، الجماعات اليهودية في تركيا ودورها في الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية التركية، ط1، دار الزمان للطباعة والنشر، سوريا، 2011.

-بن حموش مصطفى أحمد، فقه العمران الإسلامي من خلال الأرشيف العثماني الجزائري956هـ/1549م-1246هـ/1830م، دار البحوث للدراسات الإسلامية واحياء التراث، ط.1 ،2000.

-حوتية محمد الصالح، توات والازواد، ج2، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر الجزائر،2007.

-خياط سليم، ازدواجية مكانة الرجل الأسود عبر تقديرات الأصناف السوسيولسانية المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ، مطابع عمار قرفي، باتنة 2001.

-دبوز محمد علي، أعلام الإصلاح بالجزائر، ج1، ط.1، مطبعة البعث، قسنطينة 1974.

-رمضان مصطفى، خواطر حول الوضعية الإجتماعية والعلاقات الإنسانية في غرداية، د. ط 1987.

-أبو ريه عطا، اليهود في ليبيا وتونس والجزائر، تق. سنوسي يوسف إبراهيم، ط.1 ايتراك للنشر والتوزيع، مصر،2005.

-بن زرقة سعيد، قصر البوخاري مدينة الشمس، مطبعة السلام، ط.1، الجزائر 2001م.

-زوزو عبد الحميد، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1900 ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،2010 .

-ستودار لوثروب ، حاضرة العالم الإسلامي،ج 2 ، ط.4 تر.عجاج نويهض، تع. شكيب أرسلان، دار الفكر، القاهرة ،1973م.

-سعد الله فوزي، يهود الجزائر موعد الرحيل،ج2 ، ط1، دار قرطبة للنشر والتوزيع الجزائر،2005م.

-سعد الله أبو القاسم: -تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، ج7، ج8، ج9، دار البصائر للنشر والتوزيع، طبعة خاصة، الجزائر،2007.

-سعد الله أبو القاسم، على خطى المسلمين حراك في التناقض، ط.1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر،2009.

-سعد الله أبو القاسم، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج.4، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر،2007.

-سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية (1900-1830) ج1، دار الغرب الإسلامي لبنان ط. 1 ،1992.

-سعيدوني نصر الدين، دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية، دار الغرب الإسلامي،2001.

-سماوي صالح بن عمر، العزابة ودورهم في المجتمع الميزابي، ط.1، نشر جمعية التراث، المطبعة العربية، 2005م .

-بن صحراوي كمال، الدور الدبلوماسي ليهود الجزائر في أواخر عهد الدايات، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ط.1، 2009.

-ابن عاشور محمد العزيز، جامع الزيتونة المعلم ورجاله، دار سراس للنشر، تونس 2001.

-عبد الرزاق سعيد عبد الله، الاعجاز الطبي في القرآن والأحاديث النبوية، الرطب والنخلة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986.

-عرفان عبد الحميد فتاح، اليهودية عرض تاريخي والحركاتالحديثة في اليهودي، دار عمار،ط.1،عمان، 1997.

-غريقة محمد بن عبد الرحمان، السيرة الذهبية لأجداد عرش المذابح الأشراف، ط.1 دار الصبحي للطباعة والنشر، 2016.

-فخار عبد الوهاب حمو، السلسلة الذهبية تعلم اللغة الامازيغية وآدابها، مطبعة الفنون الجميلة، الجزائر،2015م.

-فلنري لوسات، المغرب العربي قبل الإحتلال (1830-1790) تر. حمادي الساحلي دار سيراس للنشر، تونس، 1994.

-قيس عبد الحميد، النخيل والتّمور، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي هيئة المعاهد الفنية، دار الحكمة للطباعة والنشر بغداد، 1990.

-مخلوف علي محمد، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ج.1، دار الكتاب العلمية، بيروت، 2002م.

-بومريقة الحاج سليمان، تفاصيل الجواب عن تقاسيم مياه السيول بواد ميزاب.د.ت

-موهوبي عبد القادر السائحي الإدريسي الحسني، ومضات تاريخية واجتماعية لمدن وادي ريغ وميزاب وورقلة والطيبات والعلية والحجيرة، دار البصائر للنشر والتوزيع الجزائر، 2011.

-مياسي إبراهيم، توسع الإستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري (1881-1912) منشورات المتحف الوطني للمجاهد 1996.

-محفوظي عامر بن المبروك، تحفة السائل بباقة من تاريخ سيدي نايل، دار أسامة للطباعة، للنشر والتوزيع، ط.1، الجزائر 2002.

-مزهودي مسعود، جبل نفوسة في العصر الإسلامي الوسيط، (21-442هـ) (642-1053م)، نشر وتوزيع مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، سلطنة عمان، ط.1 ،2010.

-مطلق عمار بن الحاج سعد، مدخل إلى تاريخ أولاد سيدي يحيى للصحراء الجزائرية المطبعة العربية، ط.1، الجزائر، 2011.

-مطلق عمار بن الحاج سعد ، ديوان الشاعر أحمد بن الحرمة، دار سي العربي بن عكنون، الجزائر،2008.

-معمر علي يحي، الإباضية بين الفرق الإسلامية تحقيق: بكير محمد الشيخ بلحاج طبعة جمعية التراث، القرارة ، 2003.

-وايسجربر فردريك، على عتبة المغرب الحديث، تر. عبد الرحيم حُزل، مطبعة الأمنية، الرباط ، ط.2،2011.

-بن ولهة عبد الحميد مسعود، الحركة الوطنية والثورة التحريرية بناحية غارداية اداريا وتنظيمياً، ج.1، دار صبحي للطباعة والنشر، الجزائر،2013.

-وينـتن مصـطفى بـن الناصـر، أراء الشـيخ محمـد بـن يوسـف اطفـيش، العقديـة (1821-1914)، المطبعة العربية، غرداية.
-بـن يحـي الحـاج أيـوب إبـراهيم، الشـيخ القـرادي، آثـاره الفكريـة، ط.2، العالميـة للطباعـة والخدمات، غرداية، الجزائر،2009.

المراجع بالفرنسية:

-Abrous (dahbia), la société des missionnaires d'Afrique à l'épreuve du mythe berbère (kabyli -Aurès-m'zab), Edition Peeters , Paris, 2007.
-André Ravéreau, Le m'zab une leçon d 'architecture,Sindbad,1981.

-Bloch (André), Sidi Ahmed benyoussef, Saint tutélaire De Miliana, Maisonneuve et Larose, Paris, 2004.

-Charles le Goffic,La Rose Des Sable, L'édition D'art H.Piazza,Paris,1932.

-Chekhab Mounia, Patrimoine archéologique dons le sud algérienne exemple de l'architecture domestique dans la valle de m'zab université de paris 2005-2006.

-D'armagnac, Le mzab et les pays chaanba, édition baconnier, Alger, 1933.
-Dermenghem (Emile), La 19eme centenaire de la fondation de Ghardaïa -série monographie N°11, 1953.
Esnault (P): l'assistance médicale indigène au sahara, revue grand lacs revue mensuelle des missionnaires d'Afrique Edition 1, 53eme année , N° 5-6, 1er mars , Paris, 1937.
-Eyme, Centre Culturele de Documentation Saharienne, Ghardaia, S.D.
-Félin(E) Etude sur La Législation des Eaux dans le Chebka du Mzab, Imp, A Mauguin, Blida,1909.

-Gagnon Michel, Aperçu sur l'histoire de la Mission de Sahara fascicule 1 Mgr louloutte anatole, (1891-1897) Laghouat (Algérie) 2000.
-Gagnon Michel, Aperçu sur l'histoire de la Mission au Sahara, Fascicule 1, Mgr Hacquard augustin, (1897-1901), Laghouat, (Algérie),2000.
-Goichon (Amélie-Marie), la vie féminine au m'zab, tome 2, librairie orientaliste paul genthmer, 1931, Paris.
-Gouvernement général de l'Algérie, Les territoires du sud de l'Algérie, ancienne maison bastide Jourdan, Alger ,1922.
-Haggui Jamel, les algériens originaires du sud dans la ville de Tunis pendant l'époque coloniale (1881956), (mozabit souafas et ouarglias, mémoire universitaire de manouba tunisie, 2003-2004.
-Hannachi (S),et Khitri (D) Benkhalifa(A),Brac de la perrière (R.A),Inventaire variétal de la palmeraie ,Algérienne,Anep,Algerie ,1998.
-Kateb Kamal ,Européens,«Indgènes» Et Juifs en Algérie(1830-1962)Cahier N^{0}145,éditions de l'institut National D'études Démographiques,Paris, 2001.
-kleinknecht(charles), Administrateur Civil au Sahara 1942-1962,L'Harmattan, Paris.2000.
-Lamy, Centre Culturele de Documentation Saharienne,Ghardaia, S.D.
-Lelong(M.H), le Sahara aux cent visages, édition alsatia,Paris,1945.
- Lehuraux Leon, Le Sahara Ses Oasis, édition Baconnier, Alger ,1934.
-Langronier ,le palmier-Dattier à Laghouat et au m'zab(rapport)Semaine du Dattie, imp.imbert, Alger ,1932.
-Lethielleux (jean), Ouargla cité saharienne, Librairie orientaliste paul geuthner, paris,2^{éme} edition,1984.
-Mercier Marcel, La Civilisation Urbaine Au Mzab, Etude de Sociologie Africane, Imprimerie Emile Pfister, Alger,1922.
-Moulias (Daniel .Capitaine) l’organisation hydraulique des oasis sahariennes, Imp. Ancienne Maison Bastide-jourdans,Alger,1927.
-Odette petit, Laghouat essai d'histoire sociale, ed : Collège de France, Paris, 1976.

-Oliel Jacob ,Les Juifs Au Sahara Le Touat au Moyen Age, Cnrs Editions,Paris,1994.
- Passager (Paul-François), Metlili Des Chaamba, etude Historique Géographie et médicale, In Archive de l'institut pasteur D'algeri, T.xxxV. N^0 4,1958.
-Regnier Yves, Les chaanba Sous le régime français leur transformation, Edition domat-montchrectien, 1938.
-Sr. claver Marie, Les seures vont à domicile, revue grand lacs, revue mensuelle des missionnaires d'Afrique Edition 1, 53eme année N°5-6 1er mars, Paris. 1937.
- Un Vieux Pére du désert : El Golea Sicut palma Florebir, Revue Grand Lacs, Revue Mensuelle des Missionnaires d'afrique, edition 1,53eme année, N5-6?1ERmars,Paris,1937.

7-المذكرات والرسائل:

- بابا واسماعيل يوسف، القضاء في مجلس عمي سعيد نظامه-إجراءاته-مصادره (1300-1342/1883-1925 م) ، أطروحة دكتوراه في العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر -1- بن يوسف بن خدة،2017-2018م.
-بالحاج ناصر، النظم والقوانين العرفية بوادي مزاب في الفترة الحديثة، أطروحة دكتوره، جامعة قسنطينة 2، 2013-2014.
-بسخواط فافة، حمود ليلى، دراسة حول نظام تنوبا نظاما ووقفا، شهادة اثبات الكفاءة المنهجية المعهد الجابري للبنات، بني يزقن، 2004.
-بلغيث عبد القادر، الحياة السياسية والإجتماعية لمدينة وهران خلال العهد العثماني مذكرة ماجستير، جامعة وهران، 2013-2014.
-بوراس يحي، العمارة الدفاعية في منطقة وادي مزاب (نموذج قصر بني يزقن)، من الفرن10هـ/16مالى القرن13هـ/19، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر،2001-2002.
-بوزالماط طارق، حركة معادة اليهود في الجزائر 1870-1902، رسالة ماجستير جامعة الجزائر2 ،2005-2006.

-تلمساني بن يوسف، الطريقة التيجانية وموقفها من الحكم المركزي بالجزائر، رسالة ماجستير جامعة الجزائر ،1997-1998م.

-بن جابو أحمد، المهاجرون الجزائريون ونشاطهم في تونس (1830-1954) رسالة دكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد -تلمسان،2010-2011.

-حباش فاطمة، المكاتب العربية ودورها في المد الإستعماري بالغرب الجزائري (1844-1870) تيارت، سعيدة، جيرفيل، البيض. نماذجا، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران،2013 -2014.

-حيدرة رشيد، مسائل التحقيقية في بيان التحفة الاجرومية (للشيخ امحمد بن يوسف اطفيش) رسالة ماجستير، جامعة السانيا وهران،2013.

-دحمون منى، قصر بوسمغون بولاية البيض(دراسة أثارية تحليلية) رسالة ماجستير جامعة الجزائر 2004-2005.

-دوسن أحسن، صورة المجتمع الصحراوي الجزائري في القرن التاسع عشر من خلال كتابات الرحالة الفرنسيين، مقارنة سوسيوثقافية، مذكرة ماجستير جامعة منتوري قسنطينة، 2007-2008.

-ذكار أحمد، حاضرة ورجلان وعلاقاتها التجارية بالسودان الغربي من 1591-1883، مذكرة ماجستير، الجامعة الإفريقية احمد دراية، أدرار، 2009-2010.

-رواحنة عبد الحكيم، السياسة الاقتصادية الفرنسية في الجزائر (1870-1930) مذكرة ماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة 2013-2014.

-زميرلين نصيرة حسان، التعليم الإسلامي في الجزائر في ظل الإحتلال الفرنسي (من سنة 1830-1962) رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية 1406هـ-1407هـ.

شـــافو رضـــوان، الجنـــوب الشـــرقي خـــلال العهـــد الإســـتعماري ورقلـــة نموذجـــا، 1844-1962، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر2 ،2011.

-غطـــاس عائشـــة، الحـــرف والحرفيـــون بمدينـــة الجزئـــر1700-1830 مقاربـــة اجتماعيـــة - اقتصادية أطروحة دكتوراه جامعة الجزائر،2000-2001.

-فـرج محمـود فـرج، إقلـيم تـوات خـلال القـرنين الثـامن عشـر والتاسـع عشـر الميلاديـين أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر،1998م.

-مرتـــاض عبـــد الحكـــيم، الطـــرق الصـــوفية بـــالجزائر فـــي العهـــد العثمـــاني(924-1246هـــ/1518-1830) تأثيراتهـــا الثقافيـــة والسياســـية، رســـالة دكتـــوراه، جامعـــة وهران،2015-2016.

-هقـاري محمـد، التوسـع الاسـتعماري الفرنسـي فـي الجنـوب الجزائـري وردود فعـل السـكان مـا بـين 1850-1916، أطروحـة دكتـوراه، المدرسـة العليـا للأسـاتذة، بوزريعـة،2015-2016.

-واعلـــي محمـــد الطـــاهر، التعلـــيم التبشـــيري فـــي الجزائـــر مـــن 1830-1904، رســـالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1988م-1989م .

-وقـاد محمـد، جماعـة بنـي ميـزاب وتفاعلاتهـا الاقتصـادية والإجتماعيـة بمدينـة الجزائـر أواخـر العهـد العثمـاني(1112هـ-1246هـ/1700م-1830م) مـذكرة ماجسـتير، جامعـة الجزائر،2009-2010م.

المذكرات بالفرنسة:

-Chekhab (Mounia) Patrimoine Archéologique dans le Sud Algérienne exemple de l'architecture Domestique dans la valle de m'Zab, Master 1, Université de paris I, 2005-2006.

-Cherifi (Brahim), études D'anthropologie Historique et Culturelle sur le m'zab, Thèse Doctorat d’anthropologie, Université de Paris VIII Vincennes Saint-Denis, 2003.

8-المقالات:

-الأخضري فرحات، العلامة المصلح الشيخ الشّريف محمد الطاهر بن عمارة شوشان وجهوده العلمية والأدبية، مجلة الذاكرة، ع.2 ،2012م، جامعة ورقلة.

-العماري الطيب، النخلة في البيئة الصحراوية قيمة اقتصادية ورمزية سوسيوثقافية مجلة الواحات للبحوث والدراسات، المركز الجامعي غرداية، ع 15 ،2011

-أولاد سعيد أحمد، علماء مسجد خالد ابن الوليد بمدينة غرداية ودورهم الريادي في العلم والوطنية، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، المركز الجامعي غرداية، ع.05 2009م.

-بابا وإسماعيل زهير، حماية خزائن المخطوطات في وادي مزاب بغرداية وفهرستها الملتقى الوطني الثاني حول التراث العربي المخطوط بالجنوب الجزائري واقعه وأعلامه، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة،2015م.

-بالحاج ناصر، الماء في حواضر الصحراء أدواره والتحكم فيه، مجلة الدراسات العدد 15، المركز الجامعي بغرداية2011.

-بالحاج ناصر، التنظيمات الفرنسية للجماعات الحرفية والاثنية غداة الإحتلال-حالة بني مزاب- مجلة العلوم الإنسانية، ع.40، جامعة الوادي.2013.

-بن بهون يحيى حاج امحمد، تجربتي مع التراث الجزائري، جمعاً وتحقيقاً ودراسةً تحقيق حاشية سليمان الجربي نموذجاً، الملتقى الوطني الثاني حول التراث العربي المخطوط بالجنوب الجزائري واقعه وأعلامه، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة ،2015م.

-بن بهون يحي حاج امحمد، قراءة في مراسلات الشيخ إبراهيم بن بحمان الثميني إلى الشيخ سليمان بن ناصر العماني، أعمال الملتقى العلمي الثامن، التواصل الحضاري العماني المغاربي في العصر الحديث، المركز الجامعي بغرداية،2011م.

-بـوراس يحيـى، الحيـاة الثقافيـة فـي منطقـة ميـزاب خـلال العصـرين الوسـيط والحـديث مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع. 17، المركز الجامعي غرداية، 2012.

-جهـود مؤسسـة الشـيخ عمـي سـعيد بغردايـة وتجربتهـا فـي حمايـة التـراث المخطـوط، د.ت

-بـن خـروف عمـار، جماعـة بنـي ميـزاب فـي مدينـة الجزائـر فـي العهـد العثمـاني 1520-1380 (تنظيمهـا-نشـاطها-علاقاتهـا) مجلـة الواحـات للبحـوث والدراسـات، ع.1، المركـز الجامعي بغرداية،2006.

-ذهنـي الهـام محمـد، التوسـع الفرنسـي فـي إفريقيـا الاسـتوائية فـي النصـف الثـاني مـن القـرن التاسـع عشـر، المجلـة التاريخيـة، الجمعيـة المصـرية للدراسـات التاريخيـة، مـج 34 القاهرة،1987م.

-السـرقمة عاشـور، المخطوطـات الأدبيـة بمكتبـات وخـزائن غردايـة، واقعهـا وأهـم أعلامهـا الملتقـى الـوطني الثـاني حـول التـراث العربـي المخطـوط بـالجنوب الجزائـري واقعـه وأعلامـه جامعة قاصدي مرباح، ورقلة،2015م.

-سـعيدوني ناصـر الـدين، الأوضـاع الاقتصـادية والإجتماعيـة والثقافيـة لولايـات المغـرب العثمانيـة (الجزائـر-تـونس-طـرابلس الغـرب) مـن القـرن العاشـر إلـى الرابـع عشـر الهجـري (مـن القـرن السـادس عشـر حتـى القـرن التاسـع عشـر المـيلادي)، حوليـات الآداب والعلـوم الإجتماعية، الحولية الحادية والثلاثين، جامعة الكويت، 2010م.

-علالـي محمـود، الاهتمـام الفرنسـي بالصـحراء الجزائريـة-الأغـواط انمودجـا-مجلـة تـاريخ المغرب العربي، المجلد2، العدد3 ، 2015م.

-عواريـب لخضـر، بـدو ورقلـة وطـوارق الاهقـار كرونولوجيـات وبـداوة مـن خـلال دراسـات فرنسـية، مجلـة الواحـات للدراسـات، مجلـة الواحـات للبحـوث والدراسـات،ع15، المركـز الجامعي بغرداية، 2011.

-غـزال أمـل، تـاريخ العـرب الحـديث بـين التقسـيم الإقليمـي والتهمـيش المـذهبي والاثنـي الإباضـية مثـالاً التـاريخ العربـي وتـاريخ العـرب، كيـف كتـب وكيـف يكتـب؟ المركـز العربـي للأبحـاث ودراسـة السياسـات جمـع المـؤتمر السـنوي للدراسـات التاريخيـة، ط.1، بيـروت 2016.

-مـديني بشـير، قـراءة تاريخيـة حـول الجاليـة الجزائريـة بتـونس، مجلـة الواحـات للبحـوث والدراسات العدد 20، 2014.

-معاشـو جيلالـي كـوبيبي، الصـحراء كفضـاء للترحـال، مقاربـة سيوسـيو انثروبولوجيـة للبدو الرحل، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، المركز الجامعي غرداية،2011.

-يطـو فتيحـة، الصـراع الـدولي علـى الطـرق التجاريـة فـي الصـحراء الجزائريـة، المجلـة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية، عدد 1 ،2015م.

-يطـو فتيحـة، معاهـدة الحمايـة بـين وادي ميـزاب وفرنسـا، حقيقتهـا وعلاقتهـا بنظـام الضـم، المجلـة المغاربيـة للدراسـات التاريخيـة والإجتماعيـة، ع1، رقـم1، جامعـة الجيلالـي اليابس، سيدي بلعباس، 2009.

9-المعاجم والقواميس:

-الزركلـي خيـر الـدين، الأعـلام، المجلـد 1 ، ط.7 ، دار العلـم للملايـين، لبنان،1986 .

-مجموعـة مـؤلفين، معجـم أعـلام الإباضـية مـن القـرن 1 إلـى 14هـ(قسـم المغـرب العربي) المطبعة العربية، نشر جمعية التراث، غرداية، 1999.

-ابـن منظـور أبـو الفضـل جمـال الـدين بـن مكـرم، لسـان العـرب المحـيط، المجلـد الثـاني عشر، دار الجيل، بيروت ،1988.

المقالات بالفرنسية:

−Bruhnes Jean ,Les oasis du souf et du m'zab comme type d'établissements humains, In :La géographie Bulletin de la société de Géographique,tome v,1er semestre, Masson et Cie, Paris ,1902.

-Charlet, Les Palmiers du m'zab, In : Bulletin de la société de géographie d'Alger et de l'Afrique du nord,1905.

−Couvet (Capi) La culture du palmier au souf, In : Revue Africane,1er trimestre,1914.

−Chouraqui Andre,La Condition des Juifs du Mzab,Le Cahiers de l'alliance Israélite,juin, Juillet,1955.

- Despois (J), Ghardaïa, Encyclopédie de l'islam, 2 éditions .
-Ferry (lt.colonel) La zone nord -est de L' O.C.R.S , Centre Culturel et de Documentaion Saharienne (C.C.D.S),Ghardaïa, 1957.

-Gouvernement Général de L'Algérie ,Exposer de la Situation Générale de la Territoire du Sud . Pendant les années 1914-1915, Présenter Par: M. charles.lutaud ,Alger,Typographie Adolphe Jourdan.1916.

-Huguet (J), Les premières originaires de Gourara ,In: Comptes rendus des séances de l'académie des inscriptions et belles-lettres,42e année N4,1898.

-Huguet (J),Les Villes mortes du Mzab, Bulletin et Mémoire de la société D'anthropologie de paris numéro 01 ,1903 volume 04.

-Huguet (J), Le pays de m'zab, In :Bulletins et Mémoires de la société d'anthropologie de paris, 1898.

-Huguet(J), Les Conditions générales de La vie au m'Zab la médecine et les pratiques médicales indigènes : In bulletins et mémoires de la société d'tropologie de paris, V° série, tome 4, 1903.
-Huguet (J), les juifs de Mzab, In : Bulletins de la société d'anthropologie de paris v0 série tome 3,1903.

-Lasserre(M) Aperçu Météorologique, In : Expose de la situation générale des territoires du sud de l'algerie,1905.
-Le Chatelier, les medagnat, R. A, 30 année, N° 175.1886.
- Le Prieur (Capitaine)Les relations caravanieres a Travers Sahariennes de l'antiquite Au Seuil du xx^{e} siècle, In: Revue d'action touristique, culturelle,economique,N^{0}39,3^{e} trimestere ,Paris,1965.
-Madeline Allain, Delheur(J)Le travail de la laine a Ghardaia, In Revue l'occident et la Méditerranee, N^{0}27,1979.
-Martin (Alfred.G), L'action Francaise Dans Le Sahara, In : R.F,37 année, Adolphe Jourdan, Alger,1893.
-Massé (Henri) Les Etudes Arabes en Algérie (1830-1930), In: R. A,N74,Année 1933,A.Jourdan,Libraire-Editeur, Alger,1933.
-Mercier Marcel, Les Juifs Du Mzab et Israél, In : Travaux de L'Institut de Recherches Sahariennes, T.xIx (1er et 2^{me} semestres1960), Universite D'alger.

-Ruffie jacques, étude hémotypologie des populations de la région de m'zab, In Bulletin et mémoire de la société d'inpropologie de paris Tome 3, 1962.
-Sergent(Edmond)et Parrot(louis), Contribution de l'institut pasteur d'Algérie a la connaissance humaine du Sahara 1900-1960, institut pasteur d'Algérie, alger,1961.

10-اللقاءات:

-لقاء مع السيد: قزريط محمد رئيس جمعية نخلة غرداية، بغرداية 10 فيفري 2017.

-لقاء مع السيد: الشيخ العالم الدهمة الحاج الاخضر، المولود عام 1926م بمتليلي، اللقاء كان بتاريخ 15 أكتوبر 2015م.

-لقاء مع السيد: بن الشيخ الشيخ، أحد الأدلاء من أهل البادية، اللقاء كان بالمنيعة على الساعة 10صباحاً، يوم 12 -11-2015 م.

-لقاء مع السيد: بوعبدلي الشيخ الطيب المزداد خلال سنه 1937، أستاذ متقاعد ومهتم بالتاريخ المحلي، اللقاء كان بغرداية يوم 15-10-2015.

-لقاء مع السيد: بن العربي عبد القادر، رئيس اتحاد مربي الإبل بولاية غرداية، المزداد عام 1938، اللقاء كان بغرداية صباحاً بتاريخ 12-10-2016م.

-لقاء مع السيد: بن دودو الحاج محمد، المزداد بالمنيعة خلال 1930م، اللقاء كان بمنزله بتاريخ 11-09-2016م على الساعة 9 صباحاً.

-لقاء مع الحاجة: الهامل فاطنة المولودة بتاريخ 1936 بالمنيعة، على الساعة 13 زاولا بالمنيعة يوم 07 جانفي2016.

-لقاء مع الحاجة: أولاد النوى فاطنة المزدادة عام 1937م، اللقاء كان بغرداية على الساعة العاشرة والنصف صباحاً يوم 15-فيفري2015.

-لقاء مع الحاجة: حروز عائشة بنت قدور المولودة خلال عام 1916، على الساعة 11 صباحا بغرداية، يوم 12 جانفي 2017.

-

فهرس المحتويات

العنوان	رقم الصفحة
الإهداء	/
شكر وتقدير	/
قائمة المختصرات والرموز	/
مقدمة	1
المدخل: الخصائص الجغرافية والبعد الحضاري والتاريخي لمنطقة وادي ميزاب	19
أ–الموقع والخصائص الجغرافية.	20
ب–البعد الحضاري وتأسيس المدن.	30
ج–البعد التاريخي.	39
الباب الأول: الأوضاع الاقتصادية بمنطقة وادي ميزاب خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين	50
الفصل الأول: النشاط الفلاحي بمنطقة وادي ميزاب	52
1– زراعة النخيـل والاهتمام به	53
2– الزراعــات المعاشية	76
3– الثروة الحيوانية وأهمية الرعي	78
4– الآبار وأهميتها	91
الفصـــــل الثاني: الصناعة بمنطقة وادي ميزاب وأهميتها	100
1– الصناعة النسيجية	101
2– صناعة الحلي المتنوعة	105
3–صناعة مواد البناء	106
4–الصناعة الحرفية الأخرى	107

الفصـــل الثالث: التجارة وعناصرها بمنطقة وادي ميزاب	111
1- الأسواق بمنطقة وادي ميزاب	114
2-المكاييل والموازين	117
3-السلع المتبادلة في أسواق ميزاب	118
4-التجارة الداخلية	121
5-التجارة الخارجية	127
الفصـل الرابـع: المواصلات والنقل بمنطقة وادي ميزاب	132
1- وسائل النقل	133
2- المسالك الداخلية	140
3- المسالك الخارجية	141
4- وسائل النقل الحديثة	143
5- الاتصالات	148
الفصـــــل الخامس: المعاملات المالية بمنطقة وادي ميزاب	151
1- العملة المتداولة	152
2- الأوقاف	155
3- الضرائب وأنواعها	161
4- الموارد المالية المحلية	169
البـــاب الثانـــي: أوضاع المجتمع بمنطقة وادي ميزاب ومظاهر حياة السكان خلال القرنيين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين	175
الفصـــل الأول: التركيبة السكانية (عناصر السكان)	178
1-القبائل وأعراش المنطقة	179
2-البدو والحضر ونمط الحياة	200
3-فئات المجتمع	210

4-إحصاء السكان	215
5-العلاقة بين الحضر والبدو	224
الفصل الثاني: المستوى المعيشي والوضع الصحي	228
1- الغذاء وأدواته في المنطقة	229
2- اللباس في المنطقة	234
3- أزمات المعيشة والمساعدات الفرنسية	237
4- الوضع الصحي في المنطقة	242
5- الأمراض والأوبئة المنتشرة في المنطقة	247
6- الطب الشعبي وطرق العلاج والممارسين له	250
7- الطب الفرنسي الحديث	258
الفصل الثالث: الأسرة وتنظيم شؤونها	265
1-العائلة ومميزاتها في المنطقة	266
2-أهمية الزواج وطقوسه	272
3-الوضعية الاقتصادية والمالية للعائلة	279
4-الدور الاجتماعي والاقتصادي للمرأة	282
الفصل الرابع: العادات والتقاليد بمنطقة وادي ميزاب	291
1-المناسبات والمواسم الشعبية	292
2- دور الأعراف في المجتمع	300
3-معرفة ضوابط الوقت والزمن	308
4-مظاهر التسلية والترفيه في المجتمع	315
5-المعتقدات الخرافية في المجتمع	320
الفصل الخامس: المساكن وثقافة العمران بمنطقة وادي ميزاب	325
1-النمط العمراني بمنطقة وادي ميزاب	326

2-القوانين والأعراف المنظمة للعمران	341
3-مواد البناء	343
4-المنشآت العمرانية الفرنسية بالمنطقة	345
الفصل السادس: الهجرة وأثرها على حياة السكان بمنطقة وادي ميزاب	349
1-دوافع الهجرة	351
2-اتجاهات الهجرة	355
3-أثار الهجرة	371
الباب الثالث: الحياة الثقافية بمنطقة وادي ميزاب	380
الفصل الأول: التعليم العربي الحر بمنطقة وادي ميزاب	382
1-التعليم العربي الإسلامي	383
2-العلماء ودورهم في نشر التعليم	395
3-حركة التأليف	412
4-المكتبات والخزائن	421
5-الحواضر الثقافية	426
الفصل الثاني: التعليم الفرنسي الإستعماري بمنطقة وادي ميزاب	430
1- التعليم الفرنسي الإستعماري بمنطقة وادي ميزاب	431
2- مدارس الأباء البيض	435
3- مدارس التعليم العام	441
4- مدارس التكوين المهني	445
الفصل الثالث: العلاقات الثقافية بين الوادي والمناطق الأخرى	449
1-العلاقات الثقافية بين الوادي والمناطق الداخلية	450
2-العلاقات الثقافية بين الوادي والمناطق الإباضية	460
3-العلاقات الثقافية بين الوادي والمناطق العربية	468

4–نتائج العلاقـــات الثقافيـــة	479
الخاتمة	484
الملاحق	495
البيبليـوغرافيـا	552
فهرس المحتويات	580